دائرة المعارف الإسلامية

كتاب الشعب

دائرة المعارف الإسلامية

أصدرها بالإنكليزية والفرنسية والألمانية
أئمة المستشرقين في العالم
ويشرف على تحريرها
تحت رعاية الاتحاد الدولي للمجامع العلمية

هوتسما، وفنسنك، وگب، وهفنگ، وليفي بروفنسال، وشاده
وباسيه، وهارتمان، وأرنولد، وباور، ولويس، وبلا، وشاخت

النسخة العربية
إعداد وتحرير

إبراهيم زكي خورشيد • أحمد الشنتناوي • د. عبد الحميد يونس

المجلد السابع

الشعب
٩٢ شارع قصر العيني بالقاهرة
تليفون ٣١٨١٠

+ «برج» :

١ – العمارة الحربية فى الشرق الأوسط الإسلامى

كانت الحصون المختلفة الطُرُز ، التى يدل عليها المعنى المألوف لكلمة برج (وبخاصة فى النقوش)، هى – فى جميع الأحوال – الأصول الأولى للتحصينات التى أقيمت فى بلاد الإسلام منذ السنين التى تلت الفتح ، والتى كتب لها أن تبقى محتفظة بأهمية حقيقية حتى الوقت الذى تغيرت فيه الأفكار الحربية تدريجاً ، بسبب التطور فى المدفعية الثقيلة ومدفعية الميدان . ويجب ألاّ يصرفنا الشأن الذى كان لتلك الأبنية الضخمة الشاهقة ، أثناء القرون الوسطى عينها، فى الدفاع عن المدن وأسوار القلاع ، أو فى استخدامها معاقل للدفاع أو فى قيامها أحياناً بأعمال دفاعية مستقلة بذاتها (أبراج المراقبة وأبراج الإشارة) عن الحقيقة التى محصلها أن أبراجاً أقل من ذلك شأناً فى وظائفها الحربية الخالصة ، كانت موجودة فى هذه البلاد نفسها منذ أزمنة بعيدة ، وهى الأبراج ذات الكباش التى حدث فى وقت ما أن التُبست بتدابير معمارية ساذجة . وينتمى إلى هذه الفئة – إذا صرفنا النظر عن مآذن المساجد التى لها تطورها الخاص بها – النماذج الأولى للأبراج الإسلامية بخططها القائمة الزوايا وأسوارها الخارجية ذات البروز نصف الدائرى ، التى لم تزل ماثلة فى الشرق الأوسط بين أطلال مقارّ الأمويين (انظر مادة «عمارة») .

وكانت أبراج الحصون هذه وأبراج الحيران المحصنة التى كانت صغيرة المساحة فى الغالب – تُنسَّق بحيث تضفى على الواجهات الصمّاء حسن التناسب ، وتزيد من ارتفاع مداخلها ، وكانت قواعدها فى الغالب مصمتة ، فإذا لم يكن ذلك ، جهزت الطوابق الأرضية منها بمعاقل لايسهل الوصول إليها (إذ كانت تسد مداخلها فواصل من الجدران أو فتحات مستوية إلى غرف السكن) وربما استعملت فى بعض الأوقات دورات مياه ، وكانت هذه الأبراج فى الواقع مختلفة اختلافاً كبيراً عن أبراج الدفاع فى معسكرات الرومانيين والبوزنطيين ، التى كانت طوابقها كلها معدة بغرف ، يتيسر على جنود الحامية بلوغها ، والتحصن فيها إذا حزب الأمر .

والأحرى أن تُعتبر هذه الأبراج اقتباساً لتلك الأبراج المستديرة ذات الدعائم التى عرفها الشرق عدة قرون ، وهو اقتباس لجأ إليه دائماً الساسانيون فى إيران فى أبراج حصونهم التى كانت فى ترتيبها أقل اكتمالا من المعسكرات فى الثغور . وقد كانت هذه الأبراج غير مجردة كل التجرد من كل فاعلية حربية ، إذ كانت منصّاتها العليا تتيح إطلاق النار على المهاجمين أو مراقبة مشارف الحصن على الأقل ، وكانت أيضاً غير مختلفة اختلافاً كبيراً عن أبراج حصون الأمويين المنشأة فى نفس الوقت على الحدود البوزنطية ، ومن ثم أصبح وجودها من المكملات التى لاغنى عنها فى البنايات الملكية ، مدنية كانت أم دينية ، بفضل ما تضفيه على مظهر تلك البنايات من بهاء .

على أن الخصائص الجوهرية لهذا الطراز المأثور عن مقارّ الأمويين العظيمة لم تلبث أن أصبحت أكثر مرونة : والحق إن سنّة دعم الأسوار بهذه الطريقة التى كان لها أثر موفق حين كان الأمر لا يعدو تجنب السآمة التى تحدثها فى النفس مسطحات واسعة من مداميك متراصة من الآجر ، لم يقدر لها أن تختفى إلى غير رجعة ، ذلك أننا نراها تتردد فى بناء من أبنية العباسيين ، ليست له صفة حربية ، هو مسجد المتوكل الجامع فى سامرّا ، الذى فُصِّل سوره المحيط به بأربعة وأربعين برجاً نصف أسطوانى من الآجر ، ودأبوا على استخدامها بخاصة فى مساكنهم المحصنة فى بعض أجزائها ، واستمر هذا التقليد مرعياً بعد ذلك فى الأربطة والخانات : وتزودنا نهاية القرن الثانى للهجرة بمثال رائع منها ، هو قصر الأخيضر العراق (انظر هذه المادة) ، بأبراجه نصف الدائرية العديدة (قطر كل من أبراج الأركان ٥٫١٠ متراً ، والأبراج الوسطى ٣٫١٥ متراً) ، وبأعلى كل بُرج غرفة صغيرة لقذف النار ؛ يوصل إليها رواق مسقوف مزوّد بالمزاغل ، وبجهاز يصب النار إلى أسفل على طول الرواق ، ومؤدى ذلك أن قذف النار من الكُوَى يكاد يكون متواصلا (انظر *A Short Account of Early Muslim Architecture* : Cresswell فى المصادر) .

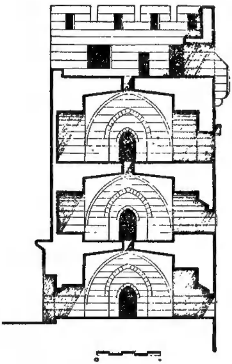
وهكذا تقابلنا الأبراج المتاخمة التقليدية مرة أخرى ، وهى التى كانت بدورها قد احتفظ بها فى التحصين العربى فى القرون الوسطى ، بعد أن قامت بدورها فى تحصينات الروم (البوزنطيين) وأثبت جهازها الدفاعى ، كيفما كان حجمه أوشكله ، (مربع . كثير الأضلاع : مدور) حماية متزايدة لقطاعات الجدران الستارة القائمة بين بروزات الأبراج . ولم يحتفظ الفاتحون الجدد بهذا المبدأ دون تحسينات فحسب ، بل الغالب أنهم كانوا قانعين بالإبقاء على الأسوار العجيبة للمدن التى استولوا عليها فى المواقع الشآمية بحلب ودمشق ، ثم فى آسية الصغرى (قيسارية) أوفى شمالى الجزيرة (آمد) من بعد أو إصلاحها على نحو يسد النقص إلى حين . على أن ثمة حالات يصعب فيها — رغم وفرة الشواهد المدونة المتواترة — أن نفرق تفريقاً بيناً ، بين المنشآت التى كانت موجودة من قبل ، وبين الإصلاحات المتأخرة التى عملت فى العصر الإسلامى ، الأمر الذى ينبئ عن المزالق التى تكتنف الحوادث التاريخية المختلطة كثيرا . غير أن هناك فروقا جليّة بين الإقليم والإقليم ، فالولايات التى طال فيها حكم الروم (البوزنطيين) أكثر من غيرها هى أيضا تلك الولايات التى تبرز فيها تقاليد العمارة الحربية القديمة بروزا متميزاً ، لا يسمح للسلاجقة أو بنى أرتق بأن يظهروا أصالتهم فى هذا الميدان إلا نادرا . وتشبه أبراجهم التى لا تمتاز إلا بقليل من تفصيلات البناء والزخرف ، الطُرُز التى سبقتها بمنافذها المقبية ، المتراكبة بعضها فوق بعض ، مع ما تقتضيه طبيعة الأرض من تعديلات وتقتضيه المشاكل الخاصة الناشئة عن هذه الطبيعة .

وأكثر من ذلك أهمية آثار العصر الفاطمى القائمة فى الأراضى الشآمية المصرية ، ولا شك أن ثمة تراكما واضحا لمواد أعيد استخدامها، ثم استكملت بعد ذلك فى خطط أكثر تعقيداً ، حتى صارت دراستها أمرا عسيرا .

ونستطيع ، مع هذا ، أن نستبين فى المسرح الرومانى بمدينة بُصرى ، الذى جُعل قلعة ، مرحلة أولى فى هندسة الإنشاء (نقوش عام ٤٨١هـ / ١٠٨٩م ، وعام ٥٤٢هـ / ١١٤٧ — ١١٤٨م) ، ففيه تدعم الأبراج المرتكزة على شرفات عالية سوراً به صفان من المزاغل ، وفى أعلاه ممشى محمى للدورية . والأبراج المتاخمة لأبواب القاهرة ، إسلامية خالصة أيضا ، ولاتزال فى أحسن حالات الحفظ ، وهى باب النصر وباب الفتوح وباب زويلة ، وقد أنشأها بدر الجمالى فى ما بين ٤٨٠ — ٤٨٥ هـ (١٠٨٧ — ١٠٩٢م) وتتصل بالحيِّز الجديد الذى أُنشئ فى نفس الوقت . وهى منشآت متوسطة الحجم (ارتفاعها ٨ أمتار تقريباً) وبعضها قائم الزوايا ، وبعضها مدور ، ولكنها جميعا مصمتة حتى ارتفاع الطابقين العلويين ، وتشتمل على وسائل الدفاع الممكنة فى الدكتين العلويتين (مركب فوقهما منصة معدة لقذف النار ، فوق غرفة مربعة الشكل ، مقبية ، مجهزة بالمزاغل). مع متانة طبقاتها السفلى (أحجار مداميك مستوية ، وصفوف من الأعمدة متعارضة من جانب إلى جانب لتحمى الجدران من الانهيار فى حالة حدوث النسف) وحُلِّى الجميع باستخدام رصين للزخرف. ونرى هنا استخداماً مباشراً لأصول الفن لايسعى وراء التجديد ، وهى الأصول التى قدر لها أن تستمر فى عنفوانها حتى الثورة التى استحدثتها فى فن العمارة الحربية فى الشرق الأوسط التحسيناتُ التى استحدثها الأيوبيون .

وأدت الخبرة التى اكتسبها البناؤون فى ذلك الوقت أثناء استمرار حالة الحرب مع ممالك الفرنجة فى فلسطين ، حيث أدخل أساتذة المهندسين الغربيين تقاليد صناعتهم إليها ، ثم نهوض إمارات الأيوبيين الفجائى بعد ذلك ، إلى إنشاء تحصينات مهيبة ، تعكس صورة التقدم الحديث فى فن الرماية بالمجانق. ونرى فى المنشآت الكبيرة التى قام بها الملك العادل فى مستهل القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى ، وخاصة قلاع القاهرة وبُصرى ودمشق وجبل طابور) والملك الظاهر (فى قلعة حلَب ، وفى الحصون الأكثر أهمية فى شمالى الشام) ، أن الأبراج قد بلغوا بها مبلغاً مهولا من الضخامة ، لكى يتمكنوا من تقوية قطاعات دفاعهم ، ويعملوا فى نفس الوقت على اتساع المجال لقيام ثكنات جيدة التهوية لإيواء أعداد كبيرة من الجند يقيمون فيها إقامة دائمة ، ويتحقق لهم فيها الاتصال بأروقة الحير وبالمخازن فى الداخل عن طريق ممرات تحت الأرض أوسلالم مغطاة ، ثم ليستعيضوا بسمك الجدران ومتانة بنائها (وكان استعمال حجر الدستور شائعاً) عن الوهن الذى يسببه تضاعف الغرف المحصنة والممرات ، وهذا ظاهر على سبيل المثال فى البرجين القائمين بقلعتى دمشق وحلب (تاريخهما من سنة ٦٠٦ هـ/١٢٠٩

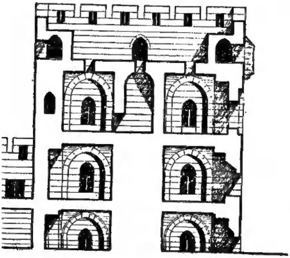
١٢١٠م)الموضحين بالقطاع فى الرسم : فالأول (شكل رقم ١) بروز كبير الحجم غير متجانس



شكل رقم (١) برج متاخم أيوبىّ فى قلعة دمشق

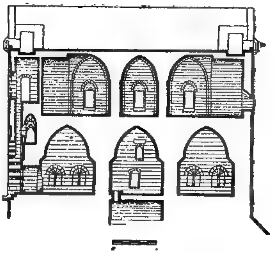
(خطة قائمة الزوايا ، ٢٧×١٣ متراً . وسمك الجدران ٣,٤٠ متراً ، ببروز ٨ أمتار عن الجدار الستارة ، وارتفاع ٢٥ متراً) ، وهو مكون من ثلاث غرف معقودة ، يسهل الوصول إليها ، تحميها خمس مزاغل نافذة فى البناء على هيئة أنفاق معقودة ، وترتفع شرفته عن مستوى صحن البرج بمقدار ١٨ متراً ، ويحيط بها ممشى محمىّ للدوريات مجهز بخمس مزاغل كما فى الغرف السفلى ، وتؤدى إلى أربع دروات محصنة تحمل حاجزاً ذا كُوًى أيضاً به١٥منفذاً لرمى السهام فى«الدرق» ، وهو تدبير يكمله تكسية الجدران بالخشب. وهكذا تظهر الأهمية التى كانوا يعلقونها على المنشآت العليا فى الخطة العامة للبناء . وهذا البرج الثانى (شكل رقم ٢)-الذى يحق لنا كل الحق أن نسميه معقلا - لايمتاز عن السابق إلا بشكله المربع تقريباً (٢١×٢٣ متراً) ، وبوجودعمود وسطانى بلغ من ضخامته أنهم جعلوا فى داخله عند الطابق الأعلى صومعة صغيرة . ويجب أن نضيف الأبراج البارزة الأقل مناعة التى تستطيع أن تشرف على مماشى الدورية دون عائق ، وأبراج المحطات القائمة بذاتها التى تقوم أساساً بالمراقبة ، إلى تلك الطوابى الضخمة القائمة الزوايا التى نلاحظ بها أحياناً وجود غرف استقبال،مثل معقل بُصرى (٦١٢هـ/ ١٢١٥ - ١٢١٦م) .

وقنع عصر المماليك بعد ذلك ، حيث لم تظهر تجديدات فى وسائل الهجوم والدفاع ، بالمضى فى الشام فى هذه العمارة الحربية التى بلغت



شكل رقم (٢) معقل أيوبىّ فى قلعة دمشق

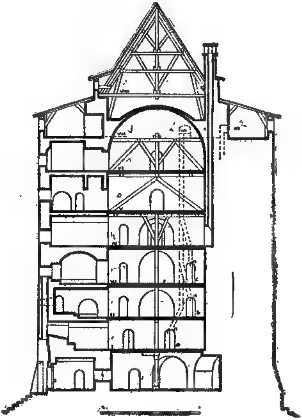
أوج روعتها . وقد طرأت على الأبراج آثار تحول بطيء . استعاض بالكتل الصغيرة الملساء عن مداميك الحجارة الصلدة والنقوش البارزة الخشنة المأثورة عن فن البناء عند الأيوبيين ، وزُهِيَ — لمجرد المهارة فى الفن — باستعراض منوعات من الأصول الفنية فى البناء ، على حين زيّن كل شئ بزخارف بارزة لطيفة ، وبما يشاكلها من مستحدثات متعددة الألوان غريبة : على أننا يجب أن نشير إلى برج عجيب كل العجب مثل « برج السباع » فى طرابلس الشام ، وهو حصن ساحلى واسع الرقعة (٢٨,٥٠ × ٢٠,٥٠ متراً) ، ذو مظهر مهيب ، بسبب توازن نسبه ، وإحساس صادق بزخرفه المنسجم تماماً مع تكوين داخلى معقد . يطابق فى حجرتيه الكبيرتين العلويتين (شكل رقم ٣) التغيرات التى فرضتها مقتضيات الدفاع (طاقات عديدة لإطلاق النار وتدابير لضمان سلامة الأبواب على الأرض وفى الطوابق



شكل رقم (٣) قطاع طولى لبرج مملوكى فى طرابلس

الأخرى) وضم مرافق سكنية (الصهريج والمسجد والنوافذ التى تضيء الجانب العلوى) : ويمكن أن نذهب إلى أن هذا الطراز ينتسب إلى أواخر القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى) ، الذى شهد أيضاً الحصن المهيب الذى أقامه السلطان قايتباى فوق مدخل قلعة حلب ، فى الموقع الذى كانت عليه قلاع الملك الظاهر: وظهرت حوالى ذلك الوقت كُوَى المدافع . ومصاطب المدافع الثقيلة، وهو عمل يدل على الجهد الفاشل فى تهيئة البرج لمثل هذه الظروف الحربية نفسها ، مما عجل باختفائه : على أنه حدث فى هذه الأثناء تلفيق مع هذه الأساليب ضعيف بعض الضعف وإن كان أكثر أخذاً بالأساليب الغربية فى بعض تفاصيله البنائية، دبره فن العمارة الحربية العثمانى فاستطاع أن يقيم حصناً على هذا النحو ليسيطر على مجاز البوسفور ويدعم تطويق القسطنطينية ، وكان هذا آخر العهد بالقلاع التى يوفق فيها بين استخدام المدفع والتمسك بمبادئ القرون الوسطى فى التحصين ، وامتازت بروج قلعتى أناطولى حصارى (ابتدأت عام ٧٩٣هـ / ١٣٩٠–١٣٩١م) وروملى حصارى (أرخ بنقشه عام ٨٥٦هـ/ ١٤٥٢م) ، ومن الممكن أن يضاف إليهما أيضاً أبراج حصن « يدى قوله» (أقامه محمد الثانى الفاتح ،بعيد ذلك داخل حير عاصمته الجديدة إستانبول) ، بكمال نظامها

الدفاعى (شكل رقم ٤) الذى تحقق فى روملى حصارى على نطاق ضخم ، (تراوحت أقطار المعاقل الثلاثة



شكل رقم (٤) قطاع مستعاد لبرج روملى حصارى العثمانى

ما بين ٢٣٫٨٠ و ٢٦٫٧٠ متراً ؛ وسمك الجدران ما بين ٥ — ٧ أمتار) وبسمات أخرى معلومة (جوانيات أسطوانية مجوفة مقسمة إلى طوابق عديدة تفصلها «جوائز» ، وممشى دائرة للدورية تحيط فى المستوى العلوى بمخزن مغطى بسقف مخروطى) تفصح عن تقليد للأبراج المتاخمة فى الحير الجنوبى فى بيره .

المصادر :

(١) K. A. C. Cresswell : Fortification in Islam before A.D. 1520 فى Proceedings of the British Academy ، عام ١٩٥٢ ، ص ٨٩–١٢٥ (٢) الكاتب نفسه : Early Muslim Architecture ، فى مجلدين ، أكسفورد عام ١٩٣٢–١٩٤٠ ، وهو مختصر مع تنقيحات فى A Short Account of Early Muslim Architecture ، طبعة Penguin ، عام ١٩٥٨ (٣) الكاتب نفسه : Muslim Architecture in Egypt ، ج ١ ، أكسفورد ، ١٩٥٢ ؛ ج ٢ (١١٧١ — ١٣٢٦) ، أكسفورد عام ١٩٥٩ (٤) الكاتب نفسه : Archaeological Researches at the Citadel of Cairo ، فى Bulletin de l'Institut Français d'Archeologie Orientale du Caire ، ج ٢٣ (عام ١٩٢٤) ، ص ٨٩ — ١٦٧ (٥) H. Stern : Notes sur l'architecture des chateaux omeyyades فى Ars Islamica ، ج ١١ — ١٢ (١٩٤) ، ص ٧٢—٩٧ (٦) M. von Berchem et E.Fatio : Voyage en Syrie ، مجلدان ، القاهرة ، سنة ١٩١٤—١٩١٥ ، الفهرست مادة tour (٧) A.Abel : La citadelle eyyubite de Bosra Eski Sham ، فى Ann. Arch. de Syrie ، جزء ٦ (سنة ١٩٥٦) ، ص ٩٥—١٣٨ (٨) J. Sauvaget : La citadelle de Damas فى Syria (سنة ١٩٣٠) ، ص ٥٩ — ٩٠ ، ٢١٦ — ٤١ (٩) الكاتب نفسه : Notes sur des défences de la marine de Tripoli ، فى Bull. du Musée de Beyrouth ، ج ٢ (١٩٣٨) ، ص ١ — ٢٥ (١٠) A. Gabriel : Chateaux Turcs du Bosphore ، باريس ، ١٩٤٣ .

عبد القادر [سوردل - تومين J. Sourdel-Thomine]

— العمارة الحربية فى المغرب الإسلامى :

١ — الأصل فيها : وجد المغرب الإسلامى فى بلاد البربر وفى الأندلس تقليداً فى التحصين

يرجع إلى العصر المتأخر للإمبراطورية الرومانية، ويرجع فى بلاد تونس إلى الوقت الذى ردّ فيه يوستنيانوس هذه البلاد إلى الحكم البوزنطى. وكانت هذه التحصينات كثيرة ، ولم يكن لها — رغم بساطة قسماتها — خطة مطردة كما كان الشأن فى معسكرات الرومانيين ، باستثناء القاعة الصغيرة نوعاً ما التى كانت تقام فوق السهول ، والتى كانوا « غالباً » ما يوائمون بينها وبين معالم المنطقة المراد حمايتها وطبيعة أرضها . وإذا لم يكن بناؤها مشتملا على مواد سبق استعمالها ، بنيت من حشو متين بين كسوتين من الدبش ، وتُسوَّى مداميكها أحياناً بالآجُر : ويصل ارتفاع الحوائط الستارة فى بعض الأحيان إلى عشرة أمتار ، وبها حواجز محصنة بمتاريس ذات مزاغل ، وسمك الجدار كبير ، متوسطه ٣ أمتار « وتقام الأبراج فى جوار الجدران الستارة بحيث يكون بين البرج والآخر مرمى السهم أى نحو من عشرين متراً ، وهى فى الغالب شبه دائرية قطرها ما بين ٥ — ٦ أمتار ، وقلّ أن تكون مربعة أومستطيلة : وتقام فى أغلب الأحيان على الجانب الخارجى من الأسوار : أما أبراج الأركان فكانت فى كثير من الأحيان طوابق كبيرة ، مصمتة القواعد ، بكل منها غرفة على الأقل للدفاع « وتعلو عن الجدار الستارة بطابق .

وتفضى الأبواب إلى الداخل من حير الحصن بممر مستقيم له جانب مكشوف بين حجرتين مسقوفتين ، وبذلك يتاح القضاء على أى خصم يشق طريقه إلى البناء « وتدعم الأبواب من الجانبين بأبراج ذات طبقات متعددة للدفاع « وتؤدى الكتلة المتينة للمدخل الضخم نفسه إلى داخل الأسوار : وكانت أبواب المدن فى بعض الأحيان تعود إلى تلك المنشآت الفخمة المأثورة عن الإمبراطورية الرومانية « فتفتح عن ممرات ثنائية أو ثلاثية .

وليس ثمة تحصينات فيما نعلم يمكن أن تكون قد أنشئت فى الولايات الأسپانية على البحر المتوسط بعد أن أعاد يوستنيانوس فتحها ، ولكن معرفتنا بالحصون البوزنطية فى إفريقية جيدة جداً ، ذلك أن خطط قلاع السهول أو « القصور » على حظ كبير جداً من اطّراد الشكل « وتستعمل الأبراج المربعة فحسب خارج الستارة، وكانت ذات بروز ملحوظ وقاعدتها مصمتة دائماً ، وكانت تبنى من الحجارة ، ولا يزاد عليها البناء بالآجر ، وتسود فيها مداميك الدبش التى تشدها مداميك من الحجر الرملى ، إذا لم تكن المواد القديمة قد أعيد استخدامها فى البناء . وتحمل الستارة ، وهى أقل سمكاً مما كانت عليه فى القرنين الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) والرابع الهجرى (العاشر الميلادى) ، ممشى للدورية به حاجز ذو كُوَى يفضى إلى غرفة الدفاع فى البرج ، ولم يكن المدخل أكثر من ممر بسيط بدهليز مستقيم . وإنما نرى فى ذلك كله استمراراً لطرائق الإمبراطورية المتأخرة ، وفى كثير من الأحيان إفلاسها .

٢ — التحصين الإفريقى من القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) إلى القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) وتكملاته ؛ قلاع الأغالبة : يعرف التحصين عند الأغالبة من أمور متداخلة على نطاق واسع : جيران سوسة وصفاقس التى ترجع فى بنائها إلى القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) ، وذلك من حيث الأسس التى روعيت فى إقامتها كالأسوار المشيدة من أحجار غير مشذبة أوسيئة التشذيب بكسوات من المداميك فى زواياها وأحجار رملية منقوشة ، وتكتنف الستارة أبراج مستطيلة ، ترتد إلى الداخل بميل فى حالات استثنائية ، وممشى الدورية فى سوسة الذى يحمله فى بعض الأماكن رواق من عقود ممتدة ؛ وبعض الرباطات القديمة التى تشبه حصون البوزنطيين شبهاً كبيراً .

وتختلط بهذه التقاليد المحلية بعض المؤثرات الغريبة ، وبخاصة فى رباط سوسة ، والرباط العتيق الطراز فى منستير ، فجيرانها ذات الزوايا القائمة تكتنفها فى الأركان وفى الوسط من كل جانب طواب بارزة تكاد تكون كلها نصف دائرية . وفى الداخل بعض الأبنية مستندة على الأسوار الأربعة تاركة الصحن الواسع خالياً . وتأثير الحصون الأموية فى الشام يستحق الذكر هنا ، فهى نفسها مأخوذة عن حصون الرومانيين الصغيرة . ويدل الشكل الهرمى لبعض الأبراج — وهو تقليد للمراحل الدنيا للمآذن التى ترجع إلى الزمن نفسه — على التأثير المصرى .

وربما كان الطين المدكوك قد استخدم فى بعض التحصينات التى تبنى على عجل . ومن الراجح أن يكون اللبن أوالآجر قد حل محل الأحجار فى أسوار القيروان والعباسية والرقّادة التى أقامتها الدولة ، ومهدت التقاليد القديمة لبلاد الصحراء الطريق لحلول مؤثرات مشرقية غير هذه وفدت من بلاد ما بين النهرين وبلاد فارس .

وتحصينات الأغالبة كلها ليست إلا توليفاً موفقاً حياً لتقليد محلى ما زال قائماً ، ومن أشياء جلبت من الشرق .

التحصين فى ظل الدولة الفاطمية والدولة الصنهاجية : استمر العمل فى مختلف الأسوار فى أشير وقلعة بنى حمّاد المبنية بالدبش ، على أسلوب فن التحصين فى العصر سابق مع الإقلال من المنشآت ، ويندر فى الجهات الجبلية أن نجد أبراجاً متاخمة ؛ ويقع قصر زيرى فى أشير داخل الحير القائم الزوايا ، الذى تتاخمه على مسافات منتظمة أبراج مستطيلة ، مع قيام صحن داخلى . وأدخلت مع ذلك بعض الخطط المبتكرة من ابتداع الفاطميين أنفسهم ، فالسور الخارجى للمهدية مبنى بالدبش ، وتتاخمه أبراج قوية ، أحدها — على الأقل — محلّى بمحاريب عالية ، استخدمت بعد ذلك فى زخرفة « المنار » فى قلعة بنى حمّاد ؛ فالفن التشكيلى الجديد المستخدم فى الأسوار ، الذى نجح نجاحاً بعيداً فى العمارة المدنية ، كان قد نقل فى كثير من الأحيان إلى الحصون ، والبوابة الوحيدة للمدينة التى بقيت ، يعلوها بناء عال متين ، ويحيط

بواجهتها الخارجية برجان مدعمان ، وسكة البوابة المقنطرة تؤدى إلى رواق معقود تشده جوائز خشبية كانت تمنعه فيما مضى أبواب ذات مصاريع من حديد شائك . ولم تكن بوابات الرومانيين أوالبوزنطيين فى تقاليدهما فى مثل هذه المنعة قط :

وقد كان فى فن الإنشاء الفاطمى نواة لعمارة حربية جديدة . أما الدول الصنهاجية فقد كانت لاتقيم منشآت محصنة كبيرة إلا فيما ندر ، باستثناء مدنهم الجديدة البعيدة بعض البعدعن قواعد الحضارة . وعاقت الغزوة الهلالية تطور العمارة فى إفريقية زمناً طويلا ؛

وهكذا لم تستطع المؤثرات المشرقية فى عهد دولة الفاطميين والصنهاجيين أن تنتزع التقاليد القديمة والقواعد المرعية التى استمدوها من الأغالبة ، والتى كانت – فيما يبدو – أكثر ظهوراً فى أقاليم الخلفاء أنفسهم .

٣ – فن التحصين فى الأندلس وامتداده إلى إفريقيـــة :

أولا – القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) :

المفهوم هنا من فن التحصين الإسلامى فى الأندلس أنه لم يبدأ إلا فى منتصف القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) برباط ماردة الذى شيده الأمير عبد الرحمن الثانى ، وهو الحصن الذى يحمى مشارف الجسر القائم على نهر وادى آنه ، ويكاد يكون مستطيلا منتظماً تكتنف أسواره الستارة أبراج مستطيلة متقاربة الأبعاد ، ولاتبرز منها بروزاً كبيراً ؛ ولاشك أن المهندس المعمارى استلهم عمله من الأبراج المدعمة التى تفصل أسوار الجامع الكبير فى قرطبة . ونجد عند المدخل عقداً على شكل حدوة الفرس (تقعير القوس التقليدى أكبر من نصف دائرة) ، وكان اعتزاز الفن الأموى به لايقل عن اعتزاز الفن القوطى الغربى : ويرتكز عقد البوابة على عمد مربعة ، وهى تحمى مفصلات ضلف الباب ، وقد استعمل الحجر الرملى الذى يفضله القوط الغربيون فى البناء ، والذى بقى طراز المرحلة الأولى للفن الأموى على وفائه له . على أن المسألة هنا هى مسألة العودة إلى استعمال أحجار من مبان قديمة ،وترتيب هذه الأحجار رادات (الإده)وساجات(الشناوى)وهو أمر عزيز فى نظر مهندسى قرطبة المعماريين ، لم يكن أمراً مطرداً قط .

ثانيا : القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) :

تطور فن العمارة الحربية أيام الخلافة القرطبية تطوراً سريعاً كما كان الشأن حقاً فى كل الفنون التذكارية . وحدثت تغيرات كثيرة فى الخطط المستخدمة ، ففى الجهات الجبلية كانت الجدران تساير عدم انتظام الأرض ، أما فى السهول فكانت تميل نحو الانتظام الهندسى ، ويتحقق ذلك تحققاً تاماً فى المنشآت المتوسطة الرقعة ، وتبرز الأبراج المستطيلة ، أوالكثيرة الأضلاع فى حالات نادرة ، بروزاً أوضح من أبراج « ماردة » ، والمسافة التى بين كل برج والآخر أوسع ، ولم يحصل قط ازدواج فى

الجيران ، كما لم يكن هناك قلعة ولا أبنية فى الداخل .

ويؤدى قوس البوابة إلى ممر مستقيم قليل العمق . يفتح بين برجين فى الجيران الكبيرة ، أما فى الحصون الصغيرة فتحميه طابية : والستارة على ارتفاع مختلف يتراوح بين ٧ — ١٠ أمتار ، ويحمل ممشى للدورية سوره الخارجى مغطى بدرقات هرمية الشكل . مثل الأبراج نفسها ، ويظهر أن هذا الشكل من الدرقات المختلف عما يستعمل منها فى الشرق الأوسط وإفريقية . قد أخذ من مماشى الدورية ذات الكُوَى فى الإمبراطورية البوزنطية . وكان غطاؤها هرمى الشكل .

وتستخدم فى أجمل الحصون مداميك الرادّات والسابحات الحجرية المنتظمة الشكل ، وتتجلى فى أوج بهائها فى المبانى التذكارية العظيمة لهذه الدولة ؛ غير أن العادة قد جرت على تفضيل المواد الأكثر اقتصاداً ، وهى خرسانة من الحصباء والكلس متماسكة فى إطار : ولهذه أصول قديمة جداً فى أيبريا ، ولا شك أن استعمالها لم يبطل قط فى تشييد المبانى الإقليمية أو الشعبية ، ويظهر حجر الدبش فى بعض التحصينات بالمواقع الجبلية ، وكثيراً ما تستخدم الأحجار المنحوتة فى أحجام مختلفة مع الخرسانة المصبوبة فى قوالب .

ويكتب التوفيق للحصون الأموية جميعها فى بساطتها ، بفضل دقة تناسبها الذى يختلف فى كثير من الأحيان من حصن إلى حصن ، وبالتوازن الموفق لكتلها . والروح التى تتجلى فى العمارة الحربية هى نفسها التى ألهمت فن الخلافة برقته وقوامها العناية المضاعفة بالأصالة دون التفرد . والانسجام الذى لا يعتوره الخطأ :

ثالثاً — القرون من الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) إلى السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) فى الأندلس :

شاهد القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) أيام ملوك الطوائف ، بزوغ حصون القصور ، وهى تنتظم فى مُركب من المساحات المتوسطة . صفاً كاملا من الغرف تستند على الأسوار ، وربما كان لمثل هذا النوع من القصور القائمة بذاتها وجود أيضاً فى عهد سابق على ذلك . ونحن إذا شاهدنا إحدى قلاع المُدَجَّنين ، مثل « سانتا ماريا دل بويرتو» Santa Maria del Puerto ، التى خطت على نسق رباط سوسة (وهو نفسه مستلهم من حصون الأمويين فى الشام) لأغرانا ذلك بالاعتقاد بأن لهذا الحصن الذى نتحدث عنه سوابق إسلامية داخل الأندلس نفسه ، ولا شك أن هذه السوابق تنتمى إلى مؤسس الأسرة الذى أراد أن يبعث فى الأندلس شيئاً من وطنه المفقود . وقد حاول قصر الرُّصافة الذى احتفظ باسم قصر أجداده . أن يسترجع خطة الدور الريفية العظيمة التى كانت للخلفاء دمشق .

ويقوم خارج قصر كاستليخو (Castillejo) فى مرسية حصن مستطيل منتظم بأبراج متقاربة الأبعاد جداً ، ولكن أماكن السكنى فيه تشغل كل المساحة بين الأسوار والفناء ، وتستعمل فراغات الأبراج

فى تقسيم الغرف الكبرى تقسيما مناسباً : وحلّت محل فناء الحصن حديقة بأحواض هابطة للزهور ، ومماش متعارضة .

على أن جيران المدن أو الحصون الكبيرة لم تعد تجنح إلى الانتظام الهندسى ، كما كانت الحال فى عهد الخلافة ، وأصبحت خطوط جدران الستارة تساير موقع الأرض ، وظلت هذه الجيران تكتنفها أبراج ضيقة متقاربة الأبعاد ، بيد أن الطوابى أصبحت أكبر حجماً فى أحيان كثيرة تفوق ما كانت عليه قبلا ، وكانت فى الوقت الذى تحمى فيه مسافات تتفاوت فى انتظامها ، تزيد فى عدم اتساق خطوط الأسوار أو فى الجزء الضعيف من هذه الأسوار . وقد يكون هناك حير مزدوج له سور داخلى وسور خارجى ، ويدعم المواضع التى يقل حظها من المناعة أبراج مزدوجة. وفى جميع الأحوال يكون للقصبة دائماً — وهى بمثابة الأكروبول الذى يعلو المدينة ويقوم فيها القصر الملكى —حير واحد خاص بها أو حيران اثنان .

وقد ظهرت فى ذلك الوقت الطابية ذات الغرف المعقودة المتراكبة ، وكانت المنشآت المتينة تصفّ حول الحير نفسه ، لا باعتبارها معاقل أو قلاعاً : واستحدث فى نفس الوقت فى الأندلس شكل جديد ، وهو برج البرّانة الذى يبرز أمام الستارة التى يتصل بها بحائط يمر خلالها فى العادة رواق معقود ، ويمكن أن تضم الطوابى المعقودة والبرّانة بعضها إلى بعض ، وهى توفر حماية ممتازة من الجنب .

وفى جميع الأحوال يكون البوابة — التى تفتح أحياناً بين برجين ، وأحياناً تحت جناح طابية بارزة بروزاً حاداً —بمر فردى ، ويقوم عند المدخل والمخرج عقدان تقوم بدنتهما على عمد مربعة تضم مصاريع الباب ، وليس ثمة ميشْرَس (متراس) .

وأصبح استعمال الحجر الرملى يزداد ندرة إلا فى البوابات ، وقد يدخل أحياناً فى ربط المداميك هو والحجر الدستور والخرسانة ، وكان الرجحان للمادة الأخيرة دائماً تقريباً :

وهكذا أحرزت التحصينات الإسلامية تقدماً عظيماً فى القرنين السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) والسابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) وربما كان ذلك بحكم الضرورة ، لازدياد ضغط النصارى عنفاً شيئاً فشيئاً واتساع غزواتهم .

رابعاً — القرون من الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) إلى السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) :

جنح نفس هذا الطراز من التحصين الأندلسى إلى الانتشار من مستهل القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) فى إمبراطورية المرابطين الإفريقية والموحدين ، حكام الأندلس ، وكانت أولى قلاع المرابطين من الحجر الدبش ، وقد ظل هذا ماثلا فى التقاليد المغربية فى بناء المداميك وبعض التفصيلات الأخرى : ولكن فى التحصين ، كما هى الحال فى المساجد والقصور ، فإن المؤثرات الأندلسية لم تلبث أن أكدت سيادتها : وهذه هى الفترة العظيمة للجيران المشيدة من الخرسانة ،

بأبراجها المستطيلة البارزة بروزاً قوياً ، والمصفوفة على مسافات تتفاوت فى انتظامها . وقد جنحت خطوط التحصين فى إفريقية نحو البساطة ، لعدم ظهور الطوابى المعقودة والبرّانة ، بيد أنه جدت مبتكرات فى مداخل البوابات المحصنة ، حيث يحتضن منافذها فى جميع الأحوال برجان بارزان فى العادة بروزاً قوياً ، وتكون البوابة نفسها بمثابة طابية ضخمة ، تمتد حتى مؤخرة الستارة ، وبها ممر به حنيتان أو ثلاث ، ورواق غير محصن ، ويزخر قوس البوابة وكتفاها وهيكلها بثروة من الزخارف قوامها الحجر المنحوت . وبوابات الموحدين العظيمة فى الرباط ومراكش من أبدع — بل هى بلا ريب أنفس — بوابات الإسلام المحصنة .

٤ — التحصين فى المغرب الإسلامى فى القرنين الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) حتى نهاية القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى) :

كان تطور التحصين مختلفاً فى شبه الجزيرة وفى إفريقية ، رغم الوحدة الأساسية لطُرز العمارة التى كانت سائدة آنئذ فى الأندلس والمغرب . وكان الإسلام فى الأندلس وقتذاك محصوراً فى مملكة غرناطة الصغيرة ، وهى تابعة لقشتالة ، ولكن هذه المملكة التابعة كانت دائبة على التمرد على سيدتها مما اقتضاها أن تحتمى وراء حدود محصنة . وقلدت جملة صالحة من قلاع هذه الحدود بعض حصون النصارى التى كانت تواجهها . وكانت تبدو ببنائها الحجرى ، وحيرها المزدوج ومعقلها كالشىء الدخيل تماماً — أو يكاد — على التحصين الإسلامى فى المغرب . ولكن سرعان ما تداعت المؤثرات النصرانية ، البعيدة كل البعد عن إحياء التقاليد الإسلامية الأندلسية ، وأصبحت طرزاً منغولة ، ولم توجد لا فى العاصمة نفسها ، ولا فى منشآت تاريخ متأخر عن ذلك بعض الشىء .

ونحن نجد فى هذا الصدد أشكالا ابتدعت فى القرنين الخامس والسادس الهجريين (الحادى عشر والثانى عشر للميلاد) منقولة دون تعديل كبير ، فمداخل البوابات بممراتها المتعرجة هى منشآت قوية ، وفى قصر الحمراء فى القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) ، وفى قلعة جبل فارو Gebrafaro فى مالقة ، طوابٍ متباعدة حلت محل الأبراج الصغيرة المتقاربة للحيران المألوفة . وحينما يضيق الوقت عن تعديل التحصينات بسبب إدخال المدافع ، كانت تقام منصات بدائية للمدافع عند قواعد المنشآت القديمة .

وفى شمالى إفريقية احتفظت مملكتا فاس وتلمسان بتقاليد الموحدين دون تغيير تقريباً ، وكانت الستائر والأبراج تشيد بالخرسانة ، أما مداخل البوابات التى كانت دائماً رائعة ذات ممرات متعرجة فقد كان الغالب فى بنائها الآجر ، أكثر من الحجارة ، وظلت إفريقية ، التى أباحت بعض المؤثرات الموحدية ، ملتزمة بالحجارة وأشكالها التقليدية فى التفصيلات .

وهكذا بقيت الحصون والقصور والمعابد فى هذه الفترة الطويلة ملتزمة بتكرار أشكال الماضى لا تتجاوزها إلا فى النادر .

٥ — التحصين فى الأزمنة الحديثة فى المغرب الإسلامى :

أحدث تطور المدفعية تحولا عميقاً فى الأفكار الخاصة بالتحصين فى البلاد الأوربية كافة، أما شمالى إفريقية فلم يستخدم أى شكل جديد ، واكتفى بتقليد ما تزوده به أوروبا من نماذج فى حرص يتفاوت مقداره ، ثم إنه لم يكن يسمح بتقليد هذه النماذج إلا فى الوقت الذى يضطر فيه إلى الدفاع عن نفسه أمام أمة أوربية ، وخاصة فى الأقاليم الساحلية . وبقى تحصين القرون الوسطى القديم ، مع ذلك ، فى كل مكان آخر ، ولم يكن على الحكومات التى تقاسمت بلاد البربر إلا حفظ النظام بين القبائل التى خلت عدتها من المدافع أو إخضاعها لمنفعتها .

وكانت التحصينات الجيدة التى أقامها البرتغاليون فى المغرب الأقصى فى القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) على أجزاء مختلفة من الساحل ، تقلد فى بعض الأحيان فحسب بآگادير قصبة السعديين . وكانت حصون السواحل الأخرى جميعاً من عمل الأوربيين . وكانوا فى الغالب من المرتدين عن دينهم الذين يعملون فى خدمة السلاطين . وفى القرن الثامن عشر الميلادى كان المجمع البديع فى مغادور ، الذى وضع خطته رجل فرنسى ، من عمل رجل إنكليزى مرتد عن دينه ، ومهندسين معماريين إيطاليين . وقام معلمو البناء الوطنيون بتقليد هذه النماذج من التحصينات التى ألهمتهم بها أوروبا .

وقد أدخل العثمانيون فى بلاد الجزائر وبلاد تونس طرازاً عصرياً من التحصين مستلهماً فى قليل أو كثير من النماذج الأوربية وقريب الصلة قرباً لابأس به من الأعمال التى أنشئت هنا وهناك على ساحل المغرب الأقصى : وكانت الخنادق وجدرانها الخارجية تحمى طوابى المدافع والجدران فى الغالب ، وكان بنيان هذه الطوابى مازال مرتفعاً ولم يكن أسلوب الاستحكامات الواطئة ، على طريقة ڤوبان Vauban(١) قد عرف فى شمالى إفريقية .

وهكذا برهن المغرب الإسلامى فى حصونه وتنظيماته الحربية جميعها على استمساكه بالقديم ، ولم تكن الاستعارات القليلة التى استقوها من أوروبا إلا غشاء لتقاليد القرون الوسطى ، ولكنها لم تغير منها .

٦ — منشآت البربر المحصنة : كان لشمالى إفريقية ، وبخاصة مراكش ، مبان محصنة أيضاً فى عدد من الأقاليم الجبلية وفى الواحات الحافة بالصحراء ؛ ولم يكن لبعض القرى المبنية بالحجارة ومحطات التجارة التى كانت دائماً أو تكاد غير منتظمة فى خططها ، حير من هذا القبيل ، فيما عدا المنشآت التى يتكون من جدارها الخارجى المتصل سور . بيد أن هذا الفن المعمارى العتيق قد أفسح الطريق فى كل مكان تقريباً لأبنية من الطين المدكوك

---

(١) ڤوبان Sebestian Le Prestre de Vauban (١٦٣٣ — ١٧٠٧) مرشال فرنسا وأعظم مهندسيها الحربيين . وقد اشتهر بخطط الاستحكامات التى ابتدعها . وأصبحت بعده نماذج تحتذى .

واللبن المجلوب من الواحات . وبعض القرى ، وخاصة فى التلال ، غير منتظمة الشكل ، وتتألف من مجموعة من الدور تمثل جبهة متصلة : أما فن العمارة فى الواحات فله رسومه وزخارفه المميزة كل التميز ، وللقرى المحصنة (القصور) فى السهول خطة منتظمة الشكل كل الانتظام ، يحيط بها حير تخترقه بوابات كبيرة الحجم فى كثير من الأحيان وتحميها الطوابى فى الأركان . وتأثير التحصين الأندلسى المغربى ظاهر فيها كل الظهور .

وللقصور القائمة بذاتها ، وهى تعرف باسم «تيغرّمت» فى مراكش ، أصل تاريخى أقدم عهداً : وهى على شكل قُلَيعة بأربعة أبراج ، وقل أن تكون ببرجين اثنين . وإذا جرت خططها على التقليد الرومانى ، كان الفن التشكيلى فيها من أصل أقدم : والأبراج الهرمية ، وهى فى كثير من الأحيان تمتاز بانتفاخ فى جذعها ، مأخوذة ولا ريب عن مصر الفرعونية . وكانت مآذن القرون الأولى للإسلام فى بلاد البربر أيضاً أبراجاً هرمية مبتورة فى كثير من الأحيان . ويجد المرء فى بوابات وسقوف بعض القصور فى كثير من الأحيان بواحات مراكش ثروة من الزخرف المصنوع من اللبن مستقاة من عناصر هندسية أندلسية مغربية . واتخذت الأبنية البربرية الأقدم ، فى أوقات مختلفة ، أشكالا إسلامية من القرون الوسطى ، سبق اصطناعها فى منشآت التحصينات الحكومية فى البلاد .

ومن ثم فبلاد البربر ، ومراكش خاصة ، تعد متحفاً عجيباً للتحصينات المستلهمة من تقاليد جد عتيقة .

المصادر :

(١) G. Marçais : *L'architecture Musulmane d'Occident* ، باريس ، سنة ١٩٥٤ (٢) H. Terrasse : *L'art hispano-mauresque des origines au XIIIe siècle* . باريس ، سنة ١٩٣٢

(٣) الكاتب نفسه : *Les forteresses de l'Espagne Musulmane,* فى *Boletin de la Real Academia de la Historia,* ، جـ ١٣٤ (سنة ١٩٥٤) ص ٤٧٤ — ٨٣ (٤) H. Terrasse و H. Basset : *Sanctuaires et forteresses Almohades* ، باريس ، (سنة ١٩٣٢).

(٥) مقالات متعددة بقلم I. Torres Balbas وعلى الأخص فى مجلة *(Cronica , Al Andalus Arqueologica)* .

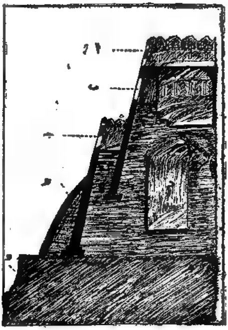
[H. Terrasse هـ . تراس] عبد القادر

٣ — البرج فى العمارة الإسلامية بالهند :

١ — كلمة عامة : كلمة برج فى الأردية ، ومنها انتشرت إلى اللغات الهندية الأخرى ، تدل فى جميع الأحوال على الحصن أو الطابية بما فى ذلك الأبراج القائمة على القصور المحصنة والتى لها وظيفة زخرفية وسكنية أكثر منها حربية بأى معنى حربى ، وهذه الطوابى التى اتخذت شكل النتوء فى الرسم ، يمكن فى الواقع أن تشمل الكثير من الأكتاف المبنية الشبيهة بالأبراج ، وكذلك الطوابى الضخمة القائمة داخل الحير التى أنشئت بعد إدخال المدافع ، لتكون ركائز لقطع المدفعية الثقيلة ، والبيانات التالية إنما تتعلق باستعمال الأبراج فحسب ، أما تاريخ التحصين الإسلامى فى الهند فقد

أفردت له مادة خاصة (انظر مادة «حصار»)؛ وللمآذن (وهى «مينار» فى الأردية) تطور مختلف لانتعرض له هنا.

٢ ــ سلطنة دهلى، من القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) إلى القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى): وجد الغزاة الأوائل من المسلمين أرضاً زخرت من قبل بالمنشآت المحصنة، التى كان للهند الهندوسية فيها تقليد طويل الأمد، ظل حياً بعد ذلك فى كل مكان لم ينتشر الإسلام فيه. وكان أول أعمالهم الحربية المؤثرة احتلال المنشآت الموجودة وتعديلها. فى دلهى مثلا كان حصن پرتهڤراج چوهان (قلعة راى پتهرا) القديم، هو أول حصن نزلت فيه حامية من جنود المسلمين، وفى داخل قلعته (لالكوت) أقام قطب الدين أيبك سنة ٥٨٧هـ (١١٩١م) أول مسجد فى الهند واسمه «قوة الإسلام»، والستارة هنا تتاخمها من الجوانب أبراج متقاربة الأبعاد، ويحميها خندق عريض، وبواباته مركبة على الزوايا المرتدة فى الطوابى القوية المكونة من بروز فى البناء، مع عدد من أبراج صغيرة تتخذ ركائز للدفاع. والراجح أن معظم التحصين القائم يرجع إلى أيام علاء الدين خلجى، حوالى سنة ٧٠٤هـ (١٣٠٣م؛ انظر Beglar: *A.S.I. Report*، جـ٤، سنة ١٨٧٤) ومن الراجح أيضاً أنه اتبع فيه منشأة من منشآت الهندوس. فالأبراج فى معظمها ركائز قليلة البروز لتعزيز الدفاع. وفى الشمال الشرقى من العاصمة القديمة، بنيت فى نفس الوقت تقريباً أسوار عاصمة علاء الدين الجديدة: صيرى (Campbell: *Notes on the History and topography of the ancient cities of Delhi* فى *JASB*، المجلد ٣٥، جـ ١، سنة ١٨٦٦) وفيه يبرهن على أن صيرى كان هو الاسم الذى أطلق على قلعة قطب أى لالكُل، وأن الموقع الذى أجمع الكل الآن على أنه صيرى، هو من بناء بهلول لودى فى القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) وقد فند كننگهام هذا الرأى تفنيداً مقنعاً (Cunningham: *A.S.I Report*، جـ ١، سنة ١٨٧١)؛ وبقيت بعض مساحات من الجدران مع طوابى نصف دائرية مدعمة، كل منها على مقدار رمية سهم من الأخرى. وقد صفت فى أعاليها الدرقات، كما هى الحال فى الأسوار. وبها ممشى متصل للداورية يرتكز على رواق معقود، والأصول التى روعيت فى بنائها شبيهة بالتى روعيت فى بناء العاصمة الجديدة، تُغْلُق آباد، التى بناها غياث الدين تُغْلُق عام ٧٢٠ ــ ٧٢٣هـ (١٣٢١ ــ ١٣٣٣م) وامتدادها، عادل آباد، الذى بناه محمد بن تُغْلُق، حوالى عام ٧٢٥هـ (١٣٢٥م)، وتُفَصَّل أسوار الاثنين، المشيدة بحشو من الدبش مكسو بحجارة من الصوان غير منحوتة، طوابى نصف دائرية بارزة بروزاً كبيراً، وكل من الطوابى والأسوار مدعمة تدعيماً قوياً. ولها ثلاث طبقات للدفاع مؤلفة من رواق خارجى، وآخر من نفس الجدار الرئيسى، ومتاريسها



شكل رقم (٥) قطاع لطابية ركن فى تغلق آباد

أ ــ شرفات؛ ب ــ رواق مسور؛ ج ــ رواق خارجى (المدخل إليه من رواق السور فى الستارة)؛ د ــ دهليز معقود؛ هـ ــ دعامة؛ و ــ جدار من الصخر

صفان من المزاغل، وبروز طبقة الأرض الصخرية تحت خط الجدار متجه بانحدار إلى أسفل، وفوقه قاعدة عمود العضادة المكسو بالحجارة حتى قاعدة الجدار الأصلى؛ ومن هذا يتكون كتف مبنى متصل، ووقاء من تقوض البنيان بالنسف (انظر الرسم)؛ والطوابى فيه أكثر تقارباً بعضها من بعض حول القلعة: وتفتح البوابات بين طابيتين، وتحميها فى كثير من الحالات حصون فى خارج القلعة؛ ويحمى عادل آباد إلى ذلك سور يحيط بها مع سورها الأصلى وجدار خارجى. ووجدت فى داخل معظم الأبراج بقايا أهراء. وضريح غياث الدين يمثل استحكاماً خارجياً قوياً إلى الجنوب من تغلق آباد. وطوابيه شبيهة بالأولى باستثناء عدم وجود الرواق الخارجى.

وأقام محمد بن تُغْلُق، علاوة على عادل آباد، مدينة دهلى أخرى ببنائه مدينة جهان پناه (٧٢٥هـ/١٣٢٥م) التى تضم أسوارها الأرض الواقعة بين قلعة راى پتهرا وصِرى: ولهذه الأسوار طواب نصف دائرية تتخذ ركائز لتدعيم الدفاع، وهى شبيهة بطوابى عادل آباد، باستثناء الرواق الخارجى، ويقطعها فى إحدى النقط سد بفتحة مائية، يسمى سات پلاه، وقصد به كما هو ظاهر، حفظ الماء بين الأسوار لمنفعة المدافعين؛

وقد شهد هذا العهد تشتت دهلى ونقل العاصمة إلى ديفا گيرى التى غير اسمها إلى دولت آباد (انظر هذه المادة). وتحتوى خطوط الدفاع الثلاثة بين الممر والقصبة على أسوار بها طواب مستديرة منتظمة الأبعاد، مدعمة، وبروزها أقل مما فى المنشآت المعاصرة فى الشمال، وليس بها أروقة خارجية. والطوابى التى حول البوابات أكبر وبروزها أعظم، وبعضها على هيئة نصف قطاع ناقص. ويؤلف تتابع الطوابى المدورة هلالا بإيوانين فى مدخل المدينة الذى يعبر الخندق السفلى. والتعديلات الكثيرة التى تمت فى العهد البَهْمَنى مشار إليها فيما بعد.

وكان فيروزشاه تغلق صاحب الفضل فى بناء دهلى أخرى، وهى عاصمته الجديدة فيروزآباد (٧٥٥ ــ ١٣٥٤/٧٧١ ــ ١٣٧٠م) التى نهبها تيمور بعد ذلك، والتى لم يبق منها أثر سوى قلعته (كتلا) التى أعمل فيها التخريب يده: وللأسوار والأبراج هنا دعائم قوية؛ والأبراج نصف دائرية والمرجح أنها كانت متوجة بجواسق مكشوفة

(چهاترى) ولبقايا ركائز الدفاع الواطئة خارج البوابات أبراج فى الأركان من أحجام صغيرة ، مخصصة لاستعمال الحرس فيما يظن . وقد نجا المجمع المعاصر الذى يضم « قدم شريف » ، بفضل قدسيته ، من النهب التيمورى . ويحمى هذا المجمع ستارة بطواب قوية ، تدل على أصول التحصين الفيروزى أكثر من القلعة المخربة . وقد فقدت الأسوار والأبراج قاعدة العمود الداعمة ، وأصبح الاعتماد على الكوى الصغيرة فى الحماية من النسف . ويحتفظ بكثير من مبانى تلك الفترة ، وبخاصة الأضرحة والدر گاوات داخل جدران محصنة ، وتطور البرج فى ذلك الوقت فأصبح سمة زخرفية ، فترى باطراد طوابى الزوايا والنهايات فى أحيار المساجد وأسوار العيد گاه ويتوجها جواسق مربعة أو مدورة أوقباب منخفضة وهى تقترن دائماً بالدعائم الفيروزية المأثورة ، التى قلدوها فى تلك الأكتاف الزخرفية البحتة حيث يرتفع الميل فيها وينتهى بزخرف من الحجر يتاخم بوابات المساجد الفيروزية فى دهلى (مساجد : بيكمپرى وخيركى وسنجر وكلان : انظر مادة (دهلى ، آثارها) التى يتردد صداها فى منشآت لودى بدهلى وفى جونپور (انظر هذه المادة) وفى غيرها من الأماكن . والمعروف عن فيروز شاه تغلق أنه رمم كثيراً من مبانى أسلافه ، ومع أنه يتحدث عن ترميمه الضريح الذى بناه إيلتمش ، وهو ضريح أبى الفتح محمود بن ناصر الدين فى ملكپور ، فالراجح من طرازه أن أبراج الأركان — على الأقل فى طبقاتها العليا — من عمل فيروز .

ويبدو أن بنى تغلق والسادات المتأخرين لم يستحدثوا أية منشآت محصنة جديدة ، إلا ماذكر من أن مبارك شاه قد أقام سنة ٨٢٤هـ (١٤٢١م) حصناً من الطين مكان أسوار لاهور التى خربها تيمور . على أن ضريحه هو نفسه (٨٣٦هـ / ١٤٣٣م) يقع فى المجمع المحصن لمدينة مبارك آباد الصغيرة ، وهى أيضاً دهلى أخرى : والأبراج فيها صغيرة ولكنها فيما عدا ذلك تختلف قليلا عن النماذج السابقة . ويقال إن سكندر لودى بنى حصناً فى آگرا ، عام ٩٠٨هـ (١٥٠٢م) ، بيد أنه كان هناك حصن من قبل ، والحصن الحالى من أعمال أكبر ، ومن ذلك يصبح من الصعب تقويم نصيب إسكندر فى ذلك .

(٣) حصون الدكن من القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى] : كانت هنا أيضاً منشآت هندسية محصنة ، وجدها المسمون واحتلوها بعد ذلك ، ثم عدلوها إلى حدما ، حتى فى سنيهم الأولى .

ويبدو أن أول أعمالهم الأصيلة كان فى گلبرگا (انظر هذه المادة) حيث ضوعف سمك الأسوار (١٦ متراً) بأبراج على الستارة الداخلية .

والأبراج جميعها على حظ عظيم من المتانة ، وبأشكال نصف دائرية ، ولبعضها مصاطب أضيفت بعد ذلك لتنصب عليها المدفعية ؛ وهو تعديل يعزى إلى العادلشاهية أصحاب بيجاپور ، حيث يزعم نقش على قلعة كالابهار أنه حدث سنة ١٠٦٦ (١٦٥٥م) : « أعاد محمد ... بناء كل برج وسور وبوابة » (*EIM* : Haig ، عام

١٩٠٧ – ١٩٠٨) ، وفى داخل الحير على أرض مرتفعة تقوم طابية كبيرة مشيدة قائمة بنفسها يُنصب عليها مدفع كبير .

وكان فى بيدار (انظر هذه المادة) التى صارت مقراً بهمنيا أمامياً ، نقل إليه أحمد شاه الولىّ قصبته ، خط مزدوج من تحصينات الكاكَيتية ، عندما سقطت أول الأمر فى أيدى المسلمين : (ضياء الدين برنى : تاريخ فيروز شاهى ، المكتبة الهندية ، ص ٤٤٩) : ومن المعروف أن مهندسين من الترك والعجم قد استخدموا فى إعادة بنائه من عام ٨٣٢ إلى عام ٨٣٥هـ (١٤٢٩ – ١٤٣٢م) كما حدث بعد ذلك من إعادة بنائه أيام محمد شاه الثالث سنة ٨٦٧ – ٨٨٧هـ (١٤٦٣ – ١٤٨٢م) على يد وزيره محمود گاوان . بعد دخول البارود إلى الدكن .

وكثيراً ما حلّت الطوابى المتعددة الجوانب ، محل الطوابى القديمة المدورة ، وإن بقيت مع ذلك بعض الطوابى المربعة والمدورة .

وفى أعمال الإصلاح والترميم أفسحت كتل الحجر المنبسطة المتراكبة ذات الوصلات الدقيقة المأثورة فى المنشآت القديمة المجال لأحجار « الدقشوم » الصغيرة التى تُثبَّت فى طبقة سميكة من الملاط ، وكانت الأبراج متينة فى قواعدها ، تحميها غرف فى مستوى شرفات الستارة ، وشرفاتها نفسها على ارتفاع دكة واحدة ، ثم تعززّ هذه الحماية فيها – كما فى الستارة – كُوَى حصينة لقذف النار .

وتقدم على أركان الشكل غير المنتظم ، كما تقوم منفردة أيضاً داخل الحير ، طوابى كبيرة ضخمة ، بعضها من كتل الحجارة المنبسطة المتراكبة المجلوبة من الخارج ، وبعضها من حجارة اللطريط الحمراء المحلية . وتقام هذه الطوابى مصاطب للمدفعية الثقيلة . وقد تحميها – كما فى برج كَلْيانى – ستارتان متعاقبتان أو أكثر ذات كُوَى ، وقد تفسح المكان لإيواء أعداد كبيرة من الجند .

وترجع أسوار مدينة بيدر إلى أيام البريد شاهية ، بنيت بين سنتى ٩٦٢ – ٩٦٥هـ (١٥٥٥ – ١٥٥٨م) وتشمل طوابيها السبع والثلاثون ، برج مَنْدا الفخم بدكتيه المحصنتين . والوصول إليه بدرجات مبنية فى السور الخلفى للطابية نفسها ، المركب عليها مدفع بعيد المرمى . وكان ترتيب الطوابى ، كما هى الحال فى ستارة الحصن ، متغيراً ، فهى أقرب ما يكون إلى الستارة عند أضعف المواقع المعرضة للهجوم .

و« الچوبارا » فى مدينة بيدر ، وكانت ، فيما يظن الناس ، جزءاً من تحصينات أحمد شاه ، عبارة عن برج مراقبة مخروطى الشكل ، مرتفع ، علوه ٢٣ متراً ، يشرف على الهضبة والأغوار جميعاً ، وبه ركيزة مستديرة مع حجرات للحرس وسلم داخلى .

ونشطت المنشآت الحربية فى الدكن عندما كانت الدولة البهمنية (انظر هذه المادة) فى أوج سؤددها : دولت آباد ، بيجاپور ، گاولگره ، ألچپور ، نَرْنالا ، پرَنْدَه ، نَلْدُرگ ، پنهالا ، وَرَنْگل ، گُلْكُنْدَه ، مُدْگل ، رايْچور ، وغيرها .

*وفى دولت آباد دعمت التحصينات القديمة بأحجار الدقشوم أوالآجُرّ وزيد فى ارتفاعها . ومن الأمثلة البارزة على ذلك إقامة طابية فى الإيوان الثانى لقوس المدخل ، وذلك بملء الفتحات الخاصة بفوهات المدافع التى كانت فى مستوى ارتفاع مدافع الستارة، فأضيف بذلك طابق علوى ، فى حين بقيت عضادات السور كما هى ، ثم بناء نوافذ شديدة البروز مقنطرة ترتكز على أطناف من أنقاض الأبنية الهندوسية لتكون غرفة أخرى . للمراقبة . وعلى هذا تكون هناك غرفتان علويتان للدفاع بهما منافذ للمدافع الصغيرة فوق القاعدة المصمتة .

وفى پرَنْدَه(كما فى معظم حصون الدكن التى تنسبها الروايات المحلية إلى محمود گاوان ، ولكنها فى الواقع أقدم من ذلك فيما يرجح) ، تحمى الأبراج القائمة على الحواجز الأمامية الموازية السور الرئيسى والأبراج القائمة على الستارة، بُرَيْجات ناتئة منيعة التحصين . وفى قندهار (*Hyd.* : Yazdani *Arrch. Dept. Report* ، سنة ١٣٣١ – ١٣٣٣ هـ = ١٩٢١ – ١٩٢٤م، ص٣) طوابي مدورة فوق حواجز أمامية وأخرى قائمة الزوايا فوق الستارة. وعليها نقوش من سنة ٩٩٨ هـ (١٥٨٨ م) تذكر أسماء تركية للمهندسين المسئولين . وفى كليانى حلت كُوَى « قذف النار » المرتكزة على طُنُف ، محل الدرقات فى الأبراج المتعددة الأضلاع والمدورة . فى حين زودت طابية ملفتة للنظر فى داخل الحصن القائم خارج البرج بغرفة على الجدار ، تحميها البُرَيجات الناتئة مع مصطبة للمدافع فوق المتاريس لها صفان من المزاغل . ولحصن كاكَتية القديم فى گلكندا (انظر هذه المادة) الذى نزل عنه للبهمنية سنة ٧٦٦ هـ (١٣٦٤م) ثلاث ستائر متعاقبة ، مما يدل على تنوع فى الأبراج : المربع ، والأسطوانى ، والمخروطى ، والمتعدد الأضلاع . وللذروة القائمة أمام بالا القلعة برج على هيئة شبه المضلع ذى أربعة عشر ضلعاً على هيئة مختلف الأضلاع . وعلى حيره الذى أقيم فى وقت متأخر عن ذلك طابية ذات تسع فلقات ، لها بروز شديد ، وكل فلقة ربع دائرة على الوجه الخارجى . وتوجد هذه السمة أيضاً فى تلْدرُگ .

ولأسوار مدينة بيجاپور (انظر هذه المادة) نحو ٩٦ طابية ، معظمها نصف دائرى ، وبها منافذ للمدافع تحميها سقوف من الحجر . وقد عُدل كثير منها فى وقت متأخر ليتحمل المدافع الثقيلة (نقوش لمحمد وعلى الثانى) : ويرجع تاريخ هذه الأسوار إلى أيام على عادل شاه الأول (تمت عام ٩٧٣ هـ / ١٥٦٥ م) ولم تكن سواء فى صفاتها ، ذلك أن كل شريف كان مسئولا عن قطاع بعينه ، وواحد من أبراجها، وهو الفرنگى، أو تابوت برج ، قد روعى فى بنائه أن يسع عدداً كبيراً من الجنْجالوات؛

ويوجد على مرتفع من الأرض — فى داخل الأسوار نفسها — الـ « أوپرى » أو برج حيدر ، وهو استحكام ضخم من السور الأساسى ، بيضى الشكل ، يرتفع نحو ٢٤ قدماً ، وقد بقى

[النقش عام ٩٩٢ هـ ٪ ١٥٨٣ م) لينصب عليه مدفع كبير (حول ٩ أمتار طولا و ١٥ سم عيار الفوهة) : وبرج شَرْزَة ، وهو من أكبر الأبراج ، وقد بنى خارج الستارة التى تتصل به بممر عريض يكون بمثابة الرأس والعنق .

وقد أنشئت التحصينات التالية فى الدكن ، أو أعيد بناؤها ، أيام سيادة المراطها ، وهى تتبع عادة نماذج العصر الإسلامى .

(٤) شمالى الهند من القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) إلى القرن الثانى عشر الهجرى (الثامن عشر الميلادى) .

لم يُدخِل فتح بابُر فى أيامه الأولى طرازاً جديداً فى البناء ، ولو أن اهتمامه بالحصن الهندوسى فى گواليار قد تجاوزه إلى خلفائه الذين طوّروا حصن القصر تطويراً بلغ الغاية فى الكمال .

وبدأ ابنه همايون أيضاً فى إقامة دهلى أخرى هى « دين پناه »، ولكن المغتصب الأفغانى شيرشاه جعلها أثراً بعد عين : وشرع شيرشاه فى بناء عاصمة له ، لم يبق منها ، خلاف قلعتها ، إلا القليل: وكانت القلعة مقامة فى الموقع الذى ثبت أنه أندراپرَسْها المعروف بالحصن القديم [پُرانا قِلعه، قلعه ــ كُهنا] : وكانت أسوارها وطوابيها المتباعدة المسافات بشكلها شبه المنحرف قد شيدت مداميكها بالدبش الغُفل : أما بواباتها ، التى كان يتاخم كل منها طابيتان بارزتان بروزاً كبيراً ، فكانت من الحجر الدستور المتعدد الألوان : والأبراج نصف دائرية ، مصمتة إلى ارتفاع ٥ أمتار ، ولها عدة طبقات من الغرف والأروقة المتراكبة ، وكُوًى صغيرة لقذف النار ، وكان فى إحدى البوابات طاق داخلى صغير لقذف النار ، وهو شىء فريد فى نوعه فى الهند : وعودة همايون إلى احتلال « پُرانا قِلعه » لم يضف إلى ذلك شيئاً : وابتدأ بناء المغل للحصون بأكبر : وكانت قلعة سِكندر لودى فى آگرا قد تخربت ودرست ، وشرعوا فى بنائها من جديد عام ٩٧٢ هـ (١٥٦٤ م) . وكان بها طوابى نصف دائرية على الستارتين الداخلية والخارجية بارتفاع الأسوار ، وكان النطاق الداخلى أعلى من الخارجى ، يصل إلى ٣٠ متراً ، والطوابى الداخلة والخارجة متحدة المركز ، ولكل منها متاريس محصنة بمصاطب لإطلاق النار ، يحميها صفان أو أكثر من المزاغل ، بعضها تقيه سقوف لصب النار إلى أسفل .

وتحمى بوابة دِهلى الداخلية من ناحية الغرب ، طابيتان مهيبتان نصف دائريتين ، ولها رواق مقنطر مقفل فى مستوى الطابق الأرضى ، مزدان بزخارف بديعة من الرخام والدساتير المتعددة الألوان ، وعلى كل وجه فى الطابق الأول قوس واسع بشرفة خارجية وغرفة فى أعلاه محمية بصفين من المزاغل . والمتاريس فى أعلاه ، بعضها مجهز بدرقات لها أسقف من الحجر ، وبعضها نافذ ، ويعلو كل برج منها جوسق ، والبناء جميعه من حجر دستور أحمر بحشو من الدبش .

ولا تمتاز مدينة أكبر الجديدة (٩٧٩ هـ ٪

١٥٧١ م) ، فتحپور سيكرى ، فى تحصينها عن غيرها ؛ فالستارة الخارجية الوحيدة ناقصة ، وطوابيها نصف الدائرية ليست إلا انبعاجات فى هيكلها ، وكانت القلعة مطوّقة أكثر منها محمية ، ولو أنها تتباهى بطابية عظيمة « برج سَنْگين » شبه المثمن برحبة داخلية لحرس من الراجح أنه كان للتشريفات لا للدفاع .

وسرعان ما هُجرت المدينة الجديدة ، وعاد أكبر إلى آگرا التى احتلها ابنه جهانگير من بعد ، وإلى عهده يرجع — فيما يظن — تاريخ البرج (سُمى بعد ذلك برج سَمَن [ياسمين]) : وهو شبه مثمن يبرز من ناحية النهر على الحصن الذى يحيط بكتف نصف دائرية : وهو من طابقين بأروقة مقنطرة مكشوفة على كل وجه ، مزخرف بزخارف من الرخام المطعم بأحجار ملونة صلبة ، ومن الراجح أن تكون بعض هذه المنشآت من أيام شاه جهان ، الذى كانت أبنيته الكبرى ، مع هذا ، فى دهلى (انظر هذه المادة) ولاهور (انظر هذه المادة) ، وبدئ فى الحصن الجديد بدهلى (لال قلعه) عام ١٠٤٨ هـ (١٦٣٨ م) وتم فى غضون عشر سنين .

ولهيكله القائم الزوايا تقريباً طوابٍ شبه دائرية ، على مسافات منتظمة بعضها من بعض يحميها مدرج من المزاغل فى نصف ارتفاعها وصفان من المتاريس ، وتزدان درقاته بأطراف أقواس ، ويعلو كل برج جوسق : والأبراج المماثلة له ، التى على الحصون الخارجية ، من أيام أورنگزيب . والطوابى الشمالية والجنوبية المشرفة على النهر أكبر من ذلك ، وهى تعلو عن مستوى فناء البرج بمقدار طابقين ، ويتوج كل منها جوسقان : شاه برج ، وأسد برج ، ويقوم بينها شبه مثمن أكبر ، وكان يعرف أصلا باسم « برج طلا » ، بسبب قبته المصنوعة من النحاس المطلى بالذهب ، وجوانبه الخمسة المواجهة للنهر تغشيها ستور الرخام .

ولحصن لاهور الذى بناه أكبر فى نفس الوقت الذى بنى فيه حصن آگرا (أبو الفضل : آئين أكبرى ، ترجمة Blochmann ، جـ ١ ، ص ٥٣٨) « شاه برج » مماثل ويسمى أيضاً « مثمن برج » ، ويشير النقش الذى عليه إلى أن بناءه تم عام ١٠٤١ هـ (١٦٣١ م) : وهو كبير الجرم (قطره ٤٥ متراً) ، ويقول مانوچى (Manucci فى : *Storia de Mogor*) عن هذه المنشآت : « فى كل مكان (دهلى ، آگرا ، لاهور) طابية كبيرة تسمى باسم شاه برج ، وهى مقببة ، وبها زخارف معمارية من أشغال غريبة من الميناء وأحجار كريمة كثيرة ، وفيها يعقد الملك الكثير من المقابلات الرسمية مع أشخاص من صفوة الناس ، ومنها (هكذا فى الأصل) يشاهد قتال الفيلة ... » (ترجمة Irvine جـ ٢ ص ٤٨٣) : ومن المؤكد أيضاً أن « مثمن برج » فى دهلى كان يستعمل فى « درشن » الإمبراطور اليومى ، أى ظهور الإمبراطور رسمياً لشعبه .

ولا تدعى هذه الأبراج المغلية بأنها منشآت محصنة ، ومن ثم فإن ما بدئ به على اعتبار أنه حصن متجهم قد استحال أداة من أدوات الفن

المغلى ؛ وقد حصنت أسوار دهلى أيام شاهجهان بالطوابى ، وهو أمر لاشك فيه ، على أن هذه الأسوار قد بنيت على هذا النحو فى أيام البريطانيين حتى ليستحيل علينا أن نستخلص منها ما فعله المغل .

المصادر :

(١) S. Toy : The strongholds of India ، لندن ، سنة ١٩٥٧ م ، وهو يصف بعض التحصينات الإسلامية من حيث هى مواقع ، ومعلوماته قليلة عن الأبراج ، والتفصيلات التاريخية غير موثوق بصحتها ، وهو لم يورد تاريخ التحصين. وقد نقحه وزاد فيه: J.Burton-Page : The Study of fortification in India and Pakistan، فى BSOAS ، المجلد ٢٣ ، ج ٢ ، سنة ١ٹ٦٠ م ، وعن مبانى سلطنة دهلى انظر : (٢) A. Cunningham : ASI Report، ج ١ ، سنة ١٨٧١ م (٣) J.D.Beglar : ASI Report، ج ٤ ، ص ١٨٧٤ (٤) H.Waddington : 'Adilàbàd: a part of 'fourth' Delhi، فى Ancient India ، ج ١ ، سنة ١٩٤٦ م . (٥) G. A .Page : A memoir on Kotla Firoz Shah, Delhi، فى MASI، ٥٢ ، دهلى ، سنة ١٩٣٧ م . (٦) انظر أيضاً مصادر مواد : دهلى ، آثارها ، وسلطنة دهلى: الفن (٧) عن حصون الدكن : انظر مصادر مواد : البهمنية ، الدولة ، الآثار ؛ بيجاپور ، آثارها ؛ دولت آباد ؛ كلكندا ، وانظر أيضاً عن قندهار . (٨) G. Yazdani : فى Hyd. Arch. Dept. Report، سنة ١٣٣١ — ٣ ، ١٩٢١ / ١٩٢٤ ، ص ٣ و EIM ، سنة ١٩١٩ — ١٩٢٠ م ، ص ٢٠ (٩) وعن حصون المغل A. C. L. Carlleyle : ASI Report ج ٤ ، سنة ١٨٧٤ م (آگرا) ؛ (١٠) E. B. Havell : Agra and the Taj ، لندن ، سنة ١٩١٢ م (١١) E. W. Smith : The Moghul Architecture of Fathpur-Sikri فى ASI ، NIS ، المجلد ١٨ ، سنة ١٨٩٤ — ١٨٩٨ م ؛ (١٢) J. Ph. Vogel : Tile Mosaics in the Lahore Fort فى ASI ، NIS ، المجلد ٤١ ، سنة ١٩٢٠ ؛ (١٣) G. Sanderson : Guide to the buildings and gardens, Delhi fort. ، دهلى ، سنة ١٩١٤ م .

[J. Burton-Page بيرتون پيج] عبد القادر

+ « بَرْجَوان » ، أبو الفتوح : مملوك تولى حيناً حكم مصر فى عهد الحاكم ، وقد نشئ برجوان ببلاط العزيز حيث أصبح خادماً فيه (الخطط ، ج ٢ ، ص ٣ ؛ ابن تغرى بردى ، طبعة القاهرة ، ج ٤ ، ص ٤٨ ؛ ابن خلكان ، ج ٢ ، ص ٢٠١) .

وكان برجوان خصياً عرف بلقب أستاذ (انظر هذه المادة) ، أما الأصل فى نسبته فغير محقق ، إذ يقول ابن خلكان أنه أسود اللون ، ويقتصر ابن القلانسى على القول بأنه « أبيض اللون » ، أما المقريزى فيقول إنه صقلبى أو صقلى ، ذلك أن هاتين الروايتين تردان فى مخطوطات الخطط (انظر de Sacy : Chrestomathie ، ج ١ ، ص ١٣٠) ،

وقد جعل العزيزُ برجوانَ وصياً على ولىعهد الخلافة الحدث ، فلما توفى العزيز فى رمضان سنة ١٣٨٦ هـ (أكتوبر سنة ٩٩٦ م) أقام الوصىَّ الموصى عليه خليفة لقب بالحاكم . وقداقتصردور برجوان فىأول الأمر علىالوصايةعلىالخليفة الحدث، وكانت السلطة الفعلية فى الدولة فى يد « الواسطة » (انظر هذه المادة) ابن عمّار الكتامى « قائد جند البربر والحزب البربرى . ولاشك أن سياسة ابن عمار كانت مزعجة للخليفة الشاب ووصيِّه . ولاريب فى أن سيادة البربر قد أغضبت الأتراك والمشارقة فى الجيش ، والراجح أنها أغضبت أيضاً السكان المصريين عامة .

وقد ربط برجوان حظه بحظ المشارقة ، فكتب سنة ٣٨٦ ه (٩٩٦ م) إلى منگوتكين الوالى التركى على دمشق ، يدعوه إلى القدوم بجيشه لتخليص مصر وشخص الخليفة أيضاً من طغيان البربر . وتقدم منگوتكين إلى مصر فى مدد من الأتراك والديلم والسودان والعرب من أهل البلاد ، ولكنه هزم قرب عسقلان على يد جيش بربرى أنفذه ابن عمار وأمّر عليه سليمان بن جعفر ابن فلاّح . واضطر برجوان للخضوع لابن عمار إلى حين ، ولكنه استطاع بعيد ذلك — بتأييد من جيش ابن صمصامة الضابط البربرى الساخط — أن يتحدى ابن عمار مرة أخرى ، ونجح فى هذا التحدى هذه المرة . ولحقت الهزيمة بابن عمار فى صراع على بينهما ، وطرد فاختفى وتولى برجوان مكانه فى منصب الواسطة والمدبر الفعلى للدولة فى ٢٨ رمضان سنة ٣٨٧ ه (٤ أكتوبر سنة ٩٩٧ م) . وعامَل برجوانُ البربرَ المنهزمين بمصر فى رفق وسماحة ، على أنه قد ثبت أن شوكتهم قد انكسرت إلى غير رجعة .

وفى دمشق طُرد الوالى البربرىوذُبّح الجنود الكتامية . وتلت ذلك فترة من الاضطراب فى الشام انتهت بجهد فعال من قبل برجوان ، فقد أخضع العرب المتمردون فى فلسطين وصور ، وردت هجمات الروم (البوزنطيين) براً وبحراً . وانتهت المفاوضات الديپلوماسية بصلح بين الإمبراطوريتين البوزنطية والفاطمية مدته عشر سنوات . أما فى الغرب ، فقد غزا برجوان برقة وطرابلس ووضعت كلتاهما تحت ولاية واليين خصيين ، وكان فتح طرابلس قصير الأمد .

وتشجع برجوان بفضل هذه الانتصارات ، فاتخذ حيال الخليفة موقف التحكم ، بل هو قد ذهب إلى أبعد من ذلكفى قول بعض المصادر فحدَّ من ركوبه صهوة الجياد ومن إنفاقه على العطايا (النويرى ، ابن العبرى) . ويروى النويرى قصة كاشفة فى هذا الصدد تقول إن برجوان جرى على أن يلقب الحاكم بلقب « الوَزَغَة » وقد أثار هذا اللقب حقده ، فلما بعث الحاكمُ برجوانَ للاقاة حتفه جاءت رسالته إليه تقول أن أبلغ برجوان أن الوزغة الصغيرة أصبحت تنيناً كبيراً، وهو يطلبه الآن . وشجع بواعث السخط لدى الحاكم مملوك خصى آخر هو أبو الفضل ريدان الصقلبى ، فقد حذر الخليفة من أن برجوان يسعى

إلى أن يصطنع سيرة كافور وينافسه فيها ، وأشار عليه بأن يكون التصرف مع برجوان على نحو ما تصرف كافور مع الإخشيديين . فطغى برجوان حتّى جاد بأنفاسه على يد ريدان وبأمر من الخليفة فى ليلة السادس والعشرين من ربيع الثانى سنة ٣٩٠هـ (٥ أبريل سنة ١٠٠٠ ؛ انظر ابن الصيرفى الذى لم يذكر مع ذلك التاريخ المضبوط لوفاته ؛ ابن خلكان ؛ المقريزى ؛ ابن ميسر . وقراءة السنة «سبعين» بدلا من «تسعين» خطأ واضح ؛ وقد نقل ابن القلانسى عن ابن الأثير فجعل تاريخ ذلك سنة ٣٨٩) .

وقد أثار مصرع برجوان غضب العامة والأتراك، فقد خشى الطرفان بلاشك عودة حكم البربر . على أن الخليفة ظهر للجمع المسلح فوق باب قصره ودافع عن تصرفه ، فاتهم برجوان بالتآمر عليه وطلب العون حيال شبابه وقلة خبرته . وبعث برسائل بهذا المعنى إلى الخارج . وقد جاء فى الرسالة الدرزية الموسومة بالسيرة المستقيمة لحمزة فقرة طريفة صور فيها قتل برجوان على يد الخليفة الشاب دون أن يخشى غضب الجنود بأنه فعل لانظير له فى جرأته يبشر بما سوف يتصف به حكم الحاكم من صفات خارقة (المقتبس ، جـ ٥ ، ص ٣٠٦) .

ويقال إن برجوان كان رجلا ذواقة محباً لمناعم الحياة ، وكانت داره ملتقى الشعراء والموسيقيين ، فلما مات دهش معاصروه لكثرة ما تركه من صنوف الملابس والكتب والاصطبلات والأمتعة . وقد نسب إليه شارع من شوارع القاهرة،

المصادر :

(١) ابن الصيرفى :الإشارة إلى من نال الوزارة ، ص ٢٧—٢٨ (٢) ساويرس ابن المقفع . البطارقة *Patriarchs* ، جـ ٢ ، ص ١٢١ (٣) ابن القلانسى ، ص ٤٤—٥٦ ، ٥٩ (٣) ابن مُيَسَّر . ص ٥١ ، ٥٣ ، ٥٤ — ٥٥ (٤) ابن خلكان ، جـ ١ . ص ١١٠ (الترجمة الإنكليزية ، جـ ١ ، ص ٢٥٣ ، جـ ٢ ، ص ٢٠١) (٥) ابن الأثير ، جـ ٩ ، الفهرس (٦) ابن خلدون : العبر ، جـ ٤ ، ص ٥٧ (٧) ابن العبرى : التاريخ = *Chronographia* ، الترجمة الإنكليزية ، ص ، ١٨ . ٨٢ (٨) ابن تغرى بردى ، القاهرة ، جـ ٤ ، الفهرس (٩) يحيا ابن سعيد الأنطاكى : تاريخ = *Annales* . طبعة شيخو ، ص ١٨٠ ، طبعة كراتشكوفسكى وفاسيليف ، ص ٤٥٣ . ٤٦٢ (١٠) وأوفى الأخبار عن برجوان وردت فى المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ٣ — ٤ ؛ انظر المصدر المذكور ، ص ٢٨٥ (= Silvestre de Sacy . *Chrestomathie Arabe* جـ ١ ، باريس سنة ١٨٢٦ ، ص ٥٢ ومابعدها ، ص ٩٤ وما بعدها من الترجمة) (١١) انظر أيضاً Silvestre de Sacy . *Expose de la religion des Druzes* ، جـ ١ ، باريس سنة ١٨٣٨ ، ص ٢٨٤ — ٢٩٥ (١٢) Stanley Lane Poole : *History of Egypt in the Middle Ages* ، ص ١٢٤ — ١٢٥ (١٣) G. Wiet : *L'Egypte Arabe* ، ص

١٩٧ — ١٩٩ (١٤) محمد عبد الله عنان : الحاكم بأمر الله ، القاهرة من غير تاريخ ، ص ٤٤ — ٤٩ (١٥) I. Hrbek : *Die Slaven im Dienste der Fatimiden* في *Aro* ، جـ ٢١ ، سنة ١٩٥٣

خورشيد [لويس B. Lewis]

+ « بُرْجِيَّة » : كانت كتيبة البرجية تلى فى الأهمية كتيبة البحرية (انظر هذه المادة) فحسب فى تاريخ سلاطين المماليك ، وقد أنشأها السلطان المنصور قلاوون ، إذ اختار لهذا الغرض ٣,٧٠٠ مملوك من مماليكه الخاصين وأسكنهم أبراجاً من قلعة القاهرة ، ومن ثم جاء اسم هذه الكتيبة . وإنما تذكر المصادر إنشاء هذه الوحدة عندما تلخص سيرة قلاوون فى نهاية حكمه دون أن تحدد لذلك تاريخاً .

وكانت هذه الكتيبة تتألف من مماليك ينتمون إلى شعوب الچركس (الجركس والآص أى الشراكسة والأبخاز) ، ويذكر المقريزى (الخطط ، جـ ٢ ، ص ٢١٤ ، فصل ٢٢ — ٢٦) الأرمن بدلا من الآص. والظاهر أن الخطائيّة والقپچاقية الذين ذكرهم فى الفقرة نفسها على اعتبار أنهم يقومون بمهام تدخل فى عمل الخاصّكيّة (انظر هذه المادة) ، لاينتمون إلى البرجية .

وفى عهد السلطان قلاوون (٦٧٨ — ٦٨٩هـ = ١٢٧٩ — ١٢٩٠م) وعهد ابنه الأشرف خليل (٦٨٩ — ٦٩٣هـ = ١٢٩٠ — ١٢٩٣ م) لم يكن اشتراك البرجية فى شؤون الدولة كبيراً جداً ، على أنهم ذكروا عقب مقتل الخليل مباشرة على اعتبار أنهم الفريق الأكبر الذى يؤيد الأمير سَنْجَر الشجاعى ، على حين كان أكبر أنصار منافسه الأمير قتبغا هم التتر الوافدية (انظر هذه المادة) والكرد الشهرزورية . وقدهزم قتبغا سنجرَ واعتلى العرش بعد أن أطاح بالسلطان الصبى الناصر محمد ابن قلاوون سنة ٦٩٤هـ (١٢٩٤) ، وانتقم من البرجيه بأن طرد فريقاً منهم من القلعة وأسكنهم أجزاء متفرقة من قصبة البلاد هى : ميدان اللوق ، والحَبَش ، ودار الوزارة .

وكان ذلك أول ضربة أصابت هذه الكتيبة . على أن قتبغا سرعان ما خُلع وحل محله لاجين سنة ٦٩٦هـ (١٢٩٦م) واستعاد البرجية شأنهم القديم ، وأصبحوا فى غاية القوة بعد أن قتلوا السلطان لاجين سنة ٦٩٨م (١٢٩٨م) بزعامة قائدهم كرجى مقدم البرجية . وغداقواد كتيبةالبرجية أثناء العهدالثانى لحكم الناصر محمد بن قلاوون من سنة ٦٩٨ — ٧٠٨هـ (١٢٩٨ — ١٣٠٨م) هم الحكام الفعليين لسلطنة المماليك . وانحاز البرجية بطبيعة الحال إلى صف الأمير بيبرس الجاشنكير فى نزاعه مع الأمير سَلاّر على العرش لأنه كان واحداً منهم ، أما الثانى فقد انتصر له الصالحية (بقايا كتيبة المماليك البحرية التى أنشأها الصالح نجم الدين أيوب) والظاهرية (أى مماليك الظاهر بيبرس) . وهزم بيبرسُ سلارَ بلامشقة وخلفَ الناصرَ محمداً سنة ٧٠٨هـ (١٣٠٨م) على عرش السلطنة .

وبلغ البرجية أوج قوتهم فى عهد المظفر بيبرس ، ولكن نجاحهم كان قصير الأمد ، لأن الناصرَ محمدا سرعان ما اعتلى عرش السلطنة للمرة الثالثة من سنة ٧٠٩ إلى سنة ٧٤١هـ (١٣٠٩ — ١٣٤٠م) وزحزح البرجيةَ عن مركزهم القوى، ثم حكم الناصرُ من بعد نيفا وثلاثين سنة بلا انقطاع ، فتفكك البرجية شيئاً فشيئاً ، وقلما تذكرهم المصادر بعد موته .

وقد جرى المستشرقون على تسمية الفترتين الأولى والثانية من حكم المماليك « الفترة البحرية والفترة البرجية » ، ويندر أن تستعمل المصادر المملوكية هذا المصطلح ، فهى تسمى الجزء الأول من حكم المماليك وحكم المماليك بأسره « دولة الترك » ، وتسمى الجزء الأخير من حكمهم « دولة الجركس » .

المصادر :

(أ) المراجع : (١) المفضّل بن أبى الفضائل : النهج السديد (فى *Patrologia Orientalis*) جـ ١٥ ، ص ٥٨٣ ، ٥٨٥ ؛ جـ ٢٠ ، ص ٢٧٠ (٢) Zetterstéen (المحرر) : *Beitraege zur Geschichte der Mamelukensultane* ، ليدن سنة ١٩١٩ ، ص ٣٠ ، ٣٢ ، ٥٠ ، ١٢٩ (٣) الذهبى : دول الإسلام ، حيدر آباد سنة ١٣٣٧ هـ ، جـ ٢ ، ص ١٥٧ (٣) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، بيروت سنة ١٩٣٦ — ١٩٤٢ ، جـ ٨ ، ص ١٨١ ، ١٨٣ ، ١٩١ ، ١٩٢ (٤) ابن خلدون : كتاب العبر ، القاهرة سنة ١٢٨٤هـ ، جـ ٥ ، ص ٤٦١ — ٤٦٢ (٥) ابن حجر العسقلانى : الدرر الكامنة ، حيدر آباد ، سنة ١٣٤٨ — ١٣٥٠هـ ، جـ ١ ، ص ٣٠٢ — ٥٠٧ (٦) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، طبعة القاهرة سنة ١٩٣٨ — ١٩٤٤ ، جـ ٧ ، ص ٣٣٠ ؛ جـ ٨ ، ص ٤٥ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ١٠٠ ، ١٠٢ — ١٠٣ ، ١٧٦ ، ١٨١ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٤٧ ، ٢٥٥ ، ٢٥٨ ، ٢٧٠ (٧) المنهل الصافى ، جـ ٥ ، ورقة ٤٢ أ ، جـ ٨ ، ورقة ٣٣ أ (٨) المقريزى : كتاب السلوك ، طبعة زيادة ، القاهرة ، سنة ١٩٣٤ — ١٩٤٢ ، جـ١ ، ص ٧٣٦ ، ٧٩٨ ، ٨٠٢ ، ٨٠٨ — ٨١٠ ، ٨٦٧ ؛ جـ ٢ ، ص ٢٥ ، ٣٧ ، ٤٣ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٥٢ — ٥٣ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٣ ، ١٥٦ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٤٢٦ ، ٥٢٤ (٩) الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٣٤ ، ٢١٤ .

(ب) كتب : (٩) G.Weil: *Geschichte des Abbaside* *Chalifat in Egypten* ، جـ ١ ، شتوتگارت سنة ١٨٦٠ ، ص ١٧٠ (١٠) S. Lane Poole : *A History of Egypt in the Middle Ages* ، لندن سنة ١٩٣٦ ، ص ٢٨٢ (١١) G. Wiet : *L'Egypte musulmane* فى *Précis de l'Histoire d'Egypte* ، جـ ٢ ، القاهرة سنة ١٩٣٢ (١٢) الكاتب نفسه : *L'Egypte Arabe* فى *Histoire de la Nation Egyptienne* ، جـ ٤ ، باريس سنة ١٩٣٧ (١٣) W. Popper : *Egypt and Syria under the Circassian Sultans* ، جـ ٢ ، بيركلى سنة ١٩٥٧ ، ص ١١ (١٤) على إبراهيم حسن : تاريخ المماليك البحرية ،

القاهرة سنة ١٩٤٤، الفهرس ، مادة « المماليك البرجية » .

خورشيد [آيالون D. Ayalon]

« بَرَدان » : مدينة بالعراق يقول جغرافيو العرب إنها على مسيرة أربعة فراسخ (حوالى ١٦ ميلا) شمالى بغداد على الطريق الرئيسى إلى سامرا ، وبينها وبين الضفة الشرقية لنهر دجلة مسافة قصيرة . وهى إلى الشمال بقليل من ملتقى نهر الخالص بدجلة؛ وينساب نهر الخالص — وهو فرع من النهروان (أوديالى) — بالقرب منها . وقد أقام الخليفة المنصور بلاطه فى هذه المدينة أمداً وجيزاً قبل أن يعتزم تشييد عاصمة جديدة فى مكان بغداد الحالية (اليعقوبى ، طبعة ده غويه ، الكتاب السابع من المكتبة الجغرافية العربية ، ص ٢٥٦) :

وكان فى النصف الشرقى من بغداد جسر وطريق وباب ثم قرافة من بعد على مقربة من هذا الباب عرفت كلها باسم بردان ، وهى على مرحلتى بريد من بغداد (Le Strange : Baghdad during the Abbasid Caliphate ، سنة ١٩٠٠ ، ص ٣٦٠) ؛ وفى الوقت الذى نقل فيه صاحب المراصد عن ياقوت حوالى عام ٧٠٠ هـ (١٣٠٠ م) كانت بردان مهجورة ومجهولة . ويجب أن يبحث عن موقعها بلا شك بين أكوام الخرائب فى بدْران التى يتفق موضعها بدقة مع روايات مصنفى العرب. وبدْران هذه تحت خط عرض ٣٣° ٣٠َ شمالا كما ورد فى مصور كيپرت Kiepert المنشور بكتاب أوپنهايم (Oppenheim : Vom Mittelmeer Zum Persisch Golf) وقد ذكرها أيضاً پترمان Petermann : واسم هذه المدينة محرف عن بَرَدان (بَرَدان كما صححها چرنك Chernik) .

ويذكر العرب أن اسم بردان معرب من الكلمة الفارسية « برده دان » أى مكان المساجين (الجواليقى : المعرب فى Zeitschr. d. Deutch. Morgenl. Ges. ، ج ٣٣ ، ص ٢١٩) : وتدعونا هذه التسمية إلى الظن بأنه كانت فى هذا الموضع محلة يهودية يظن أن بختنصر هو الذى أقامها . وهناك مدينة أخرى فى حوض ديالى الأوسط تسمى بردان وهى بالقرب من قيزرُباط (هكذا ذكرها هرزفلد Herzfeld وليست قيزيل رباط) وبها مساحة كبيرة تغطيها الخرائب (بردان تپه) (انظر Ritter : Erdkuude ، ج ٩ ، ص ٤٩١ وما بعدها ؛ Chernik فى Petermann's Geogr. Mitteil. ، ص ٣٨) .

المصادر :

(١) المكتبة الجغرافية العربية ، طبعة ده غويه ، فى مواضع مختلفة (٢) ياقوت : المعجم ، طبعة فستنفلد ، ج ١ ، ص ٥٥١ وما بعدها (٣) المراصد ، طبعة جوينبول ، Lex. Geogr. ، ج ١ ، ص ١٦٨ (٤) M. Streck : Babylonien nach der arab. Geographen ، ج ٢ ، ص ٢٣٠ وما بعدها (٥) Le Strange : The Lands of the Eastern Caliphate ، سنة ١٩٠٥ ، ص ٥٠ (٦) Weil :

(٧) Gesh. der Chaliphen ، جـ ٢ ، ص ٥٦٩ Resien im Orient : H. Petermann ، عام ١٨٦١م جـ ٢ ، ص ٣١١ (٨) Chernik : كتابه المذكور رقم ٤٤ ، ص ٣٤ ، ٣٦ .

[M. Streck شترك]

+ « البُرْدة » :

١ — قطعة من الصوف كانت تستعمل منذ العصر الجاهلي ، تتخذ عباءة بالنهار وغطاء بالليل . واشتهرت بصفة خاصة بردة النبي التي وهبها لكعب بن زُهير (انظر هذه المادة) مكافأة له على القصيدة التي مدحه بها ، وقد اشترى معاوية هذه البردة من ابن كعب ، واحتفظ بها خلفاء بني العباس ضمن نفائسهم إلى أن احتل المغول مدينة بغداد ، فأمر هولاكو بإحراقها ، ولكن يقال إن بردة النبي الحقيقية لم تحرق ولاتزال موجودة بالآستانة .

المصادر :

(١) Dozy : *Dictionnaire des noms de vêtements chez les Arabes* ، أمستردام عام ١٨٤٥م ، ص ٥٩ — ٦٤ (٢) R. Basset : بانت سعاد ، الجزائر سنة ١٩١٠م ، ص ٩٠ — ٩١ وقد ذكر فيه أسماء المصنفين ، أما عن الأثر الشريف في إستانبول فانظر : تحسين أوز : خرقه سعادت دايره سي وأمانت مقدسه ، إستانبول سنة ١٩٥٣ .

٢ — اسم القصيدة المشهورة التي نظمها البوصيري [انظر هذه المادة] . وجاء في القصص أن البوصيري كان مصاباً بداء الفالج فلما ألقى عليه النبي بردته برئ منه فمدحه بهذه القصيدة ، وقد سبق للنبي أن فعل مثل هذا مع كعب بن زهير(١)

وانتشر خبر هذه المعجزة وأصبحت القصيدة التي عنوانها « الكواكب الدرية في مدح خير البرية » تعرف باسم « البردة » . ويقال إن لأبياتها قوة خارقة ، وهي لاتزال مستعملة إلى اليوم في الرقى ، كما أن أبياتها تتلى عند الدفن . ولم تبلغ قصيدة عربية أخرى مبلغها من الشهرة . ولهذه القصيدة أكثر من تسعين شرحاً باللغات العربية والفارسية والتركية والبربرية . ولا حصر لما قام به الشعراء من تخميسها وتثليثها وتشطيرها .

وتبدأ القصيدة بالنسيب كما هو التقليد في الشعر العربي القديم ، ثم أخذ الشاعر يتحسر على شبابه ويعترف بذنوبه وخطاياه ، ويبين ما بين سيرته وسيرة النبي من تباين ، وطفق يعدد معجزات النبي كما وردت في الروايات وذلك في بقية أبيات القصيدة . وهو يختم قصيدته بالتوسل إلى النبي ومدحه . ولا أثر للصوفية في هذه القصيدة .

ونذكر من أهم شروحها وفقاً للترتيب التاريخي : شرح أبي شامة عبد الرحمن بن إسماعيل الدمشقي (٥٩٦ — ٦٦٥هـ = ١١٩٩ — ١٢٦٦ م) ، وهناك مخطوطات من هذا الشرح محفوظة في باريس (المكتبة الأهلية رقم ١٦٢٠) وميونخ (رقم

(١) هكذا في الأصل والمروي في كتاب فوات الوفيات جـ ٢ ، ص ٢٥٦ أن البوصيري رأى النبي في المنام وأنه صلعم ألقى عليه بردته ... الخ

اللجنة

٥٤٧) ؛ وشرح ابن مرزوق التلمسانى المتوفى عام ٨٤٢هـ (١٤٣٨ — ١٤٣٩م) وقد وصفه دوزى Dozy بأنه معجب ورائع ؛ وشرح خالد الأزهرى المتوفى عام ٩٠٥هـ (١٤٩٩—١٥٠٠م) ؛ وقد طبع عدة مرات وطبع أحياناً مع شرح لإبراهيم الباجورى المتوفى فى ٢٤ ذى القعدة من عام ١٢٧٦هـ (١٣ يونيه سنة ١٨٦٠) ؛ وشرح ابن عاشور (القاهرة عام ١٢٩٦هـ) . ونشر أورى Uri نص قصيدة البردة لأول مرة فى ليدن عام ١٧٦١م بعنوان *Carmen Mysticum Borda Dictum* مع ترجمة لاتينية ، وطبعت منذ ذلك الوقت طبعات كثيرة ، وبخاصة فى الشرق . ولاتكاد توجد مجموعة من الشعر التهذيبي تخلو من البردة .

ونذكر من طبعاتها فى الغرب الطبعة التى قام بها روزنزفيج (von Rosenzweig : *Funkelnde Wandelsterne zum Lobe des Besten der Geschoepfe* فينا عام ١٨٢٤م) مع ترجمة ألمانية وتعليقات ؛ وأحسن طبعاتها هى التى قام بها رولفس Rolfs ونشرها بهرناور Behrnauer بعد وفاته بعنوان *Die Burda, ein Lobgedicht auf Muhammed* (فينا عام ١٨٦٠م) مع ترجمات فارسية وتركية وألمانية. وليس فى هذه النسخة الأبيات المنحولة التى ذكرها روزنزفيج Rosenzweig . وقد نقلت البردة إلى عدة لغات ، ونضيف إلى ما ذكر من ترجماتها — من غير أن نحصيها جميعاً — ترجمة دهساسى ، وهى مذكورة فى آخر كتاب *Exposition de la foi musulmane* لبير على بركوى (ترجمة ده تاسى G. de Tassy ، باريس عام ١٨٢٢م) ؛ وترجمة باسيه ، وبها تعليقات (باريس سنة ١٨٩٤) ؛ وترجمة ردهوس Redhouse وعنوانها *The Burda* وهى موجودة فى كتاب W. A. Clouston : *Arabian Poetry for English Readers* (ص٣٢٢ ، ٣٤١ ، گلاسكو ، سنة ١٨٨١م) ؛ وترجمها إلى الإيطالية گابريىلى Gabrieli وعنوانها *Al-Burdatain* مع تعليقات (فلورنسة عام ١٩٠١ ، ص ٣٠ — ٨٥)

المصادر :

(١) R. Basset : فهرس المخطوطات العربية لمكتبتى زاوية عين مهدى وتماسين ، الجزائر عام ١٨٨٦م ، ص ٤٢ — ٥٤ (٢) Goldziher فى *Revue de l'histoire des Religions* ، جـ ٣١ ، ص ٣٠٤ وما بعدها (٣) Brockelmann : *Gesch. der. Arab. Litt.* جـ ١ ، ص ٢٦٤ ، ٢٦٦ .

[باسيه R. Basset]

+ « بَرْدَسِير » : (انظر مادة «كرمان») .

« بَرْدُو » [والأصح أن يقال باردو] : اسم مدينة كان بايات تونس يقيمون على مسيرة ميل وربع الميل من جنوبيها الغربى ؛ وتشتهر هذه المدينة بلطف مناخها فى الصيف ؛ ويظهر أن السراة من الأهالى كانوا يترددون عليها منذ عهد متقدم ، وكانت لهم فيها حدائق ودور خلوية .وكان بالمدينة متنزه أبى فهر الذى خطه الأمير المستنصر الحفصى (١٢٤٩—١٢٧٧) بأحراجه ذات الأشجار النادرة

وبحيراته التى كانت ترويها قناطر(١) زغوان المعلقة والتى كانت من الاتساع بحيث يتنزه فيها الحريم بالقوارب » وبيوت الصيف فى هذه المدينة مرصعة بالفسيفساء ومحلاة بالنقوش الخشبية (انظر ابن خلدون ترجمة دمسلان ، جـ ٢ ، ص ٣٣٩) ؛ وكان الولاة فى القرن السادس عشر يتخذون هذه المدينة مقاماً لهم ، وكذلك فعل حكام الترك .

وقد وصف الشيڤالييه دارڤييه Chevalier d'Arvieux قصر باردو (house of the bards or of Bard) الذى ابتناه محمد باشا وصفاً مفصلا ، وهو القصر الذى أبرمت فيه المعاهدة الخاصة بإنشاء مصنع فرنسى فى رأس العبد Cape Negro عام ١٦٦٩ م (انظر d'Arvieux : Mémoires جـ ٤ ، ٤٧) ؛ وكانت باردو المكان المختار لبايات الأسرة الحسينية ، وفيها شيد حسين بن على (١٧٠٥ — ١٧٤٠) مسجداً وقصراً ؛ ووصف پيسونل Peyssonnel الذى زار تونس عام ١٧٢٤ قصر هذه الأسرة هناك بأنه كتلة ضخمة من البناء مربعة الشكل تقريباً ، محاطة بالأسوار ، وتحميها عدة أبراج مربعة ، ويبلغ محيط هذا القصر ١٢٠٠ خطوة تقريباً . وهناك إلى جانب مقر البايات أبنية أخرى لكبار الضباط (انظر Peyssonnel : Relation d'un voyage sur les côtes de Barbarie ، الرسالة الثانية ، ص ٢٦ وما بعدها) . واحتفر على باشا حول هذه الأبنية جميعاً خندقاً عميقاً وسوراً به كوى للرماة وأخرى لفوهات المدافع ؛ وقد أنفق محمد بك مبالغ طائلة على هذا القصر ، واستعان فى بنائه وتزيينه بالصناع الأجانب وبخاصة الإيطاليين الذين عملوا جنباً إلى جنب مع الصناع الوطنيين (انظر محمد بن يوسف : مشرع المالكى Mechra- el-Melki, chronique ، ترجمة V. Serres and Muhammad Lasram) ؛

وأهمل بايات تونس « باردو » فى القرن التاسع عشر ، وعندما احتلها الفرنسيون كان الجزء الأكبر من مبانيها قد تهدم ، فأزيلت أنقاضه كما أزيل السور الذى كان يحيط بالمدينة ، ولم يحتفظ إلا بقصور البايات والمسجد وبيوت الحريم التى حولت إلى متحف للآثار القديمة (المتحف العلوى) . وبالقرب من باردو يقوم « القصر السعيد » الذى وقعت فيه معاهدة ١٢ مايو عام ١٨٨١م وفيها اعترف بالحماية الفرنسية على تونس ، وهى المعاهدة التى يطلق عليها خطأ اسم معاهدة باردو.

[إيڤر G. Yver]

« بَرَدَى » : نهر مشهور فى دمشق يتردد ذكره فى الشعر الحديث . وقلما يرد اسمه فى شعر القدماء حتى من كان منهم فى العصر الأموى . ومخرجه الحقيقى — كما يعرف العرب جيداً — من جبال لبنان الخلفية أسفل مقسم الماء مباشرة وغربى كورة الزبدانى . وهو يخترق السهل الخصب الذى إلى الشرق من هذه الكورة بعد أن يسير فى عدة منحنيات ويكون شلال تكية Takkiya ثم يجرى بعد ذلك فى حلق جبل وادى سوق بردى المعروف قديماً باسم أبله . وتزوده عين فيجة الغزيرة المياه التى تزيد فى عمقه

(١) قناطر صوابه حنايا زغوان ولم تزل هذه الحنايا موجودة إلى الآن ولكنها مهجورة وهى من آثار الرومان

وترْوى البساتين الغناء القائمة على جانبيه ، وعندما يبلغ هذا النهر وادى دمشق يتفرع منه نهر زيد اتساعه بالطرق الصناعية ، وهناك يفترق النهر على خمسة أنهر ، يسمى الأيمن والأعلى منها نهر يزيد — والراجح أنه قد وسع مجراه يزيد بن معاوية — ونهر ثورا ، ويوجد ناحية اليسار نهر بانياس أو باناس (وهى صيغة وردت فى الشعر العربى) ، ونهر قنوات . أما الفرع الأوسط فيحتفظ باسم بردى : ولم يذكر أرنولف Arnulf حوالى عام ٦٧٠هـ سوى أربعة أنهار كبيرة فقط ، لأن نهر يزيد قد حفر بعد زيارته لهذه الجهة .

وبعد أن يفترق نهر بردى على هذه الخمسة الأنهر يمر بمدينة دمشق وما حولها وهو أشبه شىء بدلتا مصغرة فيملأ البقاع كلها خصوبة ونضارة ، ويرجع الفضل فى وجود الغوطة إلى نهر بردى ، وهو يملأ الصهاريج الموجودة فى كل بيت من بيوت دمشق بالماء . وتتجمع مياه نهر بردى فى ظاهر مدينة دمشق مرة ثانية ثم يصب فى بحيرة العُتَيْبَة (١) على حافة الصحراء الشامية بعد أن يقطع نحو أربعة عشر ميلا . وقد خلط المقدسى — وهو الذى عرف عادة بالدقة والتحقيق — بين بردى وبين نهر الأعْوَج ثم بين بردى وبين أحد أفرع اليرموك ، وقد أدى به ذلك فيما يرجع إلى القول بأن فرعاً من فروع بردى يصب فى نهر الأردن . ومما جعل الوقوع فى هذا الخطأ سهلا أن اسم بانياس يطلق على منبع الأردن كما يطلق على إحدى قنوات نهر بردى : وذكر ياقوت قرية تدعى بردى إلى الشرق من مدينة حلب ، ومن الراجح أن تكون عين قرية بَرَد الموجودة فى جبل سمعان .

المصادر :

(١) ديوان حسان بن ثابت : طبعة هرشفيلد ج ١٣ ، ص ١٠ (٢) ياقوت : المعجم ، ج ١ ، ص ٥٥٦ — ٥٥٨ (٣) المقدسى ، طبعة ده غويه ص ١١٤ (٤) الدمشقى ، طبعة مهرن ، ص ١٩٣ (٥) Kremer [redacted] : A. [redacted] : *Topogr.* *Damaskus* ج ٢ ، ص ٢٨ ، ٣٤ (٦) الكاتب نفسه : *Mélanges de la Faculté orientale* ، بيروت ، ج ٢ ، ص ٣٨٠ (٧) البكرى : المسالك والممالك ، ص ١٤٧ ، ٢٩٩ (٨) P. Geyer : *Itenera Hierosolymitana* ، ص ٢٧٦ .

[لامنس H. Lammens]

+ بَرَدَى : نهر أشار إليه نعمان الأبرص (سفر الملوك الثانى ، الإصحاح الخامس ، آية ١٢) باسم أبانه ، وأطلق عليه الكتاب اليونان واللاتينيون اسم خريسورهواس Chrysorrhoas ، وهو من أهم الأنهار التى تجرى مياهها على مدار السنة على المنحدرات الشرقية للجبال الموازية للبنان ، وقد حدد بردى موقع مدينة دمشق وأتاح الفرصة لازدهار الغوطة .

وهو يدين بوجوده إلى قنن الجبال العالية التى تشرف على الفجوة القائمة بين الزبدانى

---

(١) هكذا فى النص ، ووردت « العتيبة » فى معجم ياقوت ، ج ٢ ، ص ١١٨ ، طبعة محمد أمين الخانجى ، القاهرة ١٣٢٢ . اللجنة

وسرّ غاية . ويقوم عند سفح لهب جبرى يزيد ارتفاعه عن ١٠٠٠ متر نبع مياه معدنية غزير يكوّن بحيرة واسعة على الجانب الغربى من حوض الزبدانى عند سفح جبل الشيخ منصور. والحق إن فيضان المياه من هذه البحيرة هو مصدر نهر بردى ، الذى يسير متعرجاً فوق منحدر سهل الزبدانى الرفيق ويتلقى المياه من كثير من الينابيع فى هذه المنطقة. ويسير نهر بردى فى مجراه هادئاً وادعاً ، ثم ينعطف شرقاً مسايراً تحول الاتجاه الدائرى للشعبة الشرقية من الجبال الموازية للبنان. وعند تكيّة (محطة توليد كهرباء مائية) يبدأ شلاله ، وهنالك يتخذ صورة سيل جارف مخترقاً حلق جبل تكونت جدرانه من كتل ترجع إلى العصرين البيلوسينى والأيوسينى. ويتسع حلق الجبل قليلا عند سوق وادى بردى (أبيلة قديماً) ثم تصب فيه مياه عين فيجة على بعد ٣٠كم من مصبه. وهذا الينبوع الذى يقع على ارتفاع أمتار قليلة فقط فوق مستوى نهر بردى يكاد يضاعف حجم النهر ، وهو نبع لا تنضب مياهه، فهى تتدفق منه بغزارة وانتظام دقيق وتسيل على الحجر الجيرى الطباشيرى ؛ وفوق الكهف معبد رومانى . وعندما ينخفض الماء يصب النهر خمسة أمتار مكعبة من الماء فى الثانية، ولولا تدفق الماء بهذه الغزارة لجف نهر بردى فى فصل الصيف : ويدفع جانب من مياه هذا النبع فى أنابيب لتزويد دمشق بماء الشرب . وعلى الرغم من أن نهر بردى يجرى متدفقاً نحو دمشق فإن تدخل الإنسان قد كبح جماحه وأخضعه لإرادته . ولولا حذق الإنسان لحفر نهر بردى لنفسه مجرى بطيئاً وسط غور دمشق، ولكان واديه مجرد شريط ضيق من الخضرة وسط سهوب لافحة ، ولانفلت أخيراً من عقاله لتغيب مياهه فى البطائح . وقد حول الإنسان خلال العصور النهر إلى قنوات متعاقبة تنساب مياهها فى مستويات مختلفة موازية لمهد النهر الرئيسى قبل أن تصل إلى مشارف الربوة، وهناك عند سفح جبل قاسيون تتفرق القنوات الست الرئيسية ، ويطلق على كل منها اسم نهر ، وتحمل مياهها ما يروى ظمأ الأرض القاحلة ويحييها، وتحوّل إلى واحة خصيبة منطقة تبلغ مساحتها ما يربى على ٢٥ كم طولا فى ١٥ كم عرضاً فى غور دمشق البازلتى، الملىء بالطين الكلسى الذى يجلبه النهر على هيئة رواسب، وذلك بفضل تفرعه فروعاً متعددة . ولقد ردّ نهر بردى — الذى يروى ما يقرب من ١٠,٠٠٠ هكتار من البساتين والحدائق — الصحراءَ إلى مسافة تبعد ٢٠كم عن الجبال ؛ ووراء الغوطة تكسو المرج نباتات تمتد فى مساحة شاسعة ، وتبدو الأرض من ديسمبر إلى يونية أشبه ببساط سندسى أخضر من المراعى. أما الماء الذى لا تتشربه الأرض بعد ريها فيسيل نحو السهب ، حيث يصبح راكداً فى مستنقعات عُتَيْبَة ، وذلك فى حوض لامنفذ له .

وإذا اتجهنا مع جريان النهر نجد أن القنوات الآتية تخرج من نهر بردى : فى حماة على الضفة اليسرى نجد أن نهر يزيد النبطى الذى أصلحه الخليفة يزيد الأول، يسير حتى يطمّ بمائه نهر ثورا. وفى دُمَّر، على

الضفة اليمنى، نجد أن نهر ميزّاوى يحمل الماء إلى مدينة المزّة وهى سوق تجارية . ثم نجد على الضفة نفسها نهر دَارَنى الذى يمد بمائه كَفْرَسُوس ودَارَيا ثم بعد ذلك على الضفة اليسرى نجد نهر ثورا، ويرجع إلى عهد الآراميين ، وهو يروى ما يقرب من نصف الواحة . وعند مدخل الربوة توجد قناتان فى أهم جزء من المدينة ، وهما تتفرعان إلى قنوات . ويرجع إلى عهد الرومان وقد أصلحه بنو أمية ويغمر المجرى المائى القديم ، ونهر باناس (وهى صيغة أدبية) أوبانياس،وقد شقه الآراميون. ويتحدث أرنولف Arnulf ، حوالى عام ٦٧٠ ، عن اربع قنوات كبرى ، كانت لاتزال موجودة عام ٧٢٤م فى عهد هشام بن عبد الملك ، وهى أنهار يزيد وثورا وباناس وقنوات ، وكانت هذه الأنهار موجودة أيضاً فى القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) فى زمن ابن عساكر . ورسم رحالة من الألمان عام ١٥٧٢م خريطة لدمشق يبدو فيها نهر بردى ممراً مائياً صالحاً للملاحة .

وفى المدينة تمد أنهار قنوات وباناس وبردى نفسه بالماء حمامات ومساجد ونافورات وبيوتاً (أما ماء الشرب فلم يضخ فى أنابيب من عين فيجة إلا منذ عهد قريب) ثم تمضى مرة أخرى إلى الريف . وقد أقيم نظام للرى معجب فى ابتكاره جعل من الممكن إنشاء واحة صناعية فذة فى خصوبتها . وإن القنوات المتعددة المتشعبة من نهر بردى تنسج شبكة محكمة تروى القرى ونبات الغوطة : ويقوم نهر بردى بدور عظيم فى سد العجز فى مياه الأمطار التى لاتسقط بانتظام مما يسد حاجة الناس (نصيب دمشق منها حوالى ٢٠٠م) : وهو يشيع الرطوبة فى الجو ، ويسبب الضباب فى الخريف والربيع . ويجعل حياة النبات والحيوان ممكنة ، ومن ثم تتوفر البيئة المناسبة لحياة الإنسان .

ويشير ياقوت (جـ ١ ، ص ٣٨٩) إلى قرية تحمل اسم بردى فى جبل سمعان : كما يشير (جـ ٣ ، ص ٦٩) إلى قناة تسمى بردى، حفرها فى الرملة الخليفة الأموى سليمان بن عبد الملك .

المصادر :

(١) ابن عساكر : تأريخ مدينة دمشق فى *PAAD* . سنة ١٩٥١ ، ص ١٤٥ — ١٤٨(٢) ياقوت : معجم البلدان ، طبعة بيروت . جـ ١ . ص ٣٧٨ — ٣٧٩ (٣) كرد على : غوطة دمشق فى *PAAD* ، سنة ١٩٥٢ ، ص ١١٤ — ١١٩ (٤) P. Geyer : *Itinera Hierosolumitana* . ص ٢٧٦ (٥) Le Strange : *Palestine under the Moslems*، سنة ١٨٩٠ ، ص ٥٧ — ٥٩ ، ٢٦٥ وما بعدها (٦) Wultzinger & Waltzinger : *Damaskus* ، سنة ١٩٢٤، جـ ٢ ، ص ٣٧ . (٧) R. Dussaud: *Topographie historique de la Syrie*، سنة ١٩٢٧ . ص٢٨٧ وما بعدها (٨) R. Tresse: *Irrigation dans la Ghouta de Damas* ، فى *REI*، سنة ١٩٢٩ ، ص ٤٥٩—٥٣٣ (٩) L.Dubertret . *L'hydrologie ... de la Syrie et du Liban ...* فى *Rev. Géogr . Phys. . Géol. dyn.* سنة ١٩٣٣ .

جـ ٦، ص ٤٣٩ (١٠) J. Sauvaget : *Esquisse d'une histoire de la ville de Damas* فى *REI* ، سنة ١٩٣٤ ، ص ٤٢٧ (١١) R. Thoumin : *Géograohie humaine de la Syrie Centrale* سنة ١٩٣٦ ص ٥٢–٩٠ (١٢) Cl. Le Cœur et M. Ecochard : *Les Bains de Damas* فى *PIED* سنة ١٩٤٢ (١٣) L. Dubertret : *Aperçu de Géographie Physique sur le Liban, l'Anti-Liban et la Damascène* فى *Notes et Mémoires* جـ ١ ، سنة ١٩٤٨ ، ص ١٩١ .

[ن. إليسيف N. Elisséeff] آدم

«بَرَدى» : أو بَرَدان، واسمه كيدنوس Cydnus قديما ، وجيحون فى الوقت الحاضر ، ينبع من كپادوكيا Cappadocia ، وينساب نحو الغرب، ويروى البساتين قرب مرعش وحدائق طرسوس، ويجلب رواسب من الغرين إلى سهل قيليقية المنخفض، ويصب فى البحر على الجانب الغربى من خليج الإسكندرونة . وفى الأزمنة القديمة كانت هناك سفن صغيرة تسير مصعدة فيه حتى تصل إلى طرسوس .

المصادر :

(١) المسعودى : مروج الذهب ، جـ ١ ، ص ٢٦٤ (٢) ياقوت : جـ ١ ، ص ٣٨٩ ، وجـ ٣ ص ٥٢٦ (٣) Le Strange : *Palestine under the Moslems* ، ص ٦٣ ، ٣٧٨ ، ٤١٩ (٤) Cl. Cahen : *La Syrie du Nord* ، ص ١٤٦ — ١٥١ .

[ن . إليسيف Elisséeff] آدم

«بَرْذَعَة» : اسمها فى اللغة الأرمينية پارتاف ، وكانت فيما مضى أكبر مدن القوقاز ، ولكنها الآن قرية ومجموعة من الخرائب على نهر الترثور Terter وعلى مسيرة ١٤ ميلا من التقائه بنهر الكُرّ . وقد شيدت فيها قلعة حصينة فى عهد الملك الساسانى قُبَاذ الأول (٤٨٨ – ٥٣١م) وأخذت تفوق شيئاً فشيئاً مدينة كَوَلك التى يسميها العرب «قَبَلَة» وهى الحاضرة القديمة لأرض أرّان .

وفى سنة ٦٢٨م اضطر أهل برذعة إلى الفرار من مدينتهم هرباً من الخزر ، ثم عادوا إليها بعد أن جلا عنها أعداؤهم . واستولى العرب على برذعة فى خلافة عثمان وهدموها بعد وقت قصير ، ثم أعادوا بناءها فى عهد عبد الملك . وكانت فى خلافة الأمويين والعباسيين مقر معظم ولاة العرب على أرمينية . وأنشأ فيها الحسن بن قحطبة — الذى كان والياً من قبل الخليفة المنصور — بستاناً ظل إلى القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) يسمى باسمه هو وبعض الضياع فى الجهات المجاورة (انظر : البلاذرى ، طبعة ده غويه ، ص ٢١٠) .

ويقول الإصطخرى (طبعة ده غويه ، ص ١٨٢) إن برذعة كانت أكثر من فرسخ فى فرسخ ، وليس ما بين العراق وخراسان بعد الرى وأصفهان مدينة أكبر منها . وكان المسجد الجامع وبيت المال ودار الإمارة فى المدينة نفسها ، أما الأسواق فكانت فى ضواحيها ، وأشهرها بوجه خاص سوق تقام يوم الأحد عند باب الأكراد . وكان بجوار برذعة كثير من بساتين الفاكهة ،

ويصدر منها الحرير إلى خوزستان وفارس ، وكان معظم مبانيها مشيداً بالآجر . أما أعمدة المسجد الجامع فكانت مشيدة بالآجر والخشب .

ووصف ابن الأثير لغارة الروس على مدينة برذعة سنة ٣٣٢هـ (٩٤٣ — ٩٤٤م) مشهور . وقد ورد ذكر ذلك أيضاً عند الكاتب الأرمنى موسى بن كلنكتواچى الذى عاش فى القرن العاشر الميلادى . واضطر الروس إلى الجلاء عن المدينة بعد أن أقاموا بها ستة أشهر لتفشى الطاعون بين جنودهم . ويظهر أن برذعة لم تقم لها قائمة بعد ذلك . ويقول ابن حوقل (طبعة ده غويه ، ص ٢٤١ ، س ١٨) إن هذا راجع إلى «جور السلاطين وتدبير المجانين» . أما المقدسى (طبعة ده غويه ، ص ٣٧٥ ، س ١١) فيصف برذعة بأنها بغداد هذه البلاد ، ولكنه يذكر أن أسوار المدينة كانت لعهده مهدمة ، وأن البلاد المجاورة كانت خراباً بلقعا .

أما فى عهد ياقوت (جـ ١ ، ص ٥٥٩) فكانت برذعة — كما هى الآن — قرية يحيط بها كثير من الخرائب ، ويظهر أن المدينة انتعشت شيئاً ما فى عهد المغول . وهناك برج مرتفع قديم عليه نقوش كثيرة لم تحل رموزها حتى سنة ١٨٦١م عندما كان يقيم هناك دورن B. Dorn ، وهذا البرج شيد فى عهد المغول وما زال باقياً إلى اليوم . وقد استطاع خانيكوف Khanikoff قبل ذلك بثلاثين عاماً أن يقرأ عليه تاريخاً هو سنة ٧٢٢ هـ (١٣٢٢م) وينسب إلى نادر شاه أنه كان السبب فى القضاء على برذعة قضاء تاماً .

المصادر :

(١) J. Marquart : *Eranshahr* ، برلين ، سنة ١٩٠١م (٢) الكاتب نفسه : *Osteuropaeische u. ostas. Streifzuege* ، ليبسك ، سنة ١٩٠٣م ، انظر الفهرس (٣) Le Strange : *The Lands of the Eastern Caliphate* ، كمبردج ، سنة ١٩٠٥م ، ص ١٧٧ وما بعدها (٤) A. Manandian : *Beitraege zur Albanischen Geschichte* ، ليبسك سنة ١٨٩٧م (٥) B. Dorn : *Caspia* ، سانت بطرسبرغ سنة ١٨٧٥م ، انظر الفهرس (٦) الكاتب نفسه : وصف رحلة له فى *Mélanges Asiatiques* ، جـ ٤ ، ص ٤٥٢ وما بعدها (٧) انظر رسم البرج فى *Atlas k putieseshtwiyu B.A.Dorna* ، سانت بطرسبرغ سنة ١٨٩٥م ، اللوحة السادسة .

[بارتولد W. Barthold]

+ **برذعة** : هى پارتاف Partav الأرمينية أو بَرْدة Barda الحديثة ، بلدة جنوب جبال القوقاز ، كانت فيما سبق قصبة أرّان ، وهى ألبانيا القديمة ؛ وتقوم على بعد ١٤ ميلا تقريباً من نهر الكُرّ (على بعد فرسخين أو ثلاثة فراسخ فى قول الجغرافيين العرب ؛ وفى رواية للمسعودى تفتقر إلى الدقة : على بعد ثلاثة أميال (انظر مروج الذهب ، جـ ٢ ، ص ٧٥) على نهر ينسب إليها (المقدسى ، ص ٣٧٥) اسمه الحديث تَرتَر أى الثَرثُور (ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٥٦٠) ؛ ويقول

البلاذرى (ص ١٩٤) إن الملك الساسانى قُباذ (تولى الحكم من عام ٤٨٨ – ٥٣١م) هو الذى شيدها . وتختلف هذه الرواية عما قاله الدمشقى (*Cosmographie* ، طبعة مهرن Mehren ، ص ١٨٩) الذى ينسب تأسيس المدينة إلى شخصية أسطورية تدعى برذعة بن أرميني (؟) ، وهو أقدم من قباذ.وحاول العرب أن يفسروا هذا الاسم بأنه مشتق من الاسم الفارسى برده — دار «مكان الأسرى» ، وهو نسبة إلى الغرض الأصلى الذى وضع من أجله .

وقد استخدمت برذعة فى عهد الساسانيين ثم فى عهد العرب حصناً على الحدود لصد غارات الغزاة من الشمال والغرب : واستولى عليها سلمان ابن ربيعة الباهلى بعد مقاومة قصيرة فى عهد الفتح العربى (البلاذرى ، ص ٢٠١) والراجح أن ذلك حدث قبل عام ٣٢ هـ (٦٥٢ م) ، عندما لحقت الهزيمة بالعرب فى بَلَنْجَر (انظر هذه المادة) . وبعد ذلك كانت ولاية أرّان ، التى تعد برذعة وإقليمها جزءاً منها ، تضم عادة إلى أرمينية ، وأحياناً إلى أرمينية وآذربيجان ، تحت إمرة والٍ واحد .

وفى عهد خلافة عبد الملك أعاد عبد العزيز ابن حاتم (الذهبى : دول الإسلام ، جـ ١ ، ص ٤٠ ، فى حوادث سنة ٨٦ هـ = ٧٠٥ م) تنظيم تحصيناتها وربما قام محمد بن مروان بدعمها بعد ذلك بقليل (انظر البلاذرى ، ص ٢٠٣) . وأصبحت برذعة بعد هذا صالحة تماماً لأن تكون «رأس حربة لسيطرة المسلمين على تلك البقاع وسياستهم فيها » (V. Minorsky) ويتردد اسمها مراراً أثناء الحرب الثانية بين الخزر والعرب ، ثم فى عهد العباسيين من بعد : وكان السكان حتى عهد متأخر يرجع إلى القرن العاشر يتشبثون بالحديث بلهجتهم الأرّانية (الإصطخرى ، ص ١٩٢) .

وعندما كتب الإصطخرى مصنفه حوالى عام ٣٢٠ هـ (٩٣٢ م) كانت برذعة فى أوج ازدهارها، ومع ذلك سرعان ما بدأ يدب فيها الاضمحلال . وكانت تشغل مساحة تمتد عدة أميال طولا وعرضاً فى منطقة خصيبة تتوفر فيها مياه الرى وتضارع فى الحجم الرى وإصبهان . وكانت فى كورة أنْدَراب، التى تبدأ حدودها على بعد ميل أو اثنين من البلدة، حدائق وبساتين تمتد باطراد فى كل اتجاه مسيرة يوم أو أكثر . وكان يوجد فيها بوفرة البندق والكستناء من أجود صنف كما توجد فاكهة محلية تشبه العُنّاب . وكان من منتجات برذعة أيضاً تين فاخر وأقمشة حريرية كانت تصدر إلى خوزستان وفارس . وكانت أشجار التوت التى تتغذى بأوراقها ديدان القز تعد ملكية عامة . ويقول ابن حوقل (انظر ما يلى) إن معظم السكان كانوا يشتركون فى إنتاج الحرير : ومن بين أنواع السمك العديدة التى كان الناس يصيدونها من نهر الكُرّ ، نوع يسمى سَرْماهى أو شُورْماهى (وهى كلمة فارسية = « سمك مملح ») كان يملّح ثم يصدر أيضاً . وكانت بغال برذعة التى تحدث

عنها المقدسي (ص ٣٨٠) تحظى بالتقدير في مناطق تمتد حتى وسط آسية (في سمرقند عام ٤١٦ هـ = ١٠٢٥ م ؛ انظر Barthold : *Turkestan* ، ص ٢٨٣) . وليس من شك في أن هذه البغال وغيرها من السلع مثل الفراء الوارد من الشمال والذي تحدث عنه المسعودي (التنبيه والإشراف ، ص ٦٣) وبذور الفُوَّة وحب الكراوية (حدود العالم ، ص ١٤٣) كانت تعرض للبيع في سوق الأحد (سوق الكُرَكي من الكلمة اليونانية كُرْياكي أي يوم الرب » وهي صدى للدين المسيحي الذي كان يعتنقه السكان فيما سبق) ، التي تقوم في الضواحي خارج باب الأكراد » وكان يغشاها زائرون يأتون حتى من العراق .

وكان بيت المال في برذعة يرجع إلى أيام بني أمية (ابن حوقل) وكان مقره ، فيما جرت به السنة القديمة ، في المسجد الجامع الذي يقوم بجواره قصر الوالي .

وهذا الوصف يصلح أيضاً أساساً لرواية ابن حوقل التي كتبها بعد ذلك بما يقرب من خمسين عاماً ، أي سنة ٣٦٧ هـ (٩٧٧ م) وأهم ما بينهما من خلاف هو أن ابن حوقل يعلم باستيلاء الروس على برذعة واحتلالها عام ٣٣٢ هـ (٩٤٣ م) : ويتحدث ابن الأثير عن هذه الواقعة المشهودة (جـ ٨ ، ص ٣٠٨ — ١٠) ، كما يتحدث عنها ابن مِسكَوَيْه في تفصيل أكثر ، حيث شاهد عيان كما هو واضح (*The Eclipse of the Abbasid Caliphate* طبعة » . ماركوليوث D. S. Margoliouth ، جـ ٥ ص ٦٢—٦٧ ؛ الترجمة الإنكليزية ، جـ ٥ ، ص ٦٧—٧٤ ، التي أعيد طبعها في N. K. Chadwick : *The Beginnings of Russian History* ، كمبردج سنة ١٩٤٦ ، ص ١٣٨ — ١٤٤) . وليس من شك في أن الروس — الذين لم يذكر عددهم ولكنه كان بلا شك يناهز بضعة آلاف على الأقل — قد ظهروا في بحر قزوين من بلاد الخزر على نهر الفولجا بلا ريب ، كما حدث في مناسبات أخرى (انظر D. M. Dunlop : *History of the Jewish Khazars* ، ص ٢٠٩ وما بعدها ؛ ص ٢٣٨ وما بعدها) وركبوا بسفنهم متن نهر الكُرّ » فهزموا قوات المَرْزُبان ابن محمد ، والي آذربيجان المسافري واستولوا على برذعة . واستمر الاحتلال الروسي لها عدة شهور (سنة في رواية ياقوت ، جـ ٢ ، ص ٨٣٤) ، ولم يتزحزحوا عنها إلا بصعوبة بالغة بعد أن حل بهم وباء أفنى عدداً كبيراً منهم .

ويتحدث ابن حوقل عن الآثار السيئة التي نشأت عن غزو الروس ، بيد أنه » كما يتضح الآن من الطبعة الثانية لمصنفه (انظر المصادر) لا يعزو ما أصاب برذعة في زمنه من اضمحلال مشئوم — يتجلى أمره من خبر يقول إنه لم يكن يوجد وقتذاك سوى خمسة من الخبازين في البلدة » بينما كان فيها من قبل ١٢٠٠ خباز — إلى ما ألحقه بها الروس من دمار . وهو يقول إن هذا يرجع إلى » جور السلاطين وتدبير المجانين » (الطبعة الأولى ، ص ٢٤١) وهي عبارات أفاض فيها وفصلها في طبعته الثانية (ص ٣٣٦) باعتبارها

من قبيل التحرشات المالية التى : ابتلعتها هى وأهلها ، كما يرجع إلى « جيرة الكرج » (الطبعة الثانية ، ص ٣٣٧ ، ٣٣٩) ؛ والظاهر أن هذه العبارة الأخيرة إشارة إلى تدخل من ناحية گنجة (جنـزَة) ، وهى التى عرفت من بعد بإليزافتپول Elizavetpol على بعد [illegible] فراسخ فحسب من برذعة (ياقوت ، جـ ١ ، ص ٥٥٩) حيث تولى الحكم بنو شدّاد فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) ؛ وعلى العكس من ذلك نجد أن سوء الحكم وفداحة الضرائب ، وهما من الأمور التى يتحدث عنها ابن حوقل ، يعزوان ولا ريب إلى بنى مسافر الديلم ، الذين لم يرضهم أن يروا برذعة تستعيد مكانتها السابقة على حساب أردَبيل ؛ ولعل برذعة قد انتعشت قليلا إذ أن ملكا من ملوك الأبْخاز شن هجوماً عليها ؛ ويقال إن هذا الهجوم قد أثار السلطان السلجوقى ألب أرسلان ودفعه إلى الأخذ بالثأر واستردادها عام ٤٦١ هـ (١٠٦٧ م) ؛ ولكنها قلما تذكر فى عهد المغول ، ولم يرتفع شأنها أو يكاد فى الفترة الطويلة التى انقضت منذ ذلك عما هى عليه اليوم ، ولم تزد عن مجرد قرية تقوم وسط أطلال .

المصادر :

(١) الإصطخرى ، ص ١٨٢ — ١٨٤ ؛ (٢) ابن حوقل : الطبعة الأولى (ده غويه) ، ص ٢٤٠ — ٢٤١ ؛ الطبعة الثانية (كرامرز Kramers) ، ص ٣٣٦ — ٣٣٩ ؛ (٣) المقدسى ، ص ٣٧٥ ؛ (٤) ياقوت ، جـ ١ ، ص ٥٥٨ — ٥٦١ ، (٥) القزوينى : آثار البلاد ، ص ٣٤٤ ؛ (٦) حدود العالم ، الفهارس . (٧) V. Minorsky : *Studies in Caucasian History* ، لندن سنة ١٩٥٣ ، ص ١٦ — ١٧ ، ٦٥ ، ١٠٤ ، ١١٧ ؛ (٨) D.M. Dunlop : *History of the Jewish Khazars* ، پرنستون سنة ١٩٥٤ ، الفهرس .

آدم [دنلوپ D.M. Dunlop]

« البِرّ » : كلمة قرآنية هى « الصلاح الورع » (انظر ترجمة بلاشير Blachère للقرآن ، جـ ٢ ، ص ١٨٩) ؛ ويجب أن نقرنها بالتقوى (انظر هذه المادة) ونفرّق بينهما حين نحلل « الأحوال » وموقف النفس من الله .

خورشيد [گارديه L. Gardet]

+ « البَرّ » : من أسماء الله الحسنى التسعة والتسعين .

+ « البرّادى » أبو الفضل أبو القاسم بن إبراهيم البرادى الدمّرى ، نسبة إلى دَمّر بجبل نفوسة حيث عاش زمناً ما ، ثم نزل بعد ذلك جربة وتوفى فيها . وما كتب عن حياة البرّادى لا يشتمل على تاريخ ما ، ولكن لما كان من بين أساتذته أبو ساكن عامر الشماخى المتوفى سنة ٧٩٢ هـ (١٣٩٠ م) ، فمن الراجح أنه اشتهر فى أواخر القرن الثامن وأوائل القرن التاسع للهجرة . وأهم مصنفات البرّادى هو كتاب « الجواهر المنتقاة »

وهو ذيل لكتاب « طبقات العلماء » الذى صنفه أبو العباس أحمد السعيد » وقد لخص فى كتابه هذا تاريخ الإسلام من الصدر الأول إلى عهد إمام تاهرت الرستمى الأفلح محمــد الأول ، متبعاً رأى الإباضية . وجعل فى نهاية كتابه فهرساً بأسماء كتب هذه الطائفة » وقد نشر هذا الثبت وترجمه ده موتيلينسكى بعنوان *Les livres Sacres de la secte abadhite* (الجزائر سنة ١٨٧٩ م ، ص ٦ — ٢٠) ؛ وطبع كتاب « الجواهر المنتقاة » على الحجر فى القاهرة سنة ١٣٠٦ للهجرة .

المصادر :

(١) الشماخى : كتاب السير ، طبع فى الآستانة طبعة غير مؤرخة ، ص ٩٧٢ — ٩٧٥ .

(٢) de Motylinski : *Les livres sacres de la secte abadhite* ، ص ٣٣ — ٣٦ .

[رينيه باسيه Rene Basset]

+ **البرادى** ، أبو الفضــل أبو القاسم بن إبراهيم ، عالم إباضى من شمالى إفريقية عاش فى النصف الثانى من القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) . وكان من أهالى دمَّر فى جنوبى بلاد تونس ، وفيها درس على أبى البقاء يعيش الجيرْبى ، ثم انتقل إلى يفرن فى جبل نفوسة لحضور حلقات الدروس التى كان يلقيها الشيخ أبو ساكن عامر الشماخى المتوفى عام ٧٩٢ هـ (١٣٩٠ م) ؛ فلما أتم دروسه أقام فى جربة حيث انصرف عدة سنوات للتعليم ، وكان يعقد حلقات دروسه فى مسجد وادى الزَّبيب . وتوفى فى جربة وترك عدة أبناء أشهرهم كما يقول الشماخى ، هو عبدالله أبو محمد الذى ذاع صيته بخاصة فى علم أصول الفقه ؛

وأهم مصنف للبرادى هو « كتاب الجواهر المنتقاة » (نسخة مطبوعة بالحجر فى القاهرة عام ١٣٠٢ هـ = ١٨٨٥ م) ، وهو تكملة لكتاب طبقات المشايخ للكاتب المغربى أبى العباس أحمد الدرجينى (انظر هذه المادة) ، الذى عاش فى القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) . والكتاب طبقتان ، الأولى تعرض تاريخ العصر الأول للإسلام من وجهة نظر الإباضية ، وهو العصر الذى أغفله الدرجينى » وتضم سير أولئك الرجال النابهين ، الذين لم يذكرهم الدرجينى ؛ والثانية تتناول مصنف الدرجينى بالتمحيص والنقد وتضيف إليه عدداً من الحقائق الجديدة والتعليقات الوجيزة . ويختم الكتاب بقائمة من مصنفات الإباضية ، وقد نشر هذه القائمة وترجمها أ. ده موتيلنسكى A. de Motylinski .

ويرى الشماخى أن البرادى كان أيضاً صاحب رسالة موجهة إلى الشيخ أبى عبد الله محمد بن أحمد الصدغيانى ، يبين فيها نظرياته فى الإيمان ووحدانية الله ، وكذلك كتب شرحاً لكتاب الدعائم لأحمد بن النَّزَّانى وشرحاً لكتاب العدل فى أصول الفقه لأبى يعقوب بن إبراهيم السدْرانى » وليس فى كتاب الشماخى أية إشارة إلى السير العمانيَّة التى نقلها لڤيكى Lewicki (*Handwoerterbuch* ، انظر مادة الإباضية) ، وهى نسخة مخطوطة توجد فى لڤوف Lewow .

المصادر:

(١) الشمّاخى: كتاب السير، طبعة القاهرة سنة ١٣٠١ هـ، ص ٥٧٤ — ٥٧٥ (٢) F. Masqueray: *Chronique d'Abou Zakariya*، الجزائر سنة ١٨٧٨، ص ١٤١ (٣) A. de Motylinski: *Les livres de la secte abadhite, Bibl. du Mzab.*، فى *Bull. de corr. afr.*، جـ ٣، الجزائر سنة ١٨٨٥، ص ٤٣ — ٤٦. (٤) C. Brockelmann، قسم ٢، ص ٣٣٩. (٥) R. Rubinacci: *Notizia di alcuni manoscritti ibaditti esistenti presso l'Istituto Universitario Orientale di Napoli*، فى *AIUON N.S.*، جـ ٣، سنة ١٩٤٩، ص ٤٣٤—٤٣٥ (٦) الكاتب نفسه: *Il "Kitab al-Gawahir" di al-Barradi*، المصدر المذكور، جـ ٤، سنة ١٩٥٢، ص ٩٥—١١٠. (٧) الكاتب نفسه: *Il califfo Abd-al-Malik b. Marwan e gli Ibaditi*، فى المصدر المذكور، جـ ٥، سنة ١٩٥٤، ص ٩٩ — ١٢١. (٨) L. Veccia Vaglieri: *Il conflitto Ali-Mu'awiya e la secessione Kharigita riesaminati alla luce di fonti ibadite*، فى *AIUON, N.S.*، جـ [illegible]، سنة ١٩٥٢، فى مواضع مختلفة. (٩) الكاتب نفسه: *Traduzione di passi riguardanti il conflitto Ali-Mu'awiya e la secessione Kharigita*، فى المصدر المذكور، جـ ٥، سنة ١٩٥٤، ص ١ — ٧٥؛

آدم [ر. روبيناتشى R. Rubinacci]

+ «بِرْزال، بنو»: قبيلة بربرية من مجموعة زناتة ذُكر أنها كانت تعيش فى وادى الزاب الأدنى جنوبى مسيلة فى أوائل القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى). وكان هؤلاء البربر فى صراع مع الخليفة الفاطمى عبيد الله الذى شيد حصن مسيلة ليكون مرقباً عليهم، وقد أيد عبيدُ الله مثيرَ الفتن أبا اليزيد (انظر هذه المادة) وأفسح له صدره إذ لجأ إليه حين تعقبه الخليفة الفاطمى المنصور.

صحيح أن المنصور قد صفح عنهم إلا أنهم اشتركوا فى فتنة والى الزاب جعفر بن الأندلسى (انظر هذه المادة) سنة ٣٦٠ هـ (٩٧١ م). وقد رد الفاطميون بقمع هذه الفتنة فاضطر بنو برزال إلى الفرار، ووجدوا لهم ملجأ فى الأندلس، وهناك أصبحوا فرقة من جنود البربر فى خدمة ملوك بنى أمية. وأيد زعماؤهم حزب ابن أبى عامر عند وفاة الخليفة الحكم الثانى. وقد كوفئ واحد منهم على ذلك فأقيم والياً على قرمونة. وفى فترة الاضطراب الذى وقع فى الأندلس فى بداية القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) أقامت قبيلة برزال دولة صغيرة مستقلة فى قرمونة حاولت أن تقاوم أطماع بنى عبّاد أصحاب إشبيلية. وأجبر بنو برزال آخر الأمر على الخضوع لملك إشبيلية سنة ٤٥٩ هـ (١٠٦٧ م)، واختفوا على أية حال من حيث هم جماعة كما اختفوا من قبل من المغرب سواء بسواء.

المصادر:

(١) اليعقوبى: البلدان، ص ٢١٥. (٢) ابن حوقل، ص ٨٦، ١٠٦. (٣) ابن حزم:

كتاب الأنساب ، طبعة ليفي پروڤنسال ، القاهرة سنة ١٩٤٨ ، ص ٤٦٣ ؛ (٤) البكرى : وصف إفريقية الغربية *Descr. de l'Afr. Sept.* ، طبعة سلان ، الجزائر سنة ١٩١١ ؛ (٥) الإدريسى : المغرب ، ص ٩٩ ؛ (٦) كتاب الاستبصار ، طبعة كريمر ، ڤينا سنة ١٨٥٢ ، ص ٦٠ ؛ (٧) المرّاكُشى : المعجب ، ترجمة ڤانيان ، الجزائر سنة ١٨٩٣ ، ص ٦٣ ، ٨٣ ؛ (٨) ابن عذارى ، ج ١ ، ص ١٩٠ ، ١٩١ (ترجمة ڤانيان ، ص ٢٧٢ ، ٢٧٣) . (٩) ابن الأثير ، ترجمة ڤانيان ، ص ٣٤٥ ؛ (١٠) كتاب مفاخر البربر ، طبعة ليفي پروڤنسال ، الرباط سنة ١٩٣٤ ، ص ٤٤ . (١١) ابن خلدون : العبر ، *Berbères* ، ترجمة ڤانيان ، ج ٣ ، ص ١٨٦ ، ٢٠٣ ، ٢١٠ ، ٢٩١ — ٢٩٣ . (١٢) Dozy : *Hist. des Mus. d'Espagne* ، الطبعة الثانية ، ج ٢ ، ص ٢٠٢ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ؛ ج ٣ ، ص ٢٣١ ؛ (١٣) E. Lévi-Provençal : *Hist. Esp. Mus.* ، الفهرس .

[R.L. Tourneau له تورنو] خورشيد

« البرْزالى » : أبو القاسم بن محمد بن يوسف علَم الدين الشافعى(١) : مؤرخ عربى ولد بإشبيلية فى جمادى الأولى من سنة ٦٦٥ هـ (فبراير سنة ١٢٦٧ م) لأبوين من البربر . ولما أتم عهد التحصيل رحل إلى الشرق وأقام أول الأمر فى حلب سنة ٦٨٥ هـ (١٢٨٦ م) ؛ وبعد أن أدى فريضة الحج سنة ٦٨٨ هـ (١٢٨٩ م) قدم دمشق وأقام فيها، وهناك تولى مشيخة دار الحديث الأشرفية ثم الظاهرية أيضاً سنة ٧١٣ هـ (١٣١٣ م) ، وتولى بعد هذا مشيخة دار الحديث النورية ومشيخة دار الحديث النفيسية .

وبينما كان البرزالى يحج حجته الرابعة توفى عند بئر خُلَيْص بين مكة والمدينة لأربع مضين من ذى الحجة سنة ٧٣٩ هـ (١٤ يونيه سنة ١٣٣٩ م) ؛ وأهم مصنفاته كتابه الموسوم « تاريخ مصر ودمشق أو كتاب الوفيات » (مخطوط فى مكتبة كوپريلى رقم ١٠٤٧) وهو تتمة لتاريخ دمشق الذى وضعه أبو شامة حتى سنة ٧٢٨ هـ (١٣٣٨ م) وقد أتم هذا الكتاب من بعده تلميذه محمد بن الرافعى (انظر هذه المادة) . وكتب البرزالى أيضاً تاريخاً موجزاً للسنوات من ٦٠١ — ٧٣٦ هـ (١٢٠٤ — ١٢٣٥ م) ضمنه تعليقات على الوفيات وملاحظات موجزة عن الحوادث السياسية والأحداث المشهورة سماه « مختصر المائة السابعة» . (انظر Ahlwardt : *Verzeichnis der arab. Hss. der Kgl. Bibliothek. zu Berlin* ، رقم ٩٤٤٨) .

المصادر :

(١) الكتبى : فوات الوفيات ، ج ٢ ، ص ١٣٠ . (٢) السبكى : طبقات الشافعية ، ج٦ ، ص

(١) هو القاسم بن محمد بن يوسف الشيخ الامام علم الدين أبو محمد بن العدل بهاء الدين بن الحافظ زكى الدين البرزالى الاشبيلى (وفاة الوفيات ، ج ٢ ، ص ١٦٢) .
اللجنة

٢٤٦ . (٣) السيوطى : طبقات الحفاظ ، جـ ٢١ ، ص ١٤ ؛ (٤) Wuestenfeld : *Geschichtschreiber der Araber* ، رقم ٤٠٣ ؛ (٥) Brockelmann : *Gesch. d. ar. Lit.* ، جـ ٢ ، ص ٣٦ .

[بروكلمان G. Brockelmann]

+ البرزالى : علم الدين القاسم بن محمد بن يوسف ، ويقال له أيضاً ابن البرزالى : مؤرخ شآمى ومحدث ، ولد فى دمشق فى جمادى الأولى أو الثانية سنة ٦٦٥ (فبراير — أبريل سنة ١٢٦٧) ؛ ويمكن أن تثار مسألة حول مولده فى جمادى الأولى الذى يقال أحياناً إنه حدث سنة ٦٦٣ هـ (١٢٦٥ م) ولكن البرزالى أكد فى وضوح أنه ولد سنة ٦٦٥ هـ ؛ وكان أجداده ينتمون إلى بربر برزال (انظر هذه المادة) ؛ وكان جده الأكبر زكى الدين محمد بن يوسف المولود فى حوالى سنة ٥٧٧ هـ (١١٨١ — ١١٨٢ م) والمتوفى فى حماة سنة ٦٣٦ هـ (١٢٣٩ م) قد استقر فى الشآم فى أوائل القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى). وتفصح النسبة المكملة لزكى الدين ، وهى الإشبيلى ، عن أنه هو نفسه ، أو أحد أجداده ، كان قد أقام مرة فى إشبيلية ، وله مصنف محفوظ فى دمشق (انظر G. Makdisi فى *BSOAS* ، جـ ١٨ ، سنة ١٩٥٦ ، ص ٢٢) ، وله أيضاً نسختان منسوختان بخطه لمجلدين من تاريخ دمشق لابن عساكر ، وهما محفوظتان فى بانكيپور (الفهرس ، جـ ١٢ ، ص ١٤٤ وما بعدها ، الرقمان ٨٠٠ — ٨٠١ ؛ وانظر أيضاً جـ ٥ ، ص ٢٢ ، ٢٣ ، رقم ٤٨١) ؛ وجدّ البرزالى الذى خلفه أبوه فى إمامة مسجد فَلّوس (فُلوس [؟] بحسب النطق الذى بينه J. Sauvaget : *Les monuments historiques de Damas* ، بيروت سنة ١٩٣٢ ، ص ٦٠ ؛ وانظر النُعَيْمى : دارس ، جـ ١ ، ص ٨٦ ، ص ٣٦١) توفى شاباً فى الثالثة والعشرين من عمره سنة ٦٤٣ هـ (١٢٤٥ — ١٢٤٦) تاركاً أبا البرزالى بهاء الدين فى كفالة جده لأمه يتولى تنشئته . وكان بهاء الدين من رجال القضاء عالماً مكتمل المعرفة توفى فى سن الستين سنة ٦٩٩ هـ (١٣٠٠ م ؛ انظر ابن قاضى شهبة : الإعلام فى حوادث سنة ٦٩٩ هـ)

ولما كان البرزالى ينتمى إلى أسرة من العلماء فقد تلقى هو وأخته زينب تعليمه على أبيه وغيره من العلماء المشهورين ، وشاهد ذلك أن ابن تيمية كان يلقى دروسه فى بيته (بانكيپور ، الفهرس ، جـ ٥ ، ص ٢ ، ١٨٠) . وقد بدأ البرزالى وهو فى سن صغيرة جدا ، ولكنه كان ناضج العقل من البكورة فبقى على حبه للعلم طوال حياته ؛ وأتم منهج الدراسات الدينية كله ، وارتحل فى سبيل الدرس إلى مدن أخرى من مدائن الشام وإلى مصر ، وعمل فترة من الزمن شاهداً رسمياً ، ولكنه قضى معظم حياته أستاذاً للحديث فى مدارس دمشق ، وكان منصبه الرئيسى هو التدريس فى النُّورية (وثمة إجازات فى دروسه هناك محفوظة فى بانكيپور ، جـ ٥ ، ص ٢ ، ٥٠ ، ١٩٨) . وأدى البرزالى فريضة الحج عدة مرات ، وتوفى

فى خُلَيْص بالأراضى المقدسة فى ٤ ذى الحجة سنة ٧٣٩هـ (١٣ يونية سنة ١٣٣٩م). وتوفى قبله أولاده ومنهم ولداه محمد وفاطمة وكانا عالمين موهوبين. وكان من تلاميذه وزملائه الكثيرين نخبة من أجل علماء عصره ومنهم الذهبى. وثمة إجماع بين المترجمين له على أنه كان جذاباً عجيب الجاذبية، بهى الطلعة، متواضعاً، جوادا بكتبه وعلمه، قد رزق جمال الخط، وكان لاحد لدأبه على العلم، حائزاً لثقة جميع الأحزاب العلمية حتى أولئك الذين كانوا يبادلونه الخصومة.

وليس بين أيدينا ثبت بكتبه، ولم يطبع بعد كتاب واحد من تلك التى انتهت إلينا. وكثيراً ما يستشهد بتاريخه الكبير الذى ينتهى بحوادث سنة ٧٣٦هـ (١٣٣٥ — ١٣٣٦م)، وقد اختصره وأكمله علماء متأخرون. والظاهر أن عنوانه الحقيقى كان «المقتفى» (انظر السخاوى فى F.Rosenthal: *A. History of Muslim Historiography*، ص٤١٤). ولكن النعيمى: دارس، يشير إلى كتاب عنوانه «المنتقى» [= المستقفى؟] كأنما هو كتاب مختلف عن التاريخ الذى يستشهد به كثيراً). والمقتفى مخطوط محفوظ فى طوب قابى سراى، أحمد الثالث، رقم ٢٩٥١ (المترجمه فى *Revue de l'Institut des Manuscrits arabes*، سنة ١٩٥٦، ص ١٠١). ولم يصل إلينا كتابه الضخم «المعجم» الذى أثنى عليه الثناء الجم كثيراً واستشهد به فى كثير من الأحيان مرجعاً دارساً للتاريخ المعاصر له. وثمة «معجم» صغير لشيوخه الأولين محفوظ فى دمشق (انظر يوسف العش: فهرست مخطوطات دار الكتب الظاهرية، التاريخ، دمشق سنة ١٣٦٦هـ = ١٩٤٧، ص ٢٢٨).

وذكر له ابن طولون: لُمَعات (دمشق سنة ١٣٤٨، ص ٣٥، ٤٣) «معجم البلدان والقرى». وينسب إلى البرزالى كتاب صغير فى التاريخ عمن شهدوا بدراً اعتماداً على خط محفوظ فى دمشق يقال إنه شبيه بخطوط أخرى للبرزالى فى المكتبة الظاهرية (العش: كتابه المذكور، ص ٤٦).

ومن كتبه فى الحديث يذكر «أربعون بلدانية». وثمة مختاران عن «عوالى الحديث» جمعت من شيوخه، و«ثلاثيات من مسند أحمد ابن حنبل» وهى محفوظة فى بانكيبور (الفهرس، ج٥، ص ٢، ١٩٤ وما بعدها، رقم ٤٦٢، ص ٢، رقم ٤٦٢، ٢، ٣، و٦). وله كذلك كتاب فى الفقه فى «الشروط» محفوظ فى القاهرة. على أن البرزالى كان يكتب أكثر مما ينشر، ولذلك ظل الاحتفاظ بكتبه مرهوناً بالحظ. وقد رأى النعيمى (دارس، ج ١، ص ١١٣) أن ما يجدر ذكره أنه عثر على المجلد الأخير من تاريخ البرزالى سنة ٨٩٤هـ (١٤٨٩م).

المصادر:

انظر عن تاريخ الأسرة ما يلى بخاصة: (١) سيرة زكى الدين فى الذهبى: نبلاء، مخطوط عربى فى مكتبة جامعة ييل، رقم L ٥٧١، ج ٢ (فهرس نيموى Nemoy، ١١٧٧) الأوراق ٣٣٠ب—٣٣١ ب.

والسير الآتية جديرة بالذكر: (٢) ابن فضل الله

العمرى : المسالك ، مخطوط عربى فى مكتبة جامعـــة ييل ، رقم ٣٤١ (فهرس نيمُوى ، ١١٨٥) الأوراق ١٧٩ ب — ١٨٢ ب (٣) الحسينى اللمشق : ذيل طبقات الحفاظ ، دمشق سنة ١٣٤٧ ، ص ١٨ — ٢١ (٤) الكتبى : فوات الوفيات ، القاهرة سنة ١٩٥١ ، جـ ٢ ، ص ٢٦٢ — ٢٦٤ (٥) السبكى : طبقات الشافعية ، جـ ٦ ، ص ٢٤٦ (٦) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ١٤ ، ص ١٨٥ (٧) ابن حجر : الدرر ، جـ ٣ ، ص ٢٣٧ — ٢٣٩ (٨) النعيمى : دارس ، دمشق سنة ١٣٦٧ — ١٣٧٠هـ = ١٩٤٨ — ١٩٥١م (٩) بن قاضى شهبة : الإعلام ، مخطوط فى أوكسفورد ، فهرس مارش Marsh رقم ١٤٣ ، فى حوادث سنة ٧٣٩هـ ، جـ ١ ، ص ١١٢ ؛

(١٠) وانظر بعض الكتب التى لم تنشر للذهبى الذى كتب ترجمة للبرزالى على هيئة رسالة (انظر Rosenthal : المصدر المذكور ، ص ٥٢٣ ، وانظر كذلك كتاب « الوافى » للصفدى ، فإن هذه الكتب قد تحتوى أيضاً على معلومات مفيدة) (١١) وانظر أيضاً بروكلمان ، جـ ٢ ، ص ٤٥ ، قسم ٢ ، ص ٣٤ (١٢) G. Vajda : *Les certificats de lecture* ، باريس سنة ١٩٥٧ ، ص ٣٥ ، ٣٦ (١٣) الكاتب نفسه فى *Jour.As.* ، سنة ١٩٥٧ ، ص ١٤٣ — ١٤٦ .

خورشيد [روزنتال F. Rosenthal]

« بَرْزَخ » : كلمة فارسية وعربية معناها حائل أو حاجز أو فاصل (وربما كانت ترادف الكلمة الفارسية « فرسخ » [انظر هذه المادة]) . وردت فى القرآن ثلاث مرات (سورة المؤمنون ، الآية ١٠٢ ؛ سورة الرحمن ، الآية ٢٠ ؛ سورة الفرقان ، الآية ٥٣) . وهى تفسر أحياناً تفسيراً معنوياً وأحياناً تفسيراً حسياً . وتقول الآيتان ٩٩ و ١٠٠ من سورة « المؤمنون » عن الذين ظلموا « حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون ، لعلى أعمل صالحاً فيما تركت ، كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون » . ويشرح الزمخشرى « البرزخ » فى هذه الآية فيقول إنه الحائل ، ويفسره تفسيراً معنوياً بأنه حائل من عند الله (١) . وقد آثر غيره من المفسرين أن يجعلوا لهذه الكلمة مدلولا حسياً فقالوا إن البرزخ هو الحاجز بين الجنة والنار ، أو هو القبر الفاصل بين الدنيا والآخرة . أما الآيتان الأخريان من القرآن اللتان ورد فيهما ذكر البرزخ فهما تتحدثان عن بحرين أحدهما عذب فرات والآخر ملح أجاج وبينهما برزخ يمنع اختلاطهما (٢) . وقد ورد هذا المعنى أيضاً فى سورة

(١) ليس فى عبارة الزمخشرى هذا المعنى ، ونص عبارته (جـ ٣ ، ص ٥٦ من طبعة المكتبة التجارية بمصر) : « ومن ورائهم برزخ : الضمير للجماعة ، أى أمامهم حائل بينهم وبين الرجعة الى يوم البعث ، وليس المعنى أنهم يرجعون يوم البعث، وانما هو اقناط كلى ، لما علم انه لا رجعة يوم البعث الا الى الآخرة » .

(٢) فى سورة الرحمن (الآيتان ١٩ ، ٢٠) : « مرج البحرين يلتقان . بينهما برزخ لا يبغيان » . وفى سورة الفرقان (٥٣) : « وهو الذى مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح اجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا » .

النمل الآية ٦١ وذكر فى هذه الآية كلمة «حاجز» بدلا من كلمة برزخ(١). ويقول المفسرون لهذه الآية إن فيها إشارة إلى مياه شط العرب العذبة التى تتدفق فى البحر المالح مسافة طويلة دون أن تختلط بمائه . والفصل بين الماءين فى هذه الحالة نتيجة لقانون طبيعى وضعه الله .

وفى الكلام عن العالم الآخر تستعمل كلمة برزخ لوصف حدود عالم الكائنات الإنسانية الذى يتألف من السموات والأرض والعوالم السفلى وتميزها عن الله وعن عالم الأرواح . (انظر الصور التى تمثل هذا منشورة فى كتاب «معرفت نامه» تأليف إبراهيم حق ، طبع بولاق سنتى ١٢٥١ هـ ، ١٢٥٥ ؛ وانظر كذلك : Carra de Vaux ؛ R. Eklund : *Fragments d'eschatologie musulmane* ؛ *Life between Death and Resurrection recording to Islam* ، أوبسالا سنة ١٩٤١)

ويستعمل الصوفية أيضاً هذا المصطلح بمعنى الفضاء بين العالم المادى وعالم الأرواح المطهرة ، ومن ثم نشأت بعض ظلال للمعنى (انظر C. E. Wilson : *The Masnawi* ، الكتاب الثانى ، جـ ٢ ، تعليق ٢٠)

ونجد هذه الكلمة مستعملة أيضاً فى الفلسفة المعروفة بالحكمة المشرقية ، وهى تدل فى اصطلاحها على الأجسام أو الجواهر المظلمة ؛ فالبرزخ أو الجسم مظلم بطبعه ، ولا يصبح منيراً إلا بعد أن يتصل

(١) فى سورة النمل (٦١) : «وجعل بين البحرين حاجزا» اللجنة

بنور الروح ؛ والأفلاك السماوية برزخ حىّ ، وعلى عكسها الأجسام التى لاحياة فيها ، فهى برزخ ميت(١) (انظر Carra de Vaux : *La Philosophie illuminative d'après Suhrawardi Meqtoul* فى المجلة الأسيوية ، عدد يناير — فبراير سنة ١٩٠٢).

والمصطلح «برزخ» يؤدى أحياناً بكلمة المطهر قياساً على فكرة المطهر المسيحية ، ولكن هذا ليس دقيقاً . وهو يستعمل أيضاً بمعنى الجحيم (انظر علاوة على ذلك كشاف اصطلاح الفنون ، مادة «برزخ»)

[كارّا ده ڤو B. Carra de Vaux]

«البُرْزَلى»

«البُرْزَلى»، أبوالقاسم بن أحمد بن محمد ابن المعتَل القيروانى : مؤلف عربى ، ذهب إلى القاهرة فى حجه سنة ٨٠٦هـ (١٤٠٣م) ثم أصبح إماماً بالزيتونة ، فمفتيا وواعظاً ومدرساً فى تونس ، وتوفى فى ٢٥ من ذى القعدة سنة ٨٤١هـ (٢٠ من أبريل سنة ١٤٣٨م) وفى روايات أخرى أنه توفى سنة ٨٤٤هـ (١٤٤٠م)، أو ٨٤٢هـ .

(١) قال الراغب الاصفهانى فى المفردات : البرزخ : الحاجز بين الشيئين ، وقيل : أصله برزه ، فعرب . وقوله تعالى « بينهما برزخ لا يبغيان » والبرزخ فى القيامة الحائل بين الانسان وبين بلوغ المنازل الرفيعة فى الآخرة ، وذلك اشارة الى العقبة المذكورة فى قوله عز وجل « فلا اقتحم العقبة » قال تعالى « ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون » وتلك العقبة موانع من أحوال لا يصل اليها الا الصالحون ، وقيل : البرزخ ما بين الموت الى يوم القيامة » . ونحو ذلك فى لسان العرب أيضا فانظره . ونعرف من هذا ان البرزخ فى لغة العرب : الحاجز ، وان كل حاجز يسمى برزخا ، سواء أكان حاجزا حسيا ، أم حاجزا معنويا ، الحسى فى الحسيات ، والمعنوى فى المعنويات.

أحمد محمد شاكر

وقد صنف البرزلى كتاب «جامع مسائل الأحكام مما نزل من القضايا المفتين والحكّام» (انظر فهرس المخطوطات الشرقية بالمتحف البريطانى ، الفهرس العربى الثانى ، رقم ٢٤٤ — ٢٤٦ ، الفهرس العام لمخطوطات المكتبات العامة فى فرنسا ، قسم الجزائر ، جـ١٨ ، بقلم E.Fagnan رقم ١٨٣٣ — ١٨٣٤) .

وربما كان المخطوط رقم ٢٤٧ الموجود بالمتحف البريطانى مشتملا على خلاصة من هذا الكتاب . وفى النصف الثانى من القرن التاسع جمع أحمد حلولو مختارات من المسائل الواردة فى كتاب البرزلى . ويشتمل مخطوط الجزائر ، رقم ١٣٣٧ ، على مختارات صاحبها غير معروف ، ويرجع تاريخها إلى سنة ١١٤٩هـ [١٧٣٦م) .

المصادر :

(١) الزركشى : تأريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، تونس سنة ١٢٨٩هـ ، ص ١٢٢ (٢) ابن مريم : البستان ، الجزائر سنة ١٩٠٨م ، ص ١٥٠ (٣) Brockelmann : Gesch. d. ... Lit. جـ ٢ ، ص ٢٤٧ .

[بروكلمان C. Brockelmann]

« بَرْزَنْد » : مدينة شمالى شرق آذربيجان ، ذهب جغرافيو العرب فى القرون الوسطى إلى أنها من أعمال موقان (موغان) . وهو سهل كبير ملىء بالمستنقعات ، بين نهر الرّس فى الشمال وجبال طالش فى الجنوب ، وبحر قزوين فى الشرق . ويزعم كثير منهم أن برزند مكان فى أرمينية (انظر : ياقوت مثلا ، فى كلامه عنها) ويظهر أن هذا راجع إلى الخلط بين برزند وبرزنج وهى مدينة فى جنوبى شرق بردعة .

وكانت برزند على مسيرة ١٤ فرسخاً من أردبيل الجنوبية أو خمسة عشر فرسخاً كما يقول ياقوت ، وهى عبارة عن خمسين أو أربعة وخمسين ميلا ، اتخذها حيدر بن كاوس الأفشين قائد جند المعتصم مقراً لعسكره عندما كان مشتغلا بالقضاء على الفتنة الخطرة التى قام بها بابك زعيم فرقة الخُرَّمِيَّة بين سنتى ٢٢٠—٢٢٢هـ (٨٣٥—٨٣٧م) . وكانت آنئذ مهجورة ثم أعاد بناءها مرة أخرى .

وازدهرت المدينة بعد ذلك ازدهاراً كبيراً . ويقول ابن حوقل فى وصفها إنها مدينة كبيرة . أما المقدسى (٣٧٥هـ = ٩٨٥م) فيثنى على أسواقها العامرة التى كانت تخزن فيها سلع الأقاليم المجاورة المعدة للتصدير : وفى زمن المستوفى (٧٤٠هـ — ١٣٤٠م) كانت برزند قد أصبحت قرية خاملة . وما زال هذا شأنها إلى اليوم ، وهى على خط طول ٣٩° ، وخط عرض ٤٧¾° شرقى گرينوتش .

المصادر :

(١) المكتبة الجغرافية العربية ، طبعة ده غويه ، فى مواضع مختلفة . (٢) ياقوت : معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٥٦٢ . (٣) أبو الفداء ، طبعة پاريس ، ص ٤٠٢ . (٤) البلاذرى : طبعة ده غويه ،

ص ٣٢٩ ؛ (٥) Le Strange : *The Lands of the Eastern Caliphate* سنة ١٩٠٥ ، ص ١٧٥—١٧٦ .
(٦) Weil : *Gesch. der Chalifen* ، جـ ٢ ، ص ٢٩٨ ، هامش ٢ ، وكتبت فيه خطأ بزرند Bezrend .

[شترك M. Streck]

+ برزند : قرية ومدينة (دهستان) فى ناحية (شهرستان) أرْدَبيل ، بولاية كَرْمى ، الواقعة فى الجبال المطلّة على سهل مُغَان إلى الشمال ؛ وقد يعنى الاسم « المكان المرتفع ». وتقوم القرية على خط طول ٤٧°٤٠َ شرقاً تقريباً (گرينوتش) وخط عرض ٣٩°٢٠َ شمالا .

ويخلط عدد من جغرافيي القرون الوسطى بين بَرْزَنْد وبَرْزَنْج القريبة من تفليس (انظر ياقوت ، جـ ١ ، ص ٥٦٢ ؛ حدود العالم ، ص ٤٠٣) ؛ وهذا الخلط بين المدينتين هو وما أبداه المقدسى من ملاحظة فى كتابه (ص ٣٧٨) تتضمن أن برزند كانت سوقاً للأرمن ، تعيننا على أن نفسر السبب الذى حمل عدداً من الجغرافيين (مثل ياقوت) على جعل بَرْزَنْد فى أرمينية .

ولا نجد أية إشارة لهذا المكان قبل عهد الأفشين (انظر هذه المادة) الذى جعل برزند مكاناً من الأمكنة التى اتخذها مقراً لقيادته عام ٢٢٠هـ (٨٣٥م) فى الحملة التى شنها على بَابَكْ (انظر هذه المادة) ؛ وتقول مصادر عدة أن الأفشين أعاد بناء برزند بعد أن وجدها أطلالا خربة (Schwarz ، ص ١٠٩٤) ؛ ولعل بابك كان قد دمرها لأنها كانت موقعاً استراتيجياً على الطريق الرئيسى من أردبيل شمالى مهب مُغَان ، وأصبحت برزند بعد عهد الأفشين بلدة كبيرة بها سوق مزدهر ةمشهورة بالمنسوجات. وربما تكون قد تعرضت للتدمير أثناء غزوات المغول لأن حمد الله مستوفى ، فى كتابه نزهة القلوب (ترجمة G. Le Strange ، ص ٩١) يقول إن البلدة كانت أطلالا خربة فى عهده أى فى منتصف القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) . وأدخلت المنطقة من بعد فى المراعى الخاصة بقبيلة شاه سوان (انظر هذه المادة) وكان ناسها يتحدثون بالتركية الآذرية كما يفعلون اليوم. ويبلغ عدد سكان البلدة فى الوقت الحاضر (سنة ١٩٥٠) حوالى ٣٨٢٠ نسمة ، ويطلق على القرية المركزية اسم قلعهٔ برزند .

المصادر :

(١) P. Schwarz : *Iran im Mittelalter* ، جـ ٨ (سنة ١٩٣٤) ، ص ١٠٩٤—١٠٩٨ حيث ترد إشارات إلى مصادر إسلامية (٢) يضاف إلى هذه كتاب حدود العالم ، ص ١٤٢ ، ٤٠٣ (٣) Le Strange ، ص ١٧٥—١٧٦ (٤) رَزْمارَا : فرهنگ جغرافيا ى إيران جـ ٤ ، طهران سنة ١٩٥٢ ، ص ٨٧ .

آدم [ردن ; فراى R.N. Frye]

« برزونامه » : ملحمة فارسية من الشعر القصصي نظمت على غرار الشاهنامة التي ألفها الفردوسي وتكملة لها « وناظمها غير معروف، ولكن يرجح أن تاريخها يرجع إلى القرن الخامس للهجرة (الحادي عشر الميلادي) أو إلى أوائل القرن السادس (الثاني عشر الميلادي) وهي من القصائد التي تتحدث عن رستم وسجستان وتصف مغامرات برزو بن سهراب وحفيد رستم . ولما كانت هذه القصيدة ليست إلا روايات أخرى لمغامرات سهراب وجهانكير فقد ذهب نولدكه Noeldeke إلى أنها اختراع من الشاعر لايستند إلى القصص الشعبي ، وقد أفاضت برزونامه كثيراً في وصف الحروب ضد الصقالبة ، وهي تمثلهم بالشيطان وتسمي ملكهم « ديو صقلاب » : أما القصة التي تتحدث عن المغنية الطورانية سوسن التي عمدت إلى الحيلة فأسرت كبار الأبطال الإيرانيين ثم أرسلتهم مكبلين بالأغلال إلى أفراسياب ، فقد اعتبرت دائماً قصة مستقلة .

وقد نشر أجزاء من النص « ترنر ماكان » Turner Macan (الشاهنامة ، جـ ٤ « ص٢١٦٦ — ٢٢٩٦) وكوسكارتن (Kosegarten : *Mines de l'Orient* ، جـ ٥ ص٣٠٩) وفولرز (Vullers : *Chrest. Schahnam.* ، ص ٨٧ وما بعدها) .

المصادر :

(١) J. Mohl : *Le Livre des Rois* ، المقدمة ٦٤ وما بعدها (٢) Noeldeke : *Grundr. d. Iran. Philol.* ، جـ ٢ ، ص ٢٠٩ (٣) Ethé : المصدر المذكور ، ص ٢٣٤ (٤) Vittorio Rugarli : *Susen la cantatrice, episodio del Libro di Berzu* في *Giorn della Soc. As. ital* ، جـ ١١ ، ١٨٩٧ وما بعدها .

[إيوار Cl. Huart]

+ « بَرْزُويَه » : اسم عربي أثبته ياقوت علماً على حصن ، يؤثر الكتاب المحدثون أن يطلقوا عليه اسم بورزى Bourzey متبعين في ذلك إشارة إليه وردت في أنا كومنينا Anna Comnena ؛ ويطلق عليه الأهالي اسم قلعة مِرْزَة . ولاتزال أطلال هذه القلعة تقوم على المنحدر الشرقي لجبل العلويين وتشرف على منخفض الغاب المنبطح . ولقد مرت بها أحداث تاريخية مضطربة منذ العصور الهلينية عند ما عرف الناس موقع ليزياس Lysias المنيع : وعندما قام الإمبراطور تزيميسكس Tzimisces عام ٣٦٥هـ (٩٧٥ م) بحملة على سورية انتقلت من يد الحمدانيين إلى يد الروم (البوزنطيين) : واحتلها الصليبيون بعد ذلك ثم أصبحت خير حصون إمارة أنطاكية(ويبدو أن اسم روشفورت Rochefort برز إلى الوجود في هذا الوقت) فقد استردها صلاح الدين عام ٥٨٤هـ (١١٨٨م) : وفقدت أهميتها بسرعة منذ عهد المماليك ولم يعد المؤرخون يشيرون إليها إلا بصفة عابرة .

المصادر :

(١) ياقوت ، جـ ١، ص ٥٦٥ (٢) أبو الفداء: تقويم ، ص ٢٦١ (٣) الدمشقي ، طبعة مهرن Mehren ، ص ٢٠٥ (٤) M. Hartmann : Das Liwa el-Ladkije ، في ZDPV ، مجلد ١٤ ، ص ١٧٤ ، ٢١٢ (٥) M. von Berchem : Inscriptions arabes de Syrie ، ص ٨٢ (٦) الكاتب نفسه Notes sur les croisades في Jour. As. ، سنة ١٩٠٢، جـ ١، ص ٤٣٤ (٧) R. Dussaud : Topographie historique de la Syrie ، باريس سنة ١٩٢٧ ، وبخاصة ص ١٥١ — ١٥٣ (٨) G. Le Strange : Palestine under the Moslems ، لندن سنة ١٨٩٠ ، ص ٤٢١ (٩) M. Canard : Histoire de la dynastie des Hamdanides ، الجزائر سنة ١٩٥١، ص ٢١٥، ٨٤٣ (١٠) Cl. Cahen : La Syrie du Nord ، باريس سنة ١٩٤٠ ، الفهرس (مادة Borzei) (١١) J.Weutersse : Le pays des Alaouites ، تور Tours سنة ١٩٤٠، الفهرس (مادة Bourzey) (١٢) G. Saadé : Le château de Bourzey ، في Annales Archéologique de Syrie ، سنة ١٩٥٦ ، ص ١٣٩ — ٦٢ .

آدم [سوردل — تومين J. Sourdel-Thomine]

+ « بُرْس » واسمها الحديث بِرْس وتسمى أيضاً « بِرْس النمرود » : موضع خرب على مسيرة تسعة أميال في جنوبي غربي مدينة الحلّة على نهر الفرات ، وعلى مسيرة اثني عشر ميلا من الناحية الجنوبية الغربية لمدينة بابل على الشاطئ الشرقي لبحيرة هندية .

وهذا المكان هو مدينة بورسيه Borsippa القديمة التي كانت موجودة في عهد بابل . وآثار هذه المدينة هي أكبر الآثار التي بقيت من عهد بابل، ولهذا ظنها العرب صرح النمرود بن كنعان (انظر ياقوت جـ ١ ، ص ١٣٦) أو صرح بختنصر (انظر ياقوت، جـ ١ ، ص ١٦٥). ولقد ظُن حتى في العصر الحديث أيضاً أن هذه الخرائب آثار برج بابل ، وظل هذا الزعم في ازدياد حتى بعد أن دلل رولنسن H. Rawlinson استناداً إلى النقوش على أنها آثار برج معبد «نبو» الذي كان موجوداً في بورسيه :

وليس من الواضح تماماً أنه كانت توجد مدينة في العهد الإسلامي مكان تلك المدينة القديمة ؛ وإنما يتحدث البلاذري عن أجمة برس (بالسريانية أگمي) لاغير ، وهي الأرض الكثيرة المستنقعات والمحيطة ببحيرات برس التي فتحها عليّ : ويذكر ابن قدامة برس العليا وبرس السفلى ، ويسميهما ابن خرداذبه في جرائد الخراج السَّيْبَيْن والوُقوف، ويقول إنهما من طساسجة أستان بهقباذ الوسطى.

وكان إقليم بابل ، وبخاصة مدينة بورسيه ، مشهوراً حتى في الأزمان القديمة بصناعة النسيج (انظر استرابون Strabo ، جـ ١٧ ، ص ١ ، س ٧) ؛ وظلت هذه الصناعة قائمة في عهد العرب ، وكانت الثياب التي تصنع في برس تسمى البُرْسية كما يقول المسعودي في مروج الذهب (جـ ٦ ،

ص ٣٩) أوالختّرانية نسبة إلى الطسوج الذى كان موجوداً بين برس وبابل والحلة حسب تصحيح هوفان Hoffmann : وينبغى أن تصحح كلمة ترْسيَّة التى وردت فى ياقوت (جـ ١ ، ص ٧٧٣) فتقرأ بُرسية .

المصادر :

(١) ابن خرداذبة ، طبعة دهغويه ، ص ١١ (٢) المسعودى : مروج الذهب ، طبعة باريس، جـ ٦، ص ٥٩ (٣) البلاذرى : كتاب فتوح البلدان، انظر الفهرس (٤) قدامة ، طبعة ده غويه ، ص ٢٣٨ (٥) البكرى ، ص ١٤٩ (٦) ياقوت : معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ١٣٦ ، ٥٦٥ ، جـ ٤ ، ص ٧٧٣ (٧) M. Streck : *Babylonien nach den arabischen Geographen* ، ص٩٦ (٨) A.Berliner : *Beitraege zur Geographie und Ethnographie Babylonien in Talmud und Midras.* ، ص ٢٦ (٩) G.Hoffmann : *Syrische Akten Persischer Maertyrer* ، ص ٢٦ ، ٢٠٦ (١٠) H. Rawlinson : *On the Birs Nimrud or the Great Temple of Borsippa* فى *Journ. of the Royal As. Soc.* ، ص١٧ ، ١٨٦٠م (١١) H. V. Hilprecht : *Explorations in Bible Lands* ص ١٨٢ وما بعدها .

[هرزفلد Ernest Herzfeld]

« بَرْسباى » : الملك الأشرف سيف الدين سلطان مصر . ضُم إلى مماليك السلطان برقوق برياسة المؤيد شيخ (٨١٥ — ٨٢٤ هـ = ١٤١٢ — ١٤٢١ م) والى طرابلس ، ولما توفى المؤيد سجن برسباى ، ولكن السلطان « طَطَر » لم يلبث أن أفرج عنه وأقامه دواداراً وأتابكاً لابنه ، وتوفى ططَر بعد ذلك بوقت قصير بعد أن جعل برسباى وجانى بك الصوفى وصيين على ابنه الذى كان قاصراً فى ذلك الوقت .

ولما عزل برسباى جانى بك وسجنه فى الإسكندرية خلع محمداً ابن السلطان « ططر » واستولى على العرش سنة ٨٢٥ هـ (١٤٢٢ م) واشتهر أول الأمر كل الشهرة لأنه أخرج غير المسلمين من مناصبهم وسن أحكاماً صارمة للباسهم للتمييز بينهم وبين المسلمين . وأبطل برسباى سنّة تقبيل الناس للأرض عند المثول بين يديه ، وفر جانى بك من سجنه بالإسكندرية ، فعاقب برسباى الذين أعانوه على الفرار شر عقاب . ونشبت فتن فى الشام أطفأها بأقصى العنف والقسوة .

ولما قضى برسباى على الفتن ، اعتزم القضاء على القرصان وإخراجهم من جزيرة قبرص التى اتخذوها مركزاً لهم ، وأنفذ إليهم حملتين موفقتين ثم جعل همه كله فى الاستيلاء على الجزيرة استيلاء مستديماً ، فأنزل فيها جيشاً قوياً ، وهزمت جنود مصر جيش الملك يانوس Janus الذى كان قد أنفذ إليهم سنة ٨٣٠ هـ (١٤٢٦ م) ، وأسرت الملك : ولم يجرؤ أسطول قبرص على مهاجمة السفن المصرية لينقذ الملك من أيدى المصريين . وجيء بالملك يانوس إلى القاهرة وحمل على دابة اخترقت به شوارع العاصمة إعلاناً لنصر برسباى ، ثم خلى

من يانوس بعد أن توسط فى الأمر قنصل البندقية على أن يدفع فدية كبيرة وأن يعترف بتبعيته للسلطان . وعقد برسباى أيضاً محالفة سلمية مع فرسان القديس يوحنا فى رودس .

وكان شريف مكة قد أبى الاعتراف بسيادة السلطان برسباى فجرد عليه جيشاً وأكرهه على الخضوع له سنة ٨٢٧ هـ (١٤٢٤ م) ، وألزمه بأداء الجزية كما فعل خليفته بركات وأن يحمل إليه خراج ميناء جدة ، وأحسن معاملة التجار الهنود ليزيد فى إيراد ميناء جدة فخسرت بذلك ميناء عدن خسائر فادحة . وحرم برسباى على التجار المصريين أن يبعثوا إلى جدة بالسلع المصرية أو الأوروبية . وبهذا أكره التجار الهنود على شراء تلك السلع من عماله . وأن يدفعوا فيها أسعاراً حددها بنفسه تحديداً تعسفياً ، وأكره جميع التجار أينما جاءوا على أن يؤدوا عن سلعهم الرسوم الجمركية لمصر . وفرض برسباى أيضاً رسم تصدير على السلع الهندية التى كان يشتريها تجار من الشام أو مصر .

وكان السلطان دائماً شديد الحاجة إلى المال لإسرافه الذى لم يكن له حد ، فحاول الحصول عليه بجميع الوسائل . فكان يغير من وقت إلى آخر سعر الذهب والفضة بما فيه صالحه . وكان يحرم العملة الأجنبية ليستطيع شراءها بثمن بخس ثم يحيلها إلى عملة مصرية ، ومنع استيراد التوابل من الهند . ثم اشتراها رخيصة ليبيعها بربح كبير بعد أن انعدمت المنافسة . ولكن البنادقة لم يرضوا عن احتكاره تجارة التوابل فتظاهروا بأسطولهم وأكرهوا السلطان على عقد معاهدة تجارية أكثر رعاية لمصالحهم ، ولم يبق فى يده إلا احتكار تجارة الفلفل .

ولما ألفى ملكا قشتالة وأرغون أن اعتراضاتهما لا صدى لها عند برسباى أسرا عشرين سفينة من سفن المسلمين . واحتكر برسباى أيضاً صناعة السكر بل احتكر زراعة قصب السكر وقتاً ما . وتزايد إحساس الناس بفداحة الثمن الذى حدده السلطان للسكر لأنهم كانوا يتخذونه دواء للطاعون . وقضى السلطان على التجارة بالركود شيئاً فشيئاً بمنعه بيع المصنوعات الشامية للأفراد ، وكذلك الخشب والحبوب ، وقيد تجارة الماشية فانتشرت المجاعة حتى فى سنوات الرخاء . وكادت تخلو نواح كثيرة فى مصر من السكان للأنانية التى اتصف بها حكم برسباى من ناحية ولانتشار الطاعون من ناحية أخرى .

وأساء المماليك معاملة النساء فحرم السلطان عليهن أن يغادرن بيوتهن فى المواسم (انظر مادة « جقمق ») ، واستولى مفتشو الجيش على خيول الفلاحين ، وفرضت عليهم ضرائب باهظة .

واعتبر السلطان وباء الطاعون الذى خرب البلاد عقاباً من الله ، فاضطهد اليهود والنصارى ومنع النساء من الخروج من منازلهن حتى لا يهملن أداء واجباتهن المنزلية .

وكادت الحروب فى الشام ألا تنقطع أبداً منذ سنة ٨٣٢ هـ (١٤٢٩ م) . وكان شاهرخ

ابن تيمور من وراء هذه الحروب يوجهها ويغذيها بعد أن أغضبه السلطان بسوء لقائه لرسله الذين أوفدهم إلى القاهرة ، ولأنه أبى عليه أن يكون له نصيب فى كسوة الكعبة . فأخذ يمد يد المعونة إلى قَرَايُلُك ، وهو أمير من أمراء القطيع الأبيض . وكان برسباى يشن الحرب عليه باستمرار . واستونفت الخصومة بين السلطان وبين أمراء ذى القدر [دُلْغَادِر] ، وكان جانى بك ، وهو ألد خصومه ، قد ظهر مرة أخرى سنة ٨٣٩ هـ (١٤٣٥ م) ودأب على إثارة نفوس خصوم السلطان عليه . ومع هذا فقد انتصر السلطان آخر الأمر ، وقُتل فى الحرب قَرَايُلُك ، وعقد الصلح بين أمير قرامان الذى كان يحميه السلطان برسباى وبين السلطان مراد العثمانى . وبهذا استطاع برسباى أن يتغلب فى سهولة ويسر على أمراء ذى القدر [دُلْغَادِر] ، وقتل جانى بك بيد واحد من أبناء قرايولك ، وخضع بقية أبنائه للسلطان . على أن برسباى لم يعش بعد ذلك طويلا ، إذ قضى عليه المرض سنة ٨٤٢ هـ (١٤٣٨ م) بعد أن جعل ابنه يوسف خليفة له فى الملك وعين الأمير جقمق وصياً عليه .

المصادر :

(١) المنهل الصافى ، مخطوط بالقاهرة ، ج ١ ، ورقة ١٠٧ أ — ٣١٣ ب . (٢) ابن إياس ، طبعة بولاق فى مواضع مختلفة . (٣) *Geschichte* : Weil *der Chalifen* ، ج ٥ ، ص ١٦٤ — ٢١٤ . (٤) *Mameluke = Slave Dynasty of Egypt*: Muir ص ١٣٧ — ١٤٨ .

[M. Sobernheim سوبرنهيم]

« بُرْسُق » (معناه الغُرَيْر(١) فى اللغة التركية الشرقية) : لقب صاحب السلطان طغرل بك السلجوقى ورفيقه ، ولى أول الأمر شِحنة بغداد بعد حريقها الذى حدث عام ٤٥١ هـ (١٠٥٩ م) ثم تولى قيادة فرقة من طليعة الجيش الذى أنفذه ملكشاه إلى حلب عام ٤٧٩ هـ (١٠٨٦ م) ؛ وسار بين يدى جهاز ابنة ملكشاه عند زفافها إلى الخليفة عام ٤٨٠ هـ (١٠٨٧) . وانحاز إلى صف بركياروق فى قتاله مع عمه تتش ، وصحبه بعد هزيمته . ثم سار معه حتى إصفهان عام ٤٨٧ هـ (١٠٩٤ م) وخر برسق صريعاً إثر طعنة من يد رجل من الإسماعيلية فى رمضان سنة ٤٩٠ هـ (أغسطس ١٠٩٦) وأعطى برسق خراج تستر وسابور خواست(٢) بين الأهواز وهمذان وهما من أعمال خوزستان ، وورثته ذريته من بعده ، وكانت من القوة بحيث استطاعت القبض على الثائر منكبرس (ابن الأثير ، ج ١٠ ، ص ٢٧٤) وبعثت به إلى السلطان محمد .

وعلى أثر هذا الحادث استنزلهم السلطان عن إقطاعهم ليعطيهم بدله خراج دِينَوَر وما حولها عام ٤٩٩ هـ (١١٠٦ م) .

وكان ابن برسق ، ويسمى أيضاً بالاسم نفسه ، قد أنفذه بركياروق لقتال إينال قائد جند السلطان محمد الذى كان قد استولى على مدينة الرّى فهزمه عند أسوارها عام ٤٩٧ هـ (١١٠٣ م) ؛ وأصيب

(١) الغرير حيوان من فصيلة السراعيب بين الكلب والسنور (معجم الحيوان لمعلوف ، ص ٢٣) .

(٢) وردت سابرخاست فى المسالك والممالك لابن خرداذبه . اللجنة

برسق بالنقرس فحمل على محفة،وكان هذا سبباً فى انحلال جيوش المسلمين فى الشام عام ٥٠٥هـ (١١١١ — ١١١٢م) ثم عين برسق بعد ذلك قائداً للجيش الذى جنده السلطان محمد لقتال إيلغازى وطغتكين المنتقضين ثم لقتال الصليبيين عام ٥٠٨هـ (١١١٥م) . فعبر الفرات عند الرقة فى آخر هذا العام ثم سار إلى حماة واستولى عليها . ولما ألفى الصليبيين مشغولين بنهب معسكر المسلمين عند أنطاكية أراد مهاجمتهم غير أنه اضطر إلى التقهقر. وتوفى عام ٥١٠هـ (١١١٦ — ١١١٧م) .

وكان برسق رجلا خيّراً ديناً وقد ندم على الهزيمة ، وكان يتجهز للعودة إلى القتال عند ما فجأه الموت .

وانضم حفيده برسق إلى فتنة أمراء الترك الذين انتقضوا على السلطان مسعود بينحازوا إلى صف الخليفة المسترشد عام ٥٢٩هـ (١١٣٥م) وحاولوا أن يتصلوا بالخليفة لهذا الغرض . وتولى برسق قيادة فرقة من ميمنة الجيش فى موقعة دايمرج التى حدثت لعشر خلون من رمضان (٢٤ يونية) وكان أيضاً من الأمراء الذين انتقضوا على مسعود عام ٥٣٠هـ (١١٣٦م) ثم سالموه فى العام التالى .

المصادر :

ابن الأثير ، طبعة تورنبرغ ، جـ ١٠ ، ص ٦ ، ٩٧ ، ١٠٦ ، ١٥١ ، ١٥٩ ، ١٨٥ ، ١٩٦ ، ٢٤٣ ، ٣٢١ ، ٣٤٢ ، ٣٥٦ — ٣٥٨ ؛ جـ ١١ ص ١٤ ، ٢٣ ، ٣٠ .

[كليمان إيوار Cl. Huart]

+ برسق (ومعناه بالتركية الشرقية الغُرَيْر) :من أهم عمال السلاجقة العظام الذين لعب أحفادهم أيضاً دوراً بارزاً فى مستهل القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) . وقد دخل برسق التاريخ على حداثته بوصفه من أكبر الأمراء الذين خدموا طغرل بك ، ذلك أن طغرل بك أعاد النظام إلى بغداد بعد المآسى التى وقعت فى سنتى ٩٥٠ — ٩٥١هـ (١٠٥٨ — ١٠٥٩م) فأقام برسق الشِّحنة الأول فى بغداد .على أن السلطة الحقيقية فى التنظيم السلجوقى السلمى « كانت فى يد « العميد » وهو المدير الإدارى ، وليس من المحقق القول بأنه كان ثمة شِحنة له دوام فى بغداد مدة اثنى عشر عاماً . ومهما يكن من شىء فإن برسق لم يستمر فى منصبه هذا ، ذلك أننا نجده سنة ٤٥٥هـ (١٠٦٣م) حاجبا للسلطان يصحبه (سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ، المكتبة الأهلية، باريس، القسم العربى رقم ١٥٠٦ ، ص ٨٧ وجه) . ثم كلفه السلطان الجديد ألب أرسلان سنة ٤٥٦هـ (١٠٦٤م) بالمضى إلى قَيْل من أقياله ليستخلص منه ماتأخر من الجزية (سبط ابن الجوزى ، ص ٩٩ وجه ؛ ١٠٠ وجه) . ثم يسكت عن ذكر برسق ويلفه الظلام خمسة عشر عاماً دون أن نستطيع أن نتبين السبب فى ذلك . ثم نكتشفه مرة أخرى حوالى سنة ٤٧١هـ (١٠٧٨م) فى ظل ملكشاه ، فقد أنفذ إلى الأناضول لقتال ابنى قُتُلْمِش السلجوقى ، فيستطيع قتل أحدهما وهو منصور ، ولكنه لم يستطع أن يقضى على الآخر وهو سليمان (ابن

العبرى: التاريخ = *Chronography*، ترجمة Budge ، ص ٢٢٧) ؛ وفى سنة ٤٧٩هـ (١٠٨٦م) قاد برسق هو وبوزان طليعة جيش ملكشاه الذى احتل حلب بعد وفاة سليمان. والراجح أنه أنفذ من حلب إلى آسية الصغرى لقتال وريث سليمان فى نيقية، وكان يؤيد هذا الوريث الإمبراطور البوزنطى ألكسيوس كومنينوس بالرغم من الجهود التى بذلها السلطان (Anna Comnena : *Alexiad* ، طبعة بون ، ص ٣٠٢ — ٣١١) . والراجح أنه قد حصل من القسطنطينية فى هذه المناسبة على جزية قدرها ٣٠٠,٠٠٠ دينار، وقد تحدث عنها البُندارى (طبعة هوتسما ، ص ٧٠) . ونظّم برسق بعد ذلك الأعياد التى أقيمت فى بغداد بمناسبة زواج الخليفة من ابنة ملكشاه . فلما توفى السلطان انحاز برسق فى المعارك التى نشبت بين ورثته إلى صف بركياروق ، وخاصة فى مقاومة تُتُش ، وتبع أميره إلى إصفهان ، وهناك وقع فريسة للحشاشين ، وقد ثأر له أبناؤه بالاشتراك بعد ذلك بسنتين (٤٩٠هـ = ١٠٩١م) فى مقتل «مستوفى» بركياروق الشيعى ، مجد الملك البلاسانى ، إذ شكوا فى أن يكون هو المحرض على قتل برسق وغيره .

وقد ظهر أبناء برسق بصفة عامة (زنغى وآقبورى ، وإيلبكى وبرسق) جماعة مترابطة من أسرة واحدة ظلت مخلصة لبركياروق ما دام بقيد الحياة . على أنهم كانوا بطبيعة الحال أكثر استقرارا فى إقطاعهم ولاية الأهواز التى اعترف بأنها ، هى وتستر أهم مدنها ، إقطاع متوارث شرعاً أو استحواذاً . وقد عاون برسق بركياروق فى استرداد الرى من أخيه . والراجح أن هذا هو السبب فى أننا نجد زنغى محبوساً على يد السلطان الجديد إذ كان بركياروق قد توفى وخلفه محمد ، ولكن الأسرة وجدت وسيلة لاسترضاء محمد برفضها اتباع المنتقض منكوبرس وفضح سره للسلطان . وأطلق سراح زنغى بعد أن كان مستهدفاً للقتل ، وطلب السلطان من بنى برسق أن يعيدوا إقطاعهم ، ولكنه عوضهم عنه بدينور . ثم إن هذا التعويض نفسه كان فيما يظهر موقوتاً ، ذلك أننا نجد بنى برسق بعد ذلك مستحوذين على تستر مرة أخرى . وفى هذه الأثناء ولّى محمد برسق ابن برسق أمر ولاية همذان من حواضر الإمبراطورية (ابن القلانسى ، طبعة أمدروز Amedroz ، ص ١٧٤) .

واستتب الأمر للسلطان محمد استتباباً ، فسعى إلى تدبير الحرب مع الفرنجة فى الشام . وكان برسق بن برسق من أهم المشتركين فى هذه الحملة سنة ٥٠٥هـ (١١١١م) ، وهى الحملة التى فشلت بسبب المشاحنات بين الرؤساء والحسد الذى كان يضمره الأمراء الشآميون للمشارقة ، ثم إن برسق كان مريضاً طول الوقت تقريباً . على أنه تلقى الأمر بقيادة حملة سنة ٥٠٩ هـ (١١١٥ م) . على أن الظروف فى هذه المرة أيضاً كانت عسيرة ، ذلك أن إيلغازى الرئيس الأكبر لتركمان ديار بكر ، وطغتكين أمير دمشق ، ولؤلؤاً نائب السلطنة فى

حلب ، كانوا قد تحالفوا مع الفرنجة عليه .
وحاول برسق أن يعزل جيش المتحالفين معتمداً على قواعد مثل حمص،وكان أميرها صديقه،وحماه التى كان قد غزاها : ولم ينجح برسق إلا فى القيام باتصالات ، والانسحاب ، والعودة . ثم اكتسح آخر الأمر عند دانيث إلى الشرق من نهر العاصى على يد روجر أمير أنطاكية .

وكان برسق يتأهب للانتقام حين أدركته المنية ، شأنه شأن أخيه زنكى ، سنة ٥١٠ هـ (١١١٦ م) : وقد كان موته وموت السلطان محمد بعده بسنتين ، نهاية لتدخل السلطنة سياسياً ضد الفرنجة .

ولم نعد نسمع بعودة آخر الورثة من أبناء برسق يوطدون أقدامهم مرة أخرى فى خوزستان إلا عندما دب الشقاق بين السلاجقة : فقد ظهر آقبورى وبعض أبناء زنكى وإيلبكى فى الجيش الذى أنفذه السلطان محمود لقتال عمه سنجر ، وقد اشترك برسق بن برسق فى المشاحنات المتشابكة بالعراق الأدنى . فلما توفى محمود وجدنا الأخوين طغرل وبرسق فى حزب طغرل الذى كان يحمى سنجر ، وحين توفى طغرل وقتذاك انضما إلى حزب داود الذى كان يؤيده الخليفة . على أنهما استطاعا بمرور الوقت أن يسترضيا الغازى مسعودا (٥٢٩ — ٥٣١ هـ = ١١٣٤ — ١١٣٦ م) . ولسنا نستطيع أن نقول : هل كان واحد منهما هو الذى ذكر ابن طى (فيما نقله عنه ابن الفرات ، ڤينا ، جـ٢، ص ١١٥ ظهر) وفاته باسم حمزة بن برسق باعتباره أميراً لتستر سنة ٥٣٣ هـ (١١٣٩ م) .

ومهما يكن من شئ ، فإن هذا آخر ذكر لفرد من أفراد الأسرة الذين لا نصادف بعد ورثتها بين أقيال سادة خوزستان من بعد .

وقد بدأ آق سنقر البرسقى (انظر هذه المادة) حياته العملية عاملا لبرسق الأول .

المصادر :

علاوة على المصادر التى ذكرت فى صلب المادة انظر : (١) ابن الأثير : الكامل ، جـ ١٠ ، ١١ ، الفهرس . (٢) عماد الدين الأصفهانى فى رواية البندارى (Houtsma : *Recueil* جـ ٢ ، الفهرس) : (٣) الراوندى : راحة الصدور ، طبعة محمد إقبال ، الفهرس : أما عن الحملات الشآمية فقد بسط كاهن المصادر فى (٤) Cl. Cahen : *La Syrie du Nord etc.* ، ص ٢٥١ — ٢٥٣ ، ٢٧١ — ٢٧٤ . (٥) وانظر أيضاً Grousset : *Histoire des Croisades* ، جـ١ ، ص٤٦٣ وما بعدها، ٤٩٥ وما بعدها .

خورشيد [كاهن Cl. Cahen]

+ « البُرْسُقِى » : (انظر مادة « أقسنقر ») ؛

« بَرْشَلُونَة » وبالأسپانية Barcelona : أطلق الاسم على مدينة برسينو Barcino الأيبيرية القديمة كما أطلق رُوسيُّون Roussillon على مدينة رُسكينو Ruscino فصار علماً عليها » وليس لمدينة برسينو صلة باسم القائد هملكار برِكاس ، إذ هي مدينة ليتانى Laeetani القديمة » فحلت على التدريج محل مدينة ترّاكو Tarraco (طرّكونة) الواقعة إلى الجنوب الغربى منها ؛ وكانت طركونة عاصمة أسپانيا الشمالية الشرقية الرومانية Hispania Tarraconensis » وقد استولى العرب على مدينة برشلونة عام ٧١٣ م أثناء غزوتهم الأولى بقيادة موسى بن نصير » أما اسمها الذى عرفت به عند العرب فهو بَرْشِنُونة ، ولكن جرت الألسنة بتسميتها برشلونة التى أخذ منها اسمها الإفرنجى الحديث برسلونة Barcelona فهذا الاسم يعتبر كأنه مشتق من برشنونة Barcinona فى اللغة اللاتينية المتأخرة ؛

وقد ورد اسم برسلونة Barcilona فى كتاب أوروسيوس Orosius كما ورد بهذا الرسم » Barcelona » فى المصنف الجغرافى المؤلف فى موضوع إقليم رَبِنَّة (١) Rabenna (انظر Huebner فى Pauly-Wissowa) ولم يطلق على هذه المدينة اسم برجلونة إلا قليلا ؛ والنسبة إلى هذه المدينة البرجلونى (٢) وهو اللقب الذى كان يطلق عادة باختصار على ملك أرغون وقطلونية فى الأزمنة المتأخرة (انظر المجلة الأسيوية عام ١٩٠٧ » ج ٢ » ص ٧٩ وما بعدها) » وفى عام ٢٨٥ ه غزا لويس بن شرلمان هذه المدينة بصفته حاكما لإقليم آكويتانيا Aquitaine فصارت عاصمة الأطراف الأسپانية لمملكة الفرنجة ، كما صارت منذ عام ٨٨٨ م عاصمة أشراف برشلونة أو قطلونية المستقلين ؛ وفى عام ٢٤٢ ه (٨٥٦ م) احتل العرب مدينة برشلونة حقبة من الزمن (انظر البيان المغرب ج ٢ ، ص ٩٨) ، ثم فتحها المنصور بن أبى عامر عنوة للمرة الأخيرة عام ٩٨٥ م ؛ ولكن سرعان ما استردها بعد ذلك الكونت بوريل الأول Borell عام ٩٨٧ (انظر Dozy : *Histoire des Musulmans d'Espagne* ج ٣ ، ص ١٩٩) ؛ وفى القرن الثانى عشر (١١٣٧) ألحقت هذه المدينة بمملكة أرغون ؛ ومما يجدر ذكره أن على بن مجاهد العامرى أمير دانية Denia أخضع الأساقفة المستعربين فى الجزر الشرقية أى جزر البليار (انظر هذه المادة) وكذلك أساقفة دانية وأريولة Orihuela إلى كبير أساقفة برشلونة بمقتضى مرسوم أصدره فى عام ٤٥٠ ه الموافق ١٠٥٨م (انظر Simonet : *Historia de los mozarabes de Espana* فى Memoria de la Real Academia de la Historia ج ١٣ ، مدريد عام ١٩٠٥ ، ص ٦٥١ — ٦٥٤ ؛ Campaner : *Bosquejo historico de la dominacion islamica en las islas Baleares* ، پالما ١٨٨٨ ، ص ٨٢ — ٨٤ .

المصادر :

(١) مراصد الاطلاع ، ليدن عام ١٨٥٩ ، ج ٤ ، ص ٣٠٤ (٢) *Diccionario* : Madoz *geogr. estad. hist.* ج ٣ ، ص ٥٨٢ وما بعدها (٣) *Los Condes Barcelona vindicados* : Bofarull برشلونة ١٨٣٦ (٤) Simonet ، ص ٩٢٩ :

[تسيبولد C.F. Seybod]

تعليق على مادة « برشلونة »

(١) إن مدينة Ravenna عند الإيطاليين و Ravenne عند الفرنسيين من مدن إيطاليا فى الإقليم المعروف باسم راڤيناتس Ravennates، وكانت عاصمة الغرب فى عهد عاهلها هنوريوس Honorius (من سنة ٣٩٥ إلى سنة ٤٢٣ بعد الميلاد) ؛ وقد عرف العرب تلك المدينة فى جولاتهم وفتوحاتهم بشبه‌جزيرة إيطاليا فأسموها رَبِنَّة، بفتح فكسر فنون مشددة . وقد ذكرها الشريف الإدريسى فقال فى كتابه « نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق » المطبوع بمدينة رومة العظمى : « وإلى جانب إقليم قرنطارة ... بنصرة وقشتلو وربنة وقمالقة » إلخ، وهذه الأقاليم والمدن الإيطالية هى المعروفة الآن بأسماء : -Carin zia Comacchio و Pesaro و Citta de Castello

(٢) جاء فى بعض الآراء أن پرسينو كانت مستعمرة للفينيقيين وذهب پلنياس Pline إلى أنها كانت مستعمرة للرومان وأنهم كانوا يسمونها فاڤنتيا Paventia . ومما لا مراء فيه أنها كانت بلدة حقيرة الشأن تكاد لا تذكر إذا قيست بثغر طَرَّكو Tarraco المعروف الآن باسم طركونة Tarragone ثم أخـذ نجمها يرتفع شيئاً فشيئاً منذ أوائل القرون الوسطى ؛ وكانت فى سنة ١٢٣ للهجرة (سنة ٧٤٠ للميلاد) عاصمة إحدى الولايات الإسلامية الأندلسية ثم استخلصها من أيدى المسلمين الأمير لويس بن شرلمان وتداولتها بعد ذلك أيدى الأمراء المسيحيين الذين اتخذوها عاصمة لهم حتى سنة ١١٣٧ للميلاد (٥٣٢ للهجرة) ثم ألحقها ملوك أرجون أو أرغن بمملكتهم وجعلوها مقراً لأساطيلهم فعاصمة لملكهم ؛ وكان العرب يسمونها فى ذلك الوقت برشنونة — بنون بدلا من اللام — ويسمون مملكة أرجون كلها بمملكة البرشنونى كما يثبته قول «المعجب فى تلخيص أخبار المغرب» لمحيى الدين المراكشى ، فإنه بعد أن ذكر أسماء أعمال أرجون التى كانت فى قبضة بنى هود أصحاب طرطوشة ثم خرجت منها سرقسطة وأفراغة ولارِدَّة وقلعة أيوب قال : « هذه البلاد كلها اليوم بأيدى الإفرنج يملكها صاحب برشنونة لعنه الله ، وهى البلاد التى تسمى أرغن . وحدّ هذا الاسم آخر مملكة البرشنونى مما يلى بلاد إفرنسة » إلخ ؛ ومن الجائز أن تكون مدينة برشنونة قد عرفت فى وقت ما ببرجلونة — بجيم ولام فى مكان الشين والنون — ولكن هذا الرسم لم يمر بنظرى فيما طالعته من التواليف الباحثة فى تاريخ الأندلس وجغرافيته .

احمد محمد شاكر

«بَرْشَوِيش» : كلمة عربية هي تصحيف للكلمة اليونانية پرسيوس (انظر Vullers: Lexicon Pers. Lat.، وقد ورد رسمها فيه پرْسياوُش) وهي صورة سماوية تسمى برشاوش (انظر القزويني، طبعة ڤستنفلد، ج ١، ص ٣٣؛ Ideler: Untersuchungen ueber den Ursprung und die Bedeutung der Sternnamen، ص ٨٦وما بعدها)؛ وانظر مادة «نجوم».

«بَرْصِيصَا» : قصة برصيصا ترتبط دائماً بالآية ١٦ من سورة الحشر: «كمثل الشيطان إذقال للإنسان اكفر فلما كفر قال إنى برىء منك إنى أخاف الله رب العالمين». ويفسر المفسرون هذه الآية على ثلاثة أوجه: الوجه الأول أن المراد من الإنسان الجنس كله؛ والوجه الثانى أن المراد هو قصة كيف أضل الشيطان أبا جهل إبان غزوة بدر (القرآن، سورة الأنفال، آية ٥٠، ابن هشام، ص ٤٤٤)، والوجه الثالث أن المقصود هو راهب أو متعبد.

وقد أخذ بالوجهين الأولين فقط كل من الزمخشرى المتوفى عام ٥٣٨ هـ (١١٤٣ م) والرازى المتوفى عام ٦٠٦ هـ (١٢٠٩ م، مفاتيح الغيب، جـ ٨، ص ١٣٢، القاهرة عام ١٣٠٨ هـ) والنيسابورى المتوفى عام ٧١٠ هـ (١٣١٠ م) على هامش تفسير الطبرى، وهو يتبع الرازى بدقة، وأبي السعود المتوفى عام ٩٨٢ هـ (١٥٧٤ م) على هامش الرازى (جـ ٨، ص ٢٥٨)؛ ولكن الروايات القديمة الخاصة بالتفسير تفضل الوجه الثالث، وهو يتلخص فى القصة التالية التى وردت فى صيغ مختلفة تتفاوت طولا وقصرا.

كان راهب أو عابد أو قس من بنى إسرائيل أو من غيرهم يعيش فى صومعته، وظل يتعبد فيها ستين سنة، ثم إن الشيطان أراده فأعياه، لكنه وقع آخر الأمر على امرأة قدمت عليه أو أحضرت إليه. واختلفت الروايات فى شأن هذه المرأة، فقيل إنها كانت ترعى الغنم، وقيل إنها كانت ابنة جار له، وقيل إنها كانت أميرة وإنه كان لها ثلاثة أو أربعة إخوة، وتزعم رواية أنها كانت مريضة، وفى رواية أخرى أنه أخذها الجنون فعهد بها إخوتها إلى هذا الراهب. فلما وقع عليها حملت منه فقتلها ليخفى خطيئته ودفنها فى بيته أو تحت شجرة فى قول آخر. وتختلف الروايات فى مدى أفاعيل الشيطان بالراهب. فيذهب بعضها إلى أن الشيطان أجنها ليذهب بها إلى من يشفيها، وتزعم أخرى أن الشيطان زين له أن يقع عليها بعد أن أحضرت إليه. وتقول روايات أخرى إن الشيطان أتى شخصاً فى المنام وكشف له السر عن هذه الخطيئة أو أنه كشفها بوجه آخر. وتحققت الرؤيا بالعثور على الجثة وبالحالة التى وجدت عليها، فأخذ الراهب وحكم عليه بالموت، وعندئذ ظهر الشيطان وقال: إنى أنا الذى زينت لك هذه الفعلة وإنى لمنجيك منها إذا سجدت لى، فسجدله الراهب،

ثم توارى الشيطان مردداً الآية التى ذكرناها فى صدر هذه المادة . وقد أورد الطبرى المتوفى عام ٣١٠ هـ (٩٢٣ م) أربع روايات فى تفسير هذه الآية إحداها عن على والثانية عن ابن مسعود والثالثة عن ابن عباس والرابعة عن طلوس (الطبرى: التفسير، جـ ٢٨، ص ٣١ وما بعدها). إلا أن صاحب كنز العمال (طبعة حيدر آباد . عام ١٣٢١ هـ ، جـ ١ ، ص ٢٦٨ ، رقم ٤٦٦٣) يورد روايات عن هذه القصة أقدم من روايات الطبرى ، فهو يأخذ عن كتاب «الجامع» لعبد الرزّاق بن همام المتوفى عام ٢١١ هـ (٨٢٦ م) و «مسند» إسحاق بن راهويه المتوفى عام ٢٣٣ هـ (٨٤٧ م) وعن كتاب «الزهد» لأحمد بن حنبل المتوفى عام ٢٤١ هـ (٨٥٥م) و «مسند» عبْدبن حُمَيد المتوفى عام ٢٤٩هـ (٨٦٣ م) وتأريخ البخارى المتوفى عام ٢٥٦ هـ (٨٧٠ م) . ويقول صاحب كتاب الكنز إنه جاء بعد الطبرى آخرون رووا هذه القصة وهم : محمد بن إبراهيم المعروف بابن المنذر المتوفى عام ٣١٨ هـ ؟ (٩٣٠ م) وأبو عبد الله محمد المعروف بالحاكم المتوفى عام ٤٠٥ هـ (١٠١٤ م) فى كتابه المستدرك ، وأحمد بن موسى المعروف بابن مردويه المتوفى عام ٤١٦ هـ (١٠٢٥ م) والبيهقى المتوفى عام ٤٥٨ هـ (١٠٦٦ م) فى كتابه «شعَب الإيمان» وقيل فى تعليق على هامش «جامع البيان» لمعين بن صفى (طبع فى دهلى عام ١٢٩٦ م ، ص ٤٦٩) إن البغوى المتوفى عام ٥١٦ هـ (١١٢٢ م) هو أول من قرن اسمَ برْصيصًا بهذه القصة ، ولكن هذا الاسم ورد قبل ذلك فى كتاب «تنبيه الغافلين» لأبى الليث السمرقندى المتوفى عام ٣٧٥ هـ أو ٣٨٣ هـ (٩٣٣م)

ويمكن الرجوع إلى كتاب گولدتسيهر ولاندبرغ *Legende vom moench* : Goldziher - Landberg *Barsisa*) فيما يختص برواية السمرقندى لهذه القصة ؛

وقد نقل هذا الكتاب القصة عن رواية القزوينى (طبعة فستنفلد . جـ ١ ، ص ٣٦٨) والأبشيهى فى كتابه المستطرف (الباب الرابع والستون) ؛ وأشار البيضاوى فى هذا الشأن إلى راهب ما ، أما السيوطى فإنه لا بد أن يكون قد فصّل الكلام عن هذه القصة فى كتابه الدر المنثور ، يدلنا على ذلك تعليق ورد فى هامش جامع البيان . وأضاف السيوطى إلى روايات الطبرى ما نقله عن البيهقى من أن ابن إمامة حكى هذه القصة عن النبى نفسه . والحق إن أكثر الروايات تفصيلا لهذه القصة هى رواية الشربينى المتوفى عام ٩٩٧ فى كتابه «السراج المنير» (جـ ٤ ، ص ٢٤٣ وما بعدها ، طبعة ١٢٩٩ هـ) ؛ وجاء فى هذه الرواية أنها أخذت عن ابن عباس على لسان شخص يدعى عطاء ، ولكنها تختلف اختلافاً بيناً عن صيغة القصة التى ينسبها الطبرى لابن عباس . وهى قريبة جداً من الرواية المفصلة التى أخذها گولدتسيهر ولندبرغ Goldziher-Landberg عن كتاب الأربعين وزيرا (طبعة إستانبول عام ١٣٠٣ هـ ، ص ١٢٠ — ١٢٦) وأضحت هذه القصة جزءاً

ثابتاً من هذا الكتاب فى عام ٨٥٠ هـ (١٤٤٦ م). وتختلف القصة كما وردت فى طبعة إستانبول لكتاب الوزراء الأربعين عن النصوص التى ترجمها كل من ده لا كروا و كب Petis de la Croix et Gibb كما أنها أكثر تفصيلا: وقصة الراهب وردت أيضاً فى كتاب النوادر للقليوبى (طبعة عام ١٣٢٤ هـ، رقم ٥٢، ص ٢٠) وانتقلت إلى أوربا عن طريق الروايات المختلفة لكتاب الأربعين وزيراً وأصبحت آخر الأمر المصدر الذى استقى منه لويس M. G. Lewis كتابه المعروف باسم *Ambrosio or the Monk*، ولكننا لا نعرف إلى الآن المصدر الجاهلى الذى أخذت منه، وقد ذاعت هذه القصة فى جميع البقاع الإسلامية، ووجدها گولدتسيهر ولاندبرغ فى حضرموت، كما لاحظ هارتمان (Hartmann، فى *Der Islamische orient*، جـ ١، ص ٢٣ وما بعدها) أن هذه القصة اصطبغت بالصبغة المحلية فى إقليم حلب. ويروى ابن بطوطة (جـ ١، ص ٢٦) أنه شاهد فى شرق الإسكندرية على الطريق القادم من طرابلس قصر العابد برصيص.

وهناك تفصيلات أخرى فى كتاب شوڤان (Chauvin: *Bibliographie arabe*، جـ ٨، ص ١٢٨ وما بعدها).

[ماكدونالد D.B. Macdonald]

تعليق على مادة «برصيصا»

أولا: أن المفسرين الذين ذكروا قصة برصيصا عن تفسير هذه الآية إنما ذكروها على أنها مثال من مثل إغواء الشيطان للإنسان، لا أن ذلك هو المراد منها وحده: قال العلامة الحافظ ابن كثير فى تفسيره (٨: ٣٠٠ من طبعة المنار): «وقد ذكر بعضهم ههنا قصة لبعض عُبّاد بنى إسرائيل، هى كالمثال لهذا المثل، لا أنها المرادة وحدها بالمثل، بل هى منه مع غيرها من الوقائع المشاكلة لها».

ثانياً: أن ابن هشام ذكر فى السيرة فى هذا الموضع أن حادث يوم بدر كان مرويا على الشك على أنه مع أبى جهل أو مع عمير بن وهب.

ثالثاً: أن المفسرين لم يذكروا أبا جهل فى هذا الموضع على التعيين، وإمامهم الزمخشرى قال: «كمثل الشيطان إذ استغوى الإنسان بكيده ثم تبرأ منه فى العاقبة، والمراد استغواؤه قريشاً يوم بدر وقوله: لا غالب لكم اليوم من الناس وإنى جار لكم. فلم يذكر أبا جهل كما نسبه إليه كاتب المقال، وكذلك من تبعه من المفسرين.

رابعاً: قصة هذا الراهب وردت بألفاظ مختلفة، بعضها مطول وبعضها مختصر، وكلها موقوفة على الصحابة أو التابعين، ليس شىء منها مرفوعاً إلى النبى صلى الله عليه وسلم، إلا رواية ذكرها السهيلى فى كتاب (التعريف والإعلام بما أبهم فى القرآن من الأسماء والأعلام، طبعة مصر سنة ١٣٥٦، ص ١٢٧ — ١٢٨) وإسنادها ضعيف جداً، لأنها من رواية عروة بن عبيد بن رفاعة الزرقى عن النبى صلى الله عليه وسلم، وهذا إسناد مجهول لا قيمة له، لأن عبيد بن رفاعة تابعى، لم يدرك النبى، وأحاديثه عنه مرسلة، فابنه أبعد من

ذلك وأصغر » ثم إن ابن سعد ذكر أولاده فى كتاب الطبقات (ج ٥ ، ص ٢٠٤) ولم يذكر فيهم من يسمى «عروة» . ونقله السيوطى فى الدر المنثور (٦ : ٢٠٠) عن عبيد بن رفاعة عن النبي ونسبه لابن أبي الدنيا وابن مردويه والبيهقى . وهو حديث ضعيف ، لما قلنا من أن عبيد بن رفاعة لم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم ، وكذلك رواه ابن الجوزى فى كتاب تلبيس إبليس مطولا (ص ٢ — ٢٩) وجعله من رواية عروة ابن عامر عن عبيد بن رفاعة .

خامساً : وأكثر أسانيد هذه القصة إلى الصحابة ضعيف إلا إسناد روايتها عن على بن أبي طالب . قال الطبرى فى التفسير (٢٨ : ٣٣) : «حدثنا خلاد بن أسلم قال حدثنا النضر بن شميل قال أخبرنا شعبة عن أبي إسحق قال سمعت عبد الله ابن نهيك قال سمعت عليا رضى الله عنه يقول : إن راهباً تعبد ستين سنة ، وإن الشيطان أراده فأعياه . فعمد إلى امرأة فأجنَّها ، ولها إخوة، فقال لإخوتها : عليكم بهذا القس فيداويها ، فجاءوا بها ، قال : فداواها وكانت عنده ، فبينما هو يوماً عندها إذ أعجبته ، فأتاها فحملت ، فعمد إليها فقتلها فجاء إخوتها ، فقال الشيطان للراهب : أنا صاحبك إنك أعييتنى . أنا صنعت بك هذا فأطعنى أنجك مما صنعت بك، اسجد لى سجدة ! ! فسجد له، فلما سجد له قال : إنى برىء منك إنى أخاف الله رب العالمين ، فذلك قوله : كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إنى برىء منك إنى أخاف الله رب العالمين » . وهذا إسناد جيد ، عبد الله ابن نَهِيك — بفتح النون وكسر الهاء — كوفى . ذكره ابن حبان فى الثقات ؛ ورواها أيضاً الحاكم فى المستدرك (ج ٢ ، ص ٤٨٤—٤٨٥) من طريق عبد الرزاق عن سفيان الثورى عن أبي إسحق عن حميد بن عبد الله السلولى عن على بن أبي طالب ، وقال : «هذا حديث صحيح الإسناد ، ووافقه الحافظ الذهبي . ولم أجد ترجمة لحميد بن عبد الله السلولى هذا .

سادساً : وهذه القصة المختصرة عن على ابن أبي طالب فيها عبرة وعظة . وليست من الأحاديث المسندة إلى النبي صلى الله عليه وسلم . وإنما هى من القصص الذى يحكى على سبيل الاعتبار . ولعلها مما سمع الصحابة من اليهود من أخبار بنى إسرائيل ، مما يسميه علماء المسلمين «الإسرائيليات» فسواء كانت حقيقية أو غير حقيقية فإنها ليست تفسيراً للآية . وإنما هى مثل من المثل . وذكر المفسرين الأقدمين إياها على هذا المعنى ، واستشهاد على وغيره من الصحابة بالآية عقيب القصة على هذا المعنى أيضاً ، ثم تَزَيَّد الرواة الوضاعون الكذابون فى أمثال هذه الحكايات وخرجوا بها عن الحد الذى نقله المتقدمون ، واغتر المفسرون المتأخرون وغيرهم من العلماء فذكروا هذه الروايات المخترعة الباطلة ولم يكونوا يريدون إلا الوعظ والعبرة . وكثير منهم لا يعرف الصحيح من الضعيف ، أو يعرفه ويكتفى بأن رواه بإسناده ، وأن القارئ العام بالأسانيد سيظهر له ضعف الإسناد فلا يظنه صحيحاً ، ثم ازداد

الجهل بالسنة الصحيحة وبأسانيدها فى عامة العلماء فاختلط عليهم الصحيح بالباطل ، إلا من عصم الله ، وآتاه حظه من الرشد ، والتوفيق من الله .

سابعاً : كتاب «جامع البيان» الذى أشار إليه كاتب المقال هو تفسير نفيس لمعين الدين محمد بن عبد الرحمن الصفوى المولود سنة ٨٣٢ والمتوفى سنة ٩٠٥ هجرية وقد طبع فى دهلى قديماً (سنة ١٢٩٦ هجرية) وقد طبع الثلث الأخير من هذا الكتاب سنة ١٣٥٥ بإشرافنا وتصحيح الشيخ محمد حامد الفقى ، وقد ذكر فى (ص ٣٧٥) فى التعليقات المنقولة عن طبعة الهند أن السيوطى فى الدر المنثور نقله عن ابن أبى أمامة مرفوعاً وعزاه للبيهقى ، وهذا شىء لم أجده فى الدر المنثور ، فلا أدرى ممن الخطأ فيه ، ولكنه خطأ بكل حال .

ثامناً : إن تسمية الراهب المنسوب إليه القصة باسم «بَرْصيصَا» لم تذكر فى كتب المتقدمين والروايات الأولى ، ولكنها ذكرت فى كتب المتأخرين كالبغوى فى تفسيره (جـ ٨ ، ص ٣٠٠ — ٣٠٣ من طبعة المنار) ثم من بعده . وقد قال السهيلى فى كتاب التعريف والإعلام (ص ١٢٨) : «ويقال اسم هذا الراهب برصيصا ، ولم يذكر اسمه إسماعيل القاضى ، ولا أنا منه على ثقة» . وقال ابن كثير فى تفسيره (٨ : ٣٠٠) : «واشتهر عند كثير من الناس أن هذا العابد هو برصيصا ، فالله أعلم» .

تاسعاً : نسبة هذه الحكاية على طريقة علمائنا فى تخريج الروايات ، لا على طريقة المستشرقين فى خفاء هذه الطرق عليهم — : أن القصة مروية عن على بن أبى طالب ، كما ذكرناها وذكرنا من رواها ، ورواها أيضاً ابن أبى حاتم من طريق العوفى عن ابن عباس ، ورواها ابن جرير عن ابن مسعود ، ورواها ابن أبى الدنيا فى مكايد الشيطان وابن مردويه والبيهقى فى شعب الإيمان عن عبيد بن رفاعة يبلغ به النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد تكلمنا على هذه الرواية فيما مضى فى (رابعاً) ورواها ابن المنذر والخرائطى فى اعتلال القلوب من طريق عدى بن ثابت عن ابن عباس ، ورواها عبد الرزاق وعبد بن حُميد عن طاوس ؛ وهذه الروايات ملخصة من الدر المنثور للسيوطى (جـ ٦ ، ص ١٩٩ — ٢٠٠) وذكرها أيضاً البغوى مطولة جداً بدون إسناد من طريق عطاء وغيره عن ابن عباس .

عاشراً وأخيراً : لم نجد حاجة إلى ذكر شىء من تفاصيل هذه الحكاية واختلاف الروايات فيها ، فهى أهون من أن يُشتغل بها ، إلا لبيان قيمتها ، والتحذير من ربط الصلة بينها وبين تفسير القرآن .

احمد محمد شاكر

ال «برطاس» (أو برداس ، ويرسمها البكرى فُرْداس) : اسم أمة وثنية فى إقليم الفُلْجا (راجع الكلام عن صلاتهم بجيرانهم فى الشمال والجنوب وهم الخَزَر والبلغار فى مادة «بُلْغار») . ويطلق

المسعودى اسم البرطاس أيضاً على فرع لنهر إتيل أى الفلجا (المروج ، ج ٢ ، ص ١٤ ؛ التنبيه ، ص ٦٢). ويرى ماركار Marquart أن هذا النهر هو نهر سامَرَه Samara (انظر Osteuropaeische und ostasiatische Streifzuege ، ص ٣٣٦) ولم يذكر مصدر ما أنه كان بين هؤلاء القوم مسلمون كما كان بين الخزر والبلغار. أما رواية ياقوت عنهم (ج ١ ، ص٥٧٦) فهى قائمة على سوء فهم ، فإن ما ذكره الإصطخرى (طبعة ده غويه ، ص٢٢٥) عن البلغار قد نسب خطأ إلى البرطاس. وكل ما ورد فى ابن رسته (طبعة ده غويه ، ص ١٤٧ وما بعدها) والبكرى (Izviestia al-Bekri : Kunik &Rosen etc ج ٢ ، ص ٤٤) والگرديزى (Barthold : Otchet a poyezdkie v. Srednyuyu Aziyu ص ٩٦) عن دين البرطاس هو أنه كان كدين الترك الغُزّية وأن فريقاً منهم كان يحرق جثث موتاه وفريقاً آخر كان يواريهم التراب ؛ وكان البرطاس أقل حضارة من جيرانهم إلى درجة كبيرة ، ولم تكن فى أراضيهم سلطة حاكمة حقيقية غير كبار السن من رجال القبائل ؛ وكانت الصلات التجارية بين البرطاس والعالم الإسلامى مهمة فى تجارة الفراء لا غير ، وقد ورد ذكر الفراء البرطاسى عند ياقوت (فى الموضع المذكور آنفاً).

ويقال إن البرطاس هم الفِنّيُّون الذين سماهم الروس باسم «مُرْدوا» (Merdua ، Mordwa مردوا عند Rubruquis) وكانت بلادهم ملاصقة لبلاد الصقالبة على نهر أوكا Oka وتمتد نحو الشمال إلى مسافة بعيدة ، وقد أقام الروس فى تلك الربوع مدينة ترنيج نوفجورود سنة ١٢٢١م. وخضع البرطاس لحكم الروس فى القرن السادس عشر الميلادى ، شأنهم فى ذلك شأن سائر الشعوب التى كانت فى إقليم الفلجا (إتيل) ، وإن كانت الفتن ظلت مشتعلة بينهم حتى القرن الثامن عشر الميلادى. وعلى أية حال فقد ظهر أن البرطاس أكثر استعدادا لاعتناق المسيحية واصطناع الثقافة الروسية من الشعوب الإسلامية أو من أولئك الذين تأثروا بثقافة الإسلام. وقد امتزج عدد كبير من المردوا بالروس امتزاجاً تاماً واستغرقوا فيهم.

[بارتولد W. Barthold]

+ «بُرْغُش» ، وبالأسپانية Burgos : قصبة الإقليم المعروف بالاسم نفسه فى وادٍ على ضفتى نهر أرلانزون Arlanzon ، ويبلغ عدد سكانها ٨٠,٠٠٠ نسمة ، وهى من أهم مدن أسپانيا لما حوته من آثار تدل على ما كان لهذا المكان من شأن فى القرون الوسطى حين كان يعرف باسم كاپوت كاستلاّى Caput Castellae : وقد أعاد تعميرها سنة ٢٦٨هـ (٨٨٢م) الكونت دييگو رودريك Diego Rodriguez ، وهاجمها سنة ٣٠٨هـ (٩٢٠ م) عبد الرحمن الثالث ، ودمرها لتوه سنة ٣٢٢ هـ (٩٣٤م) بعد أن حاصر روميرو الثانى عند أوسمه Osma . وكان فرنان گونزالز المشهور Fernan Conzalez قد أصبح فى وقت متقدم

يرجع إلى سنة ٣٢٨ هـ (٩٣٩ — ٩٤٠ م) كونت برغش ونادى بنفسه حاكما مستقلا فى ليون . وكانت حدوده تمتد حتى قشتالة وأشتوريش Asturias de Santillano وقريزو Cerezo ، ولانترون Lantaron وألبه : وكانت برغش فى آخر عهد عبد الرحمن الثالث تؤدى له الجزية شأنها شأن ليون وپنبلونة ؛ وفى منتصف القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) كانت برغش فى رواية الإدريسى بلداً كبيراً كثير الأسواق تجارته ناشطة . بل كانت مدينة زاهرة . وكان النهر يقسمها قسمين ، كل قسم يحده سور . وكان أغلب السكان فى نصف منها يهوداً : ومن آثارها البيمارستان الملكى وهو معاصر لبيمارستان مراكش الذى كان يغدق عليه فى سماحة الخليفة يعقوب المنصورى الموحدى .

المصادر :

(١) الإدريسى فى Saavedra : Geografia de Espana ، المتن ، ص٦٧ ؛ الترجمة ص ٨١ (٢) E. Lévi-Provençal : Hist. de l'Espagne musulmane ، جـ ٢ ، ص ٤١ ، ٥٣ (٣) Gomez Moreno : Anales catellanos ، ص ١٤ .

[خورثيه ميراندا A. Huici Miranda]

+« بَرْغَش » بن سعيد بن سلطان : سلطان زنجبار ، خلف أخاه مجيداً يوم ٧ أكتوبر سنة ١٨٧٠ ، وظل فى الحكم إلى أن توفى يوم ٢٧مارس سنة ١٨٨٨ : وحاول ، بعد وفاة أبيه عام ١٨٥٦ ، أن يستولى على زمام السلطة ، وكرر المحاولة عام ١٨٥٩ ، ولكنه فشل بسبب تدخل الإنكليز وأرسل إلى بومباى حيث أمضى عامين : ومع أن الإنكليز أيدوه عند جلوسه على العرش فإنه لم يتردد فى مقاومة جهودهم فى سبيل وقف تجارة الرقيق ، لأنه كان يعتمد بعض الاعتماد على حزب مَلْوَة الإباضى ، المناوئ لكل تدخل أوروبى فى هذه الأمور : واضطر برغش عام ١٨٧٣ إلى وقف تجارة العبيد فى جميع الأسواق، وتحريم تصدير الرقيق حتى لوكان ذلك إلى بقاع أخرى من مملكته ، وهنالك دُعِى إلى لندن . وحرم على النخاسين أن ينتقلوا بقوافلهم فى البلاد عام ١٨٧٦ : وشرع لويد ماتيوز Lloyd Mathews عام ١٨٧٧ فى تدريب جنود إفريقيين لفرض هذه السياسة : وحظى الوكيل البريطانى كيرك Kirk بثقة برغش وأصبح أقوى شخصية فى زنجبار حتى غادرها عام ١٨٨٦ : وقد ورث برغش فى داخل البلاد الإفريقية دعاوى عريضة وبعض الهيبة ولكنه لم يرث من القوة إلا القليل . وأدى فشل المفاوضات بينه وبين سير و: ماكينون Sir Wm. Mackinnon عام ١٨٧٧ ، من أجل الحصول على اعتراف بامتداد رقعة البلاد بين الساحل وفكتوريا نيانزا ، إلى القضاء على خير فرصة أتيحت لبرغش لفرض سلطانه فى الداخل . وفى عام ١٨٨١عرض على بريطانيا أن تضمن العرش لأسرته ، وأن تتولى الوصاية على العرش إذا مات وترك ولياً للعهد قاصراً ، وقوبل عرضه بالرفض . وفى عام

١٨٨٤ أبرم الوكيل الألمانى پيترز Peters اثنتى عشرة معاهدة مع زعماء كان برغش يزعم أنهم يخضعون لسلطانه . وكانت بلادهم تقع على طول طريق التجارة المؤدى إلى تابورا Tabora ، وأوجيجى Ujiji . وفى عام ١٨٨٥ وضعتهم ألمانيا هم وسلطان ويتو Witu تحت حمايتها . وقوبل احتجاج برغش بزيارة من خمس سفن حربية ألمانية ، ووجه إليه إنذار نهائى ، ولم يجد تأييداً من البريطانيين فاضطر إلى قبول هذا الوضع ، واجتمعت بعد ذلك لجنة من ممثلين لبريطانيا وألمانيا وفرنسا لتحديد رقعة الأرض التى يُعترف بأن له السلطان عليها . وقبل برغش القرار الذى اتخذوه بعد إلحاح شديد من بريطانيا (ومن شاء مزيداً من التفاصيل فليرجع إلى مادة «بوسعيد») . وهنالك تدهورت صحته ومات فور عودته من زيارة قام بها لعُمان . وكان برغش حاكماً مقتدراً نشيطاً عمل الكثير من أجل زنجبار . فقد أمدها بالماء النقى ونظم استيراد حبوب رخيصة ، وسعى جاهداً لكى يعيد زراعة القرنفل بعد أن أتت عليها عاصفة عام ١٨٧٢ . وكان الأوروبيون المعاصرون له يلقبونه فى كثير من الأحيان بكاره الأجانب ، بيد أنه كان فى موقف عسير كل العسر . وكان أمام بريطانيا عاجزاً لاحول له ولا طول ، ولايستطيع مقاومتها ، وبخاصة بعد انهيار فرنسا عام ١٨٧٠ ، فاضطرته إلى أن ينتهج سياسة مناهضة لتجارة الرقيق ، وهى سياسة مكروهة جداً من رعاياه ، وفى الوقت نفسه لم تقدم له أى تأييد فى نضاله ضد الألمان .

المصادر :

(١) R.N. Lyne : *Zanzibar in Contemporary Times* ، سنة ١٩٠٥ (٢) Emily Ruete ، (وهى شقيقة برغش التى فرت مع ألمانى) : *Memoiren einer arabischen Prinzessin* ، سنة ١٨٨٦ (٣) R.Coupland : *The Exploitation of East Africa* ، سنة ١٩٣٩ ، وفيه إشارات إلى مصادر رسمية بريطانية وإلى الأوراق الخاصة بموظفين بريطانين .

آدم [س بيكر—بكنگهام Becker-Beckingham]

« بَرْغَوَاطة » : اسم كان يطلق فيما سبق على مجموعة من قبائل مصمودة ، وأهمها البرانس وزواغة ومطماطة ومطغرة وبنو بورغ وبنو واغمَّر . وقد استقر هؤلاء غربى مراكش فى ناحية تامسْنا من سلا وآزمور إلى آسفى وأنفا ، وتعرف ناحية تامسنا الآن باسم شاوية .

واعتنقت هذه القبائل آراء الخوارج واشتركت فى حروبها ضد العرب بزعامة ميسرة السقاء الطَنْجى . وكان كبيرهم فى ذلك الوقت هو طريف أبو صالح ، وقد ترك طريف مقاليد الزعامة إلى ابنه صالح الذى كان قد حارب معه فى صفوف الخوارج . وكان صالح هذا قد ذاع فضله وعلمه بين قومه . وفكر صالح فى إيجاد دين جديد يكون مقامه بالنسبة للإسلام كمقام الإسلام بالنسبة لليهودية والنصرانية . وتنسب بعض الروايات التفكير فى هذا الأمر إلى والده طريف . ومهما يكن من شىء فإن صالحاً زعم أنه « صالح

المؤمنين» المذكور فى القرآن (سورة التحريم : الآية الرابعة) وقيل إنه ظهر لأول مرة فى صدر الإسلام، والحق إنه وجد فى عهد الخليفة الأموى هشام بن عبد الملك ، ولوذهبنا إلى أنه وجد عام ١٢٧هـ فلا بد أن يكون ذلك فى عهد مروان الثانى « لأن هشاما توفى عام ١٢٥هـ . ويؤكد بعض خصوم صالح أنه يهودى الأصل ، وأن اسم أبيه الحقيقى هو شمعون بن يعقوب بن إسحق » ويقولون إنه ولد فى برْباط بالقرب من شريش من أعمال الأندلس ، ومن ثم جاء لقب برباطى الذى حرف إلى برغواطى وأطلق على أتباعه . وقد فنَّد ابن خلدون بحق هذه الآراء التى أوردها صاحب كتاب « نظم الجوهر» . وإذا سلمنا بما رواه البكرى عن إمام المصلين زَمّور أبى صالح بن موسى بن هشام (أوهاشم) بن وارْديرَن الذى أوفده أبو منصور عيسى بن أبى الأنصار أمير برغواطة فى شوال من عام ٣٥٢هـ (أكتوبر — نوفمبر ٩٦٣) إلى بلاط الحكم المستنصر خليفة قرطبة فى مهمة فإن صالحاً قد وضع دستوراً للشريعة باللغة البربرية نقله إلى اللغة العربية مسلم من شَلّة يدعى أباموسى ابن عيسى بن داود ، وشرع لأتباعه فيه صوم رجب وصيام يوم معين من كل جمعة ، وفرض لهم خمس صلوات فى اليوم وخمس صلوات فى الليلة » وجعل التضحية فى اليوم الحادى عشر من المحرم بدلا من اليوم العاشر من ذى الحجة ،وفى الوضوء غسل السرة والخاصرتين ثم الاستنجاء ثم المضمضة وغسل الوجه ومسح العنق والقفا وغسل الذراعين من المنكبين » ومسح الرأس ثلاث مرات، ومسح الأذنين كذلك ثم غسل الرجلين من الركبتين، وبعض صلواتهم إيماء بلا سجود وبعضها على كيفية صلاة المسلمين ، وهم يسجدون ثلاث سجدات متصلة ويرفعون جباههم وأيديهم عن الأرض مقدار نصف شبر : وإحرامهم [أن يضع إحدى يديه على الأخرى] ويقول : ا بسم أن ياقوش، تفسيره باسم الله. ثم مُقَّرياقوش، وتفسيره الله أكبر . ويظهر أن كلمة ياقوش ، ومعناها الله ، هى ترجمة للكلمة العربية وهّاب ، وهى صفة من صفات الله » ويذكرنا وجود هذه الكلمة عند الإباضية أيضاً بما كان لصالح من صلة بمذهب الخوارج .

وقد أخطأ بعض العلماء فى ظنهم أن كلمة ياقوش هى باخوس Bacchus أوباكاكس Bacax الواردة فى الكتابات النوميدية ، وضللهم فى هذا اعتمادهم على صيغة من الصيغ التى وردت لهذه الكلمة وهى باقوش (انظر A. de Motylinski : *Le nom berbère de Dieu chez les Abadhites* ، الجزائر سنة ١٩٠٥ ؛ R. Basset فى *Bulletin de la Société archéologique de Sousse* ، ١٩٠٦) ويضعون أيديهم مبسوطة فى الأرض طول ما يتشهدون ويقرءون نصف قرآنهم فى وقوفهم ونصفه فى ركوعهم ، ويصلون صلاة الجمعة يوم الخميس ضحًى بدلا من يوم الجمعة . ويقولون فى تسليمهم بالبربرية : الله فوقنا لم يغب عنه شىء فى الأرض ولا فى السماء ، ثم يقولون: مُقَرياقوش

عشرين مرة(١) وإيحان يا قوش مثل ذلك » ومعناه الواحد الله، ووردام ياقوش مثل ذلك ومعناه ليس كمثله شيء . ويظهر إذن أنه فيما عدا استعمال اللغة البربرية فإن هذا الدين لايختلف عن الإسلام اختلافاً جوهرياً . وقد ألف صالح قرآناً باللغة البربرية » وهو ثمانون سورة أكثرها منسوبة إلى أسماء النبيين» وأولها سورة أيوب التي ذكر البكرى ملخصاً لها » وفيها سورة فرعون ، وسورة قارون، وسورة هامان ، وسورة يأجوج ومأجوج » وسورة الدجال » وسورة العجل » وسورة هاروت وماروت ، وسورة طالوت » وسورة نمرود . وآخرها سورة يونس : وفيها أيضاً سورة الديك، وسورة الحَجَل،وسورة الجراد، وسورة الجمل، وسورة الحنش » وسورة غرائب الدنيا . وتقليد قرآن صالح لقرآن المسلمين أمر ظاهر. وهم يأخذون العشر فى الزكاة من جميع الحبوب » ولا يأخذون من المسلمين شيئاً ولاينكحون للمسلمين ولاينكحون منهم . ويتزوجون من النساء ما استطاعوا مباعلتهن والإنفاق عليهن بلا حد لعدد. ولا يتزوج الواحد منهم من بنات عمه إلى ثلاثة جدود. ويقتل السارق ويرجم الزانى وينفى الكاذب، أما القاتل فيأخذون منه دية قدرها مائة من البقر. وبعض محرماتهم يظهر أنها من آثار عاداتهم القديمة مثل تحريم أكل رأس كل حيوان. وأكل البيض عندهم حرام » وما زال هذا باقياً عند بعض القبائل فى الجزائر وفى الصحراء . وحرموا ذبح الديوك لأنها تؤذن (لاحظ كلمة مؤذن التى مازالت تطلق على الديكة فى اللغة العربية الدارجة) : وهم يعتقدون أن ريق نبيهم يشفى المرضى ، شأنهم فى هذا شأن بعض المرابطة الذين لايزالون يعتقدون هذا الاعتقاد إلى اليوم .

وهناك ظاهرة أخرى تبين وثاقة الصلة بين دين برغواطة وبين الإسلام ، هى أن صالحاً نسب بعض مواعظه إلى موسى وإلى الولى صالح الذى تنبأ بمجيء النبي وإلى ابن عباس ابن عم محمد وجد العباسيين.

وورد فى الأساطير أن صالحاً ارتحل إلى الشرق بعد أن حكم سبعة وأربعين عاماً ، ووعد بأن يعود فى حكم خليفته السابع ،وأوصى ابنه إلياس(أليسع)أن يكتم تعاليمه إلى اللحظة المناسبة التى لايحين أوانها إلا فى عهد حفيده يونس : ومن الصعب أن نأخذ هذه الرواية قضية مسلمة » فإنه فى عهد هذا الأمير إما أن يكون قد بعث تعاليم صالح بعد أن أهملت وإما أن يكون يونس هو صاحب هذه التعاليم بالفعل ، وإن كان قد نسبها إلى جده . وفوق هذا فإن سلسلة الحوادث غير متصلة ، فقد حكم إلياس خمسين عاماً وحكم ابنه يونس الذى نشر التعاليم الجديدة بالحديد والنار أربعة وأربعين عاماً . وحكم ابن أخيه أبو الغُفَيْر أحمد الذى توفى سنة ٣٠٠هـ تسعة وعشرين عاماً : وعلى هذا فإن صالحاً لابد أن يكون قد حكم خمسين عاماً ليملأ الفراغ بين سنة ١٢٧ هـ التى ظهر فيها أولا وسنة ٣٠٠ للهجرة . وقد توفى سنة ٣٤١هـ عبد الله أبو الأنصار الذى دفن فى تامسلاخت بعد أن حكم اثنين وأربعين عاماً .

(١) فى كتاب المسالك والممالك للبكرى « خمسا وعشرين مرة » ، طبعة الجزائر عام ١٨٥٧ ص ١٣٩ .

اللجنة

وكانت خطة برغواطة دائماً الاستنجاد بخلفاء بني أمية في الأندلس ليساعدوهم في كفاحهم ضد القوى الأخرى التي اقتسمت المغرب : وظلوا يحكمون بلادهم مدة طويلة ، وكانت جيوشهم تتألف من رجال القبائل التي تدين بدينهم وكذلك من قبائل البربر المسلمة مثل آزمور وبني يفرن وبني إفلوسة وغيرهم . وقد ذكر مؤرخو العرب الحروب التي شنّها برغواطة على عرب الأندلس وصنهاجة وهم من أشياع الفاطميين ، وعلى بني يفرن ، ويقولون إن برغواطة لقيت هزائم منكرة . وهذا القول قابل للشك لأن برغواطة بقيت مستقلة وظلت خطراً دائماً على دولة المرابطين التي قيل إنها أجلتهم عن بلادهم . وقد هزمت برغواطة جيش عبد الله بن ياسين المشهور الذي قتل في هذه الحرب سنة ٤٥٠ هـ : وبعد ذلك بقرن أي في سنة ٥٤٣ هـ نجد عبد المؤمن مؤسس دولة الموحدين يشن الحرب عليهم ولكنهم هزموه ، بيد أنه انتصر عليهم بعد ذلك ، وتلاشت برغواطة من التاريخ :

المصادر :

(١) البكري : المسالك والممالك ، طبعة دى سلان ، الجزائر عام ١٨٥٧ . ص ١٣٤ — ١٤١ (٢) ابن أبي زرع : روض القرطاس ، طبعة تورنبرغ ص ٤٢ — ٨٤ (٣) ابن عذارى : كتاب البيان ، جـ ا ، ص ٢٣١ — ٢٣٦ (٤) ابن خلدون : كتاب العبر ، طبعة بولاق ، جـ ٦ ، ص ١٢٩ — ٢١٠ (٥) Goldziher : *Materialien zur Kenntniss der almohadenbewegung,* في *Zeitschr. d. Deutsch. Morgenl Gesellsh* جـ ٤١ ، عام ١٨٨٧ ، ص ٩١ — ٩٤ (٦) R. Basset : *Recherches sur la religion des Berbères* ؛ باريس ١٩١٠ ، ص ٤٨ — ٩١ ،

[باسيه René Basset]

+ **برغواطة** : حلف من البربر ، ينتمي إلى جماعة مَصْمُودة ، استقر في ولاية تامَسْنا (انظر هذه المادة) ، الممتدة على طول ساحل المحيط الأطلسي عند مراكش بين سلا Sale وآسفي Safi ، واستمر من القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) إلى القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي)

وكان هذا الحلف من الأحلاف الهامة ، ويقول البكري الجغرافي الأندلسي إنه كان يستطيع أن يدفع إلى ميدان القتال بأكثر من ١٢,٠٠٠ فارس في آن واحد : ويبدو أنه كان قد قام بدور سياسي معين قبل وصول المرابطين (النصف الثاني من القرن الخامس الهجري = الحادي عشر الميلادي) ، ومعلوماتنا عن برغواطة قبل هذا التاريخ تكاد تكون مقصورة على ما رواه الرحالة الشرقي ابن حَوْقَل (النصف الثاني من القرن الرابع = العاشر الميلادي) والجغرافي البكري (النصف الثاني من القرن الخامس الهجري = الحادي عشر الميلادي) . ويكتفي عدة مؤرخين جاءوا بعد البكري بنقل روايته مع تغييرات طفيفة في التفاصيل (انظر المصادر) . ويقول البكري إنه استقى معلوماته من أقوال ، محفوظة في الأندلس فيما يظهر ، أدلى بها مبعوث

لبرغواطة إلى الخليفة الأموى الحكم الثانى ، جاء إلى قرطبة فى مهمة فى شوال عام ٣٥٢ هـ (أكتوبر — نوفمبر سنة ٩٦٣م) . وتوجد بيانات عن الدور الذى قام به حلف برغواطة فى أيام فتح مراكش على يد عبد المؤمن الموحدى ، فى مذكرات البَيْذَق (Doct. inéd. d'Hist. Almohade) وفى تاريخ البربر لابن خلدون (انظر المصادر) . وعلاوة على الأهمية السياسية لحلف برغواطة فإن المنضمين تحت لوائه كانوا يعتنقون ديانة خاصة ، كانت مع ذلك مستمدة من دين الإسلام كما هو واضح ؛ والبكرى هو وحده الذى يزودنا بمعلومات شحيحة عن هذا الموضوع ، أما باقى المؤرخين فيقتصرون على نقل هذه المعلومات ؛ وما من سبيل إلى إنكار أن ظهور حلف برغواطة فى التاريخ يرتبط بفتنة الخارجى ميسرة ، والأهالى المعروفين باسم برغواطة (ويؤكد عدة مؤرخين إخباريين أن هذا لم يكن الاسم المعاصر الذى أطلق عليهم ، ولكنهم لايقدمون دليلا كافياً على قولهم) قد احتضنوا قضية الخوارج ، وإذا صدقنا ما يقوله عدد منهم فإن هؤلاء الأهالى تجمعوا عام ١٢٧ هـ (٧٤٤ — ٧٤٥م) حول شخص يدعى طريف ، تضاربت الآراء كثيراً فى نسبه : فالبعض يقدمه على أنه زعيم من زعماء البربر الزَّنَاتة والزَّوَاغة ، والبعض الآخر يرون أنه من جماعة بربرية فى جنوب الأندلس (بَرْبَاط ، وكان يُظن أن نطقها المحرف بَرْغَوَاط) بل إن بعضهم يرى أنه من أصل يهودى. وجدير بالذكر أن المؤلفين من أنصار أهل السنة يتزعون فى بعض الأحيان إلى أن ينسبوا مثل هذا الأصل إلى أقوى الشخصيات فى الفِرَق المخالفة : مثل عبيد الله المهدى الشيعى (انظر Goldziher: Muh. Stud. ، جـ ١ ، ص ٢٠٤) . ومهما يكن من أمر فليس ثمة من يقول إن طريفاً انحدر من صلب أسرة أقامت فى تامَسْنا فى أزمنة متقدمة . وسواء أكان مروجاً لعقيدة مستمدة من مبادئ الدين الإسلامى المعروفة عند أهل السنة أو الخوارج أم لا ، فليس من شك فى أنه لم يعتنقها فيما يبدو ؛ ولعل ابنه صالحاً قد تبنى العقيدة الجديدة بعد أن عاش ودرس فى الشرق ؛ وإذا سلمنا بصحة تأريخ البكرى ، الذى أتمه ابن خلدون ، فإن صالحاً يكون قد تقلد زمام السلطة حوالى عام ١٣١هـ (٧٤٨ — ٧٤٩م) ونقلها إلى ابنه إلياس (أَلْيَسَع) حوالى عام ١٧٨هـ (٧٩٤—٧٩٥م) . والحق إن يونس بن إلياس إنما هو وحده الذى جاهر باعتناق العقيدة الجديدة ونشرها أثناء حكمه الذى دام ٤٣ عاماً ، من سنة ٢٢٨هـ (٨٤٢—٨٤٣م) إلى سنة ٢٧١هـ (٨٨٤ — ٨٨٥م) ؛ وليس لدينا أى معلومات عن العلاقات التى كانت بلاريب قائمة فى هذه الفترة بين الأدارسة وبين حلف برغواطة، ولم يذكر أحد قيام أى صراع بينهما . ومع ذلك فثمة دليل على نشوب معركة دموية يظن أن أبا غُفَيْل ، ابن أخى يونس وخلفه (٢٧١ — ٣٠٠هـ = ٩١٢ — ٩٤١م) قد انتصر فيها بالقرب من وادى بَهْت ؛ وهكذا يبدو أن حلف برغواطة قد حاول أن يستغل اضمحلال الأدارسة لبسط سلطانه ونشر عقيدته .

والظاهر أن أتباع هذا الحلف كانوا فى منتصف القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) يعدون فى نظر ابن حوقل كفاراً عميل أهل السنة إلى جهادهم من مراكز الرباطات القائمة فى إقليم سلا . وكانوا، فيما يبدو ، ينعمون برخاء اقتصادى ، فقد كانت لهم علاقات تجارية مع فاس وأغمات والسوسة وسجلماسة . وحاولوا أن يقيموا علاقات دبلوماسية مع الخلافة فى قرطبة . ومهما يكن من أمر فإنهم سرعان ما تعرضوا لسلسلة من الهجمات شنها عليهم جعفر الأندلسى وهو من موالى الأمويين ، عام ٣٦٧هـ (٩٧٧ — ٩٧٨م) وبُلُكّين بن زيرى نائب الفاطميين فى إفريقية ، وذلك من عام ٣٦٨هـ إلى عام ٣٧٢هـ (٩٧٨ — ٩٨٣م) وواضح عتيق المنصور بن أبى عامر عام ٣٨٩هـ (٩٩٨ — ٩٩٩م) . وأتاح لهم اضمحلال الخلافة فى قرطبة فرصة يلتقطون فيها أنفاسهم ، بيد أنهم تعرضوا حوالى عام ٤٢٠هـ (١٠٢٩م) لهجمات شنها عليهم أبو الكمال تميم ، زعيم بنى يفرن وتمكن من غزوهم . غير أن وفاته عام ٤٢٤ أمهلتهم حيناً حتى جاء المرابطون عام ٤٥١هـ (١٠٥٩م) . وهُزم أتباع حلف برغواطة هزيمة منكرة وقُضى عليهم تماماً بعد أن أبدوا مقاومة عنيفة كلفت عبد الله بن ياسين ، الزعيم الروحى للفاتحين الجدد ، حياته . ومهما يكن من أمر فإن بعضهم كان لايزال فى تامسّنا عند ما قام عبد المؤمن الموحدى بإخضاع بلاد المغرب بعد فتح مرّاكش عام ٥٤١هـ (١١٤٧م) . وقد احتضنوا قضية العصاة المناوئين للحكم الجديد فأنفذ إليهم أمير الموحدين عدة حملات وظفر بهم أخيراً عام ٥٤٣هـ (١١٤٨ — ١١٤٩م) . ولم يعد للجماعة وجود منذ ذلك التاريخ وأخذ اسمها يختفى شيئاً فشيئاً : ذلك أن ليو الإفريقى Leo Africanus (مستهل القرن العاشر الهجرى = السادس عشر الميلادى) لايشير بعد ذلك إلى اسمها مع أنه يعلم أن تامسّنا كان يسكنها فيما سبق « زنادقة » .

وفى ضوء ما يقدمه لنا البكرى من معلومات تبدو عقيدة هذه الجماعة من البربر تحريفاً لمبادئ الإسلام على مذهب أهل السنة تخالطها أقوال تسللت إليها من مبادئ الشيعة مع التشدد الصارم المأثور عن الخوارج فى مسائل الأخلاق . ويؤكد ابن حوقل أن البرغواطة كانوا يعيشون فى تقشف وأنهم كانوا على خلق كريم : وفضلا عن ذلك فإن التمسك بأداء عدت صلوات (خمس أثناء النهار ومثلها بالليل) والصيام المتكرر ، والتشدد فى فرائض الوضوء وقسوة العقوبات التى تُوقَّع على اللصوص (الموت) ومقترفى الزنا (الرجم) والكذابين (النفى) يمكن أن تعزى إلى صرامة الخوارج . ومن جهة أخرى فإن ما روى عن وعد صالح بالرجعة عند ما يتقلد سابع أمير من برغواطه زمام الحكم وأنه هو المهدى المنتظر الذى سوف يحارب المسيخ الدجال فى نهاية العالم بمعاونة عيسى عليه السلام يمكن أن يعتبر دليلا على تأثر هذه الجماعة بمذهب الشيعة . وإن الصيام فى شهر رجب أو شهر شوال ، وصلاة الجماعة التى

فرضت يوم الخميس ، وتحرم بعض أنواع الطعام (لايجوز تناول لحوم رؤوس الأنعام أوالسمك أوالبيض أوالديكة) ، وأحكام الزواج ليست إلا تحريفاً للشريعة الإسلامية . فقد كان هناك قرآن بلغة البربر يضم ٨٠ سورة تحمل أسماء أنبياء وحيوانات إلخ . ثم إن استمرار الحديث بلغة البربر . والاتجاه الكثير إلى التنجيم والسحر (الشفاء بوساطة استعمال لعاب أفراد من أسرة صالح) ليشهد بأثر البيئة البربرية على عقيدة البرغواطة . ومما يؤسف له أنه لاتوجد بين أيدينا وثائق أصلية عن هذه العقيدة اللهم إلا بضع عبارات كانت تردد عند إقامة الشعائر وبدايات سورة ذكرها البكرى . ومن المستحيل ، فى مثل هذه الظروف ، أن نكوّن فكرة دقيقة عن هذه العقيدة .

المصادر :

(١) ابن حوقل ، جـ ١ ، ص ٨٢ — ٨٣ (ترجمة دە سلان de Slane فى jour. As. سنة ١٨٤٢ ، جـ ١ ، ص ٢٠٩ — ٢١٢) (٢) البكرى : وصف إفريقية والمغرب : Descr. de l'Afr. Sept. طبعة ده سلان de Slane ، الجزائر سنة ١٩١١ ، ص ١٣٤ — ١٤١ (ترجمة الكاتب نفسه ، الجزائر سنة ١٩١٣ ، ص ٢٥٩ — ٢٧١) (٣) Fragments hist. sur les Berb. au Moyene Age ، طبعة ليڤى پروڤنسال Lévi-Provençal ، الرباط سنة ١٩٣٤ ، ص ١٥ ، ١٨ ، ٣٦ ، ٤٧ ، ٥٢ ، ٥٨ ، ٧٤ ، ٧٧ ، ٨٠ (٤) ابن عذارى (ترجمة فانيان Fagnan ، الجزائر سنة ١٩٠١ جـ ١ ، ص ٣٢٤ — ٣٣١) (٥) Doc. inéd. d'hist. almohade ، نشرها وترجمها ليڤى پروڤنسال Levi-Provençal ، پاريس سنة ١٩٢٨ ، ص ١٠٦ — ١٠٧ من المتن ، ص ١٧٦ — ١٧٧ من الترجمة (٦) ابن أبى زرع : روض القرطاس ، نشره وترجمه تورنبرغ Tornberg ، أپسالا سنة ١٨٤٣ — ١٨٤٦ ، ص ٨٢ — ٨٤ من المتن ، ص ١١٢ — ١١٤ من الترجمة (٧) ابن خلدون : تاريخ البربر Hist. des Berb. ، ترجمة ده سلان de Slane ، الجزائر سنة ١٨٥٢ ، جـ ٢ ، ص ١٢٤ — ١٣٣ ، جـ ٣ ، ص ٢٢٢ (٨) Leo Africanus : Descr. de l'Afrique ، ترجمة إپولار Epaulard ، پاريس سنة ١٩٥٦ ، جـ ١ ، ص ١٥٧ — ١٦٢ (٩) G. Marcy : Le Dieu des Abadites et des Bargwata فى Hesp. ، سنة ١٩٣٦ ، ص ٣٣ — ٥٦ (١٠) A. Bel : La religion musulmane en Berbèrie ، پاريس سنة ١٩٣٨ ، جـ ١ ، ص ١٧٠ — ١٧٥ (١١) G. Marçais : La Berbérie musulmane et l'Orient au Moyen Age ، پاريس سنة ١٩٤٦ ، ص ١٢٦ — ١٢٨ .

[له تورنو R. Le Tourneau] آدم

« بُرْغوث » والجمع براغيث : اسم حشرة معروفة ، وكان أهل الشام يطلقون هذا الاسم على عملة تركية صغيرة الحجم قيمتها قرش ، وسميت بهذا الاسم لأنها تنفلت بسهولة من اليد .

وهناك نهر يسمى برغوث على الشاطئ الشآمى يصب فى البحر المتوسط جنوبى صيداء بقليل . ويعرفه القدماء باسم أسقليبيوس Asclepios .

المصادر :

(١) Baedeker : *Palestina und Syrien* ، ص ٢٧١ — ٢٧٣ .

[Cl. Huart إيوار]

« البُرْغُوثِيَّة » : اسم أطلق على أتباع محمد ابن عيسى برغوث ، وهو متكلم مسلم من أصحاب الفرق . ويذهب البعض إلى أنه من الخوارج ، ويذهب آخرون إلى أنه من النَّجّارية (انظر هذه المادة) غير أن له آراء خاصة فى بعض مسائل الفروع . ولا نعرف شيئاً آخر عن محمد بن عيسى ولا السبب نفسه الذى لقب من أجله بالبرغوث .

المصادر :

(١) الشهرستانى ، طبعة كيورتن ، ص ٦١ ، ١٠٣ . وطبعة هاربروكر ، ص ٩٤ ، ١٥٥ (٢) البغدادى ، طبعة محمد بدر ، ص ١٩٧ .

« بَرْقَة » : كان إقليم برقة جزءاً من ولاية بنغازى التركية ، وكان يسمى قديماً كيرينيكا Cyrenaica . وهو هضبة جيرية فسيحة ترتفع عن سطح البحر بين ١٢٠٠ و ١٦٠٠ قدم ، ويبلغ عرضها نحو ١٥٠ كيلومتراً . وتقوم فى شمالها مرتفعات وعرة تنحدر جهة البحر المتوسط انحداراً فجائياً ، ولا يفصلها عنه إلا شريط ضيق من الأرض المنخفضة . أما فى الجنوب فإن هذه المرتفعات تنحدر تدريجاً إلى أن تتلاشى فى صحراء ليبيا ، وتتألف حافة الهضبة من سلسلة من المرتفعات تتجه من الشرق إلى الغرب مسافة تبلغ نحو ٢٥٠ كيلو متراً ، وتسمى باسم جبل أَرْكُلَة وجبل الدَّكَر ، ويبلغ ارتفاع هذه الجبال عند مسجد المرابط سيدى الحَمْرى نحو ٢٨٠٠ قدم ، وتبلغ أقصى ارتفاع لها ، وهو ٣٣٠٠ قدم ، حول مدينة كِرِنّا (قورينا) . ومنحدراتها الشمالية تغطيها طبقة من التراب الأحمر ولهذا سميت باسم « برقة الحمراء » ، أما مرتفعاتها المتدرجة نحو الجنوب فيغطيها تراب رمادى اللون ولهذا سميت هذه المنطقة باسم « برقة البيضاء » .

وشكل الشاطئ من مُخْتار ، وهى أقصى مكان فى خليج سِرْت الأكبر من ناحية الجنوب ، إلى خليج السَّلُّوم يجعل برقة بارزة بروزاً حاداً يكوّن منها شبه جزيرة بالفعل ، ويكشفها للرياح الآتية من البحر من ثلاث جهات فيهيئ لها بذلك مطراً غزيراً إلى حد ما يبلغ ارتفاعه بين ١٤ و ٢٠ بوصة فى السنة . وإذا كانت مياه هذه الأمطار لا تبلغ من الكثرة بحيث تفيض منها الأنهار باستمرار ، فإنها مع هذا كافية لتغذية كثير من الينابيع . وتتسرب المياه من الشقوق فى التربة الجيرية إلى أن تصل إلى الطبقة الصخرية الصلبة ثم تظهر مرة أخرى على سطح الأرض كما تتجمع أيضاً فى برك تحيط بها الجبال تجف مياهها عادة فى حرارة الصيف . والبقاع التى يغزر فيها الماء ويكثر النبات هى الجهات الساحلية والشرفات التى ترتفع أرضها من الشاطئ إلى قمم الجبال . والتلال يكسوها بالخضرة شجر التين والبشنين وشجر الحياة والسنديان والسرو

«...إلخ»، ومن ثم استحقت اسم «الجبل الأخضر» الذى أطلقه العرب على هذه السلسلة : ويروى بعض الرحالة أن المنظر العام لهذا الإقليم ومناخه يشبهان أجمل بقاع إيطاليا ، ويظهر أن هذه البلاد صالحة كل الصلاحية لتوطن الأوروبيين . وتنعكس الحال إذا جاوزنا صخور الجبل الأخضر ، ذلك أننا نجد صورة أخرى مخالفة لتلك كل المخالفة، فلا شجر هناك وتزداد الأعشاب قلة كلما اقتربنا من الصحراء.

وقبل أن يفتح المسلمون برقة كان يسكنها من البربر قبائل لواتة وهوّارة وأوريغة — الذين احتفظوا باستقلالهم — والأفارقة ، أى أهل البلاد الأصليون ، الذين تأثروا قليلا أو كثيراً بالحضارة اليونانية الرومانية . ووجه هؤلاء جميعاً عنايتهم إلى فلاحة الأرض وتربية الماشية . وفى القرن الأول للهجرة ذهب العرب من مصر إلى برقة فخرّبوها وخربوا أنطابلس Pentapolis ومعناها «الخمس المدن» غير أنه لم يكن لهم تأثير قوى فى أخلاق أهل البلاد أو طريقة معيشتهم وفى القرن الخامس اشتملت أرض برقة على كثير من المدن الزاهرة مثل لبدة وزويلة وبرقة وقصر حسن » واعتنى أهلها بفلاحة حقولها عناية كبيرة .

وكانت غزوة بنى هلال التى حدثت فى القرن الحادى عشر الميلادى سبباً فى خراب تلك البلاد. ويقول ابن خلدون إن العرب الرحل كانوا يحملون معهم الخراب أينما ذهبوا » وكانوا يغيرون على البلاد وينهبونها بلا رحمة ، فأخذت الأراضى الزراعية تقل شيئاً فشيئاً : «..فسدت فى برقة مذاهب المعاش وانتقض العمران وأصبحت البلاد قفراً يباباً» (ابن خلدون : «العبر» ترجمة ده سلان « ج ١ ، ص ١٦٤) .

واستقرت قبيلة بنى قرة وقبيلة هَيْب من قبائل العرب الغزاة — وهما من بطون سليم — فى برقة ، وامتزجوا بأهلها امتزاجاً يجعل من الصعب علينا الآن أن نميز بين ذريتهم وذرية أهل البلاد الأصليين . وسكان برقة جميعاً من الرحل فيما عدا أهل بنغازى ودرنة ومَرْجة . ويقول پاشو Pacho إنهم جميعاً يسمون «هربى» وينقسمون إلى عدد كبير من القبائل ، أهمها قبيلة الأواغر وموطنها فى جنوب بنغازى وشرقيها ، وقبيلة الدُرسة فى جوار مرجة والهسَّة حول خرائب مدينة برقة وبرَسَّة فى الجبل الأخضر والإباضية بجوار درنة » إلخ . ويقدر ركلوس Reclus عددهم بـ ٢٥٠,٠٠٠ نسمة يعيشون فى مساحة قدرها ٢٥٠٠٠ ميل مربع . وعلى هذا فليس يوجد فى كل ميل مربع إلا عشر أنفس . أما منوتللى Minutilli الذى رجع إلى تقارير القنصليات الإيطالية فيقدر عدد سكان برقة تقديراً يرتفع به إلى ٣٥٠,٠٠٠ نسمة ، ويظهر أن كل هذه القبائل كانت مستقلة تمام الاستقلال عن الحكم التركى وانتشرت بينهم تعاليم السنوسية منذ أواسط القرن التاسع عشر الميلادى فأصبحوا يضمرون أشد العداء لسيادة الأوروبيين . ومع أن بلاد برقة قد أهمل شأنها طويلا فإنها أصبحت مقصد عدد من رحلات الكشف الأوروبية فى القرن الماضى ، نذكر منها

رحلات دلاّ شلاّ Della Cella سنة ١٨١٧م ، وپاشو ، وبيتشى Beechey ، وبارث Barth سنة ١٨٤٧م ، وهاملتون سنة ١٨٥٢ م ، وروِلفس Rohlfs ، وكامبريو Camperio، وهايمان Haimann وغيرهم .

ومدينة برقة التى أطلق اسمها على الإقليم كله حلت فى العهد العربى محل مدينة بركيه Barké التى أنشأها سنة ٥٥١ قبل الميلاد مستعمرون أتوا من كرنا . وفى سنة ٢١هـ احتلها عمرو بن العاص وصالح أهلها على خراج قدره ثلاثة عشر ألف دينار من الذهب ولكن سرعان ما جعل منها العرب الفاتحون ولاية واتخذوها مقراً للوالى رُويفع[١] وهو صحابى وقبره كان موجوداً فى عهدالبكرى. وظلت برقة مزدهرة عامرة خلال أربعة قرون لاتصالها بالخارج عن طريق ثغرها طُلْمَيْثَة وهو ثغر بطلمايس Ptolemais القديم ، ويمر به الطريق الواصل من الفسطاط إلى القيروان، وتتصل برقة أيضاً بواحات الصحراء بطريق القوافل . ويقول ابن حوقل فى كتاب المسالك والممالك (ترجمة ده سلان المنشورة فى المجلة الأسيوية سنة ١٨٤٢) عند كلامه على مركز برقة التجارى: « إنها تنفرد من التجارة التى ليس فى كثيرمن بلاد المغرب مثلها والجلود المجلوبة للدباغ والتمور الواصلة إليها من أوجلة ، ولها أسواق حارّة من بيوع الصوف والفلفل والعسل والشمع والزيت وضروب المتاجر الصادرة من المشرق والواردة من المغرب » .

وقد ذكر البكرى أنها دائمة الرخاء كثيرة الخير تصلح بها السائمة وتنمى على مراعيها ، وأكثر ذبائح أهل مصر منها (البكرى : كتاب المسالك ، ترجمة ده سلان ، ص ١٥ ، والنص العربى ، ص ٥) . وقال الإدريسى إن بها مزارع تنتج قطناً من نوع جيد (الإدريسى ، ترجمة ده غويه ، ص ١٥٥) : وجرت غزوة بنى هلال على برقة الخراب الشامل . وكان مكان برقة سوق مرجة القائم عند سفح تل تشرف عليه قصبة تركية فى منخفض من الأرض ، طولها عشرون ميلا وعرضها ثمانية أميال ، وكان عدد سكان مرجة لا يتجاوز الألف نسمة بما فيهم الحامية التركية .

المصادر :

(١) Della Cella : *Viaggio di Tripoli* *di Barberia alle frontiere dell'Egitto fatto nel* 1817—1819
(٢) Pacho : *Voyage dans la* *Marmarique et la Cyrénaïque* ، پاريس سنة ١٨١٧
(٣) Beechey : *Expeditions to explore the North* *Coast of Afrikca* ، لندن سنة ١٨٢٨
(٤) Barth ، *Travels in North-Africa* ، سنة ١٨٤٧ .
(٥) Hamilton : *Wanderings in Nortn-Africa* ، سنة ١٨٥٢
(٦) Rohlfs ; *Von Tripolis nach Alexandrien* ،

(١) هو رويفع بن ثابت بن السكن النجارى الانصارى المدنى : صحابى نزل بمصر وامره معاوية على طرابلس الغرب سنة ٤٦ هـ فغزا افريقية وتوفى ببرقة وهو امير عليها من قبل مسلمة بن مخلد ، وقبره مشهور فى الجبل الاخضر (انظر الزركلى الاعلام ، جـ ١ ، ص ٣٢٦) .

اللجنة

سنة ١٨٨٥ ؛ فى مجلدين ؛ (٧) Minutilli ؛ La Tripolitana ؛ تورينو سنة ١٩٠٢ (٨) Playfair ؛ Bibliography of the Barbary States الجزء الخاص ببرقة وطرابلس .

[إيفر G. Yver]

+ برقة : لفظ يطلقه الكتّاب العرب على بلدة (هى المَرْج الآن) وعلى الإقليم الذى تقع فيه هذه البلدة ، أى على كرينيكا Cyrenaica ، وهى شبه جزيرة فسيحة فى إفريقية تبرز بروزاً فى شرق البحر المتوسط بين خليج بُمْبَة Bomba وخليج سِرْت الأكبر ؛ ومن ثم فهى تقع بين خطى طول ٢٠° و٣٠° شرق گرينوتش ؛ وخطى عرض ٣٠° و٣٣° المتوازيين. وإلى الشرق تبدأ سهوب مرمريكا Marmarica ، بينما تمتد إلى الجنوب الصحراء الشرقية الليبية المترامية الأطراف .

وتتكون تضاريسها من هضاب نشأت من التواء حدث فى العصر الميوسينى لطبقات كثيفة من الحجر الجيرى تنتسب إلى الفترة السينومانية كما تنتسب إلى العهد الثلاثى الأدنى ، وهى تنحدر برفق نحو الجنوب ، حيث لا ترتفع الهضبة الصحراوية ، وتهبط إلى سهول منخفضة رسوبية وتنخفض حتى البحر على مستويات متدرجة : وترتفع الهضبة العالية المسماة الجبل الأخضر من ٥٠٠ متر إلى ما يزيد على ٦٠٠ متر ، وتصل إلى ذروتها على ارتفاع ٨٦٨ متراً عن سطح الأرض نحو الجنوب من أطلال بلدة برقة ، وهناك هضبة وسطى يتراوح ارتفاعها بين ٢٥٠ و ٤٠٠ متر ، تضيق فى الشمال ، ثم تتسع نحو الغرب والجنوب الغربى ؛ وتضم المرج وتشرف على سهل بنغازى الساحلى الذى يتكون بدوره من الحجر الجيرى. وإقليم برقة ليس بصحراء مثل الأراضى الشاسعة المتاخمة للبحر فيما وراءها، وهذا يرجع إلى أثر البحر والارتفاع . ودرجات الحرارة فيه معتدلة فى الصيف، وهى تنعم بمطر غزير نسبياً . وتبلغ درجة الحرارة فى شهر يناير ١٣,٥°م وفى شهر يولية وأغسطس ٢٥,٨°م فى بنغازى ؛ عند سطح البحر ؛ و١٠,٤°م و٢٣,٩°م فى المرج على ارتفاع ٢٨٥ متراً ، و٨,٤°م و٢٢,٣°م فى بلدة برقة ؛ الواقعة على ارتفاع ٦٢١ متراً ؛ وهناك يشاهد الثلج فى بعض الأحيان . أما المطر فوق الساحل الغربى (٢٦٦ مم فى بنغازى) فقليل ولا يكفى أو يكاد للزراعة كلها مالم تتوفر وسائل الرى ، لأن التربة هناك كثيفة ؛ ويزداد المطر فى الأجزاء الشمالية من الهضبة الأولى ، ويبلغ ارتفاعه فى المرج ٤٧١مم ، ويغزر بصفة خاصة فوق الهضبة الثانية حيث يبلغ ارتفاعه أكثر من ٥٠٠مم ، بل يصل فى إقليم برقة إلى ٦٠٠ مم ؛ وعلى النقيض من ذلك يقل سقوط المطر كلما اتجهنا شرقاً (٣٠٠مم فى درنة) ؛ ويتناقص بسرعة كبيرة إذا اتجهنا نحو الجنوب الشرقى والجنوب . يضاف إلى هذا أن الوديان التى تنحدر نحو الصحراء لا يتوفر فيها الماء إلا بعد سقوط أغزر الأمطار ، وهى تنتهى فى أغوار مترامية الأطراف ذات حير . ونهر درنة هو الوحيد بين روافد البحر المتوسط البالغة القصر العميقة الغور ، الذى يفيض ماؤه باستمرار : وتترشح المياه فى تربة

الهضاب الجيرية ولاتظهر مرة أخرى إلا عندما تنبجس على هيئة ينابيع قليلة معدنية عند سفح بعض المنحدرات . وتضاريس الهضاب صلصالية وفيها مغاضات ومساحات شاسعة تخلو من أية مجار مائية ظاهرة أو كهوف : ولاتزال الهضبة العالية ، المسماة باسم الجبل الأخضر، تحتفظ فى المنطقة الواقعة جنوبى المرج بعدة غابات جميلة من شجر السُعْد الأفقى (CypressusSempervivens,Var.horizontalis) وشجر السنديان الأخضر وأشجار الصنوبر الحلبي والعرعر الفينيقى : ومهما يكن من أمر فإنها فى الغالب تكسوها غابة منخفضة وغيضة من شجيرات المصطكى والزيتون البرى: ويضم إقليم برقة ١١٠,٠٠٠ هكتاراً من الغابات والغياض : وهناك مساحات جردها الإنسان من الشجر يمكن أن تتحول إلى مراع جيدة وأرض خصيبة تربتها سمراء ورمادية تصلح للزراعة : وهذه المنطقة الصالحة للاستغلال المحدودة للغاية سرعان ما تتجاوز الساحل وتمتد جنوباً إلى أن تفضى إلى مرج هزيل تكثر فيه شجيرات العرعر وتقطعه شقق ممتدة من السهب تتزايد فى الاتساع . وتحيط النتوءات الصخرية الضخمة بمساحات محصورة إلى حد ما ، من الأراضى ، تغطيها طبقة من الصلصال الأحمر ، وهى وإن كانت خصيبة نسبياً إلا أنها تحتاج فى الغالب إلى مقادير كبيرة جداً من الماء بسبب شح المطر ، وتبدأ الصحراء بمراعيها النادرة وتربتها الخفيفة على مسيرة ٥٥ كيلومتراً من الجنوب الشرقى لبنغازى و٦٠ كيلومتراً إلى الجنوب من درنة .

وإقليم برقة ، الصالح للاستغلال ، إقليم خصيب ضيق ، وهو ملائم للحياة المستقرة الوادعة تعزله سهوب مرمريكا Marmarica وسِرْت Syrtica والصحراء الليبية الشاسعة ،ومن ثم كان يعتمد دائماً على الشرق وكان بلداً لايعيش فيه إلا البدو الليبيون، ولذلك أصبح الولاية الإفريقية الوحيدة التابعة للعالم اليونانى بما فيها مستعمرات أنطابلس Pentapolis الخمس التى أنشئت بين القرنين السابع والخامس ق.م. وقُورِينَا هى أول بلدة أنشئت هناك وموقعها فريد فى قلب الجبل الأخضر ، وثغرها أبولونيا Apollonia (مرسى سوسه) وباركيه Barké (المرج) ويوهسبريدس Euhesperidis (بنغازى) وتيوكيرا Teuchira (تُكْره) : وقد ألحقت بعد ذلك بمصر البطلمية . وفى هذه الفترة أنشئت بطلمايس Ptolemaïs (طلميثة) ودَرْنِيس Darnis (درنة) . وحينما كانت ولاية رومانية ، تعرضت لاضطرابات متكررة وبعدت كثيراً عن الازدهار . وفى القرن الرابع الميلادى ألحقت بالإمبراطورية الشرقية ، وأصبحت جزءاً من الإمبراطورية الرومانية، وظلت كذلك إلى القرن السابع ، ولم تسترد قط نشاطها فى عهد اليونان . وقبيل الفتح العربى كانت الزراعة فيها تتراجع أمام زحف الحياة الرعوية . واحتل العرب إقليم برقة بعد حملتين أنفذهما عمرو بن العاص عام ٢٢هـ (٦٤٢م و٦٤٣م) . وأنفذت بعد ذلك حملات اجتازتها ، ووصلت شيئاً فشيئاً إلى بلاد المغرب وفتحتها . وهكذا أصبحت برقة طريقاً رئيسياً مهما من الناحيتين العسكرية والتجارية يبدأ من مصر غرباً ، إما عن طريق المنخفض الجنوبى

أ والواحات مثل أوجلة،أوعن طريق منعطف المضاب الشمالية.وامتزجت قبائل لواتة وهوارة وأوريغة البربرية بالعناصر العربية وانصرفت باطراد إلى تربية الماشية التى انتشرت على حساب الزراعة ؛ وكانت الصادرات إلى مصر وقتذاك هى الحيوانات الداجنة والصوف والعسل والقار (البكرى « ترجمة ده سلان » ص ١٥) . وظلت برقة المركز المهم الوحيد : أما الإقليم المرتبط بمصر فكان — مثل الأخير — تابعاً بدوره لحكومتى دمشق وبغداد ثم للفاطميين. ثم إن الغزاة من بنى هلال وبنى سُلَيم « الذين غادروا مصر، وانتشروا فى أرجاء المغرب أثناء القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) اجتازوا إقليم برقة ، الذى اصطبغ بالتدريج بصبغة البداوة الكاملة : وكانت مدنه وقراه فى عهد ابن خلدون ، فى القرن الثامن الهجرى(الرابع عشر الميلادى؛التاريخ=*Histoire* ترجمة ده سلان ، جـ ١، ص ١٦٤—١٦٥) قفراً يباباً،وكان الأهالى « العَزَّة » يشتغلون برعى الأغنام ويعيشون فى حالة بداوة فى رقعة تمتد من منطقة الواحات فى الجنوب إلى المضاب الشمالية ويزرعون الشعير : ومهما يكن من أمر فإن برقة وبرنيق (بنغازى) لايزال يتردد ذكرهما شأنهما فى هذا شأن واحتى أوجلة وأجدابية : وظل الإقليم ، على الأقل من الناحية النظرية ، يعتمد على مصر،وكان — مثلها — يحتله الأتراك فى القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) . ومهما يكن من أمر فإنه خضع لسلطة ولاة طرابلس ، بالاسم أكثر منه بالفعل ؛ وقد عزلتهم أسرة قره مانلى من عام ١٧١١ إلى عام ١٨٣٥ : وتوارت برقة فى الظلام ، وفى مستهل القرن التاسع عشر لم يعد فى كرينيكا،وهو لفظ أوروبى ، إلا بلدتان مهمتان تدينان بوجودهما إلى هجرة أناس من الخارج ، وذلك إلى جانب الواحات الجنوبية : بنغازى ، وهى يوهسبريدس Euhesperidis القديمة ، وقد نشأت فى نهاية القرن الخامس عشر،من هجرة أهالى طرابلس ، ثم درنة، فى موضع درنيس Darnis القديمة « وقد أسسها قبل ذلك الأندلسيون ، وهى تدين بنهضتها المتواضعة إلى الباى محمد » الذى قام فى القرن السابع عشر بإعادة تنظيم وسائل الرى » وقد أصبحت واحة صغيرة تزخر بالنخيل بجانب البحر وفيها بساتين ناضرة ، أما فى الداخل فقد نشأت بلدة المرْج على أنقاض قلعة تركية شيدت عام ١٨٤٠ فى موضع بلدة برقة . ومهما يكن من أمر فإن إقليم برقة أصبح فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر » يخضع فعلا لطائفة السنوسية الكبرى » التى تتمتع بنفوذ سياسى ودينى كبير ، يقوم على تنظيم تجارى سليم . وأخيراً وصل إليها عام ١٨٩٧ المسلمون الفارون من إقريطش أمام الغزو اليونانى وأسسوا بلدة مرسى سوسة المتواضعة على أنقاض أپولونيا.

وعندما نزل الإيطاليون عام ١٩١١ بأرض بنغازى وطرابلس وجدوا أنها بلد » أهله كلهم من البدو الرحل، ماعدا هذه المراكز الحضرية المتواضعة ، ولم تكن هناك قرية واحدة خارج نطاق الواحات ، وكان السكان جميعاً من الرعاة البدو وأنصاف البدو لايعيشون إلا فى خيام . وتتألف القبائل من مجموعتين رئيسيتين هما المرابطون

والسعادى : ويظن أن المرابطين من أصل بربرى وتضمهم جماعتان : أولاهما البراغيث جهة الغرب وأهم قبائلها المغاربة (سِرْتية) وعُرْفة والعبيد (المرج) ، أما الثانية فهى « هرابى » التى تضم قبائل الدُّرْسة فى المنطقة الساحلية والهسَّة وعيلة فائض والبراعِسة شمالى الجبل الأخضر وجنوبيه ووسطه وبخاصة قبيلة العبيدات ، وتعيش فى الهضاب الواقعة جنوبى درنة وخليج بمبة . أما بالنسبة لقبائل السعادى فإنها تزعم أنها تنحدر من صلب عرب أقحاح : وهى تضم الفَوَاشِر والأواغِير فى السهوب الواقعة فى الجنوب الغربى ، علاوة على القبائل الأقل شأناً فى مرموريكا وبدو منطقة أوجلة — جالو . وجميع السكان خارج مراكز العمران مسلمون سنيون على المذهب المالكى ؛ ويتحدثون جميعاً بلهجات عربية مغربية ماعدا سكان أوجلة فى الجنوب ، فهى أول محلة تتحدث بلغة البربر « نصادفها عند الاتجاه غرباً » .

ولم تصبح للإيطاليين الكلمة العليا فى برقة بأسرها والمنطقة المتاوحة للبحر من ورائها إلا فى نهاية عام ١٩٣١ بعد مقاومة عنيفة أبداها البدو والسنوسية ، فقد بذل الإيطاليون أقصى ما فى وسعهم من جهد لاستعمارها . واستوطن المستعمرون الأوائل فى ظروف محفوفة بالمخاطر « سهل بنغازى الذى لايلائمهم جوه» ، والمنطقة المجاورة لبلدة المرج . على أن الإيطاليين فى الجبل الأخضر قاموا بجهد منظم فى سبيل استغلال المنطقة واستيطانها ، وأنشئت هناك اثنتا عشرة قرية بين عامى ١٩٣٤ و ١٩٣٩ ، وامتد استعمار « دىغرانى » ثم « جباهيرى » إلى مساحة إجمالية قدرها ٨٠,٠٠٠ هكتار « تنتج النبيذ وزيت الزيتون » .

وفى التاسع من يناير عام ١٩٣٩ ضُمت برقة والمنطقة المتاوحة للبحر التى وراءها إلى الأملاك الإيطالية شأنهما شأن طرابلس . وكان الإيطاليون قبيل ذلك قد بدأوا فى تزويد إقليم برقة على نطاق واسع بالمعدات والمرافق اللازمة لبلد مستعمر يأخذ بأسباب الحضارة العصرية : مُدَّ خط حديدى من بنغازى إلى المرج وسلوك (١٦٤ كم) « وأنشئت شبكة من الطرق فى الغرب والشمال ، وموانئ (وبخاصة فى بنغازى) ومطارات » ومؤسسات تعليمية ومستشفيات « ومكاتب للبريد . علاوة على مرافق لمد الناس بالماء وبخاصة خط أنابيب يزيد طوله على ٢٠٠ كم ، ومحطات لضخ المياه ، وصهاريج ومجار فرعية لخدمة قرى الجبل الأخضر إلخ . ودخل إقليم برقة فى فترة الحرب وهو فى أوج التطور . بيد أن جميع الإيطاليين غادروا البلاد عندما واجهوا الهجوم النهائى المظفر الذى قام به الجيش الثامن البريطانى فى نوفمبر — ديسمبر عام ١٩٤٢ وخضعت برقة وقتذاك للإدارة العسكرية البريطانية . ثم نصب البريطانيون إدريس ، زعيم السنوسيين ، أميراً لإقليم برقة ، وفى عام ١٩٥١ ساعدوه على ارتقاء عرش الاتحاد الليبى الفدرالى الذى يضم ، إلى جانب برقة « طرابلس وفزّان . ولم يبق شىء مما قام به الإيطاليون لتيسير الزراعة ، وعادت البلاد إلى الحياة الرعوية وزراعة قليل من الشعير ، وأصبحت القرى خراباً . كذلك

لم يبق شيء من المشروعات الصناعية القليلة ، مصانع لتعليب الأسماك وإنتاج الخمور ومصانع للتقطير وأخرى لصناعة الأحذية والنعال) التي كانوا قد أنشأوها في بنغازي . ولاتعدو الصادرات الآن بضع منتجات مستخلصة من تربية الماشية ، والملح والإسفنج ، ويجمعهما اليونان من خليجي بمبة وسرت الأكبر . وإن إقليم برقة الذى يبسط رقعته حتى تشمل المنطقة الصحراوية الواسعة الواقعة وراءه ، ويمتد إلى خط عرض ٢٠° ، ويضم واحات كفرة ، لتبلغ مساحته ٨٥٥,٤٠٠ كيلومتر مربع (من رقعة اتحاد ليبيا الفدرالى التى تبلغ مساحتها الإجمالية ١,٧٥٩,٥٠٠) ومع ذلك فإن عدد سكانه لايتجاوزون ٢٩١,٣٥٠ نسمة ، يقيمون كلهم تقريباً فى الشمال (من عدد السكان الكلى البالغ ١,٠٩١,٨٠٠ نسمة) . ومتوسط إنتاجه السنوى ٣٦٠,٠٠٠ قنطار من الحبوب (الشعير والقمح) وفيه من الأنعام عدد يتراوح بين ٤٥٠,٠٠٠ و ٥٠٠,٠٠٠ من الأغنام، و ٣٥٠,٠٠٠ و ٤٠٠,٠٠٠ من الماعز ، و ٣٠,٠٠٠ و ٣٥,٠٠٠ من الماشية ، و ٢٠,٠٠٠ من الإبل . وسكان برقة متفرقون فى ربوع كثيرة ، وهى فقيرة جداً ، على الرغم من خصب بعض المناطق فى الشمال ، وهى تعانى عجزاً فى الموارد المالية والموظفين الإداريين ، وتعتمد على الإعانة المالية والتقنية التى تقدمها بريطانيا العظمى والأمم المتحدة والولايات المتحدة (١) .

(١) كان ذلك وقت كتابة هذه المادة ، أما الآن فقد قامت ثورة فى ليبيا أسقطت الملكية وأقامت جمهورية ليبيا العربية وأخذت تنهض بالبلاد التى ظهر فيها البترول بكثرة فزاد مواردها زيادة كبيرة ، وقد قام أخيرا اتحاد بين جمهورية مصر العربية وجمهورية ليبيا العربية وجمهورية سورية العربية .

المصادر :

(١) انظر مادة ليبيا (٢) وانظر أيضاً F. Chamoux: *Cyrène sous la monarchie des Battiades* ، باريس سنة ١٩٥٢ (٣) P. Romanelli : *La Cirenaica romana* ، رومة سنة ١٩٤٣ (٤) E. de Agostini ، *Le Popolazioni della Cirenaica* ، طرابلس سنة ١٩٥٢ (٥) G. Narducci : *Storia della colonizzazione della Cirenaica* ، ميلان سنة ١٩٤٢ (٦) K. Walton و W.B. Fisher : *The Aberdeen University expedition to Cyrenaica in 1951* ، في *Scottish. geogr. mag.* ، سنة ١٩٥٢ — ١٩٥٣ ، (٧) ن. ا: زيادة : برقة ، بيروت سنة ١٩٥٠ .

آدم [ج . دسبوا J. Despois]

«بَرْقَعيد» : بلدة بالجزيرة على طريق القوافل من نصيبين إلى الموصل . وجاء فى روايات جغرافيى العرب ، وهى تختلف فيما بينها اختلافاً طفيفاً ، أن برقعيد على مسيرة ما بين ١٧ و ١٩ فرسخاً تقريباً من الموصل ، أو على مسيرة أربعة أيام إذا أخذنا برواية ياقوت . وتقدر المسافة بينها وبين نصيبين بعشرة فراسخ .

ويروى ياقوت أن برقعيد كانت قصبة كورة البقاع — وربما يكون معناها بقعة أى سهل — من أعمال الموصل وأنها تشمل الإقليم الذى بين الموصل ونصيبين . وكانت ممرا للقوافل ، ولذلك أصبحت مكاناً هاماً ، وقد ازدهرت بوجه خاص فى القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) . ويقول ياقوت

إن سورها له ثلاثة أبواب وإن بها آباراً كثيرة عذبة وعدداً كبيراً من الحوانيت بلغ مائتين . وأهلها يضرب بهم المثل فى اللصوصية فيقال لص برقعيدى ، وحدت هذه السمعة السيئة بالقوافل إلى تجنب المدينة تدريجاً ، وجعلت طريقها على باشَزَّى وهى إلى الغرب من برقعيد . وعلى هذا ارتفع نجم باشزى وأفل نجم برقعيد شيئاً فشيئا .

ويذهب ڤون أوپنهايم Von Oppenheim ودِه غويه de Goeje إلى أن موقع برقعيد هو أكوام الخرائب عند تل روميلان ، كما أن موقع باشزى هو چلاغَى . ووضع كيبرت Kiepert فى مصوره الجغرافى الذى ورد فى كتاب ڤون أوپنهايم المكان الأول على خط طول ٤٢° درجة شرقاً وخط عرض ٣٦°٥٥َ شمالا ، ووضع المكان الثانى على خط طول ٤١° ٥٠َ شرقاً وخط عرض ٣٦° ٣٧َ شمالا ؛ ويقول هومز Homes (انظر Tuch. فى مقاله الوارد بالمجلة المذكورة فى المصادر) فى رسالة له إن برقعيد ما زالت توجد اليوم بالاسم نفسه وإن كانت أطلالا وخرائب ، ولكن هذا القول يحتاج إلى التمحيص بمعاينة الموقع نفسه .

المصادر :

(١) المكتبة الجغرافية العربية ، طبعة دِه غويه ؛ وبخاصة جـ ٦ ، ص ٢١٤ ، تعليق p ، ص ١٦٤ (٢) ياقوت : المعجم ، طبعة فستنفلد ، جـ ١ ، ص ٥٧١ وما بعدها ، ص ٧٠١ ، س ١٠ (٣) أبو الفداء : تقويم البلدان ، طبعة باريس ، جـ ٢ ، ص ٢٩٤ (٣) الحريرى ، المقامة السابعة (٤) Le Strange ؛ The Lands of the Eastern Caliphate (٥) K. Ritter : Erdkunde جـ [illegible] ، ص ١٦٢ — ١٦٣ (٦) F. Tuch فى Zeitschr. d. Deutsch. Morgenl. Ges. ، جـ ١ ، ص ٦٢ — ٦٤ (٧) M.V. Oppenheim : Vom Mittelmeer Zum persisch. Golf. ، ١٩٠٠م ، جـ ٢ ، ص ١٤٣ — ١٤٤ ، ص ١٦٧ — ١٦٨ ، تعليق [illegible] غويه .

[م . شترك M. Streck]

+ « بُرُقْلُس » Proclus (٤١٠ — ٤٨٥م) : رأس مدرسة أثينا الفلسفية الوثنية (أكادمية أفلاطون) ، ومتكلم بارز قعّد الفكر الأفلاطونى الجديد ، وهمزة من همزات الوصل بين الفلسفة القديمة وفلسفة القرون الوسطى . ومن السابق لأوانه أن نحاول إعداد بحث عن الأثر الذى أحدثه فى الفكر العربى أيام هذه القرون ، ومع ذلك فإن المعلومات التى لدينا فى الوقت الحاضر ليست من الشح بما يبرر إغفال يبلغ كل الإغفال لها فى مقاله الشامل عن برقلس (R. Beutler فى Pauly - Wissowa - Kroll ، جـ ٢٤٥ ، سنة ١٩٥٧ ، عمود ١٨٦ وما بعده) . وثمة معلومات أفضل فى كتابى زيلّر ودودز (E. Zeller : Philosophie der Griechen III ، ٤/٢ ، ص ٨٣٩ ، تعليق ؛ E.R.. Dodds : Proclus the Elements of Theology ، أوكسفورد سنة ١٩٣٣ ، ص ٢٨) ؛

وقد أورد ابن النديم (الفهرست ، ص ٢٥٢ طبعة فلوگل = ص ٣٣٣ من الطبعة المصرية)

كتب التي صنفها برقلس والتي عرفها العلماء
، بطريقة من الطرق ، وقد نقل ابن القفطي
ثبت مع أشياء قليلة حرّفها ، وذلك في كتابه
الحكماء (ص ٨٩ ، طبعة ليپرت) .

(١)

وظهرت بعض كتب لبرقلس بالعربيـــة
ين باطلة أبعد ما تكون عن المطابقة للحال :
(أ) الكتاب والذي يشير إليه كتاب سيرته
«كتاب الثالوجيا» الذي نسبه حاجي خليفة
٥ ، ص ٦٦ من طبعة فلوگل) لبرقلس
سكندر (!) ، ويظهر أن هذا الكتاب هو
مائل المنهجية في الميتافيزيقا عند الأفلاطونية
ـيدة المعروفة باسم «مبادئ الإلهيات» (باليونانية :
يكيوسيس ثيولوجيا) . أما النص العربي
سائل من ١٥ — ١٧ (١٦ — ٢٠ في طبعة دوز)
نشره عبد الرحمن بدوي في كتابه « أرسطو
العرب » (القاهرة سنة ١٩٤٧ ، ص ٢٩١)
عن مخطوط دمشق الذي يرجع إلى القرن الحادي
، حيث نسب خطأً إلى الإسكندر الأفروديسي .
اكتشف هذه الحقيقة بالاستقلال عن غيرهما
B. Lewin في *Orientalia Suecana* ،
١٩٥٥ ، ص ١٠١ وما بعدها) وپينس
S. Pine في *Oriens* ، ٨ ، سنة ١٩٥٥ ،
١٩٥ ومابعدها) ،وكان مترجم هذا الكتاب
أبوعثمان سعيد بن يعقوب الدمشقي ، وهو
من أفراد مدرسة حنين .
(ب) كتاب عنوانه «كتاب الإيضاح في
الخير المحض» وهو مبني على إحدى وثلاثين مسألة
من مسائل «مبادئ الإلهيات» ، وقد عرفه الغرب
منذ أيام گيرارد القرموني Gerard of Cremona
على اعتبار أنه كتاب العلل لأرسطو . ويعد الآن
الأب جورج قنواتي (انظر G.C.Anawati في
Mélanges Massignon ، دمشق سنة ١٩٥٦، ص ٧٣
وما بعدها) طبعة نقدية لهذا النص العربي يجب
أن تعتمد على الترجمات اللاتينية والعبرية وأن
تقارن مقارنة دقيقة بالأصل اليوناني . وحسبنا الآن
طبعة باردنهيور (O. Bardenhewer ، فرايبورغ —
بريسگاو ، سنة ١٨٨٢ ، وقد أعيد طبعها حديثاً)
ونص عبد الرحمن بدوي (*Islamica* ، ١٩ ، سنة
١٩٥٥ ، ص ١ وما بعدها) . وثمة ملخص للنص
العربي المنسوب لأرسطو كتب حوالي ١٢٠٠م ،
وقد اكتشفه كراوس (P. Kraus في *Bulletin*
de l'Institut d'Egypte ، ٢٣، سنة ١٩٤٠/١٩٤١،
ص ٢٧٧) ونشره عبد الرحمن بدوي (انظر
المصدر المذكور ، ص ٢٤٨ وما بعدها) .
ولا يمكننا في الوقت الحاضر أن نبت في مسألة هي :
هل هذا الكتاب — بالصورة التي لدينا — قد ترجم
أصلا من مختارات لبرقلس أعيد ترتيبها قبل ذلك،
أو أنه ثمرة جمع قام به فيلسوف عربي متقدم ؟

(٢)

وبرقلس معروف لدى المفكرين العرب أولا
بقوله بقدم العالم ، ومقالاته الثماني عشرة في هذا
الشأن (باليونانية : أپيكيروماتا پري أيديوكوتوف
كوسمن) التي فقد أصلها اليوناني معروفة لدى

للعرب حق المعرفة شأنها شأن رد يوحنا فيلوبونس عليها (*De aeternitate mundi contra Proclum*) الذى فقد أوله فى المخطوطات اليونانية ، والمقالات التسع الأولى بترجمة إسحق بن حنين قد نشرت الآن على يد عبد الرحمن بدوى (المصدر المذكور ، ص ٣٥ وما بعدها) ، وقد عرفت ثمان منها عن طريق الشواهد التى نقلها يوحنا فيلوبونس ، أما الأولى فقد بقيت بالعربية فحسب (انظر C. G. Anawati : *Mélanges A. Diès* ، باريس سنة ١٩٥٦ ، ص ٢١) وقد أشار محمد ابن زكريا الرازى فى مصنفه « كتاب الشكوك على برقلس » إلى هذه المقالات (S. Pines فى *Beiträge zur islamischen Atomenlehre* ، برلين سنة ١٩٣٦ ، ص ٩٣ ، تعليق ١) ؛ وربما يكون الرازى قد أفاد من يوحنا فيلوبونس ، وكذلك فعل الشهرستانى (فى كتابه الملل والنحل ، ص ٣٣٨ من طبعة كيورتن) الذى يبين حق أن ابن سينا قد اصطنع حجج برقلس . وكان الغزالى على معرفة أيضاً بهذه المقالات (انظر van den Bergh : *Averroes' Tahafut Al Tahafut* ، لندن ، سنة ١٩٥٤ ، جـ ١ ، ص ١٧ ، جـ ٢ ، ص ١)

(ب) وثمة دليل آخر على شهرة برقلس بين الفلاسفة العرب تبين بعد الكشف بطريق المصادفة عن أجزاء من بعض كتابات اخرى له . فهناك ثمانى مقالات من « بروبليماتا فيزيقا » من الواضح أنها جزء من رسالة أكبر قد تكون صحيحة نشرها عبد الرحمن بدوى (المصدر المذكور ، ص ٤٣ وما بعدها ؛ انظر B. Lewin : *Orientalia Suecana* ، ٦ ، سنة ١٩٥٨) وقطعة صغيرة عن فكرة «أغاثون» مأخوذة من « ستوكيوسس» الصغرى ذكرها كتاب السر العرب (بدوى : المصدر المذكور ، ص ٢٥٧) . وقد نشر روزنتال F. Rosenthal فى ترجمة إنكليزية فقرة من كتابه عن خلود النفس على مذهب أفلاطون ، وثمة قسم صغير من الجزء المفقود من تعليقه الضخم على كتاب طيماوس ميسور باللغة الألمانية (انظر مادة « أفلاطون ») ويعرف العرب شروحه على أسطورة غورغياس وعلى فيدون لأفلاطون ، على أننا لم نستطع بعد أن نتتبع أى أثر لهذه الشروح بقى بالسريانية أو العربية . وهناك شرح للأشعار الذهبية المنحولة لفيثاغورس ، على أن هذا الشرح قد نسب إليه خطأ نتيجة للبس فى القراءة بين برقلس وهيروقليس وهو فيلسوف من الأفلاطونية الجديدة أقل شهرة منه . وهذا اللبس يمكن تفسيره بسهولة .

[والتزر R. Waltzer] خورشيد

« بَرْقوق » الملك الظاهر سيف الدين العثمانى اليلبغاوى : أول من ولى عرش مصر من المماليك البرجية ، إذا استثنينا بيبرس الثانى انظر هذه المادة) وحكمه القصير . وقد جلب الأمير يلبغا برقوقاً إلى القاهرة ثم انخرط فى سلك مماليك أبناء السلطان الأشرف شعبان ، وكان ممن اشتركوا فى إسقاط هذا السلطان . وأصبح أتابكاً فى عهد حاجى ابن الأشرف . ونودى ببرقوق سلطاناً عام ٧٨٤ هـ (١٣٨٢ م) بعد تغلبه على جميع منافسيه ، وسرعان

ما دانت له جميع الجهات . وفى الأعوام القليلة التالية دبر له الولاة — وكان يظاهرهم أمراء المغول دائماً — بعض الدسائس الصغيرة فى الشام ، ولكنه أحبطها فى يسر . وأزعجته الشكوك الدائمة التى كانت تساوره فحاول خلع يلبغا والى حلب ، وكان هذا أول خطر حقيقى صادفه ، إذ بلغ يلبغا الخبر فى حينه فعمد إلى إحباط خطة السلطان وتحالف مع منطاش والى ملطية الثائر واستولى على طرابلس وحماة . فأنفذ برقوق جيشاً كبيراً إلى الثائرين ودخل قائده إتمش دمشق . وفى ربيع عام ٧٩١ هـ (١٣٨٩م) التحم الجيشان ، إلا أن الثائرين كسبا الوقعة يومئذاك لأن عدداً كبيراً من قواد السلطان هجروه . وتعقب يلبغا وصاحبُه إتمش وأسراه فاضطر إلى إخلاء دمشق بما فيها من حصون . وعندئذ جمع هذان الثائران كل مالديهما من قوات وساروا نحو مصر .

وكان السلطان برقوق على جانب كبير من الجبن ، لايجسر على ترك القاهرة ، فلم يجد الثائران أية مقاومة . وتخلى أنصاره عنه وفر من القلعة ووضع نفسه تحت رحمة يلبغا ، فأحسن معاملته إلى حد ما . ثم أرسله سجيناً إلى الكرك . واعتلى العرش حاجى الذى كان قد عزله برقوق من غير أن تكون له سيطرة فعلية على شئون الدولة . وناط يلبغا شئون مصر بحليفه منطاش ما استطاع إلى ذلك سبيلا . ودبت الفرقة بين المتآمرين بعد ذلك ، فتحصن يلبغا بالقلعة ورابط منطاش فى أسفلها بجامع الحسن . ودارت الدائرة على يلبغا فاضطر إلى الفرار وأسر وألقى بـــه فى السجن بالإسكندرية . وما إن أمن منطاش على مركزه فى مصر حتى بلغه الخبر بأن السلطان برقوق طليق يجمع الساخطين فى الشام ، وهزم والى دمشق وغزة اللذين سارا لملاقاته كما هزم الزعيم البدوى نُعَيْر ، وبذلك كان يزداد أنصار السلطان كل يوم . وجمع منطاش جيشاً كبيراً والتقى برقوق جنوبى دمشق . وفى اليوم الأول من أيام القتال أجبر شطر كبير من جيش برقوق على الفرار . ولكنه استطاع مع ذلك أن يستولى على المعسكر الأكبر لعدوه وأن يأسر الخليفة والسلطان حاجى ، ثم استؤنف القتال فى اليوم التالى وتكبد الفريقان خسائر فادحة اضطر بعدها منطاش إلى التقهقر . وعندئذ سار برقوق إلى القاهرة حيث كان أنصاره قد استولوا على ناصية الأمور فيها .

ونجح برقوق فى استرضاء خصومه فى القاهرة . وأحسن معاملة السلطان حاجى المخلوع ، وعفا عن عدوه السابق يلبغا . واستمرت مقاومة منطاش فى الشام عامين آخرين . ثم قبض عليه آخر الأمر وعذبه إلى أن مات . غير أن برقوقاً مع كل هذا لم ينعم بالصفاء لأن الدسائس والمظالم لم تنقطع .

أما سياسة السلطان الخارجية فقد كان موفقاً فيها ، فصلاته كانت ودية مع السلطان مراد والسلطان بايزيد العثمانيين . بينما كان يشك فى تيمور العظيم من أول الأمر وفضل أن يتخذ معه سياسة العداوة الصريحة على أن يعمد إلى سياسة سلام لايطمأن إليه ، ولذلك قتل رسل تيمور الذين وفدوا لعقد اتفاقية تجارية ودية معه . كما رحب

بالسلطان أحمد بن أويس الذى طرده تيمور من بغداد . وأصلح برقوق حصون الشام ، يستدل على ذلك من النقوش ، ليعد نفسه للدفاع عن البلاد . إلا أنه اتضح فيما بعد أن ما اتخذه من التدابير كان قاصراً لايثبت أمام غارة المغول ، والحق إن برقوقاً وتيمور لم يتقاتلا ، لأن تيمور كان مشغولا إلى درجة بعيدة بأعدائه الآخرين ، فى حين كان برقوق يخاف أبداً على سلامة بلده ، ولم يبد منه لذلك ما يدل على أنه يستطيع على الدوام حماية أراضيه فى الخارج . ولم يعد حكمه على البلاد بالخير على الرغم من أن مصنفى العرب يبالغون بصفة عامة فى امتداح ورعه وإقامته المؤسسات الخيرية . وتوفى برقوق عام ٨٠١هـ وقد خلف وراءه ضياعاً شاسعة .

المصادر :

(١) وردت سيرته كاملة فى المنهل الصافى ، مخطوط ، القاهرة عام ١٣١٣هـ ، ورقمه ٣٢٦ — ٣٣٧ (٢) Gesch. der Ghalifen : Weil جـ ٤ ، ص ٥٤١ — ٥٥٦ ؛ جـ ٥ ، ص ١ — ٧١ ؛ وقد ذكرت المخطوطات العربية فى مقدمة هذا الكتاب ص ٥ — ٨ .

[سوبرنهيم M. Sobernhem]

+ برقوق : الملك الظاهر سيف الدين ، سلطان من المماليك ولى حكم مصر . وكان أول سلسلة جديدة من الحكام ، يعرفهم التاريخ باسم الجراكسة — نسبة للبلاد التى اشتروا منها أصلا — وباسم المماليك البرجية (انظر مادة « برجية ») ، لأن برقوقا كان أول من ينتمى لكتيبة اتخذت لها ثكنات ببرج قلعة القاهرة .

وكان برقوق حلقة اتصال بين دولتى سلاطين المماليك ، وقبل أن يرتقى العرش كان يحكم مصر بوصفه أتابك العساكر (انظر هذه المادة) ، خلال الفترة الحافلة بالاضطرابات والفتن ، التى ولى الحكم فيها سلطانان من فرع أسرة قلاوون ، وكان كلاهما قاصراً .

وقد اشترى برقوق فى القرم ، وهو يختلف عن بقية المماليك فى أنه لم يكن مجهول النسب ، بل كان فى وسعه أن يذكر فى نقوشه الأثرية أنه ابن أنص ، وقد دعى أنص للحضور إلى مصر ، حيث شغل فيها منصباً له قدر من الأهمية .

وبرقوق مملوك اشتراه يلبغا العمرى أقوى القواد قاطبة . والأتابك الذى كان قد نجح فى القضاء على الملك الناصر حسن السئ الحظ ، وقد سجن برقوق فترة قصيرة بعد إعدام مولاه . وانتقل إلى خدمة البلاط ، بيد أنه سرعان ما اشترك فى مؤامرة انتهت باغتيال الملك الأشرف شعبان سنة ٧٧٨ هـ (١٣٧٧ م) .

وهنالك رقاه إلى رتبة أتابك العساكر الملك المنصور على ، وكان صبياً فى السابعة من عمره ، ولم يجد برقوق بداً من أن يقف فى وجه أطماع زملائه ، فاشتبك معهم فى حرب متصلة خرج منها فى النهاية ظافراً منتصراً . واستطاع أن يجمع حوله حشداً من الأنصار ، وعندما توفى السلطان عام ٧٨٤ هـ (١٣٨٢ م) متأثراً بالطاعون بادر

برقوق بأن أجلس على العرش حاجى شقيقَ السلطان الراحل ، البالغَ من العمر أحد عشر عاماً . وكشف عن وجهه القناع فى آخر الأمر ، وتعلل بأن الحاجة ماسة إلى حاكم قوى لحماية البلاد ، وفى آخر العام نفسه عرض عليه التاج مجلس من القضاة برأسه الخليفة .

وسرعان ما تعرض برقوق لمتاعب خطيرة ، أبعدته عن السلطة إلى حين ، وقد بدأت هذه المتاعب بفتنة قام بها يلْبُغَا الناصرى والى حلب ، الذى انضم إليه مملوك ، سبق عزله ، يدعى منْطاش . وانضم إلى الحركة باقى ولاة الشام ، ومنهم والى سيس التى تقع فى الطرف الأقصى من الحدود . واستحث السلطان كبار قواده على أن يجددوا له العهد ، وعندما استقر رأيه على أن يخوض المعركة كان يلبغا يبسط سلطانه على جميع أرجاء الشام ، وهزم تحت أسوار دمشق الجيشَ الذى أنفذه إليه السلطان الشرعى ليرده إلى المحجة ، وكان ذلك فى ربيع الأول عام ٧٩١ هـ (١٣٨٩ م) .

وحشد السلطان فرقة ثانية من الجند ، جهزها بالمعدات على عجل ، لأن جنود يلبغا كانوا قد اجتازوا حدود الديار المصرية عند قَطْيَا وعسكروا فى الصالحية ، وخرج السلطان ليرابط فى المطرية ، بيد أنه عاد يائساً إلى القاهرة ، لأن معظم قواده تحزروا من سيكتب له النصر فهجروه إلى معسكر العدو ، وأراد برقوق مع ذلك أن يحسم الأمر فى معركة فاصلة ، ودار القتال شمالى القاهرة وتحت أسوار المدينة فى اليوم التاسع من جمادى الأولى (مايو) ولم ينته إلى نتيجة حاسمة ، ورأى برقوق أن ولاء رجاله له يتبدد يوماً بعد يوم فغادر القلعة متنكراً آخر الأمر ، وانطلق إلى مكان أمين يختفى فيه ..

واكتُشف أمره وأرسل إلى السجن فى الكرك ببلاد مؤاب ، بينما أُجلِس حاجى على العرش ، وانتهج حاجى مسلك سادته ، فاصطفى أنصاره من القواد المشاغبين الذين شرعوا فى إطلاق العنان لنزواتهم وانصرفوا إلى أمر تافه هو العراك فى الشوارع ، وانتهز برقوق الفرصة ليفيد من هذا الموقف المضطرب ، وفر من سجنه وحشد جيشاً من البدو العرب بخاصة . وبعد أن مرت به ظروف متقلبة عديدة ، بعضها أشبه بما نصادفه فى قصص المغامرات ، دخل القاهرة مظفّرا فى صفر عام ٧٩٢ هـ (فبراير عام ١٣٩٠ م) .

وغنى عن القول أن حاجى لم يجد أمامه سوى الانسحاب ، بيد أنه فيما عدا هذا لم يتزعزع ، ثم إن السلطان برقوقا لم يكن قد تخلص من خصمه القديم منطاش ، وكان لابد له من إنفاذ حملة حربية ظلت تطارده عامين حتى تخلص منه .

وكانت هاتان الفترتان اللتان حكم فيهما السلطان برقوق ، كما نرى ، تحفلان بالكثير من الأحداث ، ومع ذلك لم يكن فيهما مايضيف مجداً جديداً لمصر ، والحق إن السنوات الخمسين الأخيرة من القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) كانت تدعو إلى الرثاء .

وثمة أحداث أخرى جديرة بالملاحظة ، على الرغم من أن خطورة ما تنطوى عليه من دلالة لم يكن واضحاً تماماً وقتذاك ، ففى عام ٧٨٨ (١٣٨٦ م) أثناء الفترة الأولى من حكم برقوق كانت قد ترددت شائعات فى القاهرة بأن ثائراً من المغول يدعى تيموراً زحف على تبريز ، وسرعان ما أكدت هذه الشائعة رسمياً رسالة من أحمد بن أويس ، سلطان العراق الجلائرى ، يستحث فيها برقوقا على اليقظة ، وهنالك أرسلت حكومة المماليك أحد عيونها لتقصى الحقيقة بلا إمهال ، وعاد هذا الرجل فى رجب عام ٣٨٩ ﻫ (يولية عام ١٣٨٧ م) يحمل أنباء مزعجة بعض الشئ ، فقد دخلت فصائل من جيش المغول بلاد الجزيرة العليا وآسية الصغرى ، دخلت الرها وملطية بعد أن فرقت جند قرا محمد الوالى التركمانى .

وفى منتصف عام ٧٩٥ ﻫ (١٣٩٣ م) حمل تيمور الناس على أن يشعروا بوجوده مرة أخرى ، واستحثت بعثة ، أرسلها السلطان العثمانى بايزيد ، الحكومةَ المصرية على اتخاذ الاحتياطات الحربية ، وفى الوقت نفسه اضطرت حشودُ المغول أحمدَ ابن أويس سلطانَ بغداد إلى الخروج من بلاده والالتجاء إلى مملكة السلطان المملوكى . ومع ذلك فإن تيمورا حاول أن يخطب ود برقوق ، إلا أن برقوقا ، أمر بقتل سفير المغول ، طارحاً بذلك كل ما تمليه عليه الفطنة فى مثل هذا الموقف .

وسافر السلطان المصرى إلى الشام على رأس جيش ، ولم تحدث وقتذاك إلا بضع مناوشات حربية ، وقام برقوق بتعيين عدد من الرجال للدفاع عن الحدود الشآمية ، وعلى هذا استقبلت قلاع ملطية وطرسوس والرها وقلعة الروم قواداً جدداً ، وفضلا عن هذا فإن فن قراءة النقوش يكشف عن أن بعض أشغال العمارة كانت تقام وقتذاك فى قلعة بعلبك وهى موقع حربى يتحكم فى المدخل إلى قلب سورية .

وهكذا نستطيع ، بفضل هذه البيانات الهزيلة ، أن نفترض أن برقوقا عُنى بالدفاع عن البلاد وهو فى طريقه إلى الشام ، وعاد إلى القاهرة يوم ١٣ صفر عام ٧٩٧ ﻫ (٨ ديسمبر عام ١٣٩٤ م) .

والسنوات الأخيرة من حكمه خالية من أية حوادث لها أهمية تاريخية ، ومات السلطان فى اليوم الخامس عشر من شوال على إثر نوبة من نوبات الصرع .

وقد عاش برقوق ٦٣ عاماً ، وحكم مصر ما يزيد على العشرين عاماً ، أولا بصفته أتابك العساكر ، وثانياً بوصفه سلطاناً ، وسببت له الاضطرابات والفتن التى أثارها الولاة فى الشام كثيراً من المتاعب . ويمكن تفسيرها على الأرجح بمشاعر الغيرة الطبيعية وغريزة الاشتراك فى الدسائس التى كانت تحفز المماليك على انتهاج هذا المسلك فى كل وقت ، ومهما يكن من أمر فإن تزامن بعض الحوادث يوحى لنا برأى ، ولنا أن نتساءل : ألم يكن كبار القواد فى الشام فريسة للإغراء على الفتنة بسبب الدعاية البارعة التى قام بها جواسيس تيمور الذى كان يفيد من الاضطرابات؟

المصادر :

(١) المنهل الصافى ، السيّر M.I. Egypte ، جـ ١٩ ، رقم ٦٥٠ ؛ (٢) Wiet : Histoire de la Nation Egyptienne ، جـ ٤ ، ص ٥٠٨–٥٢٠ . (٣) ابن تغرى بردى ، طبعة پوپر Popper ، المجلدان ٥ — ٦ . (٤) طبعة القاهرة ، مجلد ١١ ؛ (٥) Hautecur et Wiet : Les Mosquées du Caire ، الفهرس . (٦) ابن الفرات ، مجلد ١٠ .

آدم [ج. ڤيت G. Wiet]

« بَرَكات » : اسم عدد كبير من الأشراف الذين تولوا إمارة مكة ، نذكر منهم :

١ — بركات بن حسن بن عجلان ، ولى إمارة مكة مشاركاً لأبيه سنة ٨٠٩ هـ[1] (١٤٠٦م) وانفرد بالإمارة من سنة ٨٢٩ هـ (١٤٢٦م) حتى سنة ٨٥٩ هـ (١٤٥٥ م) وتخلى عن الإمارة فترات متقطعة خلال هذه المدة . وسلك هذا الأمير الذكى المهذب سياسة حكيمة تجاه سلاطين المماليك الجراكسة فى مصر : وكانت أهم حادثة فى عهده إيفاد ناظر للحرمين إلى مكة وإقامة حامية تركية دائمة فى هذه المدينة بناء على أمر من جقمق : وقد أنشئت فى مكة أيضاً لعهده حكومة على رأسها رجلان هما : شريف مكة وحاكمها (انظر Chroniken der Stadt Mekka الذى نشره ڤستنفلد ، جـ ٢ ، ص ٢٣١ — ٢٣٣ ، ٢٩٩ — ٣٠٠ ، جـ ٣ ، ص ٢١٦ ؛ C. Snouk. Hurgronje : Mekka ، جـ ١ ، ص ٩٨–١٠٠) . وانتقلت إمارة مكة بعد وفاة بركات بن حسن إلى ابنه فحفيده ، فتولاها حفيده بركات بن محمد من سنة ٩٠٣هـ إلى سنة ٩٣١[1] (١٤٩٧ — ١٥٢٥م) . وخلال الخمسة عشر عاماً الأولى من حكمه سادت البلاد فتن داخلية ودسائس عنيفة ، ولكن عم السلام بعد ذلك ؛ وكان بركات على ود متصل بالسلطان الغورى ، على أن هذا لم يمنعه من الاعتراف فى الحال بالسيادة العثمانية سنة ٩٢٢هـ (١٥١٦م) اعترافاً كان من شأنه أنه لم تحدث فى الحجاز ثورة مفاجئة بالرغم من أن ذلك العام كان حافلا بالحوادث التاريخية فى جميع بلاد العالم ، ولما توفى بركات خلفه فى الإمارة دون عناء ابنه أبو نُمَىّ (انظر Chroniken der Stadt Mekka ، جـ ٢ ، ص ٤٣٢ وما بعدها ، جـ ٣ ، ص ٢٤٤ وما بعدها ، C. Snouk. Hurgronje : Mekka ، جـ ١ ، ص ١٠١ — ١٠٤) .

ومن بين أبناء أبى نمى واحد يدعى بركات يجدر بنا ذكره ، لأن اسمه أطلق على أسرة ذوى بركات وهى واحدة من أسر ثلاث اشتد بينها التنافس حتى أصبحت المحور الذى دارت حوله حوادث مكة فى السنين التى تلت (C. Snouck Hurgronje : Mekka ، جـ ١ ، ص ١١٩) وفى سنة ١٠٨٢هـ (١٦٧٢م) أثار محمد بن سليمان المغربى الذى أوفدته الحكومة العثمانية إلى مكة لإقرار النظام فيها أحدَ

(١) ورد فى قاموس الأعلام للزركلى ، جـ ١ ، ص ١٤٢ أنه ولى امارة مكة سنة ٨١٠ هـ .

(١) جاء فى الزركلى أنه ولى الامارة سنة ٩٠١ هـ .

أفراد هذه الأسرة وهو بركات بن محمد بن إبراهيم فتخرج على بيت ذوى زيد الذى كان يتولى إمارة مكة واتخذ منه محمد بن سليمان أداة للحد من سلطان بيت ذوى زيد ، على أن بركات هذا كان أميراً بالاسم فقط . وكان السلطان الفعلى فى يد المندوب الدخيل ؛ ثم سقط محمد بن سليمان . وتوفى بعده بوقت قصير بركات سنة ١٠٩٣هـ (١٦٨٢م) وأعقب هذا خلع بيت ذوى بركات الذى ظل يدعى الحق فى إمارة مكة أكثر من قرن .

المصادر :

(١) المحبى ، طبعة القاهرة عام ١٢٨٤هـ، جـ١، ص٤٣٦—٤٥٠ (٢) Wüstenfeld : *Die Scherifs von Mekka* ص ٧٢ ، ٧٥ — ٨٠ (٣) C. Snouk Hurgronje : *Mekka* جـ ١ ص ١٢٥ وما بعدها .

+ بركات : اسم أربعة من أشراف مكة :

(١) بركات الأول بن حسن بن عجلان ، الذى ينتمى إلى الجيل السابع بعد قتادة بن إدريس (انظر مادتى « العرب ، جزيرة » و « مكة ») ، وهو مؤسس الفرع الأخير من أسرة الأشراف ؛ وقد اشترك فى شبابه مع أبيه فى الحكم (٨٠٩ — ٨٢١ هـ = ١٤٠٧ — ١٤١٨ م) ، ولقى معارضة فى هذا من كثير من أبناء عمومته ؛ ونزل له أبوه عن العرش عام ٨٢١ هـ (١٤١٨ م) بسبب تقدمه فى السن ، ومع ذلك عاش حتى عام ٨٢٩ هـ (١٤٢٦ م) . وثبته فى منصبه برسباى ، سلطان مصر المملوكى ، الذى ادعى لنفسه السلطة العليا على مكة ، فحكم حتى عام ٨٤٥ هـ (١٤٤٢ م) فى وجه معارضة لقيها من أشقائه ، وهنالك خلعه أفراد آخرون من الأسرة ، ولكنه عاد إلى الحكم فى السنوات الأخيرة من حياته (٨٥١ — ٨٥٩هـ = ١٤٤٧ — ١٤٥٥م) ؛ وفى أثناء الفترة التى ولى فيها بركات الحكم عين السلطان المملوكى جقمق ناظراً للمدن المقدسة وأقام حامية من خمسين فارساً فى مكة ، ونشطت حركة التجارة مع الهند وازداد عدد الحجاج الهنود وواكب ذلك اشتداد السيطرة المصرية على البحر الأحمر ؛ وزار بركات القاهرة عام ٨٥١ هـ (١٤٤٧ م) ؛ وخلفه ابنه محمد (تولى الحكم ٨٥٩ — ٩٠٣ هـ = ١٤٥٥ — ١٤٩٧ م) .

(٢) بركات الثانى بن محمد ، حفيد بركات الأول ، شارك أباه فى الحكم من عام ٨٧٨ إلى عام ٩٠٣ هـ (١٤٧٣ — ١٤٩٧ م) ؛ وتنازع مع شقيقيه هزّاع وأحمد جازان على الحكم ابتداء من عام ٩٠٣ هـ ؛ وفى عام ٩٠٨ هـ (١٥٠٣ م) حمل بركات إلى القاهرة مصفدا بالأغلال وأخلى بذلك الطريق لشقيق آخر له يسمى حميضة ، فأصبح شريفاً لمكة ؛ وأعيد بركات إلى منصبه عام ٩١٠ هـ (١٥٠٤ م) وظل سيد مكة إلى أن توفى عام ٩٣١ هـ (١٥٢٥ م) ؛ واشترك معه فى الحكم شقيقه قايتباى من عام ٩١٠ إلى عام ٩١٨ هـ (١٥٠٤ — ١٥١٢ م) ثم اشترك معه بعد ذلك ابنه الصغير محمد أبونمى الثانى ؛ وحفز التهديد البرتغالى الجديد السلطان المملوكى قانصوه الغورى إلى إيفاد حسين الكردى على رأس قوة عسكرية لحماية جدة فأحاطها بسور وأبراج .

وعندما دخل سليم جاوز القاهرة أرسل بركات ابنه أبا نمي (وكان عمره حوالى ١٢ عاماً) فى عام ٩٢٣ هـ (١٥١٧ م) ليقوم بخدمته ، وأقر الفاتح العثمانى الحالة القائمة فى مكة . ولسبب ما لم ينتهز سليم هذه الفرصة لأداء فريضة الحج ، على الرغم من أن أول محمل عثمانى أرسل عام ٩٢٣ هـ ، وأن أول شحنة من القمح لأهالى مكة أرسلت عن طريق البحر من السويس إلى جدة . وخلف أبو نمي أباه بركات (تولى الحكم من ٩٣١ — ٩٧٤ هـ = ١٥٢٥ — ١٥٦٦ م) ومن صلبه انحدر كل أشراف مكة الذين تولوا الحكم بعده .

وتنازعت ثلاث عشائر من ذرية أبى نُمَىّ الثانى بعضها مع بعض على منصب شريف مكة من النصف الأول للقرن الحادى عشر الهجرى (السابع عشر الميلادى) إلى القرن الرابع عشر الهجرى (العشرين الميلادى) وهى : ذوو زيد ، وذوو عبد الله ، وذوو بركات . وقد أطلق لقب « ذوو بركات » على أبى نمي بن بركات ، الذى لم يتقلد أبداً منصب شريف مكة .

(٣) بركات الثالث بن محمد بن إبراهيم ، الحفيد الأكبر الملقب بذوى بركات ، وكان أول فرد فى عشيرته يتولى المنصب ، إذ اعتلى العرش عام ١٠٨٢ هـ (١٦٧٢ م) .

وقد قلده هذا المنصب رجل من شمالى إفريقية يدعى محمد بن سليمان الروداني ، وهو عدو لعشيرة ذوى زيد وأحد المقربين إلى الصدر الأعظم العثمانى أحمد كوپريلى . وفى أثناء الفترة الأولى من حكم بركات أقر محمد بن سليمان عدداً من الإصلاحات الجوهرية الغرض منها تحسين حال العناصر الأجنبية والطبقات الفقيرة فى مكة على حساب الطبقة الأرستقراطية القديمة . وأفل نجم المصلح بوفاة كوپريلى عام ١٠٨٧ هـ (١٦٧٦ م) . وظل بركات شريفاً لمكة إلى أن مات عام ١٠٩٣ هـ (١٦٨٢ م) ، وخلفه ابنه سعيد (تولى الحكم من عام ١٠٩٣ — ١٠٩٥ هـ = ١٦٨٢ — ١٦٨٤ م) .

(٤) بركات الرابع بن يحيى ، حفيد بركات الثالث ، ولم يمكث فى الحكم إلا فترة تقل عن شهرين (١١٣٥ — ١١٣٦ هـ = ١٧٢٣ م) ، إذ هزمه ذوو زيد بعد أن نزل له أبوه على الحكم ، وحينئذ فر هو وأبوه إلى الشام .

وكان آخر من تولى منصب شريف مكة من ذوى بركات هو عبد الله بن حسين ، ابن أخى بركات الرابع ، الذى كانت مدة حكمه قصيرة مثل عمه ؛ وقد قلده منصبه عام ١١٨٤ هـ (١٧٧٠م) محمد أبو الذهب ، القائد الذى أرسله إلى الحجاز على بك (انظر هذه المادة) والى مصر ، وافتقر إلى القوة اللازمة للاحتفاظ بمنصبه بعد انسحاب أبى الذهب . واستأثر بمنصب الشريف منذ ذاك عشيرة ذوى زيد أولا ، ثم تقلدته عشيرة ذوى عبد الله .

المصادر :

(١) F. Wüstenfeld (المحرر) : *Die Chroniken der Stadt Mekka* ، جوتنگن ، سنة ١٨٥٧ — ١٨٦١ (٣) أحمد بن زينى

دَحْلان : خلاصة الكلام ، القاهرة سنة ١٣٠٥ هـ . (٣) أحمد السباعى : تأريخ مكة ، القاهرة سنة ١٣٧٢هـ . (٤) C. Snouk Hurgronje : *Mekka* ، لاهاى سنة ١٨٨٨ — ١٨٨٩ .

[G. Rentz آدم [رنتز

« بَرَكَة » : كلمة عربية كان لما اتصل بها من معنى شأن كبير فى الخرافات عند المسلمين . وأصبحت أداة سحرية يتوسل بها إلى حسن الطالع على اختلاف أشكاله ، وإلى شفاء الأمراض وإبراء العاهات ، ولا يكون التوسل بها إلى الله وحده بل يتوسل بها أيضاً إلى الأولياء وإلى الأشياء المفروض فيها أنها تمنح البركة .

وتنتقل البركة إلى الآخرين عن طريق اللمس، وهو أصل عبارة « للتبرك » التى شاعت فى الشرق، ويكون التبرك بلمس الأشياء المباركة أو تقبيلها أو طرقها . ومخلفات الأولياء والملابس التى كانوا يرتدونها فى حياتهم وكل ما يتصل بالأحياء منهم قوة خارقة . وهذا يفسر لنا ما جرى عليه شيوخ الدراويش من عادات عجيبة حيال السالكين الجدد الطريق .

+ البركة : النماء والزيادة والسعادة ، ولم ترد هذه الكلمة فى القرآن إلا بصيغة الجمع : بركات مثلها مثل رحمة وسلام ، وهى التى يفيئها الله على الإنسان . وكلام الله بطبيعة الحال فيه بركة . والله يزرع قبضا من البركة فى قلوب أنبيائه وأوليائه : وقد رزق محمد وآله بخاصة هذه البركة . وتستطيع هذه الشخصيات المقدسة أن تهب هذه النفحة من قدراتهم الخارقة لأناس عاديين ، وهذه الاستطاعة تكون فى حياتهم وبعد مماتهم . وطريقة هذه الهبة تختلف اختلافاً كبيراً . وتكون فى بعض الأحيان عجيبـــة .

والبركة ، عند الزراع ، معترف بها فى الحبوب ، فهى تنمو نمواً عجيباً . ونصادف البركة هنا وهناك منسوبة إلى أشياء مختلفة أشد الاختلاف . ونجد فى القرآن أن شجرة الزيتون مباركة، وليلة السابع والعشرين من رمضان ليلة مباركة .

وانتهت هذه الكلمة ، من حيث العمل ، إلى معنى دنيوى هو « الوفرة » . فيقال «ما فيه بركة »، وهى مستعملة فى مفردات الموحدين بمعنى « الهبة تزاد على راتب الجندى » . وتستعمل اللهجات المغربية الكلمة استعمالات مختلفة فى معنى الظرف « واف » .

وترد اشتقاقات كلمة « برك » فى صيغ عديدة، تقال تأدباً مثل : عبارات الشكر ، والتحية ، والتلطف . وهى تقترن كثيراً فى سياق الكلام بالأصل « سعد » . وقد جرت الحال باستعمال عبارة « تبارك الله » التى قد تلتبس على الأفهام (القرآن ، سورة الملك ، الآية ١) رقية تقى من عين الحسود .

المصادر :

(١) Wellhausen : *Reste. arab. Heidentums* ، الطبعة الثانية ، ص ١٣٩ . (٢) E. Wetermarck : [redacted] *and belief in Morocco* ، جـ ١ ، ص ٣٥ —

Genou, famille, force dans: M. Cohen (٣). ٢٦١ Mémorial في le domaine Chamito - Sémitiqu ، باريس سنة ١٩٢٨، جـ ١ ، ص Henri Basse La Baraka chez : J. Chelhod (٤) . ٢٠٢ ، Revue de l'Histoire des Religions في les Arabe. سنة ١٩٥٥ : (٥) إسلام أنسيكلوپيدياسى ، مادة « بركت » بقلم قاسم كفرالى .

[G.S. Colin خورشيد [دولان

«بَرْگَمة» :[١] اسم يطلق على قضاء فى سنجق إزمير بولاية آيدين وعلى حاضرته أيضاً . ومدينة برگمة القائمة على خط طول ٢٤° ٥٥َ شرق گرينوتش وخط عرض ٣٩° ٥َ شمالا هى مدينة Pergamon پرغامون كما ثبت ذلك من نتائج الحفريات التى قام بها هيومان وكونزس وغيرهما Human and Conzes etc.

وليس هنا مقام الإفاضة فى الكلام على تاريخ برگمة وحفرياتها ، ويستطيع القارئ الرجوع فى ذلك إلى البحث القيم المختصر المذكور فى بيدكر Constantinople and Western Asia Minor : Baedeker) ص ٢٤٦ — ٢٥٤) .

وفى بداية القرن الرابع عشر سقطت هذه المدينة فى يد أسرة قرهسى التركية وأضحت هى وباليگسرى أهم مدينتين فى هذا القضاء . وقد ذهب إليها ابن بطوطة سنة ٧٣٣هـ (١٣٣٣م) ووجدها فى الحالة التى هى عليها اليوم ؛ وقال فى وصفها إنها عبارة عن خرائب ، وبها قلعة حصينة مشيدة على الجبل ، وكان سلطانها يسمى يخشى؛ واستولى أورخان على تلك المدينة بعد ذلك بوقت قصير ، ويقول مؤرخو الترك إن ذلك كان فى سنة ٧٣٥هـ (١٣٣٤م) أو٧٣٧هـ (١٣٣٦م)، ولكن موردتمان Mordtmann يقول فى Ueber d. Tuerkische Fuerstendgeschlecht der Karasi » نقلا عن المؤرخين البوزنطيين ، إن ذلك حدث فى تاريخ متأخر عن هذا .

وبرغمة مدينة صغيرة رائعة المنظر فيها مقر القائمقام ، ويسكنها نحو ٢٠,٠٠٠ نسمة . ويذكر كوينيه أن عدد سكانها ١٤,٥٠٢ ، ويقول سامى إن عددهم ١٢,٠٠٠ ، أما على جواد فيقدر عددهم ب ٢١,١٩٧ نسمة .

والأرض المحيطة بها خصبة يزرع فيها التبغ والقطن بصفة خاصة . ونضيف إلى هذا صناعة الجلود التى كانت تشتهر بها مدينة پرغامون القديمة .

ويروى على جواد أن بهذه المدينة عشر مدابغ .

المصادر :

(١) La Turquie d'Asie : Cuinet ، باريس ١٨٩٤م ، المجلد الثالث ، ص ٤٧١ وما بعدها
(٢) Ueber d. Turkische : Mordtmann فى Furstengeschlecht der Karasi in Mysien Sitzungsber. der Kgl. Preuss Akad. der Wissensch.،

[١] هكذا وردت فى الأصل أما المصنفات والمصورات الجغرافيه التركيه فترسمها بالعين أى « برغمه » .
اللجنة

برلين ١٩١١م (٣) على جواد : ممالك عثمانيه تكلا : تاريخ جغرافيا لغاتى ص ١٦٤ (٤) ابن بطوطة : طبعة Defrémery ، باريس سنة ١٨٥٣م .

[F. Giese. كيس]

* برْگَمَة ، أو برغمة : هي برغامون القديمة في ميسيا (ووردت عنها معلومات وإشارات في Pauly - Wissewa) . وقد استقر الأرمن الذين فروا أمام غارات المسلمين على آسية الصغرى في برغامون البوزنطية أثناء القرن السابع الميلادى . وكان الإمبراطور البوزنطى فيليپيكوس : Philippikus (٧١١ — ٧١٣ م) من أصل أرمنى خرج من برغامون . ونهبت الجيوش الإسلامية بقيادة مسلمة بن عبد الملك المدينة سنة ٧١٦ م ، ولكن أعيد بناؤها وتحصينها بعد أن تخلى العرب عن محاولتهم الاستيلاء على القسطنطينية ما بين عامى ٧١٧ — ٧١٨ م . ودخلت برغامون منذ عهد ليو الثالث (٧١٧ — ٧٤١ م) في إقليم تراكيسون البوزنطى ، ثم دخلت منذ عهد ليو السادس (٨٨٦ — ٩١٢ م) في إقليم ساموس . وقد قاست المدينة أثناء الغارات التركية في غربى آسية الصغرى بعد وقعة ملازجرد (منزيكرت) سنة ١٠٧١ م . على أنها ظلت مزدهرة وقاعدة جيدة التحصين في عهد الأباطرة البوزنطيين من بيت كومنينوس وخلفائهم المباشرين . وكانت برغامون حتى ذلك الوقت وكالة أسقفية تتبع إفسوس ، ثم رفعت إلى مقر مطرانية في عهد إسحق أنجيلوس (١١٨٥ — ١١٩٥ م) . وبعد أن سقطت القسطنطينية فريسة للحرب الصليبية الرابعة سنة ١٢٠٤ ، ضمت المدينة إلى دولة نيقية الإغريقية ، ولما اكتسح الأتراك من بعد غربى آسية الصغرى في السنوات التي تقع حوالى عام ١٣٠٠ م ، وقعت برغمة تحت سلطان بكوات قره سى . وقد ضمها العثمانيون في عهد أورخان بك إلى إمارة قره سى ، ثم أصبحت برغمة من بعد قضاء في سنجق خداوندگار بإيالة أناطولى ثم غدت من بعد قضاء بسنجق أزمير في ولاية آيدين .

وإقليم برغمة خصيب اشتهر بمحصوله من الحبوب والفاكهة والخضراوات والطباق والقطن . وقد احتلت القوات اليونانية برغمة في السنوات ١٩١٩ — ١٩٢٣ . وخرج من برغمة سكانها اليونان نتيجة لما حدث بعد من تبادل السكان الذى اتفقت عليه الحكومتان اليونانية والتركية ، وتلقت المدينة بدلهم عناصر تركية جلبت من اليونان . وقد قدر عدد سكان برغمة سنة ١٩٥٠ بما يقرب من ١٦,٥٠٠ نفس .

المصادر :

(١) ابن بطوطة ، طبعة Defrémery and Sanguinetti ، باريس سنة ١٨٥٣ — ١٨٥٩ ، جـ ٢ ، ص ٣١٥ . (٢) حاجى خليفة : جهاننما ، إستانبول سنة ١١٤٥ هـ = ١٧٣٢ م ، ص ٦٥٩ . (٣) V. Cuinet : *La Turquie d'Asie* ، جـ ٣ ، باريس سنة ١٨٩٤ ، ص ٤٧١ وما بعدها (٤) H. Gelzer : *Pergamon unter Byzantinen und Osmanen* في *Abh. Pr. Ak W.* *Anhang.*

برلين سنة ١٩٠٣ . (٥) A. Philippson : *Reisen und Forschungen im westlichen Kleinasien* ، جـ ١ (*Ergaenzungscheft no. 167 Pitermann's Mitteilungen*) ، گوتا سنة ١٩١٠ ، ص ٨٧ وما بعدها ؛ (٦) J.H. Mordtmann : *Ueber das tuerkische Fuerstengeschlecht der Karasi in Mysien* (*SBPr. Ak. W.*) ، برلين سنة ١٩١١ . (٧) M. Berchem : *Die muslimischen Inschriften Pergmon* (*Anhang zu. Abh. Pr.Ak. W.*) ، سنة ١٩١١) برلين سنة ١٩١٢ . (٨) أ. خ. أوزون چارشيلى : أناطولى بكلكلرى ، إستانبول سنة ١٩٣٧ ، ص ٣٣ ومابعدها . (٩) عثمان باياتلى : برغمة تاريخنده أسكليپيون ، الطبعة الرابعة ، إستانبول سنة ١٩٥٤ . (١٠) على جواد : تاريخ وجغرافيا لغاتى ، إستانبول سنة ١٣١٣–١٣١٤هـ ، ص ١٦٤ . (١١) Pauly-Wissowa ، مجلد ١٩ ، جـ ١ ، سنة ١٩٣٧ ، الأعمدة ١٢٣٥ — ١٢٦٣ ؛ (١٢) إسلام أنسيكلوپيدياسى ، مادة برغمة بقلم بسيم دارقوت . (١٣) ومن شاء بياناً حديثاً عن الآثار الإسلامية فى برغمة ، ومعه خطة وصور شمسية ، فلينظر كتاب عثمان باياتلى : برغمة تاريخنده تورك إسلام أثر لرى ، إستانبول ، سنة ١٩٥٦ .

خورشيد [پارّى V. J. Parry]

« پَرگَنَه » : اسم يطلقه الهنود على مجموعة من القرى ، ورد لأول مرة عند الكلام على تاريخ سلاطين دهلى فى كتاب « تأريخ فيروز شاهى » الذى صنفه شمس سراج عفيف (انظر المكتبة الهندية ، سنة ١٨٩١م ، ص ٩٩) . ولم يستعمل هذا اللفظ حسن النظامى فى كتابه « تاج المآثر » أومنهاج الدين فى كتابه « طبقات ناصرى » . ومع أن هذا الاسم ذاع لأول مرة فى القرن الرابع عشر وحل إلى حد ما محل كلمة « قصبة » ، فإنه من الراجح جداً أن أصله يرجع إلى تقسيمات إدارية كانت موجودة قبل الفتح الإسلامى .

وقد ورد وصف النظام الداخلى لإحدى هذه البركنات فى تأريخ حكم « شيرشاه » الذى عدنا بتفصيلات نظام الجباية فى پركنتى أبيه بسسرام من أعمال بهار . وعندما أصبح هذا الأمير والياً على هندستان قسّم ولايته إلى وحدات إدارية يعرف كل منها باسم « سركار » وقسّم كل واحدة إلى مجموعات من القرى أطلق عليها اسم پركنة . وكل پركنة كان يشرف عليها « شِقْدار » ، أى ضابط من البوليس الحربى ، يعاون « الأمين » أى الضابط المدنى . وكان يعاون الأمين صراف يسمى « فُتَدار » وكاتبان يسمى كل منهما « كاركُن » أحدهما للتحريرات الهندية والآخر للفارسية . وليس من الصواب أن نقول إنه كان مبتكراً فى هذه الناحية من الإدارة ، ذلك لأن عمال الأقاليم والأنظمة التى نسبت إليه كانت جميعاً موجودة بالفعل قبل اعتلائه العرش . وظل هذ النظام الإدارى قائماً إلى أن عدّل « أكبر » نظام إمبراطورية المغل فقسمها إلى أقسام كل قسم يعرف بـ « صوبة » أى ولاية ، وقسم هذه الولايات إلى كور . وأصغر وحدة مالية فى عهد أكبر هى « البركنة » أوالمحل . فمثلا كانت صوبة

أوده مقسمة إلى خمس كور «سركار» وإلى ٣٨ پركنة (انظر آئين أكبرى فى المكتبة الهندية، جـ٢، ص ١٧٠ — ١٧٧، ترجمة Jarett سنة ١٨٩١م).

وفى عهد أباطرة المغل كان أصحاب المناصب الرئيسية فى البركنةهم: القانتكو والأمين والشقدار، وكانوا مسئولين عن حسابات البركنة وتقدير الضرائب ومسح الأرض وحماية حقوق المزارعين. وكان فى كل قرية أيضاً موظف مسئول عن حساباتها يسمى «پتوارى» وكانت وظيفته فى القرية تشبه وظيفة القانتكو فى البركنة. وينبغى أن لانعتقد أنالبركنات كانت وحدة ثابتة ذات نظام متجانس، ذلك لأنها كانت تختلف فى مساحتها فى أجزاء الدولة المختلفة، وكان تعديل النظام العقارى يستتبع تقسيماً وتوزيعاً جديدين لهذه الوحدات المالية. وأدى اتساع البركنة باتساع ممتلكات عشيرة أو أسرة ما إلى الاعتقاد بأن البركنة لم تكن وحدة تدر الضرائب فقط، وإنما روعى عند إنشائها توزيع الملكية أيضاً.

البركنات الأربع والعشرون

اسم إقليم فى البنغال بين خطى عرض ٢١° ٣١َ و ٣٢ ٥٧ شمالا وبين خطى طول ٨٨° ٢١َ و٨٩° ٦َ شرقى كرينوتش. واشتق اسمها هذا من عدد البركنات التى كانت موجودة فى الزميندارى التى تنازل عنها مير جعفر نواب نظام البنغال إلى شركة الهند الشرقية الإنكليزية سنة ١٧٥٧م. وأيد هذا التنازل إمبراطور المغل سنة ١٧٥٩ عندما منح الشركة سلطة قضائية وراثية مستمرة على هذا الإقليم. وفى العام نفسه كوفئ اللورد كليف Clive على الخدمات التى أداها إلى مير جعفر فأقطعه دخل هذا الإقليم. وهذا الدخل الذى بلغ ثلاثين ألف جنيه فى العام جعل كليف خادم الشركة وسيدها فى وقت واحد. واستمر هذا المبلغ يؤدى إليه إلى أن توفى سنة ١٧٧٤م، وعندها وقع الإمبراطور مرسوماً أعاد بموجبه إلى الشركة حق تملك الأرض والاستيلاء على إيرادها.

المصادر:

المصادر مذكورة فى صلب المادة.

[C. Collin Davies ديفيز]

«برگه» أوپرگه، والأصح أن يقال برگـِى: مدينة بآسية الصغرى على منحدرات تُمْلُس بوادى كوچك مندريس (كايسروس Kaystros) من أعمال ولاية أزمير وقضاء أوده ميش. على مسيرة خمسة أميال من هذه المدينة. وكانت بركة مكاناً هاماً ومصيفاً لأمراء آيدين فى القرون الوسطى. وتدلنا المساجد والمدارس التى لاتزال قائمة إلى الآن عما فيها من أضرحة لهؤلاء الأمراء على ماكانت عليه هذه المدينة من مجد. وبها أيضاً قبر العالم التركى «برگوى» الذى علّم فى مدرستها (انظر مادة «بركوى»).

المصادر:

(١) على جواد: ممالك عثمانه نكَث تأريخ وجغرافيا لغاتى، ص ١٩٦ (٢) Quinet: *La Turquie d'Asie*، جـ٣، ص ٥١٦.

* برگه [برگی ، وأحياناً أيضاً بَرْگی أو بیرگی] : بليدة في غربي آسية الصغرى تقوم في وادي كوچوك مندريس ، وهي مركز ناحية تتبع قضاء أوده ميش بولاية أزمير ، وهنا تقوم ، ديوس هيرون ، القديمة في ليديا ، وعرفت المدينة في أيام البوزنطيين باسم « كرستوپولس » كما عرفت أيضاً باسم « پوركيون » ؛ وقد رفعت إلى مقر مطرانية بين سنتي ١١٩٣ و ١١٩٩ م وبذلك تحررت من سيطرة أفسوس الإكليروسية ، ولكنها غدت مرة أخرى وكالة أسقفية لأفسوس سنة ١٣٨٧ . وقد طرد القطالونيون بقيادة روجر دي فلور الأتراك من المدينة سنة ١٣٠٤ ونهبوها في الوقت نفسه ، ثم انتقلت برگه إلى أيدي بكوات آيدين الأتراك . ولاتزال تشاهد في المدينة آثار من عهد حكمهم وخاصة أولو جامع . وخضعت برگه لسلطان العثمانيين سنة ٧٩٣ هـ (١٣٩١ م) وظلت في حكمهم بعد ذلك إلا فترة قصيرة أعاد فيها تيمور بك أمراء بيت آيدين إلى السلطة فحكموا هذه البلاد مرة أخرى مابين سنتي ١٤٠٢ و١٤٢٥م ؛ وعانت المدينة تخريباً كبيراً في السنوات ١٩٢٠ — ١٩٢٢ أثناء الحرب التي نشبت آنذاك بين اليونانيين والأتراك في آسية الصغرى . وقد بلغ عدد سكان برگه سنة ١٩٤٥ : ٢١٥٠ نسمة .

المصادر :

(١) العُمَري : مسالك الأبصار ، طبعة F. Taeschner ، جـ ١ ، ليبسك سنة ١٩٢٩ ، ص ٤٥ وما بعدها . (٢) ابن بطوطة : تحفة النظار ، طبعة دفرمري وسانگوينتي ، باريس سنة ١٨٥٣ — ١٨٥٩ ، جـ ٢ ، ص ٢٩٥ وما بعدها ؛ (٣) أوليا چلبي : سياحتنامه ، جـ ٩ ، إستانبول سنة ١٩٣٥ ، ص ١٧٣ وما بعدها ؛ (٤) Pachymeres ، بون سنة ١٨٣٥ ، جـ ٢ ، ص ٤٣٦ . (٥) Dukas ، بون سنة ١٨٣٤ ، ص ٨٣ ؛ (٦) W. Thomaschek : *Zur historischen Topographie von Kleinasien im Mittelalter* (في *SBAk. Wien, Phil. Hist. Cl., Bd. CXXIV*) ، ڤينا سنة ١٨٩١ ، جـ ١ ، ص ٣٤ ، ٩١ ؛ (٧) A. Waechter : *Der Verfall des Griechentums in Kleinasien im XIV. Jahrhundert* ، ليبسك سنة ١٩٠٣ ، ص ٤١ ، ٤٢ — ٤٤ ؛ (٨) J. Keil & A. von Premerstein : *Bericht ueber eine dritte Reise in Lyden* (في *Ak. d. Wiss. in Wien, Denkschriften, Phil. Hsit. Kl., Bd. 57/i*) ، ڤينا سنة ١٩١٤ ، ص ٦٢ ومابعدها ؛ (٩) F. Taeschner : *Das anatolische Wegenetz nach osmanischen Quellen* (في *Tuerkische Bibliothek, Bd. 23*) ، ليبسك سنة ١٩٣٦ ، جـ ١ ، ص ١٧٦ ، جـ ٢ ، ص ٣٩ ؛ (١٠) R. M. Riefstahl : *Turkish Architecture in Southwestern Anatolia* ، كمبردج ماساشوستس ، سنة ١٩٣١ ، جـ ١ ، ص ٢٤—٣٢ ، ص ١٠٢ — ١٠٦ (النقوش ، طبعة پ. وتتك P. Wittek) ؛ (١١) P. Lemerie : *L' Emirat d' Aydin, Byzance et l' Occident: Recherches sur « La Geste d' Umur Pasha »* (في *Bibliothèque Byzantine, Etudes, no.*) ، باريس سنة ١٩٥٧ ، ص ٢١ وما بعدها ، ٢٥٨ (الفهرس) ؛ (١٢) م . فؤاد

كوپريلى‌زاده : آيدين أوغيللرى تاريخنه عائد فى توركيات مجموعه سى، جـ ٢، إستانبول سنة ١٩٢٨ ص ٤٢٢ ؛ (١٣) أ. ح. أوزون چارشيلى: كتابه‌لر (أناطولى تورك تاريخى ووثيقه لرندن إيكنجى كتاب) إستانبول سنة ١٩٢٩ ، ص ١٠٥ ومابعدها (١٤) همت آقين ؛ آيدين أوغيللرى حقنده بر أراشديرما (أنقره أونيفرسيته سى ديل وتاريخ جغرافيا فاكولته سى يايئلرى ، رقم ٦٠) إستانبول سنة ١٩٤٦، ص ١٠٤ ومابعدها (١٥) V. Cuinet، *La Turquie d'Asie* جـ ٣ ، باريس سنة ١٨٩٤ ، ص ٥١٦ وما بعدها (١٦) على جواد : تاريخ وجغرافيا لغاتى ، إستانبول سنة ١٣١٣—١٣١٤ هـ، ص ١٦٩ ؛ (١٧) Pauly-Wissowa ، مجلد ٢ ، جـ ١ ، سنة ١٨٩٩ ، مادة خريستوپولس ، العمود ٢٤٥٢ ؛ مجلد ٣ ، جـ ١ ، سنة ١٩٠٥ ؛ مادة دبومن هبرون ، العمودان ١٠٨٣ — ١٠٨٤ (١٨) إسلام أنسيكلوپيدياسى ، مادة بركى ، بقلم بسيم دارقوت ؛

خورشيد [پارى V.J. Parry]

« بركه » بن جوجى ، وتطلق عليه معظم المصنفات المصرية اسم بركة بن باتو خطأ : أمير مغولى وزعيم القبيلة الذهبية ، وهو حفيد جنكيز خان وثالث أبناء جوجى . ونستدل من رسائل السفراء المصريين الذين لقيهم فى أواخر سنى حياته أنه كان يصغر باتو بأعوام قلائل ؛ ولانعرف عن سيرته قبل أن يرقى العرش إلا القليل ؛ ولم يشترك بركه فى الحروب التى نشبت فى الروسيا وغربى أوروبا بين عامى ١٢٣٧ و١٢٤٢م ؛ وكان يتردد على بلاد المغول أكثر مما كان يفعل باتو ؛ وقد اشترك فى المجالس الكبيرة التى عقدت عام ١٢٤٦م بمناسبة تتويج كيوك، وعام ١٢٥١م بمناسبة تتويج منكو؛ ورأس بركه المجلس الأخير بصفته أسن الحاضرين من البيت المالك ، كما كان له شأن كبير فى محاكمة أحفاد جغتاى وأوكداى (انظر مادة « باتوخان») ؛ ويروى كيراكوس Kirakos الأرمنى أن ألغا حفيد جغتاى جعل بركه فيما بعد المسئول وحده عما حل بأهل بيته من نكبات ؛

وبادر بركه بُعَيْد ذلك إلى العودة إلى أرض أجداده ولم يزر شرقى آسية مرة أخرى . ويصف روبروكيس Rubruquis فى يومياته عام ١٢٥٣م معسكر بركه . وكان بركه مسلماً حتى فى ذلك الوقت ، فلم يسمح بأكل الخنزير فى معسكره . ومن الواضح أن القصة التى رواها أبوالغازى من أن بركه اعتنق الإسلام بعد أن ولى العرش وضعت فى عصر متأخر (أبوالغازى : طبعة Desmaisons ، ص ١٧٢ وما بعدها) . ويقول الجوزجانى فى كتابه « طبقات ناصرى » (ترجمة راڤرتى Raverty ، ص ١٢٨٤) إن بركه درس القرآن فى حداثته بخوقند على فقيه من أهل هذه المدينة ؛ ويروى الجوزجانى فى موضع آخر (ص ١٢٩) قصة الكراهية التى كان يضمرها سرتاق بن باتو بصفته نصرانياً لعمه بركه المسلم . ويمكننا أن نقارن هذه القصة بما رواه الأرمنى كيراكوس من أن بركة؛

دس السم لابن أخيه ، وإذا كانت العداوة قد نشبت حقاً بين هذين الأميرين فإن من الصعب تفسيرها بكراهية كل منهما لدين الآخر فقط ؛ أما أن روبروكيس قد أنكر تعميد سرتاق فإن هذا الأمر لم تؤيده المصادر الشآمية والأرمنية فحسب بل أيدته المصنفات الإسلامية بما فيها كتب المعاصرَين اللذين لم ينقل أحدهما عن الآخر وهما : الجويني والجوزجاني . ومهما يكن من أمر ، فإن سرتاق — الذي كانت له ست زوجات في رواية روبروكيس ، والذي أعفى رجال الدين من المسلمين والنصارى على السواء من جميع الضرائب في رواية كيراكوس — لم يكن أكثر تعصباً لنصرانيته من تعصب بركه لإسلامه ، وهو الذي كانت عاصمته مقر أسقف نصراني عام ١٢٦١م .

ويقول الجويني إن سرتاق بلغه خبر وفاة أبيه باتو وهو في طريقه إلى بلاد المغول عام ٦٥٣هـ (فبراير ١٢٥٥ — يناير ١٢٥٦م) للقاء الخان الأكبر منكو ، ولكنه تابع سيره . وأقام الخان خلفاً لباتو ونصبه أميراً على الممتلكات الوراثية في بيت جوچي وجعله أول أمير في الدولة كلها بعد الخان الأكبر . ولكن سرتاق توفي بعيد ذلك أثناء رجوعه في بعض الروايات ، أوعقب عودته في روايات أخرى . وأقام عمال الخان الأكبر أولاقچي زعيماً للقبيلة الذهبية وجعلوا « براقچين خاتون » أرملة باتو وصية عليه . ويقول الجويني إن أولاقچي هذا هو ابن سرتاق بينما يقول رشيد الدين إنه ابن باتو .

وكان بركه ، شأن باتو ، لا يحكم في أوائل سني حكمه بلاد أبيه فحسب ، ولكنه كان يحكم ما وراء النهر أيضاً : ويقول الجوزجاني إنه زار بخارى وأظهر تبجيله لعلمائها : ويروى كذلك أنه أمر بأن يعاقب نصارى سمرقند عقاباً صارماً وأن تهدم كنيستهم لأن بني وطنهم المسلمين لقوا بعض الحيف على يدهم . ويقال إنه عندما وصل خبر وفاة الخان الأكبر عام ١٢٥٩م جعلت الخطبة باسم بركه لا في ماوراء النهر فحسب بل في خراسان وولايات فارس الأخرى أيضاً (طبقات ناصري : ترجمة راڤرتي ، Raverty ، ص ١٢٩٢) .

وفي خلال السنوات الأربع التالية ١٢٦٠ — ١٢٦٤ ، اشتغل اثنان من إخوة الخان الأكبر ، هما قبلاي وأرغ بغا ، في نضال من أجل العرش بآسية الشرقية . ونستدل من السكة التي ضربت في البلغار أن بركه اعترف بأن المطالب الأصغر أرغ بغا هو الوارث الشرعي للعرش ، مع أن الغلبة التامة كانت لمنافسه آخر الأمر . وحوالي هذا الوقت ظهر الأمير ألغا حفيد چغتاي في أواسط آسية ، وكان هذا الأمير يعمل أول الأمر باسم أرغ بغا ثم انتقض عليه جهرة بعد ذلك . ولم يقتصر نجاحه على ضم بلاد جده إلى صفه بل ضم أيضاً خوارزم التي كانت على الدوام تابعة لمملكة جوچي وخلفائه . وطرد من البلاد الولاة والعمال الذين أقامهم بركه ، ولابد أن تكون المذبحة التي يروى وصافه (الطبعة الهندية ، ص ٥١) أنها حلت بشطر من جيش بركه

يبلغ عدده خمسة آلاف من المقاتلة الأشداء فى بخارى لم تقع على يد قبلاى ، كما زعم وصّاف نفسه ، ولا على يد هولاكو كما ظن دوسن d'Ohsson فى كتابه (*Histoire des Mongols* ، ج ٣ ، ص ٤٨١ ومابعدها) وإنما وقعت على يد ألغا ، وظلت الحرب قائمة بين بركه وألغا حتّى توفى بركه ، بل إنه بعد أن تم النصر لألغا على أرغ بغا استولت جنوده على مدينة أوترار التجارية وخرّبتها ، وكان ذلك فى السنوات الأخيرة من حياته ، وكان بركه فى حاجة إلى حشد قواته فى الجنوب والغرب ولذلك لم يفعل شيئاً بأعدائه فى الشرق غير أنه لم يتخل مع ذلك عن مطالبه ، وكان أرغ بغا يحارب ألغا ، فلما سقط واصل الأمير قيدو حفيد أوگداى — وكان يحارب فى صفوف أرغ بغا — القتالَ يعاونه فى ذلك بركه .

ولم تكن الحملات التى أنفذت إلى الغرب ضد البولنديين وضد دانيال ملك غاليسيا الذى لم يقنع بإعلان استقلاله عام ١٢٥٧م بل بلغت به الجرأة أن هاجم التتار ، لم تكن هذه الحملات على جانب كبير من الأهمية ، ونجح فى القيام بها الجنود الذين نيط بهم حماية أقاليم الحدود دون أن تدعو الحاجة إلى حضور بركه بنفسه إلى ميدان القتال ، وخضع الملك دانيال لخان التتر فخرب معظم الحصون التى أقامها فى مملكته ، أما الحرب بين بركه وابن عمه هولاكو فاتح بلاد فارس فقد كانت أهم من الحروب التى سبقتها وإن كان بركه فيها أقل توفيقاً ، وقد اختُلف فى بواعث هذه الحرب ، ووصفت بعض الروايات بركه بأنه قام بها ذوداً عن الإسلام، شأنها فى ذلك شأن قصة العداوة التى نشأت بينه وبين سرتاق ، ولذلك يقال إنه عنّف هولاكو تعنيفاً قاسياً على تخريبه كثيراً من المدن الإسلامية ، وبخاصة على قتله الخليفة المستعصم ، وربما كانت الروايات الأقرب إلى التصديق هى التى تزعم أن أمراء جوچى أحسوا بما تتعرض له حقوقهم من الخطر بقيام دولة مغولية جديدة فى فارس ، وكانت بعض الأقاليم — مثل أرّان وآذربيجان — التى أدمجت فى المملكة الجديدة قد داستها سنابك الخيول المغولية فى عهد چنكيزخان ، ولذلك كان لابد أن تكون تابعة لجوچى عملا بوصية هذا الفاتح (انظر مادة « باتوخان ») وكان زعماء القبيلة الذهبية يدعون دائماً ملكية هذه الأرض ، ولكنهم لم يفوزوا بطائل .

وحارب بركة أقرباءه من الفرس مرتين ، انتصر هولاكو فى أولاهما حتى وصل إلى نهر ترك فى نوفبر — ديسمبر من عام ١٢٩٢م ، ولكن جيوش بركه ألحقت به الهزيمة وفقد هولاكو شطراً كبيراً من جيشه أثناء تقهقره ، وهلك كثيرون فى نهر ترك فكان الثلج الذى يغطيه يتكسر تحت سنابك الخيل . ولم يحضر بركه نفسه هذه الوقعة . وذبح هولاكو بعد هذه الحرب جميع الذين كانوا يقيمون فى بلاده من تجار مملكة بركه ، وأجاب بركه على هذا بذبح الذين كانوا يعيشون فى بلاده من تجار مملكة هولاكو . ولم يحاول أحدهما أن يواصل الحرب بعد ذلك فى السنوات القليلة التالية ، وكان بيبرس قد صمم قبل أن تنشب هذه الحرب على أن يفاوض بركه وأن يعقد معه حلفاً ضد عدوهما المشترك هولاكو ، وبعث بيبرس من

القاهرة رسالة بهذا المعنى إلى بركه عام ٦٦٠ هـ (٢٦ نوفمبر عام ١٢٦١ — ١٤ نوفمبر عام ١٢٦٢م). وفى المحرم من عام ٦٦١هـ (١٥ نوفمبر — ١٤ ديسمبر ١٢٦٢م) جهزت بعثة لهذا الغرض. وفى ربيع عام ١٢٦٣م وصلت إلى القاهرة بعثة من قبل بركه قبل أن ترجع البعثة التى أوفدها بيبرس. ولما تأهبت بعثة بركه للرحيل أوفد بيبرس صحبها رسلا آخرين إلى بلاد الأمير المغولى. وقد لايكون فى مقدورنا أن نوفق بين الروايات المختلفة التى ذكرتها المصادر فى هذا الشأن. ومن الواضح أن المؤرخين المصريين قد خلطوا بين هاتين البعثتين فى رواياتهم. ومما يجدر ذكره ما رواه الرسل الذين أوفدوا إلى بلاد بركه ووصفهم إياه بأنه «... خفيف اللحية كبير الوجه فى لونه صفرة، يلف شعره عند أذنيه، فى أذنه حلقة ذهب فيها جوهرة مثمنة، عليه قباء خطائى، وعلى رأسه سراقوج، وحياصة ذهب مجوهرة سولو بلغارى أخضر، وفى رجليه خف كيمخت أحمر، ويلبس فى وسطه سيفاً، وفى حياصته قرون سود معوجة مقمعة بذهب»[1]. ويقال إن عمر الملك بركه كان إلى ذلك التاريخ ستا وخمسين سنة، وكان به وجع النقرس مثل باتو. ويتصل بهذه البعوث ما ذكر من أمر الحملة المغولية التى أنفذت إلى الإمبراطور البورنطى الذى احتجز فى أرضه إحدى البعثتين المصريتين، وربما كانت الثانية منهما. وفى عام ١٢٦٠م اجتاح جيش مغولى شبه جزيرة البلقان إلى بحر إيجه. ولم يشترك بركه فى هذه الحملة، وأطلق سراحُ السلطان عز الدين كيكاوس الذى كان قد طُرد من آسية الصغرى، وحُبس فى حصن إينوس على بحر إيجه، ثم أحضر إلى القريم.

وفى عام ١٢٦٦م استأنف بركه الحرب مع بلاد فارس، وكان يحكمها فى ذلك الوقت أباقا خلف هولاكو، غير أن هذه الحرب لم تؤد إلى نتيجة، إذ ظل الجيشان أمداً طويلا لايقومان بحركة ما، وكل منهما يواجه الآخر على ضفة من ضفاف نهر الكُرّ. وأراد بركه الذى كان فى ذلك الوقت على رأس جيشه كما تقول المراجع الفارسية، أن يصعد مع النهر إلى تفليس ثم يعبره عندها ولكنه مات فى الطريق إليها فعاد جيشه إلى بلاده. وتذكر المصادر المصرية أن وفاة بركه كانت عام ٦٦٥هـ (٢ أكتوبر ١٢٦٦ — ٢١ سبتمبر عام ١٢٦٧م). وفى صفر من العام نفسه (٢٢ أكتوبر — ١٩ نوفمبر عام ١٢٦٧م) أرسلت إلى خلفه منكو تيمور رسالة عزاء. بينما يقول أصحاب الحوليات الروسية إن بركه توفى عام ٦٧٧٤ من خلق العالم (أول سبتمبر عام ١٢٦٥ — أول سبتمبر عام ١٢٦٦).

ولم يعقب بركه ذرية فآل العرش إلى منكو تيمور حفيد باتو، ولم يعد بركه فى أواخر سنى حكمه أول أمير بعد الخان الأكبر فى الدولة المغولية كما كان باتو، بل أضحى أمير دولة مستقلة وإن كان هذا التطور لم يتم إلا فى عهد خلفه الذى كان أول من ضرب السكة باسمه. وليس من السهل أن نقدر مدى ما قام به بركه المسلم لنشر ثقافة الإسلام

---

(١) ورد هذا النص فى كتاب النهج السديد لابن ابى الفضائل، ص ١١٦ وما بعدها.

اللجنة

بين المغول ، فالمصادر المصرية تتحدث عن مدارس كان يتعلم فيها النشء القرآن . ولم يكن لبركه وحده إمام ومؤذن بل كان لكل زوجة من زوجاته الخمس ولكل أمير من الأمراء إمام ومؤذن أيضاً ؛ ومع ذلك فإن المصادر نفسها تنبئنا أن العادات الوثنية على اختلاف أشكالها وألوانها كانت مرعية فى بلاط الخان بنفس الدقة الملحوظة فى بلاد المغول ؛ ويمكننا أن نعرف حظ الخان الضئيل من العلم من السؤال الذى وجهه إلى الرسل المصريين عن حقيقة ما سمعه من أن عظمة بشرية ضخمة ممتدة على النيل يعبر الناس عليها . ويقال إن الخان وعدداً من إخوته اعتنقوا الإسلام ، غير أن الإسلام لم يسد فى مملكته إلا بعد وفاته بنصف قرن من الزمان ؛ وتنسب المراجع المتأخرة إلى بركه إنشاء عاصمته السراى على آقتوبه (ابن بطوطة : طبعة Defrémery ، جـ ٢ ، ص ٤٤٧ ولذلك يطلق ابن بطوطة عليها اسم سراى بركه) . ولكن المدينة — كما نعلم من رواية روبروكيس — كان قد أسسها باتو ؛ ولعلها لم تصبح مدينة بمعنى الكلمة إلا فى عهد بركه .

المصادر :

(١) انظر مصادر مادة « باتوخان » فيما يختص بالمصادر الفارسية والروسية بطبعاتها المختلفة (٢) وقد جمع W. Tiesenhausen ما أوردته المصنفات العربية عن تاريخ القبيلة الذهبيـة فى *Sbornik materialow Otnosjasch-chichsja kistorii Zolotoi ordi* المجلد الأول ، سانت بطرسبرغ عام ١٨٨٤م ، النص العربى والترجمة الروسية (٣) والإشارات التى وردت فى النهج السديد للمفضل لها قيمة خاصة ، المصدر المذكور ، ص ١٨١ وما بعدها و١٩٣ وما بعدها ؛ وانظر فيما يختص بهذا المصنف بروكلمان ، جـ ١ ، ص ٣٤٧ (٤) ويروى Quatrmère ، المصادر نفسها فى ترجمته لكتاب السلوك للمقريزى بعنوان *Histoire des Sultans Mamlouks* ، جـ ١ ، عدد أ ، ص ٢١٣ وما بعدها (٥) ونشر Patkanow كتاب Kirakos ، *Istorija mongolow po armyanskim istocnikam* المجلد الثانى ، سانت بطرسبرغ ، عام ١٨٧٤م ، (٦) Howorth : *History of the Mongols* ، جـ ٢ ، لندن سنة ١٨٨٠م ، ص ١٠٣ — ١٢٥ (٧) Gulielmus de Bubruquis : *Journey to the Eastern Parts of the World* ، ترجمة W.W. Rockhill ، لندن *Hakluyt Society* ، ١٩٠٠م .

[بارتولد W. Barthold]

« بِرْكَوى » أو بير گلی محمد بن پیر علی : متكلم تركى ولد فى باليكسرى سنة ٩٢٨هـ(١٥٢٢م) وبدأ يطلب العلم فى مسقط رأسه ثم درس فى الآستانة وهناك سلك الطريقة البيرمية (انظر هذه المادة) ؛ وقضى بعض الوقت فى أدرنة ثم أراد أن يعتزل الحياة العامة ، ولكن عطاء الله أفندى عينه مدرساً فى مدرسة بركه . فظل يعلم فيها إلى أن توفى سنة ٩٨١هـ (١٥٧٣م) . وتشهد مصنفاته وكتبه المدرسية التى ألف معظمها باللغة العربية بطول باعه فى التأليف ، وأغلب مصنفاته فى شئون الدين بمعناه الواسع كتفسير القرآن وعلم الفرائض والوعظ والمسائل

الفقهية مثل شروط الوقف ، وهو موضوع جادل فيه جدلا عنيفاً معاصرَه المشهور أبا السعود (انظر هذه المادة) شيخ الإسلام . وله مؤلفات أيضاً فى النحو العربى ، وتجد بيان مصنفاته فى كتاب بروكلمان المسمى Gesch. der arab. Litter (جـ ٢ ، ص ٤٤٠ — ٤٤١) . ولكن برگوى يشتهر على وجه خاص برسالة فى أصول الدين باللغة التركية تسمى عادة باختصار « رسالة برگوى » أو « وصيت نامه » . وقد طبعت وترجمت عدة مرات (انظر فيما يتعلق بهذه الرسالة Zenker : Bibliotheca Orientalis ، جـ ١ ، رقم ١٤٦٣ وما بعده ، جـ ٢ ، رقم ١١٩٢ وما بعده ، المجلة الأسيوية سنة ١٨٤٣م ص ٣٢ ، ٥٥ ، سنة ١٨٥٩م جـ ١ ، ص ٥٢٤ ؛ Dieterici : Chrestomathie Ottomane ، ص ٣٨ وما بعدها) .

وينبغى أن نذكر من بين هذه الترجمات بوجه خاص ، الترجمة الفرنسية التى قام بها Garcin de Tassy فى كتابه المسمى L'Islamisme d'après le Coran ، الطبعة الثالثة سنة ١٨٧٤م .

المصادر :

انظر فيما عدا المصادر المذكورة فى صلب المادة على بن بالى : العقد المنظوم فى ذكر أفاضل الروم ، ص ٤٣٠ وما بعدها . على هامش ابن خلكان ، طبعة القاهرة سنة ١٣١٠ .

« بركياروق » أبو المظفر ركن الدين : أحد سلاطين السلاجقة وهو أكبر أبناء ملكشاه . ويختلف المصادر فى تاريخ ولادته ، ولكن من المحقق أنه ولد فى بداية العقد السابع من القرن الخامس ، وأنه كان فى ريعان شبابه عند ما توفى أبوه فى السادس عشر من شوال عام ٤٨٥هـ (١٩ من نوفمبر سنة ١٠٩٢م) . وسَرت « تركان خاتون » زوجة ملكشاه المعروفة بالخداع والطمع موته وكتمته ولم تعلنه إلا بعد أن استحلفت الأمراء لابنها الأصغر محمود ، وحصلت على موافقة الخليفة . ثم سارت بعد ذلك إلى إصفهان ، وكانت قد أرسلت فى القبض على بركياروق على أثر وفاة ملكشاه . فلما ظهر موت ملكشاه ثار أتباع الوزير المقتول نظام الملك وأخرجوا بركياروق من الحبس ونادوا به فى العام نفسه سلطاناً على الرّى . وسار بركياروق إلى إصفهان فهزم جنود تركان خاتون بالقرب من بُرُوجِرْد ، وذلك فى نهاية عام ٤٨٥هـ (يناير ١٠٩٣م) . أما الأميرة تركان فإنها ظلت فى إصفهان واضطرت بعد حصار طويل إلى أن تعقد الصلح مع بركياروق على أن تحتفظ هى وولدها بإصفهان وفارس ، وأن تعترف ببركياروق سلطاناً ، وتتنزل له عن حكم الأقاليم الأخرى . ولم يطل أمد هذا الصلح لأن تركان خاتون أفلحت فى إثارة إسماعيل بن ياقوتى والى آذربيجان وخال بركياروق عليه ، والتقى الاثنان بالقرب من الكَرَج سنة ٤٨٦هـ (١٠٩٣م) فاضطر ياقوتى إلى الفرار إلى إصفهان ، وفيها قتله بعض الأمراء . وخرج على بركياروق خال آخر له هو تتش بن ألب أرسلان إذ تحالف مع بوزان صاحب الرها وآق سنقر

صاحب حلب وتمكن بذلك من الاستيلاء على الموصل. ولكن تتش اضطر بعد ذلك إلى الانسحاب إلى دمشق بعد أن تخلى عنه هذان الواليان وانحازا إلى بركياروق : أما بركياروق فدخل بغداد وفيها خطب باسمه ، وذلك فى المحرم من سنة ٤٨٧هـ (فبراير ١٠٩٤م) : وفى غضون تلك الحوادث غدر آق سنقر وبوزان بتتش فحشد جيشاً جديداً وخرج به إلى دمشق وحارب آق سنقر وقبض على هذين الواليين الغادرين وقتلهما ، واستولى على حلب وحرّان والرها : ثم سار تتش بعد ذلك إلى بلاد الجزيرة وأرمينية وآذربيجان ثم خرج منها إلى همذان ، وفى بغداد نودى به سلطاناً مكان بركياروق .

وبعد وفاة تركان خاتون فى رمضان من سنة ٤٨٧هـ (سبتمبر - أكتوبر ١٠٩٤م) ، كان ابنها الأصغر موجوداً فى إصفهان فذهب إليه بركياروق ليحتمى به من الأخطار التى كانت تهدده . وأخذ أتباع محمود يدبرون خطة للتخلص من بركياروق ، ولكن حدث أن توفى محمود بالجدرى فى نهاية شوال من العام نفسه (نوفمبر ١٠٩٦م) فانحاز الأمراء إلى صف بركياروق ، وأصبح بركياروق قادراً على متابعة الحرب ضد تتش الذى كان قد زحف إلى الرى فى أثناء تلك الحوادث . وفى ١٧ من صفر سنة ٤٨٨هـ (٢٦ فبراير سنة ١٠٩٧م) حدثت بينهما الواقعة الفاصلة بالقرب من الرى . وانحاز عدد كبير من جند تتش الذى كان فظاً قاسياً إلى بركياروق الذى عرف بالحلم والوداعة ، ومع هذا فكان جيش تتش لا يقل عدده عن ١٥,٠٠٠ مقاتل ، أما جيش بركياروق فبلغ عدده إلى ٣٠,٠٠٠ مقاتل . وقبل أن ينشب القتال بينهما تخلى عن تتش الجانب الأكبر من أولئك الذين ظلوا إلى ذلك الوقت يخلصون له . وقاتل تتش قتال اليائس المستميت إلى أن وقع قتيلا فى ساحة القتال. وفى هذا العام نفسه نشبت الفتنة فى خراسان وكان على رأسها أرسلان أرغون (انظر هذه المادة) وهو خال ثالث لبركياروق ، فلقى فى أول الأمر شيئاً من النجاح ، ولكن قتله أحدُ العبيد فى سنة ٤٩٠هـ (١٠٩٦م) فأتيح بهذا لبركياروق أن يوطد النظام وأن يعين أخاه سنجر والياً على خراسان :

وفى سنة ٤٩٢هـ (١٠٩٩م) ثار محمد أخو بركياروق فى آذربيجان وتقدم حتى أشرف على الرى . وأراد بركياروق أن يخرج للقائه ولكن الجانب الأكبر من جنده انحاز إلى محمد : ولم يبق لبركياروق إلا النجاة بنفسه ، واستولى أخوه على الرى وشنق أم بركياروق ، وخطب لمحمد فى بغداد .

على أن بركياروق أفلح فى جمع جيش جديد وانحاز إلى جانبه أمراء العراق . وفى منتصف صفر من سنة ٤٩٣هـ (أوائل سنة ١١٠٠م) سار بركياروق إلى العاصمة فقبل الخليفة دون مشقة أن يذكر اسمه فى الخطبة ، وفى رجب من العام نفسه (مايو يونيه) هزمه أخوه محمد فاضطر إلى الارتداد إلى خراسان ، وكان صاحبها سنجر هو ومحمد أصبحت لهما غاية مشتركة . ومع هذا فقد استطا

بركياروق الحصول على مدد ، وفى جمادى الآخرة من سنة ٤٩٤هـ (أبريل سنة ١١٠١م) هزم محمداً فى همذان ، فلجأ إلى خراسان . واستمرت الحرب سجالاً بينهما إلى أن عقد الصلح بينهما فوضع حداً لها . واعترف فى هذا الصلح الذى عقد فى ربيع الأول من سنة ٤٩٥هـ (ديسمبر من سنة ١١٠١) بأن يكون بركياروق السلطان، ومحمد الملك ، ويكون له من البلاد الجزيرة وآذربيجان . ونقض محمد الصلح بعد عدة أشهر واستؤنف القتال بينهما فى شدة وعنف . واضطر محمد إلى الفرار ثم حاصره بركياروق فى إصفهان ، ولكنه تمكن من الفرار وحشد جيش جديد . فهزمه بركياروق مرة أخرى فلم يكن له بد من قبول الصلح فى سنة ٤٩٧ (آخر سنة ١١٠٣م وبداية سنة ١١٠٤ م) ، على أن يستقل محمد بملك آذربيجان وأرمينية وبلاد الجزيرة والموصل والعراق العربى وأن تكون له السيادة على أخيه سنجر أمير خراسان . وظل بركياروق محتفظاً بالبلاد الأخرى ، وتقول معظم الروايات إن بركياروق توفى فى ربيع الثانى من سنة ٤٩٨هـ (ديسمبر سنة ١١٠٤م) . وبوفاته ابتدأ اضمحلال دولة السلاجقة .

المصادر :

(١) ابن خلكان ، طبعة فستنفلد ، رقم ١٠٩ ، ترجمة دى سلان ، جـ ١ ، ص ٢٥١ (٢) ابن الأثير ، طبعة تورنبرغ ، جـ ١٠ ، فى مواضع مختلفة (٣) ابن خلدون : العبر ، جـ ٥ ، ص ١٣ وما بعدها (٤) Vullers : Mirchondi Historia Seldschukidarum ، الفصول من ١٩ — ٢٥ (٥) Defrémery : Recherches sur le règne de Barkiarok ، باريس سنة ١٨٥٣ (٦) Houtsma : Recueil de textes relatifs à l'histoire des Seldjoucides ، جـ ٢ ، ص ٨٢—٩٠ ، ٢٥٥—٢٦٢ (٧) Weil : Gesch. der Chalifen جـ ٣ ، ص ١٣٤ وما بعدها (٨) Müller : Der Islam im Morgen-und Abendland جـ ٢ ، ص ١١٥ وما بعدها .

[تسترشتين K.V. Zetterstéen]

+ بركياروق (بركاروك) : السلطان السلجوقى الرابع ، الذى بدأ فى عهده الاضمحلال الظاهر لنظام الحكم ، وعلى الرغم من أنه كان أكبر أبناء ملكشاه ، فإنه لم يكن قد تعدى الثالثة عشرة من عمره عند وفاة ملكشاه فى شوال عام ٤٨٥ هـ (نوفمبر عام ١٠٩٢ م) ، ولم يكن محظوظاً مثل أبيه ، الذى كان فى مثل سنه يسترشد برأى وزيره وأتابكه نظام الملك ، وافتقد فى حاشيته الرجل الذى يتمتع بسلطان لا ينازعه فيه أحد . يضاف إلى هذا أن تركان خاتون ، آخر زوجة لملكشاه ، وهى امرأة من أعرق الأسر ، كانت قد سيطرت على زوجها فى آخر سنى حياته ، وأصبحت وقتذاك والخزانة تحت تصرفها ، فى موقف يسمح لها بأن تنادى بابنها محمد البالغ من العمر أربع سنوات سلطاناً على بغداد . ويبدو أن تحكيم الخدمة قد أصبح عاملا هاماً فى تولى عرش السلطنة ، التى كان قد تقرر سلفاً حصرها فى البيت السلجوقى ، وعلاوة على هذا فإن تاج الملك عدو نظام الملك ،

مستشار تركان خاتون ، وخلفه ، قد عجز عن القضاء على الأتباع الكثيرين المسلحين الحدقين بأبناء الوزير الراحل ، وكان يسعى إلى الثأر : واختطف النظامية بركياروق من إصفهان ونادوا به سلطاناً فى الرى مقر قيادتهم . وأخيراً برز إلى الأفق فى وقت انعدم فيه وجود قانون يحكم وراثة العرش ، تقليد قبلى غامض ، يؤثر المشاركة بين أفراد الأسرة وتصدر أكبر الأفراد فى فروع الأسرة مما شجع ادعاءات إسماعيل بن ياقوتى ، خال بركياروق ، وابن عم ملكشاه ، وكذلك ادعاءات تُتُش أخى ملكشاه الذى احتفظ بالشام إقطاعاً له ، وأرسلان أرْغون ، وهو شقيق آخر ، كان له نشاط فى خراسان .

ثم بدأت فتنة متشابكة ، تبين أنها أخطر بكثير من المناوشات التى حدثت بسبب جلوس ألب أرسلان وملكشاه على العرش : ورجحت كفة بركياروق آخر الأمر لأن الموت عاجل تركان خاتون ومحموداً إثر مصرع تاج الملك على يد النظامية ، وكذلك لقى مصرعه على يد النظامية إسماعيل ، الذى سعى إلى الانضمام لتركان خاتون وبركياروق على التعاقب ؛ أما تُتُش أخطر الجميع على الإطلاق فقد نجح فى الحصول على البيعة له فى بلاد الجزيرة بأسرها (وتشمل بغداد) وغزا الهضبة الإيرانية ، بيد أن نصيريه الكبيرين الشاميين آق سنقر أمير حلب وبوزان أمير الرها تخليا عنه أولا ثم أبدى أمراء إيران مقاومة له خشية قدوم سلطان جديد ، ولقى تُتُش حتفه فى المعركة

الأخيرة ، وأخيراً مات أيضاً إثر ذلك ، أرسلان أرغون ، وكان له هدف محدود وهو إخضاع خراسان وجعلها إقطاعية مستقلة خالصة له ، بعد أن تغلب على بُورِيبَرْس ، آخر أشقاء ملكشاه، الذى أنفذه إليه بركياروق . وهكذا اعترف الخليفة ببركياروق سلطاناً على الولايات العربية فى الإمبراطورية وعلى الهضبة الإيرانية اعتباراً من عام ٤٨٨ هـ (١٠٩٥ م) ، واستطاع فى العام التالى أن يتقدم إلى خراسان ليقابل بالخضوع من أهالى الولاية بل يجدد دعوى السلاجقة فى السيادة على سَمَرْقَنْد وغَزْنَة . ولكن الإمبراطورية التى ولى حكمها كانت لاتشبه الإمبراطورية التى ساسها أسلافه .

والحق إن ألب آرسلان ، بل ملكشاه إن شئت زيادة فى البيان ، كانا قد أنشآ إقطاعيات وقيادات كبيرة لصالح الأمراء من أسرتيهما ، ولصالح كبار الأمراء فى حالات استثنائية ؛ ومهما يكن من أمر فإن المراكز القصية أو الواقعة على الحدود قد تأثرت فى الغالب ، وعلى الرغم من وقوع حوادث تنذر بالويل فإنها لم تعرض وحدة الإمبراطورية للخطر إلى درجة كبيرة . وتطورت الأمور بصورة مختلفة فى عهد بركياروق واتخذت الإمبراطورية هيئة اتحاد مكون من إمارات مستقلة . وفى الشام اعترف ابنا تُتُش ، دُقاق صاحب دمشق ورضوان صاحب حلب ، به سلطاناً من حيث المبدأ . ومهما يكن من شئ فإن بركياروق لم يستطع قط أن يتدخل فى شئونهما . أما فى خراسان وفى أقاليم الجبال المنيعة فى الشرق ، فقد استمر

نشاط العصاة – ابن عم ملكشاه ، وحفيد من أبناء ينغو ،وشقيق طُغْرل بك ... إلخ . ولهذا رأى بركياروق أن من الفطنة أن يمنح خراسان بأسرها إقطاعية لشقيقه سَنْجَر ، يعاونه في حكمها وال عيَّنه لهذا الغرض . وفعل الشيء نفسه في آذربيجان (بمراكزها الواقعة على الحدود) . وهي منطقة أخرى متاخمة للحدود ، خطيرة – كما نذكر من المحاولة التي قام بها إسماعيل بن ياقوتي – بسبب الأعداد الكبيرة من التركمان الذين يقفون دائماً على أهبة الاستعداد لتأييد أي مشروع يشتمون فيه رائحة غنيمة محتملة . وهناك نصب بركياروق شقيقه الأصغر محمداً ، ومعه أتابك، عينه هو أيضاً.

على أن متاعب بركياروق لم تنته بعد ، ذلك أن محمداً وسنجر . أخوى بركياروق غير الشقيقين (من أم أخرى غير أم بركياروق) انساقا لتحريض أعدائه ، وبخاصة مؤيد الملك بن نظام الملك (الذى عزله بركياروق من الوزارة وآثر عليه شقيقا كان قد تنازع معه) للإطاحة بكل سلطة يتمتع بها أخوهما الأكبر ، والانتقاض عليه . وعلى إثر عمليات حربية معقدة قام بها عدة أمراء كانوا باستمرار ينتقلون من فريق إلى آخر ، وفي خلالها اضطر أنصار الفريقين إلى الفرار كل بدوره – قامت العناصر المعتدلة من الفريقين بإجراء مفاوضات لعقد اتفاق ، منح بموجبه محمد لقب ملك ، وأقطع آذربيجان وأرمينية ، مع الاعتراف بالسيادة لبركياروق باعتباره السلطان الأوحد . ولم يرض محمد بهذا الوضع فاستأنف القتال ، بيد أنه أكره على الفرار إلى أرمينية . ومهما يكن من أمر فإن بركياروق وافق أخيراً على تقسيم فعلي للسلطنة آخر الأمر عندما أحس بالمرض وتعب من الحرب . وعلى الرغم من أنه احتفظ بطبرستان وفارس وخوزستان وبغداد والمدن المقدسة علاوة على الجبال والرى . أو بعبارة أخرى المدن ذات الأهمية العظمى وقلب الأقاليم الوسطى . فإنه اضطر إلى الاعتراف بأخيه حاكماً على إصفهان ونصف العراق وجميع البلاد الواقعة على الحدود الغربية من آذربيجان إلى الشام وأن يمنحه توجيه «الجهاد» . أما بالنسبة لسنجر فقد كان عليه أن يذكر في الخطبة اسم محمد واسمه في آن واحد ، وأن يتغاضى عن ذكر اسم بركياروق . ومن الصعب أن نتكهن بنتيجة هذا الاتفاق ، لو أنه أتيحت له فسحة من الوقت يؤتى فيه ثماره ، ولم يعجل الموت ببركياروق وتتوحد الإمبراطورية من جديد إلى حين ،على يد محمد . وعلى أية حال فإن سلطة كل أخ ، حتى في نطاق البلاد المعترف بالسيادة لكل منهم فيها . كانت في الواقع أبعد من أن تتأكد في كل مكان .

وكان من المستحيل مراقبة المحاولات التي تبذل لاستقلال الولايات ، وكان لابد من شراء تأييد الأمراء الذين يتذبذبون بين من يدعون أن لهم الحق في ولاية العرش . وكانت النتيجة أن نجد ، حتى في بلاد الجزيرة العليا، أن كربُغا ،وبخاصة خلفه جكِرمِش ،يكادان يستقلان بالموصل، بينما نجد أن الأرتُقيَّة يتخذون الخطوات الأولى نحو توحيد ديار بكر لصالحهم . وفي أرمينية أضيفت إلى الإمارات التركمانية التي أنشئت في البلاد البوزنطية السابقة وإمارات الروّادية في آني . والتي

ظلت قائمة ، إمارة سُقْمان القُطْبِى ، أحد قواد إسماعيل السابقين ، الذى نصب نفسه « شاه أرمن » أخلاط » أما على حدود العراق فقد أصبح أصحاب البطيحة والعرب من بنى مَزْيَد قوة يعمل لهـا الحساب : وإذا أغفلنا خراسان وولايات بحر الخزر حيث تقبل الناس فيها دائماً قيام إمارات مستقلة استقلالا ذاتياً، والإمارات القديمة التى كانت تتبع قديماً آل بويه ، والبيوت الكردية ، والتى حظيت مثلها بالقبول ، فإنه يمكن ملاحظة قيام ذرية أسر إقطاعية وراثية ، تنحدر من صلب كبار القواد السلاجقة فى إيران ، بل فى خوزستان ، وأشهرهم نسل أبناء بُرْسُق فى تُسْتَر : وليس من شك فى أن وزراء بركياروق المتعاقبين وأبناء نظام الملك الثلاثة ، عز الملك (توفى عام ٤٨٧ هـ = ١٠٩٤ م) ومؤيد الملك الذى صرف عن منصبه بعد عام ، وفخر الملك (٤٩٣ هـ = ١٠٩٦ م) ، ثم عبدالجليل الدِّهِسْتانى الذى سقط صريعاً فى المعركة « والنَّيْسَدِى (٤٩٥ ــ ٤٩٨هـ) كانوا فى مبدأ الأمر يهتمون بالحصول على المال بكل الوسائل الممكنة (المصادرة « والضغط على الخليفة ، وإرهاق المسيحيين ... إلخ) ويشغلون أنفسهم بمواجهة مؤامرات العشائر المعادية » وكانت الصعوبة التى تواجههم هى العمل على أن يرضى بهم الأمراء » كما يتضح من اغتيال المستوفى (ناظر المالية) مجد الملك البلاسانى ، بحجة أنه من الشيعة .

صحيح أن بركياروق لم يتمتع بالاشتهار بأنه المدافع المجاهد عن السنة ، إذا هو قورن بمحمد أو بالسلاجقة الأوائل ، ولكن الفتن التى حدثت فى عهده عادت بالفائدة على النزارية الإسماعيلية أتباع حسن الصَّبَّاح الذين حصلوا على قلاع منيعة فى جبال شمالى إيران وحول إصفهان ، حتى لو أغفلنا ذكر ما كان يتمتع به الإسماعيلية سابقاً من نفوذ فى طَبَس فى الصحراء ، وهو نفوذ آل إليهم . وعندما انضم النظامية إلى جانب محمد وسنجر وجد نائب بركياروق فى خراسان أنصاراً كثيرين ينضمون له من طَبَس . ومهما يكن من أمر فإن النفوذ الذى حصل عليه الإسماعيلية « وتمرد أعوان بركياروق فى نهاية حكمه بسبب ما أبداه حيالهم من تساهل ، كشف عن مدى الخطورة عليه فشجع إقامة المذابح لطائفة الإسماعيلية فى بغداد وفى إيران « ولكن دون القيام بأى عمل لعلاج الأسس التى تستند إليها قوتهم .

ومات بركياروق فى ربيع الثانى عام ٤٩٨ هـ (مستهل عام ١١٠٥ م) بالغاً من العمر ٢٥ عاماً . وليس من شك فى أنه كان رجلا عظيماً وأن الرعونة التى أبداها فى ترك النظامية ، مثلا ، كانت غلطة خطيرة حقاً . ومع ذلك يجب ألا ننسى أنه كان صغير السن ، وليس من العدل ألا نعترف بأن عوامل التفكك والانحلال التى ظهرت فى عهده كانت كامنة حتى فى نظام السلاجقة العظام .

المصادر :

(١) سوف نبحث المصادر فى مادة « سلجوق » . والمصادر الرئيسية هى تاريخ السلاجقة لعماد الدين الإصفهانى (نشره هوتسما Houtsma عن نسخة

البنداري : Recueil ، حـ ٢ ، سنة ١٨٨٨) ، والجانب الخاص بهذا العهد منه يقوم على مذكرات بالفارسية للوزير أنوشروان : (٢) الكامل لابن الأثير ، حـ ١٠ ، وهو يضم معلومات غزيرة من مصادر عراقية وخراسانية ... إلخ . علاوة على ما ورد فى المصنف السابق . (٣) سلجوق — نامه تأليف ظهير الدين نيشابورى ، نشره من نص تقريبى كلاله خاور ، طهران سنة ١٩٥٣ ، مع كتاب راحة الصدور المستخلص منه للراوندى ، طبعة محمد إقبال ، سلسلة كب التذكارية ، سنة ١٩٢١ . (٤) ويمكن أن يضاف إلى هذه المصادر ، فيما يتعلق بفتنة تُتُش ، المصادر الإسلامية والمسيحية عن تاريخ الشام ، وبخاصة ابن القلانسى ، طبعة أمدروز Amedroz . (٥) وانظر أيضاً كتاب مجمل التواريخ بالفارسية ، ومؤلفه مجهول . طبعة بهار سنة ١٩٣٨ ، وهو موجز ولكنه معاصر : (٦) التاريخ النسطورى لمارى ... إلخ ، طبعة Gismondi . (٧) كتابات حديثة : Defrémery : Recherches sur le règne de Sultan Barkyarok فى Jour. As. ، سنة ١٨٥٣ و (٨) Sanaullah : The decline of the Seldjukid Empire ، كلكتة سنة ١٩٣٨ . (٩) M.G. Hodgson : The order of the Assassins ، سنة ١٩٥٥ .

آدم [ك. كاهن Cl. Cahen]

+ « برلام ويوسافات » : (انظر مادة « بلوهر ويوداسف ») .

« البُرُلُّس » : أوبُرُلس ، اسم ناحية وبحيرة فى دلتا النيل ، ومن المعروف أن فرعى النيل يصبان مباشرة فى البحر ، على حين يصب عدد من مجاريه الصغيرة فى البحيرات شمالى أراضى الدلتا الخصبة . وهذه البحيرات لايفصلها عن البحر المتوسط إلا سلسلة من التلال الرملية : وتسمى اليوم البحيرة الملحة الكبيرة بين فرعى رشيد ودمياط بحيرة البرلس ، وتبلغ مساحتها خلال العام ١٨٠,٠٠٠ فدان ، وتصل إلى ضعف هذه المساحة أثناء الفيضان . وهذه البحيرة منفذ إلى البحر تنصرف منه مياه النيل العذبة زمن الفيضان ، وتندفع فيه مياه البحر الملحة وقت التحاريق : وهى مشهورة بوفرة أسماكها ، ويعيش سكان الساحل الشمالى على الصيد

ولقد عرف اسم بُرُلُّس منذ القدم ، أوبَرَلُّس بوجه أدق وفقاً لرواية ياقوت وابن بطوطة ، كما نجد فى اللغة القبطية اسم پَرَلُّو Parallou أو تپاراليا Taparalia . وفى اليونانية كارالوف وهو يطلق على أسقفية قديمة تسمى كذلك نيكيدُ ولس Nikedules أو نيكيدُّولس Nikeddaules .

وذكر الكندى البَرَلُّس فى كلامه عن الحصون التى على تخوم مصر ، ولاتوجد اليوم مدينة بهذا الاسم ، ولعل القرى الصغيرة عند نهاية اللسان الممتد على طول شاطئها الشمالى إلى الشرق من منفذها هى بقايا تلك المدينة القديمة .

ويطلق اسم البرلس فى الوقت الحاضر على جميع الأراضى التى فى الشمال الشرقى للبحيرة ، وهى مركز من مراكز مديرية الغربية كان عدد

سكانه ١٨,١٦٣ وأهم مدنه بلطيم التى حلت محل مدينة بَرَلُّس القديمة حتى فى أيام ابن بطوطة .

ولم تكن هذه البحيرة تعرف فى العصور الوسطى باسم برلس بل كانت تعرف باسم نَسْتَرَوه أو نَسْتَرَاوَه نسبة إلى محلة لم نوفق بعد إلى تحديد موقعها ، ولكن يحتمل أنها كانت تشغل المكان الذى تقع فيه كوم مسطروه المهجورة فى الوقت الحاضر والتى على حافة اللسان الضيق غربى منفذ البحيرة ؛ ولا بد أن تكون مدينة نستراوه القديمة فى هذا الموضع كما يؤخذ من كتاب ابن دقماق (جـ ١ ، ص ١١٣) وإن كانت فى عهده قد طمرتها الرمال .

المصادر :

(١) ياقوت : معجم البلدان : جـ ١ ، ص ٥٩٣ ، جـ ٤ ، ص ٧٨٠ (٢) ابن الجيعان : التحفة السنية ، ص ١٣٧ (٣) ابن دقماق : كتاب الانتصار ، جـ ٥ ، ص ٨١ ، ١١٣ (٤) ابن بطوطة ، طبعة Defrémery و Sanguinetti جـ ١ ، ص ١٦ وما بعدها (٥) القلقشندى ترجمة فستنفلد ، ص ٢٩ ، ١١٥ (٦) على مبارك : الخطط الجديدة ، جـ ٩ ، ص ٣٥ وما بعدها (٧) Baedeker: *Egypt* عام ١٩٠٨ ، ص ١٧٢ (٨) Boinet Bey: *Dictionnaire Géographique de l'Egypte* ، ص ١٢٦ (٩) Amélineau: *La Géographie de l'Egypte à l'Epoque Copte* ، ص ١٠٤ وما بعدها (١٠) وأحسن خريطة لهذه الجهة هى التى نشرتها مصلحة المساحة ومقياس رسمها ١ : ٥٠٠٠٠ .

[بيكر C.H. Becker]

+ **البُرُلُّس** : الاسم الذى أطلق على مركز وبحيرة فى شمالى الدلتا بمصر . وتمتد البحيرة بين مصبى رشيد ودمياط لنهر النيل . ولا يفصلها عن البحر المتوسط إلا نطاق ضيق من الكثبان .

والاسم العربى نقل للكلمة اليونانية « پَرَلُّس » عن طريق القبطية ، وهذا الاسم الذى يدل على الساحل البحرى قد انطبق بالطبيعة على هذا الإقليم ؛ ويحق لنا أن نلاحظ أن ياقوت وابن بطوطة قد عرفا النطق « بَرَلُّس » الذى اندثر .

وقد كانت البرلس قصبة « كورة » قبل تقسيم البلاد إلى أقاليم ، وهنالك كانت البرلس جزءاً من « النَّسْتَرَاوِيَّة » ، وفى القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) سمى الإقليم باسم قصبته : أشموم طَنَّاح ، ويتبع إقليم البرلس الآن محافظة الغربية .

وكانت البحيرة تسمى فى القرون الوسطى « بحيرة نَسْتَرَاوَة » نسبة إلى مكان لاوجود له اليوم . وعرفها ابن حوقل باسم « بحيرة بُشْمور » ، وهى تسمية أخرى لهذا الإقليم المتبطح .

وكان الصيد فى هذه البحيرة يعطى بالالتزام ، وهى سنة تمثل تنظيما مالياً قديماً سابقاً على العهد الإسلامى ؛ ويبعد أن تكون الحكومات على اختلافها قد حرمت نفسها من مثل هذا المورد الوفير . والراجح أن المصادر حين تتكلم عن إنشاء هذا النظام فى القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) كانت تشير إلى الصرامة فى تطبيق هذا النظام المالى . وهكذا تكون الإشارات إلى إبطال الضريبة تدل فى الراجح على التخفيف من هذا العبء .

وأغلب الظن أن قبور الاثنى عشر صحابياً من صحابة النبي صلى الله عليه وسلم الذين يصفهم الهروى تذكر ببعض حوادث الفتح العربي ، ولو أن الروايات تقول إن رئيس البرلس قد تعاهد مع الفاتحين . ومع ذلك فلعل بعض المعارك نشبت عقب نزول الروم (البوزنطيين) ببرها سنة ٥٣ ، (٦٧٣ م) . وقد اشتهر أهل البرلس بالبراعة في قص الأثر .

المصادر :

(١) ابن عبد الحكم : ص ٨٥ ، ١٢٤ . (٢) اليعقوبي ، ص ٣٣٨ ، ترجمة ڤييت ، ص ١٩٥ . (٣) ابن حوقل ، الطبعة الثانية ، ص ١٣٨ — ١٣٩ . (٤) الهروى ، ص ٤٧ ، ترجمة سوردل تومين ، ص ١١٠ . (٥) ياقوت ، ج ١ ، ص ٥٩٣ . (٦) ابن بطوطة ، ج ١ ، ص ٥٨ ، ترجمة كب ، ج ١ ، ص ٣٥ . (٧) ابن دُقْماق ، ج ٥ ، ص ١١٣ (٨) المستطرف ، ج ١ ، ص ١٠١ ، ترجمة رات Rat ، ج ٢ ، ص ١٧٦ (٩) المقريزى ، طبعة ڤييت ، ج ١ ، ص ١١٤ ؛ ج ٢ ، ص ٩٢ ، ٩٦ ، ٩٧ ؛ ج ٣ ، ص ١٤٢—١٤٣ ؛ ج ٤ ، ص ٣٩ ، ٨١ (١٠) الظاهرى ، ص ١٠٨ ، ترجمة ڤنتوره پارادى Venture de Paradis ، ص ١٨٠ (١١) Maspero et Wiet : *Matériaux pour servir à la géographie de l'Egypte* ، ص ٣٦ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٢١١ (١٢) Omar Toussoun : *La géographie de l'Egypte, dans Mémoires de la société royale de géographie de l'Egypte* ، ج ٨ ، ص ١٨ ، ٥٢ ، ٨٦ ، ٢٢٣ (١٣) عبد اللطيف ، ص ٧٠٨ (١٤) النُّوَيْرى : نهاية الأرب ، ج ٨ ، ص ٢٦٣ ؛ ج ١٠ ، ص ٣٢٣ .

خورشيد [ڤييت G. Wiet]

« بَرَن » : الاسم الذى كان يطلق قديماً على مدينة بلَنْد شهر (انظر هذه المادة) .

« بَرَنْطَه » وبراطه : كلمة من كلمات اللغة التركية فى آسية الوسطى . لانعرف أصل اشتقاقها على وجه التحقيق ، ويظهر أنها لاتوجد فى اللهجات الأخرى . وهى تطلق على غارات السلب التى يقوم بها الترك الرحل . ولقد وصفت رادلف Radloff بالتفصيل أهمية هذا الجانب من حياة الرحل والنظام الحربى (جاو) الذى نشأ عنه (*Aus Siberien* ، الطبعة الثانية ، ليبسك سنة ١٨٩٣م ، ج ١ ، ص ٥٠٩ وما بعدها ؛ قوداتقوبيلك ج ١ ، سانت بطرسبرغ ، سنة ١٨٩١ ، ص ٥٢ وما بعدها) . ولم تكن فى السهوب حكومة قوية ، بل كانت الأحكام تقوم على النفوذ الشخصى للقاضى وحسن استعداد الجماعات التى يعنيها الأمر ، لذلك لم يجد البدو الرحل بداً من الاقتصاص لأنفسهم بأنفسهم . وكانت القبيلة كلها تعد مسئولة عن الجرائم التى يقترفها فرد أو جماعة منها ، والقبيلة التى اعتدى على حقوقها لاتثأر لنفسها من المذنب أو المذنبين ولكنها تثأر ممن يقع فى يدها من أفراد القبيلة المعتدية . ويعتقد ضحايا أية غارة أن لهم الحق فى أن يثأروا لأنفسهم من أى بطن من

يطون القبيلة المغيرة » وقد تستمر هذه المنازعات من أجل الثأر عشرات السنين من غير أن تضر بالصالح العام للقبيلة . ولاحظ رادلف أن هذه القبائل يزداد عددها وتنمو ثروتها في أحرج الأوقات :

« ليست هناك قاعدة ثابتة لإقامة العدل بين الرحل » وليست لهم وسائل منظمة يتقون بها الكوارث الطبيعية غير المنظورة » لذلك كان « الجاو » فى العادة هو الوسيلة الوحيدة التي يستعيض بها شعب يقوم بتربية الأنعام ويعتمد كل الاعتماد على الطبيعة عما يلحق به من الكوارث . أما فى حالة حكم منظم كالحكم الروسى حيث لا يسمح للأفراد أن يقتصوا بأيديهم فإنه قد أصبح من العسير على القبائل التركية أن تظل أمينة على حياتها الرعوية محتفظة برخائها » .

[بارتولد Barthold]

« پرنك سَبيل » : الاسم الذى يطلق على الجهاد (انظر هذه المادة) فى جزائر الهند الشرقية ، وكلمة پرنك وحدها معناها الحرب فى اللغة الإندونيسية .

ولقد دلت التجارب على أنه من المستحيل على المسلمين أن يقوموا بما يفرضه الجهاد عليهم » وإن كان الفقهاء يقولون ، والناس يصدقونهم » بأن الحرب لا تضع أوزارها ضد الكفار إلا عند اليأس من النصر (١) . أما علماء البلاد الإسلامية التى تخضع لحكم غير المسلمين مثل جزائر الهند الهولاندية فيفضلون الصمت على الكلام ، وأكثر ما يستطيعون قوله هو أنه ليس هناك باعث شرعى يدعو إلى القيام بالجهاد فى هذه الظروف المحيطة بهم ، لتفوق غير المسلمين » ولأن المسلمين يتمتعون بقسط من الحرية . هذا من جهة ومن جهة أخرى نجد هؤلاء العلماء يفسرون بصفة خاصة الآيات التى تؤجل الفصل فيما بين المسلمين والكفار من نضال عنيف إلى اليوم الآخر ، أما إذا وقعت أحداث سياسية أو كوارث أو نكبات سببت قلقاً أو اضطراباً ، فإنه من المألوف أن ينظر إليها أهل جزائر الهند الشرقية من المسلمين نظراً دينياً ، ويحدث حينئذ أن يستيقظ فيهم الشعور بأنهم مكلفون بجهاد الكفار ، فإذا استنفر الزعماء الناس للجهاد (پرنك سَبيل) وجدوا نفوسهم مهيأة له . والحق إن الشريعة الإسلامية تنص على أن الإمام هو الذى يدعو الناس إلى الجهاد » ولا وجود للإمام اليوم ، ولكن لما كان سلطان الترك هو الإمام المعترف به ، فقد تغلبوا على ما يعتور نفوسهم من شك

(١) هذا القول غير واضح ، ولعل كاتب المادة اشتبه عليه الأمر » إذ رأى النصوص الدالة على أنه لا يجوز للمقاتل الفرار أن يكون لخطة من خطط الحرب أو رجوعاً إلى باقى الجيش، كما فى قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً تولوهم الأدبار . ومن يولهم يومئذ دبره متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير) (سورة الأنفال آية ١٥ و ١٦) .

وأما أن ييأس المسلمون من النصر فلا ، وإنما قد تدعوهم الظروف السياسية أو الضرورات الحربية إلى ترك القتال فى بعض الأوقات » وهم يقاتلون إلا مدافعين عن الدين وعن الحق، ولا يقاتلون بغياً ولا عدواناً .

محمد شاكر

بسكوته عن الدعوة إليه(١) والمسلمون خارج البقاع التى يقوم الجهاد فيها يعطفون بقلوبهم على المجاهدين . وبمتدح شيوخ المسلمين بصفة عامة إكراه أى شخص على اعتناق الإسلام فى أية ناحية من نواحى جزائر الهند الشرقية ، ويعدون هذا أداء لواجب من أهم واجبات الجهاد (٢) .

وكان لهذه الدعوة العملية للجهاد شأن كبير فى آشى فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر ، وكانت الظروف صالحة كل الصلاحية لنمو هذه الحركة . إذ كان أهل آشى قوماً واثقين بأنفسهم مؤمنين بتفوقهم نزاعين إلى الحرب ، يكرهون غير المسلمين فى كل مكان ، أو على الأقل يحتقرونهم . وكانوا فى الوقت نفسه يبجلون الأشخاص الذين يمثلون ناحية من مناحى الثقافة الدينية ، ولكن هذه الخصال وحدها لم تكن كفيلة بإنجاح الجهاد أمام قوة منظمة تحسن الهجوم . أضف إلى هذا أن القيادة الحربية كانت تعوزهم . نعم كان لهم سلطان فى آشى . ولكنه لم يكن عاملا فعالا فى توجيه الموقف. وكان زعماؤهم ، وهم حكام البلاد الحقيقيون ، يؤثرون الاعتكاف فى أقاليمهم ، ولم يكونوا صالحين للتعاون فيما بينهم . فقامت عصابات مسلحة وعاثت فى أنحاء البلاد ، وأنزلت بالكافرين ما استطاعت من الأذى ، إلا أنها لم تفلح فى اكتساب معونة الناس جميعاً ومساعدتهم لأنها لم تكن تقوم بالجهاد الذى جاء فى كتاب الله . ذلك لأن الشريعة حددت الموارد التى ينفق منها على الجهاد ، فالله لا يرضى مطلقاً عن أعمال النهب والتخريب التى انتهجتها هذه العصابات كما أن طريقة تنظيمها لم تكن لتسمح لها بالبقاء طويلا .

وفى هذه الظروف قام العلماء بتنظيم الجهاد . واشتهر منهم بصفة خاصة علماء تيرو التى كانت مركزاً لدراسة علوم الدين ، ولاموا الزعماء على تقاعدهم كما لاموا الناس على اختيارهم العاجلة دون الآجلة ، وجاسوا خلال البلاد قاصيها ودانيها ينشرون الدعوة إلى الجهاد فلم يجسر أحد على الجهر بمعارضتهم لأنهم كانوا رجال الشرع . وكان لابد للقيام بالجهاد من مال ، فطالب العلماء بالزكاة التى تنفق فى سبيل الله ، واستخدموها بصفة خاصة فى تكوين قوة حربية دائمة قوامها الرجال الذين دخلوا فى الإسلام . وظل العلماء زمناً طويلا عماد الجهاد . ومع ذلك فمن الواضح أن السلطان الذى اكتسبه هؤلاء العلماء على أمراء تلك البلاد كان يبقى طالما كانوا قادرين على حمل الناس على متابعة الجهاد . ولما خمد الجهاد عاد العلماء إلى ما كانوا عليه وبقى لهم نفوذهم القديم باعتبارهم رجال

(١) لم يكن جميع المسلمين معترفين بامامة سلطان الاتراك فى ذلك الوقت ، وانما أعجز المسلمين عن الجهاد وعن نصرة دينهم تفرق كلمتهم ، وضعف ملوكهم ، واحجام علمائهم عن كلمة الحق ثم اعراضهم عن التمسك بدينهم وخوفهم من تهمة التعصب الدينى ، التى خدعتهم بها أوربة بعد أن زلزلت أقدامهم فى بلادهم ، الى غير ذلك من الاسباب التى يطول شرحها هنا .

أحمد محمد شاكر

(٢) لسنا نعرف فى أية بلدة من بلدان الاسلام أن هناك علماء من شيوخ المسلمين يرضون عن اكراه انسان على اعتناق الاسلام ، ولا نظن كاتب المادة متحققا من هذا النقل الذى ينسبه الى بعض العلماء ، بل لعله سمع بعض كلمات من أناس يتمنتون أعداء الدين بأقاويل يزعمونها من أقاويل العلماء التماسا لعرض الحياة الدنيا ، وغرورا بما يرون من قوة أعداء الاسلام وطغيانهم . واما الاسلام وعلماء الاسلام فانهما بريئان من اكراه غير المسلم على الدخول فى الاسلام .

وقد عرض كاتب المادة لاحكام تتعلق بالجهاد هنا ، وليس هذا موضعها ، ونرجو أن نتكلم عنها عند الكلام على مادة « جهاد » ان شاء الله .

أحمد محمد شاكر

الشرع : وكانت هناك الصفات العديدة التي تدور في جملتها حول موضوع الجهاد تستثير الحمية في نفوس المجاهدين ، وكانت من الصفات الملازمة لحركة الـ« پرنك سبيل » ; وقد ألف العلماء عدة أبحاث ورسائل بينوا فيها واجب الناس في القيام بالجهاد وأكدوا فيها ما يلقاه الشهيد من ثواب الآخرة كما وصموا الكفار بأشنع الصفات ، وهناك قصيدة طويلة عنوانها « حكايت پرنك سبل » قصد بها ناظمها بوجه خاص أنها إذا تليت على السامعين أثارت حماسهم وازدراءهم للموت، ولهذه القصيدة عدة نسخ .

المصادر :

(١) C. Snouck Hurgronje : *De Atjéhers* ، پاتاڤيا ، سنة ١٨٩٣—١٨٩٤ ، جـ ١ ، ص ١٨٣ وما بعدها ، جـ ٢، ص ١٢٣ (٢) الكاتب نفسه ; *Verspreide Geschriften* ، جـ ٤ ، فصل ٢، ص ٢٣٣ وما بعدها (٣) H. T. Damsté : *Atjehsche oorlogspapieren* في *Indische Gids* ، ١٩١٢، جـ ١، ص ٦١٧ وما بعدها ، ٧٧٦ وما بعدها (٤) الكاتب نفسه : *Hikajat Prang Sabil* ، النص والترجمة في *Bijdragen tot de Taal—,land—en Volkenkunkunde Ned-Indie* ، جـ ٨٣ ، ص ٥٤٥ وما بعدها .

[كرن R. A. Kern]

« برْنُو » : دولة من دول السودان الأوسط تحد شمالا بالصحراء ، وغرباً ببلاد الهوسا ، وجنوباً بـ« أدمَوه » ، وتحد من ناحية الجنوب الشرقي بـ« بجرمى » (بغرمى) وشرقاً ببحيرة تشاد ; ولقد أشار نشتيگال Nachtigal إلى أن هذه الحدود ليست ثابتة ، فهي تتغير من ناحية الصحراء وغيرها من الجوانب الأخرى بتغير الظروف السياسية ; ففي خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر كانت برنو بين خطي عرض ١١° ١٩َ و١٤°٣٠َ شمالا وخطى طول ٧° ٣٠َ و ١٤° شرقاً . وتقدر مساحة هذه الدولة بما يقرب من ١٥٠,٠٠٠ كيلو متر مربع (٨٠,٠٠٠ ميل مربع) .

ولايعرف بعد على التحقيق أصل كلمة برنو ، ويجب أن نستبعد ما يقال من أن هذه الكلمة مشتقة من « بر نوح » ; ويقول بارث Barth إن كلمة برنو من أصل بربرى معتمداً في ذلك على التشابه القائم بينها وبين الكلمات : بِرَوْني أي أهل برنو وبِبرْدُوَه أوبرداوه ، وهو اسم أسر ليبية تقول الروايات إن الملوك الأول انحدروا منها ، ويذكر أيضاً اسم با بربِرتشه ومعناه أمة البربر ويطلقه الهوسا على جيرانهم من أهل برنو (Barth ، *Reisen*، المجلد الثاني ، فصل ٧ ، ص ٢٩٣) وقد ذكر اسم برِنو لأول مرة ابن فضل الله العمرى في كتابه « التعريف بالمصطلح الشريف» (ص ٥٧ ، طبعة القاهرة عام ١٣١٢هـ) . ورسمها هكذا « البرنَو » وظللنا أمداً طويلاً لانعرف عن هذه البلاد شيئاً سوى إشارات قليلة ذكرها المؤرخون والجغرافيون من العرب كابن سعيد وابن خلدون والمقريزى كما خصها الحسن بن محمد الوزان الزياتي بفصل من كتابه في وصف إفريقية (القسم الثالث ، الكتاب السابع ، الفصل الرابع عشر ، طبعة Schefer

وقد استقر الحسن في تلك البلاد أمداً وجيزاً في بداية القرن السادس عشر الميلادي . وعرف الأوربيون هذه البلاد من رحلات دنهام Denham وأودنى Oudney وكلابرتون Clapperton الذين زاروا «كوكة» عام ١٨٢٣م .

ولم يبق من البعثة التي جهزها رتشاردسن Richardson سوى بارث . فأخذ هذا الرحالة يكشف عدة أقاليم من عام ١٨٥١ إلى عام ١٨٥٤م وأقام ثلاث فترات طويلة في كوكة وجمع من الأهلين الوثائق والأخبار التي مكنته من أن يصنف لنا تاريخاً موجزاً لبرنو ، وأكمل بحوثه كل من فوگل Vogel (١٨٥٤ — ١٨٥٦ م) وبيرمان Beurmann (١٨٦٠ م) ورولفس Rohlfs (١٨٦٦ م) ونشتيگال الذي كُلِّف حمل هدايا ولهلم ملك بروسيا إلى الشيخ عمر (١٨٧٠— ١٨٧٢م) وماتيوتشي Matheucci ومَسّـارى Massari (١٨٨٠ — ١٨٨١م) ومونتاى Monteil (١٨٩٢م) وبما قام به حديثاً الضباط والولاة في نيجيريا والكمرون وإفريقية الغربية والكنغو الفرنسية .

والحق إن برنو سهل يكاد يكون مستوياً ، ولا ترتفع أرضه إلا عند الأطراف في إقليمي مُنْيو وزِنْدَر في الشمال الغربي حيث يبلغ الارتفاع في بعض هذه الجهات ٣٠٠٠ قدم عن سطح البحر ، وفي إقليمي مرغى ومَنْدَرة في الجنوب الشرقي . وتختلف طبيعة التربة باختلاف الأقاليم . فهي مسامية حول بحيرة تشاد . أما الأراضي الشاسعة الممتدة ناحية الجنوب فهي من صلصال لا ينفذ الماء منه بجف ويتشقق في فصل الصيف ، ويكون أحواضاً في فصل الشتاء تتحول إلى مستنقعات راكدة . وتتجمع المياه الجارية في نهر يو أو يئو الذي يصب في بحيرة تشاد . وقد أطلق بارث خطأ على هذا النهر اسم «كومادُ گُنُو وَوُبِه» . وكلمة كومادگو معناها متسع من الماء ، وهي تطلق على المستنقعات وعلى البحيرة نفسها كما تطلق على الأنهار . ويجرى نهر يئو من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي ، وتلتقي به عدة نهيرات أهمها «تَشَبَّه» من اليسار و«كوشه» من اليمين ، وهو يصب في بحيرة تشاد على مسيرة اثني عشر ميلا شمالي كوكة بعد أن يقطع نحو ٧٠٠ كيلو متر (٤٥٠ ميلا) تقريباً . وتكوّن البحيرة نفسها حداً من حدود برنو من قرية «نغيغمى» في ركنها الشمالي الغربي إلى دلتا نهر شاري ، وشواطئها غير محدودة في الجهات الأخرى ، وتجف أحياناً مساحات شاسعة منها ، وهذا هو الحال بصفة خاصة في جزئها الشمالي الشرقي ، وهو الآن مستنقع تنتشر منه الأوبئة . ويفيض ماؤها فجأة في أحيان أخرى فيغمر ما يحيط بها من البلاد . ونحن نستبين من مشاهدات الرحالة المحدثين أن المياه تجرف شاطئها الشمالي الغربي بينما ترسب في جنوبها كميات كبيرة من الطمى . وعلى هذا فإن «كُوَه» التي كانت ثغر كوكة في عهد بارث أصبحت اليوم تبعد عن البحيرة نحواً من ١٤ ميلا (٢٩ كيلومترا) .

وتقع برنو بين المنطقة الحارة والمنطقة المعتدلة ، ولذلك فإن فيها خصائص الأقاليم الوسيطة في النبات والحيوان والمناخ . أما فصولها فثلاثة مقابل واحد في الكنغو واثنين في السودان الغربي : فصل بارد جاف يبدأ في نوفمبر وينتهي في مارس لا ترتفع

درجة الحرارة فيه عن ٢٥ سنتيغراد [٧٧ فهرنهيت) وتنخفض حتى تصل إلى ١٤ سنتيغراد (٥٩ فهرنهيت) ، وفصل حار جاف يبدأ فى مارس وينتهى فى يونية تثبت درجة الحرارة فيه عند ٤٠ سنتيغراد تقريباً (١٠٤ فهرنهيت) ، وفصل مطير يبدأ فى يونية وينتهى فى أكتوبر ، ويتميز بغزارة أمطاره وشدة عواصفه ، وهو بطبيعة الحال فصل الأمراض كالملاريا والدوسنطاريا التى تصيب الأهالى كما تصيب الأوروبيين : ويكثر النبات كلما اتجهنا من الشمال إلى الجنوب ، وتمتد بالقرب من الصحراء سهوب قليلة الخضرة تنتثر فيها الشجيرات ، وتتحول هذه المنطقة الجرداء المقفرة إلى سهول خضراء تسر الناظرين إبان فصل الجفاف عقب هطول الأمطار . وتكثر الأشجار وتتنوع فى برنو وتحل أشجار الدوم والتمرهندى والبوباب (أوالعمارة) والزبدة والقطن محل اللبخ وتتجمع ولكنها لاتكثف بحيث تكون غابة . ولاوجود للغابات إلا فى الجزء الجنوبى من برنو وخاصة فى الأقاليم المتاخمة للمنطقة الاستوائية . وإلى جانب هذه النباتات البرية يزرع الأهالى بكثرة أنواعاً أخرى من النبات . وأهل برنو زراع مهرة . وهم يزرعون الدخن والسمسم والقمح الذى يزرع للسلاطين خاصة ، والأرز فى الجهات التى تغمرها المياه فى مواسم الفيضان أوالأراضى التى تتجمع المياه فيها بعد هطول الأمطار . ولايعنى أهل برنو بزراعة الأشجار إلا قليلا ، ولو أننا نجد بعض الحدائق حول المدن تزرع فيها أشجار الليمون والتين والرمان، وهم يستوردون البلح ، وهو من أغذيتهم الرئيسية، من كانم وواحات الصحراء الكبرى : أما الحيوان فكثير وخاصة فى السهوب المتاخمة للصحارى حيث تجد الوعل والغزال والزراف والأسد والضبع ، وبها أنواع كثيرة مختلفة من الطير مثل مالك الحزين واللقلق والحمام وغيره . وتؤم قطعان من الفيلة وأفراس البحر شواطئ الأنهار والمستنقعات ، كما تكثر التماسيح والزواحف والحشرات وهى أكثر مضايقة للإنسان من الحيوان الكبير كالأرَض والنمل . أما الحيوان المستأنس فالخيل والحمير والأبقار والأغنام والخنازير ، والإبل لاتوافقها أرض برنو ولامناخها .

سكانها :

سكان برنو ، ويقال لهم برونى ، أجناس مختلفة جداً ، وهم الكنورى والسودان والعرب والبربر والفلبه .

١ — الكنورى ، وهم العنصر الغالب من ناحية العدد والسلطان السياسى ، ويقول بارث ونشتيگال إن عددهم يبلغ ١,٥٠٠,٠٠٠ من مجموع السكان البالغ عددهم ٥,٠٠٠,٠٠٠ نسمة . ولم نصل إلى أصل هذا الاسم بعد ، ويقول نشتيگال إن الأهالى يشتقونه من الكلمة العربية نور مع إضافة الكاف إلى أولها وبهذا يصبح معناه « حاملو النور» إشارة إلى الإسلام الذى اعتنقه الكنورى منذ أمدبعيد ونشروه بين القبائل من عبدة الأوثان. وهناك فرض آخر بصل كلمة كنورى بكلمة كانم ، وهى موطن الغزاة الذين أقبلوا فى القرن

الرابع عشر الميلادى واستقروا فى برنو نفسها . وربما كانت الصيغة البدائية للفظ كنورى هى كانمرى . ومهما يكن من شىء فإن كلمة كنورى لم تطلق على جنس بعينه ولا على قبيلة بعينها . وإنما أطلقت على خليط من الناس مختلفى الأصل تمييزاً لهم عن العناصر الأصلية التى تألفت منها هذه الجماعة والتى لايزال بعض منها يحتفظ بشخصيته المتميزة . وقد جاء أسلاف الكنورى الحاليين من كانم فى القرن الرابع عشر الميلادى، وكان هؤلاء الغزاة بعض أفراد من القبائل التى كانت قد استقرت فى كانم منذ عهد بعيد . وزعمت أنها من أصل عربى . ومنهم أيضاً الكانمبُو أو التبُوس وعناصر أخرى لاتزال نلمح آثارها بين سكان برنو . ونذكر على سبيل المثال من الفئة الأولى «الماكُمى» وهم يتفرقون جماعات صغيرة فى إقليمى مُنْيُو وزِنْدَر ، والنْگَلْمَة دُكُو . ويمثل التُبُوس الكَى داذه وهم غالب السكان فى كَيَام ، والنْگَلْمَة، وهم موزعون فى طول البلاد وعرضها، والتُرَى وغيرهم . وصاهر الغزاة من جهة أخرى السودان فنتج من هذا جماعات مختلطة الدم مثل النگُمَه الذين يقطنون البلاد بين دِكْوَه ونْكُرنو .

والكنورى من حيث البنية وسط بين التُبو والسودان فهم ليسوا فى نحافة التُبو ، وأطرافهم أكثر تناسقاً من السودان . ومرآهم من عارض أقرب إلى الأوروبيين منه إلى السودان ، غير أن شعر رأسهم مفلفل كشعر هؤلاء . وشفاههم غليظة وعظام الفك عندهم بارزة ، ولونهم بين للسمرة الضاربة إلى الحمرة والسنجابية المائلة إلى السواد . وتتميز حياة الكنورى الاجتماعية وطريقة معيشتهم تميزاً واضحاً عن جيرانهم . فهم لايميلون إلى تعاطى الخمور ، وليس فيهم ما يؤخذ على السودان من خمول وبلادة ، ورجالهم يشتركون مع النساء فى الزراعة والنسج ، ويعدون قطع القماش التى يصنعون منها «التوبين» وهو الجلباب الخاص ببلادهم ، وتزاول نساؤهم فن التطريز . ويشتغل الكنورى بعدة حرف منها صناعة الخزف والسلال وأشغال الحديد ، وهم أنشط الأجناس السوداء بلا نزاع . أما أشرافهم فهم وحدهم يحتقرون الأعمال اليدوية التى تتطلب جهداً جسمانياً ، بل إنهم إذا اتفق وأجبروا على السير عدّوا ذلك عاراً .

ومركز المرأة عند الكنورى يفضل نسبياً مركزها عند معظم بلاد إفريقية . والفتاة الكنورية تتمتع بحرية كبيرة ويسمح لها بالاختلاط بالشبان ولا ترغم على العمل عندما تتزوج . ولايتزوج بأكثر من واحدة إلا الأمراء والأشراف الذين ينسجون على منوال الأمراء من حيث كثرة النساء فى بيوتهم. ويقول الرحالة إن الحياة العائلية متقدمة عندهم . وللزوجة نفوذ كبير فى جميع طبقات المجتمع الكنورى . وتتمتع أم السلطان (مَگيرَه) بامتيازات كبيرة ، نخص بالذكر منها حق إقالة العمال فى مختلف الأقاليم وفقاً لهواها ، ولزوجة السلطان الأولى نفس الحقوق . وتنسب ذرية الأمراء وكبار العمال إلى أمهاتهم لا إلى آبائهم .

ويمكننا أن نلمح من وجود هذه الخصائص أثر بعض العناصر البربرية التى تتألف منها أمة الكنورى . فإكرام الضيف من مآثر الكنورى كما

هو الحال عند البربر ، وإن كان بارث ونشتيگال قد غاليا فى وصف ميل الكنورى إلى إكرام الضيف، وربما كانت بشاشة البرنوى راجعة فى الواقع إلى جشعه ورغبته فى تلقى الهدايا والهبات من ضيفانه .

٢ — القبائل الوطنية المتميزة عن الكنورى فى اللغة والعادات، ونذكر من هذه القبائل مايأتى :

المَكَّرى ، أوالكُتُوكو الذين يعيشون فى جنوبى برنو بإقليم كتوكو وولاية لوگون ، ويلوح لنا أنهم أتوا من شارى الأوسط وأخضعوا السكان الأصليين من السُو قبل أن يتغلب عليهم الكنورى ، وكان المكرى أكثر سمرة من الكنورى وأضخم أجساماً ، وهم يشتغلون بالزراعة وصيد الأسماك .

ويعيش الكِرِينه فى الإقليم نفسه ، ويظهر أنهم آخر سلالة السو .

ويعيش «المُبَّر» على الضفة اليسرى لنهر يئو على مسيرة ثلاثة أيام من كوكة .

وينتشر «المَنْگَة» فى إقليم مساحته ١٣٠ ميلاً إلى الشمال من يئو ، ويعتبرهم بارث خليطاً من الكنورى والسكان الأصليين ، بينما يذهب نشتيگال إلى أنهم البقية من الجنس الأصلى الذى غلب على أمره .

والبِدَّة والكِرى كِرِّى يعيشون جنوبى المَنْگَة ؛

والفيكة والبابر فى جوار أدموه .

والمرغى إلى الجنوب الشرقى من البابر والگمرِكو .

والمَنْدَرَّة أو الوَنْدلة إلى الجنوب والشرق من الگمركو .

والمُسْگو بين المندرة واللوگون .

ويقول نشتيگال إن عدد أفراد هذه القبائل كلها مليون ونصف المليون من الأنفس .

٣ — الأعراب : ويطلق على الأعراب الذين استقـروا فى برنو اسم شوَه أوشوَى تمييزاً لهم عن تجار العرب الذين يمكثون فترات قصيرة فى هذه البقاع ويطلق عليهم «وَسَّيلى» ، ويتفاوت لون بشرتهم تبعاً لدرجة اختلاطهم بالسكان الأصليين . ويقول بارث إن بعض قبائل هؤلاء الأعراب مثل أصيلة وجوعَمَة وسلامات نزحت من الشرق فى بداية القرن السادس عشر لميلاد المسيح ، وإن بعضاً آخر من هذه القبائل مثل حَزام وأولاد حامد تركوا كانم واستقروا فى برنو فى الأعوام الأولى من القرن التاسع عشر . وهم منتشرون فى ولايات كتوكو ومندرة ولوگون ، ولهم فيها منازل يعيشون فيها إبان فصل الأمطار ، بينما يعيشون عيشة البدو هم وقطعانهم أيام فصل الجفاف . وقد فتكت الأوبئة بأنعام بعض بطونهم فهجروا حياة البدو وتحضروا . ويبلغ عددهم فى رواية بارث ٢٩٠,٠٠٠ نسمة ، وهم آخذون فى التناقص ، ويقول نشتيگال إن عددهم لايزيد عن ١٥٠,٠٠٠ نسمة .

٤ — القبائل المختلفة : ويمكننا أن نضيف إلى القبائل التى ذكرناها بعض الطوارق ويعرفون باسم كِنِدين ، وقد استقروا منذ قرون على الحدود

الشمالية لإقليم دوتشى وما حول زِنْدر ، والفيلاته ، وهم الفُلبه أو الفلاته أو البول الذين أقاموا محلات فى أماكن مختلفة منذ القرن السادس عشر ؛ والموسا الذين اختلطوا بالكنورى والفلاته والطوارق ، ويقطنون زندر وكُمَّل .

وسكان برنو بصفة عامة متحضرون ، يقطنون مدناً وقرى بعضها كبير إلى حد ما ؛ وكانت الحاضرة كوكة أهم مدن برنو حتى نهاية القرن التاسع عشر ؛ وقد أسسها محمد الكانمى عام ١٨١٤م فى سهل على مسيرة عشرة أميال من بحيرة تشاد ، وسرعان ما ازدهرت . ويقدر بارث عدد سكانها بـ ١٢٠,٠٠٠ نسمة ، ويقول نشتيگال إنهم ٦٠,٠٠٠ نسمة ، أما مونتاى Monteil فيقول إن عددهم ٥٠,٠٠٠ نسمة، وهو آخر من زارها من الأوروبيين قبل أن يغزو رَباح تلك البلاد ؛

وكانت كوكة منقسمة إلى قسمين يفصل أحدهما من الآخر سور وميدان فسيح كانت تقام السوق فيه . ويقطن القسم الغربى الطبقات الفقيرة والتجار وخاصة الشُرَوَه الذين جاءوا فى الأصل من طرابلس وصاهروا الأسر الكبيرة فى المدينة . ويخترق هذا القسم طريق فسيح يسمى دِ نْدَل يؤدى إلى السوق ، أما القسم الشرقى ففيه قصر السلطان وقصور السروات . وقد أطنب كل من بارث وورلفس ونشتيگال فى وصف المنظر الرائع لتلك الأعشاش أو الأكواخ المتجمعة المبنية من اللبن والقائمة وسط المروج الخضراء كما أشادوا بنشاط الحركة التجارية فى هذه المدينة الكبيرة التى تعتبر بحق مركز التجارة بين إفريقية الوسطى وإفريقية الشمالية : فالقوافل الآتية من طرابلس محملة بالسلع الأوروبية تستبدل بها فى هذه المدينة الجلود وريش النعام والعاج والعبيد ؛ ويجتمع فى سوقها أحياناً عدد يتراوح بين ١٥,٠٠٠ و ٢٠,٠٠٠ نسمة ؛ ولم يبق من هذا الرخاء الآن سوى الذكرى ، ذلك لأن رباح دمر كوكة تدميراً تاماً ولم تقم لها بعد ذلك قائمة .

ومن مدن برنو أيضاً نْـگَـزْنُو التى يزعم رولفس أن عدد سكانها ٢٠,٠٠٠ نسمة ؛ هى على مسيرة ٢٠ ميلا من الجنوب الشرقى لكوكة ؛ وبَرَّوَة وعدد سكانها ١٥٠٠ نسمة وهى على ضفاف بحيرة تشاد ؛ ونِيغِگْمِى وعدد سكانها ١٥٠٠ نسمة وهى فى الركن الشمالى الغربى من البحيرة عند حدود منطقة السهوب ؛ ونگُرُتُوَه أى مدينة أفراس البحر ، وعدد سكانها يقرب من ١٠,٠٠٠ نسمة وهى لا تبعد كثيراً عن قصر أ گَـمُو العاصمة القديمة ، وبرسارى ، وعدد سكانها ٧,٥٠٠ نسمة ؛ ومِشْنَه وعدد سكانها ١٢,٠٠٠ نسمة ؛ وزندر فى إقليم دَميرغو وعدد سكانها ١٠,٠٠٠ نسمة ؛ ومكـمَّرى فى إقليم كَرَىكَرى ؛ وگُجْبَه وعدد سكانها ١٢,٠٠٠ ؛ ويدى جنوبى بحيرة تشاد ؛ وَنْگالَه وعدد سكانها ٧,٠٠٠ نسمة ؛ وكُفَّىّ فى حوض نهرشارى ؛ وكَرْنَك وعدد سكانها ١٥,٠٠٠ نسمة ، وهى على لوگون ؛ ودِكْوَه ؛ وعدد سكانها ١٥,٠٠٠ ، وهى عاصمة بلاد مندرة ، وعدد سكانها ٣٠,٠٠٠ .

ويتكلم أهل برنو عدة لغات ، ولغة الكنورى أوسعها انتشاراً ، وهى تشبه لغة التبو وبعض اللغات السودانية مثل لغة بَكَرْمِنَّا ، وهذه اللغة غنية بمفرداتها، ويقول كِولِّه Koelle إنه يمكن التعبير بها عن أدق خلجات الفكر ، ولا توجد مؤلفات بهذه اللغة ، وإنما هناك قصص ومأثورات وأخبار تاريخية جمعت من أفواه الأهالى ، ولغة الكنورى لاتزال آخذة فى الانتشار ، وقد فرضت على عدد من القبائل الوطنية مثل المَنْگَنَة ، وهى تحل الآن بالتدريج محل اللغة العربية التى هى اللغة الرسمية ، ولايتكلم بالعربية ، إذا استثنينا حاشية السلطان ، سوى الشوة ، واللهجات التى يتكلمون بها تختلف اختلافاً بيناً عن لهجات إفريقية الشمالية ، وتقرب من لهجات أهل الحجاز ، وهم يزعمون أنهم أتوا منه ، وتتمسك هذه القبائل بلغتها الخاصة ، بل إنهم لم يسمحوا بطغيان لغة الكنورى على لغاتهم حتى فيما جاور كوكة .

والإسلام هو الدين السائد هناك ، وقد دخل فى العصور الوسطى على يد الغزاة الذين جاءوا من كانم ، والذين كانوا قد اعتنقوا هذا الدين قبل ذلك بعدة قرون ، فدخل فيه السلطان والأشراف وسكان أمهات المدن ، وهو آخذ فى الانتشار بين قبائل الغرب والجنوب الوثنية ، وقبائل مرغى ومندرة يدينون الآن بالإسلام كما اعتنقه شيوخ مسگو وإن كان رعاياهم ما زالوا على الوثنية ، ومع هذا فإن الإسلام لم يتغلغل فى نفوس الناس، فليس فى لغة الكنورى — مثلا — كلمة تعبر عن فكرة التوحيد ، وكلمة « كِمَّه » التى تقابل كلمة « الله » تدل على المولى أو السيد ، ولايعرف جمهور الناس عن العقائد الإسلامية سوى مظاهر العبادات وبعض فكرات عجيبة عن الجنة والنار ، ونسى هؤلاء الناس آلهتهم القديمة مثل « كليرَم » إلاهة الغاب و « نِگَمِرَم » إلاهة الماء ، ولكنهم ظلوا يتمسكون بعدة خرافات واعتبروا الأعيادالإسلامية تتفق والظواهر الطبيعية الموسمية كأوجه القمر وحلول الفصل المطير ، ، إلخ ؛ وعلى ذلك فإن إسلام البرنويين إسلام محرف بل هو إسلام لاغيرة فيه ، والرحالة متفقون على أن السكان متسامحون لايقبلون إقبالا شديداً على الهداية ، وليس للطرق الدينية شأن يذكر ، وأوسعها انتشاراً الطريقة « التجانية » ومن أتباعها السلطان نفسه ، والقادرية أتباع قليلون ، أما السنوسية فأتباعها قلة متناثرة هنا وثم ، ولا ينطبق هذا القول على الشوَه الذين ظلوا على تعصبهم الدينى واللغوى .مثال ذلك أنهم خرجوا من برنو زرافات قاصدين مكة مقتفين أثر الحاج شرف الدين الفلبي الذى حمل كثيراً من مسلمى السودان على الحج قرابة عام ١٨٥٠م ، ومهما يكن من شىء فقد كان الإسلام — شأنه فى بقية بلاد السودان — عاملا من عوامل التحضر فى برنو كما أنه رفع مستوى البرنويين عما يجاورهم من شعوب ، ومع ذلك فإن برنو لا تستأهل تلك الشهرة التى يسبغها عليها بعض الرحالة ، فإن الحياة العقلية هناك ظلت على الدوام منحطة ، مثال ذلك أنهم اعتبروا محمداً الكانمى فى بداية القرن التاسع عشر عالماً لأنه كان يكتب العربية كتابة صحيحة ، ولا توجد اليوم فى

برنو إلا عدة مكاتب خاصة يتعلم الصبيان فيها ، وهى مقصورة على المدن الكبرى ؛ صحيح أنه كان فى كوكة شبه جامعة يؤمها ألفان أو ثلاثة آلاف من الطلاب يعيشون على الصدقات أو على هبات الأشراف الذين يتعلم أبناؤهم فيها ، ولكن التعليم هناك كان مقصوراً على الكتابة العربية وتحفيظ سور قليلة من القرآن ؛ ويقول رولفس فى كتابه المذكور (جـ ١ ، ص ٣٤٢) إن الأساتذة لم يكونوا أعلم من تلاميذهم ، وأن ليس هناك تقدم فى الحياة العقلية .

وقد دهش الرحالة المتقدمون الذين زاروا برنو من وجود نظام سياسى أرقى بكثير مما فى بلاد السودان الأخرى ، بل إنه يشبه — من وجوه عدة — النظام السياسى الذى كان سائداً فى الدول الأوروبية فى العصور الوسطى . ولم يبق اليوم من هذا النظام سوى آثار ضئيلة . فإن الإمبراطورية البرنوية تلاشت فى نهاية القرن التاسع عشر ، ولابد لدراستها من الرجوع إلى ما بين عامى ١٨٥٠ و ١٨٧٢م ، أى وقت أن كان بارث ورولفس ونشتيگال قادرين على دراسة سير الأعمال فى تلك الحكومة .

وكانت برنو تشتمل وقتذاك على مجموعتين متميزتين من البلاد ، فبرنو نفسها أو بلاد كوكة يحكمها السلطان مباشرة ، ثم سلطنات تابعة لها يحكمها زعماء من أهلها . وتشمل هذه السلطنات الإنگلوَة (وحاضرتها بونه) ومُنيو وزندر وبلاد بيدَه وكرِّى كرِّى ومَشِنة وكُسُمْل ومندرة وكتوكو ولوگون وأجِنْدة ، ويؤدى زعماء هذه السلطنات المختلفة جزية من المحاصيل والعبيد الذين يؤسرون إبان غزو القبائل المجاورة ؛ وبعض هؤلاء السلاطين مثل سلطان كتوكو ولوگون مستقلون من الوجهة العملية .

وكان سلطان برنو يلقب بـ « مىْ » — أى سلطان — إلى أواسط القرن التاسع عشر ، وقنع السلاطين بعد وفاة آخر الحكام من الأسرة السَيْفية عام ١٨٤٦م ، بلقب شيخ الذى كان يلقب به محمد الكانمى وهو رأس الأسرة الجديدة . ويتمتع الحاكم بالسلطان المطلق ، فهو يجمع بين السلطتين الروحية والزمنية ، وأرواح رعاياه وأملاكهم فى قبضة يده يصرفها كيف شاء : ومع هذا فإنه يحف بالسلطان مجلس يطلق عليه اسم « نُوكِنَه » ويعرف أعضاؤه باسم « كوكِناوه » ، ويذهب نشتيگال إلى أن هـذا المجلس من بقايا النظام الأرستقراطى القديم فى برنو ، ولكنه الآن مسلوب النفوذ . ويضم هذا المجلس ولى العهد المنتظر (يُرِمَة) وأبناء السلطان وإخوته وأقاربه (مَيْنَنَه) ووجوه الأشراف وقواد الجيش ، وللسلطان حاشية فخمة ، وفى خدمته أمناء عديدون يقول بارث إن عددهم بلغ فى القرن السادس عشر الميلادى اثنى عشر أميناً ، ولكن العدد تغير بعد ذلك . وكبيرهم هو « السسين تلمه » أى ساقى السلطان والـ « مَيْنْتَه » أى ناظر الخاصة و « والمَرْمَكَلْو بى » وهو القَيِّم على العبيد . والخصيان كثيرون مثلهم فى ذلك مثل البلاط فى بقية البلاد الإسلامية ، وكان لهم فى بعض الأحيان شأن كبير فى السياسة . بل إن أحدهم — وهو

مَنْشِيوَه عبد الكريم – ظل الحاكم الفعلي لبرنو نصف قرن من الزمان فى عهد الشيخ عمر وخلفائه .

ويأتى فى المرتبة بعد الأشراف الذين يخدمون السلطان ، العمال المنوطة بهم إدارة شئون البلاد (كُكَنَوَه أوكوكَناوه) بعضهم من الأحرار والبعض الآخر من نسل العبيد : وهم لايتقاضون مرتباً ولكنهم يمنحون أرضاً أو يولون على بعض الأقاليم فيجمعون منها أكثر ما يستطيعون جمعه من مال ، على أنه يجب عليهم أن يقدموا هدايا للسلطان كل عام ؛ وأمثال هؤلاء الدِ كَمة أو الدُ كَمة وهو بمثابة وزير الشئون الخارجية . و « الفُكَمَه » هو الجلاد وهو حاكم مدينة نگرنو فى الوقت نفسه ، والكَسَلْمة وهو والى إقليم يو ، والگَلَدِعه وهو من أكبر أصحاب الالتزام وتناط به إدارة الأقاليم الغربية فى برنو .

واحتفظت القبائل الأصلية بعامة بشيوخها تحت إشراف العمال البرنويين ، وكان هذا شأن المكّرى الذين كان يحكمهم شيوخ يراقبهم عامل برنوى يعرف بـ « على — فه » وكذلك الشوه الذين سمح لهم بالاحتفاظ بشيوخهم وشيوخ شيوخهم على شريطة أن يقدموا بانتظام إلى ممثل السلطان ربع مواردهم كل عام .

وتحت إمرة السلطان جيش عدته ألف من المشاة وألف من الفرسان المسلحين بالبنادق ، وثلاثة آلاف مقاتل مسلحين بالرماح والقسى ، وله مدفعية تتألف من عشرين مدفعاً ، وحامية مكونة من ألف من الرماحة وحملة السهام . وهم يحملون الدروع وعلى رءوسهم خوذات معدنية ، كما تحمى خيولهم أغطية مبطنة سميكة : والضباط الذين يجندون من العبيد يعرفون بالـ « الكَشَلَّة بَلَل » أو « الكَيگَمَة » وهو رئيس الرماحة وحملة السهام ، و « الكنشله نأبرْسه » وهو قائد الخيالة من حملة البنادق ، ثم « الكَشِله » وبرأس كل منهم فرقة عدتها مائة مقاتل : وهناك إلى جانب هذه الجنود النظامية كتائب تقدمها قبائل الشوة الذين يجب عليهم أن يقوموا بالخدمة العسكرية فى زمن الحرب ، وكذلك العصابات التى يجندها الكنشلة أو الكُگَنه .

ولا تدفع أعطيات للجنود النظاميين ولكنهم يمنحون أراضى يعيشون من غلتها . وتستطيع برنو أن تجهز جيشاً يتراوح بين ٢٥,٠٠٠ و ٣٠,٠٠٠ مقاتل : وفرق الفرسان والأسلحة النارية فى الجيش البرنوى تجعله متفوقاً على شعوب السودان التى لا تضارع برنو فى العتاد الحربى .

تاريخها :

أجمل بارث تاريخ برنو واستغل فى ذلك إلى جانب الروايات التى جمعها بنفسه عدة وثائق مكتوبة ، منها : (١) تأريخ لا يعرف مصنفه ، وفيه بيان بأسماء السلاطين من العهود المتقدمة إلى عصر إبراهيم ، وفى عهده زار دنهام Denham وكلابرتون Clapperton كوكة . (٢) بيانان آخران بأسماء السلاطين . (٣) أخبار الاثنى عشر عاماً الأولى من حكم إدريس ألَوْمة التى جمعها الإمام أحمد ، وإلى جانب هذه الوثائق

أخبر البرنويون بارث بأن هناك تاريخاً آخر يعرف « بتاريخ مَسْقَرَما » غير أنه لم يستطع ، لا هو ولا نشتيگال ، الحصول عليه ، ومع ذلك فإن نشتيگال قد خالف ما رواه بارث فى بعض المسائل، فنجده مثلا يهمل عدد السلاطين الذين حكموا برنو فى المدة التى ذكرناها ٦٤ سلطاناً بدلا من ٦٧ ، كما أنه غيَّر فى تواريخ حكم عدد منهم ؛ ومهما يكن من شىء فإنه لم يضف شيئاً إلى ما قال بارث. ويكمّل المعلومات المستمدة من هذه التواريخ ما أمدنا به محمد بن الحسن الوزان الزياتى والأخبار التى جمعها كولله Koelle ، وأطرفها ما يتصل بظهور أسرة كانم .

حكمت الأسرة السيفية برنو إلى منتصف القرن التاسع عشر ، وهذه الأسرة نقلت مقر الحكم إلى الضفاف الغربية لبحيرة تشاد بعد أن حكمت فى كانم عدة قرون . وتنسب هذه الأسرة إلى سيف ابن ذى يَزَن ، إذ تقول الروايات إن هذا البطل الإسلامى الأسطورى ، وهو ابن آخر ملوك اليمن ، قد أنشأ دولة فى كانم بأن أخضع لسلطانه عدة قبائل هى التبو والبربر والكانمْبو ؛ وقد يكون الأقرب إلى الواقع أن مملكة كانم الإسلامية قد أسسها عام ١١٠٠ م على التقريب غزاة أتوا من بلاد بَرْدُوَه ، وهى قبيلة متبدية فى الصحراء الشرقية ؛ وفى رواية الإمام أحمد أن حاضرة هذه المملكة كانت نَجيمى . والمعلومات التى لدينا عن السلاطين الأولين من الأسرة السيفية هى مجرد أساطير ، مثال ذلك ما يقال من أن إثنين منهم هما هوگو وكبورى حكما ٢٥٠ عاماً ؛ وانقرض الفرع الرئيسى من أسرة سيف فى القرن الخامس الميلادى بموت سَلْمَمَة ؛ ويذهب القصص إلى أن الحكم انتقل إلى فرع آخر من الأسرة نفسها هو فرع بنو حَمى أو حُمِي ؛ وربما كان حمى مؤسس هذه الأسرة الذى حكم من سنة ٤٧٩ إلى ٤٩٠ هـ (١٠٨٦ — ١٠٩٧ م) هو عين محمد ابن جبل (وقرئ عبد الجليل) ابن عبد الله الذى ذكره المقريزى . ولعله أول شخصية تاريخية فى كانم ؛ (*Der Islam* : Becker ، ج ١ ، ص ١٧١) ، وقد اعتنق هذا السلطان الإسلام وتوفى بمصر فى طريقه إلى الحج . ونما سلطان الحكام بعد اعتناقهم الإسلام ؛ فشن دونمه (٤٩١ — ٥٤٥ هـ = ١٠٩٨ — ١١٥٠ م) غارات متعاقبة وسع بها رقعة أملاكه ، وجند جيشاً كانت الفرسان عماده ، وحج هذا السلطان ثلاث مرات ، ولكن المصريين أغرقوه فى خليج السويس لأن أطماعه ونجاح جيوشه أقلقت بالهم ، وكان ابنه بيرى فقيهاً عالماً ذائع الصيت .

وكان كل هؤلاء السلاطين من الجنس الأبيض ، بشرتهم — كما تذهب التواريخ — بيضاء كبشرة العرب ، ثم حل محلهم سلاطين من السودان بعد القرن السادس الهجرى . وكان سَلْمَمَة أول هؤلاء السلاطين (٥٩٠ — ٦١٧ هـ = ١١٩٤ — ١٢٢٠ م) موضع تبجيل الناس كما كانت له الغلبة على القبائل المجاورة . وقد بدأ صلاته الطيبة ببنى حفص فى تونس واستمرت كذلك فى عهد خلفائه .

ثم خلفه دونمه (٦١٨ – ٦٥٧ هـ = ١٢٢١ – ١٢٥٧ م) الذى تغلب على التبو بعد أن حاربهم سبع سنين ، وأجبر أهل فزّان على الاعتراف بسلطانه ، ووسع ملكه فأصبح ممتداً من الشواطئ الجنوبية لبحيرة تشاد إلى النيل والنيجر . ووقعت المملكة بعد وفاته فى ظروف حرجة ، فاضطر السلاطين إلى شن غارات طويلة على السُو ، وهم شعب يعيش بين نهر يتو وبحيرة تشاد، هبوا فى وجه أمراء كانم بعد أن أخضعهم هؤلاء . وتمكن السَو فى خلال أربع سنوات من قتل أربعة سلاطين . ولم يتغلب عليهم إلا إدريس (٧٥٤ – ٧٧٨ هـ = ١٣٥٣ – ١٣٧٦ م) فى منتصف القرن الرابع عشر، ثم هاجم المملكة أعداء جدد هم البُلالَة الذين انحدر زعماؤهم من أحد فروع الأسرة المالكة بكانم ، وكانوا يحكمون البلاد التى حول بحيرة فِتْرى : وطرد السلطان داود من حاضرته نجيمى وهلك فى قتاله مع الغزاة عام ٧٨٨ هـ (١٣٨٦ م) ولقى كثيرون من خلفائه ما لقيه هذا السلطان عندما حاولوا صد البلالة . واضطر عمر بن إدريس (٧٩٦ – ٨٠٠ هـ = ١٣٩٤ – ١٣٩٨ م) آخر الأمر إلى أن يهجر كانم وأن ينقل حاضرته إلى كَغا ، وهى بين أج و كُنجْبَه . ولم يسكت البلالة عن مضايقة بنى سيف فاضطر هؤلاء إلى الالتجاء إلى الأراضى المغطاة بالمستنقعات فى إقليم السو . وأخذوا يغيّرون مقر حكمهم على الدوام هرباً من العدو : وزاد هذه الحالة سوءاً الفتن الداخلية والأوبئة والمجاعات التى دامت سبعين سنة . ولم يستتب الأمر إلا فى عهد على الدوغمى الذى حكم بين عامى ٨٧٧ و ٩٠٩ هـ (١٤٧٢ – ١٥٠٥ م) ويطلق عليه أهل برنو اسم على الغَجيدينى ، وهو الذى وضع حداً لهذه الفتن الداخلية ، وأخضع العصاة من كبار العمال وخاصة الكَيْكَمة الذى حاول الاستقلال . وخط علىّ عاصمته قصر إِگمو أو برنى على نهر يتو على مسيرة ثلاثة أيام من شرقى المدينة الحالية كوكة . وكانت له غزوات موفقة جعلت الناس يلقبونه بالغازى . وعاد إلى برنو ما كان لها من سلطان زاد فى عهد إدريس الكَتَكَرْمابى (٩١٠ – ٩٣٢ هـ = ١٥٠٤ – ١٥٢٦ م) الذى قضى القضاء الأخير على البلالة واستعاد مدينة نجيمى التى طرد منها أسلافه قبل ذلك بمائة واثنتين وعشرين سنة . كما زادت شوكة برنو فى عهد ولديه محمد وعلى . وقد أخضع دونمه غَمَرامى بن محمد فتنة قام بها البلالة ، وحصن قصر إِگمو وعقد حلفاً مع درغوث باشا والى طرابلس . ويظهر أن إدريس أمسامى – الذى يلقب أيضاً بـ « ألومه » نسبة إلى ألَو التى دفن فيها – كان أقوى منهم نفوذاً . وقد حكم من عام ٩٧٩ إلى ١٠١١ هـ (١٥٧١ – ١٦٠٣ م) .

واعتلى إدريس هذا العرش بعد أن انقضت الفترة التى كانت أمه وصية عليه فيها ، وقام بإخضاع مختلف العناصر فى ملكه . وكانت له الغلبة لتفوق جيشه الذى كان يضم فرقة من حملة البنادق وأخرى من الفرسان . وبالرغم من تبعية السو لبرنو فقد أزعجوها حتى غزاهم إدريس وطردهم من حصونهم وشتت شملهم، أو قل إنه استعبدهم . وفقد الكَنَوَة حصونهم ، ما عدا

صخرة دلا التي خطت مدينة «كَنَمُو» عند سفحها فيما بعد. وأخضع الطوارق في الشمال الغربي وبربر أيِّر الذين كانوا ينهبون الأراضي الشمالية للسلطنة. كما أخضعت القبائل الوثنية في الشرق والجنوب مثل قبيلة مرغي ومندرة وغيرهما.

وأنفذت خمس حملات إلى كانم حيث كان أحد الغاصبين قد خلع السلطان الشرعي محمداً مع أن أباه كان قد أعلن ولاءه لبرنو. وشيدت في الوقت نفسه منشآت في مختلف البلاد، نخص بالذكر منها المسجد الذي بني في قصر إِكَمُو. وقع هذا كله خلال السنوات الاثنتي عشرة الأولى من حكم إدريس، ولكننا لا نعلم شيئاً عن الحوادث التي وقعت في النصف الثاني من حكمه، ولعله توفي في إحدى غزواته للقبائل الوثنية المجاورة لبجرمي.

وكان القرن السادس عشر الميلادي أزهى العصور في تاريخ برنو، غير أن الاضمحلال بدأ يدب في أوصالها في القرن السابع عشر، وربما نشأ هذا من ضعف السلاطين الذين لم يعودوا يهتمون بصالح الرعية. ولم يكن لواحد من هؤلاء السلاطين شأن هام في تدبير أمور الملك، ما خلا علي بن الحاج عمر (١٠٥٥ – ١٠٩٦ هـ = ١٦٤٥ – ١٦٨٥ م) وهو رابع السلاطين بعد إدريس، وقد قاتل عليّ هذا سلطان أغاديس قتالا شديداً، وحاصره الطوارق والكُوانه في عاصمة ملكه؛ ولكنه أفلح في بث الفرقة بين أعدائه حتى انتهى به الأمر إلى طرد الطوارق إلى الصحراء، بيد أن خلفاءه عاشوا عيشة البذخ والخمول فلم ينهضوا لدفع المغيرين على بلادهم، وتركوا الأهالي التعساء نهباً لقطاع الطريق وجماعات اللصوص فأهملوا فلاحة الأرض وفتكت بهم الأوبئة والمجاعات. وفي بداية القرن التاسع عشر عجزت برنو عن صد أعدائها الأقوياء الذين بدءوا يشنون الغارة عليها، وهم البول أو الفُلبة.

ووقعت غارة هؤلاء الفلبة في عهد أحمد بن علي الذي حكم من عام ١٢٠٨ إلى عام ١٢٢٥ هـ (١٧٩٣ – ١٨١٠ م). وكان هذا الأمير مثقفاً كريماً ولكنه كان خاملا.

وأخضعت الفلبة أقاليم الهوسا التابعة لبرنو، ثم عقدت حلفاً مع بني وطنهم الذين استقروا منذ القرن السادس عشر في عدة جهات من برنو وغزوا البلاد. وحاول أحمد صدهم، ولكن سرعان ما تشتت شمل جيشه بالقرب من قصر إكمو، ونجا السلطان بكل صعوبة، ففر من أحد أبواب المدينة في الوقت الذي كان أعداؤه يدخلون من باب آخر، ونقل معسكره إلى «كُرْنُوَة» عام ١٢٢٤ هـ (١٨٠٨ م) وخرب الفلبة قصر إكمو بعدما أصبحوا أصحاب الشأن فيها.

وأنقذت برنو في هذا الوقت العصيب بتدخل رجل أجنبي عن البلاد هو محمد الأمين الكانمي المعروف بالشيخ لَمِينُو، وأصله من فَزّان، ولكنه تزوج من ابنة أمير نغالة في كانم واشتهر بحكمته وورعه، وقد رفض مغادرة البلاد عند اقتراب الفلبة، وجهز فرقة صغيرة من الكانمبو

وعاق تقدم الغزاة عند شرق بحيرة تشاد ، ونجح آخر الأمر فى إجلائهم عن الجزء الشرقى من برنو بأكمله بعد انتصاره عليهم فى وقعة حاسمة عند نْگُـرْنو . فطلب أحمد عونه وترك له قيادة الجيش فأعاده محمد إلى عاصمة ملكه . وتوفى أحمد بعيد ذلك عام ١٨١٠ م .

وحاول دونمه بن أحمد أول الأمر أن يستأنف القتال وحده ضد الفلبة ، ولكنه هزم واضطر إلى الفرار من مدينة إلى أخرى : ثم استعان هو الآخر بمحمد الكانمى : وأعطى الكانمىَّ لقاء جهاده نصفَ الأراضى التى استعيدت من الأعداء ، وعلى هذا فقد كان لبرنو منذ ذلك الوقت حاكمان هما محمد صاحب النفوذ الفعلى ، وقد لقب نفسه بلقب الشيخ وعاش فى نگرنو ، وأحمد الذى كان يحكم بالاسم فقط ، وكان مقره بِرْبِرْوَا : وحاول أحمد أن يجد مخرجاً من موقفه الحرج وأن يتحرر من وصاية الشيخ عليه ، فهجر بربروا واستقر فى وودى إلى الشمال الغربى من بحيرة تشاد ، بيد أنه عجز عن استعادة استقلاله .

ثم إن محمداً أعاده بالقوة إلى بربروا وخلعه عن عرشه ونصب مكانه أحد أعمامه ، إلا أن هذا السلطان الجديد أبى هو أيضاً أن يخضع لأهواء الشيخ . فعمل على إنشاء حاضرة له فى « برنى الجديد » على مسيرة ميلين من الشمال الشرقى لنگرنو ، فجرده محمد من سلطانه وأعاد العرش إلى دونمه الذى ظل محتفظاً بلقب السلطان إلى أن توفى عام ١٨١٨ م .

وليس من شك فى أن محمداً الكانمى عمد فى الوقت نفسه إلى توكيد استقلاله عن الأسرة القديمة، فصمم على أن يخط حاضرة له ، وبدأ فى إنشاء كوكة عام ١٨١٤ م . وقد نسبت إلى نبات القوقة أو البوباب (كوكة فى لغة الكنورى) الذى كان ينمو فى المكان الذى اختاره الشيخ من السهل ليبنى عليه قصره . وحاول محمد فى الوقت نفسه أن يعيد إلى برنو ما كان لها من سلطان فاستعاد من الفلبة جزءاً من الأقاليم التى استولوا عليها وأنفذ حملاته على القبائل التى تعيش فى الشرق ، وتحالف مع عبد الكريم سَبون سلطان وَدَاى وأعلن الحرب على عثمان بُرْكُمَنْدَه سلطان بغرمى (انظر مادة « بجرمى » ومادة « وداى ») . وأغار سبون على بغرمى ثم عقد اتفاقاً أصبحت هذه البلاد بمقتضاه تابعة له . وأراد محمد أن يعوض ما فقده بهذا الاتفاق فتحالف مع شيخ فزان عام ١٨١٨ م وأغار على الجزء الشمالى من بغرمى وتقدم حتى مسّانية ، ولكنه عجز عن أن ينتصر على عدوه انتصاراً حاسما لتحصنه وراء نهر شارى . واستمرت الحرب بينهما حتى عام ١٨٢٤ م وانتهت بانتصار البرنويين انتصاراً حاسما عند نغّالة . واطمأن بال محمد من هذه الناحية ، فوجه همه ناحية الغرب واستعاد إقليم بَوتشى ولكنه اضطر إلى مهادنة الفلبة عام ١٨٢٦ م بعد أن لحقت به الهزيمة على يد السلطان بللو . ثم إنه حاول مرات غزو كانم . وتوفى عام ١٨٣٩ م تاركاً العرش لابنه الثانى عمر لأن ابنه البكر كان قد قتل عام ١٨١٧ م أثناء القتال مع بغرمى .

وقنع الشيخ عمر [١٨٣٥ – ١٨٨١ م] أول الأمر بأن يحكم باسم السلطان إبراهيم أخى دونمه ، وقد حكم هذا السلطان من ١٢٣٣ – ١٢٦٣ هـ (١٨١٨ – ١٨٤٦ م) ، وكان عمر محباً للسلم وظلت علاقاته طيبة مع الفلبة والبغرمى ولكنه عانى كثيراً فى إخضاع ولاة الأقاليم المختلفة الذين كانوا يحاولون الاستقلال دائماً .

وانتهز أنصار السيفية فرصة قيام هذه الاضطرابات فحاولوا أن يعيدوا أسرتهم القديمة إلى ما كان لها من سلطان وأن يقضوا على نفوذ الكانمية مستعينين فى ذلك بسلطان وداى : وعمل محمد صالح سلطان وداى بالاتفاق مع الساخطين ، فانتهز فرصة غياب جيوش الشيخ عمر فى حملة على زندر وأغار على برنو . وما إن سمع عمر بهذا الخبر حتى ألقى بإبراهيم فى السجن ، وجمع ما استطاع جمعه من الجنود وسار نحو جيش وداى ، ولكنه هزم هزيمة منكرة عند « كُسَّرِى » ، وهلك فى هذه الحرب وزيره تيراب ، كما أسر أخوه على ، واضطر إلى الالتجاء للأقاليم الغربية بعد أن قتل السلطان إبراهيم ؛ ونهب أهل وداى برنو وأحرقوا كوكه ، غير أنهم انسحبوا عند اقتراب الجيش البرنوى العائد من زندر .

وكان محمد صالح قبل رحيله قد أقام علياً بن إبراهيم سلطاناً فى برنى الجديد ، ولما كان ما بقى لعلى من القوة لا يسمح له بمقاومة الشيخ عمر مقاومة مجدية ، فقد هزم عند « مِنَارِم » وهلك فى هذه الوقعة وبموته انقرضت سلالة الأسرة السيفية القديمة ، وأخضع الثوار فى كل مكان وأنزل بأشياع السيفية العقاب الصارم كما خربت برنى الجديد ، وأكلت الغيرة قلب عبد الرحمن من حظوة الوزير الحاج بشير عند أخيه عمر فأثار فتنة أخرى عام ١٨٥٣ م ، وانتصر الثوار ، وقتل بشير وأجبر عمر على التنازل عن العرش ، ولكنه ما إن هدد بالنفى فى « دِكْوَه » حتى أخذ يجمع أنصاره وهزم عبد الرحمن وقتله عام ١٨٥٤ م .

وعلى هذا فقد حكم عمر مطمئن البال لا ينازعه أحد إلى أن أدركته الوفاة عام ١٨٨١ م ، وقد كان فى مقدور الشيخ أن يلقب نفسه بالسلطان ، ولكنه سار على نهج أبيه وقنع بلقب الشيخ ، وكان عادلا مؤثراً للسلم ، ميالا إلى الأوروبيين ، وهو الذى أحسن وفادة بارث ونشتيگال ، ولكنه لسوء الحظ كان يفتقر إلى النشاط ، ويخضع لمن حوله ، وشاهد ذلك أنه وقع تحت نفوذ الخصى « سَلْتيمَه » بعد وفاة وزيره بشير ، فأصبح هذا الخصى الحاكم الفعلى لبرنو ، وهو الذى نفذ رغبات عمر الذى كان يود أن يؤول العرش إلى أولاده كما رتب نظام توارثهم له .

وحكم أكبرهم بو بكر [أبو بكر] ثلاث سنين من عام ١٨٨١ إلى عام ١٨٨٤ م ، وقد اشتهر بالكرم والدهاء فى الحروب ، ومات وهو يتجهز للقيام بحملة على وَدّاى ، وخلفه أخوه براهيم [إبراهيم] الذى حكم ما بين عامى ١٨٨٤ و ١٨٨٥ م ، ثم جاء بعده الشيخ هاشم ، وهو ولد آخر من أولاد عمر ، وحكم من ١٨٨٥ إلى ١٨٩٤ م ، وزار مونتاى Monteil هذا الأمير

ووصفه بأنه رجل فاضل ومسلم متحمس له مشاركة فى العلم ؛ ولم يكن هاشم يعنى كثيراً بشئون دولته ، وعاش فى قصره وسط نسائه البالغ عددهن ٤٥٠ امرأة وأولاده البالغ عددهم ٣٥٠ ولدا ؛ وأخط رعيته لوقوعهم تحت نفوذ حظيه « مَلَدَم » ؛ وأخذت معالم اضمحلال برنو — التى كانت ظاهرة فى أواخر أيام عمر — تزداد وضوحاً على الأيام ، فانصرف الأهلون إلى الزراعة وفقدوا بالتدريج صفاتهم الحربية ، ولم يعد أحد يهتم بالشئون العامة لأن السلاطين رأوا إسناد أرفع المناصب إلى أشخاص من نسل العبيد ؛ وأخذت دلائل الفوضى تتزايد بسرعة ؛ وأصبح الأمراء المقطعون وكبار العمال يتصرفون وفقاً لأهوائهم ، ورفض سلطان زندر دفع الجزية ، وأعلن الكلدعة استقلاله ، وقامت قبائل وداى بغارات متوالية قصد السلب وأعملوا السيف فى رقاب الناس دون رحمة حتى وصلوا إلى سوق كوكه نفسها ؛ وكان حال برنو أشبه بالبناء المتداعى ما إن يصيبه أى حادث ، مهما قل شأنه ، حتى ينهار ، وقد تقوضت أركانه بالفعل أمام هجمات رباح (انظر هذه المادة) .

وخرب رباح بغرمى ثم دخل برنو عام ١٨٩٣ م ، واستولى على كَرْنَك ولوگون ، ولحق به هناك حليفه « هَيَتو » المطالب بعرش « سُكُوتو » ، وهُزم الجيش البرنوى الذى أرسل لملاقاته عند « گِلْبَه » بالقرب من كرنك ، وعند « هَمْجَة » بين دكوه و « نَغَيْر » كما هزم الشيخ هاشم الذى قاد الجيش بنفسه عند « همّ هَبْبُو » على شواطئ بحيرة تشاد ، وهذا النصر الذى أحرزه رباح فتح أمامه أبواب كوكه دون أن يشهر فيها سيفاً ، وعندئذ حاول هاشم أن يتفق مع رباح ، لكن ابن أخيه أبا كِيَرى الذى حاول مواصلة النضال اغتاله عام ١٨٩٤ م ، ثم هزم هو الآخر وقتل بالقرب من كوكة ، فخرب رباح المدينة وجعل دكوة حاضرة له ، وأقام بعض أبناء هاشم مع الفاتح واستقر آخرون فى زندر ثم لحق بهم بعد ذلك عمر سَنْدَه الوارث للعرش وهو الذى كان قد حاول أول الأمر الالتجاء إلى سلطان مندره .

وكان حكم رباح لبرنو قصيراً ، إذ أن الجنود الفرنسية بقيادة لامى Lamy قتلته فى الثانى والعشرين من فبراير عام ١٩٠٠ م بالقرب من كُسَرى ؛ وأعيد عمر سنده — الذى وجده المكتشف فورو Foureau فى زندر — إلى عرش برنو ، ولكنه عزل وأقيم مكانه بعيد ذلك أخوه جِرْبى الذى كان أقدر على مواجهة ما يكتنف الموقف من صعاب ، وأعد فضل الله بن رباح عدته لاستعادة العرش بالقوة ، وحاول جربى أن يصده فهُزم وطرد إلى كانم . وعندئذ أجبرت الجيوش الفرنسية على التدخل لتخليص برنو من فضل الله الذى التجأ إلى نيجيريا عندما هزم فى الثانى من فبراير عام ١٩٠١ م ، وحاول هناك أن يقوم بغزوة أخرى على برنو ، ولكنه اصطدم بالجيوش الفرنسية فى الثالث عشر من أغسطس عام ١٩٠١ م عند گُجْبَة وهلك فى هذه الوقعة .

وبموت فضل الله توطدت أقدام الأسرة الكانمية فى برنو من جديد ، ومع هذا فإن السلطنة

فقدت كثيراً من أهميتها لأن أراضيها اقتسمتها فى الواقع ثلاث دول أوربية تمتد مناطق نفوذها إلى بحيرة تشاد ، وهذه الدول هى إنكلترة وفرنسا وألمانيا . وأصبحت كانم ودمرگو من أملاك الفرنسيين ، أما برنو نفسها ، بما فيها كوكة التى أعيد تشييدها، فكانت من نصيب إنكلترة ؛ وكان من نصيب ألمانيا الأقاليم الجنوبية بما فيها دكوة ، وهى أكثر مدن برنو ازدحاماً بالسكان .

المصادر :

(١) H. Barth : Travels and discoveries in North and Central Africa المجلد ٢، الفصول من ٨ — ١١ ؛ (٢) O. Blau : Chronik der Sultane von Bornu فى Zeitsch. der deutsch. morgenlaend Gesellschaft ، جـ ٦ ، سنة ١٨٥٢ م ، ص ٣٠٥ وما بعدها . (٣) Denham and Clapperton : Travels and Discoveries (٤) Escayrac de Lauture: La désert et le Soudan ، باريس سنة ١٨٥٣ . (٥) E. Gentil : La chutte de l'empire de Rabah ، باريس سنة ١٩٠٢ . (٦) Koelle : Grammar of the Kanuri language ، لندن سنة ١٨٥٤ . (٧) African native literature and vocabulary ، لندن سنة ١٨٥٤ . (٨) Nachtigal : Sahara und Sudan ، برلين سنة ١٨٧٩ فى ثلاثة مجلدات ، الترجمة الفرنسية، باريس سنة ١٨٨١، جـ١ ؛ (٩) Decrose et Gaudefroy Demombynes : Rabah et les Arabes du Chari ، باريس من غير تاريخ . (١٠) A. Barth : Sammlung und Bearbeitung central-africanischer Vokabularien ، گوتا سنة ١٨٦٢ ، (١١) Norris : Grammar of the Bornu or Kanuri language ، لندن سنة ١٨٥٣ . (١٢) Dialogues in English... and Bornu Languages ، لندن سنة ١٨٩٣، (١٣) Monteil : De Paris à Tripoli par le Tchad ، باريس سنة ١٨٩٤؛ (١٤) G. Rohlfs : Quer durch Africa ، جـ ١ ، فصل ١٤ ، وما بعده ، جـ ٢ ، الفصول ١ — ٨ ؛ (١٥) Oppenheim : Rabeh. und das Tschadseegebiet ، برلين سنة ١٩٠٢ ؛ (١٦) G.H. Becker : Zur Geschichte des oestlichen Sudan فى Islam ، جـ ١ ، ص ١٥٣ — ١٧٧ . (١٧) J. Marquart : Benin ، ليدن سنة ١٩١١ ، فى مواضع مختلفة .

[G. Yver ج. إيفر]

+ برنو ، أو بَرْنو : هو الاسم الذى أطلق على إقليم فى الأرض المتاوحة للساحل من غربى إفريقية ، واشتقاق الاسم مشكوك فيه يعود أصله إلى الظهور فى بَربَرى ، كما أن جيرانهم يسمونهم الكنورى ، ويستعمل هذا الاسم :

(١) من غير ضابط للدلالة على منطقة لم تحدد تحديداً دقيقاً فى المصطلح الجغرافى ، وكانت تقوم فى هذه المنطقة دولة من الدول الكبرى لذلك الجزء من السودان الغربى (انظر قسم ٦ فيما يلى) ، كما يستعمل للدلالة على :

(ب) إقليم بلغت مساحته فى تعداد سنة ١٩٣١ ٤٥,٩٠٠ ميلا مربعاً ، وهو بين خطى عرض ١٠° و ١٣,٥° شمالا ، وخطى طول ١٠° و ١٤° شرقاً فى شمالى نيجيريا ، ويشمل ذلك الجزء من

(١) غربى الحدود الدولية الأصلية الإنكليزية الألمانية وجنوبى الحدود الإنكليزية الفرنسية ، مضافاً إلى ذلك شقة ضيقة من الأرض المجاورة له على الحد الشرقى للكمرون الألمانية السابقة التى حكمتها إنكلترة بالانتداب بعد حرب سنة ١٩١٤ — ١٩١٨ ، ويشمل ذلك مشيختى برنو ودكوة هما وبعض الوحدات الإدارية الأخرى .

(٢) جغرافيتها : وتتكون برنو فى معظمها من سهل رملى مترامى الأطراف ، يرويه نهران : نهر يوبه الذى يجرى من الغرب إلى الشرق فى الشمال ، ونهر يَدسَرام الذى يجرى من الجنوب إلى الشمال فى الجنوب . ويفيض النهران فى الشواطئ المتبطحة لبحيرة تشاد التى تنبسط فى ركنها الشمالى الشرقى . والسمات الجبلية الوحيدة فى الإقليم تظهر فى أقصى الجنوب والجنوب الشرقى منه . وكان نهر شارى الذى يجرى أيضاً من الجنوب إلى الشمال ويصب فى بحيرة تشاد يعد فى الأزمنة القديمة الحد الشرقى لبرنو الذى يفصلها عن بجرمى (انظر هذه المادة) . وكان الجغرافيون والمؤرخون فى العصور الوسطى المتقدمة يعرفون هذا الإقليم بهذا الاسم الذى ظهر فى المصور الجغرافى القطلونى لشارل الخامس (سنة ١٣٧٥م)، وذكره العُمَرى المتوفى سنة ١٣٤٨ م ، وابن خلدون المتوفى سنة ١٤٠٦ م ، والمقريزى المتوفى سنة ١٤٤٢ م . وغيرهم . وقد زارها ليو الإفريقى (الحسن بن محمد الوزان الزياتى) المتوفى حوالى سنة ١٥٥٢ م ووصفها فى الكتاب السابع من مصنفه .

(٣) وسائل النقل والتجارة : وكان طريق السيارات الحديث الرئيسى (كانو — ميدوغَرِي — فورت لامى) يسير من الغرب إلى الشرق ماراً بهذا الإقليم مع قيام طرق فرعية من الشمال إلى الجنوب كما كانت الحال بالنسبة لطرق القوافل السابقة (كانو — كُكَوَه — بلمه) . وهناك مطار دائم فى ميدوغَرِي وأراض لرسو الطائرات فى حالة الطوارئ وفى غير ذلك من النواحى . وكان العبيد والعاج أهم صادرات برنو قديماً . وهى تصدر فى الوقت الحالى الفول السودانى ، والجلود، والصمغ ، والقطن وغير ذلك من السلع الصغيرة العديدة . وقوام الواردات السلع المصنعة وخاصة المنسوجات القطنية . وثمة تجارة داخلية كبيرة فى السمك المجفف من منطقة بحيرة تشاد ، وفى الملح وجوز الكولا .

(٤) اقتصادها : لم يصنّع هذا الإقليم . وهو لا يشمل أية مدن . وهو مكتف بذاته فيما يتعلق بضروريات الحياة ، ومعظم أهله يعيشون على الزراعة . وبلغ سكانه فى تعداد سنة ١٩٥٢ : ٧٩٠,٣٦١ من الذكور منهم ٣٧٦,٥٦١ يشتغلون بالزراعة وصيد السمك : وثروة البلاد الرئيسية عديد من قطعان الماشية والأغنام والماعز ومصائد أسماك فى بحيرة تشاد .

(٥) سلالاتها : ا — وصفت سكان الإقليم فى قسم (١) . ب — ويشمل هذا القسم الكنورى ، والفولانى ، والهوسا (انظر هذه المواد) ، وعرب الشوَة وبعض قبائل أخرى . وقد كانت الأرقام

البارزة فى تعداد سنة ١٩٥٢ بالنسبة لإقليم برنو التيجرى هى : الكنورى : ٧٥٢,٦٨٣ نسمة ؛ الفُلانى : ١٦٨,٩٤٤ نسمة ؛ الهوسا : ٨٤,٧٢٩ ؛ عرب الشوة : ٩٨,٩٠٩ نسمة ؛ البُرَّه : ٨٩,٨٢٦ نسمة ، ويبلغ مجموع السكان ١,٠٩٥,٧٠٨ نسمة يشملون قبائل أخرى أقل عدداً ومعظمها قبائل وثنية تعيش على الأغلب فى الجنوب والجنوب الشرقى من الإقليم اللذين عفلان بالتلال . وكان المجموع النسبى للسكان فى تعداد سنة ١٩٣١ : ١,١١٨,٣٦٠ نسمة .

ب — **اللغات** : الكنورى (انظر هذه المادة) هى اللغة الكبرى فى الإقليم ، ومن الجدير بالذكر أيضاً العربية العامية التى يتحدث بها عرب الشوة ، والفَفُلْدَة التى يتحدث بها الفلالى (انظر هذه المادة) . ولا يُتحدث بالهوسا إلا قليلا مع استثناء العناصر التجارية فى المدن . وللقبائل الوثنية ألسنتها الخاصة . ويستعمل الإنكليزية أيضاً أولئك الذين تعلموا فى المدارس الراقية .

(٦) تاريخها : يرتبط التاريخ المتقدم لبرنو بإمبراطورية كانم ، ففى سنة ٦٦٦ م نفذ عقبة ابن نافع إلى الشرق الأوسط من الصحراء حتى بلغ تبستى فى بلاد تبو إلى الشمال من بحيرة تشاد ، وكان سكانها فيما تقول الأسطورة هم السُو ، وهم جنس من العمالقة أصلهم من فزان . وجاء فى الرواية أن أول ملوك كانم فى هذه المنطقة هو رجل يدعى سيف بن ذى يزن من بنى حِمْيَر . وقد تكون هذه الرواية رواية جاهلية موضوعة .

وكانت الطبقة الحاكمة قديماً فى هذه المنطقة تعرف باسم « مَخْمى » وهى كلمة يتمثل أصلها فى كلمتين كنوريتين هما « ى » (أى حاكم) و « مَخِرَة » وهى لقب ملكة برنو الأم ، وكان لهذا المنصب سلطان كبير ولم يزل ؛ وثمة شواهد مأثورة قوية وشواهد مكتوبة جيدة على أن هذه الطبقة الحاكمة كانت من ذوى « البشرة البيضاء » ، ونجد أيضاً فرضاً معقولا يذهب إلى أن هذه الطبقة كانت فى الأصل من فرع الأم ، والراجح أنها كانت من أصول ترتبط بالطوارق (من المفرد طرق) . وكان السَّيْفَوَة قوماً متبدين استوعبوا أقوام التبو الذين يعيشون إلى الشمال منهم أو غزوهم ، وأقاموا إمبراطورية كانم وقصبتها نجيمى . ويقال إن حكامهم قد سمحوا لسلطان بربرى بالإقامة ، وتتحدث الرواية عن فتح تم على يد البربرى المسلمين من اليمن عن طريق فزان وكُوار سنة ٨٠٠ م . وقد تلقت إمبراطورية كانم الإسلام مع القرن الحادى عشر الميلادى إن لم يكن قبل ذلك ، وما وافى القرن الثالث عشر حتى كانت من القوة بحيث امتد نفوذها حتى بلغ مصر فى الشمال الشرقى ودكوة فى الجنوب . ويتحدث ابن خلدون عن « ملك كانم وسيد برنو » ، والظاهر أن الكلمة الأخيرة تصف الجزء الجنوبى من إمبراطورية كانم من بحيرة تشاد حتى دكوة ؛ ولكن حدث حوالى سنة ١٣٨٩ م ، أن طردت أسرة سيف من كانم على يد قبيلة تربطها بها صلة النسب ، وانتهت حركات القبائل بعد ذلك إلى تقدم أمة الكنورى إلى الغرب من بحيرة تشاد ،

وإلى أن يشيدوا حوالى سنة ١٤٧٠م على نهر يو مدينة برنى تأ كزَ كامو قصبة لبرنو والأمة الكنورية . وظلت هذه المدينة قصبة هذه البلاد ثلاثة قرون .

ولو أنه حدث حوالى سنة ١٥٠٧ م أن استعاد الكنورى كجيمى نفسها ، وأصبحت كانم القديمة ولاية فى إمبراطورية برنو الجديدة . وفى القرن السادس عشر اتسعت رقعة إمبراطورية برنو اتساعاً عظيماً فى ظل سلسلة من الحكام المقتدرين (محمد من سنة ١٥٢٩ — ١٥٤٥ ، ودونمه من سنة ١٥٤٦ — ١٥٦٣ ، وعبد الله من سنة ١٥٦٤ — ١٥٧٠ ، وفى عهده ذُكر المقيمون الفلانى لأول مرة) .

ولاشك أن هذا الاتساع قد أعان عليه غزو مراكش سنة ١٥٩٢ م لمنافسة برنو فى الصحراء الغربية وهى إمبراطورية سنغاى . ولعل أعظم هؤلاء الحكام هو مى إدريس أتومه المتوفى سنة ١٦٠٢ الذى استطاع بنجاح أن يصير لى غزوه حتى كانو ، كما أخضع قبائل أيَر (انظر هذه المادة) وتبو . وقد حج مى إدريس إلى مكة ودفن فى بحيرة ألو قرب ميدوغرى . وأعقب هذا التوسع الذى بلغ مداه قرنان من الهدوء . مى على ، من سنة ١٦٤٥ — ١٦٨٤ م ، وقد حج ثلاث مرات) وفى جزء من هذه الحقبة على الأقل ترنحت إمبراطورية برنو فيما يظهر الدفاع ، ذلك أن علياً حوصر فى قصبته حصاراً فاشلا على يد الطوارق والكوارَرَفه . ومن الأسباب التى أدت إلى ذلك سلسلة من المجاعات القاسية ، وقيل إن إحداها دامت سبع سنوات ، والتفكك العام الذى أعقب الغزوة المراكشية لسنغاى . ولم يلبث الجهاد الفلانى أقصى من ذلك غرباً فى مستهل القرن التاسع عشر أن أحدث معقبات أثرت فى برنو فقام التحدى لسلطانها على دول الهوسا القائمة بين برنو وسكوتو ، واجتمع الفلانى فى برنو سنة ١٨٠٨ فى كوجبه وهزموا مى أحمد بن على ونهبوا قصبته فى نأ كَزَرْ كمو (استطاع أحد الزعماء الفلانى المظفرين فى حملة شنها من بعد أن يقيم بلدا وإمارة فى كاتا كوم وتلقب بلقب سَرْكن برنو) وهرب مى أحمد إلى كانم واستعان بزعيم من أئمة زعمائها هو محمد الأمين الكانمى ، وهو رجل أكثر الرحلة فى العالم الإسلامى ، وكان له صيت عريض بالعلم والورع ، فرد محمدٌ الأمين مى أحمدَ إلى الحكم وطرد الفلانى ، على أن الفلانى سرعان ما عادوا بعد وفاة مى أحمد وهزموا خلفته دونمه بن أحمد . ولجأ دونمه بدوره إلى الاستعانة بالكانمى وهنالك يمكن أن يقال إن تاريخ برنو الحديث قد بدأ . واستطاع الكانمى مرة أخرى أن ينتصر على الفلانى والبغرمى وأعاد بيت سيف الحاكم القديم ملوكا بالاسم ووطد أقدامه فى كُكَوَة حيث زاره دنهام Denham سنة ١٨٢٢ بوصفه القوة التى تقف خلف العرش .

على أن محاولاته الأخرى التى بذلها حوالى عام ١٨٢٦ لإعادة سلطان إمبراطورية برنو على ولايات الهوسا كانت أقل نجاحاً من ذلك ، ثم أدركته المنية سنة ١٨٣٥ بعد أن هزم ، وخلفه أكبر أبنائه عمر الذى تصالح مع الفلانى . وفى غيبة عمر عن هذه

المفاوضات دعت أسرة سيف الحاكة أمير وداي ليعاونهم على طرد البيت الكانمي ، ولم يقيض النجاح لهذه الخطة ، وقتل مى إبراهيم الذى كان يتولى الحكم وقتذاك سنة ١٨٤٦ ، وهلك فى المعركة ابنه على آخر ملوك بنى سيف : وهنالك أصبح عمر شرعا وواقعا حاكم برنو يتخذ لقب شيهو (= الشيخ) بدلا من لقب مى : وكان بذلك أول ملك من بيت كانمبو ، وأعاد بناء ككوة التى كان قد خربها رجال وداى وزاره هناك الدكتور بارث Barth سنتى ١٨٥١ و ١٨٥٥ . وكانت الحرب مع وداى تكاد تكون متصلة فأنهكت بذلك قوة برنو ، وأصبحت أرض زندر الغربية القاصية مستقلة فى الواقع .

ودخل رابح (انظر هذه المادة) برنو من وادى سنة ١٨٩٣ فى جيش جيد التسليح والتدريب عدته نحو من ألفى مقاتل ، وكان هذا الجيش أقوى بكثير من أن تقف أمامه أية قوة مزودة بالأسلحة العتيقة . وهزم رابح قائد شيهو هشام الذى كان يتولى الحكم آنئذ عند أمْجَه ثم هزم هشاماً نفسه بالقرب من نـﮔـلّه ؛ وهنالك استولى على ككوه ونهبها ثم قفل راجعاً إلى دكوه حيث عسكر ، وشيد القلعة التى لاتزال تشاهد . وعمل ابن عم لشهو هاشم يدعى محمدا الأمين الملقب بكيَرى على قتل هشام سرا ، وكان هشام هذا هائماً على وجهه، ثم تقدم من ﮔـيْدام لملاقاة رابح. والتقى الجيشان عند ﮔاشـﮔر ، وأحرزت جنود كيرى انتصاراً أول الأمر بل استحوذت على معسكر رابح ، ولكن جيش رابح أجبرها على الفرار آخر الأمر ، وقد أسر كيرى نفسه وقتل ، وهكذا انتهت المقاومة التى وقفت فى سبيل رابح ببرنو . وأقام رابح حكما عسكرياً فى دكوه وأنفذ سرايا فى غارات للسلب والنهب . وكان حكمه مخرباً من جميع النواحى ، وقد أنزل خسائر لاتحصى واضطراباً لا حد له بمنطقة واسعة من الأرض .

وفى سنة ١٩٠٠ هزم رابح وقتل على يد الجنود الفرنسيين بقيادة القومندان لامى Lamy . وفر ابنه فضل الله غرباً أمام الفرنسيين ، وتعقبه الفرنسيون وقتلوه آخر الأمر فى ٣ أغسطس سنة ١٩٠٠ بقيادة الكابتن دانكفيل Dangeville فى اشتباك عند ﮔوجبه بنيجيريا (على مسيرة ١٥٠ ميلا على الجانب الإنكليزى من الحد الإنكليزى الفرنسى الذى تقرر على الورق وإن كان لم يزل قيد التحديد على الطبيعة بمعرفة لجان الحدود ، وبذلك أثارت هذه الحادثة اضطراباً كبيراً فى هذا القطر الذى لم يكن قد استقرت أحواله بعد) . وتقدمت السلطات الفرنسية بعرض للإصلاح إلى ستَنْدَه ابن آخر شيخ ، ولكنه كان عاجزاً عن الوفاء بشروط هذا الإصلاح .

وأخيراً أعادت السلطات الإنكليزية البيت الكانمى إلى الحكم وعلى رأسه شهو بوكر غربای

أخوه ؛ وأقام شهو بوكر أول الأمر فى منكونو ، ثم انتقل إلى ككوه ثم انتقل آخر الأمر سنة ١٩٠٧ إلى يروّه بالقرب من ميدوغرى التى ظلت قصبة برنو حتى الوقت الحالى ؛ وأصبحت دكوه جزءاً من الكمرون الألمانية ، فلما هزم الألمان فى حرب ١٩١٤ – ١٩١٨ وضعت عصبة الأمم الكمرون تحت انتداب بريطانيا العظمى وفرنسا ، وكانت دكوه من نصيب إنكلترة ؛ ويستطيع القارئ أن يجد تفاصيل تاريخ برنو فى القرن الحالى فى تقارير حكومة نيجيريا .

شيوخ (شهو) برنو ودكوة

شهو محمد الأمين الكانمى
(توفى فى ككوة سنة ١٨٣٥)

- شهو عمر
  ١٨٣٥ – ١٨٨٠
  - شهو بوكر
    ١٨٨٠ – ١٨٨٤
    - شهو محمد
      الأمين (كبرى)
      (قتله رابح سنة ١٨٩٣)
      - شهو عمر
        (سنده كبرى)
        شهو دكوه من ١٩١٧ – ١٩٣٧
        وشهو برنو من سنة ١٩٣٧
        - شهو عمر
          (سنده كوره)
          ١٩٠١ و ١٩٢٢ – ١٩٣٧
        - شهو بوكر
          غرباى
          ١٩٠٢ – ١٩٢٢
        - شهو مصطفى
          شهو دكوه
          ١٩٣٧ –
  - شهو إبراهيم
    ١٨٨٤ – ١٨٨٥
  - شهو هاشم
    ١٨٨٥ – ١٨٩٣
- شهو عبد الرحمن
  (انتقض على شهو عمر وقتل فى ككوة سنة ١٨٥٤)

(٧) دينها: الإسلام دين الكنورى، والفلانى، وعرب الشوة ، والهوسا ، ومذهبهم هو المذهب المالكى ؛ أما عن طرقهم فالقادرية (انظر هذه المادة) والتجانية (انظر هذه المادة) هما أكثر الطرق عزوة . وإن كنا نجد أتباعاً لطرق أخرى ماثلة بينهم ، بما فيها الطريقة السنوسية (انظر هذه المادة) والطريقة الشاذلية (انظر هذه المادة) ؛

وبعثة كنيسة الإخوان (أمريكية پروتستانتية) تعمل عملها بين قبيلة البورة فى جنوبى الولاية . ويبدو من المحقق ، فى الظروف الحديثة ، أن القول بحيوية المادة بين القبائل الوثنية آخذ فى الاختفاء تدريجـــاً .

(٨) مسائل شتى : أما مشاهير الرواد الأوربيين الذين زاروا برنو فهم : دنهام ، وأودنى Oudney وكلاپرتون Clapperton (سنة ١٨٢٣) ، وبارث الذى قضى فترات طويلة من الإقامة فى ككوة بين سنتى ١٨٥١ و ١٨٥٥ وجمع الكثير من المعلومات عن تاريخ الإقليم وظروفه ، وفوكل Vogel (سنة ١٨٥٤ — ١٨٥٦) وبيرمان Beurmann (سنة ١٨٦٠) ، وروولفس Rolfs (سنة ١٨٦٦) وناشتگال Nachtigal (سنة ١٨٧٠ — ١٨٧٢) وماتيوتشى Matheucci وماسارى (سنة ١٨٠١ — ١٨٨١) ومونتاى Monteil (سنة ١٨٩٢) .

المصادر :

(١) S.J. Hogben: *The Muhammedan Emirates of Nigeria* ، أوكسفورد سنة ١٩٣٠ . (٢) E. W. Bovill : *Caravans of the Old Sahara* ، أوكسفورد سنة ١٩٣٣ (والمراجع المذكورة فى مصادر هذين الكتابين لم يعد ذكرها هنا) ؛ (٣) H.R. Palmer : *The Bornu Sahara and the Sudan* ، لندن سنة ١٩٣٦ ؛ (٤) C.E.J. Whitting : *Infaku'l Maisuri* ، لندن سنة ١٩٥١ (٥) مطبوعات الحكومة النيجيرية منذ سنة ١٩٠٠ ؛

خورشيد [هويتنگ C.E.J. Whitting]

« البَرَنى » ، ضياء الدين : صاحب « تاريخ فيروز شاهى » وهو كتاب فى تاريخ ملوك دهلى منذ ارتقاء غياث الدين بَلْبَن العرش عام ٦٦٤ هـ (١٢٦٥ م) إلى السنة السادسة من حكم فيروز شاه ، أى عام ٧٥٨ هـ (١٣٥٧ م) ؛

ولد ضياء الدين البرنى حوالى عام ٦٨٤ هـ (١٢٨٥ م) ، وقربه السلطان محمد تَغْلَق الذى حكم من عام ٧٢٥ هـ (١٣٢٤ م) إلى عام ٧٥٢ هـ (١٣٥١ م) لما رآه من واسع اطلاعه وقوة حافظته وعذب حديثه . وكان البرنى صديقاً حميماً للشاعرين أمير خسرو وحسن الدهلوى كما كان مثلهما من مريدى الولى نظام الدين أوليا (انظر هذه المادة) . ولم يبدأ البرنى فى تصنيف تاريخه إلا عندما قارب السبعين . وكان فى نيته أن يخص حكم فيروزشاه بمائة فصل وواحد ، ولكنه لم يتم منها سوى أحد عشر فصلا . وبالرغم من أنه كال المديح لهذا السلطان ، فإنه لم ينل الحظوة عنده فيما يبدو ، إذ توفى وهو فى فقر مدقع ، والراجح أن وفاته كانت بُعَيد عام ٧٥٨ هـ وهو العام الذى انتهى به مصنفه . ودفن بالقرب من ضريح نظام الدين

أوليا » ، وإن كان الناس هناك يعينون له قبراً آخر فى برَن التى تعرف اليوم بـ « بولند شهر » .

المصادر :

(١) تأريخ فيروز شاهى ، طبعة سيد أحمد خان ، المكتبة الهندية ؛ (٢) شمس سراج عفيف : تأريخ فيروز شاهى ، المكتبة الهندية ، ص ٢٩ — ٣٠ . (٣) Nassau Less : *Materials for the History of India* ، مجلة الجمعية الأسيوية الملكية ، السلسلة الثالثة الجديدة عام ١٨٦٨ م ، ص ٤٤١ — ٤٤٢ . (٤) Rieu : فهرس المخطوطات الفارسية فى المتحف البريطانى ، ص ٣٣٣ ، ٩١٩ ؛ (٥) Elliot-Dowson جـ ٣ ، ص ٩٢ — ٢٦٨ ؛

+ البرنى ، ضياء الدين : مؤرخ وكاتب فى الحكم فى ظل سلطنة دلهى ، ولد فى تاريخ لايتجاوز سنة ٦٨٤ هـ (١٢٨٥ م) ؛ والمرجح أنه ولد قبل ذلك لأنه كان قد بلغ سنا تكفى لأن يتذكر شهود حفلات بهيجة ، ويتلو القرآن الكريم بأكمله ، فى عهد جلال الدين خلجى الذى تولى الحكم من سنة ٦٨٩ — ٦٩٥ هـ (١٢٩٠—١٢٩٦م). وكان البرنى وثيق الصلة بالدوائر الحاكمة فى دلهى ؛ وكان أبوه مؤيد الملك نائباً لأرْكَلِى خان ، الابن الثانى للسلطان جلال الدين خلجى ، وأصبح « نائب وخواجة برَن » فى أول عام من حكم علاء الدين خلجى . وكان ملك علاء الملك ، عم برنى ، كُوتوَال » دلهى فى عهد علاء الدين خلجى ومستشاراً ملكياً بارزا . أما جده لأمه ، سپَاه سالار حسام الدين ، وكيل دار ، لملك بَرْبَك ، فقد أقامه السلطان بَلْبَن فى منصب « شاهنگى لكَاْهنَوتى » .

وأصبح البرنى نفسه نديماً للسلطان محمد بن تُغْلُق (٧٢٥ هـ = ١٣٢٥ م — ٧٥٢ هـ = ١٣٥١ م) ، سبعة عشر عاماً وثلاثة شهور . ويتحدث عنه كتاب سير الأولياء ، فيصفه بأنه محدث بارع ، وأنه كان صديقاً للشاعرين أمير خسرو وأمير حسن .

وفى مستهل حكم فيروز شاه تُغْلُق (٧٥٢ — ٧٩٠ هـ = ١٣٥١ — ١٣٨٨ م) أقصى البرنى عن البلاط الملكى ، وسجن فترة فى قلعة پِهَتْنِيز ، كما يتبين مما وردعلى لسانه فى كتاب « نعت محمدى » : وثمة فرض محتمل هو أنه كان ضالعاً فى المحاولة التى قام بها خواجة جَهَان أحمد أياز لإجلاس ابن قاصر لمحمد بن تُغْلُق على العرش ، بينما كان فيروز شاه تُغْلُق هو والجيش يجاهدون للإفلات من براثن الحملة التى أنفذها محمد بن تغلق إلى تِهتَّا فى السند .

وقضى البرنى بقية حياته منفياً يعيش فى فقر شديد ، وكان يكتب والأمل يراوده فى أن يستعيد سابق حظوته ويكفر عن الخطيئة التى عزا إليها كل ما أصابه من محن . ومات فى تاريخ لا يتجاوز كثيراً سنة ٧٥٨ هـ (١٣٥٧ م) ، ودفن قرب ضريح نظام الدين أولياء فى غياثپور .

وله أربعة مصنفات ، من المعروف أنها لاتزال موجودة فى الوقت الحاضر ، وهى تأريخ فيروز شاهى ، وفتاوى يه جهَاندارى ، ونعت محمدى ،

وترجمته لنوادر عن البرامكة وعنوانه « أخبار برمكيان » .

والبرنى شخصية هامة (على الرغم من أنه لايعد شخصية فذة فى مجموع التراث الخاص بالعالم الإسلامى فى القرون الوسطى) فى الفكر الإسلامى الهندى عن الحكم . ويرى البرنى أن الخلفاء الراشدين الأربعة هم وحدهم الحكام الصالحون حقاً فى تاريخ الجماعة ، ومن هنا فإنه يهدف فى كتابه فتاوى جهاندارى ، وهو مصنف من طراز « مرآة الأمراء » *Fuerstenspiegel* ، وفى كتابه تأريخ فيروز شاهى ، إلى تثقيف السلاطين ، حكام اليوم بالفعل ، وإرشادهم إلى واجباتهم تجاه العالم الإسلامى فى عصر تفشى فيه الفساد .

ونرى السلطان محموداً صاحب غزنة ينصح السلاطين فى كتاب فتاوى جهاندارى ، وبأسلوب الأقوال المأثورة ، بأن يؤيدوا أحكام الشريعة ، وأن يكبحوا جماح البدع (أى الفلسفة بخاصة) ، وأن يذلوا الكفار وألا يستخدموا من الأتباع إلا الأتقياء ، وأن يظلوا فى قرارة أنفسهم عبيداً أتقياء لله ، على الرغم من أنهم يحكمون الناس بعظمة ملوك الفرس قبل الإسلام ، وفى نفس ظروفهم ، أى بالمخالفة لسنة النبى صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين ، كما تصورهم البرنى ، متأثراً بالصوفية .

أما كتاب تأريخ فيروز شاهى ، التهذيبى المشهور ، فإنه يبين ما يحدث فى التاريخ عندما يستخف الناس بالأحكام الواردة فى كتاب فتاوى جهاندارى ، وهو يستوعب الفترة من مستهل حكم بلبن (٦٦٤ — ٦٨٦ هـ = ١٢٦٦ — ١٢٨٧ م) إلى العام السادس من حكم فيروز شاه تغلق . ويتناول الكتاب قصة كل سلطان للدلهى مثلا يضرب ليفسر ما أصابه السلطان من نجاح أو فشل بتمسكه بنظريات البرنى السياسية الدينية أو انحرافه عنها . فمثلا يصور السلطان علاء الدين خلجى بأنه سلطان ناجح لأنه أخضع الهندوس وقضى على الفتنة ، وحرم الشراب المسكر ، وخفض نفقات المعيشة ، بيد أنه وصف بأنه زنديق ، لأن دوافعه ، كما يقول البرنى ، كانت دنيوية ، ولأنه أهمل شعائره الدينية ، وتمنى أن يكون نبياً ، وعين السفلة فى المناصب وتنكب صحبة المتدينين — وبخاصة الشيخ نظام الدين أولياء الذى كانت ميامنه وبركاته السبب الحقيقى لما ظفر به الحكم من مجد ؛ ومن ثم يموت علاء الدين خلجى ، ويشتبه فى أنه مات مسموماً ، وفى خلال أربع سنوات يتم القضاء على أسرته .

وكتاب تأريخ فيروز شاهى للبرنى ليس من الحوليات كما أنه ليس تاريخاً إخبارياً ، وإنما هو نموذج هام للتاريخ التهذيبى فى العالم الإسلامى (انظر أيضاً مادة « تأريخ ») .

المصادر :

(١) Storey : المجلد الأول ، جـ ١ ، ص ٥٠٥ — ٥٠٩ ، المجلد الأول ، جـ ٢ ، ص ١٣١١ (٢) فتاوى جهاندارى : طبعة [illegible] رقم ٢٥٦٣ ، (٣) نعت محمدى ، مكتبة رضا برامهور ، مخطوطة ، تأريخ رقم ١٢٧ ، (٤)

أخبار برمكيان أو تأريخ آل برمك » نسخة مطبوعة على الحجر ، بومباى سنة ١٨٨٩ ; (٥) S.H. Barani : *Ziauddin Barani* ، فى *Islamic Culture* يناير سنة ١٩٣٨ ، ص ٧٦ — ٩٧ (٦) الشيخ عبد الرشيد : ضياء الدين برنى » فى صحيفة الجامعة الإسلامية *Muslim University Journal* : عليگره سنة ١٩٤٢ ، ص ٢٤٨ — ٢٧٨ . (٧) أ. ب. م. حبيب الله : *Re-evaluation of the Literary Sources of Pre-Mughal History* فى *Islamic Culture* ، أبريل سنة ١٩٤١ ، ص ٢٠٩ — ٢١٣ . (٨) س. نورالحسن : صحيفة النعت المحمدى لضياء الدين برنى ، فى *Medieval Indian Quarterly* » السنة الأولى » حـ ٣ » ٤ ، سنة ١٩٥٤ ، ص ١٠٠ — ١٠٥ ; (٩) S. Moin ul-Haq : *Some Aspects of Diya al-din Barni's Political Thought* فى *Journal of Pakistan Historical Society* حـ ٤ / ١ ، يناير سنة ١٩٥٦ ، ص ٣ — ٢٦ ; (١٠) P. Hardy : *The Oratio Recta of Barani's Ta'rikh-i Firuz Shahi-Fact or Fiction* فى *Bulletin of the School of Oriental Studies* » = ٢٠ سنة ١٩٥٧ ، ص ٣١٥—٢١

آدم [پ. هاردى P. Hardy]

+ «برنيق» : [انظر « بنغازى »]

« بُرْنيو » : أكبر جزائر أرخبيل الملايو » وثانى جزر العالم مساحة بعد غينيا الجديدة . إذ تبلغ مساحتها ٢٣٢,٠٠٠ ميل مربع . وهى تحت خط الاستواء ، وتغطيها الغابات الاستوائية الكثيفة حتى أعلى القنن من جبالها . ويكيف اتجاه جبالها من الغرب إلى الشرق البنية الضخمة لهذه الجزيرة ، ويتجلى هذا فى جبال كَپْواس العليا التى تقطع برنيو من رأس داتو فى الغرب إلى رأس منككاليهات Mangkalihat فى الشرق : وارتفاع هذه الجبال متفاوت كل التفاوت » فهو يتراوح بين ٥٠٠ و ٦٠٠٠ قدم ، وتتكون من الصخور الإردوازية المتبلورة : وإلى الجنوب هضاب من الحجر الرملى الذى يعود إلى العصر الجيولوجى الثلاثى تتخللها أغوار متوازية ، مثل هضبة مهدى التى إلى شمال نهر ملَوى ، وجبال شڤانر إلى جنوبه . وتسير هذه السلاسل غرباً إلى بحر الصين ، وشرقاً متخللة إقليما لم يدرس بعد دراسة مفصلة من الوجهة الجيولوجية . وفى جنوب المنطقة التى بها جبال كپواس هضاب عالية تقطعها سلسلة جبال ميلر (يربو ارتفاعها على ٣٠٠٠ قدم) التى تتكون من مواد بركانية تآكلت بفعل المياه . ومعظم الجبال التى إلى الشمال من كپواس العليا تسير من الغرب إلى الشرق أيضاً . وتقطع هذه التكوينات الرسوبية كتل من الجرانيت والأندسيت أصبحت الآن جبالا قائمة برأسها فى السهل بفعل التحات الشديد » وأكبر هذه الجبال ارتفاعاً جبل « كِنَبَلو » ويبلغ ارتفاعه ١٢,٩٠٠ قدم ؛ وجبل « كُنُنْگ بالو » ويبلغ ارتفاعه ٦٨٠٠ قدم .

والأمطار الغزيرة — التى تصل إلى ما يقرب من ١٦٠ بوصة سنوياً على الشاطئ الغربى ، و ٩٠

بوصة عند بنجرمسين – تمد عدة أنهار كبيرة تنبع من أواسط الجزيرة ؛ وتجرى نهرا سَمْباس وكبواس ، اللذان يبلغ اتساعهما فى بعض البقاع ١٥٠٠ ياردة ، نحو الشاطئ الغربى ؛ أما أنهار كَهَجَان وكبواس مُرُنْك وبَرِتو ، الذى يبلغ طوله ما يقرب من ٦٠٠ ميل ، فتجرى نحو الجنوب ؛ ويسير نهر مَهَكَم ،وهو فى طول بَرِتو ، ونهر كَجَن إلى الشرق ؛ ويتجه نهر بَرَم ونهر « تَبَنْتْ رِجَنْك » ونهر « تَبَنْك لوير »صوب الشمال ؛ وقد ملأت هذه الأنهار وغيرها من النهيرات العديدة أوديتها التى ترجع إلى عصر جيولوجى أقدم منها بكميات كبيرة من الرمال والغرين ؛ والسهول الرسوبية التى نشأت من هذه الأنهار لايزال معظمها على الشواطئ الشمالية والغربية والجنوبية ، وهى تزحف بالتدريج على البحر وتكون من البحار الضحلة أرضاً يابسة ؛ والشواطئ عند مصبات هذه الأنهار منخفضة كثيرة المستنقعات يغطيها نبات التين الهندى .

وعلى امتداد الساحل الشرقى وحده سلسلة منخفضة من التلال من الواضح أنها نشأت وفصلت الجزء الداخلى من « كُلاى » الحديثة عن حوض البحر ، وقد امتلأ هذا الحوض تدريجاً بالركام الذى تجلبه الأنهار الجارية إليه ، وهو الآن بقعة مستوية إلى حد كبير تخلفت فيها عدة بحيرات .

واشتهرت برنيو منذ القدم بمعادنها النفيسة وبالماس الذى فى أرضها ؛ ولم تكن الكميات المستخرجة من السهول الرسوبية ومن عروق الصخور تعوض ما ينفقه الأوربيون فى سبيل استخراجها ؛ على أن الوطنيين يستطيعون – شأنهم شأن الصينيين على الشاطئ الغربى – أن يحصلوا من التعدين على ما يكفيهم ، وأكبر الفضل فى قيام إمارة سَرَوَاك هو وجود الإثمد والزئبق فى طبقات أرضها ؛ والفحم الذى يرجع إلى العصر الثلاثى الجيولوجى والذى يوجد فى أماكن كثيرة ، هو وحده الذى يجد فيه الأوربيون من الربح كفاء عملهم فى استخراجه ؛ وهو يوجد فى «پولولَوْتْ» على الشاطئ الجنوبى الشرقى للجزيرة ، بينما يقنع الوطنيون بالتعدين من سطح الأرض فى أماكن متعددة منها المجرى الأوسط لنهر كبواس ونهر بَرِتو ؛ وزادت أهمية استخراج البترول فى الأيام الأخيرة ، ومراكزه الرئيسية عند مصب نهر مهكم فى خليج پن ؛

ووجود الغابات الاستوائية فى برنيو جعلها تصدر الصمغ الهندى والمطاط والراتينج والكافور وغيره ، ولم تتقدم الفلاحة وتربية الماشية بين الأهالى إلا قليلا ؛ وهم لذلك لا يصدرون إلا كميات ضئيلة من خشب المندار والفلفل وكسب جوز الهند ، ويزرع الأوربيون فى الشمال الشرقى والجنوب أصنافاً جيدة من التبغ يصدرونها إلى أوروبا وأمريكا .

وأحواض الأنهار فى الغرب والجنوب ، والشواطئ الشرقية البالغ مساحتها ٢٥٠,٠٠٠ ميل مربع تابعة لهولندة ؛ أما مقاسم الأنهار الشمالية ومساحتها ٨٨,٠٠٠ ميل مربع فتابعة لإنكلترة تبعية غير مباشرة بمقتضى اتفاق ٢٠ يولية عام ١٨٩١ م ؛

وهذه تشمل مملكة ستراواك فى الغرب وأراضى شركة برنيو الشمالية البريطانية فى الشرق بما فى ذلك الممتلكات البريطانية الصغيرة وهى جزيرة لَبُوَان ومدينة برونَاىْ وشقة صغيرة من الأرض فى الوسط .

وتنقسم الممتلكات الهولاندية إلى ولايتين ، أولاهما القسم الغربى لبرنيو وعاصمته پُنْتِيانَاك، ويمتد هذا القسم من الوسط إلى الشاطئ الغربى ؛ وثانيهما القسم الجنوبى والشرقى لبرنيو وعاصمته بنجرمسين .

وتشمل الولاية الأولى الممالك المالوية : سَمْبَاس ، ومَمْپَوَه ، وپُنْتِيانَاك ، وكُبو ، وسِمْپانْغ ، ومَتَن ، كما توجد على طول نهر كپواس : لَنْدَك ، وتَجَن مَلْيَاو ، وسَنْگَاو ، وسِكَدَاو ، وسِنْتَنغ ، وسِلات ، وسُهَيد ، وسِلِمْبَاو ، وپَيَازه ، وجُنْغكُنْغ ، وبُنُوت؛ ويلقب حكامها بألقاب منها: السلطان، وپَنِمْبَهَان، وپَنْغران ... إلخ . وهم خاضعون تمام الخضوع للحكومة الهولندية . كما أنهم على صغر ممتلكاتهم وضعف نفوذهم يحكمون حكماً استبدادياً . ولكل منهم نائب عنه ومجلس يتكون من أسرته ، ومن أكبر الزعماء المُقْطَعين . أما غالب السكان الذين يتألفون من المسلمين المالويين والوثنيين من الا «دَيَك» الخاضعين فلا يعيشون إلا لتهيئة حياة البطالة والخمول للأمراء والزعماء بأداء الضرائب التى تجبى منهم فى انتظام وتعسف .

وقد عرفت برنيو بعد ما عرفت جزائر الأرخبيل الأخرى ؛ وإن كان بطلميوس (الفصل الثالث ، ص ٢ — ٣) قد وصف لنا بلاد الأورنغ أوتان وكتبلو (؟) والمعابد القشنوية الهندوكية العديدة التى تتصل بتاريخ الهند القديم فى كُتَاى مما يدل على وجود صلة وثيقة بين برنيو والهند القديمة ، أما الآثار التى فى حوض كپواس وبرتو فيظهر أنها قريبة الشبه بآثار الحضارة الهندوكية التى انتقلت إلى جاوة .

وأقدم المعلومات التاريخية التى يوثق بها عن برنيو وردت فى الحوليات الصينية الخاصة بالشاطئ الغربى للجزيرة . والواقع أنه قد ورد فى أخبار أسرة سُنْغ (الكتاب ٤٨٩) أن الصين أخذت من ذلك الإقليم عام ٩٧٧ م جزية من الكافور ، وفى أخبار أسرة مِنغ حادثة مشابهة وقعت عامى ١٣٧٠ و ١٤٠٥ م ؛ وأنشأت الصين فى ذلك العهد علاقات تجارية مع مدينة بُروناى الهامة على الشاطئ الشمالى للجزيرة ومع مدينة بنجرمسين وجزائر كَرِمَتَه ، كما ورد فى هذه الحوليات الصينية وصف لسكان برنيو الأصليين يتفق من عدة وجوه وما هم عليه فى الوقت الحاضر ، وجاء فيها أيضاً ذكر ممالك هامة على الشواطئ أنشأها إما ملاويون من جوهور مثل مملكة بروناى وسمباس على الشاطئ الغربى ، وإما جاويون مثل سُكَدَنه على الشاطئ الغربى وكوتاوارنغين وبنجرمسين على الشاطئ الجنوبى ، وكتاى على الشاطئ الشرقى . وينحدر حكام كثير من الإمارات الصغيرة فى حوض

كبواس من أمراء سكدنه الهنود الذين استقروا هناك منذ القرن الرابع عشر الميلادى .

وانتقلت الدعوة إلى الإسلام فى منتصف القرن السادس عشر الميلادى من پَلِمْبانغ Palembang إلى سكدنة ومَتَن . وفى عام ١٥٩٠ اعتلى كَبرى كُسَمَه عرش سكدنه ، وهو أول أمير مسلم تولاه،وبدأ الأوروبيون فىعهدهيزورونالشاطىء الغربى ، فزاره ڤان ڤايرڤجك van Waerwijck عام ١٦٠٢ م . بينما زار البرتغال والأسبان برونای على الشاطئ الشمالى قبل ذلك بما يقرب من قرن ، إذ وفد عليها كوميز Gomez عام ١٥١٨ ومنزيس Menezes عام ١٥٢٨ م ، وپيگافتا Pigafetta على ظهر سفينة من سفن المستكشف ماجلان Magellan عام ١٥٢١ م .

واستطاعت الإمارات التى على شاطئ برنيو أن تحتفظ باستقلالها أمداً أطول من مثيلاتها فى كثير من جزر الأرخبيل الأخرى . وظل البرتغال والأسبان والهولنديون والإنكليز وغيرهم من الأوروبيين يزورون عواصم هذه الإمارات خلال ثلاثة قرون بقصد التجارة ، وأنشئوا بها بيوتاً تجارية ، ولكنهم لم يؤسسوا محلات ثابتة لهم ، وكانت بنجرمسين (انظر هذه المادة) أول إمارة أجبرت على التسليم فى جزء من استقلالها للهولنديين فى منتصف القرن الثامن عشر الميلادى ، وغزت مملكة البَنْتَم (انظر هذه المادة] فى غربى جاوة سكدنه التى على الشاطئ الغربى لبرنيو عام ١٦٩٩، وظلت متغلبة عليها مدة قصيرة من الزمن ، ولكنها استعادت استقلالها بمساعدة بوگنيز جزيرة سليبز ، ومنذ هذا الوقت أخذ كثير من هؤلاء البوگنيز فى الاستقرار على الشاطئ الغربى ، وأصبح منهم حكام على إمارات عدة مثل مَمْپَوَه . وطاح الهولنديون وسلطان پنتياناك بمملكة سكدنة لأول مرة عام ١٧٨٦ . ولم يبق لهؤلاء الأمراء سوى مَتَن . وتدين سلطنة پنتياناك بإنشائها إلى أحد المغامرين ، أبوه من العرب وأمه من الدَيَك ، وهو الشريف عبد الرحمن ابن الشريف حسين ابن أحمد القدْرى، وضريحه فى مميوه مزار الناس إلى يومنا هذا . وقد حاول هذا الشريف فى شبابه أن يطفئ ظمأه إلى المغامرة ويشبع شهوته إلى الثروة ، فرحل قصد التجارة والقرصنة فجلب عليه هذا المسلك لعنة أبيه التقى ، فترك مميوه . واستقر هو وأتباعه من اللصوص عند ملتقى نهر لنْدَكْبكبواسعام١٧٧٢م . وتمكن بفضل ما وهبه الله من القوة والعزم من أن يفرض سيادته على هذا المكان الفريد وأن ينشئ به مركزاً تجارياً هاماً هو ما يعرف اليوم بـ « پنتياناك ». وما وافت سنة ١٧٧٩م حتى استطاع أن يحمل شركة الهند الشرقية الهولندية على الاعتراف به سلطاناً على پنتياناك كما عقد معها اتفاقاً . ولايزال أحفاده يحكمونها إلى الآن ولو أنهم يخضعون خضوعاً تاماً لرقابة الحكومة الهولندية .

وأنشأ ملايو جوهور سلطنة سمباس وحاضرتها سمباس ، وهم أصحاب الحول فيها منذ البداية ، وعقدت هذه السلطنة معاهدة تجارية مع شركة الهند الشرقية الهولندية فى زمن متقدم يرجع إلى

عام ١٦٠٩ م . وفى النصف الأول من القرن السابع عشر طرد رَدِن سليمان الأسرة الحاكمة فيها ، ورَدِن هذا هو ابن راجا تِنْگه أمير بروناى من أميرة سكدنية كانت تعيش فى سمباس . وحكم رَدِن سليمان ، وسمى نفسه محمداً صفى الدين ، وهو أول سلاطين الأسرة الحاكمة الحالية . وكانت سمباس فى القرن الثامن عشر مشهورة بأنها موئل القراصنة ، مما اضطر الإنكليز إلى إرسال حملة لتخريبها عام ١٨١١ م . وانضم إلى هؤلاء القراصنة قوم من أجناس مختلفة أثروا تأثيراً كبيراً فى الإمارات التى على الشواطئ الشمالية والغربية لبرنيو ، كما ساعد على امتزاج الأجناس صناعة استخراج الذهب التى كان يقوم بها الصينيون ، ومازالت هذه الصناعة آخذة فى التطور منذ منتصف القرن الثامن عشر .

وإذا رجعنا إلى الحوليات الصينية نجد أن الصلات بين الصينيين وبين برنيو بدأت فى منتصف القرن السابع الميلادى ، وكانوا يتجرون منذ ذلك الوقت مع بروناى بنوع خاص ، وأخذوا يستقرون فى المدن التجارية . ولم تنقطع رحلاتهم إلا فيما بعد أى عندما بدأ أمراء الملايو يشتطون فى ابتزاز أموالهم . ولانزال نرى كثيرين من أحفادهم الذين نشئوا من زواج الصينيين بنساء من الملايو فى ثغور برنيو ، كما أن بعض قبائل الدَيَك فى الشاطئ الشمالى قد اختلطت دماؤها بالدم الصينى .

وكان أمراء الملايو فى ممپوه وسمباس هم أول من جلب الصينيين الذين يستخرجون الذهب من بروناى إلى إماراتهم قرابة عام ١٧٦٠ م . وقد نجح هؤلاء فى مهمتهم إلى درجة حملت المئات من بنى وطنهم على النزوح إلى برنيو . فأنشأوا وفقاً لعاداتهم عدة شركات (كُنْگسى) تعدينية سرية ، غير أن عددها تغير بمرور الزمن . وسرعان ما استقل هؤلاء الصينيون عن جيرانهم من الملايو والدَيَك .

وفى عام ١٧٧٤ م نشبت بين هذه الشركات الصينية منازعات حادة ظلت تتجدد آناً بعد آن ، وكان من جرائها أن زاد انتشار الصينيين شيئاً فشيئاً فى أنحاء البلاد ولم يستولوا على إقليمى لَرَه ولُمَرْ فحسب ، بل استولوا على مُنْتَرادو ومَنْدُر أيضاً . ولم ينجح الهولانديون فى إخضاعهم تماماً إلا فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، واضمحلت لذلك صناعة استخراج الذهب ، وأخذ الصينيون الذين يقطنون برنيو يعيشون اليوم على الزراعة .

وتزودنا سلطنة سرواك ، وعاصمتها كُتْشِنْغ فى نشوئها وتطورها فرصة قيمة نعرف بها مدى النتائج التى يمكن أن تستخلص من تطبيق المبادئ الأوربية المعتدلة الثابتة على الحياة السياسية والاقتصادية لسكان وطنيين . والحق إنه لما رسا جيمس بروك James Brooke ، منشئ هذه الإمارة وأحد ضباط البحرية الإنكليزية ، بسفينته التى جهزها بنفسه على الشاطئ الغربى لسلطنة بروناى عام ١٨٣٨ م ، وجد البلاد فى حال يرثى لها ، إذ كان

الأهالى نهباً مقسماً بين السلب والقرصنة والرق وسفك الدماء وشهوات زعماء الملايو . وقد استطاع بروك بمساعدة الأمير موده حسن المحب للخير ، وإن كان ضعيفاً ، أن يعيد الأمن والنظام فى البلاد إلى حد ما ؛ وفى عام ١٨٤٢ م اعترف سلطان بروناك ببروك راجا لإمارة سرواك . وتمكن بروك بفضل معاونة الوثنيين المضطهدين من الدَّيَك ، وبما تدره عليه مناجم الإثمد ، من أن يوطد النظام فى تلك الإمارة وأن يخضع الثوار الصينيين والملايو الذين كانوا بمثابة العناصر المعادية بين السكان . وطلب بروك عام ١٨٤٥ عون الإنكليز ليخضع الزعماء العرب الذين كانوا يعيشون على القرصنة مع الملايو والدَّيَك . وكان السير جيمس بروك موفقاً فى حكم إمارته إلى حد كبير ، فقد تمتعت أيامه بالرخاء الاقتصادى كما زاد فى رقعة أملاكه بفضل معونة بعض الأوروبيين وبعض الأمراء الوطنيين ، ولم يميز فى المعاملة بين أولئك وهؤلاء ؛ وفى عام ١٨٦٣ م خلف لابن أخيه تشارلس بروك Charles Brooke إمارة مستتبة تمتد الآن إلى نهر ليمْبانغ . وقد وضعت هذه الإمارة تحت الحماية الإنكليزية .

وتشغل سلطنة كوتاى على الشاطئ الشرقى ، وعاصمتها تنْگرون وثغرها سَمَرِنْدَه ، الحوض الأدنى لنهر مهكم . وتشير الآثار الهندوسية القديمة الكثيرة التى توجد على طول هذا النهر إلى أنه كان هناك استعمار طويل المدى خلال العهد الهندوسى فى تاريخ الأرخبيل ظل إلى ما يقرب من عام ١٥٠٠ م . وكانت كوتاى إحدى الإمارات التابعة لمملكة « مُجُوپاهِت » الجاوية ثم خضعت بعد ذلك لسلطنة بنجرمسين . وعقد السلاطين خلال القرن التاسع عشر عدة معاهدات مع الحكومة الهولندية فقدت بمقتضاها هذه الإمارة استقلالها .

وفى عام ١٩٠٥ كان تعداد السكان فى الولايات الهولندية كما يأتى : ١٣٨٢ نسمة من الأوروبيين ، ٥٥,٥٢٢ من الصينيين ، ٣١٤١ من العرب ، ٧٤٦ من سكان جزر الأرخبيل الأخرى ، ١,١٧٢,٨٦٤ من الوطنيين ، والرقم الأخير تقريبى . ويتألف سكان جزيرة برنيو من الدَّيَك الوثنيين فى الداخل ، ومن الملايو على الشاطئ . والسكان قليلو العدد بالنسبة إلى مساحة الجزيرة ، إذ يقطن الميل المربع ما بين ١ إلى ٣ من الأنفس ، أى أن مجموع السكان يقرب من ٢,٠٠٠,٠٠٠ نسمة .

ويعيش الدَّيَك على الفلاحة ، وهم يزرعون الأرز والنباتات الدرنية والذرة وغيرها ، ويصيدون الحيوان والأسماك أيضاً ، وتتجول فى الغابات حول منابع الأنهار العظيمة عدة قبائل منفصلة من الصيادين يعرفون باسم أوت ، وپونان وبِكِتَن وغيرها . وينقسم الدَّيَك الذين يعيشون على الزراعة إلى عدة قبائل صغيرة تقوم على النظام الأبوى ويتكلم أفرادها لهجات مختلفة ، وهذه القبائل يعادى بعضها بعضاً . وهم لذلك لا يستطيعون مقاومة الملايو المتحدين إلا مقاومة ضعيفة . وقبائل الدَّيَك من سلالة ملايو الأرخبيل الأقدمين ، ولكنهم يختلفون فيما بينهم ، وقد يكون ذلك لاختلاطهم بأجناس أخرى . والدَّيَك المستقلون

الذين يعيشون فى وسط الجزيرة متقدمون كثيراً ، وأعمالهم فى ميادين الفن والصناعة تثير الإعجاب حقاً. وهم لم يأخذوا بحظ كبير من أسباب التطور ، ولذلك فإنهم لا يستطيعون حماية أنفسهم من مخاطر البيئة التى تحيط بهم ، ولا يفيدون إلا قليلا من المواد التى بين أيديهم مما يصلح للغذاء والملبس والمسكن ، ولا يتزايدون ولا يتقدمون كثيراً فى مضمار الحضارة. والدَّيَك مشهورون كثيراً منذ القدم بحبهم لسفك الدماء والاحتفاظ بجماجم ضحاياهم ، تسوقهم إلى ذلك فكراتهم الروحانية لا طباعهم ، لأنهم معروفون برقة المزاج. ويتفاوت انحطاطهم تبعاً لدرجة اختلاطهم بالملايو ، وذلك نتيجة لشدة زعماء المسلمين فى معاملة القبائل الوثنية، فكلما ضعفت قدرة هذه القبائل على المقاومة اشتدت قسوتهم عليها .

وتختلف قبائل الملايو على الشاطئ فى البنية والفكر والعادات وفقاً لاختلاطهم بغيرهم ، فقد ظلوا على نقاوتهم على الشاطئ الغربى ، فى حين اختلطوا اختلاطاً كبيراً بالـ « بوكَنيز » فى دال نهر كپواس . وأغنى التجار بعد الصينيين فى پنتياناك وسمباس وغيرهما من مراكز التجارة هم البنْجار والبوكَنيز . وانتشر الملايو فى داخل البلاد على طول نهر كپواس وصاهروا الدَّيَك . وإذا أسلم الدَّيك اعتبر من الملايو ، ولذلك فإننا نجد بينهم كثيرين لايجرى فى عروقهم الدم المالوى إلا قليلا أو لايجرى فى عروقهم أصلا .

والملايو بوجه عام ليسوا متحضرين كثيراً ، فهم أقل عناية بالصناعة من الديك ، ولايهتمون بالزراعة إلا عندما تلجئهم الضرورة الملحة ، وهم يفضلون الاشتغال بالتجارة وصيد الأسماك والحيوان ، ويحبون حياة الحرية والتجوال ، وكانوا قبل ذلك يعيشون على القرصنة .

والنظام السياسى للملايو يجعلهم أكثر اتحاداً من سواهم ، كما أنهم يتمتعون بوحدة دينية ولغوية، ويستوردون أسلحة أرقى مما يستورده غيرهم ، ولهذا فقد استطاعوا أن يصبحوا العنصر المتغلب فى الجزيرة ، ولما كانوا يقطنون عند مصاب الأنهار ، وهى الطرق التجارية الوحيدة ، فقد سيطروا على صادرات البلاد ووارداتها جميعاً ، ونشاهد فى هذه الأماكن وفى بقية أجزاء الجزيرة أن حاجة الأوروبيين إلى حاصلات الغابات من الصمغ الهندى والمطاط والراتينج والكافور قد حدت بالملايو إلى التوغل فى طلبها . وهذا هو السبب فى وجودهم زرافات ووحدانا بين أبعد قبائل الدَّيَك ، وهكذا ينشرون عن غير قصد الحضارة الملاوية والدين الإسلامى ، كما ساعد على انتشارهما توسع الاستعمار الأوروبى وما نتج عنه من توطيد أسباب الأمن مما شجع التجار على السير مع الأنهار وزيارة الدَّيَك فى جماعات كثيرة .

ويوجد البَنْجار عند الشاطئ الجنوبى ، وهم من الملايو الذين اختلطوا كثيراً بالجاويين . كما أنهم قوم متحضرون كانوا يشتغلون بالتجارة فى إمارة بنجرمسين القديمة (انظر مادة « بنجرمسين »)

وتوجد جماعات كبيرة من البوكَنيز على الشاطئ الشرقى ، وهم يتميزون بقدرتهم على

الأعمال التجارية وغيرها ؛ زد على ذلك أن وجودهم هناك له أهمية كبيرة من الناحيتين السياسية والاقتصادية ؛ والســواد الأعظم من الملايو الذين يعيشون فى الإمارات القديمة والحالية مثل بِسِر وكُتاى وكُنْتِنْك تابور ، وسِمْبالِيونغ ، وبُلُنْكَن ليسوا أعظم فى مضمار الحضارة من إخوانهم الذين يعيشون على الشاطئ الغربى .

المصادر :

إن ذكر جميع المصادر التى تبحث فى جزيرة برنيو وسكانها وإماراتها يحتاج إلى صفحات عدة ؛ ويوجد بيان بهذه المصادر حتى عام ١٨٥٤ فى كتاب G.J. Veth: *Borneo's Wester- Afdeelig* ، وهو مطبوع فى Zaltbommel عام ١٨٥٤ . والمصادر حتى عام ١٨٨٩ فى كتاب Th.Posewitz: *Borneo.: Entdeckungsreisen und Untersuchungen* ، برلين سنة ١٨٨٩ ؛ وكذلك فى كتاب H. Ling Roth: *The Natives of Sarawak and British North Borneo* ، لندن سنة ١٨٩٦ . وهناك بيان شامل بالمصادر مذكور فى مادة Dajak فى *Encyclopaedie van Nederlandsch-India* .

وأهم المصادر التى صدرت بعد ذلك التاريخ هى :

(١) S. B. Saint John: *Rajah Brooke* ، لندن سنة ١٨٩٩ (٢) A.W. Nieuwenhuis: *In Centraal-Borneo* ، ليدن سنة ١٩٠٠ (٣) A. C. Haddon: *Headhunters* لندن سنة ١٩٠١ (٤) W.H. Furness: *The Homelife of Borneo Headhunters* ، فيلادلفيا سنة ١٩٠٢ (٥) A. Combanaire: *Au Pays des Coupeurs* [redacted] *Têtes* ، باريس سنة ١٩٠٢ (٦) O. Beccari: *Nelle Foreste di Borneo* ، مطبوع فى فيرنزة سنة ١٩٠٢ ، وقد ترجم هذا الكتاب إلى الإنكليزية E. N. Giglioli باسم *Wanderings in the great Forests of Borneo* ، لندن سنة ١٩٠٤ (٧) G.A.F. Molengraaff: *Geological Explorations in Central Borneo* ، ليدن سنة ١٩٠٢ (٨) A. W. Nieuwenhuis: *Quer durch Borneo* ، ليدن عام ١٩٠٤ وسنة ١٩٠٧ (٩) D. Cator: *Among the Headhunters* ، لندن سنة ١٩٠٥ (١٠) E.H. Gomer: *The Sea- Dyaks of Borneo* ، لندن سنة ١٩٠٧ (١١) H.H. Juynboll: *Catalogus des theographischen Reichsmuseums, Borneo* ، ليدن سنة ١٩٠٩ وسنة ١٩١٠ (١٢) J. Barth: *Boesangsch-Nederlandsch Woordenboek* ، بتافيا سنة ١٩١٠ (١٣) M.W.H. Beech: *The TidongDialects of Borneo* ، أكسفورد سنة ١٩٠٨ (١٤) S. B. Gould and C. A. Bampflyde: *History of Sarawak under its two White Rajahs* ، لندن سنة ١٩٠٩ (١٥) T.E. Tehupeiorij: *Onder* [redacted] *Dajaks in Centraal Borneo*

[A.W. Nieuwenhuis نيووِنْهويس]

+ برليو : هى الصيغة المحرفة لبروناى (وهى مدينة فى شمالى برنيو البريطانية على خط عرض ٥° شمالا تقريباً وخط طول ١١٥° شرقاً) التى كانت تطلق على أعظم جزائر سنده الكبرى

فى إندونيسيا » والراجح أن هذه الصيغة قد أطلقت عليها فى تاريخ متقدم يرجع إلى القرن الرابع عشر الميلادى . ومهما يكن من أمر فإنها أطلقت بمعرفة البرتغاليين منذ القرن السادس عشر . ويعرف الجزء الأكبر من هذه الجزيرة اليوم باسم : «كاليمَنْتَن » وهو ولاية فى جمهورية إندونيسيا . والجزيرة قليلة الأهمية فى نظر الدراسات الإسلامية، ذلك أن سكان قلب برنيو — كلهم أو يكادون — وثنيون . وقد توغل الإسلام والمسيحية فى المناطق الساحلية ثم انتشرا ببطء فى الداخل . على أن الظروف السياسية تناصر الدعوة الإسلامية منذ سنة ١٩٤٢ أكثر من مناصرتها لانتشار الملل المسيحية . ولا تختلف صفة الإسلام هناك عم نجده فى غيرها من أرجاء إندونيسيا . والمركز المهم الوحيد للنشاط الإسلامى هو « پنتياناك » (انظر هذه المادة) على الساحل الغربى .

[C.C. Berg برغ] خورشيد

+« البرهان» : الحجة القاطعة ، البيان الجلى ؛ والمصطلح قرآنى ، ويعنى الكشف الباهر ، والنور المبين ، يأتى من عند الله (سورة النساء ، الآية ١٧٤) ؛ والدليل الجلى (سورة يوسف ، الآية ٢٤) الذى قد يأخذ صورة ذلك الدليل الأسمى من الحجة ، الذى هو المعجزة (سورة القصص ، الآية ٣٢) .

والبرهان يتصل أيضاً بالدليل القاطع الذى يطلب إلى الكفار أن يزودا به عبثاً ما يزكون به معتقداتهم الباطلة (سورة البقرة ، الآية ١١١ ؛ سورة الأنبياء ، الآية ٢٤ ؛ سورة المؤمنون ، الآية ١١٧ ؛ سورة النمل ، الآية ٦٤ ؛ سورة القصص ، الآية ٧٥) .

والمضمون الأول للبرهان ليس الجدل الحق المطرد ، بل هو بالأحرى الدليل الظاهر بينة لا تدحض . ومن ثم دل أيضاً على طريقة المحاجة ، وعلى الحجة نفسها التى تمضى إلى ذلك اليقين . وعلى هذا كان من الممكن أن يحمل على معان متعددة لوفق القواعد المسلم بها فى التدليل القطعى .

١ — وفى النشأة الأولى للفقه كان البرهان يشير إلى صفة التثبت التى كانت ، لاسيما عند الشافعى وابن حنبل وداود ، أصلا فى الاستدلال من الأعظم إلى الأدنى ، أو من الأدنى إلى الأعظم ، والغرض بيان التفرقة الجوهرية فيما بينهما ، أو المطابقة بين متقارنين ، ولكى يستدل حقاً أنها هكذا (إنّ لا أنّ) وهذا هو البرهان الإنّى ، وهو مؤسس على مقارعة الحجة التى يمكن أن تكون إما نصاً منزلا او مشاهدة عينية لحقيقة جلية .

وصيغة التدليل (Massignon : *Passion d'al-Hallag* ، ص ٥٧٨) إبطال المحال وكشف المقارنة الناقصة (مطالبة) والإشارة إلى مناقضة باطنية (المعارضة) وتقرير المعنى الواضح العام لمصطلح (تحقيق) . واليقين الحاصل حينئذ يعد أكثر تعويلا عليه من ذاك الحاصل من استقصاء الرأى لداع أو سبب (علة) .

٢ — واستقصاء العلة كان على العكس إحدى خصائص المذهب الحنفى ، حيث أخذ الدليل الفقهى صيغة القياس . وفى قياس الفلاسفة فإن استخدام العلة أصبح يرجع إلى مصطلح شائع المعنى ، والقياس (انظر هذه المادة) المدرك بالمماثلة بأصول التشريع تحول إلى صيغة قياس أرسطوية وأصبح البرهان يشير إلى دليل قياسى ؛ وقد ترجمت علوم أرسطو التحليلية البغدادية بكتاب البرهان . فى فهرست ابن النديم وعند الفارابى وإخوان الصفا وغيرهما ؛ وقد أتم ابن سينا رسالته فى المنطق (النجاة ، ص ٦٠ وما بعدها) بمناقشة البرهان ، والصفة ، برهانى ، تنطبق فى الكثير على تدليل قطعى للقياس يكون من قضايا يقينية .

والصيغة النمطية للبرهان (البرهان المطلق) هى قياس يكون فيه وضوح المقدمات ، بلاواسطة أو بواسطة ؛ وهذا التدليل قد يكون على أسلوبين : (١) برهان اللِمّ ، حيث تكون علاقة سببية مزيدة عقلا تفهم بالعبارة المتوسطة بين المقدمة والنتيجة ؛ (ب) برهان الإنّ ، حيث يحدث وضوح النتيجة مع الانتقال من حقيقة دون شاهد سببى من العلاقات بين المقدمات والعبارة المتوسطة ؛

وعن الأسلوب الثانى يقول ابن سينا : « يُسلِّم السبب للحكم ولا يسلم للكائن » (الإشارات ، ص ٨٤) ؛ وترى الآنسة گواشون Goichon قراءة أخرى وهى إنْ بدلا من إنّ ، وعلى هذا فيمكن أن تعنى تعليلا شرطياً . ومهما يكن من شئ فإنه لحق أن البرهان الإنّى للفقهاء الأولين هو موضع النقاش هنا و « مقام الظفر الحقيقة » (ماسينيون) .

ولكنه أقحم فى عبارات أرسطو المنطقية البرهان القاطع للتدليل فى عبارتين أصبحتا قياساً استنباطياً يبدو كأنه مناقض لقياس استدلالى سببى يوضحه ؛ وقد يوازن المرء هذا التحليل (مع أنه لا مطابقة تامة) بما يفرق به أرسطو بين معرفة السبب ومعرفة الحقيقة (كتاب البرهان ، ١ ٧٨ ، ص ٢٢ — ٢٧) ؛ وابن سينا والجرجانى من بعده (التعريفات) أكدا أن فى كل برهان تكون العبارة الوسطى للقياس هى العلة التى تربط المقدمة الكبرى بالصغرى ، وإذا كانت هذه العبارة الوسطى لها قيمة إيضاحية وغرض معلل فى طبيعة الأشياء الحقيقية فهذا ما نفعله فى برهان اللِمّ ، وإذا كان من الناحية الأخرى فهو ليس غير توثيق للرأى الذى يقرر حقيقة دون قطع بعلة الوجود للمقدمة الكبرى بله ما تحتويه من الصغرى ؛ ونحن حينئذ نكون قد أخذنا بالبرهان الإنّى ؛ وإذا ما التزمنا قراءة إنْ ، فإن الفقرة يمكن أن تؤول بأنه إذا كان ثمة حقيقة فإنها تتفق وذاك .

وعلم الكلام المتأخر الذى تكفل بتفنيد الفلسفة ، التى تأثر هو بها فى جوهره ، لم يهتد للبينة الدالة بأن الحقيقة ، من حيث هى حجة موثقة لاتدحض ، قد أدخلت على البرهان الإنّى الموروث عن السلف ، فقد أخذ بها على أنها مجرد الإقرار بوجود السبب ، على حين أن برهان اللِمّ بقى وحده بياناً للسبب . وفى شرح الإيجى كتب الجرجانى يقول

إن الاستدلال الذى ينتقل من المعلول إلى العلة يسمى برهاناً إنِّيًّا ، وهذا الذى ينتقل من العلة إلى المعلول يكون استدلالا سبياً (تعليل) وبرهاناً لِمِّيًّا .

وسواء أرجع إلى سبب خارج العقل أم لا ، وسواء أنتقل بـ «لِمَ» أو «إن» ، فإن البرهان على هذا يصبح دليلا قياسيا ، إلى المدى الذى حدده منطق أرسطو كما اصطلح عليه علماء الكلام المتأخرون وكذلك الفلاسفة ، فجعله بهذا المعنى أساس الاستدلال الإنسانى .

على أننا إذا تعمقنا كتاب البرهان ، وبالرجوع أصلا إلى نصوص القرآن، فإن البرهان لايزال يحتفظ بمعناه الأصلى وهو « الحجة الدامغة » ، مهما كان الطريق الذى يقود إلى اليقين سواء كان بالدليل غير مطرد الاستدلال بعبارة وسطى ، أو بالدليل المستند إلى حجة موثقة .

المصادر :

(١) الفهرست ، طبعة القاهرة ، ص ٣٤٥ وما بعدها ؛ (٢) الفارابى : إحصاء العلوم ، مدريد سنة ١٩٣٢ ، فصل ٢ ؛ (٣) رسائل إخوان الصفاء، طبعة القاهرة سنة ١٣٤٧ هـ (١٩٢٨ م) جـ ١ ، ص ٢٠٢ — ٢٠٣ ؛ (٤) نصوص مختلفة من ابن سينا ، وخاصة : كتاب النجاة ، القاهرة سنة ١٣٥٧ هـ (١٩٣٨ م) ، ص ٦٠ — ٨٥ ، وكذلك ص ٥٦ — ٥٧ ؛ الإشارات ، طبعة Forget ، ليدن سنة ١٨٩٢ ، ص ٨٤ — ٨٥ ؛ (٥) نصوص من علم الكلام فى الجرجانى : التعريفات ، طبعة فلوگل ، ليپسك سنة ١٨٤٥ ، ص ٤٥ ؛ شرح المواقف ، سنة ١٣٢٥ هـ ، جـ ٢ ، ص٣—٤ (٦) Massignon : *Passion d'al-Hallaj*، باريس سنة ١٩٢٢ ، ص ٥٧٨ — ٥٧٩ (٧) I. Madkour : *L'Organon d'Aristote dans le monde arabe* ، طبعة Vrin ، باريس سنة ١٩٣٤، وخاصة ص٢٢٣ (٨) A.M. Goichon : *Lexique de la langue philosophique d'Ibn Sina* ، باريس سنة ١٩٣٨ ، ص ٢١ — ٢٣ (٩) الكاتبة نفسها فى ترجمتها للإشارات (*Livres des Directives et Remarques*) ، بيروت — باريس ، سنة ١٩٥١ ، ص ٢٣١ — ٢٣٤ (١٠) Gardet-Anawati ، *Introduction à la théologie musulmane* ، باريس سنة ١٩٤٨ ،وخاصة ص ٣٧١ (١١) J. Jomier : *Note sur un petit manuel logique aristotelico-thomiste arabe* فى IFAO ، القاهرة سنة ١٩٤٩ ، ص ٥٩ ؛

الأبيارى [گارديه L. Gardet]

+ « برهان » : « تخلّص » محمد حسين بن خلف التبريزى مصنف المعجم الفارسى « برهان قاطع » ، وقد أتمه سنة ١٠٦٢ هـ (١٦٥١—١٦٥٢م) بحيدر آباد وأهداه إلى السلطان عبد الله قطب شاه حاكم گُلْكُنْدَة ، وقد نشرت طبعة جديدة منقحة ومعلق عليها ومحلاة بالصور لهذا المعجم بتحقيق محمد معين ؛ وأهديت ترجمة تركية للمعجم المذكور إلى السلطان سليم الثالث ، أهداها له المؤرخ عاصم .

خورشيد [هيئة التحرير]

« برهان ، آل » : أسرة توارثت بخارى فى القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) لقب رئيس الحنفية . ولم يستعمل اللقب بمعنى منصب كما هى الحال اليوم ؛ ولم يكن لقب صَدْر جهان — والجمع صدور — مقصورا على رئيس الأسرة فحسب بل كان يطلق على جميع أفرادها أيضا . وقد قارن بعض الشعراء بين الأئمة من آل برهان والأمراء من آل سامان وجعلوا مرتبة أهل العمائم أعلى من مرتبة أرباب التيجان . وكان لقب صدر جهان يطلق كذلك فى سمرقند وبخارى فى عصر متأخر أيام المغول على أصحاب المناصب الرفيعة من رجال الدين والحكم ؛ وتؤكد جل الروايات التى تتحدث عن آل برهان تمتعهم بثروة طائلة كان لها أكبر الفضل فى نفوذهم إلى جانب ما أثر عنهم من التبريز فى الدين والعلم . وكانت مكانة هؤلاء الصدور بين أهل وطنهم كمكانة الأمراء أو تكاد . ولسنا نعرف على وجه التحقيق كيف كانت صلاتهم بخانية الترك فى سمرقند . وكان بعض الخانية يبسطون نفوذهم على بخارى أيضا . ويعتبرون هؤلاء الصدور من أتباعهم . وقد ورد ذكر بخارى فى أزمنة أخرى على أنها مدينة مستقلة تمام الاستقلال من الوجهة السياسية عن سمرقند ويحكمها صدر جهان ؛ ومن الواضح أن هذه العلاقة لم تكن تحدد بطريقة سلمية فى جميع الأوقات ؛ ومما تجدر الإشارة إليه أن جميع الصدور الذين ورد ذكرهم فى البيان الذى صنفه معين الفقراء عن نسب هذه الأسرة كانوا يلقبون بالشهداء ماعدا أولهم (كتاب ملاّ زاده فى Barthold : *Turkestan v epochu mongol' skago nashestviya* جـ١ ، ص ١١٩) .

وهناك ملاحظات عن الصدور جمعها حديثاً ميرزا محمد بن عبد الوهاب القزوينى (الجزء الأول من كتاب لباب الألباب لمحمد عوفى ، طبعة Browne ، لندن وليدن عام ١٩٠٦م ، ص ٢٣٢ وما بعدها) وهذه الوثائق لا صلة لها بالبيان الذى سبقت الإشارة إليه والذى جعل الصدور من نسل الخليفة عمر . وأول من أعلى شأن هذه الأسرة هو نعمان الثانى (أبو حنيفة) برهان الملة والدين عبد العزيز بن عمر مازه . وتشير القصص التى نقلها ميرزا محمد عن كتاب « جامع الحكايات » لعوفى إلى هذا الصدر لا إلى عبد العزيز المتأخر كما زعم ميرزا محمد ؛ ويمكننا أن نعرف على وجه التقريب تاريخ حكم هذا الصدر من رواية أبى الحسن البيهقى الذى يقول فى كتابه « تأريخ بيهق » (فهرس المخطوطات الشرقية بالمتحف البريطانى ، رقم ٣٥٨٧ ، ص ١٦١ وما بعدها) إن أباه الذى وُلد فى غرة شوال عام ٤٤٧ هـ (٢٤ ديسمبر ١٠٥٥ م) وتوفى فى يوم الخميس ٢٧ جمادى الآخرة عام ٥١٧ هـ (٢٣ أغسطس ١١٢٣ م) كان من زملاء هذا الصدر فى المدرسة .

وقُتل الصدر الثانى حسام الدين عمر ابن الصدر السابق عام ٥٣٦ هـ (١١٤١ م) إبان استيلاء القرا خطاى على بخارى (*Recueil de textes relatifs à l'histoire des Seldjoucides* ، طبعة هوتسما ، جـ ٢ ،

ص ٢٧٨ ؛ نظامى عروضى چهار مقاله ، طبعة ميرزا محمد ، ص ٢٢) . وبالرغم من هذا فإن نظامى عروضى يقول إن الوالى الذى استعمله القرا خطاى الكفار تلقى الأمر بأن يستمع إلى مشورة الإمام أحمد بن عبد العزيز فى جميع الأمور . ومن الواضح أن هذا الإمام هو أخو الصدر المقتول .

ويذهب ابن الأثير فى تاريخه (طبعة تورنبرغ ، جـ١١ ، ص ٢٠٥) إلى أن الرئيس محمد ابن الصدر المقتول قد أثنى على اعتدال الفاتحين عام ٥٥٩ هـ (١١٦٣ — ١١٦٤ م) ، وهذا التاريخ لا يمكن أن يكون صحيحا (انظر Barthold : *Turkestan etc.* جـ٢ ص ٣٥٨) . ويلقب محمد هذا بالصدر فى بيان نسب الصدور الذى أسلفنا ذكره ، وجاء فيه أن ابنه برهان الدين محمداً وحفيده الأكبر سيف الدين أحمد لقبا أيضا بهذا اللقب ، ومع ذلك فإن المصادر الحديثة تشير إلى أنه لابد وأن يكون هناك اختلاف فى صلة النسب بين الصدور المحدثين والصدور القدماء .

ولكن مما يؤسف له أن هذه المعلومات ناقصة إلى حد بعيد ، كما أن هناك مسائل كثيرة تتصل بهذا الموضوع لا يزال يحيط بها الغموض . ويذكر عوفى فى كتابه « لباب الألباب » (جـ١ ، ص ٢١١) أن عبد العزيز الثانى هو ابن عمر ، ومن الواضح أن هذا هو عين الشخص الذى أهدى إليه محمد بن زفر عام ٥٧٤ هـ (١١٧٨ — ١١٧٩ م) رسالته الموسومة « تأريخ نرشخى » (طبعة Schefer ص ٢— ٣) بيد أن هذا الصدر يطلق عليه فى هذه الرسالة اسم عبد العزيز بن عبد العزيز ، ولعبد العزيز الثانى ابن يدعى الصدر سيف الدين محمد بن عبد العزيز كان على قيد الحياة فى الوقت الذى ألف فيه عوفى كتابه اللباب ، عام ٦١٧ هـ = ١٢٢٠ — ١٢٢١ م . (اللباب ، جـ١ ص ١٨٠) ، ويجب أن نعتبر الأشخاص الآتية أسماؤهم من أبناء أحمد بن عبد العزيز الذى ذكره نظامى عروضى :

(١) مسعود بن أحمد الذى كان عوفى على صلة شخصية بكل من ابنه برهان الإسلام تاج الدين عمر وحفيده نظام الدين محمد (اللباب ، جـ١ ، ص ١٦٩ وما بعدها) .

(٢) برهان الدين محمود بن أحمد ، وقد صنف عدة كتب فى فقه الحنفية (Brockelmann جـ١ ، ص ٣٧٥) .

(٣) برهان الدين محمد بن أحمد ، وقد ذكره ابن الأثير (طبعة تورنبرغ ، جـ٢ ، ص ١٧٠ وما بعدها) والنسوى (طبعة هوداس Houdas ، ص ٢٣ وما بعدها ، ص ٣٩) ويذكر ابن الأثير أن برهان الدين حج إلى مكة عام ٦٠٣ هـ (١٢٠٦ — ١٢٠٧ م) وأنه استقبل أول الأمر بحفاوة عظيمة ، ولكن أخلاقه أسخطت عليه جميع الناس حتى أن بعض الظرفاء قال إنه ينبغى أن يلقب بصدر جهنم ! والراجح أن حجته هذه هى التى قصدها عوفى بقصته عن أحد صدور بخارى وما قيل عن حياة البذخ التى عاشها فى مكة مما لم يسمع بمثله .

ولا بد أن تكون الفتنة التى أشار إليها الجوينى قد نشبت فى بخارى حوالى ذلك الوقت (Barthold :

Turkestan ، جـ ٢ ، ص ٣٨١) . إذ استطاع رجل من الصناع هو ابن تاجر دروع (مجان فروش) أن يقبض على زمام السلطة وأن يلقب نفسه بملك سنجر . وقد اضطهد أصحاب الحرمات فى كل مكان . وكان المتوقع أن يكون الصدور الموسرون من آل برهان من بين الذين أبعدوا عن الديار ، ولكن عوفى ينبئنا أن هؤلاء الصدور اضطروا إلى الالتجاء إلى القراخطاى الوثنيين (اللباب جـ٢ ، ص ٣٨٥) ونفضوا إليهم ظلاماتهم من ملك سنجر ، وتلقوا منهم المراسيم اللازمة ، ولكنهم لم يفيدوا منها شيئا لأن قوة الخطاى كانت قد اضمحلت منذ أمد بعيد : فأغرقتهم الديون وأصبحت قراهم ولا ماء فيها ونهبت ممتلكاتهم ... وتهكم الشاعر شمس بهؤلاء الصدور لالتجائهم إلى الخطاى ؛ وقد أورد عوفى أبياته . والراجح أن يكون الصدر برهان الدين — كغيره من أمراء المشارقة — قد قصد إلى مكة بعد خلعه مباشرة .

وزاد عوفى على ذلك أن الأمور اتجهت ناحية أخرى ، فاحتل بخارى محمد بن تكش شاه خوارزم فى خريف عام ٦٠٤هـ الموافق ١٢٠٧م (Barthold: Turkestan ، جـ ٢ ، ص ٣٨٦) . أما ملك سنجر فنحن نستدل من بيت شعر ذكره عوفى (اللباب جـ ٢ ، ص ٣٩٣) أنه أحضر أول الأمر إلى آموى على نهر جيحون ، وهى چارجوى الحديثة ، ثم ذهب إلى خوارزم وعاش فيها أمداً ليس بالقصير . وقد أورد النسوى أيضا هذا البيت. ولكن ما أورده النسوى عن الصدر برهان يدلنا دلالة واضحة على أنه استطاع العودة إلى بخارى . وظل مدة طويلة من الزمن رئيس الحنفية وخطيبهم ، وعاد إلى ما كان عليه من بذخ وترف . ويقال إنه استبقى فى بخارى ستة آلاف فقيه ، ثم أقاله شاه خوارزم وأحضره إلى مدينة خوارزم . ولما اضطرت تركان خاتون أم الشاه إلى الفرار عام ٦١٧ (= ١٢٢٠ م) أمام غارة المغول ألقت فى نهر جيجون بالصدر وأخيه افتخار جهان وولديه ملك الإسلام وعزيز الإسلام وبقية العمال والأمراء والمسجونين فى خوارزم .

ولم تقض هذه المحن على نفوذ هذه الأسرة ، بل ظل هذا النفوذ قائما حتى بعد غارة المغول . ويذهب ميرزا محمد إلى أن الصدر جهان الذى ذكر على اعتبار أنه معاصر للسلطان ألجايتو (٧٠٣ — ٧١٦ = ١٣٠٣ — ١٣١٦ م) ينتسب إلى الأسرة نفسها . غير أننا لا نقطع بهذا . ويقول الجوينى فى لهجة الواثق إن الصدر جهان كان وقتذاك من آل برهان (انظر سلاله خاندان برهانى ، النص الفارسى فى Schefer : Chrestomathie Persane جـ ٢ ، ص ١٢٩ ، وفى Defrémery ، المجلة الأسيوية ، المجموعة الرابعة ، جـ٢ ، ص ٣٧٧) .

[بارتولد W. Barthold]

« بُرْهانْپُور » : مدينة بالولايات الوسطى فى الهند على الضفة اليمنى لنهر « تاپتى » وعلى خط عرض ٢١° ١٨´ درجة شمالا وخط طول ٧٦° ١٤´ درجة شرقا . وقد أسسها نصير خان أول أمير مستقل من

أسرة فاروق (انظر هذه المادة) عام ١٤٠٠ م ؛ وزاد أكبر وخلفاؤه فى رقعتها بعد ما دخلت الإمارة الفاروقية فى أملاك إمبراطورية المغل عام ١٦٠٠ م فأضحت من أهم مدن إقليم الدكن .

ولا يزال يحيط ببرهانپور أسوار بها أبواب ضخمة تشرف على الطرق الرئيسية . ونستدل من بقايا المساجد والأبنية الأخرى على أن مساحة هذه المدينة فى أوج ازدهارها تحت حكم المغل كانت تقرب من خمسة أميال مربعة . والمسجد الجامع الذى شيده على خان عام ١٥٨٨ م والمحلى بنقوش حجرية جميلة لا يزال محتفظاً بروعته إلى الآن ؛ وأعيد بناء الحنايا المرفوعة التى شيدها جهانگير فى القرن السابع عشر الميلادى وأجرى فيها من الإصلاحات ما جعلها صالحة للاستعمال اليوم .

المصادر :

(١) *Central Provinces District Gazetteers, Nimar District* ، الله آباد عام ١٩٠٥ م

+ برهانپور : مدينة فى مَهْديا پرادبش (الهند) على خط عرض ٢١° ١٨َ درجة شمالا ، وخط طول ٧٦° ١٤َ شرقا ، وهى تساير الضفة الشمالية لنهر تاپتى ، ولها درجات للاستحمام (غات) على جانب النهر وأسوار مصمتة من الحجر تخترقها بوابات وكُوى ضخمة على جميع الجوانب الأخرى . وقد أنشأ هذه الأسوار نظام الملك آصف جاه الأول (انظر هذه المادة) سنة ١١٤١ هـ (١٧٢٨ م) حين كان واليا على برهانپور ؛ وقد بلغ سكان المدينة فى تعداد سنة ١٩٥١ : ٧٠,٠٦٦ نسمة ؛ وتشغل المدينة المسورة مساحة تبلغ ٢,٥ ميل مربع ، على أن ثمة عدة آثار خارج المدينة تدل على أن ضواحيها التى تشمل الآن عادل پورا ، كانت بلا شك مترامية الأطراف .

وقد أسس هذه المدينة ، التى كان لها شأن عسكرى عظيم أيام القرون الوسطى ، نصير خان الفاروقى مؤسس أسرة الفاروقى فى خانديش (أعاد تسميتها أكبر فجعلها دانديش نسبة إلى ابنه ميرزا دانيال، ولكن هذا الاسم لم يرق فى ذوق الجمهور) سنة ٨٠١ هـ (١٣٩٨ – ١٣٩٩ م) أو حوالى هذه السنة ونسبها إلى الولى الذكى برهان الدين غريب (انظر هذه المادة) . وشيدت مدينة أخرى فى الوقت نفسه على الجانب الآخر من نهر تاپتى وسميت زين‌آباد نسبة إلى الشيخ زين الدين داود الشيرازى من « خلفاء » برهان الدين غريب ؛

وفى سنة ٩٦٩ هـ (١٥٦١ م) نهبت برهانپور على يد پير محمد شروانى خادم بيرم خان (انظر هذه المادة) وقد ذبّح هذا الرجل سكانها وساق معه غنائم هائلة . وظلت برهانپور قصبة أسرة الفاروقى حتى أطاح أكبر بهذه الأسرة سنة ١٠١٠ هـ (١٦٠١ م) وهنالك ضم هذه المملكة إلى الإمبراطورية المغلية ولو أن المدينة نفسها احتلتها القوات الإمبراطورية بقيادة أبى الفضل علاّمى (انظر هذه المادة) سنة ١٠٠٨ هـ (١٥٩٩ م) وقد أقيم عبد الرحيم « خان خانان » (انظر هذه المادة) واليا عليها وظل فى برهانپور مدة طويلة جدا ؛ وهنا فى برهانپور كانت وفاة ابنه الأكبر : ميرزا

إيرج الملقب بشاه نوازخان ، وقد أقام أبوه ضريحاً على قبره ، وزار السفير الإنكليزى سير توماس رو Sir Thomas Roe پرويز الابن الأكبر لجهانگير فى هذه المدينة نفسها سنة ١٠٢٣ هـ (١٦١٤ م) ؛ وفى سنة ١٠٢٥ هـ (١٦١٦ م) اتخذها شاه جهان، أمير خُرَّم وقتذاك، المعسكر العام له فى حملاته على الدكن . وتوفى فيها الأمير پرويز سنة ١٠٣٦ هـ (١٦٢٦ م) وقد اتهم أورنگزيب أباه شاه جهان بدس السم له بعد عزل شاه جهان ؛ ثم اتخذت برهانپور مرة أخرى سنة ١٠٤٠ — ١٠٤٢ هـ (١٦٣٠ — ١٦٣٢ م) قاعدة للحملات الحربية التى وجهها شاه جهان على ولايات الدكن حين أتى على المدينة قحط عظيم نشأت عنه وفيات فادحة . وفى سنة ١٠٤١ هـ (١٦٣١ م) توفيت فى برهانپور الإمبراطورة ممتاز محل زوجة شاه جهان ودفنت إلى حين فى زين‌آباد قبل أن تنقل رفاتها إلى آگرا لتثوى عظامها إلى الأبد . وفى سنة ١٠٤٦ هـ (١٦٣٦ م) أقيم أورنگزيب — وكان وقتذاك شابا فى الثامنة عشرة — واليا على الدكن بما فيها خانديش ، واتخذ برهانپور مقرا له . وكان فى عهد إمارته للدكن أن تعرف أورنگزيب بالشيخ نظامى برهانپورى الذى ظل فى خدمته قرابة أربعين عاما ثم عين بعد ذلك رئيساً لمشيخة العلماء والفقهاء المناط بها إصدار « الفتاوى العالمگيرية » (انظر هذه المادة) . وقد عسكر أورنگزيب مرة أخرى فى برهانپور سنة ١٠٩٢ هـ (١٦٨١ م) قبل أن يحدق ببيجاپور (انظر هذه المادة) ، وما إن غادر الإمبراطور المدينة سنة ١٠٩٦ هـ (١٦٨٥ م) حتى نهبها المراطها ؛ وأعقب ذلك سلسلة من المعارك دارت فى جوارها ، ولم يعد السلام إلى هذه المدينة المسلوبة إلا سنة ١١٣٢ هـ (١٧١٩) م حين أجيب طلب المراطها رسميا بأداء الچاوش (ربع الدخل) لهم . وفى سنة ١١٣٣ هـ (١٧٢٠ م) أقيم نظام الملك آصف جاه الأول واليا عليها فاتخذها هو أيضا مقرا له . وظلت برهانپور بعد عودته من دلهى سنة ١١٣٧ هـ (١٧٢٤ م) حتى وفاته سنة ١١٦١ هـ (١٧٤٨ م) ثغرا (أى مركزا على الحدود) للإمارة الجديدة التى أنشأها آصف جاه ، واتخذها فى بعض الأحيان قاعدة له . وبعد وفاة آصف جاه احتلها المراطها ولم يجلهم عنها إلا لورد ولزلى Lord Willesley سنة ١٢١٨ هـ (١٨٠٣م) ثم تبادلتها الأيدى عدة مرات حتى غدت آخر الأمر من ممتلكات البريطانيين سنة ١٢٧٧ هـ (١٨٦٠ م) . وكانت سنة ١٢٦٦ هـ (١٨٤٩ م) مشهد شغب فظيع نشب بين المسلمين والهندوس هلك فيه أشخاص كثيرون . وفى سنة ١٢٦٥ هـ (١٨٤٩ م) أتى حريق كبير على سندهيپورا ، وهى حى من أحياء المدينة كان معظم سكانه من نسل المهاجرين الأولين الذين أتوا من عدة مدن من السند . وفى السنة التالية تقوض عدد كبير من البيوت فى داود پورا ، على حين دمر الحريق الثالث الذى نشب عام ١٣١٤ هـ (١٨٩٧ م) جزءا من لُهارمَنْدى ، بما فى ذلك مسجد چوك . وفى سنة ١٣٢١ هـ (١٩٠٣ م) أزهق وباء الغدد الليمفاوية المتضخمة أرواحا كثيرة جداً .

وتضم برهانپور عددا كبيرا من مقابر الأولياء والصوفية وأضرحتهم ، وكثير منهم من السند وكجرات ، وقد ذكرهم كتاب « گلزار أبرار » الذى زار مؤلفه محمد غوثى برهانپور مرات ومرات؛ ومن عمائرها الأخرى الجديرة بالذكر ، قبرا مبارك شاه الفاروقى ، وراجى على خان الملقب بعادل شاه الفاروقى ، والمسجد الجامع الذى بناه عادل شاه هذا سنة ٩٩٧ هـ (١٥٨٨ م) والقلعة القديمة التى تساير صفة نهر تاپتى ، وهى الآن مهملة الشأن غاية الإهمال . وثمة خان للقوافل بناه خان خانان عبد الرحيم ، وهو موجود لم يزل .

وشبكة المياه الجهانگيرية التى أتمها فى القرن الحادى عشر الهجرى (السابع عشر الميلادى) خان خانان يمكن مقارنتها بأية منشآت مائية حديثة ، وكانت برهانپور فى العهد المغلى تضم عدة مصانع إمبراطورية تنتج طرزا نفيسة غالية الثمن من النسيج للبيت الإمبراطورى . وكان معظم العمال فى هذه «الكارخانات» ساجين مهرة من تهتتا بالسند نزحوا إلى برهانپور أيام ولاية خان خانان عليها .

المصادر :

(١) مولوى خليل الرحمن : تاريخ برهانپور ، دلهى ، سنة ١٣١٧ هـ = ١٨٩٩ م . (٢) آئين أكبرى (الترجمة الإنكليزية بقلم Blochmann and Jarrett) ، جـ ٣ ، ص ٢٢٣ والفهرس ؛ (٣) محمد قاسم ، فرشته ، : گلشن إبراهيمى ، بومباى سنة ١٨٣١ . (٤) سجان راى بهندارى : خلاصة التواريخ (طبعة ظفر حسن) ، دلهى سنة ١٣٣٧ هـ = ١٩١٨ ، الفهرس ؛ (٥) عبد الحميد لاهورى : بادشاه نامه (المكتبة الهندية) الفهرس (٦) محمد ساقى مستعد خان : مآثر عالمگيرى (المكتبة الهندية) الفهرس . (٧) صمصام شاهنواز خان : مآثر الأمراء ، (المكتبة الهندية) ، الفهرس (٨) Peter Mundy : *Travels in Asia* (طبعة Richard Temple) فى مجموعة Hakluyt Society ، جـ ٢ ، سنة ١٩١٤ ؛ جـ ٣ ، سنة ١٩١٩ (٩) Tavernier : *Travels* (طبعة V. Ball) ، لندن سنة ١٨٨٩ . (١٠) بيم سين : نسخة دل گشا (مخطوط) : (١١) يوسف حسين خان : نظام الملك آصف جاه ، منگالور سنة ١٩٣٦ ، الفهرس . (١٢) سيد محمد مطيع الله راشد برهانپورى : برهانپور كى سندهى أوليا (بالأردية) ، كاراتشى سنة ١٩٥٧ ، (١٣) *Imperial Gazetteer of India* ، أوكسفورد سنة ١٩٠٨ ، جـ ٩ ، ص ١٠٤ — ١٠٦ . (١٤) سعد أحمد مارَهْرَوى ، فى مخزن (مجلة شهرية) ، لاهور ، عدد أغسطس سنة ١٩٠٨ . (١٥) إسماعيل فرحى : كشف الحقائق (مخطوط) . (١٦) عبد الحى الحسنى : روائح الأنفاس (مخطوط بالفارسية هو « ملفوظات » برهان الدين راز إلهى البرهانپورى) . (١٧) عبد الباقى نهاوندى : مآثر رحيمى (المكتبة الهندية) ، الفهرس . (١٨) محمد صالح كنبوه : عمل صالح (المكتبة الهندية) ، الفهرس . (١٩) معارف (مجلة أردية شهرية) ، أعظمگره ، ٧٦/٥ ، ٧٢/٢ . (٢٠) *Cambridge History of India* ، جـ ٤ ، ص ٥٧٥ — ٥٧٦ .

(٢١) عوافى عثمان : منتخب اللباب (المكتبة المندية [illegible] ، الفهرس : (٢٢) *The Embassy of Sir Thomas* [illegible] *India* (طبعة William Forster) ، لندن سنة ١٩٢٦ ، الفهرس : (٢٣) نظام الدين أحمد : طبقات أكبرى (الترجمة الإنكليزية) الفهرس :

خورشيد (بزمى أنصارى A.S. Bazmee Ansari)

« برهان الدين » أحمد ، القاضى : والى سيواس ، ومن أقدم شعراء آل عثمان الغنائيين ؛ ولد فى قيسارية عام ٧٤٥ هـ (١٣٤٤ م) من أسرة جلها من القضاة . وأتم دراسته فى حلب ثم استقر بمدينة أرزنجان . ونشأت بينه وبين أمير هذا البلد صلة ود متين وتزوج ابنته ، ثم دب الخلاف بينهما فقتله برهان الدين ونصب نفسه مكانه ، واستولى على سيواس وقيسارية وقاتل جيشاً أنفذه إليه مماليك مصر عام ٧٨٩ هـ (١٣٨٧) ولكنه باء بالهزيمة .

وبعد عشر سنوات ، أى فى عام ٧٩٩ هـ (١٣٩٦ م) استعان بالجيوش المصرية على الخلاص من قبائل التركمان التى كانت تناوشه . ولقى برهان الدين حتفه عام ٧٩٩ أو ٨٠٠ أو ٨٠١ هـ (١٣٩٧ — ١٣٩٩ م) فى نضاله مع قره عثمان الملقب بقره يولق من تركمان القطيع الأبيض ؛ ويمكننا أن نستبعد رواية سعد الدين التى يزعم فيها أن قره عثمان لم يلتق بالقاضى برهان الدين إلا بعد فراره من وجه بايزيد الأول سلطان آل عثمان إلى جبال خربوط .

وصنف برهان الدين فى الأصول ، ونظم القصائد باللغات العربية والتركية والفارسية . وقد استطاع المتحف البريطانى الحصول على ديوانه عام ١٨٩٠ م . وهو مخطوط فريد نسخ عام ٨٩٨هـ (١٣٩٥ م) ، وأطرف أجزاء هذا الديوان هو مجموعة الرباعيات المعروفة بـ « تيوغ » وقد وزنت طبقاً لعدد المقاطع وزناً مستقلا عن مقدارها (پارماق حسابى) . والأثر الفارسى واضح فيها ، ولكن لغتها قديمة وفيها كلمات كثيرة من اللغة التركية الشرقية .

ولا يزال قبر برهان الدين موجوداً بسيواس وعليه العام المرجح لوفاته وهو ٧٩٩ هـ الموافق ١٣٩٧ م [انظر Grenard : المجلة الأسيوية ، المجموعة التاسعة ، المجلد ٢٧ ، عام ١٩٠١ م ، ص ٥٥٥) وكذلك نجد فى مدينة سيواس قبر ابنه محمد چلبى المتوفى عام ٧٩٣ م (١٣٩١ م) وقبر ابنته حبيبة الملقبة بسلجوق خاتون لأن جدة برهان الدين لأبيه كانت حفيدة السلطان السلجوقى كيكاوس الثانى (Van Berchem: *Corpus Inscriptionum Arabicarum* ، المجلد الثالث ، ص ٥٠) . وتوفيت حبيبة عام ٨٥٠ هـ (١٤٤٦ م) ولا تزال سيرتها التى كتبها عزيز بن أردشير الأسترابادى باللغة الفارسية مخطوطة فى مكتبة آيا صوفيا تحت رقم ٣٤٦٥ .

المصادر :

(١) ابن حجر العسقلانى ، وقد نقل عنه گب Gibb فى كتابه *History of Ottoman Poetry* [illegible] ، ص ٢٠٤ وما بعدها ، وترجمة الشعر موجودة

فى ص ٢١٤ وما بعدها ؛ والنص فى جـ ٦ ، ص ١٦ وما بعدها . (٢) P. Melioranski ، النص وترجمة عشرين رباعية واثنى عشر نيوغ (Vostotshniya Zamietki ص ١٣١ وما بعدها) (٣) سعد الدين : تاج التواريخ ، جـ ١ ، ص ١٣٣ جـ ٢ ، ص ٤١٠ .

[إيوار Cl. Huart]

+ **برهان الدين أحمد، القاضى** : شاعر من شرقى آسية الصغرى (يكشف فى آثاره عن خصائص من اللهجة الآذرية) ورجل علم وتقلبات وعواصف، كان قاضياً فوزيراً فأتابك فسلطاناً .

ولد برهان الدين فى الثالث من رمضان سنة ٧٤٥ (٨ يناير سنة ١٣٤٥ م) فى قيسارية (وهى الآن قيصرى) وأبوه شمس الدين محمد كان قاضياً من الجيل الثالث انحدر من صلب قبيلة سالور الأوغوزية التى كانت تنزل فى الأصل خوارزم . وتلقى برهان الدين تعليما كاملا فى فروع المعرفة المألوفة ، على أبيه أول الأمر ، ثم فى مصر ودمشق وحلب ، وعاد إلى مسقط رأسه سنة ٧٦٦ هـ (١٣٦٤ – ١٣٦٥) حيث آنس الأمير القائم بالحكم غياث الدين أرتنا فى هذا الشاب البالغ إحدى وعشرين سنة كل ما يرضيه حتى أنه رفعه إلى مرتبة القاضى (فى مكان شمس الدين محمد الذى كان قد توفى قبل ذلك بعام) بل أعطاه يد ابنته ؛ ولم يقف الأمر ببرهان الدين عند هذا الحد إذ اشترك سراً فى فتنة البكوات التى قتل فيها حموه سنة ٧٦٧ هـ (١٣٦٥ – ١٣٦٦ م) . وقد لعب دوراً هاماً فى عهد الأمراء العاجزين من أسرة أرتنا الذين خلفوا حماه : وزيراً وأتابك حتى نادى بنفسه سلطاناً فى البلاد الخاضعة لبيت أرتنا سنة ٨٧٣ هـ (١٣٨١ – ١٣٨٢ م ؛ انظر إسلام أنسيكلوپيدياسى ، الكراستين ٣٢ ، ٣٠٩) ، واتخذ قاعدة لحكمه فى سيواس مع ممارسة حقوق السلطان (ضرب السكة باسمه وذكر هذا الاسم فى الخطبة) .

وقد حفلت السنوات الثمانى عشرة التى تولى فيها السلطنة بالصراع المتصل مع البكوات المنتقضين فى الداخل وبالحروب مع جيران أقوياء مثل القره مانية والعثمانيين . وكان برهان الدين دائماً أبداً مغامراً مقداماً إلى حد لايتصوره العقل ؛ ومن ثم حارب جيشاً مصرياً متفوقاً عليه فنزلت به الهزيمة سنة ٧٨٩ هـ (١٣٨٧ م) على أنه سرعان ما لجأ إلى عون مماليك مصر أنفسهم ليعينوه على الآق قويونلى الذين كانوا يشقون طريقهم من الشرق ، وهنالك قاتل مع الآق قويونلى بك أماسية وبك أرزنجان المنتقضين . وحلت اللحظة الحاسمة حين أمر بقتل شيخ مؤيد والى قيسارية المتمرد ؛ وهو فعل أسخط عليه قره يولق عثمان بك الآق قويونلى .

وتوفى برهان الدين فى معركة مع الزعيم الآق قويونلى فى قره بل ، على أن سعد الدين يقول إن ذلك كان فى جبال خربوط التى كان برهان الدين قد فر إليها أمام السلطان بايزيد الأول ؛ وثمة بعض الأخبار كتبت ببواعث أخرى (ابن عربشاه ، شلدبرغر Shildberger) تقول إن

برهان الدين وقع فى أيدى القره يولق وقتل فى ذى القعدة سنة ٨٠٠ (يوليه-أغسطس سنة ١٣٩٨). ونجد تواريخ أخرى لوفاته فى المصادر ، والنقش الذى على قبر برهان الدين الذى لايزال قائماً فى سيواس لا يحمل أى تاريخ .

وفى سيواس أيضاً تثوى عظام ابن برهان الدين : محمد چلبى المتوفى سنة ٧٩٣ = (١٣٩١ م) وابنته حبيبة سلجوق خاتون المتوفاة سنة ٨٥٠ هـ (١٤٤٦ — ١٤٤٧ م) التى سميت بهذا الاسم لأن جدة أبيها كانت من حيث العصب حفيدة سلطان سلاجقة الروم كيكاوس الثانى (Van Berchem فى *CIA* ، جـ ٣ ، ص ٥٠) .

ومن العجيب أن برهان الدين كان يجد من خلال حياته التى قضاها فى اضطراب سياسى وحربى متصل ، الوقت الكافى والسكينة النفسية اللذين يتيحان له أن يشارك مشاركة فعالة فى ميدان العلم والشعر : وكتبه فى الفقه التى كتبها بالعربية هى : « ترجيح التوضيح » الذى ألفه فى شعبان من سنة ٧٩٩ هـ (مايو سنة ١٣٩٧) ؛ « إكسير السعادات فى أسرار العبادات » وهو كتاب لايزال ينال التقدير حتى الآن بين العلماء .

وأهم من هذا كله : « ديوان » برهان الدين الذى يشتمل على ١٥٠٠ قصيدة من الغزل (دون أن ترتب الترتيب الأبجدى المألوف أو يكون لها (مَخْلَص)) ، وعشرون رباعية ، و ١١٩ تيوغاً (وهذه باللهجة التركية الشرقية) وبعض الأبيات القائمة برأسها . وعروضه كمتى وهو يكشف فى عدد من المواضع عن عيوب فى الوزن كانت خليقة بألا تقع قط من بعد . وثمة مصاريع كثيرة نجدها فى التيوغ مع مصاريع مقدرة بالمقاطع . وبرهان الدين شاعر حب دنيوى ، وتقل فى شعره النفحات الصوفية . وهو يتبع فى الغزليات من حيث الموضوع والبيان تقاليد الشعر الفارسى الغنائى. وبرهان الدين شاعر بحق ، ومع ذلك فقد ظل الشاعر فيه مجهولا لدى كتب التذكرات (وإنما نجد عند بعض المؤرخين إشارات موجزة إليه يقال فيها إنه كتب أيضاً شعرا بالعربية والفارسية، مثل كتاب گب فى الشعر العثمانى ، جـ ١ ، ص ٢٠٨) ولم يكن له سلطان فى ممارسة الشعر فى آذربيجان أو عند العثمانيين .

المصادر :

(١) خصّ كتاب « بزم ورزم » بحياة برهان الدين بصفة عامة ، وهذا الكتاب معروف باسم « مناقب قاضى برهان الدين » ، وقد تم تأليفه سنة ٨٠٠ هـ = ١٣٩٨م ، وهو بقلم زميل له يدعى عزيز بن أردشير الأستراباذى (المتن الفارسى نشر فى إستانبول سنة ١٩٢٨) وقد قدم له بالتركية كوپريلى زاده فؤاد ؛ انظر Storey ، جـ ٢/٢ ، ص ٤١٠ . (٢) H.H. Giesecke : *Das Werk des Aziz ibn Ardachir Asterbadi* ، ليپسك سنة ١٩٤٠ ؛ ولعله فيما يقول بابنگر (Babinger فى *G.O.W.* ، ص٥) هو عين « تاريخ القاضى برهان الدين السيواسى » فى أربعة مجلدات لعبد العزيز البغدادى (حاجى خليفة ، رقم ٢٧٣) ؛ (٣) أحمد توحيد : قاضى

برهان الدين أحمد فى تاريخ عثمانى أنجمنى مجموعه سى ، جـ ٥ (سنة ١٣٣٠ = ١٩١١ — ١٩١٢)، ص ١٠٦ — ١٠٩ ، ١٧٨ — ١٨٢ ، ٢٣٤—٢٤١ ، ٢٩٦ — ٣٠٧، ٣٤٧—٣٥٧؛ جـ ٥ (سنة ١٣٣١ = ١٩١٢ — ١٩١٣) ص ٤٠٥ — ٤٠٩، ٤٦٨ — ٤٧٨ . (٤) Dr. S. Rymkiewiczowa : *Na tle epoki) Tworczoshch Burhanaddina jego dzialalnoshci* (أى قدرة برهان الدين الخلاقة فى ضوء زمانه وأثره) ، وارسو ، رسالة دكتوراه سنة ١٩٤٩ ، ولم تنشر بعد ؛ (٥) خليل أدهم : دول إسلاميه ، إستانبول سنة ١٩٢٨ ، ص٣٨٤ — ٣٨٨ . (٦) Gibb : *Ottoman Poetry* ، جـ ١ ، ص ٢٠٤ — ٢٢٤ (وهو يعتمد على كتاب « الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة » لابن حجر العسقلانى ، المتن طبعة حيدر آباد ، سنة ١٣٤٨ — ١٣٥٠ هـ = ١٩٢٩ — ١٩٣٢ ؛ جـ ٦ ، النصوص ، ص ١٦— ٢٠) ؛ (٧) كوپريلى زاده محمد فؤاد وشهاب الدين سليمان : يكى عثمانلى تاريخ أدبياتى ، جـ ١ ، إستانبول سنة ١٣٣٢ = ١٩١٣ — ١٩١٤ م) ص ١٦٩ — ١٧٣ (مع نماذج من النص) ، (٨) عثمانلى مؤلفلرى ، جـ ١ ، ص ٣٩٦ . (٩) ميرزا بالا : قاضى برهان الدين فى إسلام أنسيكلوپيدياسى ، الكراسة ٥ (سنة ١٩٥٢) ، ص ٤٦ — ٤٨ (وهو مقال ممتاز) ؛ (١٠) A. Krymskiy : *Istoria Turciyi i yeya literaturi*، جـ ١ ، موسكو سنة ١٩١٦ ص ٢٧٠ — ٢٧٩ (١١) وثمة مادة كثيرة أيضاً فى : الكاتب نفسه : *Istoriya Turechchini i yiyi pis'menstva* جـ ٢/٢ ، كييف سنة ١٩٢٧ ؛ (١٢) A. Bombaci : *Storia de la litteratura Turca*، ميلان سنة ١٩٥٦، ص ٢٩٣ . (١٣) ماضى أوغلى : قاضى برهان الدين فى آرايش ، رقم ٩ ، سنة ١٩٥٧ ، ص ٤ — ٥ (وهو مقال مشهود يورد فى إيجاز كثير بداية وختام مخطوط لندن ، مع نماذج عن المتن بالحروف اللاتينية) ؛ (١٤) ويمكن أن نجد إشارات إلى برهان الدين هنا وهناك فى المصادر التاريخية : انظر مقالتى أحمد توحيد وميرزا بالا المذكورتين آنفاً . (١٥) وانظر أيضاً : P. Melioranskij : *Otrivoki iz divana Achmeda Burhan ed -Dina Sivasskogo. Vostochniye Zametki. SPb* ، سنة ١٨٩٥ ، ص ١٣١—١٥٢ (نص وترجمة ٢٠ رباعية و١٢ تيوغاً) (١٦) قاضى برهان الدين غزل ورباعياتندن برقسمى وتيوغلرى : إستانبول سنة ١٩٢٢ مع مقدمة بقلم جناب شهاب الدين بك (وهو ناقص ، انظر محمد فؤاد كوپريلى فى تركيات مجموعه سى ، جـ ٢ ، ص ٢٢٠ و Babinger فى *GOW* ، ص ٤ . (١٧) قاضى برهان الدين ديوانى ، جـ ١ ، إستانبول سنة ١٩٤٤ (صورة طبق الأصل من المخطوط الفريد الموجود بالمتحف البريطانى ، القسم الشرقى رقم ١٢٦ ، وتاريخه سنة ٧٩٦ هـ (١٣٩٣ — ١٣٩٤م) وهو مخطوط رائع ، الراجح أنه أعد لأمير الشعراء نفسه ويكشف على هامشه عن تصويبات بخطه) . (١٨) محرم إرگين : قاضى برهان الدين ديوانى أوزرنده برگرامر دغه سى فى تورك ديلى وأدبياتى درگيسى ، جـ ٤ / ٣ ، إستانبول سنة ١٩٥١ ، ص ٢٨٧ — ٣٢٧ ؛ (١٩) أو نهاد

تارلان : قاضى برهان الدينده تصوف فى المصدر المذكور ، جـ ٨ ، سنة ١٩٥٨ ، ص ٨ — ١٥ .

خورشيد (ريبكا J. Rypka)

+ «برهان الدين غريب » : أى الشيخ محمد ابن ناصر الدين محمود ابن أخت الشيخ جمال الدين أحمد هانسوى (انظر عنه كتاب أخبار الأخيار ، ص ٦٧) ، وهو من أقدم وأخلص مريدى شيخ الإسلام نظام الدين الدهلوى المتوفى سنة ٧٢٥ هـ (١٣٢٥ م) وخليفته .

ولد برهان الدين فى هانسى (فى البنغال الشرقية) سنة ٦٥٤ هـ (١٢٥٦ م) وتوفى فى ديوگير من أعمال دولت آباد فى ١١ صفر سنة ٧٣٨ هـ (٨ سبتمبر سنة ١٣٣٧ ؛ انظر النزهة نقلا عن روضة الأولياء) ويقول آخرون (مثل كتاب خزينه) إنه توفى سنة ٧٤١ هـ (١٣٤٠ — ١٣٤١ م) ودفن فى روضة من أعمال خُلْد آباد . وقضى المترجم له سنواته الأولى فى هانسى ، ثم شخص إلى دهلى ودرس الفقه والأصول والعربية (انظر هذه المواد) على علماء عصره ؛ ثم وصل نفسه بشيخ الإسلام ولازمه إلى أن توفى شيخ الإسلام (النزهة ، ص ١٤٣ ؛ السير ، ١٥/٢٧٩ ؛ مير حسن : فوائد الفؤاد ، لكهنو سنة ١٩٠٨ ، ص ١٥ ، ٣٣ [سنة ٧٠٨ هـ] ، ٤٤ [٧٠٩ هـ] ، ٨٤ [٧١٢ هـ] ؛ ألغ خانى : ظفر الواله ، ليدن سنة ١٩٢٩ ، جـ ٣ ، ص ٨٥٧) . وترك دهلى إلى ديوگير فى شيخوخته ، حين حمل محمد بن تغلق (٧٢٥ — ٧٥٢ هـ = ١٣٢٥ — ١٣٥١ م) أعيان المجتمع والمشايخ حوالى سنة ٧٢٧ هـ (١٣٢٧ م ؛ انظر مبارك شاهى ، ص ٩٨) على الانتقال إلى قصبته الجديدة ديوگير (البداءونى ، جـ ١ ، ص ٢٢٦ ؛ م. ساقى : مآثر عالمگيرى ، المكتبة الهندية ، ص ٢٣٧ ؛ وانظر عن الرأى المعارض لذلك الذى يقول إن شيخ الإسلام أرسله هو وآخرين إلى [برهانپور وإلى] ديوگير : فرشته : سفينه ، وما ندوى : أذكار أبرار [ترجمة گلزار أبرار] آگرا سنة ١٣٢٦ هـ ، ص ٩٠ ؛ ومعارج ، وخزينه ص ٣٢٢ ؛ وقد سكتت المصادر المعاصرة عن ذكر السبب الذى من أجله شخص إلى ديوگير) . وفى ديوگير قضى برهان الدين بقية حياته يقوم بعمل يكاد يكون رائدا فى إشاعة الإسلام ونشر ثقافة الإسلام فى الدكن (السفينة) ودرب شرذمة من مريديه الناهين على العمل على منواله . وقد جمع أحدهم ، وهو ركن الدين ، مآثره فى كتاب « نفائس الأنفاس » (استشهد بتسع منها فى المعارج ، الموضع المذكور) ، على حين جمعها أيضاً أخوا ركن الدين هما وحميد قلندر (النزهة ، والأخيار ، ص ٨٦) .

وكان لبرهان الدين شخصية آسرة ، وقد حاز شهرة عظيمة فى حاشية مولاه ، وكان صديقاً حميماً للشعراء أمير خسرو ومير حسن ومسعود بك (ويمدحه مسعود فى آثاره وخاصة فى يوسف وزليخا) وللشيخ نصير الدين چراغ دهلى المتوفى سنة ٧٥٧ هـ (١٣٥٧ م) وكرمانى وغيرهم

(سير الأولياء ، ص ٢٧٨) ، وقد وصف بأنه جماع للشوق والحب، ورجل زهد وورع ووجد، كان يسحر قلوب مستمعيه بأحاديثه ، وكان من الغلاة فى مسألة « السماع » له أسلوب خاص فى أذكار الدراويش ، وكان الذاكرون معه يقال لهم « البرهانية » نسبة إليه . وتخلد مدينة برهانپور على نهر تاپتى فى خاندس ، ذكره لأنه كان قد منح بركته لجد من أجداد منشئها نصير خان فاروقى (حكم من سنة ٨٠١ — ٨٤١ هـ = ١٣٩٩ — ١٤٣٧ م) حين أوى إليها فى طريقه إلى ديوگير وتنبأ بقيام الفاروقية وإنشائهم لمدينة برهانپور (ماندوى : خافى ، ص ٢١٤) . وقد وقفوا على روضته الأراضى التى كانت لاتزال قائمة عندما كتب ماندوى كتابه سنة ١٠٢٠ هـ (١٦١١ — ١٦١٢ م) ، ويقول هذا الكاتب نفسه الذى زارها سنة ١٠٠١ هـ (١٥٩٢ — ١٥٩٣ م) إنه كانت تقام فيها سوق كبيرة وبها قبور لعدد من مريدى شيخ الإسلام البارزين ، إحياء لتاريخ وفاة الشيخ برهان الدين ، وقد زارها أيضاً داراشكوه . ودفن بالقرب منها أورنگزيب واثنان من النظام ملكية (الخافى ، جـ ٢ ، ص ٥٤٦ = ٥٧٢ ؛ مآثر الأمراء ، جـ ٢ ، ص ٨٣٤) .

المصادر :

علاوة على المصادر المذكورة فى صلب المادة انظر : (١) محمد مبارك كرمانى : سير الأولياء ، دهلى سنة ١٣٠٢ ، ص ٢٧٨ (= عبد الحق : أخبار الأخيار ، دهلى سنة ١٣٠٩ هـ ، ص ٩٣ = على أردستانى : محفل الأصفياء ، مجموعة مخطوطات آذر فى جامعة البنجاب ، ورقة ٧٩٦) . (٢) أبو الفضل : آئين أكبرى ، طبعة Biochmann ، كلكتة ، جـ ٢ ، ص ٢١٦ ؛ ترجمة Jarett ، جـ ٣ ، ص ٣٦٥ ، جـ ٢ ، ص ٢٢٣ ، تعليق ٣ . (٣) أمين أحمد رازى : هفت إقليم ، مخطوط شيرانى ، جامعة البنجاب ، ورقة رقم ١٣٧ ب (مادة دهلى) . (٤) فرشته ، بومباى سنة ١٨٣٢ ، جـ ، ص ٧٥٠ . (٥) داراشكوه : سفينة الأولياء ، لكهنو سنة ١٨٧٢ ، ص ١٠١ . (٦) عبيد الله خوشگى : معارج الولاية ، مجموعة آذر المخطوطة ، جامعة البنجاب ، ورقة رقم ١٢٣ ب — ١٢٥ ب . (٧) سنزوارى : سوانح (انظر Storey ، ولم يتيسر لى) . (٨) غلام على آزاد : روضة الأولياء (تيسر لى فى النزهة فحسب . انظر الموضع المذكور) . (٩) مفتى غلام سرور : خزينة الأصفياء ، لاهور سنة ١٢٨٤ ، ص ٣٣٢ . (١٠) عبد الحى لكنوى : نزهت الخواطر جـ ٢ ، ص ١٤٣ . (١١) Beale : *Oriental biographical dict.* ، كلكتة سنة ١٨٨١ ، ص ٧٥ . (١٢) Storey ، ص ١٠٢٥ ، ١٠٢٧ .

خورشيد [محمد شفيع M. Shafi]

+ « برهان الدين قطب عالم » ، وهو أبو محمد عبد الله بن ناصر الدين محمود (أو محمد) ابن جلال الدين مخدوم جهانيان ، وقد عرف عامة بقطب العلم : ولى سهروردى مشهور ورأس

السادات البخارية بكجرات (غربى الهند) ، ولقب أيضاً بثانى مخدوم جهانيان (المعارج) ؛ ولد فى أچْچه (وهى الآن فى بهاولپور) فى الرابع عشر من رجب سنة ٧٩٠ (١٩ يولية سنة ١٣٨٨ م) ، وتوفى فى بتْوَة (أردستانى : محفل الأصفياء ، ورقة رقم ٣٢٩ ب ؛ وانظر ألغ خانى ، ج ١ ، ص ١٤٠ ، س ٧) أو باتْوَة ، وهى قرية على مسيرة ستة أميال جنوبى أحمد آباد ، فى الثامن من ذى الحجة سنة ٨٥٧ هـ (١٠ ديسمبر سنة ١٤٥٣ م ، مطلع يوم التروية = سنة ٨٥٧ فى النقش الذى سجل فى كتاب أخبار الأخيار ، ولكن كاتباً متأخراً عن ذلك هو خوشگى يقول إن وفاته كانت سنة ٨٥٦) .

وتتضارب الأخبار فى سبب مجيئه إلى كجرات وتاريخ ذلك (انظر على سبيل المثال : آئين ، ومعارج ومآثر الأمراء) . وقد وردت الرواية الآتية فى كتاب مرآت أحمدى : تيتم برهان الدين وهو فى العاشرة ، فكفله عم أبيه شاه راجو قتّال المتوفى سنة ٨٢٧ هـ (١٤٢٤ م ؛ انظر : خزينة ، ص ٧٣٣) وأشار عليه بالمضى إلى كجرات لنشر الدعوة ، فبلغ پتّن سنة ٨٠٢ هـ (١٣٩٩ — ١٤٠٠ م) فأحسن لقاءه السلطان مظفر شاه الأول ، وكان مريداً لجده .

ودرس برهان العلوم المألوفة على مولانا على شير كجراتى ، وتفوق فى الدراسة . فلما أنشئت مدينة أحمد آباد سنة ٨١٣ هـ (١٤١١ م) استقر أولا فى أساول (القديمة) ثم انتهى مقامه إلى بتوة بقية حياته .

أما عن المشايخ الذين تلقى منهم الخرقة فانظر كتاب النزهة (ج ٣ ، ص ٩٧) ، وكان من المبرزين فيهم الشيخ أحمد كاهتّو المتوفى سنة ٨٤٩ هـ (١٤٤٦ م) . وقد أدى قطب عالم وخلفاؤه ومريدوهم — وخاصة ابنه شاه عالم — عملا مشهودا فى سبيل النهوض الروحى بشعب كجرات الذى كان يمحضهم ثقته كما كان لهم مقام كبير لديه (توزك جهانگيرى ، عليگره سنة ١٨٦٤ ، ص ٢٠٨ ؛ الترجمة الإنكليزية بقلم Rogers-Beveridge ، ج ١ ، ص ٤٢١) ؛ وكان لهؤلاء سلطان عظيم على الأحمد شاهية ملوك كجرات (مرآت سكندرى ، ص ١٨٥ ، س ١٢) كما أن عدة أباطرة من أباطرة المغل المتأخرين قد أغرقوا المشايخ بالعطايا ، وزار بعض الأباطرة بأشخاصهم أضرحتهم فى أحمد آباد ؛ وقد أقام شاه جهان أحد المشايخ « منصبدار » و « صدركل » ، وجعل أورنگزيب ابنه « صدر الصدور » (قانع ، ج ٢ ، ص ٣١ ؛ م . ساقى : مآثر عالمگيرى BIS ، ص ١٦٦ ، ٣٤٧) .

ولما توفى قطب عالم أقام نبلاء بلاط أحمد شاهى ضريحاً على قبره تخرب الآن (J. Burgess : *Muhammadan Architecture of Ahmadabad* ، لندن سنة ١٩٠٠ ، ج ١ ، ص ٦٠ ؛ وانظر عن ضريح شاه عالم : المصدر المذكور ، ج ٢ ، ص ١٥ وما بعدها ، اللوحات) . ويشهد على محمد خان بأن القبر كان يزار كثيراً فى زمنه

(سنة ١١٧٦ هـ = ١٧٦٢ م) » وانظر شاهدا من اللغة التى كان يتحدث بها قطب عالم فى كتاب « مرآت سكندرى » ، ص ٢٥٤ (مير أحمدى : خاتمة ، ص ٢٨ ؛ ألغ خانى ، جـ ١ ، ص ٢٣٦) حيث ورد فيه خبر مفصل بكرامة له تردد كثيراً .

المصادر :

علاوة على المصادر التى ذكرت فى صلب المادة انظر بصفة خاصة : (١) أبو الفضل : آئين أكبرى ، المكتبة الهندية ، السلسلة الثانية ، ص ٢٢١ ؛ الترجمة الإنكليزية بقلم Jarrett ، جـ ٣ ، ص ٣٧٢ . (٢) إسكندر بن محمد : مرآت سكندرى ، بومباى سنة ١٣٠٨ هـ ، ص ٥٢ وما بعدها ، ٤٦ (انظر ١٢٦ ، ٢٨٥) ، ١٤٢ ، ٢٥٤ ، ٣٢٣ ، وفى مواضع مختلفة . (٣) محمد غوثى ماندوى : گلزار أبرار (تيسرلى فى ترجمته الأردية فحسب الموسومة باسم « أذكار الأبرار » ، آگرا سنة ١٣٢٦ ، ص ١٤٧٧ . (٤) ألغ خانى : ظفر الواله ، طبعة إ. دنيسون روس E.D. Denison Ross ، لندن سنة ١٩١٠ — ١٩٢٨ ، الفهرس ، مادتا ، برهان الدين ، وبتوة . (٥) عبد الحق دهلوى : أخبار الأخيار ، دلهى سنة ١٣٠٩ ، ص ١٥٧ . (٦) فرشته ، بومباى سنة ١٨٣٢ ، جـ ٢ ، ص ٣٧٩ ، ٣٩٠ ، ٤٢٤ . (٧) داراشكوه : سفينة الأولياء ، لكهنو سنة ١٨٧٦ ، ص ١١٧ ؛ (٨) عبيد الله خوشگى : معارج الولاية ، مخطوط آذر بمكتبة جامعة البنجاب ، ورقة ٥٠٨ . (٩) شافى خان ، منتخب التواريخ ، جـ ، ص ٥٤٨ ، (١٠) شاه نواز خان ، مآثر الأمراء ، جـ ٣ ، ص ٤٤٧ (اقرأ سلطان محمد بدلا من سلطان محمود ، وهو يتبع آئين أكبرى . وعن العبارة الغامضة فى ١٣/٤٤٨ انظر شوسترى : مجالس المؤمنين ، طهران سنة ١٢٩٩ هـ ، ص ٦٤) ؛ (١١) على محمد خان : مرآت أحمدى : الخاتمة ، كلكتة سنة ١٩٣٠ ، ص ٢٦ — ٣٤ ، ٣٧ — ٦١ (حياته ، سلالته ، خلفاؤه ، المنح — إلخ = الترجمة الإنكليزية ، الملحق ، ص ٢٧ — ٣٥ ، ٣٩ — ٦٠ = على شير قانع : تحفة القران ، دلهى سنة ١٣٠٤ هـ ، ص ١٦ وما بعدها ، وانظر ١١ ، ٣٠) . (١٢) مفتى غلام سرور ، خزينة الأصفياء ، لاهور سنة ١٢٨٤ هـ ، ص ٧٣٧ . (١٣) عبد الحى لكنوى : نزهة الخواطر ، حيدر آباد سنة ١٣٧١هـ ، جـ ٣ ، ص ٩٦ . (١٣) الكاتب نفسه : ياد أيام ، بالأردية ، عليگره ، سنة ١٣٣٧ هـ ، ص ٥٢ ؛

خورشيد [محمد شفيع M. Shafi]

+ «برهان الدين المرغينانى» : (انظر مادة « المرغينانى ») .

«برهان شاه الأول» : (١٥٠٨—١٥٥٣م) ثانى ملوك أسرة نظام شاه (انظر هذه المادة) .

«برهان شاه الثانى» : (١٥٩١—١٥٩٥م) سابع ملوك أسرة نظام شاه (انظر هذه المادة) .

+« برهان عماد شاه » : (انظر مادة « عماد شاهية ») .

+« برهان الملك » ، مير محمد أمين بن سيد محمد نصير الموسوى ، رجل من أهل نيسابور (نيشاپور) ، أسس بيت نوّاب وزيرية أوده (١١٣٦ – ١١٦٧ هـ = ١٧٢٤ – ١٧٥٤ م) ؛ ولا نعرف على وجه الدقة التاريخ الذى وصل فيه إلى الهند ، ولكن الذى نعلمه فى شئ كثير من الدقة أنه كان فى خدمة سَرْبُلَنْد خان قائد القراماتكپور سنة ١١٢٣ هـ (١٧١١ م) .

ولما تولى فرّخ سيار عرش دلهى (١١٢٤ – ١١٣١ هـ = ١٧١٣ – ١٧١٩ م) حاول برهان الملك أن يلى منصب « نائب كرورى » ، وهو منصب يدر دخلا رسمياً مستعيناً بالمساعى الحميدة لمحمد جعفر الذى كان يلى آنئذ وظيفة « منصبدار » ؛ وفى سنة ١١٣٢ هـ (١٧١٩ م) عين قائداً لـ « هِنْدَوْن بيَانه » ، وهنالك أخضع الزميندارين الراجبوتى والجاطى المشاغبين فى هذه المنطقة . ولعب برهان الملك دورا فى المؤامرة التى حيكت لقتل أمير الأمراء حسين على خان بارْهه ، وهو من صنّاع ملوك السادات ، فكوفئ سنة ١١٣٣ هـ (١٧٢٠ م) بلقب سعادت خان بهادر ومنح رتبة شخصية هى أمير الخمسة الآلاف وقيادة ثلاثة آلاف فارس : وأقيم فى العام نفسه والياً على أكبر آباد (آكرا) مع ترقية سريعة فى الرتبة ، وما إن مضى شهر فحسب [محرم سنة ١١٣٣ هـ = نوفبر سنة ١٧٢٠ م) حتى خلع عليه لقب بهادر جنگ وشارة « ماهى مراتب » ؛ وفى سنة ١١٣٥ هـ (١٧٢٢ م) أقيم والياً على أوده ، وهنالك قمع بلا رحمة شيخ زادية لكهنو ، كما أمر بتسوية جديدة لموارد الولاية ، وبذلك زاد فى الدخل الإمبراطورى العائد من الأرض وكافأه الإمبراطور محمد شاه على خدماته بمنحه لقب « برهان الملك » ؛

وأخضع برهان الملك أوده لسلطانه ، وكانت فى حالة اضطراب ، ثم عاقب أمراء الإقطاع المتمردين فى بنارس وجونپور : وفى سنة ١١٤٨ هـ (١٧٣٥ م) ولّى أمر ناحية « كوره جهان آباد » التى كان أميرها الإقطاعى بِتَهَگْوَنْت راى قد أثار بعض الاضطراب ، وقد قتل بهگونت آخر الأمر فى قتال مع جنود النوّاب : وحدث فى العام نفسه أن زهى برهان الملك بما أحرزه من ظفر فى إثر ظفر ، فأقام على خدمة محمد شاه فى دلهى آملا أن يحصل على قدر أكبر من حظوة الإمبراطور . وفى سنة ١١٤٩ هـ (١٧٣٧ م) هاجم المراطها الذين كانوا قد استولوا على جزء من دوآب وهزمهم وطردهم منزلا بهم خسائر فادحة : ولم يلبث المراطها أن هاجموا دلهى ليثأروا من هذه الهزيمة .

وفى سنة ١١٥١ هـ (١٧٣٩ م) كان نادر شاه أفشار قد غزا الهند . فخرج له برهان الملك من أوده فى فرقة قوية من ثلاثين ألف مقاتل :وغنم العدو متاعه قبل أن يبلغ المعسكر الإمبراطورى فى كَرْنال ، ومع ذلك استقر عزم برهان الملك على ألا يضيع وقتاً ويخوض المعركة مع الغزاة ،

على أنه حدث فى خضم المعركة أن عرفه رجل نيسابورى من بلده ، ودفع فيله بلا مقاومة إلى معسكر العدو . ولما انتصر نادر شاه استحثه برهان الملك ، متأثراً بدوافع خفية ، على زيادة مقدار الغرامة (٥ مليون روبية) التى كان قد اتفق عليها بين نظام الملك آصف جاه مبعوث محمد شاه وبين الغازى الفارسى على أساس أن المبلغ المتفق عليه يمكن أن يؤديه فى يسر أمير واحد من أمراء البلاط المغلى : وحمل برهان الملك نفسه على أداء ٣٣ مليون روبية نقداً — وهو نصيبه — إلى الغازى . على أن برهان الملك توفى فجأة فى ١٠ ذى الحجة سنة ١١٥١ هـ (١٩ مارس سنة ١٧٣٩ م) بعيد عودته من دلهى : وقد أدت وفاته الفجائية — أو تكاد — إلى قيام كثير من التخمينات .

ويقال إنه انتحر ، فقد عجز عن احتمال الإهانات التى صبها عليه نادرشاه لفشله فى تدبير المبلغ الكامل للغرامة (٢٠٠ مليون روبية) ، الذى كان قد وعد به الغازى وعداً ينطوى على الحمق : وتؤكد مصادر أخرى ، بما فيها كتاب « مآثر الأمراء » (جـ ١ ، ص ٤٦٦) ، أنه توفى متأثراً بجرح قديم أهمله فنكأ : والظاهر أن الرواية الأخيرة هى محاولة للتخفيف من مسئوليته عن أفعال أصابت أهل دلهى ببؤس وحزن يجلان عن الوصف .

وبرهان الملك ، فيما عدا ذلك ، رجل طيب بلغ به الطموح مداه ولم ينج من شغفه بالعظمة وجل مثل حسين على خان نفسه الذى كان خليصه ومولاه بوصفه من السادة ومن الشيعة . وقد نسب إلى برهان الملك قناة مهجورة فى جزء من مدينة دلهى ، ولا تزال هذه القناة تسمى نهر سعادت خان ، وهى — فيما يبدو — امتداد لفيض نهر وهو المجرى الرئيسى لشبكة المياه التى كانت تمد دلهى فى العهد المتأخر للعصر المغلى

المصادر :

(١) صمصام الدولة شاه نواز خان : مآثر الأمراء ، المكتبة الهندية ، جـ ١ ، ص ٤٦٣—٤٦٦ ، (٢) غلام على خان نقوى : عماد السعادة ، لكهنو سنة ١٨٦٤ . (٣) محمد فيضى بخش : فرح بخش (الترجمة الإنكليزية بقلم W. Hoey) الله آباد ، سنة ١٨٨٨ — ١٨٨٩ . (٤) س. كمال الدين حيدر : تاريخ أوده ، فى مجلدين (الترجمة الأردية) لكهنو سنة ١٨٧٩ . (٥) دُرگا پرشاد « مهر » سنديلى : بستان أوده ، لكهنو سنة ١٨٩٢ . (٦) مولوى ابن حسن : برهان أوده (مخطوط فى مجموعة سبحان الله ، الجامعة الإسلامية ، عليگره) (٧) نجم الغنى رامپورى : تاريخ أوده (بالأردية) فى خمسة مجلدات ، لكهنو سنة ١٩١٨ . (٨) غلام حسين خان طباطبائى : سير المتأخرين ، المجلد الثانى ، لكهنو ، سنة ١٣١٤ هـ = ١٨٩٧ . (٩) A.L.Srivastava : *The First Two Nawabs of Oudh* ، لكهنو سنة ١٩٣٣ (ويشمل هذا الكتاب سيرة نقدية مسهبة كل الإسهاب) : (١٠) *Cambridge Hist. of India* ، جـ ٤ ، الفهرس . (١١) *A History of the Freedom Movement* ، مجلد ١ ، كاراتشى ، سنة ١٩٥٧ ، ص ٢١٠—٢١٣ . (١٢)

Storey ، جـ ١/٢ـ٣ ، ص ٧٠٣ — ٧١٣ ، (١٣) وانظر أيضاً مواد « نادرشاه » و « أوده » و William Irvine : *Later Mughals* ، جـ٢ ، ص ٥٥ — ٥٧ ، ٢٨٧ وما بعدها ، ٣٤٣ — ٣٤٧ ، ٣٥٢ وما بعدها .

خورشيد [بزمى أنصارى A.S. Bazmee Ansari]

« بَرَهُوت » (بَلَهوت ، وتكتب كذلك بُرْهُوت) : واد بحضرموت تحفه جبل بركانى توجد عند سفحه بئر برهوت المشهورة ، ويقول أهل الوادى إن هذه البئر شق طوله ٣٣ قدماً وعرضه ٢٥ قدماً ملىء بالكبريت الملتهب . ونتن الكبريت وهدير البئر ، وربما صوت البركان ، قد أدت جميعها إلى نشوء القصة التى تذهب إلى أن أرواح الكفار الذين كتبت عليهم النار تجتمع فى هذه البئر وتصيح فى الليل من الألم قائلة : يادومة . . . يادومة ! وأورد الهمدانى فى كتابه الجزيرة — بين ماأورد من أمثال الأمم — مثلا ربما يكون قد قيل فى رجل مات على الشرك وهو : « سحقه الله وأبعده وألحق روحه بأرواح الكفار ببرهوت » . وجعل اليونان صلة بين هذه البئر وبين بئر ستيكس Styx ومن ثم أطلق الجغرافى بطلميوس عليها ستيگيس أوداتوس پيگو ، وتوسع الرومان فى هذه الأسطورة وجعلوا مقر الأخوين الكريتيين مينوس Minos ورادامنتيس Rhadamantys عند البئر الأخيرة ، وهذان الأخوان هما قاضيا العالم السفلى ، وقد ذكر بليناس فى قائمته التى عدد فيها مئات القبائل فى اليمن اسم قبيلتين من أشهر القبائل هما ميناى Minaei ورادامای Rhadamaei فى جوار بئر ستيگيس Stygis Aquae Fons .

وبالقرب من بئر برهوت قبر هود الذى أرسله الله لقوم عاد فقتلوه ؛ ويروى الأهالى أن قبره كومة كبيرة من الأحجار بجوارها مسجد صغير يقال إنه يضم رفاته ؛ ونستطيع أن نقول إن هذا الموضع أهم مزار فى بلاد اليمن كلها ، يذهب إليه الحجاج من أطراف حضرموت فى الحادى عشر من شهر شعبان ويقيمون الصلوات ويذكرون هوداً وإبراهيم وغيرهما من الأنبياء ، وتقام فى الوقت نفسه سوق كبيرة . ثم يقفر المكان بقية أيام السنة .

ولم يزر أحد من رحالة الأوروبيين بئر برهوت بعد .

وعزم على زيارته المستكشف أدولف ڤون ڤريده Adolph v. Wrede ، وكان عام ١٨٤٣ فى وادى دَوْعَن القريب من برهوت إبان رحلته الاستكشافية الشهيرة ، ولكنه لم يستطع ، وكذلك أخفق ليو هرش Leo Hirsch الذى رحل إلى حضرموت بعد ذلك بخمسين عاماً .

المصادر :

(١) الهمدانى : الجزيرة ، طبعة ميلر ، ص ١٢٨ ، ٢٠١ ، ٢٠٣ (٢) ياقوت : المعجم ، جـ ١ ص ١٥٤ ، ٥٩٨ (٣) المكتبة الجغرافية العربية ، طبعة دى غويه ، جـ ١ ، ص٢٥ ، جـ٢ ، ص ٣٢ ، جـ ٨ ، ص ٦٠ (٤) ابن بطوطة ، طبعة

دفرمرى ، جـ ٢ ، ص ٤٠٣ (٥) المسعودى، مروج الذهب ، طبعة بربييه ده مينار ، جـ ٣ ، ص ٦٨ (٦) الطبرى : تاريخه، طبعة ده غويه، جـ١ ، ص٢٠٠٧ (٧) C. Niebuhr : *Beschreibung von Arabien* ، كوبنهاغن سنة١٧٧٢م، ص ٢٨٨ (٨) K. Ritter : *Erdkunde* ، جـ ١٢ ، ص ٢٦٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٧ ، ٦٨١ (٩) *A. V. Wredes Reise in Hadhramaut* ونشره H. Freih v. Maltzan ، برنشفيك سنة ١٨٧٣ ، ص ٢٢٩ ، ٢٧٦ (١٠) Halévy فى المجلة الآسيوية ، المجموعة الثامنة ، سنة ١٨٨٣ ، جـ ٢ ، ص ٤٤٤ وما بعدها (١١) Van den Berg : *Le Hadramut et les Colonies Arabes dans l'Archipel Indien* ، بتاڤيا ١٨٨٦ ، ص ١٤ — ١٥ (١٢) De Geoje : *Hadhramaut* ، ص ٢٠ .

[شليفر I. Schleifer]

+ برَهوت (ويقال أيضا : بَرَهوت أو بلَهوت) : واد فى حضرموت تقوم فيه بئر من الآبار اشتهرت ببئر برهوت ، وهى الآن مغارة أكثر منها بئراً ؛ ويصب الوادى ، الذى يقع شرقى مدينة تريم ، فى المسيلة وهو الامتداد الأدنى لوادى حضرموت ، من الجنوب . ويقوم عند مصب برهوت قبر هود (انظر مادة « هود ») وهو أقدس مزار فى جنوبى الجزيرة العربية ، يؤمه الزوار فى شهر شعبان .

وتصف الروايات الإسلامية المتقدمة بئر برهوت بأنه أسوأ آبار الأرض طرّا ، وتسكنه أرواح الكفار . والراجح أن برهوت قد اشتهرت فى أرجاء جزيرة العرب جميعاً مقترنة بقبر هود أكثر من اشتهارها بعكس ذلك (انظر ڤنسنك فيما نقله عن ڤون كريمر بآخر مادة « هود » من دائرة المعارف الإسلامية ،الطبعة الأولى) : ومن المستبعد أن يكون قبرا فى ذاته قد اشتهر بكل هذه الشهرة . وكان ڤان درميلن D. van der Meulen و هـ . ڤون ڤيسمان H. von Wissmann أول من كشفا هذه البئر سنة ١٩٣١ . وقد وجدا فوق مهد الوادى بثلثمائة قدم تقريباً ، كهفا مثاليا من الحجر الجيرى ليس فيه أثر من التكوين البركانى . أما الرائحة العجيبة غير المؤذية التى تشيع فى داخله فليس مصدرها بخار الكبريت . والراجح أنها ترجع إلى الغبار الناشئ من تآكل الصخرة ، أو لعله ناشئ من الخفافيش . ولم تكشف دراسة الدهليز الرئيسى والدهاليز الجانبية العديدة عن وجود آثار لها قيمة .

المصادر :

(١) انظر عن المعتقدات القديمة الشائعة عن بئر برهوت المادة الأولى التى كتبها شليفر ، ويزاد عليها (٢) C.von Landberg : *Etudes sur les dialectes de l'Arabie Méridionale* ، جـ١ ، ليدن سنة١٩٠١ ، ص ٤٣٢ — ٤٤٧ ، ٤٨١ — ٤٨٤ (٣) وانظر عن الكهف : D. van der Meulen & H. von Wissmann : *Hadramaut* ، ليدن سنة ١٩٣٢ .

[خورشيد G. Rentz]

+ «برهوتى»: (انظر مادة «بلوجستان»).

+ «بروانه»: (انظر مادة «معين الدين سليمان»).

+ «بَرَوَة» (براڤا Brava): مدينة ساحلية بالصومال الإيطالى، يبلغ عدد سكانها نحوا من ٩,٠٠٠ نسمة معظمهم من قبيلة تونى من الدگيل الصوماليين الذين حلوا محل الأجُران وامتزجوا بالبران گالا. والتربة خصيبة بعض الشئ، وتسوق فى بروة الجلود الخام والحبوب والزبد ويُصنع الجلد. وربما كانت بروة هى «باوَرى» التى ذكرها ياقوت، وكانت تصدر العنبر، وبأروة (ويقال مأروة) عند الإدريسى على حد الكفار. ولم يذكر هذه المدينة الجغرافيون المسلمون الآخرون.

ويقول بارّوس Barros نقلا عن تاريخ إخبارى كِلْوى (نسبة إلى كِلْوة) فقد الآن، إن زيادية من الأحساء أنشأوها بُعَيد إنشاء مقدشو. أما راوية ستيگاند Stigand فقد نسب إنشاءها إلى الخليفة عبد الملك بن مروان سنة ٧٧ هـ (٦٩٦–٦٩٧ م). وكانت فى القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) خاضعة لپاته Pate. وقد زار الصينيون «پولاوه» حوالى عام ٨٢١ هـ (١٤١٨ م).

وفى سنة ٩٠٨ – ٩٠٩ هـ (١٥٠٣ م) جعل اثنا عشر شيخاً أسرهم روى لورنسو راڤاسكو Rui Lourenço Ravasco، بروة تابعة للبرتغال. وفى سنة ٩١٢ هـ (١٥٠٧ م) اقتحمها تريستاو داكونها Tristao da Cunha وألبوكرك وأحرقاها. وكانت بروة تجند ما بين أربعة آلاف وستة آلاف مقاتل وتتيح غنيمة كبيرة. وانتعشت بروة إلى حين، ولكنها اضمحلت بعد قيام الگالا. وكانت تعترف بالسيادة البرتغالية على فترات متقطعة. ويصفها الكتاب البرتغاليون فيقولون إنها جمهورية يحكمها اثنا عشر شيخاً. ويذكر گوييّلان Guillain مجلساً مكوناً من خمسة من مشايخ القبائل الصومالية وشيخين من مشايخ القبائل العربية لهم ملك ينتخب كل سبع سنوات جرت العادة فيما خبّرنا بأنه يقتل بعد انقضاء هذا الأجل.

وكانت بروة خاضعة بالاسم لآل بوسعيد (انظر هذه المادة) الذين غلب سلطانهم على المزروى حوالى سنة ١٢٣٨ هـ (١٨٢٢ م) ولكن الجزية كانت تؤدى فى بعض الأحيان للمشايخ الصوماليين. وقد احتل المصريون بروة حوالى شهرين سنة ١٢٩٢ هـ (١٨٧٥–١٨٧٦ م). وقد اعترف التصريح الإنكليزى الألمانى الصادر سنة ١٣٠٣ هـ (١٨٨٦ م) بحكم البوسعيدية. وبعد ذلك بثلاث سنوات أعلنت إيطاليا الحماية على ساحل بروة ثم أجّر لها من بعد (انظر مادة «الصومال» بلاد»). وبدئ بإقامة منشآت الثغر بأمل جعله ثغر إقليم جُبَ (جوبا) ولكن عدل عن ذلك فيما بعد.

المصادر :

(١) ياقوت ، جـ ١ ، ص ٤٨٥ : (٢) الإدريسى ، الإقليم الأول ، لوحة ٧ ؛ (٣) Storbeck فى *MSOS* ، سنة ١٩١٤ ؛ (٤) *J. Afr. S.* ، سنة ١٩١٤ — ١٩١٥ ، ص ١٥٨ ؛ (٥) *Ming Shih* ، الفصل ٣٢٦ ؛ (٦) *T'oung Pao* سنة ١٩٣٣ ، ص ٢٩٧ ، سنة ١٩٣٨ — ١٩٣٩ ، ص ٣٥٤ ؛ (٧) J. Strandes : *Die Portugiesenzeit von Deutsch-und Englisch Ost-Afrika* ، وهو يورد المصادر البرتغالية الهامة ؛ (٨) Beccari : *Rerum Aethiopicarum Scriptores* ، مجلد ١٠ ، ص ٣٨٢ ؛ (٩) C. Guillain : *Documents sur l'histoire, la géographie et la commerce de l'Afrique orientale* ، المجلد ١ ، ص ٥٧٢ — ٥٧٣ ؛ المجلد ٣ ، ص ١٥٨ ومابعدها ؛ (١٠) C.H. Stigand : *The Land of the Zinj* (١١) R. Coupland : *East Africa and its invaders* and *The Exploitation of East Africa* (١٢) G.Piazza : *La regione di Brava nel Benadir* (١٣) *Guida dell' Africa Orientale Italiana*.

خورشيد [بكنگهام C.F. Beckingham]

« البروج » : (انظر مادة « نجوم ») .

+ « بروچ » : (انظر مادة « بهروچ ») .

+ « بَرُوجِرْد » (أو بُروجرد) : بلدة فى الأستان (لُرِستان) السادس من بلاد فارس ، تقوم على الطريق الذى يصل همذان بالأهواز مارا بخُرَّم آباد ، وهى مقر « فرماندار » أى نائب وال ، ويبلغ عدد سكانها ٤٧,٠٠٠ نسمة .

وتقوم البلدة فى واد مترامى الأطراف جيد الزرع تحده من الغرب جبال زغروس . وجوها معتدل فى الصيف ، بارد فى الشتاء . وبها نحو من ٩٠٠ حانوت معظمها فى السوقين الكبيرتين . ويرجع المسجد الجامع إلى عصر المغول .

وفى بروجرد هزم الأمير السلجوقى بركياروق (انظر هذه المادة) سنة ٤٨٥ هـ (١٠٩٣ م) جيوش أمه تركان خاتون التى كانت قد انحازت إلى جانب ابنها الأصغر محمود بعد وفاة زوجها ملكشاه .

المصادر :

(١) ياقوت ، جـ ١ ، ص ٢٨٨ ، ٢٨٩ . (٢) de Bode : *Travels in Luristan and Arabistan* ، جـ ٢ ، ص ٣٠٢ — ٣٠٧ . (٣) A.H. Layard : *Early Adventures in Persia, Susiana and Babylonia* ، لندن سنة ١٨٨٧ ، جـ ١ ، ص ٢٨٨ — ٢٩١ (٤) Mrs. Bishop : *Journeys in Persia and Kurdistan* ، لندن سنة ١٨٩١ ، جـ ٢ ، ص ١٣٠ — ١٣٢ (٥) سرتيپ رزمارا وسرتيپ نوتاش : فرهنگ جغرافياى إيران ، طهران سنة ١٣٣٠ هـ = ١٩٥١ م ، جـ ٦ ، ص ٤٧ .

خورشيد (لوكهارت L. Lokhart)

«بَرُودَة» : ولاية في الهند بإقليم كجرات تتألف من أربعة أجزاء منفصلة بعضها عن بعض داخلة في حدود مقيمية بومباى وحاكمها مراطها يلقب بـ «گيكوار» وهو لقب العائلة . وتبلغ مساحة برودة ٨٠٩٩ ميلا مربعاً ؛ وفي عام ١٩٠١ م بلغ عدد سكانها ١,٩٥٢,٦٩٢ نسمة منهم ١٦٥,٠١٤ مسلمون ؛ ودخل هذه الولاية ١٦,٤٨٦,٠٠٠ روبية .

ونستدل من أسوار مدينة برودة التي على نهر ڤشوامترى على أنها أنشئت في العهد الإسلامي . وفي سنة ١٩٠١ بلغ عدد سكان هذه المدينة ١٠٣,٧٩٠ نسمة . وكان في خدمة الگيكوار دائماً سرادرة من المسلمين ومرتزقة من العرب والروهيلا لايزال أحفادهم يتناولون معاشاً من الحكومة إلى اليوم . وقد حافظ الگيكوارية على حضور الاحتفال الرسمي بعيد رأس السنة الهجرية .

وتوجد في مدينة برودة سجادة أمر بصنعها للحرم النبوى بالمدينة خَنْده راو (الگيكوار من عام ١٨٥٦ إلى ١٨٧٠ م) . ويقدر ثمنها بأربعمائة ألف جنيه . وقد وصف سير جورج واط George Watt في كتابه *Indian Art At Delhi* (سنة ١٩٠٣ ، ص ٤٤٤) هذه السجادة فقال إن فرشها من حبات اللؤلؤ وصنعت رسومها العربية ذات اللونين الأزرق والأحمر من خرز من الزجاج الإنكليزى . كما انتثرت فيها حلى وورود من الماس والمرجان والزمرد .

المصادر :

Baroda Gazetteer. ، كلكته سنة ١٩٠٨ .

[J.S. Cotton كتن]

+ برودة : كانت من قبل قصبة الولاية الهندية المعروفة بهذا الاسم ، وقد أدمجت الآن في مدهيا بهارات ، وتقوم على خط عرض ٢٢° ١٨ َ شمالا ، وخط طول ٧٣° ١٥ َ شرقاً ، على نهر ڤشوامترى ، وقد بلغ عدد سكانها سنة ١٩٥١ : ٢١١,٤٠٧ نسمة ؛ وتعرف عند سكانها باسم «وَدُودَرَه» ويقال إن هذا الاسم تحريف للكلمة السنسكريتية «ڤتودَر» ومعناها «في قلب شجر التين الهندى» ولايزال هذا الشجر كثيراً في أرباضها ؛ وكلمة «بَر» معناها في الأردية أيضاً «شجرة التين الهندى» ؛ وكان للمدينة اسم قديم هو «ڤيركَشِتْرا» أو «ڤيراوَتى» ، ومعناها «أرض المحاربين» وقد استعمله مع القرن الحادى عشر الهجرى (السابع عشر الميلادى) شاعر كجراتى هو پَرِمانَنْد . ويسمى الرحالة الإنكليز المتقدمون المدينة باسم «بَرودِرَه» ؛ وكانت المدينة محاطة بأسوار القلعة القديمة التي تقوضت الآن .

ويرتبط تاريخ برودة ارتباطاً وثيقاً بتاريخ كجرات : وفي سنة ١١٤٠ هـ (١٧٢٧م) انتزعها پلاجى گايكوار من سَرْبُلَنْد خان أمير كجرات المغلى ، وكان پلاجى هذا رأس الأسرة التي حكمت برودة حتى سنة ١٩٤٩ ، وهي السنة التي أدمجت فيها برودة في الاتحاد الهندى .

وفى سنة ١١٤٤ هـ (١٧٣١ م) حاصر پيشوا راجى رآو المدينة لطرد پلاجى منها ولكنه اضطر إلى رفع الحصار عنها حين علم أن نظام الملك آصف جان يهم بمهاجمته . ولكن حدث فى السنة التالية نفسها (١١٤٥ هـ — ١٧٣٢ م) أن قتل پلاجى واستغل أبهى سنغ حاكم جودهپور ، الاضطراب الذى حدث فاستولى على القلعة وعلى المدينة . واسترد داماجى — الذى خلف پلاجى فى حكم بروده — المدينة سنة ١١٤٧ هـ (١٧٣٤ م) . ثم دخل من بعد فى حلف مع مؤمن خان حاكم كجرات المغلى . وكان داماجى من زعماء المهارظا الذين قاتلوا أحمد شاه درانى سنة ١١٧٥ هـ (١٧٦١ م) فى معركة پانيپت الثالثة . فلما توفى داماجى احتل المدينة أصغر أبنائه فتح سنغ لحساب أخيه الأكبر المعتوه ساياجى رآو ؛ وظل بيت گايكوار يحكم المدينة مستقلا بأمرها حتى سنة ١٢٧٣ هـ (١٨٥٦م) وهنالك انضمت هى والولاية إلى أملاك شركة الهند الشرقية .

وثمة عدة عمائر جميلة فى بروده بما فى ذلك « لكشمى ڤلاس » القصر الأكبر الذى شيد على الطراز الهندى العربى وبلغت تكاليفه أربعمائة ألف جنيه إنكليزى . ومن بين نفائس الولاية قطعة من القماش بديعة التطريز مرصعة بالأحجار الكريمة واللآلئ حيكت لتكون كسوة لقبر النبى صلى الله عليه وسلم فى المدينة . ولبرودة مكتبة عامرة ، وقد نشر معهد گايكوار للدراسات الشرقية بها عدداً من الكتب الفارسية عن تاريخ الهند الإسلامى ؛

المصادر :

(١) The Story of the Integration : V.P.Menon of the Indian States ، كلكتة سنة ١٩٥٦ ، ص ٤١٦—٤٣٤ : (٢) Imperial Gazetteer of India ، أوكسفورد سنة ١٩٠٨ ، جـ ٧ ، ص ٣١—٤٠ ، ٨١—٨٤ . (٣) سارابهاى : حديقت سركار گايكوار (مخطوط بمكتبة وزارة الهند ، رقم ٤٥٢٥) : (٤) Rulers of Baroda : F. A. H. Elliot (٥) White Paper on Indian States : سنة ١٩٥٠ .

[خورشيد A.S. Bazmee Ansari بزمى أنصارى]

« برُوسَة » ويعرفها الأتراك باسم بورسه ، وكانت تعرف قديماً باسم پروسا Prusa : مدينة على خط طول ٢٦° ٤٠َ شرقاً . وخط عرض ٤٠° ٣١َ شمالا ، عند سفح جبل كشيش . واسمه القديم أوليمپوس Olympus ، وبلغ عدد سكانها سنة ١٩٠٧ (٦٦,١٥١ نسمة) .

ويربط بروسة بثغر « مُدانْيَة » خط حديدى . وأهم ما يشتغل به أهلوها تربية دودة القز ، وهم يصدرون أيضاً النبيذ وريت الزيتون والأفيون والفواكه . وبالقرب من مدينة بروسة ، وعلى مسافة منها قرية چكرگه ، وبها حمامات ساخنة شهيرة بمياهها الكبريتية الحديدية ، ويتردد عليها أناس كثيرون ؛ ومن آثار بروسة المساجد التى شيدها السلاطين الأولون من آل عثمان وبخاصة « يشيل جامع » الذى شيده السلطان محمد الأول

و «أولو جامع» ومسجد مراد الثانى ، وفيه أضرحة السلاطين ، ومسجد ييلدرم .

وأصبح لبروسة شأن فى الإسلام بعد أن استولى عليها أورخان بن عثمان سنة ٧٢٦ هـ (١٣٢٦ م) واتخذها مقراً له ، وظلت بعده مقر السلاطين إلى أن فتحت القسطنطينية . وكانت مدينة بروسة حاضرة ولاية خداوندگار .

المصادر :

(١) أوليا چلبي : سياحتنامه : (٢) على جواد جغرافيا لغاتى ، ص ١٧٠ وما بعدها . (٣) بليغ : گلدسته رياض عرفان ووفيات دانشوران . (٤) لمعى : Die Verherrlichung der Stadt Brussa ، نقله إلى الألمانية Pfizmaier ، ڤينا سنة ١٨٢٩ . (٥) Cuinet : La Turquie d'Asie ، جـ ٤ ، ص ١٢٠ وما بعدها . (٦) Baedeker : konstantinopel und kleinasien ، ص ١٤٠ وما بعدها : (٧) H. Barth : konstantinopel ، ص ١٣٠ وما بعدها . (٨) خداوندگار سالنامه سى ، سنة١٣٢٥ ، انظر مجلة Revue du monde musluman جـ ٥ ، ص ١٤٥ وما بعدها . (٩) H. Wilde : Brussa ، فى الجزء الثالث عشر من Beiträge zur Bauwissenschaft ، سنة ١٩٠٩ . (١٠) وانظر فيا يختص بمدينة بروسة قبل دخول الإسلام فيها Pauly : Realwoerterbuch etc.

+ بورسه : ويطلق عليها العثمانيون أيضاً اسم بروسه ، نسبة إلى مدينة پروسا القديمة (پروسا باليونانية) على سفوح التلال الشمالية من جبل أولمبوس الميسى Mysian Olympus ، وأصبحت قصبة الدولة العثمانية بين عامى ٧٢٦ — ٨٠٥ هـ (١٣٢٦ — ١٤٠٢ م) .

وقد تحدث پخيمرس Pachymeres عنها وعن نيقية Nicaea وفيلادلفيا Philadelphia ، باعتبارها إحدى ثلاث مدن رئيسية كانت لاتزال فى أيدى البوزنطيين عندما غزا الأتراكُ المقيمون على الحدود غربىَّ الأناضول بأسره حوالى سنة ٦٩٩ هـ (١٣٠٠ م) .

ويقول عاشق پاشا زاده (طبعة Fr. Giese ، ص ٢٢ — ٢٣) إن العثمانيين استطاعوا أن يضربوا الحصار على بروسه لأول مرة عندما غزوا سهل بورسه بعد انتصارهم على تكفور (انظر هذه المادة) أمير بورسة البوزنطى ، الذى تحالف مع التكفوريين الآخرين وحاول وقف زحف العثمانيين عند ممر دينبوز Dinboz حوالى سنة ٧١٧ هـ (١٣٠٨ م) ، وفشل هذا الحصار الأول ، واضطرت المدينة إلى التسليم للعثمانيين (٢ جمادى الأولى سنة ٧٢٦ هـ = ٦ أبريل سنة ١٣٢٦ م) تحت وطأة الجوع ، وإلى أداء جزية باهظة (Pachymeres : فى الموضع المذكور ، وفى نشرى ، طبعة تيشنر Taeschner جـ ١ ، ص ٣٩ ، ٣٠,٠٠٠ فلورى flori) وذلك بعد حصار دام عدة سنوات (انظر عاشق پاشا زاده ، ص ٢٨ — ٢٩ ؛ ابن بطوطة ، طبعة باريس سنة ١٨٧٧ ، جـ ٢ ، ص ٣١٧ ؛ پخيمرس Pachymeres فيما نقله عنه A. Waechter فى :

، *Der Verfall* [redacted] *Griechentums* [redacted] *kleinasien* ليبسك سنة ١٩٠٣ [redacted] ص [redacted]) [redacted] وسمح للقائد البوزنطى بمغادرة بورسه إلى إستانبول ، بيد أن صاروز (؟) كبير مستشاريه الذى كان مسئولا عن التسليم ، بقى مع العثمانيين (عاشق پاشا زاده [redacted] ص ٢٩ ؛ نشرى ، حـ ١ ، ص ٣٩) .

وظل رئيس الأساقفة اليونانى فى بورسه يؤدى واجبه هناك فى عهد العثمانيين ، غير أن موارده نقصت إلى حد كبير (A. Waechter [redacted] الموضع المذكور) : والظاهر أن اليونان نقلوا من القلعة إلى ناحية أسفلها [redacted] حيث ظلوا يذكرون فى سجلات القاضى فى القرن الخامس عشر . وأقام العثمانيون والحاشية بالقلعة نفسها . وفى خبر رواه ب. ده لابروكير B. de La Broquière سنة ٨٣٦ [redacted] (١٤٣٢ م) أن القلعة كانت تضم ١٠٠٠ منزل . ويوجد وصف آخر لها سنة ١٠٥٠ هـ (١٦٤٠ م) فى كتاب أوليا چلبى (مجلد ٢ ، ص ٩). واتخذ أورخان (انظر هذه المادة) قصره (بك — سرايى) داخل أسوارها بالقرب من الكنيسة البوزنطية التى حولت إلى مسجد (ابن بطوطة [redacted] حـ [redacted] ص ٣٢٢) . ويسمى هذا الموضع الذى يطل على السهل باسم طوپخانه اليوم . وثمة نقش يرجع إلى عام ٧٣٨ [redacted] (١٣٣٧ — ١٣٣٨ م) وجد بالقرب منه يدل على أنه كان لأورخان أيضاً مسجد شيد هناك [أ. توحيد : بورسه‌ده إسكى كتابه ، فى تاريخ عثمانى أنجمنى مجموعه سى ، حـ ٥ ، ص ٣١٨ — ٣٢٠) .

واتخذ أورخان مدينة بورسه عاصمة له ، وضرب أول سكة فضية له فيها، وهى الآقچه سنة ٧٢٧ هـ (١٣٢٧ م ؛ بلتن ، حـ ١٠ ، ص ٢٠٧) وفى سنة ٧٤٠ هـ (١٣٣٩ — ١٣٤٠ م) شيد مسجداً وعمارة وحماماً وخاناً (بك — خانى) على السهل أسفل القلعة .

وأصبحت هذه المجموعة من المبانى العامة سرة بورسه العثمانية ولا يزال هذا المكان أنشط مركز تجارى فى بورسه . وبرزت إلى الوجود فى هذه الفترة أحياء جديدة مثل علاء الدين بك وچوبان بك وقوجه نائب ، ووصف ابن بطوطة (المصدر المذكور) مدينة بورسه حوالى سنة ٧٣٤ [redacted] (١٣٣٣ م) فقال إنها مدينة كبيرة عظيمة ذات أسواق جميلة وطرق واسعة .

وأنشأ السلاطين وكبار العمال إبان العهود التالية مراكز دينية وتجارية فى الربوع الأخرى من الناحية وتبرعوا لها بهبات سخية . وأصبحت هذه المراكز نُوَيّات الأقسام الجديدة لمدينة بورسه مثل يِلْدرِم [redacted] وأمير سلطان [redacted] وسلطان محمد (يشيل اليوم) ... إلخ . واتسعت رقعة المدينة اتساعاً كبيراً بصفة خاصة إبان عهد بايزيد (انظر هذه المادة) . وشيّد أولو جامع ، والمسجد الجامع، سنة ٨٠٢ هـ (١٣٩٩ م) . ويقول شاهد عيان معاصر هو ج. شلتبرغر J. Schiltberger [redacted] تضم المدينة مائتى ألف منزل (؟) وثمانية مستشفيات (عمارت) تتلقى المرضى سواء كانوا مسيحيين أو كفاراً أو يهوداً ؛ (طبعة تلفر Telfer ،

ص ٤٠) . وقامت كتيبة من جيش تيمور ، بعد انتصاره على بايزيد الأول عام ٨٠٤ هـ (١٤٠٢ م) بنهب بورسه وإشعال النار فيها . وحلت مدينة أدرنة (انظر مادة « أدرنه ») محل بورسه منذ ذاك ، وأصبحت دار السلطنة فى الدولة العثمانية . ومع ذلك فقد حاول كل فريق جاهداً أثناء الحرب الأهلية (٨٠٦ — ٨١٦ هـ = ١٤٠٣ — ١٣ م) أن يسيطر على بروسة وكذلك على أدرنة . واستردت المدينة سريعاً أهميتها السابقة واتسعت رقعتها إلى حد كبير إبان العهد الزاهر لمراد الثانى (انظر هذه المادة) الذى أجلس على العرش فيها . وأنشئت الأحياء الجديدة التى عرفت بأسماء : السلطان مراد، وفضل الله پاشا ، وحاجى عوض پاشا ، وحسن پاشا ، وأومور بك ، وجبه على بك ، وشهاب الدين پاشا : وريحان الذين تبرعوا بأموالهم لإنشائها .

وفى عام ٨٣٦ هـ (١٤٣٢م) كتب ب . ده لابروكيير B. de La Broquière معلقاً : « إن مدينة بورسة هذه جد رائعة ، وهى مدينة تجارية وتعد أحسن مدينة لدى الأتراك » . وقبل أن يتخذ محمد الثانى (انظر هذه المادة) من إستانبول عاصمة له ، كانت بورسة قد بلغت مرتبة جعلتها نداً لها ، بيد أن الكثيرين من أهالى بورسه أمروا بالتزوح إلى العاصمة الجديدة ، على أن بروسه أفادت اقتصادياً من اتساع رقعة الإمبراطورية فى عهد هذا السلطان ، وفضلا عن هذا فإنه ظل يستخدمها مركزاً لقيادة حملاته فى الشرق . وأثناء الحرب الأهلية التى نشبت عقب وفاته عام ٨٨٦ هـ (١٤٨١م) انضم أهالى بروسة إلى جانب جم (انظر هذه المادة) الذى مكّن لنفسه فيها بوصفه سلطاناً مدة ١٨ عاماً ، وأمر بضرب السكة باسمه وفكر فى أن يحكم ، على الأقل ، الأناضول ويتخذ بروسة عاصمة له . وظلت المدينة تعد إحدى ثلاث عواصم للإمبراطورية ، واحتفظ السلاطين بقصر بروسة وأقاموا به من حين إلى حين فى أواخر القرن الحادى عشر الهجرى (السابع عشر الميلادى ؛ بچوى ، جـ ٢ ، ص ٣١٣ ؛ أوليا چلبى ، جـ ٢ ص ١٠) .

ونستطيع أن نكون فكرة عن كثرة عدد سكان المدينة من الأرقام التى تضمنتها سجلات العوارض (انظر هذه المادة) العثمانية من وحدات الأسر . مثال ذلك أنه كان هناك ٥٠٠٠ من عوارض الأسر فى عهد محمد الثانى ، ٦٤٥٦ منها فى عام ٨٩٢ هـ (١٤٨٧م) ، ٦٣٥١ منها عام ٩٣٦ هـ (١٥٣٠م) . وفى منتصف القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) أبدى پ . بيلون P.Belo : *les observations* ، ص ٤٥١) ملاحظة قال فيها : « لا تزال بورسة حتى اليوم غنية وعامرة بالسكان مثل القسطنطينية . بل إننا نستطيع أن نقول زيادة على ذلك إنها أعظم رخاء من القسطنطينية ، ذلك أن رخاء بورسه ينبع من ذاتها » .

وفى عام ٩٨٥ هـ (١٥٧٧ م) شيدت أبواب متينة أقيم عليها حراس بين الأحياء لأسباب تتعلق بمقتضيات الأمن بناء على أمر خاص أصدره السلطان . وكان الألبانيون الذين نزحوا من الروملّى

إلى المدينة وقتذاك قد أصبحوا مصدر تهديد حقيق (وثائق فى ت. داغلى أوغلى: ١٦عصرده بورسه، بورسة سنة ١٩٤٣) . ثم هددت عصابات الجلالى (انظر هذه المادة) المدينة منذ عام ١٠٠٣ هـ (١٥٩٥ م) وفى عام ١٠١٧هـ (١٦٠٨م) قدم قلندر أوغلى (انظر هذه المادة) لسلبها ونهبها (نعيما ، جـ ١ ، إستانبول سنة ١٢٨٣هـ ، ص٢٧).

وكانت بورسه أهم مدينة فى سنجق يسمى خُدَاوَنْدِگار أو « بك » فى إيالة الأناضول (انظر هذه المادة) . وأصبحت بورسه عام ١٢٤٨هـ (١٨٣٢ م) قصبة إيالة خُدَاوَنْدگار المنشأة حديثاً التى كانت تضم متصرفليات بورسه ، وقره حصار ، وكوتاهيه ، وبيله جك ، وإردك، وبيغا ، وعندما أنشئت ولاية خداوندگار عام ١٢٨١ هـ (١٨٦٤م) مع ألوية : قارص ، وقوجه ألى، وقره حصار ، وكوتاهية، أصبحت بورسه مقر الوالى . وبلغ عدد سكانها عام ١٣١٠ هـ (١٨٩٢م) ٧٦,٠٠٠ نسمة ، منهم ٥,١٥٨ من اليونان و ٧,٥٤١ من الأرمن ، ٢,٥٤٨ من اليهود والباقى مسلمون . وكانت تضم ١٦٥ مسجداً و٥٧ معهداً و٢٧ مدرسة و٧ عمارات و٧ كنائس و ٣ معابد لليهود و٤٩ خاناً و ٣٦ مصنعاً (خداوندگار ولايتى سالنا مه سى لعام ١٣١٠ هـ = ١٨٩٢م) .

ويمكن القول إن بروسه كانت لها أهمية اقتصادية أكبر من أهميتها السياسية فى التاريخ العثمانى . وسرعان ما أصبحت سوقاً دولية كما كانت ، فى عهد العثمانيين ، ومركزاً من أقرب المراكز الإسلامية للعالم المسيحى . والحق إن قوافل الحرير الإيرانى ازداد وصولها إلى سوق بروسه وتخلت إلى حدما عن أسواقها القديمة مثل طرابزون وحلب . وكانت بورسه حوالى عام ٨٠٢ هـ (١٤٠٠ م) من المراكز الدولية لتجارة الحرير وصناعته ، كما يمكن أن يفهم مما كتبه شلتبرغر Schiltberger (ص ٣٤) . وكان الطريق الرئيسى لقوافل الحرير يمر بمدن تبريز وأرضروم وتوقاد . وتحولت إلى هذه المدينة وقتذاك طرق أخرى هامة للتجارة : ويبدو أن الطريق القطرى القديم حلب — قونية — كوتاهية قد استعاد أهميته أثناء هذه الفترة : وفى عام ٨٣٦هـ (١٤٣٢م) انضم ب. ده لابروكيير B. de La Broquière (ص ٥٥ — ٥٩) إلى قافلة متجهة من دمشق إلى مكة سارت فى هذا الطريق ، وبيعت التوابل التى جلبتها إلى تجار پيرا Pera الجنويين فى بورسه . وازدادت أهمية طريق دمشق — حلب — بورسه من جهة ، والطريق البحرى من أنطالية إلى الإسكندرية من جهة أخرى ، أثناء القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى) بسبب نشاط التجارة فى التوابل والسكر والأصباغ والصابون والعطور الواردة من مصر والشام إلى بورسه . وفضلا عن هذا فإن التجار القادمين من الهند استخدموا هذه الطرق عند مجيئهم إلى بورسه من أجل التجارة . وعلى هذا فإن وكلاء محمود گاوان (انظر هذه المادة) ، مثلا ، كانوا يستوردون لبورسه السلع الهندية حوالى عام ٨٨٥هـ (١٤٨٠ م) ولا شك أن هذه التجارة كانت بالنسبة لأهالى فلورنسة من الأهمية بمكان عام ٨٧٤ هـ (١٤٧٠ م) ، إذ تحقق أملهم فى الحصول على

حاجتهم من التوابل من سوق بورصه . ولكن يجب أن يضاف إلى هذا أن تجارة التوابل لم تزدهر هناك قط ازدهاراً يجعلها تنافس الأسواق المصرية بسبب ارتفاع الأسعار فى بورسه . وفى عام ٨٩٢ﻫ (١٤٨٧م) تقريباً بلغت المكوس على كميات الأصباغ والفلفل الواردة إلى بورسه مائة ألف آقچه (حوالى ٢,٥٠٠ بندقى) سنوياً (باشوكالت أرشيوى ، إستانبول ، طاپو دفتر رقم ٢٣ ، مقاطعات بورسه) . ولكن بورسه ظلت أهم مركز تجارى للسلع الشرقية الواردة لإستانبول وبلاد البلقان بل شرق أوربا حتى القرن الحادى عشر الهجرى (السابع عشر الميلادى) .

وكانت تجارة الحرير وصناعته فى بورسه أساس رخائها . وكانت القوافل القادمة من تبريز تجلب لبورسه حرير جيلان وأستراباذ وسارى الثمين ، وكان الحرير سلعة رائجة جداً هناك كما تشهد بذلك سجلات القضاة فى بورسه (المحفوظة اليوم فى متحف بورسه) ووثائق مديتشى Medici (نشرها جـ. ر. ب. ريتشاردز G.R. B. Richards *Florentine Merchants in the Age of the Medici* كمبردج ، ماساشوستس سنة ١٩٣٢) . وكان الجنويون والبنادقة والفلورنسيون ، الذين كان لهم عادة وكلاء فى بورسه ، يدخلون فى منافسة حادة لشراء أكبر قدر مستطاع من الحرير ، ودرج العمل فى هذه التجارة على مبادلة الحرير بالقماش الصوف الذى كانوا يستوردونه . وفى عام ٩٠٦ﻫ (١٥٠١ م) قدر مارنغى Maringhi وهو وكيل لبيت مديتشى Medici فى بورسه ، أن شحنة واحدة (fradello) من الحرير تعود بربح قدره من ٧٠ إلى ٨٠ بندقياً . وبلغت القيمة الإجمالية للحرير المستورد هناك من إيران عام ٨٨٤ﻫ (١٤٧٩ م) حوالى ١٥٠ ألف بندقى . وقد استهلك معظم هذا الحرير فى صناعة الحرير المحلية . واتضح من تفتيش رسمى عام ٩٠٧ﻫ (١٥٠٢م) أن أكثر من ألف نول كانت تعمل فى هذه الصناعة فى بورسه (بورسه احتساب قانونى ، طبعة أ . ل . بارقان O. L. Barkân ، تاريخ وثيقه لرى در گيسى ، جـ٧ ، ص ٣٠) . وكانت هذه الصناعة فى أيدى أفراده وقد أقامت فى هذه المدينة طبقة بورجوازية من المسلمين الموسرين . وكانت الطبقة العليا والطبقة المتوسطة من الأهالى قرابة ٧٠ ٪ من سكان بورسه فى النصف الثانى من القرن الخامس عشر (انظر اقتصاد فاكولته سى مجموعه سى ، إستانبول ، جـ١٥ ، الأعداد ١ — ٤ ، ص ٥٥ — ٥٧) . وكان العمال فى صناعة الحرير فى الأغلب الأعم من الأرقاء ، وقد أعتق الكثيرون منهم بعد حين ، وأصبحوا بدورهم من أصحاب الأعمال . وتتحدث لوائح الاحتساب (انظر هذه المادة) المذكورة آنفاً بالتفصيل عن مختلف الجماعات التى كانت تشتغل بهذه المهنة والعمليات التى تصنع بها ضروب الحرير المختلفة . وكانت أقمشة الديباج الثمينة (كمخا) والمخمل المذهب (مذهب قديفه) ، التى تصنع فى بورسه ، تصدر إلى أوروبا ومصر وإيران ويزداد فيها الطلب عليها ، بيد أن أكبر المستهلكين لها كانوا

من البلاط العثمانى (انظر ت. أوز ، توورك قماشلرى ، إستانبول سنة ١٩٤٦ ؛ ر. أنهكَرَ وخليل إينالجق ، قانون نامه سلطانى بر موجب عرف عثمانى ، أنقرة سنة ١٩٥٦ ، ص ٣٦). وكانت بورسه تنتج أقمشة حريرية رقيقة تسمى الواله والتافتا (تفتاه) وكانت تصدر بكميات كبيرة لاستعمالها على نطاق واسع.

ومما يثبت النشاط التجارى العظيم فى بورسة الخانات الكثيرة التى شيدت فى القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى) مثل إيبك خانى الذى أقيم فى عهد محمد الأول، ومحمود باشا خانى الذى أقيم فى عهد محمد الثانى، والخانين الكبيرين قوزه ـ خانى وپيرينج خانى، وقد بنيا فى عهد بايزيد الثانى. وأصبحت بورسه أيضاً مستودعاً للمنسوجات القطنية الواردة من غربى الأناضول، وكانت تصدر بصفة خاصة إلى الروملى وشرقى أوروبا. وبلغت حصيلة ضريبة الدخل السنوية على السلع المستوردة لبورسه حوالى ١٤٠ ألف بندقى عام ٨٩٢ هـ (١٤٨٧ م؛ باشوكالت أرشيوى، طاپو دفتر رقم ٢٣). وكانت أكبر دار لسك النقود (انظر مادة «ضربخانه») النحاسية والفضية تقوم فى بورسه، وكان هذا الاحتكار يعود عليها بدخل سنوى يقدر بمبلغ ٦٫٠٠٠ بندقى فى هذا التاريخ.

وحاول عباس الكبير بين عامى ١٠٠٧ (١٥٩٩ م) و١٠٣٧ هـ (١٦٢٨ م) أن يحول تجارة الحرير الفارسى عن السوق العثمانية (انظر بلتّن، عدد رقم ٦٠، ص ٦٦٥) فاستحث هذا العثمانيين على تشجيع إنتاج الحرير فى بورسه وضواحيها. وفى القرن الثانى عشر الهجرى (الثامن عشر الميلادى) أدى إنتاج نوع جيد من الحرير فى أوروبا (إيطاليا وفرنسا) ومنافسة أزمير (انظر هذه المادة) بوصفها سوقاً للسلع الشرقية إلى التأثير فى رخاء بورسة السابق (P. Masson : *Hist. du Commerce Français dans le Levant*، باريس سنة ١٩١١، جـ ٢، ص ٤٩٢). ومهما يكن من شىء فإنها ظلت تنتج القماش الحريرى البورسى للاستهلاك الداخلى. وفى القرن الثالث عشر الهجرى (التاسع عشر الميلادى) غزت المنتجات الرخيصة من القطن والحرير الواردة من أوروبا هذه السوق المحلية أيضاً. وكتب د. ساندسون D. Sandison، القنصل البريطانى فى بورسه عام ١٢٦٢ هـ (١٨٤٦ م) يقول: «كانت أقمشة بورسه الحريرية والقطنية تتدهور دائماً وينصرف الناس عنها» (*Public Record Office*، *For. Off.* ٧٠١، ٧٨ر). وكان الطلب شديداً فى بورسه نفسها على الأقمشة البريطانية والألمانية والسويسرية التى تعد تقليداً لأقمشة بورسه الحريرية والقطنية. بيد أن بورسه قد أتيح لها أن تنجو من مصير يجعلها مجرد منتجة للحرير الخام اللازم للبلاد الغربية وذلك بفضل إدخال القوة البخارية فى الصناعة المحلية. وبلغ عدد آلات الحلال ٣٥ بعد ذلك بخمسة وعشرين عاماً، ووصل إنتاج الحرير الخام إلى ألف طن عند ما حل عام ١٣٣٢ هـ

(١٩١٤ م) ؛ وتأثر هذا الازدهار إلى حد كبير فى فترة حرب الاستقلال (١٣٣٧ – ١٣٤١ ه = ١٩١٩ – ١٩٢٢ م) ؛ ولكن تحقق بعض الانتعاش فى إنتاج الحرير (١٤٠ طنا من الحرير الخام عام ١٩٥٨) بسبب السياسة التى انتهجتها الجمهورية التركية لحماية التجارة. ومن جهة أخرى فإن صناعة النسيج فى بورسه أحرزت تقدماً هائلا لأن الحرير الصناعى وفر حينئذ المادة الخام (٦٫٠٠٠ نول تعمل بالطاقة عام ١٩٥٨). وفضلا عن هذا فإن إنشاء مصنع كبير للمنسوجات الصوفية عام ١٩٣٨، دعم الصفة الصناعية للمدينة؛ وتضاعف عدد سكانها تقريباً من ٧٧٫٠٠٠ نسمة عام ١٩٤٠ إلى ١٣١٫٠٠٠ نسمة عام ١٩٥٥.

المصادر :

النقوش (١) : ا: توحيد: بورسه ده اسكى إسكى كتابه، فى تاريخ عثمانى أنجمنى مجموعه سى، جـ ٥، ص ٣١٨ (٢) الكاتب نفسه : بورسه ده أومور بك جامع كتابه سى، فى تاريخ عثمانى أنجمنى مجموعه سى، جـ ٣، ص ٨٦٥ (٣) إيلك آلتى پادشا همزك بورسه ده كائن تربه لرى، فى تاريخ عثمانى أنجمنى مجموعه سى، جـ ٣، ص ٩٧٧ و ١٠٤٧ (٤) م. عارف : بورسه ده ولد يانيج جامعى فى تاريخ عثمانى أنجمنى مجموعه سى، جـ ٣، ص ٩٦٧ (٥) هـ. ب. كونتر : كتابه لرمز وثيقه لردر گيتسى، جـ ٢ (١٩٣٨)، ص ٤٣٧ – ٤٤٧ (٦) م. ضيا : بورسه ده كى تربه لرمز ده عبر مكتوب كتابه لر، فى تاريخ عثمانى أنجمنى مجموعه سى، جـ ١٠ – ١٣، ص ١٢٩ (٧) Fr. Taeschner: *Beitraege zur fruehosmanischer Epigrafik und Archaeologie*، فى *Der Islam*، جـ ١٨، ص ٦٠؛ جـ ٢٠، ص ١٠٩، جـ ٢٢، ص ٦٩ (٨) R. Mantran: *Les inscriptions arabes de Brousse*، فى *B. Et. Or.* جـ ١٤ (١٩٥٢)، ص ٨٧–١١٤ (٩) الآثار: F. Wilde: *Brussa, eine Entwicklungsstaette tuerkischer Architektur in Kleinasien unter den ersten Osmanen*، برلين سنة ١٩٠٩ (١٠) A. Gabriel: *Une capitale turque, Brousse*، پاريس سنة ١٩٥٩ (١١) س. ع. چتين صاش : تورك معمارى أكيتلرى، عثمانلى دورى، بورسه ده إيلك أثرلر، إستانبول سنة ١٩٤٦ (١٢) ك. مايقال : بورسه واكيتلرى، بورسه سنة ١٩٥٠ (١٣) كامل كپه جى أوغلى : بورسه خانلرى، بورسه سنة ١٩٣٥ (١٤) الكاتب نفسه : بورسه حمام لرى، بورسه سنة ١٩٣٨ (١٥) **وثائق**: خ إينالجق : بورسه شرعيه سجللرنده فاتح سلطان محمد اكث فرمانلرى، فى بلتين، عدد ٤٤، (سنة ١٩٤٧)، ص ٦٩٣ – ٧٠٨ (١٦) الكاتب نفسه : ١٥ عصر تركيه اقتصادى واجتماعى تاريخى قاينا قلرى، اقتصاد فاكولته سى مجموعه سى، إستانبول، جـ ١٥، أعداد رقم ١ – ٤ (١٩٥٣ – ٥٤)، ص ٥١ – ٥٧ (١٧) هـ. طوزجان داغلى أوغلى : ١٦ عصرده بورسه، بورسه سنة ١٩٤٣ (١٨) عدد من الوثائق المختارة من السجلات الرسمية لقضاة بورسه،

تشرت فى أولوداغ ■ بورسه خلق أوى دركيسى (١٩) ا : ل : برقان : قانون نامه احتساب بورسه (١٥٠٢) ، تأريخ وثيقه لرى دركيسى ، جـ ٢ ، ص ٧ و ١٥ — ٤٠ (٢٠) ا : عرضى : بورسه ده إسحاق درويشلر نده مخصوص زاويه تكْ وقفيه سى ، فى وقفلر دركيسى ، جـ ٢ (١٩٤٢) ، ص ٤٢٣ — ٤٢٨ (٢١) سر : بالدير زاده محمد : كتاب روضة الأولياء ، مخطوطة فى بورسه أورخان جامعى كتبخانه سى رقم ■ (٢٢) إسماعيل بليغ : گلدسته رياض العرفان ، طبعة أشرف ، بورسه سنة ١٣٠٢ (٢٣) أشرف زاده شيخ أحمد ضياء الدين : وفيات العرفا ، مخطوطة فى أورخان جامعى كتبخانه سى ، بورسه رقم ٥٨ (٢٤) الشيخ عبد اللطيف : روضة المفلحين ، أورخان جامعى كتبخانه سى (٢٥) الكاتب نفسه : بورسه (٢٦) خلاصة الوفيات ، سليمانيه كتبخانه سى ، أسعد أفندى كتابلرى (٢٧) باقيرجى راشد محمد أفندى : زبدة الوقائع در بلده جليله بورسه ، فاتح ملت كتبخانه سى ، إستانبول (٢٨) بورسلى محمد طاهر : عثمانلى مؤلفلرى ، جـ ١ — ٣ ، إستانبول سنة ١٣٣٣ — ١٣٤٢ (٢٩) رحلات : ابن بطوطة : الرحلة ، نشرها وترجمها C. Defrémery و B.R. Sanguinetti ، باريس سنة ١٨٥٣ — ٨ فى ٤ مجلدات (٣٠) J. Schiltberger : *Bondage and Travels* ، ترجمها عن طبعة K.F. Neumann الألمانية ونشرها T.B. Telfer ، فى مجموعة Hakluyt Society ، لندن سنة ١٨٧٩ ، ص ٤٠ (٣١) B. ■ La Broquière : *Le Voyage d'outremer* ، طبعة Ch. Schefer ، باريس سنة ١٨٩٢ ، ص ١٣٢ — ١٣٧ (٣٢) أوليا چلبى : سياحت نامه ، مجلد ٢ ، إستانبول سنة ١٣١٤ ، ص ٧ — ٥٥ (٣٣) كاتب چلبى : جهاننما ، إستانبول سنة ١١٤٥ ، ص ٦٥٧ — ٦٥٨ (٣٤) P. Belon : *Les Observations de plusieurs singularités et choses mémorables trouvées en Grèce ...* ، باريس سنة ١٥٨٨ ص ٤٥٠-١ (٣٥) I.P. de Tournefort: *Relation d'un voyage du Levant* ، جـ ٢ ، ليون سنة ١٧١٧ ، ص ٤٦٩ (٣٦) J. von Hammer : *Umblick auf einer Reise von Konstantinopel nach Brussa* ، پشت سنة ١٨١٨ (٣٧) A. Griesebach: *Reise durch Rumelien und nach Brussa im jahre* 1839 ، مجلدان ، گوتنگن سنة ١٨٤١ (٣٨) A.D. Mordtmann : *Anatolien, Skizzen und Reisebriefe aus Kleinasien* ، ١٨٥٠ — ١٨٥٩ هانوفر سنة ١٩٢٠ (٣٩) G. Perrot: *Souvenir d'un voyage en Asie Mineure* ، باريس سنة ١٨٦٤ (٤٠) P. de Tchihatcheff : *Asie Mineure* ، جـ ١ ، باريس سنة ١٨٦٦ (٤١) E. Haeckel : *Brussa und der asiatische Olymp* ، برلين سنة ١٨٧٥ (٤٢) V. Cuinet: *La Turquie d'Asie, géographie administrative* ، مجلد ■ ، باريس سنة ١٨٩٤ (٤٣) R. Hardtmann : *Im* [redacted] *Anatolie* ، ليبسك سنة ١٩٢٨ (٤٤) J. Lewis Farley : *The Resources of Turkey* ، لندن سنة ١٨٦٢ (نشر فيه تقرير ■ ساندسون

D. Sandison ، القنصل البريطانى فى بورسه ، وثمة تقارير مماثلة محفوظة فى Public Record Offic ، F.O. 195 ص ١١٣ و ٢٩٩و٣٩٣و٥٩٨و ٦٨٠ و٧٢١و ٧٧٤ (٤٥) سالنامات (حوليات) بورسه نشرت بانتظام ابتداء من عام ١٢٨٧ هـ (١٨٧٠ م) إلى عام ١٣٣٥ هـ (١٩١٧ م) (٤٦) دراسات : حسن تائب : خاطره ياخود مرآت بورسه ، بورسه سنة ١٣٢٣ هـ (٤٧) م: شمع الدين : يادگار شمسى ، بورسه سنة ١٣٣٢ (٤٨) ا: م: طورغود قويونلى أوغلى : إزنيق وبورسه تاريخى ، بورسة سنة ١٩٣٧ (٤٩) ك: بايقال : بورسه بنغيتلرى ، بورسه سنة ١٩٤٨ (٥٠) نشأت كوسه أوغلى : تاريخده بورسه محللرى ، بورسه سنة ١٩٤٦ (٥١) J. Soelch : Historisch-geographische Studie Byzantin-neugriech. jahrbuecher ueber bithynische Sudlungen-Nikomedia, Nikaea, Prusa جـ ١ ، سنة ١٩٢٠ (٥٢) A. Waechter ، Der Verfall des Griechentums in Kleinasien ، ليبسيك سنة ١٩٠٣(٥٣)جرائد ظهرت فى بورسه فى عهد الإدارة العثمانية وهى خداوندگار (رسمية) وبورسه . وگون — دوغدى ، وفوائد .

[H. Inalcik خ . إينالجق] آدم

+ « البُرَّيْجَة » : (انظر مادة « الحديدة »)

« بَريد » : كلمة عربية من الواضح أنها استعيرت من الكلمة اللاتينية Veredus ومعناها « دابة البريد » أو « حصان البريد » وثم « ناقل البريد » (الساعى) ، وأصبحت تدل بعد ذلك على النظام نفسه . وأطلقت آخر الأمر على المرحلة بين مركزى بريد ، وقد قومت هذه المرحلة بفرسخين فى بلاد فارس وأربعة فراسخ فى المغرب ، والفرسخ فى الحالين ثلاثة أميال .

ولم تقتصر الاستعارة على الاسم فقط ، بل إن نظام البريد الذى كان سائداً فى عهد الخلفاء قد أخذ عن البوزنطيين والفرس . وتؤيد الروايات الإسلامية نفسها هذا الأمر . ويقال إن معاوية عنى بشئون البريد وعممه عبد الملك فى أنحاء الدولة الإسلامية . وانتفع به الوليد فيما يتصل بمنشآته . وبنى عمر بن عبد العزيز خانات البريد على طريق خراسان ، بل إن العباسيين استعانوا به كثيراً إبان ثورتهم .

ويقول مؤرخو العرب إن هارون الرشيد هو الذى رتب البريد على أساس جديد بمعرفة وزيره المشهور يحيا البرمكى . وكان المقصود ببريد الدولة خدمة مصالحها فقط لا مصلحة الأفراد ، وهو لذلك أشبه بالبريد عند الرومان Cursus Publicus . ولم يكن الغرض منه حمل الأخبار فحسب بل نقل العمال والفرق الصغيرة من الجند وأمتعة البلاط وعمال الدولة . والدواب التى كانت تستعمل فى البريد إلى جانب الخيول هى البغال أو الجمال وفقاً لما تقتضيه الحال . وأصبح لصاحب البريد بمرور الزمن حق الإشراف على عمال الأقاليم . ويمكن أن يحمل صاحب هذا

المنصب فى عهود الخلفاء المستبدين على انتهاج الجاسوسية الخبيثة ، ولربما كان فى بعض الأحوال مصدر خطر على الأمراء أنفسهم . وكان لتنظيم البريد فى عهد العباسيين فضل إمدادنا ببياناتهم الرسمية عن مراكزه ، وقد استقت أقدم مصنفات العرب الجغرافية وأتمها معلوماتها من هذه البيانات .

ويقال إن البويهيين أغلقوا طرق البريد إلى بغداد لصالح ثورتهم . ومهما يكن من شىء فإن القلاقل التى حدثت فى القرون التالية عاقت سير البريد بانتظام ، إلا أنها لم تقض عليه .

ومما يجدر ذكره أن بنى زنكى قاموا بمجهودات فى سبيل نقل البريد بالجمال والحمام . وكانت إعادة تنظيم البريد من أهم الوسائل التى توسل بها السلطان العظيم الظاهر بيبرس الأول فى ربط أجزاء دولته بحاضرتها عندما بدأ فى توحيد قوى الإسلام فى المشرق عقب الحروب الصليبية . وفى عام ٦٥٩ ﻫ (١٢٦١ م) أعاد هذا السلطان ترتيب البريد وأقام غلماناً وخيولا للبريد على مراحل معينة فى سائر الطرقات المهمة بالمملكة . وبالرغم من هذا فإن البريد ظل يستعمل فى هذا العصر لصالح الحكومة فقط ولحمل العمال وناقل البريد . وعلاوة على هذه الوسائل فإن استعمال الحمام فى بريد الحكومة والتخاطب بالإشارة بإشعال النار كانا على جانب كبير من الأهمية . وابتدع نظام جديد كان البريد يرسل بمقتضاه بانتظام من الأقاليم إلى القاهرة مرتين كل أسبوع . وكان ناقل البريد يسير من القاهرة إلى دمشق فى أربعة أيام وأحياناً فى ثلاثة أيام فقط ، وإلى حلب فى أيام قليلة تبلغ الخمسة .

ومما يستحق الذكر أنه قد عملت الترتيبات فى عهد المماليك لحمل الثلج من دمشق إلى القاهرة ونشطت تجارة الأفراد نشاطاً عظيما بالنظر إلى تشييد الخانات وحفر الآبار وتأمين الطرق . ومما يدلنا على أن سلاطين المماليك المتأخرين وملوك المشرق الآخرين لم يهملوا شأن البريد وجود تلك الخانات التى لا زلنا نشاهدها فى الطرقات القديمة مثل الطريق المحاذى للبحر من دمشق إلى الغرب . ويمكننا أن نستخلص من كتاب «جهاننما» للحاج خليفة أن العثمانيين قد عنوا بالتجارة العامة . (انظر فيما يختص بالبريد فى العصر الحاضر مادة «بوسطة») .

المصادر :

(١) ابن خرداذبة وقدامة ، المكتبة الجغرافية العربية ، طبعة ده غويه ، جـ ٦ (٢) ابن فضل الله العمرى : التعريف بالمصطلح الشريف ، القاهرة طبعة سنة ١٣١٢ ﻫ ، ص ١٨٤ وما بعدها (٣) المقريزى : الخطط ، الطبعة الأولى ، جـ ١ ، ص ٢٢٧ : الطبعة الثانية ، جـ ١ ، ص ٣٦٧ (٤) Sprenger : *Die Post-und Reiserouten des Orients* ، ليبسك سنة ١٨٦٤ م (٥) A.V. Kremer : *Culturgeschichte des Orients unter den Chalifen* ، فينا سنة ١٨٧٥ م ، جـ ١ ، ص ١٧٠ و ١٩٢ وما بعدها (٦) Quatremère ، فى ترجمته لكتاب

السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزى ، باريس سنة ١٨٤٥ ، جـ ٢ ، ص ٢ ، ٨٧ وما بعدها .

[هارتمان R. Hartmann]

+ **بريد** : لفظ مشتق من الكلمة اللاتينية Veredus والكلمة اليونانية beredos (ولا يعرف أصلها على وجه التحقيق ولعله آشورى) أى « جواد البريد » . ويطلق عادة على مرفق البريد الرسمى والمخابرات فى الدول الإسلامية . ويطلق كذلك على المطية والرسول و « مرحلة » البريد . وكان نظام الخدمة البريدية الحكومية معروفاً فى عهد الإمبراطوريتين البوزنطية والساسانية ، ويبدو أن الخلفاء الأوائل إنما أرادوا أن يستعيروه منها ، ويؤيد أصله الأجنبى وجود اصطلاح لغوى للبريد بعضه فارسى . وقد نشط ديوان البريد للعمل منذ أيام بنى أمية . ويرى البعض أن عبد الملك أرسى دعائمه عندما أعاد وضع نظامه الداخلى . وكان ديوان البريد منذ مستهل الدولة العباسية يعد من أهم المرافق الحكومية وكان يعهد بإدارته إلى المقربين من الخليفة مثل جعفر البرمكى أو إلى خصيان القصر . ولقد طور الخلفاء على اختلافهم نظام مراحل البريد وكانت تشمل الإمبراطورية بأسرها فى منتصف القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) .

وإذا كنا نعرف ما فيه الكفاية عن نظام البريد الذى كان متبعا بالفعل فى العصر العباسى فإن الفضل فى ذلك يرجع إلى مصنفات ابن خرداذبة وقدامة التى ألفت خصيصا لكتاب الدولة فى القرنين الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) والرابع الهجرى (العاشر الميلادى) ، وأمدتهم بقوائم لمراحل البريد وكان فى الإمبراطورية مالا يقل عن تسعمائة وثلاثين مرحلة (سكة ، وتسمى أيضا رباط فى إيران ومركز البريد فى مصر) وتبعد كل منها عن الأخرى نظريا فرسخين (١٢ كم) فى إيران . وأربعة فراسخ (٢٤ كم) فى الولايات الغربية . وكان « المرتبون » مسئولين عن تأمين نقل « الخرائط » فى الأوقات المحددة . وكان الفيوج أو الفرانق (أى الرسل) يستخدمون غالبا بغالا فى إيران وإبلا فى الغرب ، ولكنهم كانوا فى بعض الأحيان أيضا يستخدمون خيولا . ومهما يكن من شىء فإن النظام ظل مرناً ، وكم من مرة ظهر خليفة أو وزير بل وال عادى وقام إلى حين بتعزيز مركز بريدى على طريق معين لأسباب سياسية أو عسكرية ؛ وكان الحمام يستخدم كذلك لإرسال الأنباء العاجلة . ولما كان ديوان البريد مرفقا رسميا فإنه كان لا ينقل الرسائل الخاصة إلا استثناء من القاعدة ، وكانت المطايا تستخدم أيضا لنقل الرجال عندما يكونون من عمال الدولة ، بل نحن نجد أن الهادى الخليفة الجديد يستفيد من البريد فى العودة إلى بغداد من جرجان بعد وفاة أبيه : (الطبرى جـ ٣ ، ص ٥٤٧ ؛ الجهشيارى : كتاب الوزراء ، طبعة القاهرة ، ص ١٦٧) .

وكان أصحاب البريد الذين يعملون تحت إمرة صاحب ديوان البريد لا يقتصرون فى واجباتهم على نقل الرسائل الرسمية الصادرة من عمال محليين أو من المصالح المركزية . ونحن نعلم واجبات هؤلاء الموظفين بفضل نص أورده الطبرى عن خلافة

المنصور وبراءة تنصيب عامل وردت فى كتاب قدامة : فقد كان على هؤلاء أن يمدوا الحكومة المركزية بكل المعلومات الضرورية عن حالة الولاية المعينين بها وما يقوم به عمالها من نشاط وعن موقف المفوضين فى جباية الخراج وإدارة أراضى صاحب التاج وأراضى القضاة وعن المركز المالى والاقتصادى . وامتد إشرافهم أيضا إلى والى الإقليم ، كما يتضح من خبر الاستقلال الذاتى الذى كان ينعم به طاهر (انظر هذه المادة) فى خراسان ، وكان يعهد إليهم ، فى بعض الحالات ، بواجب رفع المظالم (*Eclipse of the Abbasid Caliphate* ، جـ ١ ، ص ٢٥).

وكانت الأخبار التى يجمعها فى بغداد صاحب ديوان البريد ترسل مباشرة إلى الخليفة ، ويصدق ذلك على العصر الأول على الأقل . وفضلا عن هذا فقد كان هناك صاحب الخبر . وكان يعهد إليه بمراقبة الموظفين والضباط فى العاصمة ، ومنهم الوزير نفسه عند الضرورة (مسكويه : *Eclipse* ، جـ ١ ، ص ٢٤) . وإن هذا المنصب الذى يبدو أنه كان مستقلا عن ديوان البريد بمعنى الكلمة ، كان يعهد به إلى خصيان أو أمراء يتمتعون بثقة السلطان .

وإذا جاز لنا أن نصدق رواية جاءت فى كتاب التعريف للعمرى ، فإن آل بُوَيْه قطعوا البريد لكى يحرموا الخليفة من الوسائل التى يحصل بها على المعلومات ، ومن ثم وضعوه بلاريب تحت وصايتهم . والواقع أن « السعاة » ظهروا فى عهدهم فى الشرق لأول مرة . ويبدو أن الفوضى أخذت تدب شيئا فشيئا فى ديوان البريد إلى أن ألغى على يد السلاجقة عام ٤٥٥ هـ (١٠٦٣ م) . ولم يستخدم بعده إلا « رسل » فوق العادة . ولم يكن أيام الحروب الصليبية ديوان بريد حقيقى تحت تصرف آل زنكى والأيوبيين ، بيد أنهم استخدموا السعاة وراكبى الإبل السريعة والحمام .

واسترد ديوان البريد ، إلى حين ، أهميته السابقة فى عهد دولة المماليك ، ونحن نعرف ما كان يقوم به من أعمال عن طريق بعض النصوص والآثار . وليس من شك فى أن الفضل فى إعادة تنظيمه يرجع إلى بيبرس ، الذى لم ينسج على منوال الخلفاء العباسيين فحسب ، بل نسج أيضا على منوال إمبراطورية المغول أيضا التى اضطر إلى محاربتها . وإن ديوان البريد فى عهد المماليك ، وهو جهاز من أجهزة الدولة ، كان يرتبط ارتباطا وثيقا بالجهاد ، ومن ثم قام فى مبدأ الأمر بدور سياسى وعسكرى ، على الرغم من أنه عدل فيما بعد لكى يلائم حركة التجارة . وكان السلطان يديره بنفسه فى مبدأ الأمر ثم انتقل من بعد إلى أيدى كتاب الدولة ، وكانوا ينتخبون من أسرة بنى فضل الله الشهيرة ، التى أضفت عليه طابعا بيروقراطيا قبل أن تعود إدارته إلى الأمير «دوادار» . وعلاوة على «البريدية» الذين كانوا يأتمرون بأمر « مقدم البريدية » ويجندون من بين مماليك البيت السلطانى كان من بين الموظفين « سواس » و « سواقون » . وبدأ ديوان البريد نشاطه أولا فى مصر وعلى طريق القاهرة ـ دمشق (وهى مسافة كانت تقطع فى أسبوع) وامتد عمله بعد ذلك إلى المدن الواقعة على الساحل الشامى وإلى

القلاع القائمة على حدود طوروس . وكانت مراحل البريد التى تغير فيها الجياد تبعد كل منها عن الأخرى نظريا أربعة فراسخ ، وأنشئت فى أول الأمر فى خانات عامة . ثم شيدت لهذا الغرض مبان خاصة ، ومنها الطراز الذى يكاد يكون عاما ، إلى جانب ما طرأ عليه من تحسينات معمارية ، وكان يتفق مع احتياجات ، إيواء جياد السلطان فى حظيرة ومبيت العدد الصغير من الرجال المكلفين بها» (J.Sauvaget)

ثم عدلت الطرق لكى تكون الخدمة أسرع وأكثر انتظاما . وفى هذا العهد نفسه كان يكتنف استقبال السلطان للبريدية احتفال خاص . وأضفى على الشعار الدال على وظيفتهم . والمعروف من استخدامه فى الرنوك المملوكية ، مظهراً يتسم بمزيد من الفخامة . وتطور أيضا نظام استخدام الحمام فى نقل البريد واستعمال الإشارات المرئية . ومهما يكن من شيء فإن غزو تيمور للبلاد عام ٨٠٣هـ (١٤٠٠م) قضى على نظام البريد . واستخدم راكبو الإبل السريعة والسعاة من جديد فى نقل البريد الرسمى :

ولقد قام نظام البريد فى مختلف الدول الإسلامية حيث سد احتياجات عملية واتفق مع المبادئ الأخلاقية التى نص عليها القرآن الكريم ، وهى عدم انتهاك حرمة الرسائل وعدم إفشاء أسرار الدولة ، ومهما يكن من شيء فإن طريقته لم تصل دائما إلى درجة كبيرة من التطور . ولم يكن لديوان البريد فى الأندلس فى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) ما كان له من أهمية فى الشرق . وقد استخدم رسلا من راكبى البغال وسعاة سودانيين (رقاصين)، وهذا يكشف طبيعة النظام التى تفتقر إلى الكمال ، وكان يديره صاحب البُرُد ، وهو موظف كبير يبدو أنه كان يشرف على شبكة من الأعوان يأتمرون بأمره ويزودونه بالأخبار : واتخذ ديوان البريد مظهراً أكثر بدائية فى عهد دولة بنى حفص فى بلاد البربر الشرقية، وكان على البريدية أن يأتوا هم بمطاياهم ، ولم تكن هناك مراحل بريد ثابتة يستطيعون أن يغيروها فيها . ووجد ديوان البريد أيضا فى إيران الصفوية ، كما وجد فى الإمبراطورية العثمانية (انظر مواد «بوسطة» و «رقاص» ، و «تتر» و «أولاق») .

المصادر :

(١) علاوة على المصادر التى يشار إليها من حين إلى حين آخر فى كتب إخباريى العصر العباسى انظر بصفة خاصة كتاب الطبرى جـ ٣ ، ص ٤٣٥ (٢) الخوارزمى : مفاتيح العلوم ، طبعة القاهرة ، ص ٤٢ (٣) ابن خرداذبه : فى مواضع مختلفة (٤) قدامة بن جعفر : كتاب الخراج ، طبعة ده غويه De Goeje ، ص ١٨٤ ، ومخطوط كوپريلى ، ورقة رقم ١٥ — ١٦ (٥) N. Abbot : The Kurrah Papyri بردية قُرة ، شيكاغو سنة ١٩٣٨ ، ص ١٥ — ١٦ (٦) A. Sprenger : Die Post und Reiserouten des Orients ، ليبسك سنة ١٨٦٤ (٧) A. Mez : Renaissance ، ص ٤٦٤ — ٤٧١ (٨) J. Sauvaget : La Poste aux chevaux dans l'empire des Mamelouks ، باريس سنة ١٩٤١ (٩) E. Lévi-Provençal : Hist. Esp. mus. ، جـ ٣ ، ص ٢٨—٢٩ (١٠) R. Brunschvig : La Berbérie

les Hafsides orientale ، جـ باريس سنة ١٩٤١ ، ص ٦٥ .

آدم [د. سوردل D. Sourdel

«بُرَيْدَة» : تصغير بُرْدَة : قرية كبيرة من أعمال القاسم بنجد على خط عرض ٢٦° ١٧َ شمالا وخط طول ٤٣° ٥٥َ شرقا ؛ وهى على الضفة اليسرى لوادى الرُمّة وبينها وبين عُنَيْزَة التى على الضفة اليمنى سبعة أميال ؛ ويزعم داوتى Doughty أن هاتين المدينتين نسبتا إلى الجبلين اللذين فى جوارهما ؛ ولعل بريدة تقوم مكان المدينة القديمة كوردا (Sprenger : *Die alte Geographie Arabiens*). ويقال إن المدينة الحالية أنشأها بنو تميم منذ ثلاثة أو أربعة قرون . ثم إنها استقلت على يد زعماء من بيت حَلَيَّان عقب سقوط الدولة الوهابية (انظر Palgrave). ولما أخذ فيصل بن السعود الوهابى ممثل ابن السعود أو البيت الوهابى بريدة بالخديعة حين استعاد معظم الأملاك التى كانت قد فقدت ، ولّى عليها رجلا من الرياض يدعى «مُهَنّا» وهو الذى كان قائما بحكمها عندما زارها پالگريف عام ١٨٦٢ ؛ وكان ابنه حسن واليا عليها أثناء إقامة داوتى Doughty فيها عام ١٨٧٨ .

وقد قدر پالگريف عدد سكانها بـ ٢٥٠٠٠ نسمة بينما زعم داوتى أنهم بلغوا ٥٠٠٠ نسمة أو ٦٠٠٠ نسمة إذا أضفنا سكان الدساكر التى تحيط بها . وأهل بريدة من التجار وأصحاب القوافل ؛ وقد شيدت البلدة باللبن وحولها سور سمكه قدمان وتحيط البساتين بالسور من الخارج ، وتمتد الأراضى المزروعة والنخيل نحو ثلاثة أميال على الجانب الآخر للوادى . وتروى هذه الأراضى عيون حفرت فى الرمال . وترفع المياه بعجلة مثبتة فى دعامة من خشب الإثل الذى ينمو بكثرة هناك .

وكان ببريدة أيام زيارة پالگريف سوق مزدحمة . وكانت كتل الملح المجلوب من القاسم الغربية أكثر سلعها رواجا . أما شوارع البلدة فكانت فسيحة منظمة . ونستدل من ارتفاع مئذنة مسجدها على أنه شيد قبل ظهور الوهابيين . ولربما كان هذا المسجد قد بنى منذ قرنين ؛ ويذهب پالگريف إلى أن القلعة فى بعض أجزائها أقدم من هذا التاريخ لأن بعض حوائطها قد شيد بالحجر . زد على ذلك أنه ليس بها ما يميزها من جهة فن العمارة . ويلوح أنه ليس بالبلدة نقوش قديمة .

المصادر :

(١) Palgrave : *Central and Eastern Arabia*

(٢) Doughty : *Arabia Deserta* (٣) Ritter : *Erdkunde* ، جـ ١٣ ، ص ٤٥٤ وما بعدها .

[ڤاير T.H. Weir]

بُرَيْدَة : هى القصبة الحالية لإقليم القاسم فى العربية السعودية ، وتقع على خط عرض ٢٦° ٢٠َ شمالا ، وخط طول ٤٣° ٥٨َ شرقا ، وعلى الضفة اليسرى لوادى الرّمة إلى الغرب مباشرة من مصبه فى صحراء نفود السّر ؛ وتقوم المدينة على أخدود من نفود بريدة على مسيرة ٢٥ كيلو مترا إلى الشمال من منافستها التقليدية عُنَيْزَة على الضفة المقابلة

« الوادى » وهو الاسم الذى جرى إطلاقه على الألسن فى القاسم . وتقوم فى المهاد الرسوبية المتناثرة فى كثبان نفود بريدة حدائق وقرى تعرف جميعاً باسم « الخُبوب» (ومفردها «خَب ») . وقدتكونت هذه البقاع الخصبة نتيجة لفيضان « الوادى » واستمرت هذه البقاع تستمد منه موردها من الماء الوفير .

وارتفاع بريدة ٦١٠ أمتارمن مدرج المطار، وتقوم إلى الشمال والغرب من المدينة مراع ممتازة ومورد وافر من الملح الجيد مما جعل المدينة فى يوم من الأيام سوقاً مشهورة للجياد والإبل بل الماشية ؛ والماشيةوالمحصولات الزراعيةوالمياه الآتيةمن الجنوب ، ومركز بريدة المتوسط على الطريق من البصرة إلى المدينة ، كل أولئك كانت عوامل فى النهوض ببريدة حتى أصبحت من أعظم مراكز التجارة فى جزيرة العرب . وكان أهلها الخليط الذين يشملون مقيمين من حَرْب وعَنَزَة ، ومُطَيْر ،وعُتَيْبَة ، وبنى تميم يتجرون فى أرجاء العالم العربى . وقد اشتهر رجال من بريدة يتبعون جماعة عُقَيل من القاهرة إلى بومباى تجاراً فى الماشية ورجال قوافل .

وأصل المدينة ليس واضحاً ، ويذكر ياقوت بريدة باعتبارها ماءً لبنى ضَبينة من قبيلة عبس ، ويسلم الجغرافيان العربيان الخانجى وابن بُلَيْهِد بهذه النسبة باعتبارها الأصل فى اسم المدينة الحالى ؛ وهذا التحقيق يبدو بعدُ بلا سند إذ يعوزنا غير ذلك من الشواهد . وما من شاهد وجيه يؤكد تاريخ إنشاء المدينة ، ولو أن الرواية المحلية والرحالة الغربيين متفقون على وجه الإجمال بأن القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) هو التاريخ المحتمل المعقول : ويجعل كاسكل Gaskel تاريخ إنشاء بريدة سنة ٩٥٠ هـ (١٥٤٣ — ١٥٤٤م) دون أن يذكر سنده فى ذلك ؛ ومهما يكن من شئ فإن المدينة ذكرت باعتبار أنها قوة سياسية بمعرفة ابن بشر أكبر مؤرخى جزيرة العرب الوسطى الحديثة ، فهو يورد كلمة قصيرة عن معركة بين بريدة وعنيزة قامت سنة ١١٠٧هـ (١٦٩٥ — ١٦٩٦) .

والتاريخ المحلى لبريدة هو إلى حد كبير قصة الأسر الأربع واشتراكها فى سياسة جزيرة العرب الوسطى ، إما مستقلة وإما بوصف أفرادها من ولاة الأقاليم ؛ وكان أولهم آل الدُرَيْبى (أو ربما البريدى ، رقم ٥ ؛ انظر ابن لَعْبون ، ص ٢٢) من العَناقر من بنى تميم ، وقد نسب كورانسز Gorancez إلى جده راشد الدريبى تأسيس بريدة ؛ ولا نعرف عن هذه الأسرة إلا القليل فيما عدا أنهم حاربوا أبناءعمومتهم آل عُلَيّان من العناقر حرباً متصلة؛ وقد حمل النزاع المتصل مع عنيزة آل الدريبى إلى طلب العون من آل سعود سنة ١١٨٢ هـ (١٧٦٨ — ١٧٦٩م) . وسرعان ما أدت هذه الخطوة إلى دخول بريدة فى الفلك السعودى ، وبوأت آل عليان مقاعد الحكم ،وجعل القاسم موضع النزاع الطويل بين آل رشيد أصحاب جبل شمر وآل سعود .

وحكم آل عليّان بريدة من عام ١١٨٩هـ (١٧٧٥ — ١٧٧٦م) إلى عام ١٢٨٠ هـ (١٨٦٣

—١٨٦٤م) بوصفهم ولاة من قبل آل سعود ، وبوصفهم ، فى بعض الأحيان ، يستظلون بظل الغزاة الترك والمصريين من الحجاز ؛ وقد نشأ من عجزهم أن أقيم جلوى بن تركى آل سعود واليا على القاسم من سنة ١٢٦٥ إلى سنة ١٢٧٠ هـ (١٨٤٨ — ١٨٤٩ إلى سنة ١٨٥٣ — ١٨٥٤ م) ، وأقيمت أسرة مُهَنّا من آل «أبا الخيل» أصحاب عنزة ولاة على بريدة من سنة ١٢٨٠ هـ (١٨٦٣ — ١٨٦٤م) إلى سنة ١٣٢٦هـ (١٩٠٨ — ١٩٠٩م) .

ولم يستطع آل عليان أو آل «أبا الخيل» أن يضعا مصلحة آل سعود فوق مطامعهم الخاصة فى السيادة المحلية ، وكانت هاتان الأسرتان أثناء الحرب بين آل سعود وآل رشيد تخدمان الطرفين بوجهين يتساويان فى النفاق .

ولما استعاد آل سعود القاسمَ آخر الأمر سنة ١٣٢٦هـ (١٩٠٨ — ١٩٠٩م) أقيم الرجل الجبار عبد الله بن جلوى آل سعود ابن الوالى السابق واليا على القاسم ليستأصل شأفة المؤامرات فى هذه المنطقة الاستراتيجية . وخلف عبدَ الله ابنُ عمه عبدُ العزيز ابن مساعد آل سعود ، حاكم حائل الحالى ، ثم أعقبه عبدُ الله بن عبد العزيز بن مساعد ، وهو الآن حاكم الحدود الشمالية .

وقد أثرت سنوات الفوضى التى سبقت إرساء قواعد المملكة على يد الملك عبد العزيز آل سعود ، تأثيراً سيئاً فى تجارة بريدة ، فلما فتح من بعد الحسا والحجاز أتاح ذلك للجزيرة العربية الوسطى منافذ بلا حد إلى الثغور على الساحلين جميعاً ، فقطع هذا السبيل على قيام القاسم بدور الوساطة فى التجارة .

ومنذ سنة ١٣٧٤هـ (١٩٥٤ — ١٩٥٥) نشأ عن هدم أشهر معالم المدينة وأسوارها العظيمة وقلعة آل مهنا وإقامة المبانى الحكومية والمستشفيات ، أن تغير وجه بريدة الجهم السابق : ولم يبق ما يذكرنا بهذا المركز التجارى العظيم فى الماضى إلا ميدان السوق الفسيح المسمى الجرَّدَة ، والطرقات الضيقة الملتوية الحافلة بالحوانيت إلى الغرب من هذا الميدان . وظل السكان على حالتهم من الثبات تقريبا ، إذ يبلغون ما بين ٢٥ و ٣٠ ألف نسمة ، ولعل نصفهم مقيمون فى دساكر الجنوب .

المصادر :

(١) ياقوت (٢) عثمان بن بشر : عنوان المجد ، مكة سنة ١٣٤٩هـ (٣) محمد بن بليهد : صحيح الأخبار ، القاهرة سنة ١٩٥١ — ١٩٥٣ (٤) ابن لعبون : تاريخ ، مكة سنة ١٣٥٧ هـ (٥) محمد أمين الخانجى : منجم العمران ، القاهرة سنة ١٩٠٧ (٦) Philby : *Arabia of the Wahhabis* لندن سنة ١٩٢٨ (٧) M. v. Oppenheim, E. Braeunlich and W. Caskel : *Die Beduinen* ليبسك وفيسبادن سنة ١٩٣٩ — ١٩٥٢ .

خورشيد (هيدلى R. Headley)

+ « بُرَيْدة بن الحُصَيْب » : شيخ قبيلة أسلم بن أفصى ومن صحابة النبى : وقد أسلم حين مر به النبى صلى الله عليه وسلم مهاجراً بالغميم وأسلم ومن كانوا معه وهم نحو ثمانين أسرة (على أن

ابن حجر يقول إنه أسلم بعد يوم بدر) . ولم يفد بريدة إلى المدينة إلا بعد وقعة أحد ثم غزا مع رسول الله فى جميع غزواته . وأوفد عام ٩ هـ (٦٣٠ م) ليجمع الجزية من بنى أسلم وبنى غفار ، ثم أرسل مرة أخرى ليهيب بهم أن يشتركوا فى غزة تبوك .

وظل بريدة بالمدينة بعد وفاة النبى ، ولما خطت البصرة رحل إليها وبنى فيها بيتاً . ثم غزا فى خراسان واستقر فى مرو ، وتوفى بمرو فى خلافة يزيد ابن معاوية ، وتذكر بعض المصادر (كالبلاذرى وابن الأثير) أنه انتقل إلى خراسان سنة ٥١ هـ (٦٧١ م) مع الربيع بن زياد ضمن الخمسين ألف رجل الذين انتقلوا من البصرة إلى الكوفة هم وأهل بيتهم بأمر زياد بن أبيه . ويقول ابن حجر إنه توفى سنة ٦٣ هـ (٦٨٣ م) .

المصادر :

(١) ابن سعد ، جـ ٤ ، قسم ١ ، ص ١٧٨ وما بعدها . (٢) الطبرى ، جـ ٣ ، ص ٢٣٤٨ وما بعدها . (٣) ابن الأثير : تاريخه ، طبعة تورنبرغ ، جـ ٣ ، ص ٤٠٨ . (٤) ابن الأثير : أسد الغابة ، جـ ١ ، ص ١٧٥ وما بعدها . (٥) النووى ، طبعة فستنفلد ، ص ١٧٣ . (٦) البلاذرى ، طبعة غويه ، ص ٤١٠ . (٧) Caetani : *Annali dell'Islam* ، انظر الفهرس .

[تسترشتين وعرفات Zetterstéen - Arafat]

+ « بريد شاهية » : أسرة حاكمة أسسها قاسم بريد الذى كان فى الأصل مملوكاً تركياً بيع لمحمد شاه الثالث السلطان الثالث عشر للبهمنية (انظر هذه المادة) . وكان قاسم هذا شخصية بارزة وخطاطاً مجيداً وموسيقياً ، كما أثبت إلى ذلك تبريزه فى ميدان القتال ، وارتفع إلى منصب « كُتوال » فى عهد محمود شاه ، واغتصب بعد وفاة ملك نظام شاه منصب كبير الوزراء للدولة البهمنية المتهاوية . وقد اضطر فى كثير من الأحوال إلى التنازع مع أقوى أصحاب الإقطاع فى المملكة الذين كانوا قد أصبحوا فى واقع الأمر مستقلين بأمر أنفسهم فى بيجاپور وأحمد نگر و « گُلْگُنْدَا » ، ولكن سلطانه الأكبر كان محصوراً فى إقامته الدائمة فى بيدر (انظر هذه المادة) .

وتوفى قاسم سنة ٩١٠ هـ (١٥٠٤ م) وخلفه ابنه أمير بريد . وكان قاسم قد زلزل سلطان السلاطين البهمنية ، وأتى على البقية الباقية من هذا السلطان خليفته ، فلما هرب آخر سلطان بالاسم للبهمنية كليم الله أصبح أمير صاحب الكلمة العليا فى بيدر . على أنه واجه سلطان على عادل شاه صاحب بيجاپور الذى احتل بالفعل بيدر بعد أن اكتسح الأمير البريدى . واسترد القلعة بعد حين ، وإنما حدث ذلك بعد أن ضمت قلعتا قندهار وكليانى إلى بيجاپور .

وقد حاول أمير بريد أن يخضع صغار أصحاب الإقطاع على الأقل للإشراف المباشر للحكومة المركزية متشبهاً فى الكثير بما فعل محمود گاون

(انظر هذه المادة) إلا أنه لم ينجح فى محاولاته . وتوفى أمير سنة ٩٥٠ هـ (١٥٤٣ م) وخلفه ابنه على .

وكان على بريد محباً للأدب والفن والعمارة ، ومن الآثار البارزة لنزعته هذه وذوقه « رنگين محل » فى داخل القلعة ببيدر ، وضريحه الجيد التناسب ؛ وقد أوتى علىّ الحكم الطويل ، وكان أول من اتخذ لقب الملك من البريدية ولو أنه قنع بلقب « ملك الممالك » الذى يظهر فى ترصيعة جميلة من اللؤلؤ فى رنگين محل ؛ وكذلك كان من الملوك الأربعة المتحالفين الذين قضوا على سلطان رامارايا أمير فجايانكر سنة ١٥٦٥ ، وولى قيادة الجناح الأيسر لجيوش الحلفاء هو وإبراهيم قطب شاه . وتوفى علىّ سنة ٩٨٧ هـ (١٥٧٩ م) .

وسرعان ما انتهت مصائر هذه الأسرة الحاكمة بعد وفاة على بريد ؛ فقد خلفه إبراهيم ، ثم قاسم الثانى ، وخلف قاسماً ابنه الطفل المعروف بميرزا على بريد شاه ؛ وقد نحاه قريب له يعرف باسم أمير بريد شاه الثانى واحتل العرش . وخلف هذا حاكم عرف فى النقش ذى اللغتين باسم ميرزا ولى أمير بريد شاه . وفى عهد هذا الملك انتهت الأسرة البريدية وألحقت بيدر ببيجاپور سنة ١٢٠٨ هـ (١٦١٩ م) .

ولم يعثر إلا على قلة قليلة من سكة البريدية . مع أن فرشته يقول إن قاسم بريد نفسه قد ضرب سكة له ، والسكة الوحيدة المعروفة حتى الآن هى العملة النحاسية البهمنية المثقّبة التى تحكى عن « أمير شاه » وهى تنسب إلى أمير بريد الثانى ، أو الفلس أو نصف الفلس النحاسيان الموسومان باسم « أمير بريد السلطان » دون أن يؤرخ لهما . وجميع هذه العملات فى متحف حيدر آباد .

المصادر :

(١) فرشته : گلشن إبراهيمى » (١) على طباطبا : برهان مآثر » (٣) تأريخ محمد قطب شاه (٤) زُبَيْرى : بساتين السلاطين . (٥) G. Yazdani : *Bidar, its History and Monuments* (٦) Sherwani : *The Bahmanis of the Deccan*

[H. R. Sherwani شروانى | خورشيد]

٢ — آثارها : تقوم جميع آثار هذه الأسرة فى بيدر (انظر هذه المادة) . وقد ورث البهمنية بوصفهم خلفاء الأسرة البهمنية الوطيدة الأركان كثيراً من العمائر الجميلة . وكان نشاط البريد شاهية أقرب إلى الاقتباس والترميم منه إلى إقامة أبنية عمائر كبرى . ونمو الطراز البريدى ممثل خير تمثيل فى مقابرهم ، التى تتألف منها جبانة ملكية على مسيرة نحو ستة كيلومترات غربى أسوار المدينة . وهى تشمل منطقة كبيرة بالنسبة إلى الأحيار الواسعة الحافلة بالبساتين التى يضمها كل قبر ؛ وأرقام الصفحات التى رجعنا إليها فى البيان التالى مأخوذة من كتاب Yazdani (*Bidar : its history and monuments* ، أوكسفورد سنة ١٩٤٧) :

قبر قاسم الأول المتوفى سنة ١٩١٠ هـ (١٥٠٤م) وهو بناء صغير ضئيل الشأن له قبة مخروطية بسيطة (ص ١٤٩) ؛ وقبر خلفه أمير بريد الأول ،

وقد ترك دون إكمال عقب وفاته الفجائية سنة ٩٤٩ هـ (١٥٤٢ م) وليست له قبة ؛ وعلى كل واجهة من واجهاته طبقتان من العقود ينفذ منها عقد أوسط يتخلل الطبقتين ، وكلها مرتفعة فى الرأس فوق مرتكز العقد كما كانت الحال فى العمائر البهمنية (ص ١٥٠ — ١٥١) . وقد شهد عهد على بريد (٩٤٩ — ٩٨٧ هـ = ١٥٤٢ — ١٥٧٩ م) كثيراً من النشاط فى ميدان العمارة : فقد أدخلت تحصينات واسعة النطاق على تحصينات القلعة والمدينة تلا فى ذلك نصب عدد كثير آخر من المدافع الكبيرة ، وإعادة تشييد رنگين محل مع ترصيعه باللؤلؤ الجميل ومحفور الخشب المتشابك تمتزج فيه الأنماط الهندية بالأنماط الإسلامية (ص ٤٤ — ٤٩) . وأحدثت تعديلات كثيرة فى تركش محل ، وخاصة فى الطبقة العليا منه ، وقد تجلى فى ذلك موضوع السلسلة والدلاية المأثور عن الزخرف البريدى منذ ذاك (ص ٥٧ — ٥٩) ، وقبر على موقعه جيد جداً ، وله مدخل رائع له عقدان واسعان واطئا المرتكز وغرف عليا محلاة بوفرة من المشكاوات الصغيرة ذات البروز ؛ وكل سور من أسوار القبر يتكون من عقد مكشوف يشاهد من خلاله الناووس الجميل المشيد بحجر البازلت المصقول الأسود ؛ ومن ثم كان داخله مشرقاً جيد التهوية تزينه أشكال من القرميد الجيد (أشعار من العطار ، وآيات قرآنية بخط الثلث) ؛ من غير إسراف فى التوسع والتشابك ؛ ولما كان القبر مكشوفاً من جميع جوانبه فليس ثمة حمى للقبلة . وقد ألحق بالقبر مسجد قائم بذاته له مآذن رفيعة وسقف مقبو ، وقد زينت واجهته بزخارف من الجص ، ولكل من القبر والمدخل والمسجد حاجز من الزخرف الثلاثى الشكل يرجع أصله إلى العصر البهمنى المتأخر (ص ١٥١ — ١٦٠) ؛ وقبر إبراهيم المتوفى سنة ٩٩٤ هـ (١٥٨٦ م) تقليد لقبر أبيه على نطاق أصغر ، ولكنه لم يتم وقد أقيمت مسطحاته من الحجر الجيرى ، وتدل أكتاف البناء المنحوتة على وجود « الخكره » الهندية فى زخرفته (ص ١٦٠ — ١٦١) ؛ ولكل من هذين القبرين قبة كبيرة ليست مرفوعة على قوائم بل تتفلطح عند القاعدة بحيث تكون ثلاثة أرباع دائرة وتبدو أثقل من أن يحتملها البناء . وبناء القبة نموذج للأبنية المعاصرة للقطب شاهية (انظر هذه المادة) والعادل شاهية (انظر هذه المادة) فى گلكندا وبيجاپور أيضاً ؛ وقد رجع إلى الفتحة الفردة فى قبر قاسم الثانى الذى هو أفضل فى تناسبه من القبور الأخرى ، ولكن خطة البناء المكشوف واضحة فى القبة التى تعلو محراب المسجد الكالى (الأسود ؛ انظر ص ١٩٦ — ١٩٧) ، وقد رمم المسجد الجامع للمدينة (انظر مادة « بيدر ») وهو بناء بهمنى متأخر ؛ فى العصر البريدى (موضوع السلسلة والدلاية فى الفرع المسدودة حول قوس العقد فى الواجهة ؛ انظر ص ١٠٣ — ١٠٤) .

ومنذ عهد على بريد أصبحت العمائر أكثر زخرفة فى تفصيلاتها الصغرى ، وأصبح سلطان البناء الهندى أوضح فيها . وفى بعض العمائر

البريدية ، مثل مسجد كالى ، بدت الأشكال المستعملة فى الحجر أنسب فى كثير من الأحيان لأشغال الخشب منها للحجر ، ويظهر على كثير من العمائر المتأخرة ذلك الطابع البعيد عن الصدق الذى يتجلى كثيراً فى عمائر أسرة آخذة فى الاضمحلال .

المصادر :

(١) هناك تفصيلات أوفى عن العمائر التى أسلفنا ذكرها فى مادة بيدر (انظر مادة بيدر) (٢) وانظر بصفة خاصة Yazdani : المصدر المذكور ، إذا شئت مراجع أكثر ولوحات ورسومات وخططا ... إلخ مستفيضة . (٣) انظر مصادر مادة « بيدر » .

خورشيد [برتون پيج Burton-Page]

« البريدى » : لقب ثلاثة إخوة ، هم : أبو عبد الله أحمد . وأبو يوسف يعقوب . وأبو الحسين . وقد كان لهؤلاء الثلاثة شأن كبير فى عهد اضمحلال الخلافة العباسية أيام المقتدر وخلفائه .

ورأس هذه الأسرة هو أبو عبد الله أحمد . وكان على بن عيسى وزير الخليفة قد قلد أبا عبد الله وأخويه بعض المناصب التافهة ، غير أن عبد الله لم يقنع بها . ولما وزر ابن مقلة للخليفة بذل له عشرين ألف دينار سنة ٣١٦ هـ (٩٢٨ م) فقلده الأهواز وقلد أخويه بعض الأعمال الجليلة . وكان هؤلاء الإخوة يحسنون اغتنام الفرص ، وشاهد ذلك أنهم لما اشتركوا فى إسقاط ابن مقلة بعد ذلك بما يقرب من سنتين صادرهم المقتدر على أربعمائة ألف دينار فأجابوه إليها فى يسر .

وقتل المقتدر سنة ٣٢٠ هـ (٩٣٢ م) ، فتمكن أبو عبد الله من أن يسير وفقاً لأهوائه وأخذ يجمع المال بالاغتصاب والقسوة مما لم يسمع بمثله ، وعاد أخواه إلى منصبيهما ونهجا على غراره . واستمر أبو عبد الله وإخوته على هذه الحال فى عهد الراضى الذى حكم من سنة ٣٢٢ إلى ٣٢٩ هـ (٩٣٤ — ٩٤٠ م) . لأن صاحبهم القديم ابن مقلة كان قد استعاد نفوذه . ولم يعمد هؤلاء إلى إرسال دخل ولاياتهم إلى بيت المال بل احتفظوا به متوسلين بالرشوة والكذب .

وكان من المحال أن يدوم هذا الحال . ولذلك فإنه لما صارت الأمور فى الخلافة إلى أمير الأمراء ابن رائق (انظر هذه المادة) سنة ٣٢٤ هـ (٩٣٦م) حاول أبو عبد الله بكل ما أوتى من دهاء أن يحوز رضى ابن رائق فلم يفلح . وخرج ابن رائق على رأس جيش قاصداً إياه . غير أن أبا عبد الله كان يعرف الطريق الذى ينبغى عليه أن يسلكه . فهرب إلى عماد الدولة البويهى بفارس وأقنعه فى يسر بغزو الأهواز والعراق .

وظهرت الوحشة بعد ذلك بين معز الدولة والخليفة فطلب معز الدولة عون أبى عبد الله ، إلا أن عبد الله رفض سؤله لأنه فضل أن يعمل فى ظل حكم ضعيف كحكم الخليفة من أن يعمل تحت إمرة حكام جدد . ولما ظهر خصم لابن رائق

فى شخص بجكم التركى (انظر هذه المادة) أخذ أبو عبد الله يعمل وفقاً لما تمليه الظروف فانضم تارة إلى هذا وتارة إلى ذاك . ثم انتصر بجكم سنة ٣٢٦ = (٩٣٨ م) فأقامه وزيراً للخليفة . غير أنه سرعان ما أقيل من منصبه .

وهلك بجكم مبكراً فى عهد المتقى (٣٢٩ هـ = ٩٤١ م) فاستولى أبو عبد الله على بغداد مدة قصيرة ثم أجبرته الجنود التى شقت عصا الطاعة على الارتداد إلى واسط بعد ذلك بأسابيع قليلة . وفى السنة التالية (٣٣٠ هـ = ٩٤٢ م) أنفذ أبو عبد الله أخاه أبا الحسين على رأس جيش إلى بغداد فاضطر الخليفة وابن رائق إلى الالتجاء إلى الحمدانيين بالموصل ؛ بيد أن أبا الحسين أحنق الناس فى بغداد بمظالمه فلم يجد بنو حمدان صعوبة فى طرده من بغداد بل من واسط . واستطاع البريدى وإخوته أن يستقروا فى البصرة ، غير أنهم اضطروا إلى قتال صاحب عمان قتالا كثير النفقة ، وكان هذا قد سار فى مراكب كثيرة يريد البصرة فلك الأبُلّة سنة ٣٣١ هـ (٩٤٢ م) . ولكن الحظ حالفهم وأشعلت النار فى مراكب العدو فارتد إلى عمان .

واستنفدت هـــذه الحروب وغيرها ثروة أبى عبد الله ، فلم يتردد فى العمل على قتل أخيه أبى يوسف ليحصل على كنوزه التى جمعها ، غير أنه لم ينتفع بها كثيراً ، إذ توفى فى السنة نفسها (٣٣٢ هـ = ٩٤٤ م) .

ودبت الفرقة بين أبى الحسين وبين أتباعه الذين كانوا قد جعلوا من أبى عبد الله زعيا لهم ، ففر فى صعوبة كبيرة إلى أمير البحرين القرمطى ، وتمكن بفضل معونة هذا الأمير من أن يحاصر ابن أخيه فى البصرة . وظل محاصراً له حتى تم الصلح بينهما .

ثم إن أبا الحسين بدأ يعمد إلى الدسائس سريعاً فذهب إلى بغداد وحاول أن يأخذ ولاية البصرة فلم يوفق فى مسعاه وحوكم وضربت رقبته فى بغداد سنة ٣٣٣ = (٩٤٥ م) . وفى العام التالى عقد ابن أخيه أبو القاسم صلحاً مع معز الدولة البويهى ، ولم يدم هذا الصلح إلا قليلا لأن معز الدولة أنفذ إليه جيوشه سنة ٣٣٦ = (٩٤٧ م) وسار بنفسه إلى البصرة وأجبره على الفرار إلى القرامطة بالبحرين . ولم يكن له بعد ذلك أى أثر فعال فى الأحداث السياسية بالرغم من أن معز الدولة كان قد صفح عنه .

وتوفى أبو القاسم سنة ٣٤٩ = (٩٦٠ م) .

المصادر :

ابن الأثير ، طبعة تورنبرغ ، جـ ٨ .

+ « بَرِيرَة » : أمة رأت أن تشترى حريتها على تسعة (أو خمسة) نجوم (أقساط) سنوية . فلجأت إلى السيدة عائشة فوافقت على أن تؤدى المبلغ كله . وكان أصحاب الأمة راغبين فى بيعها ، ولكنهم أصروا على أن يحتفظوا بحق ولائها ، فلما سمع

النبي صلى الله عليه وسلم بذلك أشار على عائشة بشرائها لأن الولاء لمن يعتق ، ومن ثم أدت عائشة المبلغ المطلوب وأعتقت بريرة . وظلت بريرة تخدم عائشة ، ويقال إنها توفيت فى خلافة يزيد الأول (٦٠ — ٦٤ هـ = ٦٨٠ — ٦٨٣ م) : وجاء فى حديث الإفك أنه أخذ رأيها فى عائشة (البخارى : الشهادات ، حديث ١٥) .

وتتصل ثلاث سنن ببريرة : (١) قال النبي صلى الله عليه وسلم إن الولاء لمن يعتق . (٢) خيرت بريرة بين أن تبقى فى ذمة زوجها مغيث الذى كان عبداً أسود أو تتركه ، فلما رفضت أن تبقى فى ذمته على الرغم من شفاعة النبى لمغيث أمرت بأن تراعى قضاء عدة الحرة . ويقال إن مغيثاً راح يتبعها فى شوارع المدينة باكياً . (٣) دخل النبي صلى الله عليه وسلم مرة داره وكان اللحم يطهى فقدم له شئ آخر غير اللحم فسأل عن السبب ، فلما قيل له إن اللحم كان « صدقة » لبريرة ، قال إنه صدقة لبريرة ولنا منها هدية ، قاصداً بذلك أن من يأخذ الصدقة له أن يهدى بعضها لغيره [١] .

ويقال إن بريرة قد حذرت عبد الملك بن مروان بأن يتجنب إراقة دم المسلمين إذا تولى أمرهم .

المصادر :

(١) فنسنك : مفتاح كنوز السنة *Handbook* ، مادة بريرة ، (٢) ابن عبد البر : الاستيعاب ، ص ٧٠٨ . (٣) ابن حجر : الإصابة (رقم ١٧٧ فى كتاب النساء) . (٤) تهذيب التهذيب ، جـ ١٢ ، ص ٤٠٣ . (٥) ابن الأثير: أسد الغابة ، القاهرة سنة ١٢٨٠ هـ = ١٨٦٣ — ١٨٦٤ ، جـ ٥ ، ص ٤٠٩ .

[روبسون J. Robson]

« بريسون » : (انظر مادة « تدبير ») .

« بَرِيلِّى » (بَرِيلى) : مركز فى أوتار پراديش بالهند ، يقع على خط عرض ٢٨° ٢٢َ شمالا وخط طول ٧٩° ٢٤َ شرقاً ، وعلى هضبة يحف بها نهر رامگنگا : وبلغ عدد سكان بريلى سنة ١٩٥١ (١٩٤٫٦٧٩ نسمة) . وقد أسست سنة ٩٤٤ هـ (١٥٣٧ م) ، وتقول الرواية إن المدينة نسبت إلى باس ديو من طائفة برهيلا الراجپوتية ، وقد اشتهرت باسم بانس بريلى تمييزا لها من راى بريلى مسقط رأس سيد أحمد بريلوى (انظر هذه المادة) ولقربها من دغل من البوص الهندى (بانس) .

وقد أقيمت هناك على عهد أكبر قلعة لكبح جماح غارات السلب التى كانت تشنها قبائل روهيلخند . ونمت البلدة تدريجاً حول القلعة كما هى العادة ، وما وافى عام ١٠٠٥ هـ (١٥٩٦ م) حتى ارتفع شأنها وأصبحت مقر « پرگنه » ، وظلت ضئيلة الشأن حتى عهد شاه جهان ، وهنالك اتخذت قصبة كيتهر (وهو الاسم القديم لروهيلخند) .

---

(١) حقيقة الأمر فى هذا أن النبى رأى اللحم عند عائشة وكانها تكره أن تأكل منه فسألها عنه النبى فقالت بعثت به لينا بريرة من شاة تصدق بها عليها فقبله النبى قائلا : هو لها صدقة وهو لنا منها هدية ، وذلك لانه « صلى الله عليه وسلم » لا يأكل الصدقات وهى عليه وعلى آل بيته حرام

عبد العزيز سيد الأهل

وفى سنة ١٠٦٨ هـ (١٦٥٧م) انشأ مَرْكَنْد راى مدينة جديدة ، وكان مركند هذا قد أقيم والياً محل على قلى خان الذى شغل هذا المنصب حتى سنة ١٠٣٨ هـ (١٦٢٨ م) ، وكان يلى أمر المدينة فى عهد المغل حاكم . ولما توفى أورنكزيب سنة ١١١٩ هـ (١٧٠٧ م) ، طرد هندوس بريلى الوالى المغلى وأبوا أداء الجزية وتسنموا مقاليد السلطة . على أنهم سرعان ما تخاصموا ودعوا على محمد خان زعيم الروهيلا لتسلم هذه المقاليد . وبادر على إلى مد سلطانه حتى ألمورا فى كُماوُن ، ولكن محمداً شاه ملك دهلى تقدم نحوه وحمله أسيراً إلى دهلى . على أنه لم يلبث أن استرد حريته وعاد إلى تقلد ولاية بريلى سنة ١١٦٠هـ (١٧٤٨ م) . فلما توفى سنة ١١٦٢ هـ (١٧٤٩ م) خلفه حافظ رحمت خان الذى استطاع أن يصبح الحاكم لروهيلخند غير منازع بعد أن اشتبك فى معارك عنيفة مع قوات أوده تعززها كتائب من المراطها .

وفى سنة ١١٨٤ هـ (١٧٧٠ م) هزم نجيب الدولة رحمت خان بمعونة جنود من المراطها يقودها سندهيا وهُلْكار . على أن شجاع الدولة قدم لنجدة الروهيلا ، ولكنه سرعان ما وقع عليهم وقتل زعيمهم رحمت خان . وفى سنة ١١٨٨ هـ (١٧٧٤ م) أقيم سعادت يارخان حاكماً لبريلى تحت ولاية وزير أودى ، وفى سنة ١٢١٦ هـ (١٨٠١ م) نزل عن المدينة إلى البريطانيين حينما وقعت روهيلخند بأسرها فى قبضتهم . وفى سنة ١٢٢٠ هـ (١٨٠٥ م) أغار أمير خان پندارى على بريلى ولكنهم ردوا على أعقابهم وأنزلت بهم خسائر فادحة . وفى عام ١٢٣٢ هـ (١٨١٦ م) هب السكان لمناهضة ضريبة محلية فرضت عليهم ولكنهم عوملوا فى صرامة . وفى سنة ١٢٥٣ هـ (١٨٣٧ م) وسنة ١٢٥٧ هـ (١٨٤٢ م) قامت أعمال شغب عنيفة بين الهندوس والمسلمين . وقد اضطربت أمور المدينة اضطراباً شديداً أثناء قيام حركة « العصيان » سنة ١٢٧٣ هـ (١٨٥٧ م) حين أقيم خان بهادر خان حفيد حافظ رحمت خان والياً عليها . فلما سقطت دهلى فى سبتمبر سنة ١٨٥٧م ، اتخذ زعماء المتمردين — وهم تفضل حسين خان نواب فرخ آباد ، ونانا صاحب البتهورى والأمير المغلى فيروزشاه — المدينة قاعدة لهم ؛ على أنهم منوا بالهزيمة وعاد البريطانيون إلى احتلال المدينة فى ٥ مايو سنة ١٨٥٧ . وفى سنة ١٢٨٧ هـ (١٨٧١م) قام شغب آخر بين الهندوس والمسلمين وتوالت أعمال شغب دينية عدة منذ ذلك التاريخ ، فلما قامت دولة پاكستان سنة ١٣٦٦ هـ (١٩٤٧م) هاجرت جملة السكان المسلمين إليها من بريلى .

وكان الجنرال نخيت خان (انظر هذه المادة) من لواء بريلى الذى أقيم قائداً عاما لقوات الثوار أثناء حركة « العصيان » من أهل بريلى . وكان من أهلها أيضاً أحمد رضا خان المتوفى سنة ١٣٤٠ هـ (١٩٢١ م) ، وهو متكلم وعالم ألف أتباعه «حزب الأحناف» الذين اشتهروا باسم «البريلوية» ؛ و«حزب الأحناف» فرع من الحنفية الذين يعتقدون — على خلاف سائر أهل السنة — أن الرسول يعلم الغيب ، وكان هذا من معتقدات البريلوية ، وقد

أدى إلى نزاع عنيف بين « العلماء » فى شبه القارة الهندية الپاكستانية .

والبناء الوحيد الجدير بالذكر فيها هو قبر حافظ رحمت خان الذى شيده ابنه ذو الفقار خان سنة ١١٨٩ هـ (١٧٧٥ م) ؛ وقد رمم هذا القبر عدة مرات كانت الأخيرة سنة ١٨٩١ — ١٨٩٢ على يد الحكومة البريطانية .

المصادر :

(١) گلزارى لال : تواريخ بريلى (مخطوط) (٢) *Imperial Gazetteer of India* ، أوكسفورد سنة ١٩٠٨ ، جـ ٧ ، ص ٣ — ١٣ (٣) ألطاف على بريلوى : حياة حافظ رحمت خان ، بدايون سنة ١٣٣٣هـ / ١٩١٣ (٤) *Journ. of the Roy. As. Soc.* سنة ١٨٩٧ ، ص ٣٠٣ (٥) انظر أيضاً مادة حافظ رحمت خان ؛ (٦) العلم ، مجلة ربع سنوية ، كاراتشى ، جـ ٣ / ١ ، ص ٢٨ — ٣٢ . (٧) البداءونى (المكتبة الهندية) ، الفهرس .

خورشيد [بزمى أنصارى A.S. Bazmee Ansari]

+ « پريم » : جزيرة فى مدخل البحر الأحمر على خط عرض ١٢° ٤٠َ ٣٠ً شمالا ، وخط طول ٤١° ٣َ شرقاً ، وقد عرفها العرب باسم « مايون » وهى فى حوزة الإنكليز ، وهذه الجزيرة التابعة لعدن ، على مسيرة ٩٦ ميلا غربى عدن وميلين عن الساحل العربى ، والبرزخ الضيق الذى يفصلها عن الأرض الأم للجزيرة العربية يعرف باسم «باب المَنْهَلى» ، ومن ثم فإن پرم تهيمن على مخرج البحر الأحمر ، ومع ذلك فإنه يسيطر عليها جبل منهلى عند ثغر شيخ سعيد إذا حصن كما فعل الأتراك فى الحرب العالمية الأولى .

والجزيرة طولها أربعة أميال وعرضها ميلان ونصف الميل ، وهى على هيئة حدوة الفرس ومساحتها حوالى خمسة أميال مربعة ، ويقوم على جانبها الجنوبى بين رأس ألبرت وساوث پوينت ثغران ، الثغر الأكبر (جون براون) وعرضه يتراوح بين ميلين ونصف الميل وبين نصف ميل ، مرسى آمن عمق مياهه ما بين ٣ و ٨ قامات . ويقوم المنار على الطرف الشرقى للجزيرة ، وقد بناه الإنكليز سنة ١٨٦١ ، من الصخر البركانى الذى يقع فى المخرج الضحل إلى البحر الأحمر الذى غطى الجزء الأكبر منه بطبقة بركانية يرتكز عليها غطاء من الحمم شديد الصلابة ضارب إلى السواد . وثمة بعض المرتفعات الرقيقة أعلاها حوالى ٢٥٠ قدما ، ينحدر انحدارا هيناً نحو الساحل ، وليس فيها من المواد العضوية إلا القليل ، وكذلك لا يوجد بها مياه عذبة (تجلب المياه العذبة من عدن) ولذلك تعز فيها أسباب الزراعة والإقامة الكثيفة. أما جو پرم فوسط بين جو تهامة الغربية والجنوبية ، وأقصى درجات الحرارة فى أعلى مستوياتها تزيد عن درجات الحرارة فى تهامة الغربية (فى يولية : ٣٧،٨° سنتيغراد) ، وترتفع الحرارة باقتراب الصيف ، وتثبت ثباتا لا بأس به من يوليه إلى سبتمبر دون أن يزيد شهر عن شهر فى الحرارة زيادة كبيرة . ويعتمد

المطر على الرياح الموسمية ، فتنزل شآبيب المطر مصحوبة بالعواصف فى آخر أبريل . وپرم الآن محطة للتموين والتزود بالفحم ذات شأن للبواخر التى تمخر عباب البحر الأحمر ، كما أنها محطة لشركة البرق الشرقية التى يربطها بعدن وشيخ سعيد والحديدة سلك بحرى .

وقد عرفت پرم عند قدماء الجغرافيين باسم ديودورونسوس » (Periplus maris Erythraei ، فصل ٢٥) . ويسميها پليناس (Pliny : Natur. Hist ، ج ٦ ، ص ١٧٥) جزيرة أدنو ؛ وعرفها البرتغاليون باسم ميهو ، وسماها ألبوكرك ڤيرا كروز سنة ١٥١٣ . والراجح أنها لم تكن قط جزيرة لها شأن لإمحالها ، اللهم إلا فى نظر القرصان الذين كانوا يغيرون منها على البحر الأحمر والمحيط الهندى ، ولكنهم لما كابدوا بعد ذلك صعوبة الحصول منها على المؤونة استعاضوا عنها بجزيرة سانت مارى على ساحل مدغشقر . وقد احتلت شركة الهند الشرقية پرم إلى حين أثناء الحملة الفرنسية على مصر (١٧٩٩ — ١٨٠١م) للحيلولة دون قدوم الفرنسيين عن هذا الطريق إلى الهند كما خطط ناپليون ، وأقامت الشركة حامية بها . وقد انسحبت هذه الحامية عندما اتضح لها أن نيران المدافع لا تستطيع أن تمنع السفن التى تسير بمحاذاة الساحل الإفريقى ؛ وقد احتلت إنكلترة پرم مرة أخرى سنة ١٨٥٧ ، وحصنت الجزيرة وأقامت ثكنات على جون براون .

المصادر :

(١) Niebuhr : Reisebeschreibung nach
Arabien und anderen umliegenden Laenderen ،
كوپنهاغن سنة ١٧٧٤ ، ج ١ ص ٤٤٨ وما بعدها
(٢) C. Ritter : Die Erdkunde von Asien ،
مجلد ٨/١ ، برلين سنة ١٩٤٦ ، ص ٦٦٦—٦٦٨
(٣) J. S. King : Description and history of the
British outport of Perim ، ١٨٧٧ (٤) M. Hunter :
Statistical Account of Aden ، سنة ١٨٧٧ ، ص ١٧١
وما بعدها (٥) A. Spadling : Historical Sketch
of the Coaling Station at Perim Island ، ليڤرپول
سنة ١٨٩٠ (٦) E. Glaser : Skizze der Geschichte
und Geographie Arabiens ، ج ٢ ، برلين سنة ١٨٩٠ ،
ص ١٦٩ (٧) W. Schmidt : Das suedwestliche
Arabien ، فرانكفورت على الماين ، سنة ١٩١٣ ،
ص ٣٤ ، ٣٥ ، ٧٨ ، ١١٦ (٨) Handbooks prepared
under the direction of the Foreign Office ، رقم ٦١ :
Arabia ، لندن سنة ١٩٢٠ ، ص ١ ، ٤ ، ٥٣ ،
٦٤ ، ١١٦ (٩) Die Insel Perim und die Eingaenge
in des Rothe Meer فى Peterm. Mitt. ، ج ٤
(سنة ١٨٥٨) ص ١٦٣ وما بعدها .

[A. Grohmann گرومان] خورشيد

«البُرَيْمى»: واحة فى الشرق من الجزيرة العربية قصبتها تحمل الاسم نفسه ، وهى تقع على خط عرض ٢٤° ١٤ َ شمالا ، وخط طول ٥٣° ٤٦ َ شرقاً . وتقوم بلدة حماسا غربى بلدة البريمى على حافة حرج النخيل نفسه . والمركز الوحيد الآخر فى الواحة قد يعد بلدا بحكم سوقه وهو (العين) آخر

محلة في أقصى الجنوب الشرقي . وتشغل الواحة مساحة قدرها ستة كيلومترات في ٩ كيلومترات تقريبا ، وهي تشمل أيضا قرى : صَعْرَى ، وهيلي ، والقطّارة ، والقيمي ، (ينطقها أهلها الزّيمي) والمُعْتَرَض . وقد أحييت الزراعة في الجاهلي (ينطقها أهلها الياهلي) ، ولأفراد أسرة آل بو فلاح ، وهي الأسرة الحاكمة في أبو ظبي (انظر هذه المادة) ضيعة في المُوَيْقِع . وتعيش الواحة على المياه التي تحملها القنوات التي تحت الأرض (الأفلاج، انظر هذه المادة ، وهي جمع فَلَج) من جبال الحَجَر التي تبعد عنها مسافة قليلة إلى الشرق ومن الأخدود الصخرى الرائع لجبل حَفيت الذي يقوم مفردا فوق السهل إلى الجنوب مباشرة .

والبريمي قريبة من الطرف الغربي لممر وادي الجيزي الذي يؤدي إلى صُحار على ساحل الباطنة . وهي تقوم أيضا على الطريق الرئيسي من دُبَيّ مارا بالظاهرة (انظر هذه المادة) إلى ضَنْك . وعِبْرى ، ونَزْوَى قصبة عُمان الداخلية وقاعدة إمام الإباضية مدة طويلة . وينتسب أهل الواحة الذين يبلغ عددهم حوالي ١٠,٠٠٠ نسمة إلى قبيلة نُعَيْم ذاتها (والفرعان الرئيسيان لها هما آل بو خُرَيْبان وآل بوشامس) وبعض أفرادها بدو أو شبه بدو ، أو ينتسبون إلى قبيلة الظواهر ، وهم قوم مقيمون لا يعيش أي عدد منهم خارج الواحة — وثمة عناصر أخرى في الواحة تنتسب إلى بني قِتَب وبني كعب، وآل بو حمير ، وآل بو فلاسا ، وآل بو فلاح .

وشبكة القنوات التي تجرى تحت المحلات قد نشأت في قرى يعتمد بعضها على بعض ، ويشرف عددمنها بحكم موقعها على موارد الماء الحيوية للأخرى . ويصدر من الواحة البلح والفصفصة والخضراوات والفاكهة، وأهم ثغر للواحة هو دُبَيّ (انظر هذه المادة) . ولأسواق البلدة تجارة نافقة في الماشية . وهي مراكز يعاد فيها توزيع قبائل الداخل وجماعاته .

وقد حُقّقت البريمي فقيل إنها المكان الذي كان جغرافيو العرب ولغويوهم القدامى يسمونه تُوْام (وقد جاء لسان العرب برواية أخرى في رسمه هي تُعام ، وأورد لين Lane روايات أخرى في هذا الرسم) ، ويوصف بأنه مركز شراء اللآلئ (ومن ثم كان لفظ التؤامية مرادفا للؤلؤة والدُرّة) .

على أن مبلغ دقة هذا التحقيق قابل — فيما يبدو — للمناقشة ، إذ هناك احتمال قائم هو أن يكون قد حدث لبس بينه وبين مكان آخر يقوم مثلا على الخليج الفارسي . وثمة كتّاب من شرق الجزيرة العربية يقولون إن الجَوّ والجوف (انظر هذه المادة) هما الاسمان القديمان للواحة .

ونحن لا نعرف إلا النزر اليسير عن تاريخ هذه الواحة قبل القرن التاسع عشر . ويروى مؤرخون من أهلها أن جيشا أنفذه الخليفة المعتضد من البحرين سنة ٢٨٠هـ (٨٩٣م) قد احتلها .

وفيما بين سنة ١٣٥٣هـ (١٩٣٤م) وقيام الحرب العالمية الثانية ، دارت مباحثات بين العربية السعودية والمملكة المتحدة نائبة عن حاكم أبو ظبي بشأن الحدين الجنوبي والشرقي للعربية السعودية ، ولكن

البريمي لم تكن بصفة خاصة وقتذاك مسألة تقتضى البت فيها ، وفى سنة ١٣٧١هـ (١٩٥٢م) وصل إلى الواحة أمير من السعودية العربية وأقام فى الحماسا ليؤكد السلطان السعودى مناهضاً سلطان أبوظبى ومسقط . واتفقت السعودية والمملكة المتحدة سنة ١٣٧٣ هـ (١٩٥٤ م) على أن يحيلا إلى التحكيم النزاع الناشئ من هذا العمل ومن ما يربى على ٧٠,٠٠٠ كيلومتر من الأراضى جنوبى غرب البريمي كانت أيضاً محل نزاع . وبفضل هذا التحكيم حددت بالتفصيل جغرافية البريمي وتاريخها الحديث وإحصاء شعوبها ، وقد قدم الطرفان للمحكمة مذكرات مستفيضة عولجت فيها هذه المسائل . وقد احتجت العربية السعودية بأن الواحة بأسرها جزء لا يتجزأ من مملكتها . وتمسك البريطانيون بالقول بأن السيادة المطلقة فى الواحة يجب أن تتركز فى حاكم أبو ظبى وسلطان مسقط . وذهب البريطانيون إلى أن الولاء التقليدى لنُعَيْم (الغالب فى بلدة البريمي ، والحماسا وصَعْرَى) هو لمسقط ، وأن ولاء الظواهر (الغالب فى معظم المحلات الأخرى) لأبى ظبى .

وعلى أثر التهم التى وجهها البريطانيون للسعودية باللجوء إلى الرشوة وغير ذلك من المساوئ ، استقال عضو التحكيم البريطانى ، ومن ثم انفض التحكيم فى محرم عام ١٣٧٥ (سبتمبر سنة ١٩٥٥) دون أن تتاح للمحكمة أية فرصة لإبداء الرأى فى هذه التهم أو فى مقومات الدعوى نفسها . وفى ربيع الأول (أكتوبر سنة ١٩٥٥) احتل الواحة جنود من دولة من دول الصلح البحرى هى عمان بقيادة ضباط بريطانيين ، واقتسمها أبو ظبى ومسقط ، وأقام سلطان مسقط ، والياً ، فى مدينة البريمي ، وعين حاكم أبو ظبى أخا من إخوته ممثلا له فى الواحة . وحمل صقر بن سلطان الشيخ المسيطر على نعيم وغيره من المشايخ وأنصارهم منفيين إلى الدمّام ، قصبة الإقليم الشرقى للعربية السعودية .

المصادر :

انظر عن تؤام علاوة على مراجع فقهاء اللغة :
(١) ياقوت . (٢) البكرى : معجم ما استعجم ، طبعة القاهرة سنة ١٩٤٥ — ١٩٥١ . (٣) عبد الله السالمى : تحفة الأعيان ، القاهرة سنة ١٣٣٢ — ١٣٤٧ هـ . (٤) ابن بشر : عنوان المجد . (٥) ابن غنّام : روضة الأفكار ، بومباى سنة ١٣٣٧ هـ . (٦) ابن رُزَيْق : فتح المبين (مخطوط ، الإضافات رقم ٨٠٢ ، كمبردج) وقد ترجمه C.G. Badger بعنوان : *Imams and Seyyids* ، لندن سنة ١٨٧١ . (٧) *Revue Egyptienne de Droit International* ، فى مجلدين سنة ١٩٥٥ . (٨) Admiralty : *A Handbook of Arabia* ، لندن سنة ١٩١٦ — ١٩١٧ . (٩) الكاتب نفسه : *Iraq and the Persian Gulf* ، لندن سنة ١٩٤٤ . (١٠) D. Harrison : *Footsteps in the Sand* ، لندن سنة ١٩٥٩ . (١١) H. Hazard : *Eastern Arabia* ، نيوهافن سنة ١٩٥٦ . (١٢) الكاتب نفسه : *Saudi Arabia* (١٣) India : *Selections from the Records of Bombay Government* ، ج ٢٤ ، بومباى سنة ١٨٥٦ . (١٤) Iraq Petrolium Co ،

Handbook، لندن سنة ١٩٤٨؛ (١٥) J. Kelly في International Affairs، لندن سنة ١٩٥٦؛ (١٦) H. Klein (المحرر): Kashf Al-ghumma، هامبورغ سنة ١٩٣٨؛ (١٧) J. Lorimer: Gazetteer of the Persian Gulf, ʿOman, and Central Arabia، كلكته سنة ١٩٠٨–١٩١٥؛ (١٨) S. Miles: The Countries and Tribes of the Persian Gulf، لندن سنة ١٩١٩؛ (١٩) J. Morris: Sultan in Oman، لندن سنة ١٩٥٧؛ (٢٠) E. Ross: Annals of Oman، كلكته سنة ١٨٧٤؛ (٢١) Saudi Arabia: Memorial of the Government of Saudi Arabia (التحكيم الخاص بالبريمي) سنة ١٩٥٥؛ (٢٢) B. Thomas: Alarms and Excursions in Arabia، إنديانابوليس سنة ١٩٣١؛ (٢٣) United Kingdom: Arbitration concerning Buraimi and the Common Frontier between Abu Dhabi and Saudi Arabia، سنة ١٩٥٥.

خورشيد [رنتز وملگان Rentz-Mulligan]

+ « بُزاخَة »: ماء بنجد في منازل أسد أو منازل جيرانهم طيِّئ (انظر المفضليات، ص ٣٦١، رقم ٣) وقد كانت قوات بني أسد يقودهم المتنبئ طليحة قد ارتدت عن الإسلام بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فهزمهم عند بزاخة خالد بن الوليد قائد أبي بكر سنة ١١ هـ (٦٣٢ م)، وقد عزز جيش خالد في هذه المعركة بألف من بني طيِّئ انفصلوا عن طليحة، وكان طليحة قد استعان بعُيَيْنَة بن حصن وسبعمائة رجل من فزَارَة غطفان الحلفاء القدماء لأسد؛ وتبين طلحة بعد أن دار قتال عنيف بين الطرفين أن كرامات النبوة التي ادعاها طليحة لم تُجْدِ في المعركة مع المسلمين، ففر من الميدان وانضم إلى صفوف الإسلام القبائل المجاورة مثل عامر التي كانت تنتظر نتيجة القتال.

المصادر:

(١) ياقوت، ج ١، ص ٦٠١ — ٦٠٢.
(٢) ابن سعد: الطبقات، ج ٣، قسم ١، ص ٣٦ — ٣٧ (٣) الطبري، ج ١، ص ١٨٧٩، ١٨٨٦ — ١٨٩١؛ (٤) ابن الأثير، ج ٢، ص ٢٥٩ — ٢٦٤؛ (٥) البلاذري، ص ٩٥—٩٧؛
(٦) Wellhausen: Skizzen، ج ٦، ص ٩—١٢
(٧) Caetani: Annali، ج ٢، ص ٦٠٤ وما بعدها
(٨) Muir: Caliphate، الطبعة الرابعة، إدنبره سنة ١٩١٥، ص ١٩ — ٢٣.

خورشيد [بوزورث C.E. Bosworth]

« بُزَاعَة » أو بزاعا: بلدة بالشام شرقي حلب، وعلى خط طول ٣٧° ٦٥' شرقا وخط عرض ٣٦° ١٣' شمالا، وكانت بزاعة أهم مكان في إقليم بُطنان في القرون الوسطى (انظر مادة «بطنان»)، وهي تعرف الآن باسم بِزّاعة فقط، وهو من الأسماء التي أطلقت عليها منذ أيام ياقوت.

ويقول الرحالة ابن جبير الذي عاش في القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) إن مساحة

بزاعة كانت أيامه وسطاً بين المدينة والقرية ، وقد اشتهرت هذه البلدة بعيونها الجارية وحدائقها الزاهرة وأسواقها الحسنة . وتشرف عليها قلعة حصينة . ويروى أبو الفداء أن مشهد عقيل ابن أبي طالب أخي الإمام على خارج حدودها . وقد نسخ أوبنهايم Oppenheim ثلاثة نقوش على المسجد الذى فى غربها الأقصى ، وهى تشير إلى الملك الصالح إسماعيل بن نور الدين الذى حكم من سنة ٥٦٩ — ٥٧٧ هـ (١١٧٤ — ١١٨١ م . انظر Van Berchem : مقاله المذكور فى المصادر . الأرقام من ٧٠ — ٧٢) .

واستولى الصليبيون على بزاعة سنة ٥٣٢ هـ (١١٣٨ م) بعد أن حاصروا قلعتها سبعة أيام . واستعادها زنكى فى العام نفسه ، ووقعت فى يد صلاح الدين سنة ٥٧١ هـ (١١٧٥ م) .

وإلى الشمال من بزاعة على مسافة قصيرة تبلغ خمسة أميال تقوم « الباب » وهى تعلو عن سطح البحر بمقدار ١٠٥٠ قدماً (Baedeker : Palestine ص ٣٩٦) وكانت فى القرون الوسطى محطة هامة فى الطريق من حلب إلى مَنْبِج وعلى مسيرة يوم واحد من كل منهما أو قل هى أقرب إلى منبج . وكانت الباب ضاحية من ضواحى بزاعة يوماً ما ومن ثم سميت أحياناً باب البزاعة ، وكانت أيضاً سوقاً هامة للبضائع القطنية التى كانت تصدرها إلى دمشق وحلب . والحق إن الإقليم كله المجاور لحلب ومنبج كان مشهوراً بالقطن . وهناك خمسة نقوش عربية ترجع إلى القرنين الرابع عشر والثامن عشر فى Van Berchem (مقاله المذكور فى المصادر ، الأرقام من ٦٣ إلى ٦٧) ؛ وقرية « تَاذِف » ، وهى « تيدف » الآن ، أقرب إلى بزاعة من الباب ناحية الجنوب (انظر أيضاً فان برشم فيما يختص بنقشين نسخا من هذه القرية ، الرقمان ٦٨ و ٦٩) .

المصادر :

(١) ابن جبير ، طبعة ده غويه ، فى سلسلة كب التذكارية ، جـ ٥ ، ص ٢٤٩ ؛ (٢) ياقوت : المعجم ، طبعة فستنفلد ، جـ ١ ، ص ٤٣٧ ، ٦٠٣ ، ٨١١ ، (٣) الدمشقى ، طبعة مهرن Mehren ، ص ١١٤ ، ٢٠٥ ؛ (٤) أبو الفدا : تقويم البلدان ، طبعة باريس ، ص ٢٦٧ ، (٥) مراصد الاطلاع ، طبعة جوينبول ، جـ ١ ، ٣ ، ص ١٥٠ ، ١٩٤ ، جـ ٤ ، ص ٣٣٦ ، (٦) خليل الظاهرى : زبدة كشف الممالك ، وكان هذا الكتاب موضع رسالة قدمها هارتمان R. Hartmann إلى جامعة توبنكن ، سنة ١٩٠٧ ، ص ٦٢ ، (٧) ابن الشحنة : تأريخ حلب = A.V. Kremer : Denkschr. der Wien. Akad. d. Wissensch. سنة ١٨٥٢ ، جـ ٣ ، الرسالة الثانية ، ص ٣٧ ، ٣٨ (٨) Arnold : Chrestom. arabica ، هاليس Halis سنة ١٨٥٣ ، جـ ٢ ، الحواشى ، ص ١٧ ، وهو يذكر لنا أماكن قليلة (٩) Le Strange: Palestine under the Moslems ، سنة ١٨٩٠ ، ص ٤٠٦ ، ٤٢٦ ، ٥٤٠ (١٠) M.V. Berchem فى مناقشته لكتابات أوبنهايم فى Beitr. Zur Assyriol. ، جـ ٧ ، عدد ١ ، سنة ١٩٠٩ ، ص ٥٦ — ٥٧ ؛ (١١) Weil ؛

Gesch. der Chalifen جـ ٣ ، ص ٢٨٢ – ٢٨٥ ؛ (١٢) R. Pococke : *A. Description of the East* ، جـ ٢ ، لندن سنة ١٧٤٥ ، ص ١٦٨ (١٣) Ritter : *Erdkunde* جـ ١٦ ، ص ١٦٩٥ (١٤) Sarre und Herzfeld : *Archaeol. Reise im Euphrat und Tigrisgebiet* ، جـ ١ ، برلين سنة ١٩١١ م ، ص ١١٤ — ١١٥ .

[M. Streck شترك]

+ « برتَّا » : (انظر مادة « دبلو ») .

+ « بردوخ » : (انظر مادة « جركس ») .

+ « بزُرْجِمِهر » (بزرگمهر) : اسم شخص إيرانى (الصيغة المعربة بزرجمهر) وقد ذهبت الرواية التى رواها الكتاب الإيرانيون والعرب إلى أن هذا الرجل أوتى كل قدرة وكل فضيلة ، وكان وزير كسرى أنوشروان (خسرو الأول أنوشروان) فى القرن السادس الميلادى . ولم تشر إلى بزرجمهر أقدم المصادر التى عرفت الكتاب البهلوى « خوذاى ناماغ » (أى كتاب الملوك) الذى كتب حوالى نهاية العصر الساسانى (القرن السابع الميلادى) ، وهو المصدر الذى استقت منه أقلام الكتاب العرب أقدم الأخبار عن تاريخ إيران قبل الإسلام مثل الطبرى وابن قتيبة . وإنما أصبح بزرجمهر فى الكتب المتأخرة بطل النوادر المستقاة من الرواية الشعبية (فى الثعالبى : تاريخ ملوك الفرس ، وهو باب فى « غرر السير » ، ويتردد أكثر من ذلك فى شاهنامة الفردوسى) . كما أصبح فى بعض الأحيان مبدع سنن حكيمة هى البقية الباقية من مجموعات (أندرز) ترجع إلى العصر الساسانى ظلت ماثلة فى بعض الكتب الفهلوية الصغرى من العصر التالى للعصر الساسانى (وخاصة « پند ناماغ ووزرغمهر بختغان » أى « كتاب سنن بزرگمهر بن بختاغ ») ؛ وقد ترجمت هذه السنن إلى العربية والفارسية ، ترجمها عدة كتاب هم : المسعودى ، والفردوسى (ويرد فى قصيدته بزرجمهر يبدى الملك كتاباً فى الحكمة هو ثمرة ما دار بينهما من أحاديث ، وهو فى حقيقته مأخوذ من « پند ناماغ » ونظام الملك وغيرهم .

وثمة ثلاث حكايات عن بزرجمهر لها شأن لأن عناصرها ترجع إلى أصل شعبى :

(١) رأى ملك الفرس فى المنام أن خنزيراً دس خطمه فى كأسه وهو يشرب ، ولم يستطع أحد أن يفسر هذا الحلم حتى أخبر بزرجمهر الملك أن إحدى زوجاته تستحظى رجلا آخر وأن الملك يستطيع أن يستوثق من ذلك بدعوة نسائه وأن يأمرهن بالتجرد عن ملابسهن ، وقد اكتشف بينهن شابا متنكراً فى ثوب امرأة (ويستطيع المرء أن يعود بالذاكرة إلى استعراض للنسوة مماثل لذلك فى قصة من مصر القديمة ، وذلك علاوة على الموضوع الشائع من تفسير للأحلام بما يكشف عن المستقبل على يد شاب مراهق) .

(٢) اكتشف بزرجمهر سر لعبة الشطرنج التي بعث بها ملك الهند إلى ملك فارس متحدياً له ؛ وهنالك اخترع لعبة النرد فلم يستطع ملك فارس ولا مستشاروه أن يكشفوا سرها (ومصدر ذلك كتاب بهلوى صغير من طراز الكتب الشعبية هو « قصة لعبة الشطرنج » : ماذغان چترنگ) .

(٣) كان بزرجمهر مغضوباً عليه ملقى فى السجن وإذا به يستدعى حين أبى ملك الروم (البوزنطيين) أن يؤدى الجزية لملك فارس إلا إذا حزر ما يحتويه صندوق مختوم مرسل إليه . وهنالك يستدعى الملك بزرجمهر فيحل اللغز فيستعيد الحظوة لدى الملك (ويلحق بالموضوع السابق موضوع الحكيم الذى أطلق سراحه وجوزى على حكمته ؛ ويتبين نولدكه مشابهة هذا الحادث لحادث آخر فى قصة الحكيم أحيقر) ؛

وهذه الحكايات تجعل بزرجمهر متصلا اتصالا مباشراً بالرواية الشعبية . ولكن أتراه شخصية تاريخية أم شخصية أسطورية ؟ ع لقد لاحظ كريستنسن A. Christensen بحق فى مقال له بشأنه أنه — إلى جانب الإشارات إلى بزرجمهر — توجد إشارات أخرى تتصل بالحكيم الذى أصدره هرمزد مثل ثلاثة من مستشارى ابنه وخليفته أنوشروان . وكان ابن من هؤلاء الأبناء اسمه بزرگمهر (فى الثعالبى) وبرزمهر ، ثم «أسماه بُرْزين» ، وهو اسم دليل لبرزمهر (فى الفردوسى) ؛ أما عن الاسم برزويه الطبيب المشهور الصاحب المزعوم للاقتباس البهلوى لكليلة ودمنة الذى كان معاصراً لأنوشروان ، فإن يوستى Justi فى (Iran Namenbuch ، ص ٧٤) وكريستنسن ، يريان فيه هذا الجذر نفسه « بُرْز » (بمعنى رفيع المقام) وكاسعة للتدليل (مثل برزين) « ولما كانت الأسماء التى يدخل فيها الجذر « برز » وهى من خصائص العصر الساسانى » نادرة جداً » فإن برز جمهر (« أى الذى [تحميه] الإلهة مترا الرفيعة المقام) يتصل من حيث المعنى ببزرجمهر (التى تحميه الإلهة الكبرى مترا) ؛ زد على ذلك أنه يكفينا أن نكتب الكلمتين بالعربية لنرى كيف تمكن أن يلتبسا فى يسر كبير ؛ وأخيرا نقول إن فقرات بعينها فى مقدمة كليلة ودمنة ، التى تنسبها الروايات إلى برزويه وقد عرفت عن طريق الترجمة العربية لكليلة بقلم ابن المقفع ، تسوق تفصيلات فى السير ينسبها الكتاب أيضاً إلى بزرجمهر أو يجعلونها نهباً مقسما بين عدة شخصيات؛

وصفوة القول إن إيران فى عهد أنوشروان كانت متأثرة بالحضارة الهندية ، وذلك بفضل بعض ذوى الحجى . ومنهم برزويه الذى اشتهر باقتباسه الفهلوى للبنچتنترا ، وإدخال الشطرنج فى إيران ينسب إليه ، وكذلك بعض السنن والحكم ، ثم نسب إليه من بعد بعض خصائص الحكمة والتنبؤ بالغيب مما كان موجوداً فى الرواية الشعبية . ثم أدت قراءة خاطئة لاسمه كما يرسم فى العربية إلى خلق شخصية مزدوجة .

المصادر :

(١) A. Christensen : *La légende du Sage Buzurjmihr* . فى *Acta Orientalia* ، سنة ١٩٣٠ ،

جـ ١/٣ ، ص ٨١—١٢٨ (دراسة أساسية مفصلة ، مع تحليل للمصادر وإيراد مختارات منها) . (٢) الكاتب نفسه : *Iran sous les Sassanides* (وخاصة ص ٥٧ — ٥٨ والفهرس ، مادتى «وزرگمهر » و «برزويه») ؛ (٣) أما عن ظفر نامه فانظر متنها فى Ch. Chefer : *Chrestomatie persane* ، جـ ١ ، ص ١ — ٧ وترجمة كريستنسن فى ... *La Légende* ص ١٢١ (٤) *Grundriss der Iran Philologie* ، جـ ٢ ، ص ٣٤٦ — ٣٤٧ .

خورشيد [ماسيه H. Massé]

+ « بُزُرْك — أُمّيد » كيا : الداعى الثانى (١١٢٤ — ١١٣٨ م) للإسماعيلية النزارية ، ولا شك أنه كانت تربطه أواصر المصاهرة بالأسر الحاكمة فى مازندران ؛ وقد كان بزرگ من سنة ٤٩٥ إلى سنة ٥١٨ هـ (١١٠٢ — ١١٢٤ م) الوالى الإسماعيلى على لُمَّسَر وهى معقل فى رودبار ألموت ، وكان هو وثلاثة من الزعماء الآخرين قد احتلوها لحساب الحسن الصباح حين حنث أصحابها بالعهد الذى عاهدوا الإسماعيلية عليه ودبروا استدعاء الأمير السلجوقى نوشتگين شيرگير .

وقد لجأ بزرك إلى السخرة فى العمل فأعاد بناء المعقل وزوده بالمياه والبساتين الجميلة . وهناك نجح فى مقاومة آخر وأخطر الهجمات على الإسماعيلية التى شنها جنود محمد تَپَر بقيادة شيرگير سنة ٥١١ هـ (١١١٧ م) . وقد أقامه الحسن الصباح وهو على فراش الموت سنة ٥١٨ هـ (١١٢٤ م) خليفة له فى رئاسة دعاة الفرق هو وثلاثة من الزملاء .

وفى عهده احتفظت الدولة الإسماعيلية باستقلالها أمام الهجمات المتجددة (انظر مادة « ألموت » ، قسم ٢ ، الأسرة الحاكمة) وأقيمت عدة معاقل جديدة بما فى ذلك ميمون دز سنة ٥٢٠ هـ (١١٢٦م) . وفى سنة ٥٢٦ هـ (١١٣١ م) هزم وقتل إماماً زيدياً هو أبو هاشم الذى كان قد قام فى ديلمان وكان له أتباع امتدوا حتى خراسان .

وتوفى بزرك أمّيد سنة ٥٣٢ هـ (١١٣٨ م) تاركاً منصب « الداعى » لابنه محمد . ودفن إلى جوار الحسن الصباح حيث يزار قبره للتبرك . وأحفاده هم أوجه أسرة فى ألموت .

المصادر :

(١) رشيد الدين : جامع التواريخ ، القسم الخاص بالنزارية . (٢) الجوينى ، جـ ٣ ، ص ٢٠٨ وما بعدها . (٣) وانظر أيضاً ما ورد فى M. G. Hodgson : *The Order of the Assasins* ، لاهاى سنة ١٩٥٥ ، الفهرس .

خورشيد [هودگسون M.G.S. Hodgson]

+ «بُزُرْگ بن شهريار» : ربان (ناخذا) سفن فارسية من رام هرمز فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى ، وصاحب «كتاب عجائب الهند» ؛ وهذه العجائب مجموعة من ١٣٤ حكاية

بالعربية جمعها مؤلف الكتاب من ربابنة السفن والتجار وغيرهم من الضاربين فى البحر الذين جروا على أن يمخروا عباب المحيط الهندى وأحبوا أن يذكروا الحكايات عن مغامراتهم فى شرق إفريقية والأرخبيل الهندى والصين . وكذلك هم يذكرون عرضاً بعض المعلومات عن هذه البلاد وعادات أهلها . ويرد فى بعض الأحيان ذكر تاريخ الحادثة المروية . وآخر هذه السنوات كانت سنة ٣٤٢ هـ (٩٥٣ م) . وتكشف لغة الكتاب عن بعض الخلال العربية فى القرون الوسطى (انظر مادة « عربية ») .

المصادر :

(١) المتن العربى . وهو لايوجد إلا فى مخطوط إستانبول . آياصوفيا رقم ٣٣٠٦ . وقد نشره ڤان درليث P.A. van der Lith مع ترجمة فرنسية بقلم M. Devic . ليدن سنة ١٨٨٣ — ١٨٨٦ . وثمة ترجمة فرنسية جديدة J. Sauvaget أوردها فى كتابه Memorial . ج ١ ، دمشق سنة ١٩٥٤ . ص ١٨٨ — ٣٠٠ . والترجمة الروسية بقلم R.I. Ehrlich . موسكو سنة ١٩٥٩ . (٢) انظر Brockelmann . ج ١ ، ص ٤٠٩ .

[فوك J.W. Fueck]

+ « بزّازستان » : (انظر مادة « قيصرية ») .

+ « بزّستان » : (انظر مادة « قيصرية ») .

+ « بزستان » : (انظر مادة « قيصرية ») .

« بزم عالم » : (انظر مادة « الدوسلطان ») .

+ « پزنترن » : أو پسنترن : كلمة جاوية معناها مكان السنترى . وهى الجامعة التى يؤمها طلاب العلوم الدينية (أى السنترى) فى جزائر جاوة ومادوره . وتسمى فى مادوره « پنچنترن » . وإذ كانت عندهم مساكن الطلبة ، فإذا قالوا سنذهب إلى الپندك كان المعنى المراد سنلتحق بالپزنترن .

ويتلقى المسلمون فى جزائر الهند الشرقية تعليمهم الأولى من حفظ القرآن والعلم بفرائض الدين على شيوخ يقومون بتدريس هذه المواد فى منازلهم . كما أن فى قرى جاوة ومادورة ومدنهما شيوخاً يجمعون حولهم عدداً من التلاميذ فى المساجد ، أو فى بيوت هؤلاء الشيوخ أنفسهم ، أو فى مبنى خاص بهذا الغرض . وكلما ذاعت شهرة هؤلاء الشيوخ زاد إقبال التلاميذ عليهم من الأنحاء البعيدة . وعاشوا حيث يعيشون مدة يتلقون عنهم العلم فيها .

والپزنترن عبارة عن معاهد تحصل فيها العلوم

الدينية العالية ، وهى تتكون من مبان عدة إما أن تقوم خارج القرية ،وإما أن تكون حياً منفصلا من أحيائها . ويصدر أمراء جاوة بين حين وحين مراسيم تعطى بمقتضاها الضرائب التى تحصل من القرية إلى شيوخ البزنترن الموجودين فيها ، كما تحبس بعض المتدينين الأوقاف عليها ، فإذا لم يكن هذا أو ذاك كان البزنترن معهداً خاصاً أنشأه عالم استفاضت شهرته فى التدريس ، ولذلك يتوقف إنشاؤه وتقدمه وانحلاله على شخصية هذا الشيخ وتقدير الناس لعلمه ، بل إن المعاهد التى تنفح بالهبات المنظمة تتأثر هى الأخرى بشخصية الشيوخ القائمين عليها .

ويتألف البزنترن أولا وقبل كل شىء من بيوت الشيخ ومساعديه ثم من قاعات الدرس وزاوية الصلاة ، ويندر وجود المسجد الجامع ، ثم مساكن الطلبة التى تسمى البندك ثم أهراء الأرز ، وتشغل هذه المبانى مساحة كبيرة من الأرض . وتتميز مساكن الطلبة عن بقيتها بطراز معمارى خاص ، فهى فى العادة بناء مربع مشيد من المواد البنائية المألوفة ، ويقوم فى داخله جداران يقسمانه إلى ثلاثة أقسام مستطيلة متساوية العرض ، والقسم الأوسط منها بمثابة ممر ممتد من طرف البناء إلى طرفه الآخر . أما القسمان الباقيان فتشغلهما غرف الطلبة ، والحواجز تقسم كلا منهما إلى غرف صغيرة متساوية .

وللبندك فى وسط إحدى الحوائط الخارجية القصيرة باب يؤدى إلى الممر . وأنت لا ترى هناك إلا حوائط عارية بها قليل من الأبواب الواطئة المصنوعة من المواد النباتية نفسها ، والتى تؤدى إلى الغرف الصغيرة . وهذه الأبواب على مسافات متساوية من الجدارين ، كل باب يقابل الآخر عادة ، وتضىء الغرف كوات منخفضة جداً فى الحوائط حتى أن ساكن الغرفة لايملك إلا أن يجلس أو يضطجع على الأرض . وقد اعتاد الطلبة استذكار دروسهم وهم متكئون ، ويعيش فى الغرفة الواحدة عدد من الطلاب ، وقد يكون لبندك البزنترن المشهور طابقان ، وربما بلغ عدد الطلبة عدة مئات ، وربما كان عددهم أقل من القليل ، كما توجد مئات من البزنترن ، ويحافظ على النظام فى كل بندك واحد من الطلبة القدماء أو الشيوخ الحديثين ، وعلى الرغم من هذا فإن النظافة تعوزهم . وشيخ البندك عريف فى الوقت نفسه عليه أن يعاون الطلبة فى مختلف شئونهم . ونشترك النساء أحياناً فى تحصيل العلوم الدينية ، ولكن يندر أن يعشن فيها .

وللبزنترن حياته الخاصة به ، فالنشاط يدب فيه حتى قبل طلوع الفجر ، وتبدأ الدروس بعد صلاة الصبح التى يؤمها الشيخ بنفسه ويعقبها ذكر ، ويقوم الشيخ بتلقين المبتدئين دروسهم الواحد تلو الآخر ، ويعودون بعد ذلك إلى البندك حيث يأخذون فى مراجعة دروسهم بأنفسهم أو بمعاونة طالب متقدم عنهم أو بمساعدة شيخ البندك ، ويظلون على هذه الحال إلى الظهر فيتناولون طعامهم مجتمعين ، وهى وجبتهم الوحيدة غالباً ، ثم يتوجهون إلى الزاوية لأداء فريضة الظهر كما يدعون إلى الصلوات الثلاث

أخرى » ويخصصون مابين أوقات الصلاة للدرس . ويلقن الشيخ الطلبة المتقدمين مجتمعين بأن يقرأ لهم نصاً عربياً ويترجمه ويعلق عليه بما يوضحه . وينتهي العمل اليومي بفراغهم من صلاة العشاء . وقد يقوم بعض الطلبة بأعمال صغيرة ، ثم يشمل السكون الجميع . وفى يوم الجمعة تتغير الحياة الرتيبة بعض الشيء ، إذ يتوجه الكل إلى أقرب مسجد جامع لأداء فريضة الجمعة . » يشتغل الطلبة بعد فى زمن الحصاد بعمل البعض فى حقول الأرز . ويجمع البعض الزكاة ، ويعود الكثيرون منهم إلى بيوتهم فى شهر رمضان .

والفقه أول مايدرس للطلبة فى البزنترن . وهم يعتمدون فى دراسته على الكتب المتداولة فى البلاد التي يسودها مذهب الشافعي . كما توجد مصنفات كثيرة باللغة الجاوية ، وهم يطلقون لفظ كتاب على المصنفات المنقولة عن العربية أو المصنفات الدينية عامة . والجاوية لغة التعليم فى البزنترن ، بيد أن الكتب السندنية تحل محل الجاوية فى غرب جاوة حيث تنتشر اللغة السندنية . وتدرس الأصول فى هذه المعاهد ، وهم لايتبعون فيها مذهباً بعينه . ولا يقتصرون فى دراستها على كتب الشوافع وحدهم ، وقليلا مايدرس التصوف القديم . والحق إن هناك لوناً من ألوان التصوف مشوباً بوحدة الوجود ، ولكن تدريسه فى البزنترن قليل . ويسمى الطالب كتاب الفقه الذى يعتمد فى الدراسة عليه بهذه الكلمة معرفة «كتاب پكه » ولا يزيد فى التعريف به شيئاً ، وإنما يعرف عنوان الكتاب الذى يدرسه ، كما يعرف كتاب الأصول باسم «كتاب أصول » . وتعرف بهذا الاسم أيضاً الرسائل الصغيرة التى تتناول الإرشادات العامة فى الفرائض والأصول .

وطريقة التدريس تميز البزنترن عن سواه من المعاهد ، فالطالب إذا فرغ من دراسة الكتب الأولية شرع فى دراسة مصنفات عربية أهم من الأولى ، وهو يقرؤها فقرة فقرة بإرشاد شيخه الذى ربما لم يكن قد تعلم العربية على أصولها ، وهو يعتمد على ذاكرته وحدها فى النطق والتصويت ، ثم يترجم الشيخ الفقرة ويفسرها ، وهكذا يتقدم الطالب فى درسه حتى يصبح قادراً على أن يترجم بنفسه إلى الجاوية النصوص العربية السهلة (بيان الكتب المتداولة فى الوقت موجودة فى *T.B.G.K.W.* ، ج ٣١ ، عام ١٨٨٦ ، ص ٥١٨ وما بعدها) ، ويستغرق هذا مدة طويلة من الزمن ، ويشجعه على المضى فى سبيله اغتباطه بزيادة علمه ونشوته كلما رأى نفسه قادراً على أن يقرأ وحده النصوص العربية ، وقد حلت طريقة أخرى محل هذه الطريقة بتأثير المكيين والحضارمة ، وهى تجعل الدراسة تبتدئ بتعلم النحو العربى ، ولعل هذا أقرب إلى المنطق . » ليس لهذه الطريقة من سيئة إلا مايعترض الأندونسيين فى تعلم العربية من صعاب .

والدراسة فى البزنترن حرة ، والإجازات العلمية لاتطلب ولا تمنح . والطالب حر فى حضوره ومنصرفه . ويكون غالب الطلاب قد حصل على شيء من التعلم الأولى قبل التحاقه بالبزنترن . ويدفع الشاب إلى الالتحاق بهذه المعاهد الرغبة

فى التفقه فى علوم الدين ورجاء الأسر الكبيرة والغنية فى أن يكون من أبنائها من يقف نفسه على دراسة الدين ، كما ينزع إليها البعض طلباً للمعاش . ويحاول الطلبة التعلم على شيوخ عديدين . لكل منهم موضوعه المختص به . وهم يتنقلون من معهد إلى معهد ، ويقضى بعضهم عمره فى التنقل والتجوال طلباً للعلم . فى حين يستقر الآخرون فى بقعة من البقاع ، ليست موطنهم على كل حال ، إذا قر فى نفوسهم أنهم نالوا حظهم الكافى من العلم . وهناك يصبحون شيوخاً أو مساعدى شيوخ بزنترن أو يظلون علماء مستقلين . والدراسة فى البزنترن لاتؤهل صاحبها لتولى منصب من المناصب . ذلك لأن القاعدة المرعية هناك أن رجال الدين بمعزل عن كل ماهو رسمى أو متصل بالحكومة . وإن كان أئمة المساجد الكبرى قد درسوا فترة من الزمن فى هذه المعاهد .

ومن المكروه عندهم أن يأخذ معلم الدين أجراً على دروسه . ولذلك فإن غالب الشيوخ من المتيسرين . وهم يمنحون الهبات تبركاً بهم . ويرحب بالواحد منهم غاية الترحيب فى كل حفل دينى ، وما أكثرها فى الحياة الجاوية ، ويتجه إليه الجميع فى كل وقت طلباً لعلمه أو شفاعته . وكلما فعلوا ذلك نفحوه بالهدية ، كما يقدم إليه الطلبة المستجدون هداياهم إذا استطاعوا إلى ذلك سبيلا . ويعود الطلبة الموسرون من بيوتهم مزودين بالهدايا ، فى حين يشتغل الفقراء منهم فى حقول الشيخ .

ومعظم الطلبة فقراء ، والحق إنهم يعيشون على التسول ، فأنت تراهم يتجولون فى الإقليم أياماً بعينها ، ولا يعتبر تسولهم رذيلة ، لأن الناس يعطونهم من غير تردد لأنهم يحصلون علوم الدين ، وفى إعطائهم تبرك ، كما يعيشون بالعمل فى الحقول أو نسخ القرآن . . . إلخ . وهذا يزودهم بالقليل الذى يحتاجون إليه فى عيشة التقشف التى يحيونها . ولا تحفل حكومة المحتلين بالبزنترن إلا بمقدار مايتطلبه الإشراف العام عليها ، فكلما أنشئ معهد جديد أخطرت الحكومة به ، ويحفظ حاكم الإقليم سجلا يحوى أسماء الطلبة والكتب التى يتداولونها .

وتزعزعت مكانة البزنترن من جراء انتشار المدارس التى على النمط الأوربى ، فالواقع أن البزنترن يزود الطالب بعلوم الدين ، فى حين أن المدارس التى تنشئها حكومة المحتلين لاتعنى بهذا الجانب أصلا . وإنما تزودهم بدراسة شئون الحياة مما أدى إلى قيام مدارس خاصة تقوم بالغرضين معاً . وتسمى أمثالها مدرسة . ويسمح للجميع بالالتحاق بها . وتتصل بهذه المدارس معاهد عالية للعلوم الدينية فيها شأن كبير . وهى تدين بإنشائها للأوساط المتأثرة بالآراء الحديثة ، فطريقة التعليم فيها مقتبسة من النماذج الأوربية وإن كان مظهرها العام لايختلف كثيراً عن البزنترن القديم . وتسميتها مدرسة تشير إلى انتقالها من مصر أو بلاد العرب . ونظامها — بصرف النظر عن الثقافة الدينية التى تؤديها — منقول عن مدارس الحكومة .

وفى إقليم الملايو المننگكاباوية بأواسط سومطرة معاهد دينية تشبه البزنترن ، ويطلق عليها اسم سرَاو

Surau ، ويطلق هذا الاسم كذلك على المدارس الأولية والزوايا ومساكن الرجال كما يطلق على المبنى المنفصل الخاص بالمعهد . ومساكن الطلبة هنا لاتنقسم إلى غرف صغيرة ، لأنهم يشتركون فى صحن عام للدرس والنوم .

ولآشي كذلك معاهد قريبة الشبه مما فى جاوة ، وطريقة التعليم التى تعتبر جديدة فى جاوة هى الوحيدة هنا ، وكل مافى الأمر أن اللغة الملاوية تحل محل اللغة الجاوية ، والعلم بهذه اللغة ضرورى للطالب فى آشي : ومساكن الطلبة التى تسمى « رنگ كنگ » مماثلة للبندك الجاوى ، وكما أن البزنترن يطلق عليه كلمة بندك فى جاوة فكذلك يطلق « رنگ كنگ » فى آشي على المعهد بأسرة .

المصادر :

(١) G. Snouck Hurgronje : *De Atjehers* ، بتافيا ، عام ١٨٩٤ م ، جـ٢ ، ص١ وما بعدها (٢) الكاتب نفسه : *De Islam in Nederlandsch-Indie* فى *Gesammelte Schriften* ، جـ٤ ، ص٣٧٧ وما بعدها (٣) *De Masdjids in inlandsche godsdienstscholen in de Padangsche bovenlanden* فى *J. G.* ، جـ١ ، عام ١٨٨٨ ، ص ٣١٨ وما بعدها .

[كرن R.A. Kren]

+ « بَزِيغ بن موسى » الملقب بالحائك : زنديق شيعى وهو تلميذ لأبى الخطاب (انظر هذه المادة) كان – كشيخه – قد رماه الإمام جعفر الصادق بالزندقة ، بل إن أبا الخطاب نفسه قد تبرأ منه فى قول النوبختى ، ويذكر الكشى رواية بأن جعفر الصادق حين علم بمقتل بزيغ أظهر رضاه . وهذا من شأنه أن يجعل وفاة بزيغ قبل وفاة جعفر الصادق سنة ١٤٨ هـ (٧٦٥م) : وكان بزيغ – شأن الكثيرين من غلاة الشيعة الأقدمين – من أرباب الحرف ، فقد كان نساجا من الكوفة ، وتنكر بعض الناس بصدور دعاوى دينية عن مثل هذا الشخص ذى الأصل الوضيع ، وقد عرف أتباعه باسم « البزيغية » .

المصادر :

(١) الكشى : معرفة الرجال ، بومباى سنة ١٣١٧ هـ ، ص ١٩٦ – ١٩٧ (٢) النوبختى : فرق الشيعة ، طبعة H. Ritter ، إستانبول سنة ١٩٣١ ، ص٣٨ ، ٤٠ ، (٣) الأشعرى : مقالات الإسلاميين ، طبعة Ritter ، إستانبول سنة ١٩٢٩ ، جـ١ ، ص١٢ (٤) البغدادى : الفَرق بين الفِرق (ترجمه إلى الإنكليزية A.S. Halkin ، تل أبيب سنة ١٩٣٥) ص ٦٤ – ٦٥ (٥) المقريزى ، جـ ٢ ، ص ٣٥٢ (٦) الشهرستانى : الملل ، ص١٣٧ (٧) الإيجى : المواقف ، ص٣٤٦ (٨) J. Friedlaender : *The Heterodoxies of the Shi'ites* ، فى *Jour. of American Oriental Society* ، سنة ١٩٠٧ ، ١٩٠٨ ، الفهرس (٩) A.S. Tritton : *Muslim Theology* ، لندن سنة ١٩٤٧ ، ص ٢٧ – ٢٨ (١٠) W. W.Rajkowski : *Early Shi'ism in Iraq* ، رسالة لم تطبع لنيل درجة الدكتوراه فى الفلسفة من جامعة لندن

[هورشيه (لويس B. Lewis)]

« البَسَاسيرى » ، أبو الحارث أرسلان ويلقب بالمظفر : أحد القواد الأتراك فى أواخر عهد بنى بويه وحاكم عسكرى لمدينة بغداد .

تخاصم البساسيرى مع ابن المُسْلِمة المعروف برئيس الرؤساء وزير الخليفة القائم بأمر الله لأنه طلب معاونة السلاجقة للتخلص من بنى بويه المتشيعين . فلما دخل طغرل بك مدينة بغداد عام ٤٤٧ هـ (١٠٥٥ م) اضطر البساسيرى إلى مغادرتها ، ولكنه استطاع أن يعود إليها بعد ذلك بعدة أعوام ، أى عام ٤٥٠ هـ (نهاية عام ١٠٥٨ م) وأراد أن يثأر لنفسه من الخليفة العباسى وخصمه الألد ابن المسلمة . وكان قد جمع حوله فى هذه الفترة عدداً من الساخطين ، فجاهر بمناصرته للمستنصر الخليفة الفاطمى ، وهكذا نجح فى الاستيلاء على العاصمة بمساعدة قريش بن بدران العقيلى (انظر هذه المادة) بيد أن الخليفة ووزيره التجآ إلى قريش الذى أمّن الأول على حياته وسلم الثانى للبساسيرى بناء على إلحاحه فقتله شر قتلة ؛ ولم يستطع البساسيرى الثبات طويلا لأن طغرل بك تقدم نحو بغداد ثانية فحاول الفرار ولكن الجيش الذى أرسل خلفه لحق به وقتل عام ٤٥١ هـ (١٠٦٠ م) .

والبساسيرى نسبة شاذة للمدينة الفارسية بسا أو فسا (ياقوت : معجم البلدان ، طبعة فستنفلد ، ج ٣ ، ص ٨٩٢) .

المصادر :

(١) ابن الأثير ، طبعة تورنبرغ ، ج ٩ ، ص ٢٩٧ وما بعدها (٢) ابن خلكان ، الوفيات ، انظر أرسلان (٣) أبو المحاسن ، طبعة يوبر ، ص ١٧١ وما بعدها ، ص ٢٢٥ .

+ البساسيرى ، أبو الحارث أرسلان المظفر : كان فى أول أمره مملوكا تركية ثم أصبح بعدُ من أكابر القواد العسكريين فى نهاية العصر البويهى ، وترجع نسبته البساسيرى (الفساسيرى) إلى سيده الأول الذى كان من بَسَا (فَسَا) بفارس .

كان البساسيرى مولى لبهاء الدولة ، ومن ثم ارتقى إلى أرفع المراتب ، وإن كنا لا نسمع به إلا منذ عهد جلال الدولة (٤١٦ — ٤٣٥ هـ = ١٠٢٥ — ١٠٤٤ م) فى الصراعات التى كان جلال الدولة مضطرا أن يخوضها ضد ابن أخيه أبى كاليجار وبنى عقيل أصحاب الموصل ؛ وفى عهد الملك الرحيم خسرو فيروز (٤٤٠—٤٤٧هـ=١٠٤٨—١٠٥٥م)، وهى فترة اضطرابات متصلة بسبب خروج الجنود الأتراك على النظام فى بغداد ، وأطماع بنى عقيل والمطالبين البويهيين بالعرش ، وغارات السلب التى كانت تشنها القبائل العربية والكردية ، ثم بسبب تدخل السلطان السلجوقى طغرل بك فى شئون الجزيرة — قدر للبساسيرى أن يلعب دوراً رئيسيا (انتزعت الأنبار من قرْواش العقيلى ، سنة ٤٤١هـ = ١٠٥٠م، وانتزعت البصرة من أخى الملك الرحيم سنة ٤٤٤هـ=١٠٥٢م، وشنت الحملات على قطاع الطرق من العرب والكرد فى بوازيج سنة ٤٤٥هـ =١٠٥٤م وبذل العون لدبيس المَزْيَدى الشيعى الذى كان قد هوجم فى جامعان التى أصبحت الحلة من بعد على يد بنى خفاجة . . إلى غير ذلك من

الحوادث) ؛ على أنه عجز عن أن يوقف فتنة الأتراك فى بغداد التى أعقبتها مشاهد من النهب والقحط وغارة شنها جنود قريش العقيلى صاحب الموصل على بردان وحملوا معهم من حظائره الجمال والجياد . وفى نوفمبر من السنة نفسها استولى قريش على الأنبار إقطاع البساسيرى . وقطع ما بينه وبين البويهيين وجعل الخطبة باسم طغرل بك .

وكان للبساسيرى فى بغداد خصم قوى هو وزير الخليفة ورئيس الرؤساء أبى المسلمة الذى تنبأ بنهاية بنى بويه فأقام صلة بالفعل بينه وبين طغرل بك ، ذلك أن البساسيرى عمد سنة ٤٤٦هـ(١٠٥٤ — ١٠٥٥م) ، وهى السنة التى كان لمشاحنة القائد التركى مع الخليفة وحاشيته أثرها ، إلى اتهام ابن المسلمة باستدعاء غز طغرل الذين كانوا فى حلوان منذ سنة ٤٤٤ هـ (١٠٥٢ — ١٠٥٣م) ومنع الوزير البساسيرى من الوقوف فى وجه أنصار قريش الذين كانوا قد قدموا بغداد ، ورد البساسيرى على ذلك باحتجاز قارب من قوارب الوزير وسحب المعاشات الشهرية التى كانت تجرى على الخليفة والوزير ، وأخذ الأنبار عنوة فى مارس سنة ١٠٥٥ ؛ ولما عاد إلى بغداد امتنع عن أن يشخص إلى الخليفة ويؤدى له فروض الاحترام .

والراجح أن البساسيرى كانت له بالفعل ميول شيعية ، ذلك أنه حدث سنة ٤٤٧هـ(١٠٥٥م) وقت قيام مظاهرات أهل السنة فى بغداد ، أن استولى هؤلاء — بتحريض الوزير بلا ريب — على سفينة كانت تحمل الخمر المراد إرسالها إلى البساسيرى ، وكان البساسيرى وقتذاك فى واسط مع الملك الرحيم ، وحطموا جرار الخمر . ولما كانت شحنة الخمر ملك نصرانى ، فقد حصل البساسيرى على فتوى تقول بأن تحطيم هذه الجرار مناف للشرع ؛ ومن ثم دأب الوزير على تحقير البساسيرى فى أعين أتراك جيشه وعين الخليفة القائم . فقد اتهمه بالاتصال بالخليفة المستنصر الفاطمى وتسبب فى نهب داره ببغداد وحرقها على يد الأتراك وأمر البويهى بنفيه . وفى هذه الأثناء وصل طغرل بك أمام بغداد . وكان قد أعلن عن عزمه على أداء فريضة الحج والمضى إلى الشام ومصر لخلع الفاطمى عن عرشه . وهنالك خرج الملك الرحيم مرة أخرى متجها إلى بغداد ، أما البساسيرى فقد شخص إلى صهره دبيس المزيدى . وأسف الأتراك على رحيله بعد إذ خدعهم الوزير ، وتقبل الخليفة والوزير والملك الرحيم حضور طغرل وجعلت الخطبة باسمه يوم الجمعة الخامس عشر من ديسمبر سنة ١٠٥٥ ؛ وفى اليوم الثامن عشر دخل قصبة البلاد فى جلال ؛ على أن الشغب سرعان ما دب بين السكان وغز طغرل . واعتقد طغرل أن الملك الرحيم هو المسئول عن مشاهد النهب التى تلت ذلك فأمر بالقبض عليه فى الثالث والعشرين من ديسمبر .

ولم يجد دبيس حيال أوامر طغرل إلا أن يقطع ما بينه وبين البساسيرى الذى مضى إلى الرحبة على نهر الفرات ، وكتب إلى الخليفة الفاطمى المستنصر راجيا أن يسمح باستقباله فى القاهرة ؛ ولم يوافق على ذلك الوزير اليازورى . ولكن

الخليفة استجاب لطلبه عون الفاطميين على غزو بغداد باسمه ومنع السلجوقى من السير إلى الشام ومصر ، وولاّه على الرحبة وبعث إليه بخمسمائة ألف دينار وكساوى بمثل ذلك ، و٥٠٠ جواد ، و١٠,٠٠٠ قوس ، وألف سيف ، كما بعث إليه برماح وسهام .

وقد جاء فى السيرة الذاتية – التى كتبها الداعى الفاطمى المؤيد فى الدين الشيرازى عن نفسه ، وقد كان فيما يظهر الحرض على الفتنة كما كان المبعوث الفاطمى المفوض حقا فى هذا الشأن – أن البساسيرى لم يكن البادئ بالتقرب للمستنصر . فقد كتب المؤيد إليه من قبل بلوغ طغرل بغداد ، ولو أن الرسائل لم تصل إليه إلا بعد أن دخل السلجوقى بغداد . وقد كان المؤيد هو الذى حمل المال والمؤن التى أرسلت من القاهرة إلى البساسيرى فى الرحبة كما حمل إليه براءة الخليفة الفاطمى بتقليده المنصب .

وقد شهد عام ٤٤٨ هـ (١٠٥٦–١٠٥٧م) دعوة فاطمية مركزة ، تشهد بذلك الرسائل العديدة التى وجهها المؤيد إلى أمراء الجزيرة والعراق لكسبهم إلى صف القضية الفاطمية . وقد عززت نجاحه أعمال الشطط التى ارتكبها الغز . وجعلت الخطبة باسم المستنصر فى واسط وغيرها من بلدان العراق. وعاد دبيس ، الذى كان مضطرا أن يفعل هذا الفعل مع طغرل ، إلى التحالف مع البساسيرى . وقد أيد البساسيرى بدو العرب وأتراك بغداد الذين كان طغرل قد أفسدهم . فسار مع دبيس فى عدد كبير من الجنود إلى إقليم سنجار حيث أنزل هزيمة دموية بالجنود السلاجقة بقيادة قتلمش ابن عم طغرل وحليفه قريش صاحب الموصل . وفرّ قتلمش إلى آذربيجان ، وجرح قريش وأسر وذلك فى ٢٩ شوال سنة ٤٤٨ (٩يناير سنة ١٠٥٧) ومن ثم أصبحت قضيته هى قضية البساسيرى الذى مضى إلى الموصل حيث كانت الخلافة الفاطمية معترفا بها هناك .

ولم يطل رد طغرل على هذه الأحداث ، فقد ترك بغداد فى ١٠ ذى القعدة سنة ٤٤٨ (١٩ يناير سنة ١٠٥٧) وسار إلى الموصل بعد أن تلقى الإمدادات من بلاد فارس ، واحتل المدينة ثم مضى شطر نصيبين ؛ وأسرع دبيس وقريش بالانضمام إليه ، على حين عاد البساسيرى إلى الرحبة مع أتراك بغداد وجماعة من عُقَيل . على أنه لما وصل إبراهيم إينال أخو السلطان ، وكان يكره العرب من كل قلبه . عاد قريش فانضم إلى البساسيرى على حين أدرك دبيس جامفان مرة أخرى ماراً بالرحبة . وصب السلطان جام غضبه على سنجار انتقاما من الحادث الذى وقع سنة ٤٤٨ هو ترك إينال فى الموصل ، ثم عاد إلى بغداد حيث استقبله الخليفة بكل حفاوة وخلع عليه لقب ملك المغرب والمشرق فى ٢٦ ذى القعدة سنة ٤٤٩ (٤يناير سنة ١٠٥٨) .

على أن أخا السلطان إبراهيم إينال الذى كان يطمع فى السلطنة اتصل بالبساسيرى وأرسل رسولا إلى الداعى المؤيد الذى كان قد رجع إلى حلب بغية الحصول على عون الفاطميين لانتزاع السلطنة من أخيه واعدا

أن تكون الخطبة باسم الفاطميين ؛ وترك إبراهيم الموصل فعاد إليها البساسيرى وقريش ؛ واستولى البساسيرى على القلعة التى قاومت أربعة أشهروعاد إلى الرحبة . غير أن طغرل عاد ففتح الموصل وسار إلى نصيبين ،على حين روع البساسيرى بلا شك كما جاء فى رواية المؤيد فى سيرته الذاتيه ، واتجه إلى دمشق ؛ وهناك تمرد إينال وخرج إلى الجبال . وترك طغرل نصيبين فى ١٥ رمضان سنة ٤٥٠ (٥ نوفمبر سنة ١٠٥٨) ومضى يطارده .

أما وقد تحرر العراق إلى حين من طغرل السلجوقى ، فلم يعد ثمة ما يحول بين البساسيرى وبين العودة والشروع فى هجومه المضاد . وسرعان ما بلغ نبأ وصوله إلى هيت ثم إلى الأنبار .وتردد الخليفة حائرا : أى موقف يتخذه ؟ وعلى الرغم من اقتراح دبيس المزيدى الذى قدم له ملجأ يلوذ به ، فإنه بقى فى بغداد مقدرا أنه يستطيع المقاومة ؛ وفى الثامن من ذى القعدة (٢٧ ديسمبر سنة ١٠٥٨) دخل البساسيرى غربى بغداد فى أربعمائة فارس واهى العدة يصحبه قريش على رأس مائتى فارس آخرين. وفى يوم الجمعة التالى أول يناير سنة ١٠٥٩ سُمع الأذان الشيعى وسُمعت الخطبة باسم الفاطميين من مسجد المنصور . وهناك أعاد البساسيرى إقامة جسر القوارب وعبر النهر ،وفى الثامن من يناير دعى للخليفة المنتصر فى جامع الرصافة ؛ وخندق الخليفة حول داره ؛ ولكن البساسيرى لم يكتف بوقوف شيعة الكرخ إلى جانبه ، بل استمال عددا كبيرا من السنية انضموا إليه مدفوعين بكراهيتهم للغز وطمعهم فى الغنائم .

وهزم البساسيرى جماعة من الهاشميين وخصيان القصر الذين وضعهم الوزير بالقرب من ميدان السباق ، وهاجم القصر فى غرة ذى الحجة (١٩ يناير سنة ١٠٥٩) ودخل « الحريم » من الباب الجنوبى ؛ ورأى الخليفة أنه قد قضى الأمر فوضع نفسه هو والوزير تحت حماية قريش فأخرجهما من القصر والقصر فريسة للنهب؛ ووضع البساسيرى يده على شعار الخليفة ومنديله وردائه وشُبّاكه وأرسلها إلى القاهرة تذكارا للنصر . واحتفل فى جلال بعيد الأضحى فى ٢٩ يناير سنة ١٠٥٩ بالمصلى رافعا الأعلام المصرية ؛ واتفق البساسيرى على أن يترك الخليفة مع قريش فوضعه قريش فى الحفظ بحديثة عانة مع ابن عمه مهارش ، ولكنه أصر على أن يسلم إليه عدوه الوزير ابن المسلمة ، وشهر هذا الوزير ثم أمر به فقتل أشنع قتلة فى ١٦ يناير سنة ١٠٥٩ ؛ وهنالك استولى البساسيرى على واسط والبصرة ؛ ولكنه عجز عن أن يستميل خوزستان إلى صف الفاطميين .

على أن البساسيرى كان قبيل ذلك قد تخلت عنه القاهرة بالفعل ، ذلك أنها كانت قد عقدت أول الأمر الآمال الكبار على صنيعه . ذلك أن المنتصر كان يعتمد عليه فى حمل الخليفة أسيرا وأعد له القصر الصغير غربى القاهرة لإيوائه ؛ غير أنه غضب أشد الغضب عندما سلم الخليفة إلى قريش . زد على ذلك أن الوزير اليازورى قد عُنف على تخريب مالية مصر لإعانة البساسيرى ، فأقيل وقتل ؛ ومنذ يونية سنة ١٠٥٨ ، أصبح ابن المغربى — الذى كان من قبل

كاتبا هرب من البساسيرى فى بغداد — وزيرا : فلما كتب إليه البساسيرى رد ابن المغربى ردا لم يترك عند البساسيرى أملا فى العون .

على أن طغرل انتصر على أخيه فى جمادى الآخرة سنة ٤٥١ (يوليه سنة ١٠٥٩) وكان يعد العدة للعودة إلى بغداد . وعرض أن يترك البساسيرى فى بغداد على شريطة أن تكون الخطبة والسكة باسمه وأن يعود الخليفة القائم إلى عرشه . فإذا أجيب طلبه فإنه سوف يمتنع هو نفسه عن العودة إلى العراق . وطلب من قريش أن يترك البساسيرى إذا هو لم يوافق على هذا المقترح . أما البساسيرى فقد حاول التفاوض مع الخليفة ليقنعه بقطع صلته بالسلجوقى ولكنه خاب فى ذلك ؛ ولفت قريش نظره إلى جحود الفاطميين وأفسح له مجال الأمل فى أن يعفو عنه طغرل ، ثم سار إلى بغداد . وأطلق مهارش سراح الخليفة القائم نزولا على رجاء طغرل . ولقى الخليفةُ السلطانَ عند النهروان فى الرابع والعشرين من ذى القعدة سنة ٤٥١ (٣ يناير سنة ١٠٦٠) فبلغ صحبته قصره فى اليوم التالى . وكان قريش قد ترك بالفعل البساسيرى الذى كان قد غادر بغداد هو وأسرته فى ٦ ذى القعدة (١٤ ديسمبر) ماضيا صوب الكوفة تاركا شيعة الكرخ معرضين لانتقام أهل السنة .

وسرعان ما لحق فرسان طغرل بالبساسيرى واعتقلوه وهو فى صحبة دبيس . وبينما كان دبيس ، الذى رفض رجاله العرب الاشتباك فى القتال ، قد ركن إلى الفرار ، خاض البساسيرى المعركة وسقط بعد أن اخترم سهم جواده . وقتل على يد كاتب وزير طغرل الكُنْدُرى فى ٨ ذى الحجة (١٥ يناير سنة ١٠٦٠) عند سَقْى الفرات بالقرب من الكوفة ، وحمل رأسه إلى السلطان .

وهكذا انتهت مغامرة البساسيرى . وقد ظل عاء حاصلا على اعتراف السلطة الفاطمية ببغداد ، ويقال إن الخطبة باسم الفاطميين كانت تتلى فيها أربعين مرة . أما حادث محاولة التوسع من ناحية الفاطميين من جهة ومن ناحية السلاجقة من جهة أخرى ، ثم النزاع بين أهل السنة والشيعة بصفة أعم ، فقد أيد ذلك بصفة باتة قضية السنية والشرعية العباسية . وهى القضية التى أظهر طغرل بك أنه نصيرها الغيور .

المصادر :

(١) سيرة المؤيَّد فى الدين داعى الدعاة ، طبعة كامل حسين ، سنة ١٩٤٩ ، انظر المقدمة . ص ١٦ — ١٧ ، ٢٢ ، والفهرس (٢) الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد ، جـ ٩ ، ص ٣٩٩ — ٤٠٤ (٣) ابن الصيرفى : كتاب الإشارة .... ص ٦٩ (٤) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٨١ — ٩٠ (٥) البُنْدارى : كتاب تاريخ دولة آل سلجوق ، القاهرة ، سنة ١٣١٨ هـ ، ص ١٢—١٧ (Houtsma : ... *Recueil* ، جـ ٢ ، ص ١٢ —١٨) (٦) ياقوت ، جـ ١ ، ص ٦٠٨ ؛ جـ ٣ ، ص ٥٩٥ ، ٨٩٢ (٦) ابن الأثير ، جـ ٩ ، حوادث عام ٤٢٥ ، ٤٢٨ ، ٤٣٢ ، ٤٤١ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ — ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠ — ٤٥١

(٧) ابن العبرى : التاريخ ، ص ٢١٠ ، ٢١٣ — ٢١٤ ، ٢١٥ (٨) ابن خلكان ، طبعة بولاق ، ج ١ ، ص ٧٦ (٩) ابن مُيَسَّر : Annales d'Egypte ، ص ٧ — ٨ ، ١٠ — ١١ ، ٢٠ (١٠) الفخرى ، طبعة درنبورغ ، ص ٣٩٤ ، ٣٩٦ — ٣٩٨ (ترجمة Amari ، ص ٥٠٥ ، ٥٠٨ — ٥٠٩) (١١) ابن خلدون : العبر ، ج ٣ ، ص ٤٥٤ — ٤٦٤ ، ج ٤ ، ص ٤٨٨ — ٤٩٤ (١٢) المقريزى : الخطط ، بولاق ، ج ١ ، ص ٣٥٦ ، ٤٣٩ ، ٤٥٧ (١٣) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، طبعة القاهرة ، ج ٥ ص ٢ — ٥ — ١٢ ، وانظر الفهرس (١٤) Qutremère : *Mémoires sur l'Egypte* ، ج ١ ص ٣٢٦ وما بعدها (١٥) Weil : *Chalifen* ، ج ٣ ، ص ٩٢ — ١٠٢ (١٦) Müller : *Der Islam im Morgen-und Abendland* ، ج ١ ، ص ٦٣٦ ، ٦٣٩ ؛ ج ٢ ، ص ٨١ (١٧) Wüstenfeld : *Gesch. der Fat. Chalifen* ، ص ٢٣٨ — ٢٤٨ (١٨) Le Strange ، ص ١٠٦ (١٩) الكاتب نفسه : *Baghdad* ، ص ٣٦ (٢٠) Wiet : *Hist. de la Nation Egypt.* ، ج ٤ ، *L'Egypte Arabe* ، ص ٢٣٢ — ٢٣٦ (٢١) حسن إبراهيم حسن : الفاطميون فى مصر ، ص ٣١٥ .

خورشيد [كانار M. Canard]

+ « بِساط » : (انظر مادة « قالى »)

+ « بِسْبَرَاى » بن هَرِ كَرْ بهداس كايَث ، ويعرف أيضا بلقب « كَرْكَرْنى » : كاتب هندى كان يكتب بالفارسية ، والنطق الصحيح لاسمه بالسنسكريتية هو « فِشْوَراى » (راجا العالم) بن هَرِ كَرْ هداس (عبد الله) من أسرة كَيَسْتها الواسعة الشهرة التى عرفت خاصة بثقافتها الفارسية : ومعنى لقبه گركرنى « ذو الآذان الكبيرة كبِبَرَ يديه » .

وقد ترجم بسبراى إلى الفارسية سنة ١٠٦١ — ١٠٦٢هـ (١٦٥١ — ١٦٥٢م) أيام شاه جهان الحكاية السنسكريتية « فِكرا مَچَرِتْرام » مستفيدا من آثار أسلافه (ويحمل الأصل السنسكريتى أيضا العنوان « فكراما چرترام » أى حياة فكرام ، راجا فكرام أدِتِّى الذى بدأ بعهده التاريخ البكرامى الذى بلغ الآن سنة ٢٠١٥) : وقد عرفت هذه الترجمة أيضا باسم « سنگهاسن بتّيسى » (بالسنسكريتية : سنگْ هاسن بتيسى » وهى ٣٢ حكاية عن عرش الأسد) وترجمها إلى الفرنسية لسكالييه Lescallier (*Le Trône enchanté* ، نيويورك سنة ١٨١٧) وانظر المصادر التالية إن شئت معرفة الطبعات المتعددة للحكاية السنسكريتية والترجمات الفارسية لها .

المصادر :

(١) Ethé فى *Grundriss der Iranischen Philologie* ، ج ٢ ، ص ٣٥٣ (٢) Rieu : *Cat. Pers. MSS. Brit. Museum* ، ج ٢ ، ص ٧٦٣ (٣) Pertsch : *Cat. Berlin* ، ص ١٠٣٤

خورشيد [س : نفيسى Said Nafici]

+ « بَسْت » : كلمة فارسية بمعنى المعبد أو الملجأ ، وتطلق على بعض الأماكن التى تعد ملجأ آمنا لأى مجرم مهما بلغت خطورة جرمه ، فإذا أوى إلى هذا الملجأ استطاع أن يتفاوض مع مطارديه على الدية التى يشترى بها أمنه حين يغادر البست . وقد ارتبطت فكرة البست فى بلاد فارس بملاجئ ثلاثة بصفة خاصة : (١) المساجد وغيرها من الأماكن المقدسة وخاصة قبور الأولياء (مثال ذلك ما يقال من أن تيمورا سنة ٨٠٦ هـ (١٤٠٤م) عدّ قبر [مزار) الشيخ صفى الدين مؤسس الطريقة الصفوية بأردبيل ملجأ) ؛ (٢) حظائر وجياد الشاه (يستطيع المجرم أن يزعم أنه فى حمى بالوقوف عند رأس الجواد أو ذيله) ؛ (٣) جوار المدفعية ، وخاصة فى ميدان توپ خانه بطهران .

ويقول شاردان Chardin إن المطابخ الشاهانية وباب قصر على قاپو فى إصفهان كانت تعد فى عهد الصفويين المتأخرين ملجأ . ويذكر مالكولم Malcolm أن دور المجتهدين كانت تعد أيضا ملجأ ، وأن داراً لمجتهد واحد عظيم الشهرة ظلت تعد ملجأ حتى بعد وفاته . ولما دخلت المواصلات البرقية فى بلاد فارس فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، جعلت مكاتب البرق فى أول الأمر ملجأ . وطوال سنة ١٨٨٩ حاول ناصر الدين شاه عبثا إلغاء نظام البست (انظر تفصيلات انتهاك حرمة بست شاه عبد العظيم على يد ناصر الدين شاه سنة ١٨٩١ مادة « جمال الدين الأفغانى ») .

وأصبح لنظام البست (ويسمى أيضا « تحَصُّن ») أهمية عظيمة فى القرن الحالى أثناء الحوادث التى أدت إلى منح الشاه مظفر الدين بلاد فارس الدستور سنة ١٩٠٦ . وفى ديسمبر سنة ١٩٠٥ م أرادت جماعة من التجار والملاوات والطلبة أن يرغموا الشاه على الالتفات إلى مظالمهم ، فالتجأوا أول الأمر إلى المسجد الجامع فى طهران ، فلما أخرجوا بالقوة من هذا المسجد ، التجأوا إلى ضريح الشاه عبد العظيم على مسيرة ستة أميال من جنوب الجنوب الشرقى لطهران . وأرسل لهم الشاه بعد ذلك بشهر بعض الوعود والتأكيدات فغادر المعتصمون ملجأهم .

والبست الثانى حدث فى يوليه سنة ١٩٠٦ حين التجأ نحو من ١٢,٠٠٠ شخص يتزعمهم العلماء والتجار وأعضاء النقابات المهنية إلى حديقة المفوضية البريطانية فى طهران ، ونجحوا آخر الأمر (فى أغسطس سنة ١٩٠٦) فى الحصول من الشاه على وعد بمنح الشعب الدستور . وحدث فى أثناء الاضطرابات التى صاحبت انتخاب أعضاء الجمعية الاستشارية الوطنية التى اجتمعت للمرة الأولى يوم ٧ أكتوبر سنة ١٩٠٦ ، أن التجأ الدستوريون مرة أخرى إلى المفوضية البريطانية بطهران . وقد اتخذ الدستوريون فى الأقاليم القنصليات البريطانية ، وخاصة فى تبريز وكرمانشاه ، كما اتخذوا مكاتب البرق ملاجئ يعتصمون بها . وفى يونية سنة ١٩٠٧ اتخذت جماعة من الملاوات وغيرهم من المناهضين للدستور ملجأ لهم فى ضريح شاه عبد العظيم فى محاولة فاشلة لجمع صفوف المعارضين للحركة الدستورية .

المصادر :

(١) Sir John Chardin : Voyages ■ Chevalier en Perse et autres lieux de l'Orient، طبعة Langlès، باريس سنة ١٨١١ ، جـ ٧ ، ص ٣٦٩ — ٣٧٠

(٢) Sir John Malcolm : History of Persia ، لندن سنة ١٨١٥ ، جـ ٢ ، ص ٤٤٣ — ٤٤٤

(٣) G.N. Curzon : Persia and the Persian Question، لندن سنة ١٨٩٢ ، جـ ١ ، ص ١٥٤ — ١٥٥ ، ١٧٥ ، ٣٤٧ ، ٤٦٠

(٤) E.G. Browne : The Persian Revolution of 1905-1909، كمبردج سنة ١٩١٠، ص ١١٢ وما بعدها

(٥) V. Minorsky : Tadhkirat al-Mulūk ، لندن سنة ١٩٤٣ ، ص ١٨٩ — ١٩٠

(٦) مهدى ملك زاده ؛ تاريخ إنقلاب مشروطيت إيران ، جـ ٢ طهران سنة ١٣٢٩هـ = ١٩٥١م ، ص ٤١ وما بعدها ، ١٤٠ وما بعدها ، ١٩٠ وما بعدها ، ٢٥٩ وما بعدها ؛ جـ ٣ ، طهران سنة ١٣٣٠هـ = ١٩٥٢ ، ص ٥٩ وما بعدها ، ٨٨ وما بعدها .

خورشيد [سافورى R.M. Savory]

« **بُسْت** » : مدينة قديمة فى أفغانستان الحديثة على الشاطئ الأيسر لنهر هَنْدمَند (هِلمَند) إلى الجنوب مباشرة من ملتقاه بنهر أرْغَنْداب. وموقع هذه المدينة حسن جداً لقيامها فى الزاوية التى بين هذين النهرين حيث تلتقى الطرق الآتية من الغرب ، أى من هراة وزَرَنْج لتعبر نهر هندمند ثم تتابع سيرها إلى بلوچستان والهند ، أضف إلى ذلك أن بست واقعة فى البقعة التى يصبح النهر فيها صالحاً للملاحة .

وتشهد الأبنية الموجودة فى جوار بست على ما كان لها من ازدهار ، فقد كانت مركزا من مراكز الحضارة الإيرانية القديمة ؛ وكانت فى بداية القرن السادس الميلادى فى حوزة الهياطلة ثم استردها منهم خسرو الأول (كسرى) أنو شروان .

ودخلت بُست فى حوزة المسلمين على يد عبد الرحمن بن سَمُرَة ؛ ويظهر أنها كانت فى عهدهم هذا قاعدة حربية ضد الأمراء المستقلين بالبلاد المجاورة لمدينة بست من ناحية الشرق ، وهم الذين كانوا يلقبون بـ « زُنْبيل » (انظر مادة عبد الرحمن ابن محمد الأشعث ، وانظر كذلك Marquart : Eranshahr ، ص ٢٥٠) . واعتبر العرب أحيانا مدينة بست من أعمال سجستان . والواقع أن سجستان بمدلولها الضيق لم تكن تمتد كثيرا ناحية الشرق . ويقال إن يعقوب بن الليث مؤسس الدولة الصفارية الإيرانية (٢٥٤ — ٢٦٥هـ = ٨٦٨ — ٨٧٨م) قدم من سجستان وقضى عاما فى مدينة بست أثناء غزواته ؛ وفى عام ٣٦٦هـ (٩٧٦م) استولى سبكتكين مؤسس الأسرة الغزنوية على مدينة بست . ويرجع وصف الإصطخرى والمقدسى لهذه المدينة إلى الفترة التى سبقت وتلت هذا الحادث بقليل — والأول يتحدث عن تجارة الهند فى بست ، وذكر الاثنان جسر القوارب على نهر هندمند وامتدحا البساتين الغناء فى جوار بست .

ويظهر أن العهد الغزنوى كان أزهى عصور المدينة فى عهدها الإسلامى . وقد تحدث المقدسى عن «العسكر» — أى مدينة الجند — وهى اليوم أطلال يطلق عليها اسم « لشكربازار » ، وهى على مسيرة نصف فرسخ إلى الشرق من بست ، وقال إنها قصر السلطان : وكثيراً ما وصفت بأنها مقر الملك : وفى عام ٤٤٧هـ (١٠٤٨) أفلح قواد عبد الرشيد فى أن يلحقوا الهزيمة بسلاجقة داود وألب أرسلان الذين أغاروا على سجستان بالقرب من بُسْت . وأصيبت أملاك الغزنويين بعد ذلك بقرن بالضربة القاضية ، فقد اكتسح علاءالدين جهان سوز الغورى مملكة بهرام شاه وخرب عاصمتها بست ، وقضى بذلك على ما كان لها من ازدهار . وكان حسن موقعها هو العامل على بقائها وإن كانت قد ظلت ضعيفة متعثرة خلال القرون التالية : وفقدت المدينة كل أمل فى سبيل تقدمها بسبب غزوات تيمور فى نهاية القرن السابع الهجرى (الرابع عشر الميلادى) ؛ وتحولت سجستان إلى صحراء مجدبة بتهدم سد رستم لأنها كانت تعتمد فى رى أراضيها على نهر هندمند . وظل حصن بست يقاوم الأحداث بفضل موقعه الحربى إلى أن خربه نادر شاه عام ١٧٣٨م ، ولا تزال أسواره قائمة على شاطئ الهندمند كما أن الأطلال التى تشغل مساحة كبيرة من الأرض تشهد على ما كان لعاصمة الغزنويين من عظمة وبهاء .

المصادر :

(١) البلاذرى ، طبعة ده غويه ، انظر الفهرس (٢) الإصطخرى ، طبعة ده غويه ، ص ٢٤٢ ، ٢٤٤ وما بعدها (٣) المقدسى ؛ طبعة ده غويه ، ص ٣٠٤ . وانظر فيما يختص بتاريخ هذه المدينة بصفة خاصة [٤) ابن الأثير (٥) طبقات ناصرى (٦) G. Le Strange : The Lands of the Eastern Caliphate ، ص ٣٤٤ وما بعدها (٧) J. Marquart : Eransahr ، انظر الفهرس (٨) Bellew : From the Indus to the Tigris ، لندن سنة ١٨٧٤م ، ص١٧٢—١٧٧ .

[هارتمان R. Hartmann]

+ بُسْت : مدينة خربة فى سجستان (سيستان). ومن بين أطلالها الرائعة المجموعتان الرئيسيتان : قلعة بِسْت ولَشْكَر بازار : وهى تقوم فى جنوبى أفغانستان على الضفاف المهجورة الآن لنهر الهندمند. على امتداد الطريق الذى يخترق كيرشك بين هراة وقندهار . والعزلة التى هى فيها الآن والتى سوف تسفر الجهود الأمريكية الحديثة لتعمير الإقليم عن خروجها منها بلا شك ، تقابل ازدهار المنطقة قديما ، وهى المنطقة التى اشتهرت فى القرون الوسطى بخصوبتها العظيمة ، وببساتينها الجيدة الرى بين مجريين من مجارى الماء ، وأنها كانت محطة فى الطريق الرئيسى بين خراسان أو فارس وبين السند ، أى بين بغداد والهند ، فى الموضع المعهود الذى كان جسر القوارب يعبر فيه النهر عند نفس المكان الذى يصبح فيه هذا النهر صالحا للملاحة تجاه زَرَنْج . وقد نقد جغرافيو العرب فى القرون الأولى بست لكثرة ما ينتابها من أوبئة ونوهوا فى الوقت نفسه بنشاطها التجارى والعقلى ، وبمحصول أرباضها التى كانت تزرع الفاكهة والكروم والنخيل .

وأرجح الاحتمالات أن مثل هذا الازدهار يرجع تاريخه إلى عهد متقدم : على أن المعلومات الوثيقة تعوزنا بخصوص المراحل الأولى لتطور بست ، التى تحقق وجودها أيام القرثيين ، وإن كنا نجهل دورها بالتحديد فى ولاية سجستان التى كان يتنازع عليها ملوك الساسانيين وحكام مملكة زابلستان الهيطلية الجنوبية .

وكذلك يسود بعض الاضطراب تاريخ بست منذ اللحظة التى أدخلها فيها عبد الرحمن بن سَمُرَة (انظر هذه المادة) فى حظيرة البلاد الإسلامية ، وربما كان ذلك سنة ٢٩ هـ (٦٤٩-٦٥٠م) فى خلافة عثمان . والأرجح سنة ٤٢ هـ (٦٦١ - ٦٦٢م) فى مستهل العصر الأموى . ولم تكن الحملات العربية الأولى إلا غارات بلا شك لا يدوم لها من الأثر إلا القليل تنتهى بأداء الإقليم للجزية ولا تنتهى باحتلاله ؛ وفى النصف الثانى من القرن الأول ، أصبحت بست - فيما يبدو - ثغر المسلمين أمام الأمراء المستقلين لدول الشرق على التخوم الذين كانوا يحملون لقب زُنبيل » (هارتمان) . وتذكر المصادر المتقدمة عدة اشتباكات مسلحة فى جوارها ، ذلك أن خلفاء الأمويين ثم خلفاء العباسيين الأولين أنفذوا ولاة إليها لإخماد الفتن المحلية فى سجستان ، أو الاضطرابات التى أثارها الخوارج) اضطرابات نوه بها كتاب « تاريخ سيستان ») ، أو لمحاربة أمير كابلستان أو التفاوض معه . ونحن نعلم بصفة خاصة أحداث فتنة ابن الأشعث (انظر هذه المادة) التى وقعت فى بست ثم إخمادها ، بعد ذلك بمدة ، على يد معن بن زائدة الشيبانى قبل أن يغتال هناك سنة ١٥٦ هـ (٧٧٣م) . صحيح أن اليعقوبى تحدث عن المكانة التى كانت لبست كبرى مدائن الإقليم التى كانت تنافس خراسان فى ثروتها ، وصحيح أننا نستطيع أن نتخيل ماكان لقلعتها من شأن استراتيجى، ومع ذلك فإن التفصيلات تعوزنا عن التنظيم الإدارى للمدينة . يبدو أنه كان لها - شأن سائر الأماكن فى إيران الشرقية وآسية الوسطى - استقلال ذاتى نسبى ، وخاصة إبان الظروف السياسية المضطربة .

وحدث من بعد أن يعقوب بن الليث الصفارى مد سلطانه إلى بست ، بعد أن احتل كابل سنة ٢٥٧هـ (٨٧١م) . وقد ذكرت هذه المدينة عدة مرات فى كتاب « تاريخ سيستان » فيما يتعلق بحملات يعقوب على جيرانه الشرقيين وزياراته لهذا الإقليم . وقد حاول السامانيون بدورهم أن يثبتوا قدمهم فى هذه المنطقة ، وجعلت المشاحنات المضطربة التى صاحبت الحملات الحربية ، أهل بست يعارضون رسل بلاط خراسان ورسل الخلفاء فى بغداد . على أن بست إنما نعمت قرابة قرن بأوج ازدهارها فى عهد الغزنويين ، إذ استولى عليها سبكتكين سنة ٣٦٦ هـ (٩٧٦م) ففصلها بذلك عن ولاية زرنج ؛ وأصبحت بست المقر الثانى لحكام غزنة الذين أقاموا فيها معسكرهم الدائم (العسكر) الذى ذكره المقدسى . وقد وصف البيهقى الحياة الزاهرة فى هذا العسكر التى كانت تنفق هناك فى استقبال السفراء والصيد ومجالس الطرب على الهندمند . أجل، الحياة التى كان يحياها ملك مثل مسعود الأول أثناء زيارته

لها سنة ٤٢٨هـ(١٠٣٦م) . وفى هذه المدينة أيضا كتب لجنود عبد الرشيد الغزنوى التوفيق فى الوقوف سنة ٤٤١هـ (١٠٤٩ — ١٠٥٠م) فى وجه تقدم السلاجقة الذين نزلت بهم الهزيمة من قبل عدة مرات وهم يحاولون الاستيلاء على الإقليم . على أن نهب غزنة سنة٥٤٤هـ(١١٤٩م) على يد علاء الدين الغورى ، الذى أعقبه مباشرة غزو بست ونهبها وحرق القلاع السلطانية ، كان إيذانا ببدء اضمحلال بست، ويظهر صدى ذلك فى متن كتاب الجغرافى المعاصر ياقوت .

وكان القضاء على بست فى ذلك الوقت أبعد ما يكون عن القضاء المبرم ، ذلك أن قصور الغزنويين القديمة سرعان ما أصلحت وسكنها ولاة هذا الإقليم من قبل الغوريين ثم من بعدهم الخوارزمشاهية ، وعلى الرغم من الصراعات المختلفة التى كانت المدينة ضحيتها فإن استمرار وجودها قد أثبته أولا وقبل كل شئ شواهد القبور البديعة الصنع التى يرجع تاريخها إلى آخر القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) أو النصف الأول من القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) ، وهى تحمل ألقاب شخصيات هامة كانت بلا شك تقبض على زمام السلطة الدينية والدنيوية فى وقت معاً على نطاق محلى بحت. أما التخريب الذى أصاب المدينة من غزوة المغول ، حوالى سنة ٦١٨ هـ (١٢٢١ م) ثم من مرور حشود تيمور فى نهاية القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) فقد أديا إلى هجر المدينة هجراً تاماً وأصبحت أراضيها المزروعة قيافى وسهوبا ، ولم تبق إلا القلعة التى كان لها شأن فى حروب أباطرة المغل العظام مع بلاد فارس وأدخلت تعديلات معمارية عليها فى ذلك العهد لا تزال يشاهدها المرء ، وظلت القلعة على هذه الحال حتى جردها نادرشاه من أسباب الدفاع سنة ١٧٣٨ .

وقد ألقى الضوء على الوقائع المتصلة بتاريخ بست وخاصة منذ الكشف الذى وفق إليه شلومبرغر S. Schlumberger ، والدراسة المستأنية التى قامت بها البعثة الأثرية الفرنسية فى أفغانستان لمجموعة من العمائر التى ظلت إلى ذلك الحين بلا كشف . وقلما كان يذكرها الباحثون المتقدمون . فإلى الشمال من ميدان للخرائب طوله حوالى سبعة كيلومترات وعرضه فى بعض الأماكن كيلومتران (وكان طرفه الجنوبى فحسب هو الذى أثار من قبل الالتفات) بآثاره من سور المدينة عينه ، وقلعتها والهيكل المنيف لقوس بست ، أمكن التحقق من القصر الملكى نفسه و « العسكر » القديم الذى ذكره الكتاب العرب ، و « لشكرگاه » التى ذكرها الكتاب الفرس . وقصوره الثلاثة التذكارية التى كانت من قبل محاطة بالحدائق ولا تزال تدل عليها الأسوار العالية (كانت هذه القصور وجو المدينة المعتدل هى فتنة هذه القصبة الثانية للغزنويين) تنهض فى حمى حير « المدينة الملكية » كما أن القلعة الجنوبية بصفة خاصة كانت قد كشف عنها تماماً أو تكاد أثناء أعمال التنقيب المتعددة : وفى الصدر باحة للتنزه على النهر تنفتح على مسجد كبير ، والدخول إليه من طريق

ئيسى طوله نصف كيلومتر وتحف به حوانيت
راء أروقة ذات عمد (بواكى) وله صحن
ئيسى ذو أربعة أواوين وغرف منتظمة فى بيوت
ن بينها عدد من الغرف أكبر وأكثر ترفاً ؛ ولم
كشف فحسب عن التفصيلات المميزة لخطتها ،
قد أمكن الكشف ، تحت أكوام من الثرى نشأت
ن سقوط أجزائه العليا التى شيدت فى الغالب
من الآجر الخشن ، وعلى الرغم من إصابة المسجد
حريقين متعاقبين لاتزال آثارهما ظاهرة على البناء .
مكن الكشف عن عناصر هامة من خارج المسجد
وخاصة زخرفه الداخلى الذى يقوم على الآجر
لصرف ؛ وطلاء منحوت فى اللبن أو
لجص وتصاوير حائطية منها صورة لأناسى ؛
وهذه الوثائق الأثرية تثير مقارنات ليست أقلها
همية تلك التى تضع هذا النموذج الفريد من العمارة
لمدنية لإيران فى القرون الوسطى فى مجرى العمائر
المتقدمة للخلفاء العباسيين فى بغداد وسامراء .

ومن ثم فإن الشاهد الذى لا ينقض الذى تحمله
خزائن لشكر بازار والدال على ما كانت عليه
بست وضاحيتها الملكية من عظمة بين القرن الخامس
هجرى (الحادى عشر الميلادى) والقرن السابع
هجرى (الثالث عشر الميلادى) فيه درس بارز
موجه لمؤرخ الفن الإسلامى عن إقليم من الأقاليم
الخاصبة ؛

المصادر .

(١) الإصطخرى ، ص ٢٤٥ (٢) المقدسى ، ص ٣٠٤ — ٣٠٥ ، (٣) اليعقوبى : البلدان ، ص ٢٨١ ، ٢٨٥ (انظر أيضاً المكتبة الجغرافية العربية ، الفهارس) ؛ (٤) ياقوت ، جـ ١ ، ص ٦١٢ . (٥) حدود العالم ، الفهرس ؛ (٦) Le Strange ، ص ٣٤٤ ؛ (٧) J. Marquart : Eranshahr ، برلين سنة ١٩٠١ ، الفهرس ؛ (٨) البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٣٩٤ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٤٠١ ، (٩) العُتبى : كتاب اليمينى ، طبعة لاهور ، ص ١٧ — ١٩ ، ١٥١ — ١٥٢ (ترجمة J. Reynolds ، لندن سنة ١٨٥٨ ، ص ٢٦ وما بعدها ، ٢٧١ ومابعدها) (١٠) طبقات ناصرى ، ترجمة Raverty ، كلكته سنة ١٨٧٣ — ١٨٨١ ، ص ٢١ ، ٧٤ ، ٩٩ ، ١١١ ، ١٣٢ تعليق ٩ ، ١٩٤ ، ٢٨٧ ، ٣١٧ ، ٣١٨ تعليق ٦ ، ٣٥٥ ، ٣٦٢ ، ٤١٢ ، ٤٢٢ ، (١١) البيهقى : تاريخ مسعودى ، طهران ، طبعة سنة ١٩٤٧ ، ص ١٦٦ ، ٢٠٤ ، ٦١٢ ومابعدها ، ٦٢٢ — ٦٢٣ . (١٢) تاريخ سيستان ، طبعة بهار ، طهران سنة ١٩٤٦ ، فى مواضع مختلفة ؛ (١٣) Pauly-Wissowa ، مادة بست ؛ (١٤) Caetani : Chronographia ، ص ٤٦١ ، ٤٨٣ . (١٥) R.Ghirshman : *Les Chionites Hephtalites* ، القاهرة سنة ١٩٤٨ ، ص ١١٣ — ١١٤ . (١٦) W.Barthold : *Turkestan* ، الفهرس . (١٧) B. Spuler : *Iran in fruch-islamischer Zeit* ، ڤيسبادن سنة ١٩٥٢ ، الفهرس . (١٨) M. Nazim : *The Life and Times of Sultan Mahmûd of Ghazna* ، كمبردج سنة ١٩٣١ ، الفهرس . (١٩) H.W. Bellew : *From the Indus to the Tigris* ، لندن سنة ١٨٧٤ ، ص ١٧٢ ؛ (٢٠) O. Von Niedermayer : *Afghanistan* ،

ليبسك سنة ١٩٢٤ ، ص ٦٧ — ٦٨ ، (٢١) *Survey of Persian Art* ، جـ ١ ، ص ٩٨٨ ؛ (٢٢) D. Schlumberger : *Le Palais ghaznévide de Lashkari Bazar* فى *Syria* ، جـ ٢٩ ، سنة ١٩٥٢، ص ٢٥١—٢٧٠ ؛ (٢٣) J. Sourdel- Thomine : *Stèles arabes de Bust* فى *Arabica* ، جـ ٣ ، سنة ١٩٥٦، ص٢٨٥—٣٠٦. (٢٤) D. Schlumberger: *Lashkari Bazar, une résidence royale ghaznévide* فى *Mém. Délég. Arch. fr. en Afghanistan* ، مجلد ١٧. فى سبيله إلى الظهور .

جورديه . J سوردل تومين J. Sourdel-Thomine]

+ « بُسْتان » والأصل بوستان كلمة فارسية مركبة من « بو » بمعنى : رائحة أو عطر ، والكاسعة أستان بمعنى مكان ، وقد جرى الحال باستعمالها بمعنى حديقة الخضر ، وأحياناً بمعنى « حديقة التنزه » ، وتستعمل فى التركية بمعنى « حديقة الخضر » ، وفى العربية بمعنى الحديقة عامة (وجمعها بساتين) ، وهى تدل فى اللهجة الجزائرية على شجر السرو (Beaussier) ، وتطلق فى بيروت على « مزروعة شجر التوت » (Cuche) . وتدخل بستان فى تركيب كثير من أسماء الأماكن الجغرافية فى الشرق الأوسط .

وبستان عنوان قصيدة تعليمية للشاعر الفارسى الفحل سعدى (انظر هذه المادة) نظمها فى شيراز سنة ٦٥٥ هـ (١٢٥٧ م) فى عشرة فصول ، وتعد هذه القصيدة من عيون التواليف ، وكانت تقرأ فى جميع المدارس الابتدائية بكل بلد كانت الفارسية تعلم فيه ، وخاصة فى إيران والهند وآسية الوسطى وتركية العثمانية . وقد كتب الكتّاب الهنود عدة شروح عليها باللغة الفارسية ، وثمة شروح أخرى بالتركية وخاصة شرحى شمعى وسودى (وكلاهما يرجعان إلى القرن السادس عشر). وقد ترجمها إلى التركية العالم التفتازانى (انظر هذه المادة) سنة ٧٥٥ هـ (١٣٥٤ ؛ انظر Gibb : *Ottoman Poetry* ، جـ ١ ، ص ٢٠٥) كما ترجمت إلى لغات شرقية أخرى مختلفة ، مثل البنغالية ، والسندية ، والبنجابية ، وأهم الترجمات إلى اللغات الأوربية هى ترجمة فوربس فالكونر Forbes Falconer إلى اللغة الإنكليزية (*Selections* ، لندن سنة ١٨٣٨) وترجمة كراف Graf نظما إلى الألمانية (*Sa'di Ludgarten* ، يينا سنة ١٨٥٦) وترجمة البارون شلحته فسهر Schlechta-Wssherd إلى الألمانية نثرا (ڤينا سنة ١٨٥٢) وترجمة باربييه ده مينار Barbier de Meynard إلى الفرنسية (باريس سنة ١٨٨٠) وترجمة قسطنطين چايكن Constantin Chaikin إلى الروسية نظماً (موسكو سنة ١٩٣٥) . وتسمى أقدم المخطوطات هذه القصيدة باسم « سعدى نامه » .

١ — البساتين فى الإسلام

الظاهر أن الشأن الذى كان للبساتين فى الحياتين الماضية والحاضرة للشعوب الإسلامية مستقى من فكرة الجنة كما صورها القرآن الذى يرسم بالتفصيل المستفيض صورة النعيم الذى خص به المؤمنون

حتى أن منشئ البساتين فى المشرق والمغرب نحوها نموذجاً يحتذونه : ففيها تجد مروجاً تتخللها جداول ملتفة ، وأشجاراً تتنوع بما تحمل من ثمار ، وأرائك يمكن أن تضطجع فيها للراحة « وجواسق تسكنها العذارى ينتظرن لتحية المصطفين . وليس ثمة زهور وإنما توجد ثروة من أشجار الفاكهة . ومن الجدير بالذكر أيضاً البيوت الخلوية الصيفية وخاصة جداول الماء الجارى التى ترطب الجو . وواضح أن هذا التخطيط يشترك فى كثير من سماته مع خطة الواحات التى هى ملاذ النضارة والنماء . وهى أروح للنفوس لقيامها وسط تلك الأقاليم الصحراوية التى انتشر فيها الإسلام بصفة خاصة .

والظاهر أن العالم الإسلامى يدين بفضل تلقينه من إنشاء البساتين ذات المناظر الطبيعية إلى إيران موطن معظم الفاكهة الأوربية والبلد الذى تجلت به على أكمل وجه الزروع المروية والشجيرات المشذبة ، والحق إن اشتقاق بعض المصطلحات العربية مثل بستان وفردوس من الفارسية لشاهد جوهرى على هذا القول .

وقد ازدهر فن فلاحة البساتين عند الفرس قبل قيام الإسلام واقترن بحياة الأمراء . فنحن نجد فى عهد متقدم قدم إكسونوفون نفسه . إشارات إلى التخطيط البديع لمتنزه أقامه فى سرديس قورش الأصغر (٤٠٧ ق.م) وكانت قصور الملوك الساسانيين « مثل قصر شيرين لكسرى الثانى ، تشرف على مناظر ممتدة من الرى والخضرة . وهناك ، فضلا عن هذا ، نقوش بارزة تذكرنا بالأحيار المشجرة المترامية الأطراف يمرح فيها حيوان الصيد مما يتيح للشاه أن ينخرط فى مباهج القنص . والبساتين الداخلة فى إطار هيكل معمارى ، مثل الأروقة ذات العمد والأفنية المزروعة بالشجر من جهة ، والأملاك الأخرى التى تشاهدها خارج المدن ، مثل المتنزهات الرحيبة التى يزينها هنا وهناك جوسق قائم بذاته من جهة أخرى « هما طرازان من البساتين اصطنعهما العالم الإسلامى وشاعا باطراد يتفاوت مقداره بين الأمم وعبر القرون .

وقد أثر الطراز الأول فى المهندسين المعماريين للعصر العباسى الذين أقاموا سامراء . فقد خط الجوسق الخاقانى للخليفة المعتصم (۲۱۸ — ۲۲۷ هـ = ۸۳۳ — ۸٤٤م) من بناء فى الصدر يشتمل على ثلاثة أواوين وجناح من الشقق يمتد خلفها رواق رحيب ذو عمد تكتنفه الأسوار : « وفى موازاة هذه الأسوار المكتنفة قنوات كان يحف بها بلا شك أحواض من الزهر ، وكان يكمل هذا المشهد برك من المرمر ونافورات وغير ذلك من مظاهر الزخرف » . وينسبه ڤيوليه H. Violet الذى يصف خطته إلى « الطراز الفرنسى » فى البساتين بما يتميز به من رحاب وافرة وخطوط مستقيمة واتجاه معمارى ؛ وهذه السمات المشتركة ربما لا تدل على توخى المنفعة الخالصة بقدر ما تدل على أصل بعيد مشترك ، وقد استوحت هذه البساتين ذات « الطراز الفرنسى » وأشهر نموذج لها هو ڤرساى ، الحدائق الإيطالية التى أتخذت من الحدائق اليونانية والرومانية مثلها

نجده فى پومپى أو فى البيت الحلوى لهادريان . والظاهر أن هذه بدورها قد تأثرت بلاشك ببساتين الشرق .

ومهما يكن من شئ فإن بلاد الفرس هى البلاد التى نشأت فيها هذه البساتين ، وهى التى احتفظ فيها بهذا الطراز ؛ والمنمنمات الصفوية بصفة خاصة تشهد باستمرارها . فالأمير يتربع فى بيت خلوى صيفى يشرف على ممشى مبلط تتخلله قنوات وبحيرات وتفصله عن بسط من الأرض تنمو فيها الأزهار والأشجار أسيجة من خشب ، ولا أقل من ذلك السجاجيد الفارسية « على نمط البستان » ؛ وذلك أن رقعتها تقسمها القنوات إلى مستطيلات متقاطعة ، ويسبح السمك فى القنوات وتمتلئ المستطيلات بالزهور والشجيرات (انظر مثلا W. Bode : *Antique Rugs from the Near East* ، نيويورك ، سنة ١٩٢٩ ، شكل ٥٨) .

ولاشك أن الدور الخاصة فى العصر العباسى كان لها حدائق داخلية ؛ ومن المشهور أن فن الطولونيين الذى سيطر على مصر فى القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) كان مرتبطاً أوثق ارتباط بفن سامرا ؛ فقد كانت الغرف فى دور الفسطاط التى يمكن أن نردها إلى ذلك العهد ، تفتح على فناء أوسط تحفر فيه حفر محدودة بالآجر يملأ بعضها بالماء وبعضها بالتربة لإنبات المزروعات ؛ على أن الحضرى كان يتميز بذوق مشهود فى إنشاء البساتين . فقد نبه الرحالة الفارسى ناصر خسرو الأذهان إلى تلك البساتين التى كانت تزين الشرفات ؛ وكانت تقوم فى قمة دار من سبعة طوابق آلة للرى تديرها الثيران وتستخدم فى رى أشجار البرتقال والموز وغير ذلك من أشجار الفاكهة كما تروى أصنافا كثيرة من الزهور والنباتات ذات العبير .

وكانت إفريقية فى ذلك العهد يستولى عليها لحساب العباسيين أمراء الأغالبة الذين أشاعوا أنماط بغداد وأذواقها فى أرجاء بلاد البربر . فقد كان لهم مقام أول وثان فى أرباض القيروان ؛ وكان الثانى ، الرقادة ، على مسيرة سبعة كيلومترات من المدينة ، وكانت أراضيه ، التى يقول البكرى إنها كانت محاطة بسور يزيد طوله على عشرة كيلومترات ، قد خططت بلاشك حدائق ترويها صهاريج لا تزال بقاياها قائمة . وكانت أكبر هذه المنشآت المائية صهريج ضخم مربع الجوانب له أسوار مصمتة تدعمها من الجانبين متاريس وتنعكس على مياهه صورة جوسق مرفوع .

ولاشك أن سنة إقامة هذه المقار الريفية قد بقيت فى إفريقية بالرغم من الشدائد التى خربت البلاد فى القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) . ونحن نصادف البساتين مرة أخرى فى القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) فى ظل الدولة الحفصية بتونس . فإن الأملاك المترامية الأطراف المعروفة بأبى فهر التى أنشأها المستنصر (٦٤٧ — ٦٧٥ هـ = ١٢٤٩ — ١٢٧٧ م) فى جوار هذه القصبة (قرب قرية أرْيَنَة الحالية)

فيها ملامح مختلفة ترهص بالذوق المغربى المحب للآكدال (انظر هذه المادة). ويصف ابن خلدون هذا الآكدال وصفاً مسهباً على غير عادته فيقول إن المرء يصادف غابة من الأشجار بعضها قد روض حتى غدا خمائل، وترك البعض الآخر لينمو فى حرية مطلقة. وكانت أغصان أشجار الليمون والبرتقال تتعانق مع أغصان السرو على حين كان الآس والياسمين من تحتها يبتسم للزنبق. وفى وسط هذه الحراج بستان فسيح تحيط به بحيرة ممتدة الأفق حتى لتحسبها المحيط. وكانت المياه حملها إلى هناك داموس (كان فيا سبق تمد قرطاجنة وكان المستنصر قد أصلحه). وتنبجس المياه التى تجرى فى هذا المجرى متخللة منفذاً ضخماً فتصب فى الصهريج الكبير (يتخذ حوضاً للسقى) ثم تسير فى قناة قصيرة بعض القصر إلى بركة كبيرة فتملؤها بسيول مدومة من شآبيبها. ويقوم عند كل طرف من البركة جوسق كبير وجوسق صغير تقوم سقوفها على عمد من المرمر الأبيض وقد رصعت حوائطها برصائع من المرمر.

وقد شهد هذا العصر نفسه فى مراكش ما أقامه سلاطين بنى مرين من حيران مترامية مثل الأحيار الملحقة بقصر فاس الجديد، وقد سميت هذه الأحيار باسم «أمينة المرينية» وكانت الشرفات والجواسق المرفوعة تشرف على الزروع والريف المجاور. وهذا المتنزه الذى هجر بعد سقوط المرينيين قد أصلحه بين عامى ١٢٤٠ و ١٢٥٠هـ (١٨٢٤ — ١٨٣٤ م) السلطان العلوى مولاى عبد الرحمن. وقد أنشأ هذا السلطان نفسه آكدال مراكش الذى يصمه لنا المؤرخ المحدث الناصرى. وقد كان هذا الآكدال متنزها مترامى الأطراف أو قل إنه كان طائفة من البساتين زرعت بنوع أو نوعين من أشجار الفاكهة والأزهار العاطرة، أهلية كانت أو مستوردة؛ وكانت تزرع لبيعها؛ وكانت تقوم وسط هذه المزرعة بحيرات تسير فيها قوارب النزهة. وكانت الجداول التى تملأ هذه البحيرات تمد هذه البساتين بالماء بل تدير عجلات الطواحين المائية. وكانت الجواسق تقوم فى القسم الأوسط من المتنزه.

ونحن لانزال نرى أحياراً من هذا النوع فى آكدالات الحواضر السلطانية فى بلاد مراكش مثل مدينة مراكش أو مكناس. ويقوم الآكدال بعيداً عن المراكز السكنية الكثيفة، ملاصقاً للحى الرسمى، ملحقاً ريفياً بالقصور الحضرية. وهو أرض مدرة للربح تمد خزائن السلطان. وهى توفر أيضاً مكاناً للترويح عن حرمه يسكن إليه؛ وهذا النوع من المزارع قد يكون له بعض الصلات بالتقاليد الشرقية للمتنزهات السلطانية. على أن الاسم الذى عرفت به وشبهها العام بالأملاك الكبيرة للزعيم البربرى يغريان المرء بأن يلتمس فى المغرب النماذج التى أوحت بإنشائها.

وليس هذا بحال «الرياض»، وهى البساتين الداخلية فى القصور ومساكن السروات فى المدائن الإسلامية فى المغرب. ذلك أننا يجب أن نلتمس أصولها على سبيل القطع أو نكاد، فى إيران،

أجل أصول هذا النوع من الحدائق التى حفظت لنا خطتها السجادة الفارسية : بمماشيها العريضة التى تتقاطع فى زوايا قائمة وتفصل بقعا مربعة من الخضرة تكثر فيها أشجار الفاكهة ونباتات الزينة ، وتقطع المماشى فى بعض الأحيان قنوات من الماء الجارى ، وتميز نقط تقاطعها أحياناً نافورات للزينة . ويسيطر على المنظر الطبيعى فى نهاية البستان بيت خلوى صيفى ، إلا إذا كان البستان يحف به من جانبين من جوانبه الأربعة أروقة ذات عمد ، فإن أبواب الشقق فى هذه الحالة تنفتح على رحبة مكشوفة . والحق إن « الرياض » ، فيما يبدو ، هى امتداد وتنميق للفناء . فهى ترسم بما يوائم عمارة الدار ويكمل خطتها .

وإذا كان المنزل المغربى بفنائه الداخلى قد استوحى الدار اليونانية الرومانية ذات الرواق ، فإن الرياض التى تملأ هذا الفناء هى فيما يبدو من التراث الفارسى مثلها مثل كثير من العناصر الأخرى فى الحضارات الإسلامية بالمشرق والمغرب . ونحن لا نعلم فى أى عصر اصطنع المغرب هذا الأسلوب لأول مرة ، وإن كنا نجد آثاراً له فى وقت متقدم يرجع إلى النصف الأول من القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) .

وقد كشفت أعمال التنقيب فى مراكش تحت أنقاض مسجد الكتبية الأول عن خطة « رياض » صغيرة يمكن أن يرد تاريخها إلى عهد على بن يوسف المرابطى (٥٠٠ — ٥٣٧ هـ = ١١٠٦ — ١١٤٢ م) . وهناك نجد فناء مستطيلا يقسمه ممشيان متعارضان .

وقد كشف عن بقايا القصر (كاستليخو Gastellejo) بالقرب من مرسية ، ويظهر أن هذا القصر قد أقامه ابن مردنيش (٥٤١ — ٥٦٦ هـ = ١١٤٧ — ١١٧١ م) ؛ وتحيط غرفه برياض تقطعها مماش ، ويقوم عند طرفيها الضيقين جوسقان . والظاهر أن هذا الطراز من الرياض قديم فى بلاد الأندلس .
وفى القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) يعدد الشاعر الغرناطى ابن لويون حسناته ، فهو يشيد بتخطيط بستانه الذى تقوم فى وسطه خمائل تظلل المماشى التى تحتضن أحواض الزهور احتضان الحواشى . وكان ثمة دار خلوية صيفية مكشوفة تماماً تحيط بها الورود المتسلقة والآس ، تهيئ للمرء مكاناً للراحة يشرف منه على جميع أملاكه بنظرة واحدة . وقد أدخل سلاطين بنى نصر أصحاب غرناطة الجو العائلى فى العمارة لقصورهم . ونجد فى قصر الحمراء الذى شيده محمد الخامس (٧٦٣ — ٧٩٣ هـ = ١٥٦٢ — ١٥٩١ م) أن رواق الأسود الشهير ليس إلا « رياضاً » ولا يزيد . فإن المماشى تتقاطع فتحدث مجمعاً من أربع خرط قائمة بذاتها كان الغرض من استحداثها بلاشك هو زراعتها . وكان يبرز جوسقان مرفوعان على عمد عند الطرفين الضيقين من المستطيل . وإلى جانب هذا البستان الداخلى كان ضيوف الحمراء يجدون « جنان العريف » مبذولة لهم ، ونحن نجد هنا أيضاً شجيرات وقنوات تغذيها نافورات وأروقة تحيط برحبة مكشوفة .

ومن الراجح كل الرجحان أن هذا الطراز من البساتين الحضرية ، الذى نشأ فى بلاد فارس ، قد

شر منها إلى ثلاث بلاد فى شمالى إفريقية ، ففى
اكش أوحت الحمراء إلى أحمد المنصور
سعدى ، فاصطنع خطتها على نطاق عظيم فى قصر
بديع بمراكش (٩٨٦ — ١٠١٢ هـ = ١٥٧٨ —
١٦٠ م) ، فقد زود هذا القصر بفناء طوله
١٣ متراً وعرضه ١١٠ أمتار ، وتحيط به أجنحة
سكن وجواسق ، ويشرف على شجيرات تتخللها
بحيرات فسيحة : ولا تزال المدائن المراكشية ،
مثل مراكش وفاس ، تشهد إنشاء رياض ساحرة ،
وقد نشر الأندلسيون الذين طردوا من أسبانيا ،
هذا التقليد فى المدائن التى التجأوا إليها . أما بخصوص
الجزائر فإن بساتين الدور الريفية البديعة التى تتناثر
حول أرباض الجزائر كانت من مباهج الترف
التى نعم بها القرصان وكان يتعهدها العدد الضخم
من أسراهم فكان هؤلاء يعملون بها على مدار السنة ،

المصادر :

(١) H. Viollet : Description du Palais d'al-Moutassim à Samarra-Extrait des Mémoires presentés ... à l'Academie des Inscription ، مجلد ١٢ ، ج ٢ ، سنة ١٩٠٩ . (٢) Aly Bahgat & Gabriel : Fouilles d'Al-Foustat ، سنة ١٩٢١ . (٣) ناصر خسرو : سفر نامة ، ترجمة شفر . (٤) البكرى : Description de l'Afrique septentrionale ، ترجمة ده سلان de Slane ، ص٦٢ ، رقم ٣ . (٥) Solignac : Recherches sur les installations hydrauliques de Kairouan et de la steppe tunisienne du VIIe [redacted] XIe siècle ، الجزائر سنة ١٩٥٣ . (٥) ابن خلدون : Hist. des Berbères ، ترجمة [redacted] سلان ، ج ٢ ، ص ٣٣٩ — ٣٤٠ : (٦) الناصرى : كتاب الاستقصاء ، ترجمة Fumey (Archives Marocaines) ، ج ١٠ ، سنة ١٩٠٧ ، ص ١١٧ ، (٧) Brunschvig : Deux récits de voyages inédits en Afrique du Nord [redacted] XVe siècle ، أدورن Adorne ، ص ١٩٦ — ١٩٩ . (٨) Haedo : Topographia e historia ... de Argel ، بلد الوليد سنة ١٦١٢ ، فصل GL (٩) G. Marçais : Architecture Musulmane d'Occident ، ص ٢٧ — ٢٨ ، ٣١٠ ، ٤٠٤ — ٤٠٥ ، (١٠) الكاتب نفسه : Mélanges ، ج ١ ، (١١) J. Gallotti : Le jardin et la maison arabe du Maroc ، فى مجلدين ، سنة ١٩٢٦ ،

[جورج مارسيه G. Marçais]

[redacted] — بساتين المغل

لقد كان أباطرة المغل : أكبر (انظر هذه المادة) وجهانكير (انظر هذه المادة) وشاهجهان، كلهم من عشاق الطبيعة البارزين، وهى صفة ورثوها عن سلفهم بابر (انظر هذه المادة) ، ذلك أن بابر لما غزا هندوستان انتابته الحسرة لأنه لم يجد فى أملاكه الجديدة بساتين جيدة التخطيط : وكان بستان « باغ وفا » هو أول بستان خطه بالقرب من كابل سنة ٩١٤هـ (١٥٠٨م) وأتبعه ببساتين أخرى أكبر وأفخم فى آكرا (انظر هذه المادة) قصبته الهندية ،

ولما شيد حفيده أكبر قلعة « هَرِى پَرْبَت » (كشمير) سنة ١٠٠٦هـ (١٥٩٧م) خط فى كنف بحيرة « دَلْ » بستان « نسيم باغ » : وهذا البستان خرب الآن فيما عدا أشجار الـ « چنار » العظيمة التى زرعها شاه جهان (١٠٣٧ — ١٠٦٩هـ = ١٦٢٧ — ١٦٥٨م) . على أن أكثر بساتين كشمير سحرا وفتنة هو بستان « نِشاط باغ » الذى خطّه آصف خان (حوالى سنة ١٠٣٥هـ — ١٦٢٥م) أخو نورجهان (انظر هذه المادة) ملكة جهانگير . وهذا البستان لا نظير له فى الجمال الطبيعى وبراعة العمارة . فقد شيد من إثنتى عشرة شرفة تمثل صور البروج الاثنى عشرة . وقد أوقف مورده المائى إلى حين شاه جهان لأنه أفخم من أن يناسب الرعية . ولكنه سرعان ما أصلح . أما بستان « شالِمار » البالغ الفخامة فقد أنشأه جهانگير سنة ١٠٢٩هـ (١٦١٩م) . واشتقاق كلمة « شالِمار » أو « شالامار » غامض . وقد كان هذا الاسم شائعا حتى فيما قبل أيام المغل . ذلك أنه كان يطلق على شلال دل فى عهد جهانگير (توزك جهانگيرى . ترجمة Rogers ، جـ ٢ . ص ١٥١) . وقد رسمه ميرزا مهدى مورخ نادر شاه « شعله ماه » على حين غير زعيم السيخ « رنجيت سنغ » . [١٢١٤ — ١٢٥٥هـ = ١٧٩٩ — ١٨٣٩م) هذا الرسم إلى « شَهْلا» قائلا إن كلمة شالِمار تتضمن معانى تنذر بالشوم (انظر S. M. Latif : *History of the Panjab* ، لاهور سنة ١٨٩٢ ، ص ٣٦٠) .

وعلاوة على بستان سرينگر (كشمير) شالِمار . يوجد بستان يوازيه شهرة ويحمل نفس الاسم فى لاهور ، كما كان يوجد ثالث فى دهلى درس الآن . وقد اشتهر شالِمار كشمير بجوسق بناه شاه جهان ذى عمد منحوته نحتا رائعا من المرمر الأسود . وهذا الجوسق الذى تحيط به سلسلة من الشلالات ، كان يضم أربعة أبواب كبيرة من الحجر فى أيام برنير Bernier (١٦٧٢ — ١٨٢٦) .

وشيد شالِمار لاهور بشرفات ثلاث على يد على مردان خان ، وهو نبيل إيرانى نزل لاهور سنة ١٠٤٨هـ (١٦٣٨) بعد أن أسلم مدينة قندهار التى كان يلى أمرها إلى الجيوش المغلية التى كانت تحاصرها : ورحب به شاه جهان ترحيبا حارا وأقامه واليا على كشمير ثم على البنجاب أيضا سنة ١٠٤٩هـ (١٦٣٨) . وقد كان على مهندس قنوات مشهور فما إن وصل حتى عهد إليه الإمبراطور حفر قناة تأخذ من الراوى الذى كان مقدرا أن تمد البساتين بالماء . على أن عليا نقل إلى كابل قبل أن تبلغ القناه لاهور . وتمت القناة بعد عام فكلفت خزائن الإمبراطور مائة ألف روبية . وقد اكتمل البستان بمبانيه جميعا وبماشيه وما إلى ذلك سنة ١٠٥٢هـ (١٦٤٢ — ١٦٤٣م) وهنالك زاره الإمبراطور ؛ وغير الإمبراطور شاه جهان اسم الشرفة الأولى إلى « فرح بخش » . أما الشرفتان الثانية والثالثة اللتان أضيفتا بعدُ فقد سميتا « فيض بخش » ؛ ومساحة فرح بخش ٣٣٠ ياردة مربعة ، وكانت تتألف فى أيام برنير من ثمانية مبان : أربعة فى وسط الحوائط الجانبية ، وأربعة فى الأركان الأربعة . وهذا

ـستان الذى نزل به خراب كبير أيام حكم السيخ ، ـنهب معظم مرمره وحمل إلى أمرتسر (انظر ـذه المادة) ؛ وأعاد رنجيت سنغ سنة ١٨٠٦ ـق قناة على مردان خان التى كانت قد انسدت لرواسب . أما مدخلها الحالى فقد شيد فى تاريخ ـأخر على يد ماك گريگور W. L. Mc Gregor ـائب مندوب لاهور سنة ١٨٤٩ .

وتشمل البساتين المغلية الأخرى فى شبه القارة ـهندية الپاكستانية : پنْجَوْر ، بالقرب من أمبالة (انظر هذه المادة) ؛ و « گُلابى » ، و « سَدَا ـهَرا » و « دلْكُشا » فى لاهور ، و « رَوْشَن آراء » و « تالْكَتورا » و « مَهْتاب » فى دهلى ، و « نَسِگين » و « ويرى ناگ » و « أچچهبيال » و « هَبَك » و « پَرى محل » فى كشمير .

وتسير بساتين المغل على خطة محددة ، والسمة ـبارزة فيها هى إقامة مجرى رئيسى وأحواض ضحلة فى الوسط يحيط بها عشب مشرق الخضرة وسور شاهق يحدها . وأشجار چنار ، وبرك صناعية ونافورات عدة . والبستان المغلى يخطط بصفة عامة مربعات أو أشكالا هندسية على هيئة شرفات فى الغالب يراعى فى إقامتها توزيع الماء وانسيابه فى يسر . وكل شرفة من أربعة أقسام تتمشى مع الخطة التقليدية لچهار باغ أى البستان الرباعى . وإذا نظرنا للبستان نظرة عامة وجدناه أشبه بمجموعة من المستطيلات والخطوط المستقيمة . وليس فيه ممشى منحرفة أو قل إنه لا يسمح فيه حتى بالرياض . وكانت تبذل عناية كبيرة فى اختيار مواقع البساتين ، وكان يفضل أن تكون فى سفح تل مشجر أو طب رائع . وشاليار كشمير هو خير نموذج لفلاحة البساتين عند المغل .

المصادر :

(١) أبو الفضل : آئين أكبرى ، ترجمة جاريت Garret ، ج ٢ ، ص ٣٦١ (٢) عبد الحميد لاهورى : باد شاه نامه (المكتبة الهندية) ج ١ ، ص ٢ ، ٢٤–٢٦ ، ٤٧ ؛ ج ٢ ، ص ٢٢٣ (٣) محمد صالح كنبوه : عمل صالح (المكتبة الهندية) ، ص ١٣١ — ١٣٢ ، ٢٣٤ — ٢٣٧ ، ٢٧٣ — ٢٧٦ (٤) C. Villiers-Stuart : Gardens of the Great Mughals ، لندن سنة ١٩١٣ (٥) Sachchidânanda : Kashmir the Playground of Asia ، الطبعة الثالثة ، الله آباد سنة ١٩٤٧ ، ص ٢٢٨–٣٠٧ (٦) W. Moorcroft : Travels in the Himalayan Provinces ، لندن سنة ١٨٤١ ، ج ١ ، ص ٩١–٩٣ ، ٢٠٨ ؛ ج ٢ ، ص ١١٦ ، ٢٥٠–٢٥١ (٧) V. Jacquemont : Letters from India : describing a Journey in India, Tibet and Kashmir ، لندن سنة ١٨٣٤. (٨) G. T. Vigne : Travels in Kashmir, Ladak, Iskardu ، لندن سنة ١٨٤٢ (٩) J. Knight : Diary of a Pedestrian ، لندن سنة ١٨٦٣ ، ص ٩٣ — ١٩٥ (١٠) كرپارام : تأريخ گلزار كشمير ، لاهور سنة ١٨٧٠ ، ص ٢٠٨ وما بعدها (١١) Françis Younghusband : Kashmir ، لندن سنة ١٩١٧ ، ص ١٢٢، ٣٠٣ (١٢) Thornton :

Lahore، لاهور سنة ١٨٧٦ (انظر مادة Shalamar)
(١٣) S. Muhammad Latif : *Lahore etc.*،
لاهور سنة ١٨٩٢، ص ١٤٠-١٤٤، ٢٤٦-٢٥٠ب
(١٤) الكاتب نفسه *History of the Panjab*،
لاهور سنة ١٨٩١ : ص ٣٦٠ : ٣٦٤ (١٥)
Memoirs of Djahângır، ترجمة Rodgers جـ ٢،
ص ١٥١ (١٦) محمد شفيع فى *Islamic Culture*،
جـ ١، ١ (١٩٢٧) ص ٥٨ وما بعدها (١٧)
همايون (مجلة شهرية أوردية) لاهور، عدد يناير
سنة ١٩٢٢ : ص٥٧ (١٨) *Cambridge History*
of India، كمبردج سنة ١٩٣٧، جـ ٤، ص
٥٤٨—٥٤٩ (١٩) A. S. Bazmee Ansari فى
Dawn، كاراتشى (١٤ أغسطس سنة ١٩٥٢)
(٢٠) Bernier : *Travels in the Mogol Empire*،
لندن سنة ١٨٩١ : ص٢٨٣، ٣٩٩—٤٠٠ (٢١)
S.M. Jaffar : *Some Cultural Aspects of Muslim*
India، پشاور، سنة ١٩٥٠، ص ١١٧—١٢٨
(٢٢) *Journal of the Royal Society of Arts*،
لندن، عدد يناير سنة ١٩٣٦ : ص ٢٣٧ — ٢٣٨
(٢٣) *JASB* : سنة ١٩٣٥، ص ٣٣٢ (٢٤)
قانون همايونى (طبعة بنى پرشاد) كلكتة سنة ١٩٥٠،
ص ٦١ وما بعدها.

[خورشيد -بزمى أنصارى A.S. Bazmee Ansari]

+ «بستانجى»: (انظر مادة «بوستانجى»).

+ «بستانجى باشى»: (انظر «بوستانجى باشى»).

+ «بستان زاده»: (انظر مادة «بوستان زاده»).

«البستانى» لقب أسرة مارونية مشهورة أنجبت عدة رجال أدوا إلى اللغة العربية والأدب العربى خدمة جليلة، وأحقهم بالذكر «بطرس البستانى» الذى ولد فى دبيه بين صيدا وبيروت عام ١٨١٩، وتوفى فى شهر مايو عام ١٨٨٣ م. وتلقى علومه الأولى فى مدرسة المعلمين بعين ورقة، ولكنه اتصل عام ١٨٤٠ بالبعثة الأمريكية ببيروت وتمذهب بالبروتستانتية ثم عين مدرسا فى كلية عبيه، وصنف كتاباً مدرسياً فى الحساب عنوانه «كشف الحجاب»، ومكث فى هذه الكلية عامين، ثم ذهب إلى بيروت حيث عكف على نقل أسفار موسى الخمسة إلى اللغة العربية وهو العمل الذى كان يقوم به سمث E. Smith؛ وكان فى الوقت نفسه معنيا بتصنيف معجمه العربى «محيط المحيط» (طبع عام ١٨٦٧-١٨٦٩ م) وأصدر منه مختصرا بعنوان «قطر المحيط» (طبع فى بيروت عام ١٨٦٩م). وفى عام ١٨٧٠م أصدر جريدة «الجنة» ثم أصدر بعدها جريدة «الجُنَيْنَة» وأخيرا مجلة «الجنان». ولما أتم معجمه شرع فى إخراج قاموس للأعلام، ولكن

من اتسع أمامه فجعله نواة لمعلمة عربية عنوانها ...شرة المعارف » التى أصدرها عام ١٨٩٦ بمساعدة ...ه سليم البستانى وآخرين ؛ ومات بطرس والعدد ...بع من هذه المعلمة على وشك الظهور ، فتابع ...ده العمل ، ولما مات ولده عام ١٨٨٤م أتم العمل ١٨٩٨م) أبناء آخرون لبطرس وقريب لهم اسمه ...ن البستانى يشاركهم آخرون .

واكتسب سليمان البستانى الذى سبقت الإشارة ...يه شهرة لا تقل عن شهرة بطرس بنقله إلى اللغة ...ربية نظماً إلياذة هوميروس التى نشرتها دار ...لال عام ١٩٠٤م . ويقول هارتمان M.Hartmann ... كتابه Die. Arab. Frag. « إنه عمل من الطراز ...لأول يستحق أجمل الثناء » (انظر أيضا « ملحق ...ه الدائرة ») .

المصادر :

(١) جورجى زيدان : مشاهير الشرق، ج٢، ص ٢٤ وما بعدها (٢) شيخو : المشرق ، ج ١٢ ، ص ٩٢٩ وما بعدها (٣) Brockelmann : Gesch. d. arab. Lit. ، ج ٢ ، ص ٤٩٥ (٤) Zeitschr. der Deutsch. Morgenl. Ges. ، ج ٣٤ ، ص ٥٧٩ وما بعدها .

+ « البستانى » : [انظر مادة « البُستانى »] .

« البُستى » ، أبو الفتح على بن محمد : شاعر عربى ، ولد عام ٣٦٠ هـ (٩٧١ م) فى مدينة بست بإقليم كابل ، وكان فى حداثته كاتب سرباتيوز أمير بُست ، فلما غلب عليه سبكتكين وصل البُستى نفسه بالحاكم الجديد ، ورغب محمود بن سبكتكين أن يصحبه البستى إلى بلاد الترك ، ولكن الشاعر توفى فى الطريق ببخارى عام ٤٠١هـ (١٠١٠م) ولم يبق من ديوانه إلا جزء فى ليدن [Catalogus codd. or. Bibliothecae Academiae Lugduno-Batavae ، ج ١ ، رقم ٦٣٣) وقصيدتان مخطوطتان فى مكتبة گوتا Gotha [انظر Pertsch : Die Ar. Hdss. der Herz Bibl. ، رقم ٥٦) ، وأشهر قصائده منظومة تعليمية تعرف « عنوان الحكَم » (انظر Baillie : Five Books on Arabic Grammar ، ج ٣ ؛ مجانى الأدب ، ج ٤ ، ص ٩٥ ؛ السبكى ، ج ٤ ، ص ٥) . وقد شرح هذه المنظومة عبد الله بن محمد بن أحمد النقركاو المتوفى عام ٧٧٦هـ (= ١٣٧٤ ؛ انظر Ahlwardt: Verzeichnis der Arab. Hdss. der Kgl. Bibliothek Zu Berlin رقم ٧٥٩٤ — ٧٥٩٥ ؛ Catalogus codd. or Bibl. A.C. Lugd. Bat. ، ج ١ ، رقم ٦٣٤ ؛ Vollers : Katalog der Islam. usw. Hdss. der Universitaetsbibliothek zu Leipzig ، رقم ٥١٩ ، ٥٢٠ ؛ Pertsch : كتابه المذكور ، رقم ٢٢٣٦—٢٢٣٨ ؛ Codices or. Bibliothecae Havniensis رقم ٣٧٢ ، ٢٤٧) ، كما شرحها عبد الرحمن العمرى الميْلاتى حوالى عام ٧٨٠ هـ (١٣٧٧م ؛ انظر Ahlwardt : كتابه المذكور ، رقم ٧٥٩٦) ، وكتب عبد القادر ابن عيدروس رسالة فى شرح البيتين الأولين من هذه القصيدة (Ahlwardt : كتابه المذكور ، رقم ٧٥٩٧) .

المصادر :

(١) الثعالبى : يتيمة الدهر ، ج ٤ ، ص ٢٠٤ — ٢٣١ (٢) ابن خلكان ، طبعة بولاق ، عام ١٢٩٠هـ ، رقم ٤٤٣ (٣) ياقوت: المعجم ، ج ١ ، ص ٦١١ (٤) ابن تغرى بردى ، طبعة Popper ، ج ٢ ، ص ٦٠٥ (٥) السبكى : طبقات الشافعية ، ج ٤ ، ص ٤ (٦) Tallquist : *Gesch. der Ikhshiden* ، ص ١٠٩ (٧) Brockelmann : *Gesch. der arab Litt.* ، ج ١ ، ص ٢٥١ .

[بروكلمان Brockelmann]

+ البستى ، أبو الفتح على بن محمد : شاعر عربى من أعيان القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) ، فارسى المولد من أهل بست . وفيها درس الحديث والفقه والأدب ، وكان تلميذا للمحدث ابن حبان الذى كان يعيش فى بست من سنة ٣٤٠هـ (٩٥١م) حتى وفاته سنة ٣٥٤هـ (٩٦٥م) ، وكان للبستى صديق محدث آخر هو الخطابى المتوفى سنة ٣٨٨هـ (١٠٠٧م) ، وكان البستى يتبع فى الفقه مذهب الشافعى ، وقد أصبح وهو شاب كاتب باتيوز أمير بست ، فلما احتل سبكتكين بست سنة ٣٦٧هـ (٩٧٧م) انضم البستى إلى الغازى . ودبرت دسيسة اضطر حيالها البستى إلى الاعتكاف فى قرية بإقليم الرُّخَّج ، ولكن سبكتكين استدعاه بعد شهور قلائل وظل فى خدمته هو والعتبى حتى عهد محمود . وقد أنشأ وهو فى هذه الخدمة رسائله الرسمية التى حازت الكثير من الإعجاب والتى تعلن فيها الانتصارات المشهودة التى أحرزها محمود ، ثم إن البستى حل به مرة أخرى غضب السلطان فنفى إلى «بلاد الترك» أى إلى ماوراء النهر . وتوفى ببخارى سنة ٤٠٠هـ (١٠١٠م) أو سنة ٤٠١هـ الموافقة ١٠١١م (أو قل متأخرا عن ذلك فى شوال سنة ٤٠٣ = فبراير — مارس سنة ١٠١٣) . ويقول المنينى فى كتابه « شرح اليمينى » (١٢٨٦هـ = ١٨٦٩ — ١٨٧٠ م ، ج ١ ، ص ٧٣ ، س ٢) إنه توفى فى أوزكند حيث كان قبره يشاهد هنالك .

وكتابات البستى المختلفة . شاعراً وكاتب رسائل ، فيها جميع خصائص الصناعة البلاغية المأثورة عن الشعر والنثر المنمقين المأثورين عن القرن الرابع الهجرى (القرن العاشر الميلادى) . وقد أثنى الثناء المستطاب على براعته فى التجنيس وخاصة فى « التجنيس المتشابه » . وقد نمى البستى هذه الصنعة رويدا رويدا بعد أن سمع فى شبابه أحجية من الشاعر شُعبة بن عبد الملك البستى (يتيمة الدهر ، ج ٤ ، ص ٢٣٣) ، وكانت تربطه علاقة ود بالثعالبى الذى ألف « أحسن ما سمعت » بإيحاء منه وقد خص فن البستى بمختارات قيمة فى كتابه « يتيمة الدهر » . وطبع ديوان البستى فى بيروت سنة ١٢٩٤هـ (١٨٧٧ — ١٨٧٨م) وهو يشتهر بصفة خاصة بمنظومته التعليمية « النونية » أو « عنوان الحِكَم » .

ونظم البستى أيضا أشعارا بلغته الأصيلة وهى الفارسية ، ولكنها لم تجمع قط (انظر H. Ethé فى *Morgenlaendische Forschungen*, Festschrift H. L. Fleischer ، سنة ١٨٧٥ ص ٥٠ — ٥٧) ، وكان

بعض الإحيان يخلط بينه وبين سميه أبي الفتح
ى (وصحته البَستى) وهو شاعر مصرى من
ن القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر
دى؛ ابن رشيق: العمدة، ج ١، ص ٢٠٠،
٢، ابن سعيد: المغرب، ص ١٠٣ طبعة
= (Tallqu
المصادر :

(١) العتبى: اليمينى، هامش شرح المنينى،
هرة سنة (١٢٨٦ هـ) ج ١، ٦٧ — ٧٢ (٢)
مالبى: يتيمة الدهر، دمشق سنة ١٣٠٤هـ،
٤، ص ٢٠٤ — ٢٣١؛ ج ٣، ص ٢٢٥؛
٤، ص ٧٣، ١٦٠؛ ص ٢٣٢، ٢٣٦؛
٢٨ (٣) البيهقى: تتمة صوان الحكمة، ج ١،
ص ٣٤ (٤) ياقوت، ج ١، ص ٦١٢ (٥)
ن الأثير، ج ٩، ص١٥٥ (٦) ابن خلكان،
بعة سنة ١٢٩٩ هـ، ج ٢، ص ٥٣ (٧) السبكى:
قات الشافعية، ج ٤، ص ٤ — ٦ (٨)
ميرى: مادة الثعبان (٩) دولتشاه: تذكره،
٢٦ (١٠) طاشكبرى زاده: مفتاح السعادة،
١، ص ٢٩٩ (١١) Brockelmann، ج ١،
٢٩١؛ قسم ١، ص ٤٤٥.

خورشيد [فوك J.W. Fück]

«يسير»: تضم سلطنة يسر القائمة فى جنوب الشرق من برنيو وادى يسر أو نهر ... لو الذى ينبع فى الشمال عند حدود كوتاى، يتجه ناحية الجنوب الشرقى على طول الحدود الشرقية لسلسلة جبال برانُس ثم ينعطف أخيراً ناحية الشرق حتى يصل إلى مضايق مالقه مخترقاً إقليما تكثر فيه المستنقعات؛ ولا تزال هذه السلطنة التى تبلغ مساحتها حوالى ١١٢٥ كيلومتراً مربعاً تغطيها الغابات البدائية، ولم يعمل سكانها القليلون — الذين يوجد أغلبهم فى يسر وهى مقر السلطان، وفى تناه كُرُوكوت وهى مقر الإدارة الرسمى — على إزالة الغابات وإعداد الأرض لزراعة الأرز؛ ويوجد فى يسر الذهب والبترول والفحم، ولكن الأوروبيين لم يستغلوا هذه الثروة المعدنية بعد، كما أنهم لا يشتغلون بالزراعة.

واستقر أول حاكم إدارى من الأوروبيين سنة ١٩٠١ م فى تناه كروكوت عند مصب نهر كندلو. وتعتبر يسر مثالا حسناً لولايات برنيو الساحلية التى ارتقت — من وجهة النظر الإسلامية — دون الاعتماد على النفوذ الأوروبى. ويقدر عدد سكان هذه السلطنة بـ ١٧,٠٠٠ نسمة. ويتألف السكان من الدّيَك الذين يعيشون على زراعة الأرز وعلى المهاجرين من البنجار والبُكَين الوافدين إليها من سليبس، وهم يسيطرون على الحركة التجارية. ويوجدون عادة فى السهل المنبسط عند مصب النهر؛ ويعيش على الشاطىء البَدّجوز، وهم يشتغلون بصيد الأسماك؛ وأكواخهم قائمة على أعمدة فى البحر؛ ويبلغ عدد الدّيَك حوالى ٩,٠٠٠ نسمة اعتنق منهم الإسلام نحو ٤,٠٠٠؛ أما الباقون، وعددهم ٥,٠٠٠، فلا يزالون على الوثنية وهم يعيشون فى المرتفعات. ويبلغ عدد

البكن ٥,٠٠٠ نسمة ولهم نفوذ كبير يرجع إلى كثرة عددهم ورخائهم . أما البنجار فهم أقل شأناً من أولئك وهؤلاء ، ويبلغ عددهم ١,٢٠٠ نسمة ، ويوجد فى هذه السلطنة عدد قليل من الأوروبيين ونحو خمسين صينياً وعربياً . ونصف سكان بسر كما ترى من الأجانب ، ولكنهم — كالدَيَك — من الجنس المالوى ويختلط بعضهم ببعض .

ويحكم بسر سلطانها وأفراد أسرته حكماً مطلقاً ولا رأى للشعب فى حكومته . وهناك إلى جانب السلطان وولى عهده مجلس يتألف من خمسة من الأعيان يستشيرهم السلطان فى المسائل الهامة . وهذا المجلس بمثابة المحكمة العليا فى السلطنة . ويقطع هؤلاء الأعيان وبعض أفراد أسرة السلطان إقطاعيات . وجرت العادة منذ سنة ١٨٤٤ م أن يعقد السلطان عقب اعتلائه العرش معاهدة مع حكومة الهند الهولاندية . وأعلن هؤلاء السلاطين سنة ١٩٠٨ أنهم تابعون لحكومة الهند الهولاندية . وأعطى للحكومة حق جمع المكوس على الواردات والصادرات وفرض الضرائب وحق احتكار الأفيون والملح نظير مبلغ مقداره ١٦,٨٠٠ جولدن سنوياً يأخذ السلطان منها ١١,٢٠٠ والباقى وقدره ٥,٦٠٠ يأخذه الأعيان .

ولايزال من حق السلطان جباية الضرائب الآتية : جزية الرؤوس ويجبيها من الذكور البالغين ، ومقدارها بيثم ما تغله مزارع الأرز والغابات ، وجوزتان عن كل شجرة مثمرة ، وله حق تسخير رعيته ، وللسلطان دخل من إدارة المحاكم فى العاصمة .

ويستدل من التاريخ الأسطورى القديم لـ البلاد أن هذا الحكم المطلق الغريب على الدَيَـ انتقل إلى بسر من شرق جاوة : ويلى السلطـ والأعيان الزعماء ورجال الدين وملاك الأراضى وبعـ الأحرار ، وهم جميعاً يؤلفون الطبقة الوسطى وكان لا يزال فى بسر حتى بداية القرن الحالى عدد من العبيد والمسترقين فى دين عليهم ، ومنهم تتألف الطبقة الدنيا وإن كان الرق قد ألغى منـ عهد طويل فى ولايات الهند الخاضعة للنفو الهولندى . والأرقاء — كما هو الشأن بين قبائل الديك — يعيشون كما يعيش الأحرار ويشتركو فى جميع الحفلات والألعاب ، ولهم الحق فى التملك ، وهم لا يتميزون عن الأحرار بلباسهم . وإذا دفع أحد الأشخاص دين عبد من العبيد انتقل العبد إليه ، والأرقاء لايباعون فى بسر .

وقد وصفنا فى مكان آخر الحياة الاجتماعية للبكن والبنجار والبداجوز المسلمين ، وما سنورده فيما يلى خاص بالدَيَك الوثنيين وأقاربهم المسلمين أى البسرية . وتذهب إحدى الروايات إلى أن عربياً اسمه توان سيد أدخل الإسلام فى بسر وساعد على انتشار الإسلام فى هذه البلاد زواجه من ابنة أميرها .

ولم تتأثر حياة البسرية الاجتماعية بالإسلام إلا تأثراً سطحياً . فلايزال يسود حياتهم اليومية التصور الوثنى للمعبود ولعالم الأرواح . ودليلنا على ذلك هذا الأثر القوى للأرواح على حياة الإنسان فهم يتفاءلون ويتشاءمون بظاهرها .

من الحقائق المؤيدة لهذا أيضاً أنه لا يوجد فى يسر بأسرها سوى مسجد واحد وعدة زوايا . وعدد رجال الدين والحجاج قليل . وليست عندهم غيرة قوية تدفعهم إلى القيام بفريضة الحج إلى مكة . وهم كلما حزبهم الأمر طلبوا المعونة من الأرواح . وخاصة عندما يمرض واحد من الأسرة الذين يحتفلون بأعياد سليان Blian الوثنية التى يحتفل بها أيضاً أهالى جنوبى برنيو . إذ تلبس الروح الكاهن الوثنى باليان balian وسط دقات الطبول التى تسمع عن بعد وتوحى إليه بما يتخذ فى علاج المريض . ويلجأ أهل العاصمة أنفسهم ، وعليهم من المسلمين . إلى هذا الكاهن يطلبون مشورته ، ولا ينقطعون عن ذلك إلا فى شهر رمضان . لأن السلطان يحرم عليهم ذلك فيه .

ومما يدلنا على أن الطبقات العليا لاتزال هى الأخرى متمسكة بهذه الأنظار الخرافية ، تلك الأسطورة الشائعة هناك،التى تذهب إلى أن السلطان آدم فى منتصف القرن الماضى اعتاد أن يعتكف أياماً كل سنة فى جبل الجن «كَنَنْك مِلِكَتْ ». ويقال إنه تزوج من جنية وإنه أولدها ابناً يدعى « تِنْدَك » يستطيع أن يختفى عن الأنظار ؛ وتضيف القصة إلى ذلك أن هذا الابن يعيش فى جزيرة مادورة وأنه تزوج إحدى أميرات الجن ، وهو يظهر بين الحين والحين فى يسر عندما يدعى إلى عيد تقدم فيه الأضاحى (وكانوا فيما مضى يقدمون فى هذا العيد القرابين البشرية) . وهم يحتفلون إلى الآن بأمثال هذه الأعياد ، وخاصة لتخليص البلاد من الفاقة والمرض . وقد ابتنى لتندك هذا فى قرية بُسْوى بيت سقفه من ثلاثة أجزاء أقيم على عمود ضخم ، وهو يشبه بذلك برج الحمام .

ودخل رجال الدين يتحصل مما يجمعونه من الزكاة والبِطْرَة . وكل إنسان هناك يدفع إليهم ما يستطيع دفعه دون ضغط من جانب الزعماء . ولرجال الدين هؤلاء أجر صغير عند قيامهم بعقود الزواج والطلاق .

والتقويم المستعمل فى سلطنة يسر بوجه عام هو التقويم الهجرى ، والأهالى يفلحون الأرض — كما هو الشائع بين الدَّيَك — عندما يشاهدون صورة سماوية خاصة .

وتطورت الحياة العائلية فى يسر — إلى حد ما — وفقاً للتعاليم الإسلامية . ويتم الزواج بين المسلمين على يد رجل من رجال الدين بحضور الوالد أو الولى . ويكون ذلك بعد تمام الاتفاق على مهر كبير يدفع إلى والدى العروس . أما هى فتأخذ منه جزءاً صغيراً . ويختلط شباب الجنسين فى شىء من الحرية قبل الزواج،وفقاً للمألوف عند الدَّيَك . وهم يشربون فى حفلة الزواج مقداراً كبيراً من نبيذ البلح . ويعيش الزوج فى بيت حميه سنة على الأقل،قبل أن يتخذ لنفسه بيتاً خاصاً . ويكثر الطلاق عندهم،لأنهم قلما يحفلون برغبات المرأة إبان المفاوضات التى تقوم بها والدا العروس . ويحتفظ الزوجان بمتاعهما عند الزواج،فإذا حدث

الطلاق انتقل متاع كل منهما إلى أسرته ، وإذا زادا عليه شيئاً إبان الزواج فيقسم إلى قسمين متساويين بين الزوج والزوجة ، وإذا توفى أحدهما ورث الآخر كل شىء . وقليل من الأسر تتبع الشريعة الإسلامية ؛ ويدفن المسلمون وفقاً لما يقضى به الدين الإسلامى .

المصادر :

Beschrijving [illegible] *het* : A. H. F. J. Nusselein *landschap Pasir* فى *B. T. L. V.* ، سنة ١٩٠٥ ؛

[نيوهويس A W. Nieuwenhuis]

« بُسْر » بن أبى أرطاة ، أو بُسر بن أرطاة فى رواية ضعيفة : قائد عامرى من قريش ولد بمكة فى آخر عقد قبل الهجرة ، وقد أنكرت الروايات المتأثرة بأهواء الشيعة صحبته للنبى ؛

سار بُسر مع أهل النجدة إلى الشام تحت إمرة خالد بن الوليد وأظهر فى هذه الغزوة شجاعة نادرة ، ثم اشترك فى فتح إفريقية ؛ وقدر عمر بسالته وإقدامه فدعا له وأجازه . وكان بُسر من المتحمسين لنصرة معاوية إبان الفتنة التى نشأت بين معاوية وعلى ، وهو الذى استمال إلى ابن أبى سفيان الأميرَ الكندى القوى شُرَحْبيل بنَ السِمْط ، كما كان فى عسكر أهل الشام يوم صِفِّين . وعاون عمرو بن العاص على استعادة مصر للخليفة معاوية ؛

وقد يكون بسر بن أبى أرطاة أبرز شخصية ب قواد هذا الخليفة ، فقد كان بدوياً قحاً من الطر القديم خلا قلبه من الرحمة ، إن لم تكن الروايات الشيعية قد هولت فى وصف ذلك الخصم المتحمس ضد على ، فهو الذى أنفذ إلى بلاد العرب لقتال العلويين ، وهو الذى شهر عليهم حرباً لا هوادة فيها ولا رحمة ، وهو الذى هدم دور أعداء عثمان فى مكة والمدينة . وبالجملة فقد أظهر من الولا للأمويين مالم يتفُقه فيه إلا مسلم بن عقبة والحجاج وقتل فى اليمن ابنين صغيرين لعبيد الله بن العباس ، وقاد طليعة الجيش فى الحملة التى انتهت بخلع الحسن بن على ، وأجيز على ذلك بولاية البصرة ، فاستبد بالأمر فيها ، وقضى وقتاً قصيراً بالعراق ثم عاد إلى البصرة ليقبض على أبناء زياد بن أبيه ، وتمكن بهذه الوسيلة العنيفة من إخضاع هذا الرجل الذى يعتبر آخر القواد المحاربين انتصاراً لعلىّ ؛ ونجده بعد ذلك يقود عدة حملات بحرية ضد دولة الروم .

وما انقضى العام الخمسون للهجرة (٦٧٠ م) حتى احتجب عن ميدان السياسة هذا الرجل الذى كان يعمل على تحقيق أطماع معاوية ، والذى قاد الجيوش فى البر ثم فى البحر . ويقال إنه عاش فى بلاط معاوية إلى أن توفى هذا الخليفة . ويذهب الشيعة إلى أن لعنة علىّ حلت به فخرف فى آخر أيامه . وقد ورد اسمه ثانية أيام الوليد بن عبدالملك

فقيل إنه اشترك مرة أخرى فى الحملة التى أنفذت على إفريقية ، ولكن بعض الروايات تذهب إلى أنه مات بالمدينة فى عهد عبد الملك ؛ ومهما يكن من شىء فقد عمر طويلا ووسوس فى أخريات أيامه :

المصادر .

(١) البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٢٢٦ — ٢٢٨ ، ٤٥٦ . (٢) ابن حجر : الإصابة ، جـ ١ ، ص ٣٠٠ ؛ (٣) ابن الأثير : أسد الغابة ، جـ ١ ، ص ١٧٩ — ١٨٠ ، جـ ١ ، ص ٣٩٢ . (٤) المسعودى : مروج الذهب ، جـ ٥ ، ص ٤٧٤ — ٤٧٥ . (٥) الأغانى : جـ ١ ، ص ١٣١ — ١٣٢، جـ ١٠ ، ص ٤٥ — ٤٧ ؛ (٦) الطبرى : جـ ١ ، ص ٢١٠٩، ٣٢٤٣، ٣٤٠٦، ٣٤٥٠ — ٣٤٥٢ ، جـ ٢ ، ص ١١ — ١٤ ، ٢٢ ؛ (٧) الترمذى : الصحيح ، جـ ١ ، ص ٢٧٤ ، طبعة بولاق . (٧) تصحيف المحدثين : مخطوط بدار الكتب المصرية . (٩) H. Lammens : *Etudes sur le règne du Mo'awia I* ، ص ٤٢ — ٤٨ ، ٢٨٤ .

[لامنس H. Lammens]

تعليق على مادة « بسر »

« بُسْر » بضم الباء وسكون السين المهملة ، و « أرطاة » بفتح الهمزة وسكون الراء ؛ والمشهور عند المحدثين « بسر بن أرطاة » ، ويقال « بسر ابن أبى أرطاة » ، والظاهر أن اسم ابيه « عمير » وكنيته « أبو أرطاة » فهذا معنى من قال « بسر ابن أبى أرطاة »، وأن اسم جده « أرطاة »، فتارة ينسب إلى أبيه ، وتارة ينسب إلى جده فيقال « بسر بن أرطاة » . ويرجح هذا ما فى تاريخ بغداد للخطيب (ج ١ ، ص ٢١١) : « قال أبو الحسن أحمدبن عمير ، حدثنى بكار بن عبد الله ابن بسر وسألته عن اسم أبى أرطاة ، فحدثنى عن أبيه بنسب جده : « بسر بن عمير بن أرطاة بن عويمر بن عمران » .

وأما الخلاف فى صحبته للنبى صلى الله عليه وسلم فهو خلاف معروف عند علماء الحديث ، لأنه كان صغير السن عند وفاة النبى صلى الله عليه وسلم ، ولكنه كان مميزا وسمع منه حديثين رواهما ولذلك رجح المحدثون أنه صحابى ، وحديثاه فى مسند أحمد (ج ٤ ، ص ١٨١) .

وأما أحداثه فى السياسة بعد ذلك وقسوته فإنه شىء يسأل عنه بين يدى الله يوم القيامة ، ونحن نطهر ألسنتنا عن دماء طهر الله منها أيدينا .

وله تراجم أخرى غير ما أشار إليه كاتب المادة فى تاريخ بغداد (جـ ١ ، ص ٢١٠—٢١١) وفى الاستيعاب لابن عبد البر (جـ ١ ، ص ٦٤ — ٦٧ من طبعة الهند) وفى مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر (جـ ٣ ، ص ٢٢٠ — ٢٢٥) .

أحمد محمد شاكر

* « البِسرميانيّة » (أو تترگلازوف) : وحدة سلالية صغيرة تمت بصلة القربى للأودمورتيّة (الفوتياكية) الذين يعيشون فى شمالى روسياء وقد اختلفت الآراء فى مسألة أصلهم ، فذهب بعضها إلى أنهم من الفِنّيين الذين دخلوا فى سلطان الترك ، وذهب البعض الآخر إلى أنهم أحفاد البلغار الكاما القدماء ، الذين تأثروا تأثراً عميقاً باللغة والثقافة الأودمورتيتين .

وقد أحصى التعداد السوفيّتى لسنة ١٩٢٦ : ١٠,٠٣٥ من البسرميانية ، كان ٩,١٩٥ منهم ينتمون إلى ناحيتى بالزينو ويوكامنسكوى فى جمهورية أودمورت السوفيتية الاشتراكية المستقلة استقلالا ذاتياً ، و٨٣٤ ينتمون إلى ظاهر قرية سلوبودسكوى عند ملتقى نهرى ڤياتكا وچيتْزَه فى إقليم كيروف .

والبسرميانية يتحدثون بلغتين : الروسية (فى جمهورية أودمورت السوفيتية الاشتراكية المستقلة استقلالا ذاتياً) والتترية القازانية (فى إقليم كيروف) ، كما يتحدثون باللهجة الأودمورتية المتأثرة بالتتر تأثراً كبيراً . وقد اعتنقوا المسيحية رسمياً فى القرن السابع عشر وعدّوا أرثوذكساً كاملين ، وإن كانوا قد ظلوا مسلمين بقلوبهم يحتفظون بالكثير من العادات الإسلامية المأثورة ، وكانوا بصفة خاصة يستدعون الملاّ التترى بعد القسيس الأرثوذكسى إذا توفى بينهم أحد .

ولما أعلنت حرية العقيدة سنة ١٩٠٥م ، عاد معظم البسرميانية إلى حظيرة الإسلام صراحة ،

المصادر :

(١) Smirnov : *Otchet o 8 Arkheologicheskom siezde* فى *Journal Ministre de l'instruction Publique* ، سانت بطرسبرغ ، سنة ١٨٩٠ ، ص ٢٦٩ ، ١ — ٤٧ ؛ (٢) V.Belitzer : *Problema proizkhojdeniya Besermyan* فى *Trudy Institua Etnografii* ، موسكو سنة ١١١٧ ، ١ ؛ (٣) Negovitzin : *Besermyane* فى *Bolshaya Sovetskaya Entziklopediya* ، ج ٥ ، سنة ١٩٣٠ ، ص ٧٢١ — ٧٢٢ .

خورشيد [بِنِگسِين A. Bennigsen]

« بِسّارابيا » : و « بجاق » هو الاسم التركى للسهوب التى تكوّن الجزء الجنوبى من مقاطعة بسارابيا الروسية ، وهو يقابل إلى حد ما آق أكرمان ، ويستعمل هذا الاسم أحياناً للدلالة على مقاطعة بسارابيا بأسرها .

وقد ضمت هذه المنطقة إلى الحكم التركى فى عهد بايزيد الثانى عام ٨٨٩ = (١٤٨٤ م) ولم تعد إلى روسيا بصفة نهائية إلا عام ١٨١٢ م بمقتضى معاهدة بوخارست ، ولو أن الروس احتلوها مراراً قبل ذلك فى حروبهم مع الترك . أما فيما يختص بالعناصر التركية التترية بين سكان هذا الإقليم فانظر مادة گاگوز (وانظر عن بسارابيا مادة « بجاق »)

« نساروڤتز » (وتنطق پُشَارِڤتَز ، وترسم في الفرنسية Pojarévatz - وپساروڤتز تحريف يشبه الاسم التركي پساروفچه) : مدينة تجارية مزدهرة في يوغسلاڤيا بإقليم بنَات على الدانوب ، وهي قصبة إقليم يعرف بالاسم نفسه في السهل الخصيب بين موراڤا وملاڤا : وتبعد عشرة أميال عن ثغر دبرڤكة . وفي عام ١٩٣٠ بلغ عدد سكانها ١٣,٧٣١ نسمة :

ويربط اسم هذه المدينة عادة بالكلمة الصربية الكرواتية پوژارو ومعناها النار (M.D. Milichevich : Knezhevina Srbija ، بلغراد عام ١٨٧٦ م ، ص ١٧٢ ، ١٠٥٨) وقد ذكرت لأول مرة حوالي نهاية القرن الخامس عشر الميلادي ، ولا بد أنها كانت موجودة قبل ذلك ، ودخلت في الحكم التركي مع الإقليم المحيط بها عام ١٤٥٩ م : ونحن نستدل من وثائق المالية التركية الخاصة ببلاد المجر عام ١٥٦٥ م أن پساروڤتز كانت في ذلك العهد تابعة للسنجق التركي سمندره (سمندريا Samendria : سمدرڤو Smederevo ؛ انظر A.Velics : Magyaror-szagi Toerok kinestari Defterek ، جـ ، بودابشت سنة ١٨٩٠ ، ص ٧٣٤) : وذكر حاجي خليفه في منتصف القرن السابع عشر الميلادي أنها كانت « قاضيلق » أي بها قاضٍ (Spomenik : جـ ١٨ : بلغراد سنة ١٨٩٢ ، عمود ٢٦) ؛

وهجرها حوالي نهاية هذا القرن كثير من الصرب : وذكرت عدة مرات في القرن الثامن عشر على أنها قرية من القرى .

وقدر لهذه المدينة أن تشتهر سريعاً بحكم المعاهدة التي انتهت بها الحرب النمسوية التركية التي نشبت بين عامي ١٧١٦ و ١٧١٨م : ففي نهاية عام ١٧١٤م أعلنت تركية الحرب على البندقية بحجة عدم احترامها لهدنة كرلوڤتز : واحتلت عام ١٧١٥م المورة وبعض جزر أرخبيل اليونان ، وتدخلت النمسا في المفاوضة باعتبارها حليفاً للبندقية ودخلت الحرب عام ١٧١٦م ، ونالت جيوشها التي كان يقودها الأمير يوجين ثلاثة انتصارات باهرة في پتروواردن وطمشوار وبلغراد فتدخلت إنكلترة لتحقيق السلام ؛

وعقد مؤتمر پساروڤتز بعد تمهيد طويل (von Hammer : G.O.R. ، الطبعة الثانية ، جـ ٤ ، ص ١٥٩-١٦٤) وبدأت المفاوضات في الخامس من يونية عام ١٧١٨ ، بين سفراء تركية والنمسا والبندقية وممثلي إنكلترة وهولندة اللتين توسطتا لفض النزاع ، ووقعت المعاهدة في الحادي والعشرين من يولية ؛

وأقر السلام على أساس أن تحصل كل دولة على الأراضي التي كانت تحتلها فعلا ، فاحتفظت النمسا بالجزء الشرقي من سرميا Sirmia وبنَات بما فيها طمشوار والجزء الشمالي الشرقي بأكمله من الصرب بما في ذلك بلغراد وپساروڤتز . إلخ والأفلاق الصغرى : وأخذت البندقية مناطق صغيرة على شاطئ البغدان وألبانيا ، كما نالت بعض الامتيازات التجارية ، وحصلت كذلك على الجزيرة التي يعرفها الترك باسم چوقه (كَرِگو) ، وألزمتها المعاهدة أن تعيد إلى تركية شبه جزيرة المورة بأكمله والمناطق الجنوبية الشرقية من الهرسك : ونالت

النمسا بمقتضى الاتفاق التجارى الذى عقد فى پساروڤتز أيضاً فى السابع والعشرين من يولية بعض الامتيازات التجارية وغيرها فى الإمبراطورية العثمانية .

وتبعت ذلك المظاهر التقليدية التى تعقب عقد معاهدة من المعاهدات ، فذهب سفير تركية الأول إبراهيم پاشا وتابعوه إلى ڤينا ، كما ذهب الكونت ڤرمونت النمسوى الذى كان يمثل دولته فى المفاوضات إلى الآستانة . وقد كتب موظف فى السفارة التركية عام ١٧٢٦ م تقريراً مهما نشره ڤان كريلتز Fr. van Kraelitz وترجمه بعنوان *Bericht ueber den Zug des Gross—Botschafters Ibrahim Pascha nach Wien in Fahre* سنة ١٧١٩ فى *S.B. Ak.* . ڤينا ، جـ١ ، ص١٥٨ [١٩٠٨] ؛ وفى تاريخ عثمانى أنجمنى مجموعه سى جـ٧ ، عام ١١٣٢ هـ=١٩١٦ م ، ص٢١١ — ٢٢٧ وأعاد رفيق طبع النسخة التركية .

وكانت پساروڤتز إبان الاحتلال النمسوى بين عامى ١٧١٨ و ١٧٣٩ أهم بقعة فى هذا الإقليم . وحوصرت مدة طويلة إبان حرب الاستقلال التى شنها صربيا على الترك ، وسقطت آخر الأمر فى يد الصرب عام ١٨٠٤ . وفى عام ١٨١٣ رجعت إلى الترك ، ولكنها عادت مرة أخرى إلى الصرب عام ١٨١٥ م .

وازدهرت المدينة زمن السلم (١٨١٥ — ١٩١٥ م) . وجعلها الأمير ميلوش عاصمته الثانية عام ١٨٢٥ م وابتنى لنفسه فيها قصرين . وزارها بعد ذلك بأمد قصير ضابط پروسى وكتب عن أحوالها فذلكة هامة (*Reise in Serbien Otto v. Pirch im Spaetherbst* 1829 ، برلين سنة ١٨٣٠ ، جـ ١ ، ص١١٩ — ١٧١) . وزاد عدد سكانها فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ولكن مظهر المدينة لم يتغير (F. Kanitz: *Serbien* ، ليپسك سنة ١٨٦٨ ، ص ١٣) .

وفى بداية القرن العشرين أصبحت پساروڤتز من أهم المدن الصربية . واحتلها الألمان فى الحرب الكبرى عام ١٩١٥م ، كما احتلها البلغار فى أكتوبر عام ١٩١٦ . ولكن الصرب احتلوها ثانية فى خريف عام ١٩١٨ ؛ وهى تابعة ليوغوسلاڤيا منذ ذلك الحين .

المصادر :

راجع إلى جانب المراجع المذكورة فى صلب المادة : (١) V. Bianchi [السفير البندقى فى مفاوضات الصلح] ، *Istorica relazione della pace di Posarovîz* ، پادوا سنة ١٩١٩ م (٢) عبد الرحمن شرف : تاريخ دولت عثمانيه ، جـ٢ ، ١٣١٢ هـ = ١٨٩٤ م ، ص ١٤٠ — ١٤٧ (٣) G. Noradounghian : *Recueil d'actes internationaux de l'empire ottoman* . المجلد الأول ، باريس سنة ١٨٩٧ م ص٦١ — ٦٢ ، رقم ٣٠٨—٣٠٩ ، ص٢٠٨—٢١٦ وبها النص اللاتينى لمعاهدة الصلح مع النمسا ، ص ٢١٦—٢٢٠ وبها الملخص الفرنسى لها (٤) Drag. M.Pavlovich : *Pozarevacki mir* ، سنة ١٧١٨ فى *Letopis matice srpske* ، نوڤى ساد سنة ١٩٠١ م ، الجزء ٢٠٧ ، ص ٢٦ — ٤٧ : ص ٢٠٨ ، ص٤٥—٨٠ وبه دراسة تاريخية قيمة لمعاهدة پساروڤتز (٥) V.Popovich : *Narodna enciklopedija* ،

المجلد الثالث ، زغرب سنة ١٩٢٨ ، ص ٤٢٨ (٦) *Almanah* *kraljevine Jugoslavije* ، زغرب سنة ١٩٣٠ م ، ج ١ ، ص ٥٦١ (٧) *Pozarevac* : M.A.Purkovich ، پساروقتز سنة ١٩٣٤ م وبه المحاولة الأولى لدراسة تخطيط المدنة وتاريخها .

[فهيم بجراكترقچ Fehim Bajraktarevich]

+ « البَسط » : مصطلح عربى عند الصوفية يفسر بانه حال توافق مقام الرجاء ، والبسط ضد القبض (انظر هذه المادة) ، ويستشهد فى ذلك عامة بالسند القرآنى الذى ذكر هذين المصطلحين : « من ذا الذى يُقْرِض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة والله يقبض ويبسط » (سورة البقرة ، الآية ٢٤٥) .

ولما كان البسط حالا ، فإنه لا يحمل أية صلة بالأعمال العقلية والروحية الشخصية ، ولكنه إحساس بالرضا والسمو يفيئه الله على الصوفى ، ولذلك عدّه كثير من الصوفية أدنى مرتبة من « القبض » ، على أساس أن أى شعور غير الوحشة لا يليق حتى يصل العبد إلى الله ويفنى فيه ، ويشهد بذلك قول الجنيد : « الخوف من الله يقبضنى ، والرجاء منه يبسطنى ، والحقيقة تجمعنى ، والحق يفرقنى ، إذا قبضنى بالخوف أفنانى عنى ، وإذا بسطنى بالرجاء ردّنى علىّ ، وإذا جمعنى بالحقيقة أحضرنى ، وإذا فرقنى بالحق أشهدنى غيرى فغطانى عنه ، فهو تعالى فى ذلك كله محركى غير ممسكى ، وموحشى غير مؤنسى ، فأنا بحضورى أذوق طعم وجودى ، فليته أفنانى عنى فمتعنى ، أو غيبنى عنى فروحنى » (القشيرى : الرسالة ، ص ٤٣) . ويلخص البيتان الآتيان لابن الفارض (التائية الكبرى ، ج ٢ ، ص ٦٤٦ — ٦٤٧) نظرية الصوفية خير تمثيل :

وفى رحموت البسط كلى رغبة
بها انبسطت آمال أهل بسيطتى

وفى رهبوت القبض كلى هيبة
ففيما أجلت العين منى أجلت

(ترجمة نيكلسون فى *Studies in Islamic Mysticism* ص ٢٥٦) . وقد قال الهجويرى (ترجمة نيكلسون ، ص ٣٧٤) : « القبض هو قبض القلب فى حالة الستر ، والبسط هو بسط القلب فى حالة التجلى » . وحالة البسط تشبه فيما يظهر — تلك الحالة التى صاح فيها پاسكال قائلا : « العالم لم يعرفك ، ولكنى عرفتك . الفرح ! الفرح ! الفرح ! دموع الفرح ! » .

[خورشيد [اربرى A.J. Arberry]

« بِسْطام » ، ويقال أيضاً « بَسْطام » وتنطق الآن بسطام بصفة عامة : بلدة من أعمال خراسان الفارسية على منحدرات جبال أَلْبُرْز ، وفى أقصى الشمال من الصحراء العظيمة ، وهى على خط طول ٥٥° شرقى گرينويتش ، وخط عرض ٣٦° ٣٠َ شمالا . وكانت أهم مدن قومس فى الخلافة بعد دامغان (حاضرة الإقليم) . ويلوح أن مؤسس هذه المدينة هو بِسْطام خال كسرى الثانى

برويز الساسانى ؛ ولى خراسان وقومس وجرجان وطبرستان عقب هزيمة المتمرد بهرام جوبين ، ثم خلع على نفسه صفة الملك وحكم ما يقرب من ستة أعوام (٥٩٠ — ٥٩٥) إلى أن هُزم هو الآخر .

ونُسبت هذه المدينة المنشأة حديثاً إلى بسطام « واسم بسطام هو « وستهمَ » فى اللغة الفارسية الوسطى و« بِستَهْم » فى الفارسية الحديثة (انظر فيا يختص ببسطام هذه : Noeldeke : *Gesch. der Araber und Perser zur Zeit der Sasaniden* ، ليدن سنة ١٨٧٩م » ص ٩٦ « ص ٤٧٨—٤٨٧ ؛ Gutschmid » A. فى *Zeitschr. d. Deutsch. Morgenl Gesellschaft* ج ٣٤ » ص ٧٤٨ ؛ Marquart : *Erânshahr = Abhandl. d. Goetting. Ges. d. Wiss* ج ٣ ، رقم ٢ ، سنة ١٩٠١ م ، ص ٧١) .

وبسطام فى واد تحيط به التلال ، يجرى فيه نهر ينبع من جبال ألبرز ويجلب الماء الوفير الذى يروى الأراضى المحيطة بما فيها من الحدائق العديدة . وقد اشتهر هذا الموضع فى القرون الوسطى بالتفاح الجيد الذى كان يحمل بكثرة إلى العراق ، ويعرف بالبسطامى كما يقول ياقوت . ويقول هذا المؤلف أيضاً إن بسطام مدينة كبيرة ذات أسواق « وإن على تل بإزائها قصراً مفرط السعة يقال إنه من بناء سابور ذى الأكتاف ، وإنه رأى بها قبر الصوفى المشهور أبى يزيد البسطامى (انظر مادة « أبو يزيد ») ويرجع تاريخ المسجد الحالى وفيه ضريح هذا الولى ، إلى بداية القرن الثامن عشر (انظر فيا يختص بهذا الضريح Houtum-Schindler فى مجلة الجمعية الأسيوية الملكية سنة ١٩٠٩ م ؛ ص ١٦١ — ١٦٢ ، وهناك صورة له وضعها Sarre فى *Zeitschr. der. Ges. foer. Erdk.* ، سنة ١٩٠٢ ، ص ١١٠) .

ويوجد بمدينة بسطام قبور أولياء آخرين وعدة مساجد . ويحيط بها سور عليه كثير من الأبراج المستديرة . ويقدر عدد سكانها الآن بـ ٧,٠٠٠ نسمة . وكان لها فى القرون الوسطى شأن كبير لأنها كانت محط التجارة التى تجلبها القوافل من شمالى فارس ، ولكنها فقدت منزلتها بعد عدة قرون وحلت محلها شاه رود ، وهى على مسيرة ساعتين من بسطام إلى الجنوب الغربى عند ملتقى الطرق الهامة الذاهبة إلى طهران ومشهد وأستراباذ . ولم يذكر جغرافيو العرب فى القرون الوسطى مدينة شاه رود إطلاقاً . وهى التى ازدهرت على حساب بسطام لتغير طرق التجارة . ويبلغ عدد سكانها الآن حوالى ٨,٠٠٠ نسمة .

المصادر :

(١) المكتبة الجغرافية العربية ، طبعة ده غويه ، مادة بسطام . (٢) ياقوت : المعجم ، طبعة فستنفلد ، ص ٦٢٣ ، وترجمة فستنفلد فى *Zeitschr. d. Deutsch. Morgenl. Ges.* ج ١٨ » ص ٤٧١ وما بعدها . (٣) ابن بطوطة ، طبعة باريس ، ج ٣ » ص ٨٢ . (٤) Le Strange : « *The Lands of the Eastern Caliphate* » سنة

١٩٠٥ م ، ص ٣٦٥ وما بعدها ؛ (٥) Ritter :
Erdkunde ، ج ٨ ، ص ٣٣٩ — ٣٤١ . (٦)
A. D. Mordtmann في Sitz. Ber. d. bayr.
Akad. d. Wiss ، سنة ١٨٦٩ ، ص ٥١٦—٥٢٠ ، وهو يصف رحلات فريزر Fraser وفرييه Ferrier من سنة ١٨٢٢ إلى سنة ١٨٤٥ ،
(٧) Prellberg : *Persien,* [redacted] *hist. Landschaft* ليبسك سنة ١٨٩١ م ، ص ٢٤ .

[شترك M. Streck]

+« بسطام بن قيس » بن مسعود بن قيس ، أبو الصهباء أو أبوريق (ويقول ابن الكلبي في الجمهرة ، ص٢٠٣ : إنه كان يلقب «المُشْتَمَر») : بطل وشاعر جاهلي ، وسيد من بني شيبان ، وكانت أسرته من الأسر الثلاث التي تعد أشهر وأشرف الأسر البدوية (الأغاني ، ج ١٧ ، ص ١٠٥) ، وعرف أبوه (المُحَبَّر ، ص ٢٥٣) بأنه من « ذوي الآكال » (ينعم بهبات من الحكام الأجانب) . وقد أقطعه الملوك الساسانيون الأُبُلَّة والتخوم المجاورة لها (طَفَّ صفوان) نظير تعهده بأن يمنع غارات السلب التي يشنها بنو قبيله . ولم يستطع بسطام أن يفي بما تعهد به حيال معارضة قبيلته ، وارتيب في أنه يتآمر مع زعماء العرب على الحكم الفارسي فسجن ومات في محبسه الفارسي (الأغاني ، ج ٢٠ ، ص ١٤٠) .

ومن الوقائع ذات المغزى أن بسطاما لم يثأر لمقتل أبيه ، بل حدث عكس ذلك إذ استطاعت السياسة الفارسية — على الرغم من انتصار العرب في ذي قار — أن تكسب تعاون بسطام مع الفرس ، وتدل رواية موثوق بها إلى حد لا بأس به (النقائض ، ص ٥٨٠) على أن الجنود الشيبانية قد جهزها عامل فارس على عين التمر .

ولد بسطام في الربع الأخير من القرن السادس الميلادي (Noeldeke في *Der Islam* ، ج ١٤ ، ص ١٢٥) وقد أصبح زعيما لقبيلته وهو في العشرين (ابن الكلبي : الموضع المذكور) واستطاع أن يوحّد صفوف قبيلته ، وعرف بأنه واحد من « الجرّارين » (المحبّر ، ص ٢٥٠) ؛ وقد تخلى بسطام عن فكرة مقاتلة الفرس ووجه كل همه إلى مناهضة جيرانه بني تميم .

وقد وقعت أول غارة له على بني يربوع في؟ قول البلاذري عند الأعشاس (الأنساب ، ج ١٠ ، ص ٩٩٨ ب) ؛ وهزم الجنود الشيبانية ، وأسر بسطام نفسه ثم أطلق سراحه بلا فدية ؛ والراجح أن غارته الثانية عند قَشاوَة (الأنساب ، ج ١٠ ، ص ١٠٠٣ ب) . وهنا ذكر في عبارة صريحة أن بسطاماً كان يقود الجنود المهاجمين ، على أن الغارة نفسها كانت تافهة الشأن وانتهت بالاستيلاء على إبل عشيرة من عشائر بني سليط . وإلى هذه الفترة المتقدمة نفسها يرجع — فيما يظهر — القتال مع الأقرع ابن حابس عند سَلْمان ، وفيه أسر الأقرع ، وثمة غارة أخطر هي غارة غبيط المَدَرَة (وتعرف بيوم بطن فَلْج) . وقد هاجم جند بسطام حلفاً قبلياً من الثعالب وهزموه ، ولكن لما بدأ المهاجمون

يغيرون على بنى مالك بن حنظلة لقوا مقاومة وأجبرتهم جنود بسطام على الفرار مستعينين بمقاتلة بنى يربوع. وأسر عُتَيْبَةُ بن الحارث بسطاماً، فاضطر بسطام إلى دفع فدية كبيرة وأن يعد بألا يعود إلى مهاجمة عشيرة عتيبة مرة أخرى (الأنساب ص ٩٩٨ ا، ٩٨٨ ا، ٩٩٥ ب، ٩٩٦ ا).

وحنث بسطام بعهده وهاجم بعد مدة قصيرة خيام ابن عتيبة عند ذى قار (الأنساب، ص ٩٩٥ ب، ٩٩٨ ا) ونجح فى الاستيلاء على الإبل (وتعرف هذه الغارة أيضاً بيوم فَيْحان). ولم يقنع بسطام بهذه الغارة، فأعد العدة لغارة أخرى على بنى تميم ليأسر عتيبة، ولكنه هزم فى هذا اليوم عندالصَمْد (أو «ذو طلوح») ولم يستطع أن ينجو بحياته إلا بشق الأنفس (الأنساب، ص ٩٩٨ ا).

وقد حدثت واقعة أخرى عند الأقاقة (تعرف بوقعة الغبيطَين أو العُظالى) أعدها وعاونه فيها عامل فارس فى عين التمر، وقد انتهت بهزيمة المهاجمين وفرار بسطام (الأنساب، ص ١٠٠٤ب) وخاض بسطام غمار معركته الأخيرة فى الحسن(نقا). وقد قتله رجل ضبّى ملتاث العقل هو عاصم بن خليفة، ويقال إن عاصما قد فاخر بفعله بن حاشية عثمان. ويمكن أن نحدد تاريخ وفاته بالقول بأنها حدثت حوالى سنة ٦١٥ م.

ولا نعلم إلا النزر اليسير عن ذرية بسطام؛ وقد كانت حفيدته الكبرى حَدْراء، ابنة ابنه زيق على وشك الزواج من الفرزدق، ولكنها ماتت قبل أن يحل أجل الزواج.

ويقال إن بسطاماً كان نصرانياً، وكان سيد قبيلته. فلما بلغ قبيلته نبأ مقتله حلوا خيامهم تعبيراً عن حزنهم. ونظمت مراثٍ كثيرة فى وفاته. ومجد شخصه مثالا لإقدام البدوى وبسالته. على أن مجده تبدد أيام الجاحظ فى ذلك المجتمع الحضرى الخليط بمدائن العراق، وراح العامة يؤثرون الاستماع إلى قصة عنترة (البيان، جـ ١، ص ٣٤) التى أصبحت أقرب إلى نزعاتهم الاجتماعية فى المساواة (انظر مادة «عنترة»).

المصادر:

(١) المصادر التى استشهد بها E. Braueunlich: *Bistam b. Kays*، ليپسك سنة ١٩٢٣ والمصادر التى استشهد بها نولدكه أيضاً فى استعراضه كتاب براونليخ فى *Isl.*، جـ ١٤، ص ١٢٣. (٢) ابن الكلبى: جمهرة النسب، مخطوط فى المتحف البريطانى رقم ٢٣٢٩٧ فى الإضافات (أخبر به م.ب حبيب)، ص ٢٠٣. (٣) البلاذرى: الأنساب، جـ ١٠، ص ٩٨٨ ا، ٩٩٥ ب، ٩٩٨ ا، ١٠٠٣ ب، ١٠٠٤ ب. (٤) الجاحظ: البيان، طبعة السندوبى، الفهرس. (٥) م. ب. ربيب: المُحَبَّر، طبعة Lichtenstadter، الفهرس. (٦) السويدى: السبائك، بغداد سنة ١٢٨٠ هـ، ص ١٠٣، ١١٢، ١١٣. (٧) الآمدى: المؤتلف، ص ٦٤، ١٤١. (٨) المرزبانى: معجم الشعراء، طبعة Krenkow، ص ٣٠٠، ٣٢٤، ٤٠٠. (٩) ابن حزم: الجمهرة، طبعة ليڤى پروڤنسال، ص ٣٠٦.

(١٠) جواد على : تأريخ ، بغداد سنة ١٩٥٥ ، ص ٣٦٢ — ٣٦٣ ، ٣٧٠ . (١١) R.Blachère : A Propos ■ trois Poètes Arabes d'époque Archaïque فى Arabica ، جـ ٤ ، ص ٢٣١ — ٢٤٩ . (١٢) W. Caskel : Aijam al-'Arab فى Islamica ، جـ ٣ ، ص ١ — ١٠٠ . (١٣) محمد بن زياد العربى : أسماء الخلف ، طبعة ليڤى دلا ڤيدا ، ص ٦٠ ، ٨٩ . (١٤) أبو البقاء هبة الله : المناقب (مخطوط بالمتحف البريطانى ، رقم ٢٣٢٩٦) ص ١٣٦ أ ، ٣٨ ب ، ٤٢ أ ، ٤٤ أ ، ١١١ ب ؛ (١٥) الجاحظ : الحيوان ، طبعة عبد السلام هارون ، جـ ١ ، ص ٣٣٠ ؛ جـ ٢ ، ص ١٠٤ ؛

خورشيد [كستر M.J. Kister]

+ « البسطامى » ، أبو يزيد : (انظر مادة « ابو يزيد ») .

+ « البسطامى » ، بايزيد : (انظر مادة « أبو يزيد »)

+ « البسطامى » ، عبد الرحمن بن محمد بن على بن احمد الحنفى الحروفى : ولد فى أنطاكية ، وشهد — فيما يبدو — نهب حلب على يد تيمور سنة ٨٠٣ هـ (١٤٠٠ م) ؛ ودرس البسطامى فى القاهرة ثم شخص إلى بروسة التى كانت آنئذ قصبة العثمانيين ومقر السلطان ، وفيها نال حظوة السلطان مراد الثانى الذى كان يرعى العلم وأهدى له عدة كتب من كتبه ، وتوفى فى بروسة سنة ٨٥٨ هـ (١٤٥٤ م) ؛

وكان البسطامى صوفياً ينتمى — كما يدل لقبه — إلى طريقة الحروفية (انظر هذه المادة) للدراويش ، وكانت هذه الطريقة تجعل لحروف الأبجدية وتراكيبها مدلولا خفياً (انظر كتابه « كشف أسرار الحروف » وكتابه « شمس الآفاق فى علم الحروف » اللذين كتبهما سنة ٨٢٦ هـ = ١٤٢٣ م) . ومن كتبه التى تدخل فى هذا الباب « مفتاح الجفر الجامع » ؛

وقد كتب البسطامى عددا من الكتب الصوفية لعل أشهرها « مناهج التوصل فى مباهج الترسل » ، كما كتب فى التاريخ والجغرافيا ، وأهم كتبه فى هذا الشأن موسوعته « الفوائح المسكية فى الفواتح المكية » ؛

المصادر :

(١) بروكلمان : جـ ٢ ، ص ٣٠٠ ؛ (٢) حاجى خليفه ، طبعة فلوگل ، جـ ٤ ، ص ٤٦٨ ؛ (٣) Journ. of the Roy. As. Society ، سنة ١٨٩٩ ، ص ٩٠٧ ؛

خورشيد [سميث M. Smith]

« البسطامى » علاء الدين على بن محمد الملقب بـ « مصنفك » ومعناها المصنف الصغير لأنه بدأ حياة التأليف فى سن مبكرة ؛

ولد البسطامى سنة ٨٠٣ هـ (١٤٠٠—١٤٠١ م) واستقر فى تركية سنة ٨٤٨ هـ (١٤٤٤ — ١٤٤٥ م) وتوفى بها سنة ٨٧٥ هـ [١٤٧٠ — ١٤٧١ م) ؛ وأصله—نزولا على رغبة السلطان محمد الثانى—فتوى ألغى بها الامتيازات التى منحها الصدر الأعظم لملك البوسنة ، وهو الذى تقدم لتنفيذ حكم الإعدام فى هذا الملك بنفسه ، وفصل رأسه عن جسده بيده .

وقد كتب البسطامى عدة كتب بالعربية والفارسية ، منها شرح على الكشّاف للزمخشرى ؛ وهو من سلالة فخر الدين الرازى .

المصادر :

(١) سعد الدين : تاج التواريخ ، جـ ١ ، ص ٤٩٦ ؛ (٢) J. de Hammer : *Histoire de l'Empire ottoman* ، جـ ٣ ، ص ١٠٤ ، ٣٩١ .

[إيوار C. Huart] .

+ « بَسْطَة » : وبالأسبانية باذه Baza ، وفى الجغرافية القديمة بسى Basti ، وهى الآن قصبة قسم من محافظة غرناطة ، وتقوم إلى الشمال الشرقى من غرناطة على مسيرة ١٢٣ كيلومترا على الطريق . ويصفها الإدريسى فيقول إنها متوسطة الحجم بهية الموقع زاهرة عامرة ؛

وقد كانت بسطة مدينة حصينة لها عدة أسواق ، وبلداً تجارياً يمارس اهل الحرف من أهلها عدة حرف . وكانت أشجار التوت وافرة فيها ومن ثم عظمت فيها صناعة الحرير ، وكانت تقوم هناك « الطروز » تنسج فيها سجاجيد الصلاة [مُصَلّى المعروفة بالبسيطيّة) ؛ وكانت هذه السجاجيد تصنع من ديباج لا نظير له ؛ وكان الكحل المستعمل غسولا للعين يستخرج من رواسب فى الجبل المعروف بجبل الكحل . وكان هذا الجبل يقوم بالقرب من المدينة ؛ وكان فى بسطة أيام الخلافة الأموية طائفة من المستعربين لها أسقفية تابعة لطليطلة ؛ ويذكر كتاب البيان فى قسمه الأخير ، وهو تحت الطبع الآن ، أسماء عدد من ولاة المدينة الموحدين ؛ وفى سنة ٦٣٥ هـ (١٢٣٧ م) انضوت بسطة تحت حكم محمد بن يوسف أحمد مؤسس الدولة النصرية [انظر مادة « نصر ، بنو ») .

المصادر :

(١) الإدريسى : المتن ، ص ٢٠٢ ؛ الترجمة ص ٢٤٧ . (٢) ياقوت ، جـ ١ ، ص ٦٢٤ ؛ (٣) القزوينى : عجائب المخلوقات ، جـ ٢ ، ص ٣٤٤ نقلا عن العذرى (٤) Lévi-Provençal : *La peninsule iberique* ، ص ٥٦—٥٧ ؛

[خورثيد [ميراندا A. Huici-Miranda

« بِسْكَرَة » : واحة ومدينة جنوبى بلاد الجزائر بإقليم قَسَنْطِينَة ، وهى على خط طول ٥° ٤٢َ شرقى گرينويتش ، وخط عرض ٣٩° ٢٧َ شمالا ؛ وتقوم على سفح جبل أوراس ، وترتفع ٤٢٨ قدماً عن سطح البحر . وهى أهم واحة من واحات زيبان ، جمع « زاب » (انظر هذه المادة) ؛ والواحة تمتد ثلاثة أميال على طول وادى بسكرة ،

ومساحتها ٢٠٠ر٣ فدان ، وبها ٠٠٠ر١٥٠ نخلة . ويتوزع سكانها الأصليون على قريتى مَصيد ودار الحرب فى الشرق ، ورأس القرية وسيدى بركات ومجنّيش وقدّاشة فى الغرب . وكانت بسكرة القديمة تتألف من كل هذه القرى ؛ وأحراج النخيل الصغيرة فى بنى مُرّة غرباً وكورة جنوبا والعالية وفِلْياش فى الجنوب الشرقى ، عبارة عن أجزاء من الواحة الأصلية .

وقد شيدت مدينة بسكرة الحديثة أعلى الواحة حول الحصن الذى أقامه الفرنسيون بعد احتلالهم هذه البلاد ؛ وأصبحت المدينة مشتى له بعض الشأن بعد أن وصلها بقسنطينة خط حديدى طوله ١٨٠ ميلا ؛ وهى قصبة ناحية تتمتع بلون من الاستقلال الذاتى . وعدد سكانها وفقاً لتعداد عام ١٩٠٦ : ٧٣٥٧ نسمة منهم ٦٦١ أوروبيون . وتلحق بها منطقة تقُّورت الحربية . ومساحتها ٤٥٠ ميلا مربعاً ، وعدد سكانها ٤٣٦ر٦٣ منهم ستون أوروبياً فقط .

ويظهر أن بسكرة تشغل مكان المدينة الرومانية القديمة « وسكرة » Vescera ، وكانت إحدى المراكز الحربية المخصصة لحماية الزاب . وورد اسم بسكرة لأول مرة فى المصنفات العربية عند الكلام على إخماد الفتنة التى قام بها أهل زيبان عام ٨٦٥ م فى وجه الأمير أبى عبد الله محمد الأغلبى الملقب بأبى الغرانيق . وقد سلمت المدينة دون مقاومة للقائد أبى خفاجة الذى أنفذ للقضاء على هذه الفتنة . وكان يحكم بسكرة أيام بنى حماد مجلس من وجوهها ، أقواهم بنو رُمّان ؛ وهم من أهل بسكرة ، ويرجع نفوذهم إلى كثرة عددهم وامتلاكهم معظم الأراضى المجاورة (ابن خلدون: العبر ، ترجمة ده سلان ، ج ٣ ، ص ١٢٥) وقد حاول جعفر ، وهو من بنى رُمّان ، أن يستقل بالأمر فيها ، فحرض أهل بسكرة على الثورة فى وجه بُلُكّين بن محمد ، غير أن هذه الثورة أقمعت بقسوة ، وفتحت بسكرة عنوة ، وسجن جعفر والمتآمرون معه فى قلعة بنى حماد حيث قتل ؛ وانتقل الأمر فى المدينة إلى بنى سندى الذين أفلحوا فى صد العرب الهلالية ، وظلوا فى الوقت نفسه موالين لبنى حماد إلى أن قضى الموحدون على هذه الدولة .

ووصلت بسكرة وقتذاك إلى أوج رخائها ، ويصفها البكرى فى كتاب المسالك بأنها بلدة كبيرة حسنة (ترجمة ده سلان ، ص ١٢٩ وما بعدها) وبها مسجد جامع وعدة زوايا وحمامات ، ويحيط بها سور وخندق ووراءه ضياع واسعة . وأهل بسكرة ، وجلهم من المالكية ، مولّدون نشأوا من اختلاط البربر بسلالة الرومان ، على حين يقطن حول المدينة بربر من قبائل سِدْراتة ومَغْراوة وغيرهما . وكان الناس هناك يعظمون السعى فى طلب العلم ؛ وختم البكرى كلامه عنها بامتداح خصوبة تربتها وحسن نخيلها وجودة بلحها ، وكانت تحفظ أنواع منه أيام الفاطميين لمأكل الخليفة خاصة .

وسقطت دولة بنى حماد ، فانتقلت بسكرة إلى الموحدين ، إذ نجح يحيى بن غانية فى الاستيلاء عليها سنة ٥٩٨ هـ (١٢٠١ م) ؛ كما استعادها بعد ذلك بثلاث وعشرين سنة ، أى سنة ٦٢١ هـ (١٢٢٤ م) ولكنه أخلاها عند اقتراب جيش الموحدين الذى غزاها ، وأعمل النهب فيها .

وتفككت دولة الموحدين ، فوقعت بسكرة فى قبضة بنى حفص بتونس ؛ والحق إن حكام المدينة الحقيقيين فى القرنين السابع والثامن الهجريين (الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين) هم المزنيون ، شيوخ أسرة عربية من قبيلة لطيف قدموا إلى الزاب فى غزوة الهلالية ، واستقروا أول الأمر حول بسكرة ثم دخلوا المدينة نفسها عقب ذلك ، وشقوا طريقهم إلى مجلس وجوهها ، ونافسوا بالملك بنى رُمّان ؛ وانتهز هؤلاء المزنيون ما وقع من نضال بين أمراء بنى حفص ، للقضاء على منافسيهم . فانحاز فضل المزنى إلى الأمير أبى إسحاق الذى انتقض على أخيه الخليفة المستنصر ، وفتح أبواب بسكرة له . ولكنه أجبر على الفرار فتبع أبا إسحاق إلى الأندلس ، وكان هذا الأمير قد فر إليها عقب انهزامه . فلما توفى المستنصر خلفه أبو إسحاق على حكم تونس فكافأ صاحبه المزنى على إخلاصه له بولاية الزاب . وأهاج هذا الانتصار خصومه من بنى رمّان ، فعمدوا إلى قتله سنة ٦٨٣ هـ (١٢٨٤ م) . وألقى بابنه منصور فى السجن ، وكان وقتذاك فى تونس ، وظل فى محبسه سبع سنين . ونصب أبو زكريا نفسه على قسنطينة وبجاية ، ثم قام بفتنة غيرت من أقدار المزنيين فولى منصور ، وكان يحاول الفرار من سجنه ، حكم الزاب ، وبذلك أخضعه ثانية لسلطان بجاية ، وطرد بنى رُمّان من بسكرة ، وأخضع المرابطة الذين قاموا بفتنة فى السودان بتحريض الشريف سعادة ، وأضحى الحاكم الفعلى ، لا على الزاب فحسب ، بل على حضنة وأوراس ووارقلى أيضاً ، إلا أنه تنازع مع أبى البقاء سلطان بجاية ، وهب لقتاله فحاصر قسنطينة ، ولكنه اصطلح معه بعد ذلك ، وسرعان ما تنازع مع بنى حفص ، وظل يقاتلهم إلى أن بلغته الوفاة سنة ٧٢٥ هـ (١٣٢٥ م) ؛ وخلفه ابنه عبدالواحد ، فقتله أخوه يوسف الذى أخضع فتنة جديدة قام بها المرابطة . وأفلح فى رد جيش حفصى إلى وادى أريغ وهو الجيش الذى أنفذ تعزيزاً لحكم سلطان تونس على الزاب .

وكان يوسف معادياً لبنى حفص ، ولذلك فقد أظهر انعطافاً ناحية المرينيين ، ورحب ترحيباً جميلا بأبى الحسن عند قيامه بحملته عليهم سنة ٧٤٨ هـ (١٣٤٧ م) ، كما أمد أبا عنان بعونه فى حصاره لقسنطينة ، غير أنه انحاز ثانية لبنى حفص عندما لحقت الهزيمة المنكرة بالمرينيين ؛ وكان خلفه أحمد رجلا قوياً كسلفه ، وإن كان قد اضطر إلى أن يحسب حساب عداوة شيوخ العرب المستقرين فى زيبان .

ومنذ ذلك الوقت ونحن لا نعلم شيئاً عن تاريخ بسكرة حتى القرن السادس عشر الميلادى ، والراجح

أن تكون الروابط التى تصل بين الزاب ومملكة تونس قد أخذت فى التراخى تدريجياً ، كما يظهر أن بسكرة كانت قد تحررت من نير بنى حفص فى أوائل القرن السادس عشر ؛ وظلت مستقلة حوالى ثلاثين سنة . وفى سنة ١٥٤١ م ظهر الأتراك فى الجنوب ، فاستولى حسن أغا على بسكرة ،وأقام بها حامية وشيد حصناً ؛ ومع ذلك فإن شيخ العرب كان هو الممثل الحقيقى لسلطان الأتراك ،اختير من أسرة بوعكاز ،وهى من أكبر أسر الناحية ، ولكن نفوذ هذه الأسرة أثار شكوك الأتراك إلى حد كبير . فأقام صلاح باى قسنطينة منافساً من بنى قنه للأسرة الأخرى ، بيد أن بسكرة سرعان ما اضمحلت لتعرضها لنهب الأتراك وغارات القبائل العربية . وقد لاحظ محمد بن الحسن الوزان الزياتى فى بداية القرن السادس عشر الميلادى ما عليه سكان بسكرة من فقر (طبعة Schefer المجلد الثالث ، ج ٦ ، ص ٣٥١) ؛

ونستدل مما كتبه الرحالتان العربيان ، العياشى (١٦٦٢ م) ومولاى أحمد (١٧٤٠ م) أن بسكرة احتفظت ببعض أهميتها بفضل رخاء الواحة واتخاذ المدينة محطاً تجارياً ؛ وفى النصف الثانى من القرن الثامن عشر الميلادى هجرت المدينة وتفرق أهلها فى الواحات وأنشأوا قرى لاتزال موجودة حتى الآن . وبقيت بالمدينة إلى وقت الاحتلال الفرنسى منارة من منارتها القديمة غير أنه لايوجد اليوم من المدينة القديمة سوى أطلال لاشكل لها .

وتنازع مُلْكَ بسكرة من سنة ١٨٣٠ حتى سنة ١٨٤٠ م ، فرحاتُ بن سعيد من أسرة بو عكاز كما تنازعه بنو قنة يشد أزرهم أحمد باى قسنطينة ؛ وحاول فرحات من سنة ١٨٣١ حتى سنة ١٨٤٧ م أن يحمل الفرنسيين على التدخل لصالحه ثم صمم على أن يستعين بعبد القادر ، فانتهز هذا الأمير الفرصة ، وعمد إلى تنصيب خليفة على بسكرة هو الحسين ابن عزوز . ولما رأى بنو قنة أن الأسباب تقطعت بأحمد باى سنة ١٨٣٨ م دخلوا فى طاعة الفرنسيين؛

وفى ٢ مارس سنة ١٨٤٠ م أجبروا الخليفة الذى أقامه عبد القادر على الفرار عند سلْسون Salson وتخلصوا من فرحات فى العام الذى تلاه ، ولم تنقطع الفوضى إلا بحكم الفرنسيين . وفى الحادى والعشرين من مارس سنة ١٨٤٤ م احتل الدوق دومال d'Aumale المدينة ، غير أن مذبحة عصفت بالفرقة الصغيرة التى تركها هناك ، فأقام حامية ثانية بها فى ١٢ مايو من العام نفسه ، وشيد حصناً ؛ وبذلك أصبحت بسكرة قصبة مركز يحكمه ضابط عظيم نيطت به شئون الحكم ، يعاونه زعماء من أبناء البلاد حتى أضحت المدينـــة قاعدة الأعمال العسكرية فى جنوب قسنطينة.

[G. Yver إيفر]

+ وظل بنو قنة محتفظين بمكانتهم بوصفهم أقوى الأسر نفوذاً، وشغلوا معظم المناصب الرئيسية فى الإقليم . وتصالح هؤلاء مع أسرة بنى بوعكاز أخيراً (سنة ١٩٣٨) وصاروا الآن حلفاءهم .

وأصبحت بسكرة مركزاً زاهراً وقصبة ناحية ، ثم ملحقة بمنطقة طقورت العسكرية ، ومركزا لناحية مختلطة وناحية أعطيت سلطات مطلقة . وقد غدت بسكرة وشيكا مركزاً فى مديرية بثنة (سنة ١٩٥٦) ؛ وهى الحاضرة الاقتصادية لزيبان .

خورشيد [دسبوا J. Despois]

+ « بسكسك آبازه » (أو « شكسك آبازه ») : الاسم الرومى لشعب مسلم ينتسب إلى فرع الجركس الأباسكو (أديغه) من المجموعة القوقازية الإيبيرية ، وهم قريبون من القابَرْدِيَّة من حيث السلالة ، ومنذ القرون الوسطى المتقدمة انقسم الشعب الآبازى إلى جماعتين كبيرتين تتكلمان لهجات مختلفة : الجماعة الشمالية — أى جماعة الطاپانطة — وهى من ست قبائل ؛ والجماعة الجنوبية ، أى جماعة الشقاروه ، وهى أيضاً من ست قبائل . وقد أحصى الآبازية فى تعداد سنة ١٩٢٦ فوجد أنهم يبلغون ١٣,٨٢٥ آبازياً ، ولكن لاڤروف Lavrov يذهب إلى أن الرقم الصحيح يجب أن يكون أكثر من ذلك بكثير ، وربما وصل إلى ٢٠,٠٠٠ نفس فى الوقت الحاضر . ويعيش أغلب الآبازية (١٠,٩٩٣ من ١٣,٨٢٥ سنة ١٩٢٦) فى الإقليم الچركسى المستقل استقلالا ذاتياً ، وفى الواديين الأعليين لنهرى زلنچوك الأكبر والأصغر ، ووادى نهر قوبان ووادى نهر كاما . وهنا تقوم ثلاث عشرة قرية ، كما تقوم قريتان آبازيتان أخريان بالقرب من كسلوڤودسك فى « كراى » ستاڤروپول ، وكذلك تعيش جماعات قليلة من الآبازه فى وديان بلاد الچركس ونوغان فى إقليم أديغه المستقل استقلالا ذاتياً .

وقد انحدر الآبازية من القبائل المتعددة اللغات التى عاشت فى مستهل التاريخ الميلادى على سواحل البحر الأسود ، شمالى غرب أبخازيا الحالية ، وانصهرت عبر القرون لتخرج منها الوحدة القومية الأبخازية .

وقد هجر معظم الآبازية فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر موطنهم الأصلى فى الإقليم الساحلى (بين توايسه وبزيب) وعبروا جبال القوقاز وأجلوا القابردية عن ديارهم واستقروا فى المنطقة التى يعيشون فيها اليوم ؛ وكتب عليهم من ذلك الوقت أن يواجهوا عداوة الچركس ، وبعد تاريخهم عهد انحلال بطئ ولكنه مطرد . وفى نهاية القرن السادس عشر قبلت القبائل الآبازية - التى كانت تسيطر على هذا الإقليم من قبل - حكمَ الأمراء القابرديين والبسلنين مرغمة . وفى هذا الوقت أيضاً أى فى عهد السلطان مراد الثالث ، بسط الأتراك حمايتهم على بلاد القوقاز الشرقية ، ولكنهم تنحوا بحكم - معاهدة بلغراد — عن قابردا واعترف بها إقليما مستقلا ، وهنالك أصبح الحد التركى يسير بمحاذاة قوبان ، وأصبح الطاپانطه — الذين كانوا يعيشون حياة متبدية على ضفتى هذا النهر — مستقلين ؛ واحتل الروس قابردا بعد معاهدة كوچوك قينار جه (سنة ١٧٧٤) ، وفى سنة ١٨٠٢ غدا الجزء الأكبر من أرض الآبازيه منضما إلى أراضى النوغاى فى

« بريتاڤستڤو » خاص تحكمه السلطات الروسية مباشرة . وأصبح ولاء الآبازية مقسما أثناء الحرب القوقازية ، فتحالف الطاپانطه مع الروس وانتصر الشقاروة لقضية المريدية . ولما وقعت الغزوة الروسية التى قامت بين سنتى ١٨٥٨ و ١٨٦٤ ، هاجر معظم الشقاروة (قبائل الطام والقيزيل بك، والبا گث والچگراى والمسلباى) إلى تركية ، وقد أعلن رسمياً أن ٣٠,٠٠٠ ألفا منهم قد هاجروا ، ولكن هذا التقدير يبدو أقل كثيراً من الواقع . ولم يبق فى الإقليم بعد الحروب القوقازية إلا ٩,٩٢١ آبازيا

(E. Felitsin ■ *Chislovie dannie* ■ *gorskom i* ■ *prochem musulmanskom naselenii Rubanskoi oblasti* فى *Kavkaze* ■ *Sbornik Svedenii* ، تفليس سنة ١٨٨٥ ، ج ٩ ، ص ٨٧—٩٤) .

وقد بدأ اعتناق الآبازية الإسلام—بعدأن كانوا من القائلين بحيوية المادة أو من المسيحيين — عقب هجرتهم تجاه شمال القوقاز ، وهنالك احتكوا بتتر القرم وبالنوغاى، واصطنعوا عادات هؤلاء وتأرخهم (دورة حيوانية من اثنتى عشرة سنة) متمذهبين بمذهب أهل السنة الأحناف . وكان تحولهم إلى الإسلام بطيئاً ، فقد ظل معظم القبائل النازلة جنوبى نهر قوبان بعد يدين بمذهب حيوية المادة أو المسيحية حتى نهاية القرن السابع عشر (حسين هزارفن فيما رواه عنه V.D. Smirnov : *Krimskoe Khanstvo pod verkhovenstvom Ottomanskoi Porli do nchala XVIII veka* ■ سانت بطرسبرغ سنة ١٨٨٧ ، ص ٣٤٧) .

ويؤكد أوليا چلبى أن البيردعه الذين هم من قبائل المازا — لم يكونوا مسلمين . أما معظم الطاپانطه فكانوا قد اعتنقوا الإسلام مع القرن الثامن عشر ، لكن الشقاروة كانوا قد ظلوا على نصرانيتهم عندما زارهم بالاّس P.S.Pallas ، وإنما اقتصر الإسلام على أشرافهم (*Bernerkungen auf einer Reise an die Suedlichen Stattthalterschaften des Russischen Reichs in den Jahren* 1793 *und* 1794 ، ليبسك سنة ١٧٩٩ ، ص ٣٦٥) . ويذكر راينگس J.Reineggs: *Allegemeine historisch-topographische Beshreibung des Kaukasus* ، سانت بطرسبرغ سنة ١٧٩٦ ، ص ٢٧٣) أن قبائل الطام والچگراى والباركائى من جماعة الشقاروة كانوا « أعداء للإسلام » . وفى سنة ١٨٠٧ وجد كلاپروث (J. Klaproth : *Reise in den Kaukasus und nach Georgen* ، ج ١ ، هال — برلين ، سنة ١٨١٢ ، ص٤٥٩) أن الطام كانوا قد أسلموا ولكنهم كانوا «يأكلون لحم الخنزير» . وأيد هذه الواقعة كاتب المقال المجهول الذى عنوانه «*Gorskie plemena zhivushchie za Kuban'yu*» فى مجلة *Kavkaz* . العدد ٩٤ : سنة ١٨٥٠ ■ فقد وصف الطام بأنهم « مسلمون على حظ كبير من الفتور » ، ووصف الچگراى فقال : « ليس لهم رصيد كبير من الشعائر الإسلامية فيما عدا بعض نبلائهم » ، وقال عن البا گث ، وهم قبيلة من الجماعة نفسها : « ليس لهم عقائد واضحة محددة » ■ أما الباراكائى فقال إن بعضهم تحول إلى الإسلام . ومن هذا يبدو أن تحول الشقاروة النهائى إلى الإسلام يرجع إلى منتصف القرن التاسع عشر فحسب ،

فقد تأثروا بالدعوة الحماسية التي بثها فيهم الداعي محمد أمين « نائب » شامل (انظر هذه المادة) في أرض القوقاز .

وقد احتفظ المجتمع الآبازي حتى بداية القرن العشرين بتكوينه الإقطاعي الشديد التعقيد الذي كان مشابهاً لتكوين الچركس . فقد كان في أسفل السلم الاجتماعي الأرقاء « أونثي » (أناوت عند الچركس) ، ثم أرقاء الأرض « ليكث » (كركعفا عند الشقاروة) ، ثم أرقاء الأرض المعتقين (أزات ليكث) الذين كانت عليهم بعض المهام يؤدونها ولكنهم لم يكونوا بحال في حل من أن يغيروا سيدهم أو يغيروا من انتمائهم إلى « الأونثي » أو « الليكث » :

ويوجد فوق هاتين الطبقتين الطبقة التي هي أكثر الطبقات عددا . وهم الفلاحون الأحرار « أققي » (أو « تلثفكشو) . ويأتي بعد هؤلاء الأشراف « وهم قسمان: « الأشراف الصغار » (أمستا) وهم قوام حاشية الأمراء ؛ و « الأشراف الكبار » (أمستادى ؛ وعند الشقاروه : تواد) الذين تمكن أن تكون لهم حاشية خاصة بهم . وفي قمة هذا السلم « الأمراء » وهم زعماء العشائر « أخا » وأقيال الأمراء البسكنائية والقابردية . وهم لايتخذون مكانهم بين طبقة الأمراء الچركس (پشه) بل بين الطبقة الدنيا وهي « تلكوتش » . والأولاد الذين يولدون للأخا من نسوة من طبقة أدنى يصبحون من طبقة خاصة هي « التوما » .

وظل الآبازية محتفظون ببعض عاداتهم الأبوية والإقطاعية (تقسيم العشائر ، وعادات الثأر « والكالم » والآتالق ... إلخ) حتى قيام ثورة أكتوبر بل أثناء الأيام الأولى من نظام الحكم السوفيتي :

لغتهم وأدبهم

تنتسب لغة الآبازية إلى القسم الأديغي الأبخازي من مجموعة اللغات القوقازية الإيبيرية . وهذه اللغة وثيقة الصلة بالأبخازية حتى أنها تعد في بعض الأحيان مجرد لهجة من هذا اللسان ، ولكنها تتسم بعدد من السمات القابردية . وثمة لهجتان من الآبازية : الأشكارة في الجنوب ، ولها فرعان : فرع الـ «أپسوا أول» وفرع الـ «استارو ونوڤو – كوڤنسكوى» ؛ والـ « طاپانطة » في الشمال ، وتشمل أيضاً فرعين : الـ « كوبينه – ألأبور كان » والـ «پسير – كراسنو ڤوستو چنوى » . وظلت الآبازية لغة غير مكتوبة حتى ثورة أكتوبر . وفي سنة ١٩٣٢ اصطنعت لها أبجدية رومانية معدّلة ، وأضيفت صفحة في هذه اللغة إلى جريدة « چركس كاپشچ » وصحيفة « چركس أديغه » اليومية . وفي سنة ١٩٣٩ حلت محل الأبجدية الرومانية الأبجدية الصقلبية القديمة « وبهذه الأبجدية ظهرت الآثار الأولى للكتاب الآبازية من سنة ١٩٤٠ وما بعدها (مجموعة أشعار لتشكوف وتخابتسانحوف ، وقصص قصيرة وروايات صغيرة لزيروف وتابولوف وغيرهما).

المصادر :

(١) L. I. Lavrov : Istorichesko- (Abazini EtnograficheskiOcherk) في Kavkazskii Etnografi-cheskii Sbornik، USSR. Academy of Sciences موسكو سنة ١٩٥٥ ، ص ٥ — ٤٨ (وهي خير دراسة تاريخية وسلالية) ؛ (٢) الكاتب نفسه في Sovetskaia Etnografiia ، رقم ١ ، سنة ١٩٤٦ (Obezi russkikh letopisei) (٣) Shova Bekmurzin Nogmov : Istoria Adikheiskogo naroda Sostav-lennaia po predaniyam Kabardinstev ، تفليس سنة ١٨٦١ ؛

وانظر عن الآبازية في العهد السوفيتي الكتب التي كتبت عن الإقليم المستقل استقلالا ذاتياً وخاصة (٤) الكاتب المجهول : 20 let Cherkesskoi Avtonomoi oblasti ، ستافروبول سنة ١٩٤٨ (٥) المقالات الخاصة بهذا الموضوع في المجلة الدورية الجركسية : Krasnaia Cherkessiia (الأعداد ٢٣٧ ، ٢٤٥ ، ٢٤٩ ، عن سنة ١٩٤٠) .

وانظر عن اللغة الآبازية (٦) K. Lomatidzé : Tapantskii Dialekt Abkhazskogo yazika ، تبليسي سنة ١٩٤٤ . (٧) وخاصة G. P. Serduechenko : « Abazinskaia dialekti » ، موسكو سنة ١٩٣٩ (٨) Abazinskaia Literatura (جـ ١ من المذكرات العلمية لمعهد التربية في روستوف على نهر الدون سنة ١٩٣٩) (٩) Abazinskaia Fonetika (المجلد الخامس من هذه المجموعة نفسها) ، روستوف على نهر الدون ، سنة ١٩٤٩ ؛

خورشيد [بنگسن ودانكوس Bennigsen-D'Encausse]

+ « بِسِلْنِي » : (انظر مادة « چركس ») .

+ « بسم الله » : (انظر مادة « بسملة ») .

« بسملة » تطلق على صيغة بسم الله الرحمن الرحيم : البسملة أو التسمية ، ويروى الزمخشري أن قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاءها لم يعتبروا البسملة آية على رأس الفاتحة وغيرها ؛ وهم يذهبون إلى أنها وضعت هذا الموضع لا لغرض سوى الفصل بين السور تبركاً ، وهذا هو رأى أبي حنيفة أيضا ، ومنه يتضح السبب في أن أتباعه لا يجهرون بالبسملة في صلاتهم ؛ ولكننا نجد من جهة أخرى أن فقهاء مكة والكوفة وقراءهما يعتبرون البسملة آية على رأس الفاتحة وغيرها وهم لذلك يجهرون بها ، وهذا هو رأى الشافعي ، يعتمد فيه على أن القدماء دونوا البسملة على الصحف التي كتبت فيها آي الذكر ، ولم يكتبوا كلمة « آمين » ؛

وإنا لنشاهد الناس في كل مكان لا يبدءون فعلا هاماً ما لم يصدّر باسم الله ، ثم إننا نلاحظ بصفة خاصة أن العرب الأقدمين كانوا يصدرون دعواتهم لحفلات الزواج بقولهم « بالرفاء والبنين » أو « باليُمن » ، ويذهب الزمخشري إلى أنهم كانوا يصدرون هذه الدعوات باسم اللات أو العزّى (انظر مادة « العرب ، جزيرة ») ؛

وأنزل الله على لسان نبيه نوح: « وقال اركبوا فيها باسم الله مجريها ومرسيها إن ربي لغفور رحيم » (سورة هود ، آية ٤٣) .

وجرت العادة بحذف همزة الوصل فى « اسم » فأصبحت « بسم » . وتقول بعض الروايات إن عمر ابن عبد العزيز هو الأصل فى هذه الكتابة فقد قال لكاتبه: « طوّل الباء وأظهر السنّات ودوّر الميم » ؛ كما تذهب الروايات إلى تشديد اللام فى « الله » .

وتساءل بعض المستشرقين عما إذا كانت صيغتا الرحمن والرحيم من أسماء آلهة الجاهلية التى بقيت إلى جانب اسم الله ثم أصبحتا مجرد صفات (انظر مادتى « الله » و « العرب . جزيرة ») غير أن هذا ليس من رأى كاتب هذه السطور ، وهو لا يتفق مع ما رواه المفسرون ، فالزمخشرى بصفة خاصة يذهب إلى أن الرحمن والرحيم من الصفات الغالبة ومعناهما العطف والحنو ، وهو مجاز عن إنعامه على عباده ، وإن الزيادة فى بناء الرحمن على الرحيم لزيادة المعنى ، وذكر الزمخشرى أيضا بعض استعمالات عجيبة للرحمن والرحيم . فأوردهما تارة من الأسماء وتارة من الصفات . وهكذا أطلق بنو حنيفة على مسيلمة الكذاب « رحمن اليمامة » ويقال « رحمن الدنيا والآخرة » و « رحيم الدنيا » .

وللبسملة فى نظر التقاة وأصحاب السحر فضائل عظيمة ، فيستعملها أصحاب السحر فى الطلسمات ، وهم يعتقدون أنها كتبت على جنب آدم وعلى جناح جبريل وعلى خاتم سليمان وعلى لسان عيسى ؟ (v. Doutté : *Magie et Religion dans l'Afrique du Nord* ، ص ٢١١).

والبسملة حلية يكثر استعمالها فى المخطوطات والزخارف المعمارية .

[كارّا ده فو B. Carra de Vaux]

تعليق على مادة « بسملة »

هذه المسألة من أهم مسائل الخلاف بين القراء والمحدثين والفقهاء ، وألف فيها الكثيرون كتباً خاصة ، فمن ذلك كتاب « الإنصاف فيما بين العلماء من الاختلاف » للإمام الكبير أبى عمر يوسف بن عبد البر القرطبى المتوفى سنة ٤٦٣ « وهو جزء فى ٤٢ صفحة ، وقد طبع فى مصر سنة ١٣٤٣هـ » وكتاب لأبى محمد عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسى ، ذكره النووى فى المجموع ، وقال : إنه مجلد كبير ، ولخص أهم ما فيه » وألف فيها أيضا ابن خزيمة وابن حبان والدارقطنى والبيهقى والخطيب ؛ وقد جمع الحافظ الزيلعى فى نصب الراية أكثر ما ورد فيها من الآثار والأقاويل فى مقدار يصلح كتاباً مستقلا (١ : ١٦٨ — ١٩١ من طبعة الهند ، و ١ : ٣٢٣ — ٣٦٣ من طبعة المجلس العلمى سنة ١٣٥٧هـ) وكذلك النووى فى المجموع « كتب فيها مقداراً وافياً .

واستيعاب ما قالوه لا يسعه المقام هنا ، لكنى أقول فيها كلمة أرجو أن أوفق إلى أن تكون القول الفصل ، إن شاء الله :

اتفق المسلمون جميعا على أن البسملة جزء من

آية فى سورة النمل، ثابتة ثبوت التواتر القطعى الموجب لليقين .

ثم اختلف الفقهاء وغيرهم بعد ذلك : هل هى آية من كل سورة من سور القرآن سوى براءة ؟ أو هى جزء من آية ؟ أو هى آية مستقلة نزلت مع كل سورة — سوى براءة — لافتتاحها وللفصل بينها وبين غيرها ؟ أو هى آية من الفاتحة فقط ؟ أو ليست آية أصلا ، لا فى الفاتحة ولا فى غيرها ؟

فنقل العلماء عن مالك والأوزاعى وابن جرير الطبرى وداود أنهم ذهبوا إلى أنها ليست فى أوائل السور كلها قرآنا ، لا فى الفاتحة ولا فى غيرها .

وحكاه الطحاوى عن أبى حنيفة وأبى يوسف ومحمد ، وهو رواية عن أحمد ، وقول لبعض أصحابه ، واختاره ابن قدامة فى المغنى .

وقال أحمد : هى آية فى أول الفاتحة وليست قرآناً فى أوائل باقى السور » وهو قول إسحق وأبى عبيد وأهل الكوفة وأهل مكة وأهل العراق ، فيما نقله العلماء » وهو أيضاً رواية عن الشافعى .

وقال الشافعى وأصحابه : هى آية من كل سورة سوى براءة . وحكاه ابن عبد البر عن ابن عباس وابن عمر وابن الزبير وعطاء وطاوس ومكحول . وحكاه ابن كثير عن أبى هريرة وعلى سعيد بن جبير والزهرى ، وهو رواية عن أحمد . وادعى أبو بكر الرازى الجصاص فى أحكام القرآن أن الشافعى لم يسبقه أحد إلى هذا القول .

وذهب أبو بكر الرازى الجصاص إلى أنها آية فى كل موضع كتبت فيه فى المصحف ، وليست آية من الفاتحة ولا من غيرها ، وإنما أنزلت لافتتاح القراءة بها وللفصل بين كل سورتين — سوى ما بين الأنفال وبراءة — وهو المختار عند الحنفية » قال محمد بن الحسن : « ما بين دفتى المصحف قرآن » » وهو قول ابن المبارك ورواية عن أحمد وداود » وقال الزيلعى فى نصب الراية : « وهذا قول المحققين من أهل العلم » .

ونسبة هذا القول إلى الحنفية استنباط فقط ، فقد قال أبو بكر الجصاص فى أحكام القرآن (١ : ٨) : « ثم اختلف فى أنها من فاتحة الكتاب أم لا : فعدها قراء الكوفيين آية منها ، ولم يعدها قراء البصريين » وليس عند أصحابنا رواية منصوصة فى أنها آية منها ، إلا أن شيخنا أبا الحسن الكرخى حكى مذهبهم فى ترك الجهر بها ، وهذا يدل على أنها ليست منها عندهم ، لأنها لو كانت آية منها لجهر بها كما جهر بسائر آى السور » .

وقال شمس الأئمة محمد بن أحمد بن أبى سهل السرخسى فى المبسوط (ج ١ ص ١٦) : « وعن معلى قال : قلت لمحمد — يعنى ابن الحسن — : البسملة آية من القرآن أم لا ؟ قال : ما بين الدفتين كله قرآن . قلت : فلم لم تجهر ؟ فلم يجبنى ، فهذا عن محمد بيان أنها آية أنزلت للفصل بين السور ، لا من أوائل السور ، ولهذا كتبت بخط على حدة ، وهو اختيار أبى بكر الرازى رحمه الله ، حتى قال محمد رحمه الله : يكره للحائض والجنب قراءة البسملة على وجه قراءة القرآن » لأن من ضرورة كونها قرآناً حرمت قراءتها على الحائض والجنب ، وليس

من ضرورة كونها قرآنا الجهر بها » كالفاتحة فى الأخريين » .

وقد استدل كل فريق لقوله بأحاديث ، منها الصحيح المقبول ، ومنها الضعيف المردود .

وأما أئمة القراءات فإنهم جميعاً اتفقوا على قراءة البسملة فى ابتداء كل سورة ، سواء الفاتحة أو غيرها من السور ، سوى براءة . ولم يرو عن واحد منهم أبداً إجازة ابتداء القراءة بدون البسملة .

وإنما اختلفوا فى قراءتها بين السور أثناء التلاوة « أى فى الوصل : فابن كثير وعاصم والكسائى وأبو جعفر وقالون وابن محيصن والمطوعى وورش من طريق الأصبهانى — » يفصلون بالبسملة بين كل سورتين ، إلا بين الأنفال وبراءة . وحمزة يصل السورة بالسورة من غير بسملة ، وكذلك خلف ؛ وجاء عنه أيضاً السكت قليلا — أى بدون تنفس — من غير بسملة . وجاء عن كل من أبى عمرو وابن عامر ويعقوب وورش من طريق الأزرق — : البسملة والوصل والسكت بين كل سورتين سوى الأنفال وبراءة .

وكل من روى عنه من القراء العشرة حذف البسملة روى عنه أيضاً إثباتها ، ولم يرد عن أحد منهم حذفها رواية واحدة فقط .

وهؤلاء هم أهل الرواية المنقولة بالسماع والتلقى ، شيخا عن شيخ فى التلاوة والأداء .

وقد اتفقوا جميعاً على قراءتها أول الفاتحة وإن وصلت بغيرها . قال إمام القراء أبو الخير بن الجزرى فى كتاب النشر فى القراءات العشر (١ : ٢٦٢) : « ولذلك لم يكن بينهم خلاف فى إثبات البسملة أول الفاتحة ، سواء وصلت بسورة الناس قبلها ، أو ابتدئ بها » لأنها لو وصلت لفظاً فإنها مبتدأ بها حكما ، ولذلك كان الواصل هنا حالا مرتحلا » :

ولا خلاف بين أحد من أهل النقل وأهل العلم فى أن جميع المصاحف الأمهات ، التى كتبها عثمان ابن عفان ، وأقرها الصحابة جميعا دون ما عداها — : كتبت فيها البسملة فى أول كل سورة ، سوى براءة . وأن الصحابة رضوان الله عليهم إذ جمعوا القرآن فى المصاحف جردوه من كل شيء غيره ، فلم يأذنوا بكتابة أسماء السور ولا أعداد الآى » ولا (آمين) » ومنعوا أن يجرؤ أحد على كتابة ما ليس من كتاب الله فى المصاحف ، حرصا منهم على حفظ كتاب الله ، وخشية أن يشتبه على أحد ممن بعدهم فيظن غير القرآن قرآنا » فهل يعقل مع هذا كله أن يكتبوا مائة وثلاث عشرة بسملة زيادة على ما أنزل على رسول الله ؟ ! ألا يدل هذا دلالة قاطعة منقولة بالتواتر العملى المؤيد بالكتابة المتواترة على أنها آية من القرآن فى كل موضع كتبت فيه ؟ !

والقاعدة الصحيحة عند أئمة القراء أن القراءة الصحيحة المقبولة هى : ما صح سنده ووافق رسم المصحف ولو احتمالا وكان له وجه من العربية ؛ وأنه إذا فقد شرط من هذه الشروط فى رواية — : كانت قراءة شاذة أو ضعيفة أو مردودة . وقد ذهب بعض القراء إلى أن التواتر شرط لصحة القراءة . والحق

أنه شرط فى إثبات القرآن ، وأما القراءة فيكفى فيها صحة السند مع ما سبق : وهذا الذى اعتمده إمام القراء ابن الجزرى وغيره :

ولكن لم يخالف واحد منهم فى اشتراط موافقة رسم المصاحف ، وفى أن القراءة التى تخالفه قراءة غير صحيحة ولو صح سندها :

فإذا سلكنا جادة الإنصاف فى تطبيق القواعد الصحيحة على الأقوال والقراءات السابقة ، وتنكبنا طريق الهوى والعصبية — : علمنا علما يقينا ليس بالظن ، أن القول الذى زعموا نسبته إلى مالك ومن معه ، فى أنها ليست آية أصلا — : قول لا يوافق قاعدة أصولية ثابتة ، ولا قراءة صحيحة ، وأن قراءة من قرأ بإسقاطها فى الوصل بين السور قراءة غير صحيحة أيضا ، لأنها فقدت أهم شرط من شروط صحة القراءة ، أو هو الشرط الأساسى فى صحتها ، وهو موافقة رسم المصحف ، وظهر أن الحق الذى لا يتطرق إليه الشك ، ولا يستطيع مجادل أن ينازع فيه : أنها آية فى كل موضع كتبت فيه فى المصحف .

وأما أنها آية من السور المكتوبة فى أولها أو آية مستقلة ، فإنه محل نظر وبحث ، والذى يظهر لى ترجيح أنها آية من كل سورة كتبت فى أولها ، أى من جميع سور القرآن سوى براءة ، وأنه لا يجوز لقارئ أن يقرأ أية سورة من القرآن — سوى براءة — من غير أن يبدأها بالتسمية التى هى آية منها فى أولها ، سواء أقرأها ابتداء أم وصلها بما قبلها ، وهذا الذى اختاره الشافعى رضى الله عنه ، فيما نقله عن العلماء ، وهو الذى يفهم من كلامه الذى نقلنا آنفا عن كتابه « الأم » .

وبعد ، فقد يبدو للناظر بادئ ذى بدء أن يتكره هذا القول وينكره لما فيه من الحكم على بعض أوجه القراءات السبع بعدم الصحة ، لما شاع بين المتأخرين والعامة ، من أن هذه القراءات السبع متواترة تفصيلا ، بما فيها من بعض الاختلاف فى الحروف وبما فيها من أوجه الأداء ، وهذه شائعة غير صحيحة ، بدأ القول بها بعض متأخرى العلماء ، ثم تبعه فيها غيره ، ثم أذاعها عامة القراء وعامة أهل العلم ، من غير نظر صحيح ، ولا حجة بينة ، وقد ردها كثيرون من أئمة القراء والعلماء ، قال أبو شامة المقدسى : « ونحن وإن قلنا : إن القراءات الصحيحة إليهم نسبت ، وعنهم نقلت — : فلا يلزم أن جميع ما نقل عنهم بهذه الصفة ، بل فيه الضعيف ، لخروجه عن الأركان الثلاثة » :

وقال إمام القراء الحافظ أبو الخير بن الجزرى فى كتاب النشر (١ : ٩ — ١٠) « كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا ، وصح سندها — : فهى القراءة الصحيحة ، التى لا يجوز ردها ، ولا يحل إنكارها ، بل هى من الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن ، ووجب على الناس قبولها سواء كانت عن الأئمة السبعة ، أم عن العشرة ، أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين ، ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها : ضعيفة أو شاذة أو باطلة ، سواء كانت

عن السبعة أم عمن هو أكبر منهم : هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف ، صرح بذلك الإمام الحافظ أبو عمرو عثمان بن سعيد الدانى ، ونص عليه فى غير موضع الإمام أبو العباس أحمد بن عمار طالب ، وكذلك الإمام أبو العباس أحمد بن عمار المهلوى ، وحققه الإمام الحافظ أبو القاسم عبد الرحمن بن إسمعيل المعروف بأبى شامة ، وهو مذهب السلف الذى لا يعرف عن أحد منهم خلافه ؛ قال أبو شامة رحمه الله فى كتابه المرشد الوجيز : فلا ينبغى أن يغتر بكل قراءة تعزى إلى واحد من هؤلاء الأئمة السبعة ، ويطلق عليها لفظ الصحة ، وإن هكذا أنزلت — : إلا إذا دخلت فى ذلك الضابط ، وحينئذ لا ينفرد بنقلها مصنف عن غيره ، ولا يختص ذلك بنقلها عنهم بل إن نقلت عن غيرهم من القراء فذلك لا يخرجها عن الصحة ، فإن الاعتماد على استجماع تلك الأوصاف ، لا عمن تنسب إليه ، فإن القراءات المنسوبة إلى كل قارئ من السبعة وغيرهم منقسمة إلى المجمع عليه والشاذ ، غير أن هؤلاء السبعة لشهرتهم وكثرة الصحيح المجتمع عليه فى قراءتهم ، تركن النفس إلى ما نقل عنهم فوق ما ينقل عن غيرهم » .

ولم يكن الأئمة السابقون من العلماء يحجمون عن نقد بعض قراءة القراء السبعة وغيرهم ، بل كثيراً ما حكموا على بعض حروفهم فى القراءة بأنها خطأ ، وقد يكون الناقد هو المخطئ ، ولكنه ينقد عن علم وحجة ، فلا عليه إن أخطأ ، ولو كانت حروف القراء كلها متواترة تفصيلا كما يظن كثير من العلماء وغيرهم — : لكان الناقد لحرف منها خارجاً عن حد الإسلام ، ولم يقل بهذا احد ، والعياذ بالله من أن نرى أمثالهم بهذا .

فمن أمثلة ذلك أن إمام المفسرين وحجة القراء أبا جعفر محمد بن جرير الطبرى رد قراءة حفص عن عاصم من السبعة ويعقوب من العشرة فى قوله تعالى فى سورة الحج (آية ٢٥) : ﴿ سَوَاء العاكِفُ فيه والبَادِ ﴾ بنصب « سواء » فقال فى تفسيره (١٧ : ١٠٣) : « وقد ذكر عن بعض القراء أنه قرأه (سَوَاء) نصبا ، على إعمال (جَعَلْنَا) فيه ، وذلك وإن كان له وجه من العربية فقراءة لا أستجيز القراءة بها ، لإجماع الحجة من القراء على خلافه » .

وقد رد الطبرى والزمخشرى ، وهما إماما العربية والتفسير — : قراءة ابن عامر فى قوله تعالى فى سورة الأنعام (آية ١٣٧) : (وكذلك زَيَّنَ لكثيرٍ من المشركين قَتْلُ أولادَهُم شُركائِهِم) فقال الطبرى (٨ : ٣٣) : « وقرأ ذلك بعض قراء أهل الشام (وكذلك زُيِّنَ) بضم الزاى (لكثير من المشركين قَتْلُ) بالرفع (أولادَهم) بالنصب (شركائهم) بالخفض ، بمعنى : وكذلك زين لكثير من المشركين قتل شركائهم أولادهم ففرقوا بين الخافض والمخفوض بما عمل فيه من الاسم ، وذلك فى كلام العرب قبيح غير فصيح ، وقد روى عن بعض أهل الحجاز بيت من الشعر يؤيد قراءة من قرأ بما ذكرت من قراءة أهل الشام — : رأيت رواة الشعر وأهل العلم بالعربية من أهل العراق ينكرونه » . وقال الزمخشرى

فى الكشاف (٢ : ٤٢) : «وأما قراءة ابن عامر (قتلُ أولادَهم شركائهم) برفع القتل ونصب الأولاد وجر الشركاء ، على إضافة القتل إلى الشركاء ، والفصل بينهما بغير الظرف — : فشئ لو كان فى مكان الضرورات ، وهو الشعر ، لكان سمجاً مردوداً ، كما سمج ورد « زج القلوص أبى مزاده » فكيف به فى الكلام المنثور ! فكيف به فى القرآن المعجز بحسن نظمه وجزالته ! ! » .

وقد أطال الإمام ابن الجزرى فى النشر القول فى الرد على الطبرى والزمخشرى فى نقدهما هذا الحرف على ابن عامر ، وعقد لذلك فصلا نفيساً (٢ : ٢٥٤ — ٢٥٦) ، ولسنا بصدد تحقيق الصواب فى هذا الخلاف هنا ، ولا ينبغى أن نحكم بالخطأ على ابن عامر ، إنما نريد أن ندل على أن المتقدمين لم يكونوا يرون أن وجوه القراء فى حروفهم متواترة كلها . وإلا كان فى الإقدام على إنكار بعضها جرأة غير محمودة .

وكذلك أنكر أبو إسحق الزجاج حرفاً من قراءة حمزة فى قوله تعالى فى سورة الكهف (آية ٩٧) : (فما اسْطاعوا) إذ قرأها بتشديد الطاء كما فى النشر وغيره من كتب القراءات ، قال فى لسان العرب (١٠ : ١١٢) : «وكان حمزة الزيات يقرأ (فما اسْطّاعوا) بإدغام الطاء والجمع بين ساكنين ، وقال أبو إسحق الزجاج : من قرأ بهذه القراءة فهو لاحن مخطئ ، زعم ذلك الخليل ويونس وسيبويه وجميع من يقول بقولهم » .

ولذلك كله لا نرى علينا بأساً أن نقول : إن قراءة من قرأ بحذف البسملة بين السور فى الوصل قراءة غير صحيحة ، إذ هى تخالف رسم المصحف فتفقد أهم شرط من شروط صحة القراءة ، وأن البسملة آية كل سورة فى أولها سوى براءة ، على ما ثبت لنا تواتراً صحيحاً قطعياً من رسم المصحف .

أحمد محمد شاكر

+ « بسنترن » : (انظر مادة « بزنترن »)

+ « بَسْنى » (بهسنى فى القرون الوسطى)

من السريانية « بت حسنا » : محلة على مفترق طرق ارتفاعها يزيد على ٢,٩٠٠ قدم، وتقوم على ملتقى الطريقين الهامين من ملطية إلى حلب ، ومن (قيليقية) ومرعش إلى ديار بكر ، وكانت بسنى المحور بين سلسلة المعاقل القائمة شمالى القوس الكبير للفرات من جهة ، وهى تحمى الوديان العليا لروافد الضفة اليمنى لهذا النهر من الغارات القادمة من هضبة طوروس وجبالها المرتفعة ، وبين المعاقل المتجهة صوب الجنوب من جهة أخرى ، وهى التى تسيطر على الأحواض الصغيرة شمالى عينتاب . ثم إن بسنى كانت تقوم مجاورة مجاورة مباشرة للممر يؤدى هابطاً إلى الشمال الغربى : إلى خانق آق صو ، موقع [illegible] القديمة الحدث الحمراء ، وبالرغم من هذه المزايا التى حبيت بها بسنى وبالرغم من الاشتقاق القديم لاسمها ، فإنها لم تذكر فى النصوص حتى

دمرت الحدث وحلت محلها هى وقتذاك فى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) . وكانت بسنى قد أخملتها من قبل جارتها من الجنوب قيسون ، إذ كانت قيسون فى ذلك الوقت أكثر أهمية منها ، كما كانت على اتصال غالب بمرعش . والراجح أن بسنى تدين بقيامها إلى انصباب الأرمن عليها بعد الغزو البوزنطى . وقد أصبحت بسنى فى نهاية القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) جزءاً من إمارتى فيلارت وكوغ واسيل ، كما كانت فى عصر الحروب الصليبية من الأماكن التى يتردد ذكرها بكثرة فى ولاية الرها الفرنجية الأرمنية . وقد حارب من أجلها أمراء البيت الزنكى أو الأيوبى أصحاب حلب وسلاجقة الروم الذين ضموها فى القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) إلى ولاية مرعش الواقعة على الحدود ؛ ونزل عنها المغول إلى مملكة قيليقية الأرمنية ولكنها لم تلبث أن ضمتها إليها دولة المماليك ، وظل مصيرها مرتبطاً بمصيرهم حتى نهاية القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) . وهناك دخلت فى نطاق العمليات الحربية لتركمان ذى الغادر ، ثم نهبها تيمور . وانتقلت مرة أخرى فى نهاية القرن الخامس عشر إلى سيطرة المماليك ، وفى سنة ٩٢٢ هـ (١٥١٦ م) احتلها العثمانيون هى والشام . ومن هذا الوقت لم يعد لها إلا أهمية محلية . والبلدة التى لاتزال تقوم فيها قلعة بنى معظمها قايتباى ، كان يسكنها عام ١٩٥٥ : ١٠،٥٠٠ نسمة .

المصادر :

(١) ذكر بسنى جميع المؤرخين الإخباريين لعصر الحروب الصليبية وخاصة متى الرهاوى وميخائيل السورى وكمال الدين بن العديم ، وعندنا ابن العديم بكلمة عنها فى القسم الجغرافى من كتابه « البغية » (آياصوفيا ، رقم ٣٠٣٦ ، جـ ١ ، ص ٢٣٣) ، وكذلك فعل عز الدين بن شداد فى كتابه « الأعلاق » (= ابن الشحنة ، طبعة شيخو ، ص ١٧١). (٢) أما المؤرخون الإخباريون المماليك فانظر بخاصة : ابن كثير ، وابن حجر ، والمقريزى ، والعينى ، وابن إياس . (٣) وانظر عن العصر الحديث بصفة خاصة : Ainsworth : *Travels* ، جـ ١ ، ص ٢٦٥ . (٤) Cuinet ، جـ ٢ ، ص ٣٧٦ . (٥) مكرمن خليل : مرعش أميرلرى فى *T. T. E. M.* ، السنوات ١٤ — ١٥ . (٦) Cl.Cahen : *La Syrie du Nord* ، ص ١٢٠—١٢١ (٧) وتوجد مصادر أخرى زيادة على ذلك فى بسيم دارقوت : مادة بسنى ، فى إسلام أنسيكلوپيدياسى .

خورشيد [كاهن Cl. Cahen]

« البسوس » [بنت منقذ بن سلمان التميمية] : المرأة التى تذكر الأساطير أنها كانت السبب فى نشوب الحرب بين قبيلتى بكر وتغلب ، وبينهما صلة رحم ؛ فيروى أن رجلا اسمه سعد من قبيلة جَرْم — وهو الذى خاطبته البسوس فى شعرها — نزل فى حمى جسّاس بن مرّة البكرى

قريب البسوس(١) ؛ واتفق يوماً أن كُلَيْباً ابن ربيعة الثعلبي وجد ناقة للبسوس فى مرعاه ، وكان قد منع غيره من الرعى فيه ، فقتلها . أو كما تقول القصة ، رماها بسهم أصاب ضرعها ، فدفع ذلك جساساً إلى الثأر لمن هم فى حماه ، وقتل كليباً زوج أخته ؛

وسمى الشعر الذى قالته البسوس ، وخاطبت به سعداً ، ووصفت فيه ما نالها من حيف يحمل جساس مغبته بـ « الموَثِّبات »(٢) لأنه كان السبب فى قتل جساس لكليب وما تلا ذلك من الحروب الدموية الطويلة بين تينك القبيلتين ؛ وتعد هذه الموثبات مثالا للتحريض ، كما أن النساء يقلنها فى ندب الموتى .

وليس من شك فى أن رجلا قلد فى عصر متقدم ما قيل من الشعر فى ظروف مشابهة لهذه ، وأقحم هذه الأبيات فى أسطورة البسوس الزاخرة بالشعر ، يفسر بها مقدمات الحرب التى عرفت آخر الأمر بحرب البسوس ، وأنه لم يكن واسع المعرفة بميزات الشعر العربى فحسب ، بل كان أيضاً دقيق العلم بطبيعة النفس الإنسانية ، وأنه أنشأها تبريراً لعمل جساس .

وهناك قصة ظهرت فى الأوساط اليهودية بطلتها امرأة تعرف باسم البسوس ، وقد نشأت هذه القصة سخرية من القصة الأولى ، وخلاصتها أن يهودياً وهبه الله ثلاث أمنيات محققات ، فطلبت امرأته أن تصبح أجمل بنات إسرائيل فأجاب الله سوْلها ؛ فأصابها الغرور وساءت عشرتها لزوجها فلعنها وسأل الله أن يمسخها كلبة ، فحقق الله له أمنيته الثانية ؛ ولم تبق له إلا أمنية واحدة. وقد ألح أبناؤها أن تعود أمهم إلى ما كانت عليه ؛ فأطلق الناس على هذه المرأة التى حرمت زوجها من الأمنيات الثلاث « أشأم من البسوس » وهو عين المثل الذى يطلق على البسوس بطلة القصة الأولى .

المصادر :

(١) الحماسة ، طبعة فريتاغ Freytag ، ص ٤٢ ومابعدها ؛ (٢) مجمع الأمثال ، طبعة فريتاغ ، جـ ١ ، ص ٦٨٧ ؛ (٣) الأغانى ، جـ ٤ ، ص ١٤١ وما بعدها [جـ ٥ ، ص ٣٣ — ٦٣ ، طبعة دار الكتب المصرية] ؛ (٤) انظر مادة « البسوس » فى المعاجم المختلفة . (٥) مقامات الحريرى ، الطبعة الثانية لده ساسى de Sacy ،

---

(١) المشهور فى المصنفات العربية أن الهيلة ولقبها البسوس خالة جساس ، وأن جرم الذين يسحب اليهم سعد بن شمر بن قدامة هم من أخوال جساس .

اللجنة

(٢) ومنه قولها :

لعمرى لو أصبحت فى دار منقذ
لما ضيم سعد وهو جار لأبياتى

ولكننى أصبحت فى دار غربة
متى يعدو فيها الذئب يعد على شاتى

فيا سعد ، تغرر بنفسك وارتحل
فانك فى قوم عن الجار أموات

ودونك أذوادى اليك فاننى
محاذرة أن يغدروا ببنياتى

وسر نحو جرم ان جسرما أعز
ولانك لا هيا بين نسوات

اللجنة

جـ١، ص٣٠٧ : (٦) Causin de Perceval : *Essai* ،
جـ٢، ص ٢٧٩ وما بعدها. (٧) Noeldeke : *Delectus*

[رودوكاناكيس N. Rhodokanakis]

« البسيط » : بحر من بحور الشعر العربي (انظر مادة « العروض »).

« البسيط » (١) Albacete : قصبة كورة أندلسية

تعرف بهذا الاسم وتضم الجزء الشمالي الغربي من مملكة مُرْسِيَة القديمة إلى الجنوب الشرقي من مانْشَة Mancha وإقليم قشتالة الجديدة. والمدينة على المنحدر الجنوبي الشرقي من هضبة ميسيتا Meseta الأيبيرية الوسطى ، وترتفع عن سطح البحر ٢٫٣٠٠ قدم . واسمها الجديد آلبسيت Albacete مأخوذ عن الكلمة العربية « البسيط » لا عن كلمة « البسطة » كما ذهب إليه البعض في كثير من الأحيان . وقد ذكر هذا الموضع واسمه لأول مرة كل من الضبي القرطبي وابن الأبار البلنسي ، وكلاهما من مصنفي القرن الثالث عشر الميلادي ، عند حديثهما عن الوقعة الهائلة التي نشبت في عشرين خلت من شعبان سنة ٥٤٠ هـ (١١ من فبراير سنة ١١٤٦ م) بين الأذفونش السابع ملك قشتالة وبين سيف الدولة [بالأسبانية Zafadola ، Capedolas ، Zafedola) المستنصر أحمد بن هود الذي ولي القسم الجنوبي الشرقي من الأندلس عهداً قصيراً ، وفيها لقي هذا الملك حتفه هو وحليفه عبد الله بن محمد بن سعد صاحب بلنسية ؛ وكان عبد الله هذا يعرف بين العرب بلقب « صاحب البسيط » كما كانت تلك الوقعة التي لم يشر المصنفون المسيحيون إلى مكانها ولا إلى تاريخ نشوبها تعرف بـ « وقعة اللُّجّ » ، إذ قال ابن الأبار عن هذا المكان إنه هو « الموضع المعروف باللج وبالبسيط على مقربة من جنجالة » (٢) ، ولا نستطيع الآن التثبت من أن اللج هو الموضع والنهر بعينهما المعروفين [عند الأسبان] باسم لزوزه Lezuza غربي البسيط أو ألاتوز Alatoz شرقيها على المنحدر الشمالي لجبال جنجالة ، فإذا صح أنه عين المكان الأخير [Alatoz] فالأجدر أن يكون اسمه « اللُّجّ » . وقد ورد « فحص اللج » في مصنف ابن الكردبوس (Dozy : *Screptorum arabum loci de Abbadidis* ، جـ ٢ ، ص ١٣) ؛

المصادر :

(١) الضبي ، طبعة كودرا Codera وريبيرا Ribera ، ص ٣٣ . (٢) ابن الأبار : الحلة السيراء ، Dozy : *Notices* ، ص ٢١٥ ، ٢١٩ ، ٢٢٦ . (٣) Codera : *Decadencia y desaparicion de los Almoravides en Espana* ، سرقسطة سنة ١٨٩١ م ، ص ٨٦ ، ١٠٩ . (٤) Ramiro : *Murcia Musulmana* ، سرقسطة سنة ١٩٠٠ م ، ص ١٧٩ وما بعدها . (٥) Seybold في *Zeitschr. d. Deutsch. Morgenl Gesch.* ، جـ ٦٢ .

[تسيبولد C.F. Seybold]

تعليق على مادة « البسيط »

(١) البسيط قصبة إقليم بهذا الاسم فى الجنوب الشرقى من أسپانيا على مسافة ٢٧٨ كيلومتراً من مجريط (مدريد) و ٧٥ من مرسية ، وهى قائمة على هضبة جبل . والبسيط – كما ذكر مؤلف المادة – كلمة عربية معناها بسيط الأرض ، أى الأرض المبسوطة لا حزونة فيها ، وأهلها يتعاطون صناعة السلاح وزراعة القمح والزعفران . وليست بلدة البسيط قديمة العهد ككثير من مدائن الأندلس لأنها خططت فى مستهل القرن الخامس عشر ، أى قبل خروج العرب من أسپانيا ببضع عشرات من السنين .

وفى الأندلس بلدة أخرى تسمى بسطة أو بسطة الشريف ذكرها ياقوت فى معجمه فقال : « هى من أعمال جَيّان – بفتح الجيم وياء مشددة (Jaen) – وتنسب إليها المصليات البَسْطية » أى الفرش والسجاجيد التى يصلى عليها ، وأشار إليها المَقّرى – بفتح الميم وقاف مشددة – فى كتابه نفح الطيب فقال : « بسطة الشريف بإقليم البشرات ، وهى متوسطة المقدار حسنة الموضع عامرة آهلة ، لها أسوار حصينة وديار حسنة البناء وبها تجارات وفعلة لضروب الصناعات » .

فلا يخلطن القارئ إذن بلدة بسطة ببلدة البسيط ، لأن اسم الأولى معرب عن اسمها الأسپانى الأصل وهو Baza بخلاف الثانية فإنما اسمها عربى أصيل نقله الأسپانيون بلفظه إلى لغتهم Albacete

(٢) جِنْجالة وبالإفرنجية Chinchilla بلدة على مسافة ٢٠ كيلومترا من بلدة البسيط بالجنوب الشرقى قائمة على أكمة مشرفة على غدير ماء يصب فى أحد روافد نهر شقر Jucar ، وقد ذكرها الإدريسى فى نزهته فقال : « جنجالة من كورة تُدْمير بينها وبين مُرْسِية ٥٠ ميلا ، وهى متوسطة القدر حصينة القلعة منيعة الرقعة ولها بساتين وأشجار وعليها حصن حسن ويعمل بها من وِطاء الصوف مالا يمكن صنعه فى غيرها ، ولنسائها جمال فائق وحصافة » . والوِطاء بالكسر والفتح ضد الغطاء أى ما يرقد عليه المرء . والظاهر أن عرب الأندلس كانوا يختلفون فى رسمها فبينا نرى الإدريسى يرسمها بألف بعد الجيم الثانية نرى ياقوت يرسمها بياء بعد الجيم فيقول : «جنجيلة مدينة بالأندلس بين شاطبة وبلنسية – المسماة فى لغة الأسپان La Gineta – ينسب إليها محمد بن أبى عثمان بن حيوة بن زياد ابن عبد الله بن مترب الأموى الجنجيلى ، سكن طليطلة وسمع من أبى ميمون وابن مدارج وكان متيقظاً صالحاً ، وكان مولده يوم عرفة سنة ٤٣٢هـ » .

وفى رأيى أن جنجيلة أصح من جنجالة لأنها أكثر انطباقاً على أصل منطوقها بالأسپانية إذ ترسم فيها هكذا : Chinchilla .

محمد مسعود

+ « **بسيط ومركب** » : البسط والمركب فى اللغة العربية هما ترجمتان للفظين اليونانيين « أپلوس » و « سينثيتوس » ؛ وفى النحو العربى (وكذلك فى الفلسفة والطب) يستخدم لفظ مفرد بمعنى بسيط ؛ ففى النحو تناظر لفظتا « مفرد » و « مركب » كلا من الأسماء البسيطة وحالاتها المركبة المبنية من هذه المفردات ؛ أما فى الطب فتشيران إلى العناصر وتركيباتها ؛ وإذا تطرقنا إلى المنطق والرياضة والموسيقى وجدنا أن لفظة « مؤلّف » يجرى استعمالها أكثر من مركب ، فى حين أنه فى الفزياء والطب وحدهما يجرى استعمال « الممتزِج » أحياناً مطابقاً للفظ « مركب » وأحياناً أخرى يفرق بينه وبين مركب وفقاً لموضعه تقدماً وتأخرا .

والشىء يمكن أن يكون بسيطاً سواء بصفة مطلقة أو بصفة نسبية ؛ والشىء البسيط بساطة مطلقة هو مالا يمكن أن ينحل إلى أجزاء أبسط من ذلك سواء فزيائياً أو تصوريا ؛ والذرة هى المثل الذى يضرب فى الحالة الأولى ، وهى الجنس الأعلى للنموذج الثانى أو المثل الثانى المقابل (يمكن مراجعة تعريف البسيط بوصفه مالا يقبل الانقسام إلى ما هو أبسط منه فى كتاب الميتافيزيقا لأرسطو (مثال ذلك ، ٩٨٩ ب ١٧) والشىء البسيط نسبياً هو « المكوِّن » الذى يدخل فى تكوين « مركب » أكثر تعقيدا فى حين أنه يقبل الانقسام فى حد ذاته . أما من وجهة نظر « المؤلف » من مادة وصورة (والعالم المادى بأكمله داخل فى إطار المركب) فاننا أمام أحد أمرين ، إما أن الوحدات والأشياء اللامادية الخالصة بسيطة أو أن المادة الأولى أو الهيولى هى التى تخلو تماما من الصورة ، على الرغم من اتفاق أرسطو والفلاسفة المسلمين حول حظر استخدام هذا اللفظ ميتافيزيقيا إلا فيما يتعلق بالشق الأول .

وينظر عادة فى العالم المادى القائم فعلا (لأن المادة الأولى أو الهيولى لا وجود لها) إلى العناصر الأربعة : النار ، والهواء ، والماء، والأرض بوصفها أجساماً بسيطة أساسية داخل « المؤلّف » الذى يصدر عنه كل شىء مادى آخر إلى الوجود ؛ وعند أرسطو (كما جاء بتناوله الرئيسى لهذا الموضوع فى كتاب الكون والفساد — الجزء الأول — الفصل العاشر) ترد اللفظة اليونانية « سينثيسيس » للإشارة إلى صورة « المؤلَّف » أو شكل التكوين الذى تحتفظ فيه العناصر المكوِّنة بهويتها . ومثال ذلك : إذا تم مزج السكر بالرمل ويسمى عندئذ فى حقيقة تركيبه وتأليفه باليونانية « ميكسيس » تفقد أجزاؤه هويتها وتشارك فى خاصية مشتركة يمكن أن تكون فى حالات كثيرة مختلفة عن خاصية المكوِّنات الفردية . والنوع السابق من « التأليف » لم يرد ذكره لدى الفلاسفة المسلمين ؛ ويقولون إنه فى بعض أنواع المزيج — كما هو الحال مثلا فى الأعداد والأشكال والأنغام المركبة — تنبثق خاصية شاملة معينة لا تنتمى إلى الأجزاء الفردية التى تحتفظ كذلك بهويتها بينما تشارك الأجزاء من حيث هى أجزاء فى بعض أنواع المزيج الأخرى خاصية الكل الموحد (كما هو الحال فى اللحم)

وهو ما يسمى متشابه الأجزاء ، أى أوكيمرس . وكما يكون كل جزء من أجزاء بنية الحيوان مثل اللحم والعظام .. إلى آخره مكوناً تكويناً منفصلا بهذه الطريقة ، وإن ظل الأمر مختلفاً بالنسبة إلى البنية كلها . فانه فيما يتعلق بالأجسام السماوية يكون كل جسم متشابه الأجزاء . ويسمى النمط الكيفى (أى من حيث الخصائص) النهائى الناشئ عن نسب معينة فى مكونات خليط محدد (وهو الحار والبارد والرطب والجاف) « المزاج » فى حين أن الشكل الخاص الذى يتخذه المركب بفضل هذا « المزاج » يطلق عليه اسم الصورة (أو الهيئة) التركيبية . وعلى هذا فالمزاج (وهو نفس نطق لفظة المزاج بمعنى حالة الشعور الشخصى أو الحساسية الشخصية) الخاص بقطعة من اللحم الحى هو النمط النهائى لمزيج الصفات الأولية الأربع . فى حين أن « صورتها التركيبية » هى صورة « حالة الوجود اللحمى » أو « الوجود فى شكل لحم » (انظر كتاب أرسطو عن علم الحيوان *De Fartibus Animalium* ٦٤٢ ، ١٨ وما بعدها — وانظر أيضاً كتاب أرسطو فى النفس *De Anima* ٤٠٨ ، ص ٥) .

وسبق أن أشرنا إلى أن الصور الخالصة غير المختلطة بالمادة بسيطة بالمعنى الحقيقى للكلمة . وتلك بجلاء ووضوح حالة الذهن الذى لا يعرف الكليات البحتة وحدها وإنما تختفى فى إطار معرفته ثنائية الذات والموضوع . ويفسح هذا النوع من البساطة مرة أخرى المجال للدرجات والأعمال المنوعة ابتداء من العقل الإنسانى وعبوراً بكل الأذهان المنفصلة حتى الله نفسه الذى لا يوجد أدنى تعدد شيئى فى عقله : والله وحده هو البسيط بساطة مطلقة فى رأى الفلاسفة مثل ابن سينا الذى كان يعتقد بأن كل شىء ما عدا الله مؤلف من ماهية ووجود : وليس الله فى رأيه بسيطاً بساطة مطلقة فى عمليات عقله ولكن كذلك فى حقيقة وجوده الضرورية (انظر مادتى « ماهية » و « وجود ») .

ولا توجد دراسة خاصة بهذا الموضوع . وإنما يستطاع دراسة التطبيقات المختلفة لهذه اللفظة (بسيط ومركب) فى نطاق نصوص المذاهب الخاصة بالفلاسفة وبخاصة فى مؤلفاتهم المتعلقة بالفزياء وبما وراء الطبيعة : ولمراجعة المذهب الفزيائى الإسلامى فى مراجع يونانية أخرى انظر كتاب الإسكندر الأفروديسى عن *Scripta Minora II* أى الكتاب الأصغر — الجزء الثانى (پرى كراسيوس كى أفكسيوس) وعنوانه المرفوع والمخلوق .

[R. Rahman ف. رحمن الديبى]

+ « بسيكه ، جون » : (انظر مادة «بشيكه»).

+ «البُشارّات » : (انظر مادة «البشرات») .

+ « بُشارفاتز » : (انظر ماد «بسّاروفتز») .

« البشارين » (البشارية) : قبيلة من الرحل بين النيل عند النوبة والبحر الأحمر . وتؤلف البشارين والعبابدة والهدندوة وبنى عامر وقبائل أخرى أصغر مجموعة متجانسة من الوجهة الجسمانية واللغوية . ويضمهم جميعاً حتى فى الوقت الحاضر اسم واحد هو بجه أو بيجه (انظر هذه المادة) وهو الذى أطلقه عليهم مصنفو العرب فى القرون الوسطى (ويمكنك الرجوع إلى كتاب ماركار Marquart : *Benin* ص ٣١١ وما بعدها إلى جانب المصادر المذكورة فى مادة بجة من هذه الدائرة فيما يختص بتاريخ البجة القديم). ولا نعرف إلا النزر اليسير عن تاريخ البشارية ، وهم يعتبرون أنفسهم من سلالة العرب ويربطون نسبهم برجل اسمه بشار . وليسوا كلهم من أصل عربى ، كما أنه يجب علينا أن نذكر أن قبيلة ربيعة بدأت تختلط بالبجة فى القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) . وأن رجلا اسمه بشر بن مروان ابن إسحاق بن ربيعة صاحب إقليم المناجم قدم فى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) إلى هذا الموضع ومعه ثلاثون ألف رجل من البجة ، أو الحدارب على وجه التدقيق . ولا يزالون يحتفظون بهذا الاسم إلى اليوم ويعتبرون فى بعض الأحيان فرعاً من البشارية .

ولا نعرف على وجه التحقيق كيف أطلق عليهم اسم البشارين . ويعتبر الهدندوة من البشارية أحياناً كما يعتبر الحدارب الذين يقطنون جنوبى سواكن من البشارية أحياناً أخرى ، مع أنهم قبيلة مستقلة من قبائل البجة . وينتج عن هذا أننا لا نستطيع تحديد موطنهم تحديداً دقيقاً . فهم يقطنون بوجه عام جنوبى العبابدة . ويقال إن البشارية يسكنون الأراضى المجاورة للقصير على البحر الأحمر ، كما أننا نجدهم كذلك عند أسوان (Baedeker : *Aegypten* ، ص ٣٣٥) . وهم ينتشرون جنوبا إلى ما يلى عطبرة . ويقدر هارتمان (*Zeitschrift fur Ethnologie* ، ج ١١ ، ص ١٩٧ ، سنة ١٨٧٩ م) عددهم بما يتراوح بين ٥٠,٠٠٠ و ٦٠,٠٠٠ نسمة . أما غيره فيقدر عددهم بأكثر من هذا .

وهم من الوجهة الجسمانية يوصفون بأنهم يشبهون العبابدة ، فرءوسهم مستطيلة . وجبهتهم بارزة . وتقاطيعهم مقبولة ، وعارضهم أوروبى على وجه التقريب . وأجسامهم قوية البناء مفتولة العضل ، وبشرتهم بين السمرة الداكنة والسمرة المائلة إلى الاحمرار (Schweinfurth فى *Petermann's Mitteilungen* ، سنة ١٨٦٥ م ، ص ٣٣٨) . كما أنهم يوصفون بخلال سيئة ، فهم لا يكرمون الضيف ، أشرار ، فيهم غدر وفضول ، جشعون إلى حد التسول والسرقة .

وحضارتهم بدائية . وهم قوم رحل يملكون عدداً كبيراً من الإبل والماعز والأغنام . متوحشون فيهم حذر . ويقطنون فى الغالب بعيداً عن الآبار والطرق ، بينما نجد العبابدة مسالمين وأقرب إلى الأمانة ، أدلاء فى القوافل . ويرتدى الرجال من البشارية قطعة من القماش تغطى أجسامهم من

الوسط إلى الركبة ، أما النساء فيسترن عوراتهن بحزام . وهم يعنون عناية فائقة بشعورهم يجعلون منها ذؤابة مدلاة من وسط الرأس بقطعة من الدهن بينما يجزون بقية شعورهم . ويقول هگلان Heuglin (*Petermann's Mitteilungen* ، سنة ١٨٦٠ ، ص ٣٣٥) إن أسلحتهم الرئيسية هي المزاريق الخفيفة ، والخناجر ذات الحدين بنوع خاص .

واعتنق جانب من البشارية (وخاصة الحدارب) الإسلام منذ سنة ٣٠٠ هـ ، ولكنه لم يعمل على تحضرهم ؛ ونستدل مما أوردته المصنفات العربية أنهم كانوا منذ ألف سنة أكثر تحضراً مما هم عليه اليـــوم .

المصادر :

انظر إلى جانب المصادر المذكورة في مادة « عبابدة » :

(١) H. Almakvist : *Die Bishari Sprache* ، أبسالا سنة ١٨٨١ — ١٨٨٥ م ، جـ ١ ، ص ٧ — ٨ ، وبها المصادر ؛ (٢) E. Chantre : *Les Bicharieh et les Ababdah* ، ليون سنة ١٩٠٠ م ؛ (٣) E. W. Budge : *The Egyptian Sudan* ، جـ ٢ ، ص ٤٣٥ .

[هارتمان R. Hartmann]

+ البشارين : قبيلة متبدية من البجة (انظر هذه المادة) تسكن المناطق الآتية : (١) عتباى أو المنحدرات الغربية لتلال البحر الأحمر بين خطى عرض ٢٣° و١٩° شمالا تقريباً . (٢) ضفاف عطبرا والأراضى المتاخمة لها بين خطى عرض ١٧° ، ١٦° شمالا تقريباً .

وتنقسم القبيلة إلى عشيرتين كبيرتين : (أ) أم على ، فى الشمال الشرقى لعتباى ؛ (ب) أم ناجى ، فى الجنوب الغربى لعتباى وعلى نهر عطبرا . وقالت الأنساب القبلية بوجود صلة بين البشارية وأولاد كاهل (الكواهلة) العرب الذين كانوا يعيشون فى القرن الرابع عشر بالقرب من عيذاب . وكان الموطن الأصلى للبشارين فى هذا الإقليم حول جبل ألبة ؛ والظاهر أنهم انتشروا فى القرن الخامس عشر حتى نفذوا إلى عتباى حالين محل البلّو، وقد يكون البلو هم الحدارب عند كتاب العرب فى القرون الوسطى ؛ وكان انتشارهم من بعد فى أراضى عطبرا الأكثر غنى ، وتحقق هذا الانتشار بقوة السلاح فى ظل حمد عمران ، والراجح أن ذلك كان ما بين سنتى ١٧٦٠ — ١٧٧٠ تقريباً .

وشن محمد على باشا غزواته على السودان فوقع بشارين عطبرا تحت سيطرة المصريين ، على حين ظل بشارين عتباى مستقلين فى الواقع . وزاد انتشار الأُمَرَّار فى ناحية أرياب فى مستهل القرن التاسع عشر من انفصال الجماعتين . ولم يكن لأى من الجماعتين شأن هام فى الحركة المهدية ، ولو أن عثمان دقنة كان له بعض السيطرة على بشارين عطبرا ؛ وظلت الجماعتان تعامل كل منهما معاملة مستقلة عن الأخرى فى ظل الوفاق بين مصر والسودان حتى جاءت سنة ١٩٢٨ فأقيم

ناظر واحد على القبيلة بأسرها ، أما التاريخ الحديث للبشارين فكان خالياً من الأحداث .

المصادر :

(١) G. E. R. Sander : *The Bisharin* في *Sudan Notes and Records* جـ ١٦/٢، سنة ١٩٣٣، ص ١١٩ — ١٤٩ ، الخرطوم . (٢) انظر مادة « بجه » .

[P. M. Holt هولت] خورشيد

« پشاور » : ناحية (تحصيل) ومدينة فى ولاية الهند التى على الحدود الشمالية الغربية ، وتمتد هذه الناحية بين خطى طول ٧١° ٢٥َ و ٧٢° ٤٧َ شرقاً وخطى عرض ٣٣° ٤٠َ و ٣٤° ٣١َ شمالا . ومساحتها ٢٦٣٧ ميلا مربعاً ، وعدد سكانها ٩٤٧,٣٢١ ، نسبة ٩٢٪ منهم مسلمون وفقاً لتعداد عام ١٩٣١ .

ويحد هذه الناحية من الشرق نهر السند الذى يفصل البنجاب عن هزارة ، ومن الجنوب الشرق سلسلة جبال نيلاب غاشة التى تعزلها عن ناحية كوهات ، وتحدها من الجوانب الأخرى نواح تقطنها بعض القبائل . أما من الجنوب فنجد قبيلتى حسن خيل والأفريدى وممر كوهات . وتجد فى الغرب آفريدى خيبر والملا كورى ، وتنتشر شمالا عن الشاطئ الآخر من نهر كابل إلى نهر سوات عشائر موهمند المختلفة ، والحد الشمالى لهذه الناحية يجاور أراضى العثمان خيل ويوسف زائى سوات ، وبونر ، وخدوخيل ، الگادوون ، والعثمان زائى . وتصل الممرات الجبلية — التى لها شأن فى تاريخ الأقاليم على الحدود — الناحية بالمناطق المحيطة التى تسكنها القبائل . وتؤدى ممرات مورا وشاكوت ومالاكند ، وهى فى الشمال الشرق ، إلى سوات ، ويربط ممر خيبر المشهور فى التاريخ ناحية پشاور بأفغانستان ، بينما يسير ممر كوهات إلى الجنوب مخترقاً شريطاً من أراضى القبائل إلى ناحية كوهات المجاورة . ويعرف هذا الشريط بشبه جزيرة جواكى .

وهناك ذكر لناحية پشاور فى المؤلفات السنسكريتية القديمة وفيما كتبه استرابون وأريان وبطلميوس . وقد كانت زمنا ما جزءا من مملكة قندهار البوذية القديمة ، تستدل على ذلك من أطلال الهياكل البوذية المتداعية المبعثرة فى الإقليم ما بين ممر خيبر ووادى سوات . وقد أزيل التراب فى هذه المنطقة فكشف عن نماذج حسنة للتماثيل اليونانية البوذية ، كما عثر على لوحة صخرية مكتوب عليها قانون أسوكا بالقرب من قرية شاه بازگره فى أراضى اليوسف زائى . ووجد كل من « فاهين » فى الأعوام الأولى من القرن الخامس الميلادى ، وهيون تسانغ فى القرن السابع الميلادى أن أهل البلاد كانوا على دين بوذا ، كما وجدت نقوش تدل على أن پوروشاپورا كانت حاضرة ممتلكات كنشكا ؛ ثم أعقبت هذا قرون لم نسمع فيها عن هذه الناحية خبراً . وجاء بعدها عصر الفتح الإسلامى ، إذ حدث بين القرنين الثالث عشر والسادس عشر الميلاديين

أن انتشرت قبائل البطحان من الأفغانية فى البلاد وفتحت ما نستطيع أن نسميه الآن على وجه التقريب الولاية الشمالية الغربية الحديثة التى على الحدود (T. C. Plowden : كليد أفغانى ، الفصول من ١ إلى ٥ ، وهو عبارة عن مختارات من فصول تاريخ مرصع).

وفى رواية أهل البلاد أن فرعين كبيرين من قبائل البطحان هما الخاخانى والغورية خيل قد هاجرا حوالى نهاية القرن الخامس عشر من أوطانهم فى الأقاليم الجبلية حول كابل إلى وادى جلال آباد ومنحدرات جبل سفيد — وكانت أهم عشائر الخاخانى هى اليوسفزائى والگوگيانى والترْكلانْرى كما كانت الغورية خيل تنقسم خمس قبائل هى : الموهمندية والخليلية والداوُدزائية والچمكنية والزرانية . وتقدم اليوسف زائية إلى ناحية پشاور الحديثة وطردوا أهلها المعروفين بالدلازاكيةوغزوا الإقليم الذى إلى شمال كابل، إلى غرب هوتى‌مردان : وما إن أشرفت السنون الأولى من القرن السادس عشر الميلادى حتّى كان الغورية خيل قد وصلوا بدورهم إلى منطقة خيبر . وسلبت تلك القبائل القوية السكان الأصليين ممتلكاتهم وأجلت بعضهم إلى قوهستان سوات وأجبرت الدلازاكية على عبور نهر السند . وبعد ذلك حاول الغورية خيل أن يجلوا الفرع الخاخانى ولكن اليوسف‌زائية هزموهم هزيمة منكرة .

ومنذ أن أصبحت ناحية پشاور الحديثة تقع على طريق الجيوش المغيرة من آسية الوسطى أضحى تاريخها يشبه إلى حد كبير تاريخ البنجاب ، وقد تبين أن بطحان هذا الجزء من الجنوب كانوا شوكة فى جنب أمراء الهند من المسلمين : ومع أنهم كانوا يدخلون فى نطاق الإمبراطورية المغلية بالاسم إلا أنهم لم يخضعوا تمام الخضوع ، بل إن « أكبر » و « أورنگ زيب » قنعا بتأمين الطريق إلى كابل . وما إن اضمحلت قوة المغل حتّى أصبحت هذه المنطقة جزءا من إمبراطورية درّانى التى أسسها أحمد شاه أبدالى : ودب الانحلال فى أوصال الدولة فى عهد خلفاء أحمد شاه الضعفاء ، حتّى استولى سيخ البنجاب على پشاور فى بداية القرن التاسع عشر . وكان حكمهم متراخياً فرزحت پشاور تحت يد القائد الإيطالى الباطشة أفيتابله Avitable . ولما ضمت البنجاب عام ١٨٤٩م لبريطانيا استتب الأمر للإنكليز فى وادى پشاور وأضحى جزءا لا ينفصل عن البنجاب إلى أن تكونت الولاية الشمالية الغربية للحدود عام ١٩٠١م : وإنا لنجد بحثاً مسهباً عن الإدارة الإنجليزية وعن الحملات المختلفة التى أنفذت على القبائل التى تعيش على الحدود فى كتاب : (C. Collin Davies : *The Problem of the North - West Frontier*) وأصبحت هذه المنطقة فى السنوات الحديثة ميداناً لنشاط عبد الغفار خان مؤسس حركة القميص الأحمر . وقد عكرت هذه الحركة صفو السلام فى وادى پشاور على الرغم من أنها كانت تقوم فى جوهرها على عقيدة غاندى التى لا تؤمن بالعنف .

وبلغ عدد سكان مدينة پشاور حاضرة الولاية الشمالية الغربية للحدود ٨٧,٤٤٠ نسمة وهى بالقرب

من الضفة اليسرى لنهر باره ، وعلى مسيرة ثلاثة عشر ميلا شرق ممر خيبر : وزادت أهميتها بصفتها مركزاً تجاريا على الطريق بين الهند وأفغانستان منذ أن أنشئ خط خيبر الحديدى عام ١٩٢٥م.وللمدينة ستة عشر بابا توصد كل ليلة وتفتح قبل شروق الشمس : وأغنى أجزائها « أندرشهر » وفيها يسكن السراة من الهندوس . وفى هذا الحى المشهور بمناراته المرتفعة من المرمر الأبيض مسجد مهابت خان الذى كان حاكما فى عهد شاه جهان . ويشرف على المدينة من شمالها الغربى قلعة تعرف بـ « بالاحصار » . أما « شاهى باغ » بما فيها من أراض واسعة كثيرة الظلال فانها مأوى الأهالى المحبوب أيام الربيع . وقد ذاعت شهرة « قصه خوانى » أى سوق القصاص فى طول الحدود وعرضها وما وراءها .

ويوجد على مسيرة ميلين غربى المدينةإقطاعات سكانها ٣٤,٢٤٦ نسمة ، وهى أهم المحطات العسكرية فى الولاية ، وعلى بعد ما يقرب من ثلاثة أميال غربى هذه الإقطاعيات كلية إسلامية شهيرة تفتح أبوابها للطلاب من جميع المذاهب والأديان بالرغم من أنها كلية إسلامية فى الصميم .

المصادر :

(١) C. Collin Davies : *The Problem of the North — West Frontier* ، عام ١٩٣٢ (٢) المؤلف نفسه : *British Relations with the Afridis of the Khyber and Tirah* فى *Army Quarterly* عدد يناير سنة١٩٣٢ ، (٣) M. Foucher : *Notes sur la geographie ancienne du Gandhara* ، سنة ١٩٠٢ (٤) *Frontier and Overseas Expeditions from India* ، جـ١ ، سنة ١٩٠٧ والملحق رقم ا ، عام ١٩١٠ (٥) *Imperial Gazetteer of India* ، انظر پشاور (٦) H. R. James : *Report on the Settlement of the Peshawar District* ، عام ١٧٦٥ (٧) *North West Frontier Province Administration Reports* ، وهى تقارير سنوية (٨) W. H. Paget et A. H. Mason : *Record of Expedpitions against the N.W.F.Tribes since the annexation of the Punjab* عام ١٨٨٥ (٩) *Panjab Administration Reports* ، وهى تقارير سنوية (١٠) *Peshawar District Gazetteer* ، جـ ١ عام ١٩٣٣ (١١) T.G.Plowden : *Kalid-i Afghani* ، عام ١٨٧٥ (١٢) H. Priestly : *Hayat-i Afghani* عام ١٨٧٤ .

[C. Collin Davies ديفز]

«بش پارماق » : ومعناها الأصابع الخمس ، وهى تطلق على نبات العرفج . وترد هذه الكلمة مركبة مع كلمة داغ وتطلق فى هذه الحالة على كثير من الجبال ، وأشهر الجبال المعروفة باسم بش پارماق داغ هى السلسلة الموجودة فى كاريا Caria القديمة على الضفة اليسرى لنهر مندريس *Meandre* وكانت تسمى فى العهود الغابرة لاتموس Latmos .

وقد سميت هذه الجبال بهذا الاسم لأن أعلى قممها عبارة عن خمس قنن وعرة يبلغ ارتفاعها خمسة آلاف قدم تقريباً .

[F. Giese گيس]

« پشتو » : (انظر مادة « أفغانستان ») :

« البشر » : جبل بالشام ذاع اسمه لأنه أطلق على يوم من أيام العرب ، والراجح أنه الجبل المعروف الآن بجبل بِشْرى . وهذا الجبل يمتد ناحية الشمال الشرقى من تدمر إلى الفرات . ورسم كيبرت R. Kiepret فى مصوره الجغرافى مكاناً يعرف باسم الرَّحوب فى وسط جبل بشر . ومما يجعلنا نقول بأن البشر هو عين جبل بشرى ، أن اسم الرحوب يطلق أيضا على يوم البشر . وهنالك جسور مرفوعة لنقل المياه من هذا الجبل إلى أوريزة Oriza . ويذكر الأخطل فى شعره أن البشر فى الطرف الأقصى ناحية الغرب من أرض بنى تغلب : ويروى أن خالد بن الوليد باغت بنى تغلب بالبشر فى مسيره من العراق إلى الشام . وإذا كان الأخطل من أهل الشام ، وهو أمر قد لا يرقى إليه الشك ، فان موطنه يكون فى إقليم البشر : وفيه داهمته الوقعة الأخيرة من تلك الحرب الطويلة العنيفة بين قيس وتغلب وهى التى تعرف بـ « يوم البشر » . واتفق أن كان الأخطل بحضرة عبد الملك بن مروان فأخذ يسرف فى الفخر بقبيلته على حساب بنى قيس وعرّض بالجحّاف ابن حُكَيْم وهو من وجوه بنى سليم شجاع سريع الغضب ، ولم يكن الأخطل حصيفاً فى تحديه لأن الجحّاف على الرغم من أنه كان قد ورط فى النزاع بين قيس وتغلب فى بدايته إلا أنه فيما يبدو ظل محايداً أول الأمر ، لكنه أقسم أن يثأر لنفسه بعد أن عرّض به الأخطل ، فخرج فى ألف من بنى قيس تحت جنح الليل وباغت بنى تغلب فى عسكرهم بالبشر ، فقتل رجالهم وبقر بطون الحبالى من نسائهم . وقُتل فى هذه الوقعة ابن للأخطل يدعى أبا غياث . ولم ينقذ الأخطل إلا حضور بديهته إذ تخفى فى زى عبد وبذلك خلى سبيله ، وأسرع بالذهاب من البشر إلى دمشق مطالباً بالثأر فاضطر الجحاف إلى الالتجاء لأرض الروم ، ولكنه عاد بعد أعوام واعداً أن يدفع الدية .

المصادر :

(١) ديوان الأخطل ، ١٠ — ١١ ، ٢٨٦ (٢) الأغانى ، جـ ١١ ، ص ٥٩ — ٦٠ (٣) البلاذرى ، طبعة أهلورات ، ص ٢٨٣ (٤) ياقوت ، جـ ١ ، ص ٦٣١ (٥) الطبرى ، جـ ١ ، ص ٢٠٦٨ ، ٢٠٧٢ — ٢٠٧٣ (٦) جرير ، النقائض ، طبعة Bevan ، ص ٤٠١ — ٤٠٢ ، ٥٠٧ ، ٥٠٨ (٧) H. Lammens : *Le Chantre des Omiades* ، ص ١٤٠ — ١٤٣ (٨) Barth فى *Wiener Zeitschr. f. Kunde des Morgenl.* سنة ١٩٠١م ، ص ٨ .

[لامنس H. Lammens]

« بِشْر » بن أبى خازم أو بشر بن أبى حازم : شاعر جاهلى من قبيلة أسد بن خُزَيْمة (الكامل ، طبعة Wright ، ص ٤٢ ، س ٩ ؛ ص ١٣٣ ، س ٧ ؛ ابن قتيبة : طبقات الشعراء ، طبعة ده غويه ، ص ١٤٥ وما بعدها) ؛ وبشر هذا هو الذى أنبأ حرب بن أمية ومن اجتمع معه من رؤساء قريش فى سوق عكاظ أن البراص حليف حرب قتل عروة

الرحّال من هوازن ، واستطاعوا بذلك استرداد سلاحهم من جشم بن جذعان والرحيل عن عكاظ قبل أن تباغتهم هوازن فى يوم الفجار الثانى الذى استمر من عام ٥٨٥ إلى عام ٥٨٩م ، وكان بشر حسن الصلة بحاتم الطائى ؛ وقد حدث مرة أن ركب النابغة الذبيانى وعبيد بن الأبرص الأسدى وبشر ابن أبى خازم يريدون النعمان فى الحيرة فقابلوا بدوياً يرعى الإبل وطلبوا إليه أن يستضيفهم، وكان ذلك البدوى حاتم الطائى ، فنحر لكل منهم ناقة لأنه رآهم من قبائل مختلفة ، وأراد أن تسمع كل قبيلة بكرمه . ونستدل من حديث بشر مع حاتم أنه لم يكن من أسد وإنما كان من قريش ، ولما حكم النابغة بتفوق أوس بن حارثة على حاتم ، وكلاهما من طيئ ، هجا بشر أوساً بقصائد حتى إذا أسره نفر من الطائيين تجاه أوس منهم لمدحه بقصائد محا بها السالفة .

ولم يبرأ شعر بشر من العيوب ، فقد ذكر أن بشراً والنابغة هما أول شاعرين من شعراء الطبقة الأولى وقعا فى الإقواء ، ولكنهما لما نبها إلى ذلك لم يعودا إليه ، ويقال أيضا إن بشرا لم يكن صادق الوصف دائما ، مثال ذلك أنه ذكر للجواد أبهرين(١) (ابن قتيبة ، ص ١٤٦) ويستشهد بشعره فى غرابة استعمال الألفاظ (الحماسة ، ص ٢٤٧) . وقد مدح الحارث بن حجر بعدة قصائد من شعره (كتاب الأغانى ، جـ ١٥ ، ص ٨٧) .

(١) هو الشريان الاورطى ، وللجواد أبهر واحد لا ابهران
اللجنة

واشترك بشر فى الحرب التى نشبت بين أسد وطيئ ، وشهد وابنه نوفل تهادن الفريقين ؛ وذكر فى شعره يوم النسار الذى ألحقت فيه أسد وذبيان الهزيمة بجشم بن معاوية .

ويسلك شعره فى المفضليات كما يذكر فى جمهرة العرب ، وفيه آراء فذة وأوصاف غريبة نجد مصداقها فى ميميته .

وقتل بشر فى غارته على بنى وائل إذ رماه واحد منهم بسهم فى صدره فسقط عن جواده . وفيما هو ملقى على الأرض أنشأ عدة أبيات ينعى نفسه فيها لابنته .

المصادر :

تذكر إلى جانب المراجع المذكورة فى صلب المادة .

(١) C. Freytag : *Arabum Proverbia* (٢)
Caussin de Perceval : *Essai* جـ ٢ ص ٥١٠ .
[T. H. Weir قاير]

«بشر» بن البراء : صحابى اشترك وأبوه البراء ابن معرور فى بيعة العقبة الثانية . واشتهر بالرماية وشهد بدراً وأحداً والخندق والحديبية وخيبر ؛ ولما تمت غزوة خيبر عام ٧ هـ (٦٢٨م) دست امرأة يهودية تدعى زينب بنت الحارث السم لبشر لأنها فقدت فى الحرب جميع أقاربها من الرجال فأرادت أن تنتقم لهم ، فذبحت شاة وقدمتها للنبى بعد أن

دست السم فيها ، وقبل النبي هديتها وأشرك معه فى الطعام جماعة من أصحابه بينهم بشر بن البراء ؛ وأدرك النبي عند الأكل ماذا أريد بهذه الشاة فلفظ السم ، ولم يفعل بشر ذلك لمخافاته للذوق فى حضرة النبي وابتلع نصيبه من اللحم المسموم ؛ وتقول بعض الروايات أنه مات لتوه ، بينما تقول روايات أخرى إنه لم يمت إلا بعد ذلك الحادث بعام .

المصادر :

(١) ابن سعد ، جـ ٣ القسم الثانى ، ص ١١١ وما بعدها (٢) ابن هشام : طبعة فستنفلد ، ص ٣٠٩، ٧٦٤ (٣) الطبرى : جـ ١ ، ص ١٥٨٣ وما بعدها (٤) ابن الأثير : طبعة تورنبرج ، جـ ٢ ، ص ١٧٠ (٤) أسد الغابة ، جـ ١ ، ص ١٨٣ وما بعدها (٤) Caetani : *Annali dell' Islam* ، انظر الفهرس .

[تسترشتين K. V. Zettersteen]

« البُشرات » : المرجح أن الاسم Albujarras ألبوجراس — مشتق من البشرات العربية (وقد رسمها الإدريسى فى نزهته : البشارات) (١) ومعناها المراعى الخصيبة من الأعشاب : وفى لغة الأسبان Sierras de yerbay de pastos ، وتطلق فى الموضوع على الأحواز الجبلية التى يسايرها فى الجنوب جبل سيرا نيفادا (٢) حتى البحر المتوسط فيما بين بلدتى مطريل وعذره (٣) فالمرية ، غير أن ما يسمى على الأخص بالبشرات إنما هو الأودية والفجاج الكثيرة الخصبة التى يتلاقى بعضها ببعض فى تلك البقعة ، نذكر منها پادول Padul ووادى بزنار Béznar ووادى لنيارون Lanjaron ووادى أرجيڤا Orgiva ووادى قاديار Cadiar ووادى أجيار Ugíyar ووادى القليعة Alcoléa ووادى لانيار Lanjar ووادى كانيايار Canjayar ووادى رجل Ragol ووادى گادور Gador — وقد اشتهر سكان القرى المنتشرة فى تلك الأودية المتقاطعة فى كل اتجاه بالميل إلى الفتنة والعصيان ؛ وكانوا فى عهد قيام الدولة العربية بالأندلس كثيراً ما ينزعون إليهما ، وبلغ من هذا الميل أن حفل تاريخهم حتى بعد سنة ١٤٩١ بذكر حركاتهم الثورية وبخاصة منها تلك الثورة التى شب ضرامها بين سنتى ١٥٦٨ و ١٥٧٠ بقيادة اثنين من ملوكهم وهما ابن أمية Aben Humeya وعبد الله بن آبو ، واطفأ جذوتها المركيز مونديار Moudéjar ودون جوان دوتريش Don Juan d'Autriche فى دماء أولئك القوم عندما نكلا بهم ذبحا وتقتيلا (٤) .

تعليق على مادة « البشرات »

(١) لم يبين مؤلف المادة — بعد إذ أشار إلى ورود كلمة البشارات فى نزهة المشتاق بألف بعد الشين — خطأ هذا الرسم لأنه عنى فى بحثه بالموضوع دون اللغة ، لذا نقول إن البشارات خطأ صوابه البشرات ، إذ الأولى جمع بشارة وهى النبأ السار ، والثانية جمع بشرة وهى الأرض الخصيبة ذات المراعى والعشب ، وهذا هو معنى الجملة الأسبانية التى أوردها ذلك المؤلف للتعريف بالبشرة ، وبلد

جاء ذكر البشرة على وجهها الصحيح فى كتاب نفح الطيب عند كلامه على البشرات إذ قال « ومنها بشرة غرناطة» :: التى كان فيها شجرة من عجائب الدنيا وهى شجرة قسطل (أبو فروة) كان فى جوفها حائك ينسج الثياب » وقال : « إن الألنجوج — وهو عود الطيب — يوجد بناحية من هذه البشرات يسمى دلاية (Dalias) وهو يفوق العود الهندى رائحة » ؛ وقد زعم بعض المحققين الإفرنج أن البشرات أو منطوقها الإفرنجى وهو البوجرّاس Albujarras مأخوذ من البجّس (بضم ففتح) أو من البشّش (بضم ففتح أيضا) Albujas مؤيدين زعمهم بأن هذه الكلمة أو تلك لقب لزعيم من العرب اسمه إبراهيم كان أول من هبط تلك البقعة . وفى هذا التخريج من التعسف مالا يخفى ، فإنما أطلقت البشرات عليها لخصبها وانتشار مراعيها . وهو إطلاق قد أصاب شاكلة الصواب اللغوى . فقد جاء فى تاج العروس أن البشرة هى البقل والعشب » وفى الفيروزآبادى أبشرت الأرض أخرجت بشرتها أى ما ظهر من نباتها ، وفى أساس البلاغة ما أحسن بشرة الأرض أى ما أحسن ما يخرج نباتها . والواقع أن إقليم البشرات قد امتاز على الأقاليم الأندلسية بأشجاره الباسقة ونباتاته المثمرة وبخاصة منها الزيتون واللوز والأترج المعروف بالتفاح الماهى .

هذا وكان إقليم البشرات فى أيام العرب زاهراً بالحضارة والعمران إذ تجاوز عدد قراه ٦٠ قرية . أما الآن فقد انحط هذا العدد إلى ٥٠ فحسب . ومن أشهر أمصاره مدينة جيان Jaen التى نبغ فيها ابن مالك صاحب الألفية المعروفة فى علم النحو .

(٢) أسمى العرب سلسلة الجبال المسماة فى جغرافية أسبانية بـ Sierra Nevada جبل الثلج أى بمدلول اسمه الأسبانى . وأسموه أيضاً جبل شلير بضم الشين وفتح اللام وسكون الياء ، كما فى معجم ياقوت الذى قال فى التعريف به : « إنه جبل بالأندلس من أعمال إلبيرة (Elvira) لايفارقه الثلج شتاء ولا صيفا » . وتسميتهم إياه كذلك هى لأنهم أخذوه عن أصله اللاطينى القديم وهو Mons Solorius أى جبال شلوريوس .

وجبل الثلج أو جبل شلير من أعلى جبال أشبانية ، إذ يزيد ارتفاعه بقدر ١٥٢ متراً على أعلى قمم جبال البرانس أو البرتات (بتاءين) . ولعلوه السامق يراه الرائى من ثغر وهران بالجزائر كأنه ضباب يكلل الأفق . وتمتد سلسلة جبال الثلج بطول ١٥٠ كيلو متراً من إقليم غرناطة إلى إقليم المرية Alméria . ومن « ثلوجه الهاطلة » — وهذا هو المعنى الدقيق لكلمة Nevada فى الأشبانية — تتولد مياه نهر شنيل الذى يسميه الفرنسيون Génil والأشبانيون Xenil . والاسم فى الحالتين عربى الأصل يتألف من حرف (ش) وكلمة (نيل) ومعناهما (ألف نيل) ، لأن الشين بحساب الجمّل كان يعدل عند الأندلسيين وأهل المغرب الأقصى رقم (١٠٠٠) . فيكون المراد من شنيل أن نهر غرناطة الذى أسمى به يعدل (ألف نيل) كنيل مصر .

وأعلى قمم جبال شلير القمة المعروفة باسم Cerro Mola Hacen أى قمة مولاى حسن الذى دالت دولة العرب نهائياً بالأندلس فى عهد ابنه أبى عبد الله آخر ملوك بنى الأحمر الذى يسميه الإفرنج Boabdil .

(٣) ذهب المترجمون فى أيامنا إلى تعريب Adra أحد الثغور الكثيرة المتعاقبة على ساحل جنوب الأندلس بعضهم إلى «أدرا» طبقا لمنطوقه الإفرنجى ، وبعضهم إلى «عذراء» ظنا منهم أن هذه الكلمة هى أصلها العربى . وهؤلاء يجهلون بلا شك أن أكبر معجم فرنسى وهو المعلمة الفرنسية الكبرى La Grande Encyclopédie francaise ، قد سبقتهم إلى هذا الخطأ فى التعريف بكلمة Adra ، إذ قالت إنها عربية الأصل وإن معناها هو الأرض البكر (العذراء) معللة ذلك بأن العرب كانوا أول من وطئ ثراها إلخ . وهذا التخريج لايطابق الصواب فى نظرى لأسباب منها : أن مدينة Adra عريقة فى القدم ، إذ أسسها القرطاجيون ووسع الرومان من بعدهم نطاقها ، وكان هؤلاء يسمونها Abderi ويصكون نقودهم بهذا الاسم ويكتبونه فى شاراتهم ورنوكهم . فلما استولى العرب عليها حذفوا الباء للتخفيف وفتحوا الراء بعد كسرها فصار اسمها Adera وتحول حرف A الأول إلى حرف (ع) العربى فأصبح (عدرا) أو (عدرة) . ولكن الإدريسى فى نزهته جعل الدال فى هذه الكلمة ذالا فصارت عذرة بفتح العين فى قوله : « عذرة مدينة صغيرة لا سوق لها وبها الحمام والفندق» إلخ . وعذْرَة بهذا الاسم والضبط كلمة لا معنى لها بل لا وجود فى اللغة العربية على خلاف (عَدْرَة) بالدال فإن معناها الأرض الممطورة أى التى يقع عليها المطر الغزير ، ومن حسن الاتفاق أن الأرباض حول عدرة تتلقى نصيبا من الأمطار التى تبث فيها الخصب وخواص النماء . فمن الحق أن تكون هذه الكلمة اسمها الصحيح لتوفر أسباب المطابقة بين الاسم ومسماه مبنى ومعنى .

(٤) المعروف أن دولة العرب فى أشبانيا دالت فى سنة ١٤٩١ (٨٩٧ هجرية) وحلت محلها دولة المسيحية ، ولكن ما يسميه المسيحيون بطرد العرب من الأندلس لم يمنع من استقرار الكثيرين من هؤلاء فيها وبخاصة فى جنوبها حيث أودية البشرات وجبالها التى عرف عن أهلها من قديم الزمان حب النزوع إلى الاستقلال . وقد عاشوا نحو مائة عام وهم فى ذمة الحكومات المسيحية دون أن يكفوا عن مصارعتها والتمرد عليها ، وفى سنة ١٥٧٠ (٩٧٨ هجرية) ضيقت الحكومات الخناق عليهم وأرادت الفتك بهم فقاموا قومة رجل واحد بزعامة رجل أسماه المؤرخون الأسبان Aben Humeya . ويقول المؤرخون الأسبان أن الصلة بين أولئك القوم وبين الشعوب الإسلامية الأخرى كانت قد انقطعت تماماً منذ سنة ١٤٩١ ولم يوجد من بينهم من ألف فى تاريخ حوادثهم والنكبات التى حلت بهم كتابا نعرف منه أسماء زعمائهم ، ومن ذلك الزعيم الذى لك أن تسميه تجاه هذا النقص وعلى أقرب الفروض بابن أمية . وقد قام من بعد ابن أمية هذا زعيم آخر جاء عنه فى

أسفار التاريخ الأسبانية أن اسمه عبد الله بن أبو Abdalla Abén Abo : ولست أدرى مبلغ رسم هذا الاسم من الصحة لمثل السبب المتقدم : ولكن المعروف من حوادثه فى تلك الأسفار أن الثوار البشراتيين نادوا به ملكا عليهم فعظم أمره وكاد يتغلب على الأسبان لولا أن كلمة قومه تفرقت وأن وحدتهم بدسائس العدو تمزقت . ومما ذكرته تلك الأسفار عنه أنه استولى على دير للأوغستان Augustins وألقى رهبانه فى الزيت المغلى وأن الأسبان انتقموا من المسلمين بإعمالهم بالسيف على رقاب ألف امرأة عربية وثلثمائة رجل عربى . وهذه الفتنة هى التى قال كاتب المادة أن الأميرين المسيحيين اللذين ذكر اسميهما أطفآها فى دماء العرب الذين لم تقم لهم فى أسبانيا قائمة بعد ذلك .

محمد مسعود

+ « بِشْر الحافى » (انظر مادة : الحافى ، بشر ») .

« بِشَرّى » : وتنطق الآن « بِشِرّه » من أقدم القرى فى شمالى لبنان ، وتعرف ناحية بشرى عادة فى مصنفات جغرافيى العرب باسم جُبّة بشرّيّة أو أو بشَرّى ، واحتفظت باسمها هذا إلى اليوم .

وكانت هذه الناحية تابعة فى عهد المماليك لنيابة طرابلس وكان يحكمها مقدمون من النصارى ، وتنمو بالقرب من بشرّى أشجار الأرز المشهورة التى لم يذكرها واحد من كتاب المسلمين . ومدينة بشرّى ذات سوق كبيرة ، وعدد سكانها ٣,٠٠٠ نسمة ، وكانت تابعة لقائمقامية بترون ، والناحية بأسرها مارونية .

المصادر :

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ، مخطوط بجامعة بيروت [طبعة دار الكتب المصرية] ج ٢ ، رقم ١١٧٧ (٢) الكاتب نفسه : ضوء الصبح ، القاهرة سنة ١٣٢٤هـ ، ص ٣٠٤ (٣) العمرى : التعريف بالمصطلح الشريف ، القاهرة سنة ١٣١٢هـ ، ص ١٨٢ (٤) الدمشقى : طبعة مهرن Mehren ، ص ٢٠٨ (٥) دليل لبنان ، بعبدا سنة ١٩٠٦م ، ص ٦٨٧ (٦) Ritter : *Erdkunde* ، ج ١٧ ، ص ٦٥٩ (٧) H. Lammens : *Le Liban*; *Notes Archéologiques etc.* ، ج ١ ، ص ١٢٧ وما بعدها .

[لامنس H. Lammens]

+ والبليدة اليوم يسكنها ٤,٠٠٠ مارونى تنتشر منازلهم فوق جبل صخر تزرع عليه الكروم وأشجار التوت فى مدرجات . وإلى الشمال من بشرى بقليل لمة من الشجر ، هى بقية من أشجار الأرز التى اشتهرت بها لبنان والتى وكلت العناية بها منذ سنة ١٨٤٣ إلى البطرك المارونى .

المصادر :

(١) ا. جعجع : بشرّى مدينة المقدّمين فى مجلة المشرق ، سنة ١٩٣٢ ، ص ٤٦٤ ، ٥٣٨ . (٢) S. Le Strange : *Palestine under the Moslems* ، ص ٦٨٥ ، ٧٧٩ (٣) H. Lammens ، ص ٣٥٢ .

La Syrie ، ج ٢ ، ص ٣٨ (٤) R. Dussaud : Topographie Historique de La Syrie ، ص٣٢ ، ٣٩٧ (٥) Adel Ismail : Histoire [illegible] Liban du XVIIIe siècle à nos Jours ، ص [illegible] ، ١٣٣ .

خورشيد [N. Elisseeff الِيسيف]

« بشر » بن غياث بن أبي كريمة أبو عبد الرحمن المريسي مولى زيد بن الخطاب : من أئمة المرجئة في عصره ، وقد كان أبوه يهودياً يسكن بغداد ، وتفقه بشر بالقاضي أبي يوسف حتى برع في علوم كثيرة ثم اشتغل بعلم الكلام والقول بخلق القرآن ، فاضطهد من أجل ذلك . وكان تقياً زاهداً إلا أن مجاهرته بأنظاره في علم الكلام ، وهو علم كان المسلمون يرتابون فيه ، نفّرت منه خيارهم وقال فيه أبو زرعة الرازي : بشر بن غياث زنديق . وتوفي بشر سنة ٢١٨هـ (٨٣٣م) .

ولم يستطع المعتزلة أن يجهروا بالقول بخلق القرآن إلا أيام الرشيد، وكانوا قبل ذلك يستسرونه، فلما ترامت الأخبار إلى الرشيد بأن بشراً المريسي يقول بخلق القرآن حلف بالله لو وقع في يده ليقتلنه قتلة لم يقتلها أحداً من قبله ، فاختفى بشر أيام الرشيد ، أي زهاء عشرين عاماً ، وظل كذلك في عهد الأمين بعد وفاة الرشيد ، حتى إذا ولى المأمون الخلافة وجد المعتزلة أنصاراً بين رجال الدولة .

ويقول الشهرستاني إن بشر بن غياث وحسين النجار متقاربان في المذهب ، وهما على خلاف عامة المعتزلة ، قالا بأن الله تعالى مريد لكل ما سيحدث من خير وشر وإيمان وكفر .

ويرى بشر أن أصحاب الكبائر غير مخلدين في النار لأن التخليد فيها محال وليس بعدل ، وقال إن الإيمان هو التصديق بالقلب واللسان جميعاً ، وإن السجود للصنم ليس بكفر في نفسه ولكنه علامة الكفر .

وكان بشر على مذهب أبي حنيفة ومن أصحاب الرأي .

المصادر :

(١) الشهرستاني طبعة Cureton ، ص ٦٣ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٦١ (٢) أبو المحاسن ، طبعة جوينبول ، ج ١ ، ص ٦٤٧ والتعليق (٣) ابن خلكان (٤) M. Th. Houtsma : De Strijd [illegible] het Dogma ، ص٧٩ (٥) W. Patton : Ahmed ibn Hanbal and the Mihna ، ص ٤٨ .

[كارا ده فو Carra de Vaux]

« بشر » بن مروان بن الحكم : هو ثالث أبناء الخليفة مروان من امرأة بدوية من بني كلاب ، ورث عنها ابنها بشر اعتزازه ببني قيس . تركه مروان في رعاية أخيه الأكبر عبد العزيز ، ولكنه انتقل إلى كنف عبد الملك عند استخلافه . وقد حمل في حداثته اللواء يوم مرج راهط ، ولما توفي مصعب ابن الزبير استعمله عبد الملك على الكوفة .

وكان بشر محباً للفنون ملمنا على الشراب قرب الشعراء والمغنين وغشاه الآبقون لصلبه إياهم . وقد

أطنب الشعراء فى مدحه لكرمه وبشاشته ، كما تغنى بمدحه مشاهير الشعراء فى هذا العصر من عصور النهضة الأدبية ، نذكر منهم الأُقَيْشر عبد الله بن الزبير وأيمن بن خرَيْم ثم الأخطل والفرزدق وجرير ، وأرسل إليه عبد الملك أحد وزرائه المخلصين روح ابن زنباع إلى جانب الفقيه المشهور رجاء بن حيْوَة ، ولكن بشراً لم يستمع لنصحهما طويلا وتخلص منهما . ولما صرف خالد بن أسيد عن منصبه ولى بشر على البصرة إلى جانب الكوفة مع ما كان عليه من ضعف الصحة وقتذاك . ولم يمض طويل وقت حتى ظهر الأزارقة فى الميدان ثانية ؛ وكان بشر يكره القائد الفذ المهلّب الذى أمر بالقضاء على فتنة الأزارقة ، وبلغ الأمر ببشر أن طلب إلى نائب المهلب إفساد خططه ، وهكذا عرقلت حركات المهلب فظل معسكراً قبالة العدو أسابيع عدة حتى مات بشر فجأة فى ميعة العمر (٧٤ — ٧٥هـ = ٦٩٤م) . وكان نبأ وفاته باعثا للجند على الانسحاب ، فأراد عبد الملك أن يصلح الموقف فاستعمل الحجاجَ المعروف بالقدرة والحزم على العراق بأسره .

المصادر :

(١) ابن سعد : طبقات ، جـ ٥ ، ص ٢٤ (٢) الأغانى ، جـ ١ ، ص ١٣١ ، ١٣٤ ؛ جـ ٧ ، ص ٥٢ ، ١٨٥ وما بعدها ؛ جـ ٧ ، ص ٤٢ — ٤٥ ؛ جـ ١٩ ، ص ٣٣ ؛ جـ ٢٠ ، ص ١٢٢ (٣) ديوان الأخطل ، ص ٤٠ وما بعدها ؛ ٦٣ وما بعدها ، ١٧٣ (٤) المسعودى : مروج الذهب ، جـ ٥ ، ص ٢٥٤ (٥) ابن قتيبة : عيون الأخبار ص ٢٠٧ (٦) الطبرى : جـ ٢ ، ص ٨٥٦ (٧) ابن عساكر ، مخطوط بدمشق ، جـ ٣ ، ص ١٧٦ — ١٨٠ (٨) H. Lammens : *Chantre des Omiades* ، ص ٤٦٥ (٧) ديوان الفرزدق ، طبعة Boucher ، ص ١١٨ ، ١٦٦ ، ١٨٥ ؛

[لامنس H. Lammens]

+ **بشر بن مروان** ، بن الحكم أبو مروان : أمير أموى وابن الخليفة مروان (انظر هذه المادة) من قتيبة بنت بشر (من بنى جعفر بن كلاب ومن ثم فهى قيسية) . وقد اشترك بشر فى وقعة مرج راهط سنة ٦٥هـ (٦٨٤م) وقتل فيها زعيما كلابيا . ولما ولى أبوه الخلافة تبعه وقت حملته على مصر ، ذلك أن المصادر تذكر لنا أنه عندما استرد مروان سنة ٦٥هـ (٦٨٤م) هذه الولاية من ابن الزبير (انظر هذه المادة) الذى كان قد استولى عليها فى شعبان سنة ٦٤هـ (مارس — أبريل سنة ٦٨٤) أقام ابنه عبد العزيز (انظر هذه المادة) ليؤم الناس فى الصلاة بهذه الولاية ويجمع خراجها وترك معه بشرا ليؤنسه وليعينه على نسيان فراقه عن أسرته ؛ وتغير قلبا الأخوين من بعد، وعاد بشر إلى الشام فيما يرجح . وعاد الإخباريون إلى ذكر اسم بشر فى حوادث عام ٧١هـ (٦٩٠ — ٦٩١م ؛ انظر الطبرى ، جـ ٢ ، ص ٨١٦) وهو العام الذى أقامه فيه الخليفة عبد الملك بن مروان واليا على الكوفة ؛ وإنما استقر بشر فيها سنة ٧٢هـ ، ولعل ذلك كان بعد نهاية الحملة على مصعب بن الزبير (انظر هذه المادة) التى اشترك بشر فيها (البلاذرى : أنساب الأشراف ، جـ ٥ ، ص ٣٣٥؛

٣٣٨) ، واتخذ من روح بن زنباع (انظر هذه المادة) ناصحا بل اتخذ موسى بن نصير الذى كان عبد الملك قد أشار على عبد العزيز به وهذا الغرض فى ذهنه (فى رواية «كتاب أحاديث الإمامة والسياسة» فى ملحق كتاب P. De Gayangos : *The History of Moh. Dynasties in Spain* ، لندن سنة ١٨٤٠ — ١٨٤٣ ، ص ٥٠ — ٧٠) وفى سنة ٧٣هـ (٦٩٢ — ٦٩٣م) أسند إليه الخليفة—علاوة على ولاية الكوفة—ولاية البصرة التى كان قد انتزعها بعد ذلك بأشهر قليلة من خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد لفشله فى قيادة الحرب مع الخوارج .

وفى نهاية السنة نفسها أو فى سنة ٧٤هـ انتقل بشر إلى هذه المدينة تاركا عمرو بن حُرَيْث المخزومى نائباً له فى ولاية الكوفة . وأنفذ بشر بوصفه واليا على الكوفة مجندين لإمداد الجيش الذى كان يقاتل الخوارج من قبل عبد الملك . ومع أن بشراً كان قد أقيم أميرا للجيش فإنه تلقى أمراً من عبد الملك مباشرة بأن يترك قيادة الجيش الذى كان يقاتل هذه الفرقة للمهلّب (انظر هذه المادة) وانصاع بشر للأمر حين بلغ البصرة بالرغم من معارضته الشديدة لما كان اعتزم ، ذلك أنه كان يرغب فى تعيين عمر بن عبيد الله بن معمر . وضاق صدر بشر لأن الخليفة لم يترك الأمر له (الطبرى ، جـ ٢ ، ص ٨٥٥ وما بعدها ... إلخ) فنصح قائد جند الكوفة بأن يقف فى طريق ما يدبره المهلب من قتال فأثار بذلك غضب المهلب (الطبرى ، جـ ٢ ، ص ٨٥٦) .

ولما وصل بشر إلى البصرة كان يعانى من علة خفية (البلاذرى ، جـ ٥ ، ص ١٧١ ، ١٧٩ ... إلخ) أو من عدوى (ابن كثير ، جـ ٩ ، ص ٧) ولم يلبث أن توفى متجاوزا الأربعين بسنوات قليلة ، ويقول ابن عساكر إن وفاته كانت سنة ٧٤ (٦٩٣ — ٦٩٤م) ويجعلها الواقدى — متبعا الطبرى ، جـ ٢ ، ص ٨٥٢ — سنة ٧٣ ؛ وهى سنة ٧٥ فى قول الذهبى : تاريخ ، مخطوط فى مكتبة بودليانا ، جـ ٢ ، ورقة ٢٥ ظهر ، واليافعى : مرآة الجنان ، مخطوط بباريس ، رقم ١٥٨٩ ، ورقة [redacted] ظهر) . ودفن فى البصرة ، ولكنه كان من المستحيل بعد ذلك بأيام قلائل التمييز بين قبره وقبر عبد أسود مات يوم وفاة بشر ، وهذا يدل على قلة الاهتمام بالقبور فى ذلك العهد . وكان ثمة بعض وجوه النقص فى جيش المهلب عندما جاء الخبر بوفاة بشر .

وكان بشر شاباً على جانب كبير من الوسامة ، وواليا يسهل الوصول إليه (انظر أبيات أيمن بن خُرَيم فى الأغانى ، جـ ٢١ ، ص ١٢) نزّاعا من كل قلبه إلى الرحمة . ومع ذلك فقد قتل رسل ابن الزبير الذى ظل ، حتى بعد مقتل مصعب ، مستمرا فى مؤامراته فى مدينة البصرة . ووجوه النقد الوحيدة التى وجهت إلى حكمه تتعلق ببعض البدع التى أدخلها على الشعائر (البلاذرى ، جـ ٥ ، ص ١٧٠ ... إلخ) وفشله فى توزيع الغذاء على الناس ، وما جرى عليه من أن يكل ذلك إلى حرسه وأفراد حاشيته (البلاذرى ، جـ ٥ ، ص ١٨٠) .

وقد جرى بشر على ما جرى عليه كثير من الأمويين ، فكان بشرب الخمر وبسكر ويحيا حياة المرح مع أصحابه (يذكر المسعودى : مروج الذهب ، جـ ٥ ، ص ٢٥٤ — ٢٥٨ ، الحيلة التى لجأ إليها أحد أصدقائه لتخلصه من محضر روح الذى مشوبه شيء من التزمت ، ومع ذلك فان التخلص من روح نفسره ابن قتيبةتفسيرا مخالفا لذلك فى كتابه عيون الأخبار ، طبعة بروكلمان ، ص ٢٠٧) . وكان بشر يحب سماع الموسيقى ونظم الشعر وكان الشعراء ىنعمون بعطفه وكرمه (انظر قصيدة طويلة فى مدحه ومرثيةله فى ديوانالفرزدق، طبعة Boucher ، باريس سنة ١٨٧٠ ، ص١٧٣ — ١٧٥ ، ١٧٧ ؛ الترجمة ص ٥٢١ — ٥٢٥ ، ٣٦١ ؛ طبعة Hell ، ميونخ سنة١٩٠٠،الفهرس؛ قصائد فىمدحه فى ديوان الأخطل، طبعة صالحانى، ص ٣٨ ، ٥٨ ، ٦٨ ، ١٢٠) .

وقد عاش شعراء آخرون فى ركابه أو وجهوا أشعارهم له وهم : جرير ،وكثير عزة ، ونُصَيب، وسرَاقة بن مرداس البارقى ، وأعشى بنى شيبان ، وأيمن بن خريم الأسدى ، والمتوكل الليبى ، وابن قيس الرقيات ، وابن الزبير ، والحكم بن عبدل ، والأقيشرالأسدى ، والعجاج ، وكعب الأشقرى، والراعى ، على أن زفر بن الحارث الذى أبَد مصعبا كتب قصائد فى هجائه .

المصادر ،

(١) أطول السير التى كتبت عنه : البلاذرى : الأنساب ، طبعة Goitein ، جـ ٥ ، ص ١٦٦ — ١٨٠ (انظر أيضا ، جـ ٥ ، ص ١٤٠ ، ١٦٤) (٢) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، مخطوط بمكتبة بودليانا ، فهرس مارش Marsh رقم ٢٨٩ ، ورقة رقم ١٦٧ وجه — ١٦٨ ظهر ؛ مخطوط بباريس رقم ٦١٣١ ، ورقة ٢٢٣ وجه — ٢٢٤ ظهر (٣) ابن كثير : البداية والنهاية ، القاهرة ، ١٣٥١هـ = ١٩٣٢ ... ، جـ ٩ ، ص ٧.

وانظر علاوة على المصادر المذكورة فى صلب المادة (٤) ابن سعد : الطبقات ، جـ ٥ ، ص ٢٤ ، ١١٥ (٥) الطبرى ، جـ ٢ ، ص ٨٢٥ ، ٨٢٨ ، ٨٥٣ ، ٨٥٥ ، ٨٥٧ ، ٨٧٣ (٦) الكندى: ولاة مصر وقضاتها ، طبعة غست Guest ، ص ٤٧ (٧) ابن عساكر : تاريخ دمشق ، باب ٧٣ (٨) ابن الأثير ، جـ ٤ ، ص ٢٧٠ ، ٢٨٠، ٢٨٣ ، ٢٩٥ ، ٢٩٧ (٩) ابن قتيبة : الشعر ، ص ٣٤٥ (١٠) المبرد : الكامل، طبعة Wright ، ص٦٦٢، ٦٦٣ ، ٦٦٤ ، ٦٦٦ (= ابن أبى الحديد : شرح نهج البلاغة ، جـ ١ ، ص ٣٩٥) (١١) المسعودى : مروج الذهب ، جـ ٥ ، ص ٢٠٨ (١٢) الأغانى ، الفهرس (١٣) ياقوت ، جـ ٢ ، ص ٦٤٧ ، ٧٣٨ والفهرس (١٤) Ahlwardt : *Sammlungen alter arab. Dichter*، برلينسنة١٩٠٢ — ١٩٠٣، جـ ٢، ص ٢٥ ، رقم ١٧ (١٥) Ch. Pellat : *Le milieu Basrien* ، باريس سنة ١٩٥٣ ، ص ١٥٦ ، ٢٤٧ ، ٢٧٠ ، ٢٧٨ (١٦) V. Riggitano : *Abd El- Aziz b. Marwan governatore umayyade* فى *d' Egitto Academia Nazionale dei Lincei, Rendiconti della Classe di scienze morale. Storische e*

Filologiche ، السلسلة الثالثة ، جـ ٨ ، جـ ٢ ، كراسة ٥ — ٦ ، سنة ١٩٤٧ ، ص ٣٢١ — ٣٤٧ :
خورشيد [ڤكيا ڤاگليرى T. Veccia Vaglieri]

« بشر » بن المعتمر : أحد علماء المعتزلة وشيخ من شيوخ مدرسة بغداد ، عاش فى خلافة الرشيد (المسعودى : مروج الذهب ، الترجمة الفرنسية ، جـ ٦ ، ص ٣٧٣) . وقد عدد الشهرستانى ست مسائل انفرد بها بشر عن أصحابه من علماء المعتزلة ، فهو أول من أثار مسألة التولّد وتعرف أيضا بالتوليد (التعريفات) وهو أن يحصل الفعل عن فاعله بتوسط فعل آخر كحركة المفتاح بحركة اليد . وأشار الشهرستانى إلى أن بعض الطبيعيين درسوا الأفعال المتولدة ، ولكن بشراً قد أخذ بهذا الرأى فى الأخلاق ، وأظهر أن الفاعل المتوسط قد يلطف الفعل ويقلل من تبعة الفاعل الأصلى ، وثارت مناظرات كثيرة حول هذه المسألة مذكورة فى كتاب المواقف (ص ١١٦ — ١٢٥) .

وتحدث بشر بن المعتمر أيضا عن الإرادة الإلهية فقال إنها صفة لذاته تعالى وصفة لفعله ، كما بحث مسائل هامة فى موضوع العدل الإلهى فتكلم عن العدل الإلهى بالنسبة للأطفال وعن لطفه تعالى بعباده الذين لم تبلغهم الرسالة ، كما تحدث عن التوبة والثواب : أما القول بأن الله قادر على تعذيب الطفل فقد ذهب بشر إلى أن فى هذا القول تناقضا لأنه لو فعل ذلك كان الطفل بالغا عاقلا عاصيا بمعصية ارتكبها مستحقاً للعقاب . وهو يعتقد أن الناس الذين لم يسمعوا بالرسالة يعلمون البارى بالنظر والاستدلال ، كما يذهب إلى أن هذه الدنيا ليست الأصلح ، وأنه لا يجب عليه تعالى رعاية الأصلح ، وإنما عليه أن يمكن العبد بالقدرة والاستطاعة ويزيح العلل بالدعوة والرسالة .

[كارا ده ڤو Carra de Vaux]

« بشر » بن الوليد بن عبد الملك : هو ابن الخليفة الوليد الأول من أم ولد ، وقد عرف بعالم بنى مروان لغزارة علمه . ويخلط بينه وبين أخيه رَوْح بن الوليد الذى قد يذكر خطأ بهذا اللقب نفسه . وكان بشر أميراً للحج عام ٩٥هـ . كما اشترك فى بعض الفتوح بآسية الصغرى . وولى قيادة الأسطول المصرى فرسا فى تراقيا ووصل فى توغله حتى أدرنة : ولا نعرف تاريخ وفاته . وتزوج من سعدى مطلقة الخليفة الوليد الثانى ، واشترك فى الثورة عليه ، وكان على قيد الحياة بعد أن لقى الوليد مصرعه .

المصادر :

(١) ابن عساكر : تاريخ دمشق فى الجزء ٧٣ (٢) ابن قتيبة : المعارف . طبعة القاهرة . ص ١٢٣ (٣) المسعودى : مروج الذهب ، جـ ٥ ، ص ٣٦٢ (٤) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، جـ ٢ ، ص ٣٣٣ (٥) De Geoje : *Fragm. hist. arab.*، ص ١٢ — ١٤ (٦) الطبرى ، جـ ٢ . ص ١٢٧٠ ، ١٧٨٧ (٧) الأغانى : جـ ٦ ، ص ١٣٧ .

[لامنس H. Lammens]

« بشّار » بن برد : شاعر من شعراء العصر العباسي الأول ، عاش في البصرة وبغداد وهو من أصل فارسي ، وقد دفعته نزعته الفارسية إلى مهاجمة العصبية العربية مع أنه كان ينظم الشعر بلغة الضاد ؛ وكان للمدائح التي كالها للخليفة المهدي أثر كبير ، فقد كانت سبباً في غض النظر عن مساوئه من ودّ المعتزلة وميل للزرادشتية وجنوح إلى المجون ؛ فلما تمادى في غيه وهجا الوزير يعقوب بن داود قتل عام ١٦٧هـ (٧٨٣م) ؛

وتدل الروايات التي كانت شائعة حتى القرن الثالث الهجري ، والتي سجلها صاحب « الأغاني » على أثره القوي وشهرته الواسعة .

المصادر :

(١) الأغاني ، طبعة بولاق ، جـ ٣ ، ص ١٩ – ٧٣ ؛ جـ ٦ ، ص ٤٧ — ٥٣ وفي مواضع مختلفة (٢) ابن خلكان ، طبعة فستنفلد ، رقم ١١٠ (٣) A.v. Kremer : *Culturgeschichtliche Streifzuge*، ص ٣٧ وما بعدها (٤) Goldziher : *Muhammedanische Studien*، جـ ١ ، ص١٦٢ (٣) C. Brockelmann : *Gesch. d. arab. lit.*، جـ ١ ، ص ٧٤ .

[هل J. Hell]

تعليق على مادة « بشار بن برد »

بقيت جوانب من خصائص الحياة الأدبية عند بشار بن برد لم يتعرض لها الأستاذ بروكلمان .

وأظهر تلك الجوانب هو اهتمام بشار بالمحسّنات البديعية . وهو لم يخلق فنون البديع خلقا : فقد كانت معروفة منذ العصر الجاهلي ، ولها شواهد كثيرة في القرآن والحديث ، ولكنه وجه إليها أنظار الشعراء والكتاب والخطباء ، وقد كان بالفعل شاعرا وكاتباً وخطيباً ؛ وكان لذلك التوجيه تأثير شديد في تلوين الأذواق الأدبية عند شعراء العراق ، فقد فتن مسلم ابن الوليد بتلك الفنون فتنة شديدة شهدنا أثرها عند الطائي أبي تمام الذي حلف لا يصلي حتى يحفظ ديوان مسلم بن الوليد ؛

وكذلك يكون بشار مؤسس مدرسة البديع ، ويكون مسلم وأبو تمام العمادين القويين لهذه المدرسة الأدبية .

وقد اختل بناء هذه المدرسة فيما بعد حين انتسب إليها من لا يفقهون شيئاً في هندسة الألفاظ والمعاني ، ولكن يكفي أن يكون من تلاميذها بديع الزمان والحريري اللذان أتيا بالأعاجيب في هندسة النثر الفني ؛

ولم تخل هذه المدرسة من فضل ، حتى في أيام الانحطاط ، فمن هذه المدرسة نشأ ناظمو البديعيات وشراح البديعيات ، وهم قوم أبدعوا في نشر الثقافة الأدبية .

وهناك جانب آخر هو قدرة بشار على جعل الشعر مادة أساسية في الحياة اليومية ، فقد استطاع أن يقدم إلى أهل عصره جميع ما يشتهون ، فكانت أشعاره زاد اللاعبين واللاهين من الفتيان والفتيات ، وكانت كذلك مسلاة للباكيات والنائحات ، وساعده على ذلك افتقاره بسبب عاهته إلى الأنس بجميع

الناس من عوام وخواص ، ورجال ونساء ، فدخلت إلى ذهنه صور كثيرة من حياة المجتمع ، واستطاع أن يصور الأفراح والأتراح تصويراً يمتزج بالنفوس والقلوب .

وقد راع معاصريه بهذه الألوان ، فهم الذين أنكروا عليه أن يقول :

ربابة ربة البيت تصب الخل فى الزيت
لها عشر دجاجات وديك حسن الصوت

وقد أجاب بأن هذين البيتين قيلا فى مدح امرأة عامية، وهما عندها أحسن من « قفا نبك » وهو جواب يدل على بصره بمقامات الكلام ، فما يخاطب به العوام يختلف أشد الاختلاف عما يخاطب به الخواص .

وحيرة بشار بين المذاهب الدينية والسياسية منحته القدرة على التصرف فى تلوين الكلام بألوان مختلفات ، فهو يمثل عصره أصدق تمثيل ،وهو صورة للشاعر الفاجر المرتاب الذى يصارع الأمواج ، فى خضم القرن الثانى حين التقى البحران : بحر البداوة وبحر الحضارة فى محيط الحياة الإسلامية .

وغرام الناس بمكايدته ومغايظته خلق منه داهية من الدواهى : فهو يواجه الناس بمخازيهم ومعايبهم بلا تحفظ ولا احتراس ، وقد أمعن فى ذلك وأسرف حتى انتهى إلى القتل .

وانغماس بشار فى حمأة الحياة اليومية جعله من أقدر الناس على النكتة ، فهو شبيه كل الشبه بظرفاء القاهرة فى هذه الأيام ، والدعابات الآتية تشرح مذهبه فى ذلك :

مر برجل قد رمحته بغلة وهو يقول : الحمد لله شكراً : فقال له بشار : استزده يزدك !

ومر به قوم يحملون جنازة وهم يسرعون بها المشى فقال : ما لهم مسرعين ؟ أتراهم سرقوه فهم يخافون أن يلحقوا فيؤخذ منهم !

ودخل يزيد بن منصور على المهدى وبشار ينشده قصيدة مدح ، فلما فرغ منها أقبل عليه يزيد فقال : ما صناعتك يا شيخ ؟ فقال : أثقب اللؤلؤ !

وهى كناية خبيثة لا يقدر عليها غيره فى ذلك الموقف .

ورفع إليه غلامه فى حساب نفقته جلاء مرآة عشرة دراهم فقال : والله ما فى الدنيا أعجب من جلاء مرآة أعمى بعشرة دراهم ؛ والله لو صدئت عين الشمس حتى يبقى العالم فى ظلمة ما بلغت أجرة من يجلوها عشرة دراهم .

وعوتب على جمع الصلوات فقال : الذى يقبلها تفاريق يقبلها جملة

ولبشار فكاهات كثيرة ، وهى تشهد بأنه كان وصل إلى غاية عالية من دقة الحس وبراعة الذوق .

وكان بشار صلة بين القديم والجديد ، القديم الذى يستمد قوته من الأخيلة البدوية ، والجديد الذى يستمد قوته من الأخيلة الحضرية . ولكن أهل زمانه فيما يظهر لم يكونوا جميعاً راضين عما فى أشعاره من طرافة الحديث ، ومن هنا رأيناه يشكو وجوده فى عصر الأذان ، يعنى عهد الإسلام ،

وربما كان فى هذه الغمزة ما يعبر عن مرض كان معروفا فى ذلك العهد ، وهو إيثار القديم فى جميع أحواله على كل جديد .

والرواة الذين عاصروا بشاراً جعلوه آخر من يحتج بشعره ، وذلك شاهد آخر على ضعف الثقة بقوة الأصالة اللغوية فى الشعر الإسلامى ، ويقوى هذا الشاهد إذا تذكرنا أنهم استثنوا بشاراً لينجوا من لسانه الخبيث .

والظاهر أن بلية بشار بفقد بصره جعلته شديد الشوق إلى مظاهر الحياة ، فهو يلتمسها فيما يسمع وما يلمس . ومن أجل ذلك كان فى تشبيبه ميالا إلى الفتك ، ولو حفظ شعره كله لكانت له منزلة بين كبار الماجنين .

ويظهر أن انحراف بشار فى عقيدته الدينية والعربية صرف الناس عن تدوين شعره فضاعت منه ألوف القصائد . ويتضح ذلك إذا تذكرنا مصير المؤلفين والشعراء والكتاب الذين ضاعت مصايرهم فى غمرة الفتنة الأثيمة فتنة الشعوبية .

وربما جاز أن يقال إن بشاراً لم يكن بفطرته خفيف الروح كأكثر العميان ، والذى يفقد خفة الروح يتناساه الناس عامدين .

وجملة القول فى بشار أنه استطاع بذكائه وإحساسه وجبروته أن يكون شخصية باقية فى الأدب العربى ، ولعل شهوده للانقلاب الهائل فى الدولة العربية وانتقالها من عهد إلى عهد كان له فضل فى تنبه قواه العقلية والذوقية ، فما كان ذلك الانقلاب إلا رجة خطرة مزعجة توقظ الغافيات من الأذواق والأحاسيس .

وأعظم الشعراء والكتاب والخطباء والمؤلفين هم الذين يشهدون عهود الانقلاب .

والشر قد يكون باباً إلى الخير فى كثير من الأحايين .

زكى مبارك

+ بَشّار بن بُرد ، أبومعاذ : شاعر عربى عراقى مشهور ، عاش فى القرن الثانى الهجرى (الثامن الميلادى) . وأسرته أصلا من طُخارستان أو شرق إيران . وقد أسر جده ، وأخذ إلى العراق أيام الحملة التى قام بها المهلّب (انظر هذه المادة) ، أما أبوه ، الذى أعتقته فى آخر الأمر سيدة عربية من بنى عقيل تقيم فى البصرة ، فكان طياناً فى تلك البلدة .

وولد بشار فى البصرة ، ولا يعرف تاريخ مولده على وجه التحقيق ، ولعله كان حوالى عام ٩٥ أو ٩٦ هـ (٧١٤ — ٧١٥ م) . وألحق نفسه ببنى عقيل وظل فترة طويلة من مواليهم ، ولم يفته تمجيد ذكرياته عن إيران القديمة نظرا لميوله الشعوبية . وكانت هذه ، ولا شك ، وسيلة لابأس بها لتحويل أنظار من تددوا به عن أصله الوضيع ، الذى لم تستطع أن تخفيه القصة الخيالية التى ترددت عن نسبه الملكى (انظر ماورد عن النسب الساذج الذى جعله كتاب الأغانى لبشار ، الطبعة الثالثة ، جـ٣ ، ص١٣٥) .

ويقال إن موهبة الشعر ظهرت على بشار وهو فى العاشرة من عمره (انظر الأغانى ، جـ٣ ، ص١٤٣

و ١٤٤ : عن رواية بصرية) ؛ وإذا لم يكن لبيئته البصرية الفضل فى نمو هذه الموهبة ، فانها لاتستحق الذكر ، ومحطة القوافل أو «المربد» ، التى ظلت تحظى بهذه الأهمية حتى منتصف القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى ؛ انظر *Milieu basrien* : Pellat ص ١٥٨ وما بعدها) كانت بالنسبة للفنان الشاب بمثابة مدرسة لاشك أنه قد استغرق فى تراثها الشعرى الذى كان فى عنفوانه فى وسط الجزيرة العربية وشرقيها وقتذاك (انظر النادرة التى ذكرها كتاب الأغانى ، الطبعة الثالثة ، ج٣ ، ص١٤٣ — ١٤٥ ، والتى تروى نبأ اللقاء الذى تم بين بشار وجرير التميمى ، وهو لايزال بعد فى أوج شهرته ، ولا يمكن قبول رأى بروكلمان Brockelmann ، قسم١ ، ص ١٠٩ الذى خلط بينه وبين سمىّ له يدعى جريراً) . ونجمع سيرة بشار بين آثاره فى المدح والرثاء والهجاء . ومما يلفت النظر أن إصابته بالعمى منذ ولادته وقبحه الشديد لم يؤديا إلى إعراض النساء أو الشخصيات المرموقة فى عهده عنه ، فقد عرف كيف يؤثر فى الناس ويجعلهم يخشونه بفضل مدائحه ونوادره الشعرية .

ويبدو لنا بشار من خلال الشذرات أو المقطوعات التى وصلتنا شاعراً فى بلاط عمال بنى أمية من أمثال ابن هبيرة (انظر هذه المادة ؛ الأغانى ، الطبعة الثالثة ، ج٣ ، ص١٩٧ و ٢٣٦) أو سلم بن قتيبة (فى وقت لايتجاوز عام ١٣٢ هـ = ٧٥٠ م ، انظر المصدر السابق ، ص١٩٠) أو الأمير سليمان ابن الخليفة هشام (انظر الديوان ، ج١ ، ص٢٩١ — ٣٠٣) ، بل إن لدينا قصيدة نظمها فى مدح مروان ، آخر من تولى الحكم من بنى أمية (انظر الديوان ، ج١ ، ص٣٠٦ وما بعدها) . والظاهر أن قيام العباسيين لم يحل دون ارتفاع مكانة الشاعر ، وكان وقتذاك فى السابعة والثلاثين من عمره . كان رجلا شديد الفطنة فلم يتردد فى أن يهيئ نفسه للظروف الجديدة . ومن الصعب أن نتتبع فعله هذا بالتفصيل ، ولكن يقال إن قصيدة نظمها أصلا فى مدح إبراهيم بن عبد الله العلوى أنشدت آخر الأمر للخليفة العباسى المنصور (الأغانى ، الطبعة الثالثة ج٣ ، ص٢١٣ فى آخرها ، انظر العسكرى : ديوان المعانى ، ج١ ، ص١٣٦) ؛ وإذا صحت هذه الواقعة فانها تعد علامة مميزة .

وعاش بشّار فى بغداد منذ إنشائها عام ١٤٥ هـ (٧٦٢ ، انظر المرزبانى : الموشح ، ص٢٤٧ — ٢٤٨) ؛ وكانت مدائحه من وقتها توجه إما إلى شخصيات بارزة فى البصرة مثل سليمان العبسى (وكان عاملا عليها عام ١٤٢ هـ = ٧٥٩ — ٧٦٠م) أو ابنه (وكان عاملا حوالى عام ١٧٦ هـ = ٧٩٢م ؛ انظر الأغانى ، الطبعة الثالثة ، ج٣ ، ص١٦٥ — ٧ و ٢٠٧ ، Pellat ، ص١٦٦ ، ٢٨٠) أو لشخصيات مثل عقبة بن سَلْم (وكان عاملا عام ١٤٧ هـ = ٧٦٤ م ؛ انظر الأغانى ، الطبعة الثالثة ، ج ٣ ، ص١٧٤ — ١٧٥ ، وانظر Pellat ، الفهرس) أو ابنه نافع (وكان عاملا عام ١٥١ هـ = ٧٦٨ م ؛ انظر الأغانى ، الطبعة الثالثة ، ج ٣ ، ص٢٣٠ ؛ وانظر Pellat ، ص ٢٨١) ؛ وثمة

نوادر عديدة تحملنا على القول بأن بشاراً كان يحظى بالكثير من الرضا فى عهد الخليفة المنصور ، الذى اصطحبه فيما يرجح إلى مكة لأداء فريضة الحج (انظر الأغانى ، الطبعة الثالثة ، ج٣ ، ص١٥٣ و ١٥٩ و ١٨٨ و ٢١٢ و ٢٣٩ وبخاصة الديوان ، ج١ ، ص٢٥٧ و ٢٧٥ [قصيدة من ٢٩ بيتا] ج٢ ، ص٢٤) ، وتوترت العلاقات أخيرا بين الخليفة والشاعر (انظر مايلى) . ونحن ندين لهذه الصلات الرسمية بالكثير من المعلومات الثمينة عن حياة الشاعر . ولكن ليس من شك فى أنها لاتبلغ من الأهمية مبلغ صلات بشار بالنحاة فى البصرة مثل أبى عمرو بن العلاء أو أبى عبيدة أو الأصمعى (انظر هذه المادة) أو برجال الدين فى تلك البلدة مثل الحسن البصرى (انظر هذه المادة) المتوفى عام ١٣١ هـ (٧٤٨ م ؛ انظر المصدر السابق ، ص١٧٠) . ولا شك أن عباراته الساخرة التى تعرض فيها لهذين الرجلين السابقين تتفق مع ذوقه فى مشاركة المنبوذين بسبب سلوكهم أو عقائدهم الدينية . وبين أيدينا « أدب » فيه من القصص الفكاهى أكثر مما فيه من روائع الكلم ، يصور هذا المظهر من حياة بشار ، ويحكى مغامراته وسقطاته التى يكاد يدنس فيها الحرمات المقدسة (ومن هذا القبيل ما ورد فى الأغانى ، الطبعة الثالثة ، ج٣ ، ص١٨٥ — ٨٦ عن رحلة إلى مكة تظاهر فيها بأنه يؤدى فريضة الحج ، وص٢٣٣ ، وعن علاقته ببعض الداعرين فى الكوفة) . وإن قصائده التى هجا فيها حماداً عَجْرَد لتدل على مدى قوة هذه الأواصر أحياناً (انظر المصدر السابق ، ج٣ ، ص ١٣٧ و ٢٠٥ ، ٢٢٣ فى آخرها ؛ الجاحظ : البيان ، ج١ ، ص ٣٠) .

وإن مزاج الشاعر الحاد ، وطبعه ، وفوق ذلك كله حساسيته من ناحية لعاهته وخلو وفاضه يفسر لنا إلى حد كبير تنديده اللاذع بخصومه أو أعدائه ، ومع ذلك يجب ألا يفوتنا أن هناك أسبابا أخرى تفسر لنا ما تنطوى عليه هذه الخصومات على المستوى المثالى من ضغينة .

ومن هذه الأسباب الشعوبية (مثال ذلك ماورد فى الأغانى ، الطبعة الثالثة ، ج ٣ ، ص ١٣٨ و ١٣٩ ، وبخاصة ص ١٧٤—١٧٥ فيما يتعلق بهجوه للشاعر البدوى عقبة بن رؤبة ؛ انظر أيضا المصدر السابق ، ص ١٦٦ ، الفقرة الخاصة بهجوه لبدوى ؛ وص ٢٠٣ — ٢٠٤ التى يلوم فيها أحد الأشراف الشاعر لأنه أثار الموالى على سادتهم العرب) . ثم إن موقف بشار من مذهب المعتزلة يعكس رأيه المتذبذب فى عطاء بن واصل (انظر هذه المادة) المتوفى عام ١٣١هـ (٧٤٨ — ٧٤٩ م فى البصرة) ، إذ يهجوه بعد أن رأيناه يمتدحه من قبل (انظر الجاحظ : البيان ، ج ١ ، ص ١٦ وما بعدها ؛ وانظر أيضاً الأغانى ، الطبعة الثالثة ، ج ٣ ، ص ١٤٥ وما بعدها ؛ وانظر قصائد الهجاء المقذعة التى تبادلها بشار وشاعر المعتزلة صفوان الأنصارى البصرى ، وفيما يختص بها انظر Pellat : *Milieu basrien* ، ص ١٧٥ — ١٧٧ مع ترجمة لأبيات صفوان) .

أما آراء بشار الدينية فإنها لا تزال غير واضحة ، ويبدو أنها قد تذبذبت ، ثم إن بشاراً ، كأى نهاز

للفرص ، قد أخفى رأيه الحقيقى ؛ ولا شك أن التحفظات التى يبديها فى الشعراء الذين يقدرهم مثل الكُميْت أو السيد الحِمْيَرى الذى عاش فى البصرة من عام ١٤٧هـ (٧٦٤م) إلى عام ١٥٧هـ (٧٧٣ — ٧٧٤م ؛ انظر الأغانى ، الطبعة الثالثة ، جـ ٣ ، ص ٢٢٥ ، جـ ٧ ، ص ٢٣٧ بيد أن الحقائق غير مؤكدة) تصلح للدلالة على أنه لم يكن شيعيا (ولكن انظر Pellat ، ص ١٧٨ ، الذى يرى أن بشارا جمع بين آراء الشيعة من الكاملية ، وفى هذا الموضوع انظر المصدر نفسه ، ص ٢٠١) . يضاف إلى هذا أن اتهام بشار بالزندقة والنوادر التى تصورها أكثر مما تثبتها تشير إلى تشبثه بآراء غير متجانسة ، والحق إن بين هذه الآراء عقائد مانوية تخالطها صبغة زرادشتية قوية (انظر الجاحظ : البيان ، جـ ١ ، ص ١٦ : ذكر البيت المشهور الذى جاء فيه أن الأرض فى ظلام والنار تتألق وأن النار عبدت منذ وجودها(١) ؛ انظر الإشارة إلى تأييد بشار لهذا فى معارضة صفوان المعتزلى ، المصدر السابق ، جـ١ ، ص٩٧ ، س ٧ ؛ انظر أيضا الفهرست ، ص ٣٣٨ ، س١٠ ، الذى يسلك الشاعر بين الزنادقة المانويين فى القرن الثانى الهجرى الموافق الثامن الميلادى) .

ولكن إلى جانب هذه الاعتقادات يبدو أن بشاراً كان دائما يطوى جوانحه على تشكك عميق (انظر الأغانى ، الطبعة الثالثة ، جـ ٣ ، ص ٢٢٧ ، س ١ وما بعده ؛ الديوان ، حـ ٢ ، ص ٢٤٦) يمتزج بنظرة جبرية أدت به إلى التشاؤم والاعتقاد بمذهب اللذة (المصدر السابق ، ص ٢٣٢ ، ورواية عن ابن قتيبة : عيون الأخبار ، حـ ١ ، ص ٤٠ فى آخرها) ؛ واضطر بشار ، مثل أقرانه ، إلى أن يرجع إلى التقية وأن يقول بقول أهل السنة وأن يبدى غير الأتقياء مما يتعارض تعارضا تاماً مع آرائه الحقيقية التى اقتنع بها (ومن هذا القبيل أبياته التى نظمها فى هجاء ابن العوجاء الزنديق ، الذى قتل فى الكوفة : الأغانى ، الطبعة الثالثة ، حـ ٣ ، ص ١٤٧ ، وأخص من هذا كله البيت الذى ورد فى الديوان ، حـ ٢ ، ص ٣٦ ، س٣ فهو يدل على التزام صارم بالإسلام السُّنّى) ؛

ولم يفلح حذره ذلك فى إخفاء فضائح سلوكه ونوادره وزندقته ، وأدت مؤامرة دبرت فى البصرة إلى ضياع مكانته فى نظر الخليفة المهدى (انظر أخبار نوادره فى الأغانى ، الطبعة الثالثة ، حـ ٣ ، ص ٢٤٣ وما بعدها) ، إذ تجاوزت ذلك إلى أمور أعظم شأناً ، أى إلى اضطهاد كل من شملهم لقب زنديق (انظر هذه المادة) فى عهد هذا الخليفة (انظر المصدر السابق ، ص ٢٤٦ فى آخرها وما بعدها ، وبخاصة Gabrieli : *Appunti* ، ص ١٥٨) : وقبض على بشار وجلد ، وألقى به فى مستنقع فى البطيحة (الطبرى ، طبعة القاهرة ، حـ ٦ ، ص ٤٠١ ؛ الأغانى ، الطبعة الثالثة ، حـ ٣ ، ص ٢٤٧ — ٢٤٨) ، حدث هذا عام ١٦٧هـ أو ١٦٨هـ (٧٨٤ — ٧٨٥م) وكان الشاعر قد تجاوز السبعين من عمره وقتذاك (لا التسعين

---

(١) يشير الكاتب هنا إلى البيت الآتى لبشار :

الأرض مظلمة والنار مشرقة والنار معبودة مذ كانت النار

«اللجنة»

كما قيل بسبب خطأ فى الرسم ، انظر الأغانى ، الطبعة الثالثة ، حـ ٣ ، ص ٢٤٧ و ٢٤٩ ويورد الرقمين ، ولا يظهر منها إلا الثانى فى كتاب الخطيب البغدادى : تأريخ بغداد ، حـ ٧ ، ص ١١٨ ؛ ابن خلكان ، حـ ١ ، ص ٨٨) .

واشتهر بشار فى زمانه بأنه خطيب ، وأنه يجيد كتابة الرسائل والنثر (الجاحظ : البيان ، حـ ١ ، ص ٤٩) ولكنه يدين بشهرته فوق كل شىء إلى مواهبه الشعرية . وكان إنتاجه من الشعر غزيراً متنوعاً ، ولكن مما يؤسف له أنه لم يصل إلينا فى صورته الأصلية . ولما كان بشار كفيفا فإنه اعتمد على الرواة ، الذين لا نعرف إلا أسماء أربعة منهم ، وبخاصة خلف الأحمر السيئ السمعة (انظر الأغانى ، الطبعة الثالثة ، حـ ٣، ص ١٣٧ و ١٦٤ ، و حـ ٩ ، ص ١١٢ ، ١٧٠ ، ١٨٩) بيد أن أحدا منهم لم يكبد نفسه عناء جمع ديوان شيخه . وسرعان ما ضاعت مقطوعات كانت تنشد من حين إلى حين وقصائد أنشدت على البديهة ونوادر شعرية، وفى الوقت نفسه نسبت إلى بشار قصائد يكتنف صحتها الشك إلى حد ما (انظر الشرح على الديوان ، حـ ١، ص ٣٠٩) . ومن ثم لم تعرف آثار الشاعر ، منذ القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) إلا عن طريق مجموعات من أصحاب الدواوين أمثال هارون ابن على المتوفى عام ٢٨٨هـ (٩٠٠ – ٩٠١م ؛ انظر الفهرست ، ص ١٤٤) أو أحمد بن أبى طاهر طيفور المتوفى عام ٢٨٠هـ (٨٩٣م) الذى جمع كتاب « اختيار شعر بشار » (انظر الفهرست ، ص ١٤٧) ؛ ومن المعروف أن ابن النديم رجع ، فى الربع الأخير من القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) إلى مجموعة من القصائد المختارة تشغل حوالى ألف صفحة (انظر الفهرست ، ص ١٥٩ فى آخرها) ، ومهما يكن من شىء فإنه يجب ألا يؤخذ فى الاعتبار كتاب « الاختيار من شعر بشار » للأخوين الخالديين الموصليين فهو لم يذكر ضمن مصنفاتهما فى كتاب ابن النديم (المصدر المذكور ، ص ١٦٩) ، ونحن لا نعرف هذا المصنف إلا من مختارات زودنا بها التُّجيبى (القرن الخامس الهجرى = الحادى عشر الميلادى ، طبعة العلوى ، عليگره سنة ١٩٣٥) ؛ وثمة مخطوطة وحيدة من أصل شرقى (ترجع إلى القرن السادس الهجرى = الثانى عشر الميلادى ؟) ، تضم قصائد تنتهى بقواف من الألف إلى الياء ، كانت الأساس الذى قامت عليه طبعة ابن عاشور (٣ مجلدات ، القاهرة سنة ١٩٥٠–١٩٥٧)، وهى طبعة بعيدة كل البعد عن أن تستأهل الثناء ؛ ومن هذا نرى أن آثار بشار لا يمكن أن تدرس إلا بحذر ؛

وينظم بشار قصائد ثلاثية متكلفة بأسلوب قوى ، وعلى الرغم من أن قصائده قد تكون تقليدية فى الشكل والمضمون فانها تخالف القصائد التى نظمها الجيل السابق . وإن الصرامة التى تتسم بها نوادره الشعرية تضعه فى مصاف الهجائين فى عهد بنى أمية (ومن هذا القبيل ما ورد فى الديوان ، حـ ٢ ، ص ٦٦ ، هجاء حماد عجرد ، وكذلك الأغانى ، الطبعة الثالثة ، حـ ٣ ، ص ١٨٨ و ٢٠٢) ،

وهنا نجد أن ذوقه الجانح لزخرف الكلام أو سوق الجد فى قالب الهزل يحمله على ابتداع أساليب جديدة (ومن هذا القبيل ، قصيدته التى تحدث فيها بلسان حماره ، الأغانى ، الطبعة الثالثة ،حـ ٣، ص ٢٣١ فى آخرها) . ولكن الراجح أنه حفر اسمه فى ذاكرة الناس بمراثيه : وكثيرا ما تجنح موضوعات قصائده الماجنة إلى أن تكون من قبيل شعر الغزل الذى يجب أن يعتبر تخليا عن تقليد تعد القصائد المنحولة المنسوبة إلى الأعشى ميمون (انظر هذه المادة) نماذج مشكوكا فيها له . وتؤلف قصائده الغزلية جانبا هاما من هذا الإنتاج ، وهى موجهة فى الغالب إلى سيدة من البصرة تدعى عبْدة ولكنها موجهة أيضا إلى بطلات أخريات لعل أسماءهن من وحى الخيال . وهذه القصائد التى تعبر حينا عن شهوات الجسد بل عن الواقع ، (ومن هذا القبيل ما ورد فى الأغانى ، الطبعة الثالثة ، حـ ٣ ، ص ١٥٥ ، ١٦٥ ، ١٨٢ ، ٢٠٠ إلخ) وحينا تغلب عليها براعة ممزوجة بالكياسة والرقة ، قد أدت فيما يبدو إلى استجابتين مختلفتين للصراع الأبدى فى أعماق النفس الشرقية . وهناك قصائد يطرح فيها آراءه وهى شائعة أيضا ، وعلى الرغم من أن بشاراً ليس فى الواقع متعمقا فإنه يتحاشى التفاهة ويستطيع أن يبدى ملاحظات ذكية .

والتواؤم مع الظروف هو مفتاح أسلوب بشار ، الذى يمكن أن يجمد على نمط بعينه ويصبح عتيقا فى القصيدة (ومن هذا القبيل ما ورد فى الديوان ، حـ ١ ، ص ٣٠٦ وما بعدها) ولكنه ينطلق ويصبح حرا يفيض بالبهجة فى قصائد الغزل ، وفيها يترخص الشاعر فى استخدام اللغة بجرأة (ومن هذا القبيل ما ورد فى الديوان ، حـ ٢ ، ص ٥ ، س ٧ ؛ ص ١٠ ، س ٣ ؛ ص ١٥ ، س ٢) . والحق إن التأثير الغالب على بشار كان دائما يعود إلى التقليد الذى ورثه من شعراء البادية ، وهو ، من كثير من الوجوه ، قريب من « مدرسة » الحجاز كما نراها فى شعر عمر بن أبى ربيعة (انظر هذه المادة) . ولكنه نجح فى أن يثرى هذا التقليد بما ينطوى عليه عالمه الداخلى من ثراء وبالتجربة القاسية التى نشأت من آفته الجثمانية واحتكاكه بعالم تسوده البلبلة والفتن .

وإن أهمية مكانة بشار فى الفترة التى تحول فيها الشعر من مرحلة إلى أخرى فى منتصف القرن الثانى الهجرى (الثامن الميلادى) لا يمكن المبالغة فى تقديرها . وإن تأثير الرجل والفنان يؤكده ما أثاره من حماسة أو كراهية فى قلوب معاصريه . وهو يعد على وجه الإجمال من مفاخر البصرة ، فقصائده التى كثيرا ما يتغنى بها أبهجت الشباب وجمهور النساء ، بينما ينبعث رأى الخبراء من « الأحكام التقويمية » التى تنسب إلى أدباء من أمثال أبى عبيدة والأصمعى وخلف الأحمر وجمع من الآخرين (انظر الأغانى ، الطبعة الثالثة ، حـ ٣ ، فى مواضع مختلفة) . ونحن نعرف من جهة أخرى حكم الجاحظ عليه (انظر البيان ، الفهرس) وأخيرا فإن بشاراً كان له تأثير عميق فى الجيل التالى من الشعراء ، وهناك

ما يثبت هذا الأثر فى سر أبى العتاهية ، (انظر هذه المادة) ، والعباس بن الأحنف ، (انظر هذه المادة) وأبى نواس (انظر هذه المادة) ، وسلم الخاسر وكثير من الآخرين ، وتؤكد هذه الحقيقة دراسة آثارهم ؛ وقد أصبح فى وسع النقاد الشرقيين أن يروا فى بشار واحدا من أعظم الشعراء عند العرب .

المصادر :

(١) ابن قتيبة : الشعر (طبعة ده غويه) ، ص ٤٧٦ — ٤٧٩ ، والفهرس (٢) الجاحظ : البيان ، طبعة هارون ، جـ ١ ، ص ٤٩ والفهرس (٢٤ إشارة إلى بشار) (٣) الأغانى ، الطبعة الثالثة ، جـ ٣ ، ص ١٣٥ — ٢٤٩ ؛ جـ ٤ ، ص ١٥ و ٢٨ — ٢٩ ، ٣٣ — ٣٤ ، ٧٠ — ٧٢ ؛ جـ ٦ ، ص ٢٢٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣٢ ، ٢٣٧ والجداول (٤) الفهرست ، ص ٣٣٨ (٥) الخطيب البغدادى : تأريخ بغداد ، جـ ٧ ، ص ١١٢ — ١١٨ (٦) المرزبانى : الموشح ، ص ٢٤٦ — ٢٥٠ (٧) ابن خلكان ، القاهرة سنة ١٣١٠ هـ ، جـ١ ، ص ٨٩ — ٩٠ ، طبعة عبد الحميد (القاهرة) ، جـ ١ ، ص ٢٤٥ ، تعليق رقم ١١٠ . (٨) بالنسبة للمصادر الثانوية عن السير انظر Brockelmann ، رقم ١ ، ص ٤٠ (٩) بالنسبة لأساس الموضوع انظر A. Mez : Renaissance (١٠) G. Vadja : Les Zindiq ... debut de la periode abbasside ، فى RSO جـ ١٧ (سنة ١٩٣٧) ، ص ١٧٣ — ٢٢٩ (١١) Ch. Pellat : Le milieu basrien et la formation de Gahiz ، باريس سنة ١٩٥٣ ، ص ١٧٦ — ٨ و ٢٥٦ — ٩ والفهرس ؛ (١٢) دراسات خاصة عن هذا الشاعر قام بها Di Matteo : La Poesie arabe nel I secolo degli Abbasidi ، پالرمو سنة ١٩٣٥ ، ص ٩ — ١٢٤ (١٣) F. Gabrieli : Appunti Su B.i.B. ، فى BSOS ، جـ ٩ (١٩٣٧) ، ص ٥١ — ٦٣ .

مقالات ووسائل باللغة العربية :

(١٤) عباس محمود العقاد : مراجعات فى الأدب ، القاهرة سنة ١٩٢٥ ، ص ١١٩ — ١٥٨ (١٥) المغربى ، فى مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق جـ ٩ (سنة ١٩٢٩) ، ص ٧٠٥ — ٧٢٢ (١٦) طه حسين : حديث الأربعاء ، جـ ١ ، ص ٢٣٢ — ٢٤٢ (١٧) حسين منصور : بشار بين الجد والمجون ، القاهرة سنة ١٩٣٠ (١٨) حنا نمر : بشار بن برد ، حمص سنة ١٩٣٣ (١٩) حمصى : بشار بن برد ، فى الرعد ، دمشق سنة ١٩٤٩ ، ص ٤٧—٧٦ (٢٠) أحمد حسنين : بشار بن برد ، شعره وأخباره ، القاهرة سنة ١٩٢٥ ، ص ١٠٩ (٢١) النويهى : شخصية بشار ، القاهرة سنة ١٩٥٧ ، ص ٢٨٠ .

بالنسبة للنص وديوان بشار انظر المصادر الواردة فى صلب المادة .

[د . بلاشير R. Blachére]

+ « بشّار الشعيرى »: زنديق شيعى ظهر فى القرن الثانى الهجرى « وعاش فى الكوفة وكان يكسب معاشه ببيع الشعير ومن ثم لقبه ؛ ويذكر كتاب منهاج المقال وكتاب منتهى المقال أنه كان يشار إليه فى بعض الأحيان خطأ فيقال الأشعرى بدلا من الشعيرى وهو اللقب الصحيح . وجاء فى الروايات التى رواها الكشّى أن الإمام جعفرا الصادق نبذه وتبرأ منه (معرفة الرجال ، ص ٢٥٢ — ٢٥٤ ؛ وانظر ص ١٩٧ حيث رمى أبو بشّار الأشعرى بالكذب هو والزنادقة القبيحى الصيت مثل المغيرة بن سعد ، وبزيغ ، وأبى الخطّاب ، ومعمّر ، وحمزة البربرى ؛ وهذه الفقرة كثيرة التحريف فى هذه الطبعة) . ويصف النصيرى الخصيبى بشاراً بأنه راوية المفضّل بن عمر الجعفى (Massignon : *Salmân* ، ص ٤٤ ، تعليق ٤) ؛ وجاء فى نص نصيرى نشره شتروتمان Strothmann ذكر بشار يستشهد بحديث مع جعفر الصادق يفسر فيه البسملة بتفاسير باطنية .

وكان بشار مريداً للخطابية (انظر هذه المادة) الذين هم من غلاة الشيعة ، ومن ثم يقال إنه كان يدعو إلى المذهب القائل بأن عليا أفضل من محمد (صلعم) لأن عليا كان إلها ومحمدا ليس إلا رسولا . وسلم بشر بأقوال الخطابية بالأشخاص الأربعة أو الخمسة المؤلهين وهم على وفاطمة والحسن والحسين ، ولكنه يحط من قدر محمد فيجعل شأنه الشأن الذى يجعله الخطابية لسلمان الفارسى . وقد رمى بشار أيضا بالدعوة إلى الإباحية وإنكار صفات الله الحسنى كما رمى بالقول بالتناسخ ؛ وعرف أتباعه بالعَلْيائية (انظر هذه المادة) وهو اسم فى تفسيره أقوال مختلفة : وفى رواية واحدة أنهم سموا بذلك لأن بشاراً بعد أن دعا إلى هذه الأقوال قد استحال « علْيا » (طائر بحرى) .

المصادر :

(١) الكشّى : معرفة الرجال ، بومباى سنة ١٣١٧هـ ، ص ٢٥٢—٢٥٤ (٢) الأستراباذى : منهاج المقال ، طهران سنة ١٣٠٧هـ ، ص ٦٨ — ٦٩ (٣) الحائرى : منتهى المقال ، طهران سنة ١٣٠٢هـ ، ص ٦٥ (٤) L. Massignon : *Salmân Pâk* ، تور سنة ١٩٣٤ ، ص ٣٨ ، ٤٤—٤٥ (٥) R. Strothmann : *Morgenlaenische Geheimsekten in abendlaendischer Forschungen* ، برلين سنة ١٩٥٣ ، ص ٤١ — ٤٢ (٦) W. W. Rajkowsk : *Ealy Sh'ism in Irak* ، رسالة دكتوراه قدمت لجامعة لندن سنة ١٩٥٥ ؛

خورشيد [لويس B. Lewis]

+ « البَشْكُنِش » أى الباسك : شعب غير محقق الأصل يسكن الطرف الغربى من البرانس والجزء المتاخم له من جبال كنتبريا ، وإلى الشمال منه ساحل المحيط الأطلسى . ولا شك أن الاسم البشكنش مشتق من اللاتينية ڤاسكونس Vascones مع إبدال حرف الفاء المثلثة باءً كما حدث فى غير ذلك . وتعرف لغة الباسك باسم « البَشْقِيّة »

(الروض المعطار ، طبعة ليفي پروفنسال ، ص ٥٦) ؛

وكان المركز الرئيسي للبشكنش بَنْبلونة (Pampeluna وهي مأخوذة من Pompeioipolis) التي أصبحت آخر الأمر قصبة نَبْرة (ناڤار) . وقد غزا أرضهم موسى بن نصير عند فتح الأندلس (كتاب الإمامة والسياسة ، *Colección de Obras Arabigas* ، جـ ٢ ، ص ١٣٢ وما بعدها) ؛ ولكن بنبلونة سلمت للمسلمين وقتذاك أو بعد ذلك وليس بعد سنة ١٠٠هـ (٧١٨—٧١٩م) على كل حال . وأقام فيها عقبة بن الحجّاج (والى الأمويين على الأندلس خمس سنين منذ سنة ١١٦هـ = ٧٣٤م) حامية إسلامية (ابن عذارى ، جـ٢ ، ص ٢٨) واقتن البشكنش بعد ذلك بسنين قلائل أى سنة ١٣٨هـ (٧٥٥ — ٧٥٦م) وقضوا على جيش أنفذه إلى بنبلونة الأمير يوسف الفهرى أى حوالى الوقت الذى بلغ فيه عبد الرحمن الأول الأندلس . وخضعت بنبلونة لشرلمان سنة ١٦١هـ (٧٧٨م) عندما غزا هذا الملك شمالى أسبانيا ، على أن من المرجح أن عصابات من البشكنش انضم إليها المسلمون ، هى التى مزقت مؤخرته إربا إربا عند رونسڤال . (انظر Lévi Provençal : *Hist. Esp. mus.* ، جـ ١ ، سنة ١٩٤٤ ، ص ٨٩) ؛ واضطر عبد الرحمن الأول سنة ١٧٤ = (٧٨٠ — ٧٨١م) أو فى السنة التالية ، حوالى نهاية عهده الطويل ، أن يسير بشخصه لقتال البشكنش .

وما وافى عام ١٨٢هـ (٧٩٨م) حتى رفع بشكنش بنبلونة عن كاهلهم الولاء للمسلمين ، إلى غير رجعة كما ثبت من بعد ، ونادوا بأنفسهم أقيالا تابعين لألفونسو الثانى ملك أشتوريش ؛ وسرعان ما سمعنا برئيس بشكنشى مستقل لبنبلونة هو غرسيه بن وَنْقُوَ (Garci Iniguey) الذى أصبح بفضل زواج حفيدته إنيجا من عبد الله الأموى جدا لعبد الرحمن الثالث الناصر ؛ وقد حدث ترتيب للسلطة بين البشكنش سنة ٩٠٥ حين نحّى سانخو غرثيس Sancho Garces الفرع الأكبر وأقام مملكة نبره (ناڤار) ووطد أركانها ؛ وظل البشكنش الغربيين رعايا للملك أشتوريش ومن ثم أصبح ما يعرف « بالخطر البشكنشى » (ليفي پروفنسال) فى نظر الأندلس الإسلامية يتمثل فى تاريخ نبره بصفة خاصة ؛

المصادر :

(١) F. Codera : *Estudios criticos de Historia arabe espaniola* ، ص ١٠١ — ١٠٥ ، ١٦٩ — ١٨٤ (*Pamplona en el Siglo VIII*) (٢) Lévi — Provençal : *Hist Esp. musl.* ، الفهرس ؛

[دنلوب D. M. Dunlop [خورشيد

«بَشْلِك» : عملة تركية ضربت إبان الإصلاح النقدى الذى وضعه السلطان سليمان الثانى (١٠٩٩—١١٠٢هـ = ١٦٨٧ — ١٦٩١م) وأساسها الغروش (Grossus ، Groat ، Gros) فى البلدان الأوروبية) ؛ وكان الغروش الأجنبى هو المتداول فى تركية إلى ذلك العهد ، ولم تضرب الحكومة التركية الغروش بنفسها إلا فى عهد هذا السلطان ، وكانت أجزاء الغروش تسمى پاره . وكل خمس

بارات تساوى بشلك ، ولكننا لا نعلم كم عدد البارات التى كان يتألف منها الغروش فى الأصل ، فقد ذهب ستانلى لين پول Stanely Lane Poole إلى أن الغروش كان يساوى عشرين پاره ؛ وكانت هذه النسبة دائمة التغير تبعاً للانخفاض التدريجى فى قيمة النقد .

والغروش عادة يساوى أربعين پاره ؛ وأقدم بشلك وصل إلينا ضُرب فى عهد السلطان أحمد الثالث الذى حكم من عام ١١١٥ إلى عام ١١٤٣هـ (١٧٠٣ – ١٧٣٠م) . وأبقى على البشلك – الذى يسمى أيضا چيرك – فى النظام النقدى الجديد الذى وضع فى المحرم من عام ١٢٦٠هـ (فبراير ١٨٤٤م) أيام السلطان عبد المجيد . وكلمة چيرك مأخوذة من كلمة چهاريك ومعناها ربع ، ذلك لأنه يساوى ربع المجيدية أى الخمسة الغروش . وهى بمقدار الفرنك الحالى تقريباً .

المصادر :

(١) إسماعيل غالب أدهم : تقويم مسكوكات عثمانيه . الآستانة عام ١٣٠٧ ، وترجم إلى الفرنسية بعنوان *Essai de numismatique ottomane* . الآستانة سنة ١٨٩٠ (٢) *Catalogue* : Stanely Lane poole *of oriental coins in the British Museum* ، جـ ٨ ، وهو خاص بالسكة التركية ، لندن سنة ١٨٨٣ (٣) Belin : *Essais sur l'histoire économique de la Turquie* ، فى المجلة الأسيوية ، المجموعة السادسة ، جـ ٣ ، ٤ .

[كيس P. Giese]

« پشوه » : (انظر مادة « پيشوا »)

« البشير » : هو الذى يزف البشارة أو البشرى ، وهو الإنجيلى عند النصارى ؛ وكلما جدَّ شأن هام كتغير عهد أو إقامة عامل إلى غير ذلك فى مدينة من مدن المشرق وأريد إذاعته ، فإن أفراداً ممن لهم بعض الصلة بأولى الأمر يجوسون خلال الشوارع ويطرقون الأبواب معلنين النبأ ويعطون مقابل هذا بعض المال . ويسمى الأتراك أمثال هؤلاء الأفراد « موردهجى » .

والبشير اسم صحيفة أسبوعية يصدرها اليسوعيون منذ عام ١٨٩٩ .

المصادر :

Cl. Huart : *Litterature Arabe* ، ص ٢٣٠ .

[هوار Cl. Huart]

+ « بشير چلبى » : طبيب ظهر فى منتصف القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى) ؛ وقد جاء فى الرسالة الصغيرة « حكايت بشير چلبى » (ومنها مخطوطة نشرها طبق الأصل أرتاليان بعنوان : تاريخ أدرنه : حكايت بشير چلبى ، تورك أدبياتى أورنكلرى ، جـ ٣ ، إستانبول سنة ١٩٤٦) أن السلطان محمداً الثانى استدعاه من قونية إلى أدرنة بعيد جلوسه على العرش ؛ وقد بسط بشير للسلطان مزايا جو أدرنه وحبب إليه موقعها ليقيم عليه قصرا جديداً (بدأ عام ٨٥٥هـ = ١٤٥١م)

انظر مادة أدرنه بقلم م . طيب گوك بلگين ، ص ١١٧ ب) .

والتاريخ العثماني الذى نسب إليه (تواريخ آل عثمان فى تورك أدبياتى أورنكلرى ، جـ ٤ ، إستانبول سنة ١٩٤٦) ليس إلا مخطوطة من الأخبار المجهولة المؤلف التى نشرها گيس Kiese (كما بين عدنان إرزى فى بلتن ، جـ١٣ ، سنة ١٩٤٩ ، ص ١٨١ - ١٨٥ : والمخطوطة قريبة جدا مما نشرة گيس ، ڤينا ، الطبعة الثانية = فلوگل رقم ٩٨٣) . والحق إن هذا التاريخ وتاريخ أدرنة ليسا من آثار بشير چلبي .

المصادر :

(١) عثمان نورى پرمه جى : أدرنه تاريخى ، إستانبول سنة ١٩٤٠ ، ص ١٦٧ (٢) ا . سهيل أونور : فاتح وحكيم بشير چلبي ، فى تورك طب تاريخى أرشيوى ، ص ٢١ — ٢٢ ، سنة ١٩٤٣ (٣) الكاتب نفسه : فاتح كليه سى وزمانى علم حياتى ، إستانبول سنة ١٩٤٦ ، ص ١٦٧ ، ٢٢٦ — ٢٢٧ (٤) الكاتب نفسه : علم وصنعت باقمندن فاتح دورى نوطلرى ١ ، إستانبول سنة ١٩٤٨ ، ص ١٣ — ١٦ (٥) الكاتب نفسه . أدرنه ده فاتحـگ جهاننما قصرى ، إستانبول سنة ١٩٥٣ ، ص ١٦ — ١٨ .

[V. H. Ménage خورشيد] ميناج

« بشير » بن سعد : صحابى ولد بمكة ، وهو من عرب الجاهلية القلائل الذين كانوا يعرفون الكتابة ، واشترك عام ٦٢٢م فى بيعة العقبة الثانية ، وشهد فى الأعوام التالية عدة غزوات تحت لواء النبى .

وفى السابع من شعبان (ديسمبر ٦٢٨) بعثه النبى فى ثلاثين رجلا فى سرية إلى فدك لمقاتلة بنى مُرَّة ، وما إن التقى الجمعان حتى فر رجاله ، ولكن بشيراً دافع عن نفسه دفاع الأبطال إلى أن جرح فى قدمه جرحاً بليغاً ، وظُنَّ أول الأمر أنه مات ، غير أنه حمل فى الليل إلى فدك حيث اعتنى به أحد اليهود أياما استطاع بعدها أن يعود إلى المدينة . وفى شهر شوال من العام نفسه (فبراير ٦٢٩) بلغ النبى أن غطفان نزلت بالقرب من جناب (جبار) ويمن بين فدك ووادى القرى بزعامة عيينة بن حصن تبتغى المدينة ، فأقام بشيراً على رأس ثلاثمائة رجل فتقدم نحو بنى غطفان ففروا . وأصاب كثيراً من الغنم والإبل . ولما فتحت الحيرة عام ١٢هـ (٦٣٣م) أنفذه — إذا أخذنا بالرواية الشائعة — خالد ابن الوليد إلى بانِقيا ، وإن كانت روايات أخرى تذهب إلى أن خالد بن الوليد هو الذى قاد الجند بنفسه فى هذه الحملة . وفى الوقعة التى نشبت بين العرب وفرسان الفرس يقودهم فرّخبنداذ انتصر العرب ، إلا أن بشيراً أصيب بجرح خطير . وتوفى فى العام نفسه عند حصار عين التمر .

المصادر :

(١) ابن سعد ، جـ ٣ ، القسم الثانى ، ص ٨٣ وما بعدها (٢) الطبرى ، جـ ١ ، ص ١٥٩٢ وما بعدها (٣) ابن الأثير ، طبعة تورنبرغ جـ ٢ ، ص ١٧٢ — ١٧٣ ، ٢٥٠ ، ٢٥٢ ، ٣٠٣ (٤) الكاتب نفسه : أسد الغابة ، جـ ١ : ص ١٩٥ (٥) النووى ، طبعة فستنفلد ، ص ١٧٤ (٦) البلاذرى ، طبعة

ده غويه ، ص ٢٢٤ ، ٢٤٨ ، ٤٧٤ (٧) الأغانى ، ج ١٤ ص ١١٩ ، ١٢٥ — ١٢٦ (٨) Caetani : *Annali dell' Islam* ، ج ٢ ، القسم الثانى ص ١٢٣٨ ؛

[تسترشتين K. V. Zetterstéen]

« بَشير الشهابى » : أمير لبنان من عام ١٧٨٩ إلى عام ١٨٤٠ ، وهو ثانى من سمى بهذا الاسم ، إذ كان هناك بشير آخر من الأسرة عينها حكم لبنان قبل المترجم له وتوفى عام ١٧٠٨ م ؛

والأسرة الشهابية قرشية أباً وأماً ، وكان منهم ولاة حوران إلى عهد نور الدين ثم رحلوا عن وطنهم القديم واستقروا بسفح جبل حرمون بزعامة الأمير منقذ واتخذوا حاصبيا مقراً لهم ؛ وحلت الأسرة الشهابية محل أسرة معن (انظر هذه المادة) عند وفاة آخر شيوخها من الدروز عام ١١٣٩ هـ (١٦٩٨ م) ثم انتقلت إلى دير القمـــــر ؛

وكان أول من ولى الحكم من هذا البيت هو بشير الشهابى الذى سبقت الإشارة إليه ، وخلفه فى إمارة لبنان حيدر الشهابى حتى عام ١٧٢٩ م ثم أعقبه ملحم الثانى حتى سنة ١٧٥٦ م ، فخلفه أخواه أحمد ومنصور ثم أتى بعدهما ولده يوسف إلى عام ١٧٨٨ ؛ وفى عهده وَلد بشير الشهابى (الثانى) عام ١٧٦٧ ؛ وفقد أباه قاسماً فى حداثته ، ولم يكن له من الشأن أول الأمر ما كان لأخيه حسن الذى كان أكبر حظوة منه عند الأمير يوسف ، حتى إذا كبر بشير تمكن من حمل الجزار باشا والى عكا (انظر هذه المادة) على أن يؤمّره على لبنان مكان عمه يوسف الذى قتل فى الطريق إلى عكا عام ١٧٩٠ م ؛

واعتمد بشير الذى كان أبوه قد تنصر ، على الموازنة بنوع خاص ، واستطاع أن يوطد سلطانه بعد جلاء الفرنسيين عن الشام ، على الرغم من أن حملة بونابرت أحرجت مركزه ، لأنها جعلت منه خصما لوليه القديم الجزار باشا ، ونازعه أبناء عمه يوسف على الإمارة فلم يجد بداً من الالتجاء إلى مصر ، حيث استمال واليها القوى محمد على ؛ ولما عاد إلى الشام قتل ابنى عمه عام ١٨٠٧ م ونقل حاضرته إلى بيت الدين وابتنى فيها قصراً فخماً . واشترك بشير فى النضال الذى شب بين عبد الله باشا والى عكا وبين زميله درويش باشا والى دمشق من قبل الأتراك عقب وفاة سليمان باشا عام ١٨١٩ م ، غير أنه اضطر فى هذه المدة أيضاً إلى الذهاب إلى مصر ، وأناب عنه فى حكم الإمارة أخاه عباساً . واستطاع محمد على أن يحمل الباب العالى على مناصرة بشير وعبد الله باشا ، فتمكن بهذا من العودة إلى الشام ، وهناك خلع إخوته وأحلافه القدماء من أسرة جمبلاط القوية الذين انتهزوا فرصة غيابه واستولوا على الحكم فى لبنان .

وليس من شك فى أن محمداً علياً كان مدفوعاً بعوامل سياسية فى نصرته لبشير لأنه طلب عون هذا الأمير عند شروعه فى الحملة على الشام ، فلما حان حينها أنفذ ابنه إبراهيم باشا على رأس

جيش لمحاصرة عكا بساعده الأمير بشير الذى لم يجهر مع ذلك بنصرته للمصريين إلا عقب سقوط المدينة فى أيديهم عام ١٨٣٢ م ، ومنذ ذلك الوقت أصبح الأمير بشير لا يقوم بعمل شيء إلا بمشورة إبراهيم باشا . وخصه المصريون بأراض واسعة كان مطلق التصرف فيها . ولكن إبراهيم باشا كان يحتاج فى حروبه إلى المال والرجال وكان على الشاميين أن يمدوه بكليهما . فأثار هذا سخط الناس عليه ، وبخاصة فى لبنان التى كانت أقرب إلى الاستقلال ، ولذلك أمر إبراهيم بشيراً بنزع السلاح من رعاياه ليحمى ظهره من شر فتنة يقوم بها هؤلاء . فصدع بالأمر واستطاع بمساعدة الدروز حمل الموارنة على تسليم سلاحهم ، كما عمد إلى الدروز فجردهم من سلاحهم بمساعدة الجيوش المصرية . ولكنه مع ذلك لم يستطع أن يمنع دروز حوران من الجهر بمقاومة أوامر إبراهيم باشا ، واضطر أن يقف موقف المتفرج عندما كان الدروز ينحازون إلى الترك ثانية إبان تدخل الدول الأوروبية فى النزاع الذى شب بين محمد على والسلطان . وما إن انسحب المصريون حتى سقط بشير لأن أمله فى ممالأة الفرنسيين له لم يتحقق ، فأبحر فى الثانى عشر من أكتوبر سنة ١٨٤٠ من صيداء على ظهر سفينة إنكليزية إلى مالطة ومكث هناك ما يقرب من عام ومنها رحل إلى الآستانة فقضى بها بقية حياته متنقلا بينها وبين ربوع آسية الصغرى ، وتوفى فى الآستانة عام ١٨٥١م ، ودفن بكنيسة الأرمن الكاثوليك فى غلطة .

المصادر :

(١) طنوس الشدياق : أخبار الأعيان فى جبل لبنان ؛ (٢) جورجى زيدان : مشاهير الإسلام جـ ١ ، ص ٥٨ وما بعدها ؛ (٣) F. Perrier : *La Syrie [illegible] le gouvernement de Méhémet Ali Jusqu'en 1840* (٤) *Zeitschrift der Deutsch. Morgenl. Ges.* جـ ٥، ص٤٦ ومابعدها، ص ٤٨٣ وما بعدها ، جـ ٨ ، ص ٤٧٥ وما بعدها . (٥) von Oppenheim : *Vom Mittelmeer zum pers. Golf* جـ ١ ، ص ١٥٢ وما بعدها ؛ ويمكن الرجوع إلى المصادر المذكورة فى مادة محمد على إذا أريد التوسع فى هذا الموضوع .

« بشيكطاش » : ضاحية بالآستانة على مسيرة ميلين ونصف الميل من جسر غلطة على الشاطئ الأوروبى للبسفور ، وكان البوزنطيون يطلقون عليها « ديپلوكيونيون *Diplokionion* » نسبة إلى عمودين أقامهما هناك رومانوس الأكبر . ومن هذا الموضع نقل محمد الثانى فاتح القسطنطينية سفنه فوق تلال بره إلى القرن الذهبى الذى سد مدخله من ناحية البسفور بسلسلة حديدية وكان فى تلك المنطقة فى القرنين السابع عشر والثامن عشر القصور التى كان يصطاف فيها السلاطين والتى أحرقت عن آخرها أكثر من مرة . ويحيط بهذه الضاحية الآن القصور البديعة : ضولمه باغچه وچيراغان الذى حرق الآن ثم قصر يلدز .

ونذكر من البنى التى كان لها شأن فى التاريخ

وتعود إلى العهد التركي : قبر أمير البحر التركي العظيم خير الدين بربروسه المتوفى عام ٩٥٣ هـ (١٥٤٦ م) . وكانت بشيكطاش عبارة عن الدائرة السادسة لبلدية إستامبول .(انظر مادة « إستانبول »)
[كيس F. Giese]

«بشيكه» : (خليج) ويسميه الترك بشيكه كورفزى ، وهو خليج على الشاطىء الغربى لآسية الصغرى تجاه تنلوس . وعلى الرغم من أن هذا الخليج مكشوف فهو ملجأ حسن يحمى السفن من الرياح الشمالية والشمالية الشرقية زمن الصيف الذى لا تهب فيه الرياح الجنوبية والغربية ؛

وقد تجمع فى هذا الخليج عام ١٨٥٣ م الأسطولان الإنكليزى والفرنسى قبل الرحيل إلى القرم ، ورست فيه أيضاً سفن الدول الغربية عندما أرادت أن تحمل الباب العالى على الرضوخ .
(كيس F. Giese)

« البَصْرَة » : مدينة فى مراكش لم يبق لها أثر اليوم ؛ وكانت هذه المدينة ، التى يطلق عليها مرمول Marmol اسم بَسَت Basat وبَسْيا Basia وبسره Besara ، على هضبة تشرف من ناحية الغرب على وادى مدا Mda ومن ناحية الشرق على الطريق إلى وزّان ، ومن ناحية الشمال الشرقى على وادى لَقْس ؛ وهى تبعد نحو عشرين ميلا عن القصر الكبير وثمانين ميلا عن فاس ؛ ويذهب تسو Tissot إلى أن المدينة كانت تقوم مكان المدينة الرومانية ترمولاى Tremulae، وأنها بنيت فى العهد الذى شيدت فيه مدينة أصيلا ، أى فى نهاية القرن التاسع الميلادى ؛ والراجح أن الذى ابتناها هو إدريس الثانى . وعندما قسم محمد بن إدريس مملكته كانت البصرة هى وطنجة وسبتة وتطوان من نصيب أخيه القاسم ، وبعد ذلك بنصف قرن ، أى بعد أن غزا جوهر قائد الخليفة المعز لدين الله الفاطمى (عام ٩٥٨ م) بلاد المغرب أصبحت البصرة عاصمة ولاية صغيرة تضم الريف وبلاد غمارة وولى عليها الأمير حسن ابن قنّون الإدريسى ؛ ولكن سرعان ما خربها جيش الحاكم الخليفة الأموى بقرطبة وذلك عام ٩٧٣ م ؛ وبعد أن هزمت جنود الحاكم برغواطة أقام الحاكم يحيى أخا وزيره جعفر بن حمدون واليا على البصرة (انظر مادة « برغواطة ») .

وليس لدينا من المعلومات الموثوق بصحتها عن تاريخ البصرة أكثر مما ذكرنا . ومن المعلوم أيضاً أن تلك المدينة قد بلغت حظاً من الرفاهية فى القرنين العاشر والحادى عشر . ووصف تلك المدينة ابن حوقل كما وصفها البكرى بصفة خاصة ؛ وقد شيدت على مرتفعين من التربة المائلة إلى الاحمرار ومن ثم أطلق عليها اسم الحمراء ؛ وكان يحيط بالبصرة سور به عشرة أبواب ، وكان بها حمامان ومسجد به سبع قباب ، خلاف عدة أبنية أخرى ؛ وكان يوجد حول تلك المدن حدائق ومزارع للغلال والقطن ومراع بها قطعان كبيرة من الماشية ، وقد أطلق على تلك المدينة اسم

« بصرة الدُّبّان » لوفرة الذباب فيها » ولاحظ كتاب العرب بصفة خاصة نقاء هواء تلك المدينة وجمال نسائها ورقة سكانها » ولكن هذا الرخاء لم يدم طويلا إذ دب الانحلال فى مدينة البصرة منذ عهد الإدريسى نفسه ، وتخربت تماماً فى القرن التاسع الهجرى (الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين) وفى عهد الحسن بن محمد الوزان الزياتى Leo Africanus كانت أسوار تلك المدينة لا تزال قائمة وسط حدائق مهجورة ؛ ولم يبق اليوم من تلك الأسوار سوى بعض الأحجار ؛

المصادر :

(١) ابن حوقل: وصف إفريقية والأندلس، ترجمة ده سلان فى المجلة الأسيوية ، المجموعة الثالثة ، ج ٨ ، سنة ١٨٤٢ ، ص ١٩٢ ؛ (٢) البكرى : المسالك والممالك ، ترجمة ده سلان ، ص ٢٥٠ وما بعدها . (٣) الإدريسى : ترجمة دوزى وده غويه، ص٢٠٢ ؛ (٤) Leo Africanus، طبعة شيفر ، ج ٢ ، ص ٣٥ . (٥) Tissot : *Recherches* [redacted] *la géographie de la Mauritanie Tingitane* ، ص ١٦٠ وما بعدها .

[G. Yver إيفر]

« البصرة » وكانت تعرف فى العصور الوسطى بأوربا باسم بلسورا Balsora وكثيراً ما تكتب الآن بسّورا Bassora : مدينة تجارية على شط العرب كانت عاصمة ولاية تركية بنفس الاسم ، وتقوم على مسيرة ثلثمائة ميل إلى الجنوب الشرقى من بغداد ؛

وقد قامت منذ الأزمان القديمة فى تلك البقعة — التى يصب فيها نهرا دجلة والفرات مياههما فى البحر — عدة مدائن هامة ؛ ودجلة والفرات هما الطريقان المائيان الكبيران لتجارة البلدان الموجودة فى أحواضهما حيث تلتقى الطرق الصحراوية الآتية من الغرب ، أى من نجد والشام (بصُرَى) بالطرق الآتية من المرتفعات الإيرانية ، وذلك فى المنطقة بين إقليم البطائح (انظر هذا المادة) الكثير المستنقعات وشاطئ الخليج الفارسى ؛ ويظن أن مدينة دريديتس Diriditis (أو تريدون Teredon) التى ورد ذكرها فى عهد الإسكندر الأكبر كانت فى تلك المنطقة ؛

وقد أنشأ العرب هناك محلة تعرف باسم «الخُرَيْبة» وهى التى عرفت فيما بعد بأنها ضاحية من ضواحى البصرة ؛ ومهما يكن من شىء فإن مدينة البصرة حديثة العهد ؛ وكان من الضرورى على الفاتحين احتلال المنطقة التى تتلاقى فيها الطرق العامة المرتفعة التى تشرف بوجه خاص على كل من يفد إلى العراق من ناحية البحر ؛ وقد أسس مدينة البصرة عتبة بن غزوان عام ١٦ هـ (٦٣٧ م) أو عام ١٧ هـ (٦٣٨ م) بأمر من الخليفة عمر ، وكان فى المكان الذى شيدت فيه المدينة معسكر ضرب هناك منذ عام ١٤ هـ (٦٣٥ م) ولكنه أخلى ثانية ؛ وقصد من بناء هذه المدينة إلى أن تكون مركزاً للجيش العربى ، لذلك اختير مكانها

فى بقعة بالقرب من النهر عند أطراف السهب والوادى الخصب القريب من المشارب والمرعى ؛ وسميت المدينة البصرة أى « الحجر الأبيض » لأن الأرض التى شيدت عليها من الحجر الأبيض . وكانت مساكنها فى بادى الأمر من الأكواخ المبنية من القصب . وابتنى أبو موسى الأشعرى المسجد من اللبن ، ولكن أعيد بناؤه بعد ذلك بالآجر . وكان يربطها بالنهر أيام الخليفة عمر عدة قنوات ، وسرعان ما ازدهرت هذه المدينة وأصبح لأهلها – الذين عرفوا بالشغب – شأن هام فى تاريخ الإسلام منذ عهد متقدم . وقد خرج من تلك المدينة عائشة وطلحة والزبير لمقاتلة على الذى انتصر عليهم فى وقعة الجمل عند الخريبة عام ٣٦ من الهجرة (٦٥٦ م) ولايزال اسم الزبير يطلق على مكان بالقرب من مدينة البصرة الحديثة يبعد عنها نحو ساعتين . وقد يكون هذا المكان هو الموضع الذى دفن فيه الزبير . كما أنه يدلنا على موضع مدينة البصرة القديمة . ويدل على ما كان لهذه المدينة من شأن إبان الأمويين أن خراسان كانت تحكم من البصرة . وكانت البصرة مهد الخلافات القبلية بين العرب ، تلك الخلافات التى كانت وبالا على الدولة الإسلامية . ففى أواخر عهد معاوية هاجر الأزد إلى تلك المدينة وهناك تحالفوا مع ربيعة على تميم وقيس . وكان أمهر الولاة ملزمين على الدوام بحفظ النظام فى تلك المدينة المزدحمة بالسكان وبين العرب الذين اختلط بهم عدد كبير من الموالى . وقد قدر عدد سكان تلك المدينة حوالى عام ٥٠ هـ بنحو ثلثمائة ألف نسمة .

وكانت دسائس الخوارج من الأسباب التى زادت من المنازعات القبلية وكانت عاملا فى الإخلال بالأمن بتلك المدينة . والبصرة – مثل شقيقتها الكوفة – كانت مرتعاً خصباً للحروب الأهلية ، إذ كانت هى وما جاورها ميداناً للفتن الهامة التى هبت فى وجه الأمويين ، إلا أنها مع ذلك قد صمدت أمام تقدم الأمويين المنتصرين مدة أطول من المدة التى صمدتها مدينة الكوفة ، وهى التى كانت دائماً معقلا قوياً للعلويين .

وبلغت مدينة البصرة أوج ازدهارها زمن العباسيين ، فقد كانت هى وضاحيتها الأبلة مركز تجارة العرب البحرية ، تلك التجارة التى انتشرت حتى بلغت بلاد الصين . وتفرعت القناتان الكبيرتان اللتان تربطان هذه المدينة بالنهر – وهما نهر الأبلة ونهر المعقل – إلى جملة مجار مائية أغلبها صالح للملاحة تجرى فى شوارع البصرة وحدائقها ؛ وتطور حى المدينة القائم عند الباب الغربى حيث تنيخ القوافل على المربد حتى حى الأعمال بالمدينة ، وتعطينا قصص ألف ليلة وليلة صورة عن الحياة المرحة التى كانت عليها أسواق تلك المدينة التجارية وقنـواتها .

وقد ازدهرت الحياة العقلية فى البصرة إلى جانب تقدمها الاقتصادى ، فكانت المكتبات العامة والمساجد أسمى ما يتوق إليه الأهالى فى حياتهم . وظهر النحو العربى الجديد فى كل من

البصرة والكوفة : ونذكر إلى جانب الحسن البصرى – من الفقهاء الذين ولدوا فى البصرة وظهروا فى العهد الأموى – الأشعرىّ مؤسس مذهب الأشاعرة . وكان أحرار الفكر يعقدون اجتماعاتهم فى تلك المدينة ، وعاش فيها إخوان الصفاء (انظر هذه المادة) فى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) . وظهر فى البصرة فى القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) أحد أئمة الأدب العربى ، وهو الحريرى .

ووضع اضمحلال السلطة المركزية فى الدولة الإسلامية على توالى الأيام حداً لازدهار مدينة البصرة ، كما أن فتنة الزنج (انظر هذه المادة) قد ألحقت بهذه المدينة أضراراً بليغة عام ٢٥٧ هـ (٨٧١ م) . وما إن بدأ القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) حتى أصبح القرامطة مصدر خطر دائم على العراق ، فقد نهبوها عام ٣١١ هـ (٩٢٣ م) . وليس هنا مجال التحدث بالتفصيل عن أحداث تلك المدينة فى عهد ولاتها الثائرين على الخلفاء (انظر مادة « بريدى ») أو إبان حروب بنى بويه أو خلال عهود بنى مَزْيد والسلاجقة ، أو أثناء الغارات التى كانت تقوم بها القبائل العربية المجاورة على تلك المدينة مثل غزوة المنتفق .

وكانت غزوة المغول لتلك المدينة عام ٦٥٦هـ (١٢٥٨م) عصراً من عصور الركود فى تاريخها ، ويلوح لنا أن الإهمال المستمر لنظام القنوات فى البصرة إبان عهد المغول أدى إلى هجر تلك المدينة ، فقد وجد ابن بطوطة الجزء الأكبر من البصرة خالياً من السكان، بل كانت الأسوار القديمة والمساجد تبعد أحياناً عدة أميال عن الأجزاء المسكونة من البصرة فى عهده . وهو يصف المدينة بأنها على شاطئ النهر ، ويمتدح نخيلها ، ولكنه يتحسر على ما كان لهذه المدينة من شأن فى الميدان الاقتصادى والعقلى. وكان سكان المدينة فى ذلك الوقت من أهل السنة ،وإن كان يطلق على المسجد الشهير فى وسط المدينة اسم مسجد على . ولاقت البصرة فى القرون التالية نفس المصير الذى لاقته كل من بغداد والعراق . ويقول تاڤرنييه Tavernier إنه لو كانت البصرة تابعة للقبائل العربية المجاورة قبل أن يحتلها الترك لكان من الراجح ألا يحفل بها ولاة بغداد كثيراً .

وانتقلت البصرة إلى أيدى الترك بعد غزوة سليمان الأول لبغداد عام ٩٤١ هـ (١٥٣٤م) . واستطاع أفراسياب ، وهو من أهل تلك المدينة الأقوياء ، أن يكوّن أسرة مستقلة بالفعل فى البصرة ، ذلك منذ القرن السابع عشر . وفى عهد تلك الأسرة وتحت حمايتها فتحت ميناء البصرة للتجارة الأوروبية ، ففتحت أول الأمر للتجار البرتغاليين ثم للهولنديين والإنكليز من بعدهم ، واضطر حسين آخر ولاة البصرة المستقلين إلى الالتجاء بالفرس من الترك الذين أغضبهم بعجرفته . ومنذ ذلك الوقت ابتدأت فترة نزاع طويل حول هذه المدينة انتهت بتخلى الفرس عنها للترك عام ١٧٧٩م . وظلت البصرة منذ ذلك العهد فى أيدى الترك ما عدا الفترة التى احتلها فيها

محمد على باشا من عام ١٨٣٢ إلى ١٨٤٠م ؛ ومدينة البصرة الحديثة وسط أحراج من النخيل ، ويصلها بشط العرب القناة المعروفة باسم نهر العشّار ، وهى التى أطلق عليها الأوربيون اسم القناة الكبرى لمدينة البندقية العربية .

وهذه المدينة — التى نقص عدد سكانها إلى بضعة آلاف فى النصف الأول من القرن التاسع عشر بسبب الحروب المستمرة والأوبئة — قد أخذت فى الانتعاش منذ ذلك الحين : ويتراوح عدد سكان هذه المدينة وفقا للتقديرات المختلفة بين ١٨ ألف و ٦٠ ألف نسمة، والراجح أن التقدير الأقل هو الأصح ؛ وكانت البصرة مقر الوالى منذ عام ١٨٨٤؛ وتقوم الشهرة الاقتصادية لهذه المدينة على تجارتها النافقة ؛ وتتراوح قيمة صادراتها ، وأهمها البلح ، بين ١,٥٠٠,٠٠٠ جنيه إنكليزى و ٢,٠٠٠,٠٠٠ جنيه، وقيمة وارداتها بين ١,٩٠٠,٠٠٠جنيه إنكليزى و ٢,٤٠٠,٠٠٠ جنيه وذلك وفق تقارير القنصل الإنكليزى عن الأعوام ١٩٠٧ — ١٩٠٩ :

ويتوقع ازدياد أهمية تلك المدينة بعد إتمام سكة حديد بغداد .

المصادر :

(١) البلاذرى ، طبعة ده غويه ، فى مواضع مختلفة (٢) المكتبة الجغرافية العربية ، طبعة ده غويه ، جـ ١ ، ص ٨٠ وما بعدها ؛ جـ ٢ ، ص ١٥٩ وما بعدها ، جـ ٣ ، ص ١١٧ وما بعدها ؛ جـ ٥ ، ص ١٨٧ — ١٩٢ ، جـ ٧ ، ص ٣٢٣ (٣) ابن سرابيون فى المجلة الأسيوية الملكية لعام ١٨٩٥ ، ص ٢٩ ، ٢١٣ وما بعدها (٤) ياقوت ، طبعة فستنفلد ، جـ ١ ، ص ٦٣٦ — ٦٥٣ (٥) الإدريسى ، ترجمة جوبير Jaubert ، جـ ١ ، ص ٣٦٨ وما بعدها (٦) ابن بطوطة ، طبعة باريس ، جـ ٢ ، ص ٨ — ١٦ (٧) *Annali dell' Islam* : L. Caetani جـ ٣ ، ص ٢٩٢ — ٣٠٩ ، ٧٦٩ — ٧٨٤ (٨) *The Lands of the Eastern Caliphate*: G. Strange ص ٤٤ — ٤٦ (٩) *Les six voyages* : Tavernier باريس سنة ١٦٧٦ ، جـ ١ ، ص ٢١٧ وما بعدها (١٠) *Travels to the City of the Caliphs*: Wellsted حـ ١ : ص ١٤١ وما بعدها (١١) *Erdkunde* : Ritter جـ ١٠ ، ص ١٧٢ — ١٨٢ ؛ ١٠٣٢ — ١٠٥٦ (١٢) *Am Euphrat und Tigris* : E. Sachau (١٣) على جواد : ممالك عثمانيه نك تأريخ جغرافيا لغاتى ، ص١٧٨ومابعدها (١٤) *Vom Mittelmeer zum Persischen Golf* : M. von Oppenheim جـ ٢ ، ص ٢٩٣—٣٠٤ (١٥) *La Turquie d' Asie* : Cuinet جـ ٣ ، ص ٢٥٨ وما بعدها ؛

[هارتمان R.Hartmann]

+ **البصرة** : (بلسورا Balsora : فى أوروبا أثناء القرون الوسطى ، وبلسارا Balsara : فى تافرنييه Tavernier ، وبَسْرا Basra وبَسْرَه Basrah وبَسُّورا Bassora : فى أوربا الحديثة الأرثوذكسية) : مدينة فى بلاد الجزيرة الدنيا ، على شطّ العرب ، وعلى مسيرة ٢٧٩ ميلا (٤٢٠ كم من جنوبى شرق بغداد : وقد تغير موقع البلدة إلى حد ما على مدى التاريخ ، ونستطيع أن

تميز بين البصرة القديمة — وتشير إليها اليوم قرية الزُبَيْر — وبين البصرة الجديدة التى أنشئت فى القرن الحادى عشر الهجرى (الثامن عشر الميلادى) بالقرب من الأُبُلَّة (انظر هذه المادة) القديمة والتى تعد نقطة الابتداء لبلدة البصرة الحديثة. ويرجع الفضل فى سرعة نموها إلى اكتشاف زيت البترول غربى الزبير.

(١) البصرة حتى الغزو المغولى (٦٥٦ هـ = ١٢٥٨ م)

شيدت البلدة الإسلامية، على الأرجح، فى موضع ديريديتس Diriditis القديمة (= تريدون Teredon)، وعلى وجه التحقيق، فى موضع المحلة الفارسية القديمة التى كانت تحمل اسم فَهِشْتاباذْ أرْدَشير، ومع ذلك فإنه يمكن أن تعد منشأة جديدة. وقد اختار الصحابى عُتْبة بن غَزْوان (انظر هذه المادة) هذا الموضع عام ١٧هـ (٦٣٨م) بعد أن ضرب فسطاطه عام ١٤هـ (٦٣٥م) عند أطلال الموقع الحربى الفارسى القديم الذى أطلق عليه العرب اسم الخُرَيْبة، وذلك ليقيم، بناء على أوامر الخليفة عمر بن الخطاب، المعسكر الحربى الذى قامت عليه بلدة البصرة (ولعل اسمها مشتق من طبيعة التربة). ولما كان هذا المعسكر يقع على مسيرة خمسة عشر كيلو متراً تقريبا من شط العرب، فقد قدر له التحكم فى الطريق الواصل من الخليج الفارسى ومن العراق ومن بلاد الفرس، وأن يكون قاعدة تنطلق منها الحملات التالية الموجهة إلى المشرق من نهر الفرات ونهر دجلة، كما أنه كان له فى الوقت نفسه شأن فى استقرار البدو. وكانت المساكن فى البداية أكواخاً بسيطة أقيمت من سيار الحصر الذى يمكن جمعه بسهولة من البطيحة (انظر مادة «البطيحة») المجاورة، ثم دعمت بعد ذلك بأسوار منخفضة ثم أعيد بناؤها باللبن بعد حريق اشتعل فيها. وفى عهد زياد بن أبى سفيان استبدل باللبن الآجر. وبدأت البلدة تتخذ مظهر المدينة الحقيقية، ففيها مسجد جامع جديد ودار للوالى، ولم يكن السور الذى خده خندق قد شيد حتى عام ١٥٥هـ (٧٧١ — ٧٧٢م).

وكان تزويد البصرة بمياه الشرب، فى جميع العصور، يثير مشكلة خطيرة، وعلى الرغم من حفر قنوات مختلفة والانتفاع بحوض نهر پلاكوپاس Pallacopas القديم لتزويد البلدة بمرفأ نهرى فإن السكان اضطروا إلى أن يمضوا إلى نهر دجلة للحصول على مواردهم.

فإذا أضفنا إلى هذه المشقة قسوة المناخ فإن ذلك كان قمينا بأن يحول دون أن يصبح المعسكر الحربى مدينة كبيرة، بيد أن العوامل السياسية والاقتصادية والنفسية كانت من القوة بحيث حملت البصريين على البقاء فى البلدة، التى تدين لهم بنموها، إلى أن تدخلت عوامل أخرى — أولها إنشاء بغداد ثم تدهور السلطة المركزية والفوضى السياسية التى كانت إيذانا باضمحلال تام حدث بنفس السرعة التى ازدهرت بها البلدة.

ولقد أمدت البصرة، فى بداية وجودها، جيوش الفتح العربية بالجند، واشترك أهالى البصرة

فى وقعة نهاوند عام ٢١هـ (٦٤٢م) » وفتوح إصطخر وفارس وخراسان وسجستان سنة ٢٩هـ (٦٥٠م) ؛ وفى هذه المرحلة كان المعسكر الحربى يقوم بدوره الطبيعى ، إلا أن الفئ مبدأ يتدفق وقتذاك وأخذ أهالى البصرة يدركون شأنهم ، ثم بدأت الأحداث تسير بخطى سريعة ؛ وأصبحت البلدة مسرحا لأول نزاع كبير مسلح ، فيه قاتل المسلمون إخوانهم المسلمين فى موقعة الجمل عام ٣٦هـ (٦٥٦م ؛ انظر مادة « الجمل ») : وقد انقسم أهل البصرة قبل المعركة إلى فريقين متضادين فى الولاء » ولم يؤد انتصار على بن أبى طالب إلا إلى زيادة الشغب بينهم ، ولكن الأهلين » بوجه عام ، ظلوا ، وقدر لهم أن يظلوا » أقرب إلى أهل السنة منهم إلى أهل الشيعة ، على نقيض الكوفة العلوية : وفى السنة التالية (٣٧ = ٦٥٧م) اشترك رجال من البصرة فى موقعة صفين (انظر هذه المادة) فى صف على » ولكن حدث فى الوقت نفسه ، أن جند من البصرة أيضا ، عدد لا يستهان به من الخوارج الأولين : وفى عام ٤١هـ (٦٦٢م) أكد معاوية مرة أخرى سلطان بنى أمية على البلدة ، ثم بعث إليها عام ٤٥هـ (٦٦٥م) بزياد ، الذى يعد إلى حد ما صاحب الفضل فى رخاء البلدة . وقسمت البصرة إلى خمسة أخماس (جمع خُمْس) وهى : أهل العالية (سكان إقليم الحجاز العالى) » وتميم ، وبكر بن وائل » وعبد القيس » والأزد ؛ وقامت من هذه العناصر العربية طبقة الأرستقراطية العسكرية فى البصرة ، وأدمجت هذه الطبقة فى صف الموالى أو الأرقاء : السكان الوطنيين (ولا شك أن عددهم كان قليلا نسبيا) وجمعا من الشعوب المهاجرة (إيرانيين وهنود وأناس من السند والملايو والزنج إلخ ؛) الذين انحازوا إلى سادتهم فى منازعاتهم ، والذين كانت العصبية القبلية القديمة بينهم قد كلّت حتى فقدت قوتها ؛ وازداد الموقف المحلى سوءا فى عهد العامل عبيد الله بن زياد ، فلما توفى عام ٦٤هـ (٦٨٣م) نشبت اضطرابات خطيرة ، وبعد فترة سادت فيها الفوضى استولى آل الزبير على زمام السلطة فى البصرة » وظلت تخضع لسلطانهم حتى عام ٧٢هـ (٦٩١م) ؛ وكان هم بنى أمية الأولين فى السنوات التالية منصرفا إلى إخماد عدد من الفتن ، أهمها فتنة ابن الأشعث (انظر هذه المادة) عام ٨١هـ (٧٠١م) ولم يقدر لفترة الهدوء التى سادت حينذاك حتى وفاة الحجاج عام ٩٥هـ (٧١٤م) أن تستمر طويلا » فقد قطعتها فتنة آل المُهَلَّب عام ١٠١ — ١٠٢هـ (٧١٩ — ٧٢٠م) وبعض الفتن القليلة الأهمية ؛ وانتقلت البلدة حينذاك ، دون مشقة كبرى ، إلى قبضة العباسيين » بيد أن قرب العاصمة الجديدة لم يتوان عن سلب البصرة صفتها بوصفها قصبة شبه مستقلة » وهى صفة لازمتها منذ إنشائها » وأصبحت منذ ذلك بلدة إقليمية بسيطة » تهددها بين حين وآخر فتن لها صبغة اجتماعية أكثر منها سياسية ، فتعرضت أولا لفتنة الزُّطّ (انظر هذه المادة) » الذين نشروا حكم الإرهاب فى المنطقة من عام ٢٠٥هـ إلى عام ٢٢٠هـ (٨٢٠ — ٨٣٥م) ثم فتنة الزَّنْج (انظر هذه المادة) للذين

استولوا على زمام السلطة عام ٢٥٧هـ (٨٧١م) وأخيراً فتنة القرامطة الذين سلبوها ونهبوها عام ٣١١هـ (٩٢٣م)، وسقطت بعد هذا بفترة قصيرة فى أيدى البريدية (انظر هذه المادة)، وانتزعها منهم بنو بويه (انظر هذه المادة) عام ٣٣٦هـ (٩٤٧م) ثم انتقلت إلى حكم بنى مَزْيَد (انظر هذه المادة) وذاقت طعم الرخاء من جديد، على الرغم من أن السور الجديد الذى شيد عام ٥١٧هـ (١١٢٣م) على مسيرة كيلومترين داخل السور القديم. والذى دمر حوالى نهاية القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) يعد دليلا كافيا على تدهور حال البلدة. وانتهز البدو المقيمون فى جوارها (وبخاصة بدو المنتفق) فرصة الفوضى السياسية فجعلوا المدينة نهبا لغاراتهم التى تبتغى السلب والنهب. ويؤكد ناسخ لكتاب ابن حوقل أن عددا من المبانى دمر منذ عام ٥٣٧هـ (١٢٤٢م). ولم يبق فى أيامنا هذه من القصبة القديمة سوى مبنى يعرف بمسجد على وقبور طلحة والزبير وابن سيرين والحسن البصرى.

وبلغت البلدة أوج ازدهارها فى القرن الثانى الهجرى (الثامن الميلادى) ومستهل القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى). وقد وصلت إبان هذه الفترة إلى كامل نموها وازداد عدد سكانها بنسبة كبيرة. وعلى الرغم من أن الأرقام المذكورة تتفاوت تفاوتا عظيما (تتراوح بين ٢٠٠,٠٠٠ و ٦٠٠,٠٠٠ نسمة) فإن البصرة كانت طوال العصور الوسطى مدينة كبيرة جداً، وكانت علاوة على هذا «عاصمة كاملة»، كما كانت فى الوقت نفسه مركزا تجاريا بضاحيتها المربَد، التى كانت محطة للقوافل، وبمينائها النهرى الكلاء التى كانت تموِّن السفن ذات الحمولة الثقيلة إلى حد ما؛ وكانت مركزا للنشاط المالى بفضل العناصر اليهودية والمسيحية والبورجوازيين الذين ينحدرون من أصل غير عربى، ومركزا صناعيا بفضل دور صنعتها، بل مركزا زراعيا بما تضمه من أنواع النخيل العديدة. وأخيراً كانت موطنا لنشاط دينى وفكرى كبير.

ويقول ل. ماسينيون L. Massignon: «البصرة، فى الواقع، هى البوتقة الحقيقية التى اتخذت فيها الثقافة الإسلامية شكلها، وتبلورت فى القالب المأثور» بين القرنين الأول والرابع الهجريين (من عام ١٦ هـ = ٦٣٧م إلى عام ٣١١هـ = ٩٢٣م)؛ والحق إنه ينبغى ألا يغيب عن أذهاننا أن علم النحو العربى ولد هناك، واشتهر على يد سيبويه والخليل بن أحمد بصفة خاصة، وتطور مذهب المعتزلة على يد واصل بن عطاء وعمرو بن عُبَيْد وأبى الهُذَيْل والنَّظَّام وكثير من الآخرين، وهناك أيضاً جمع الأدباء أمثال أبى عمرو بن العلاء، وأبى عبيدة، والأصمعى أشعارا وروايات تاريخية، غذَّت مصنفات الكتاب المتأخرين. وفى المجال الدينى أشرق سنا العلوم إشراقا عظيما، وفى الوقت نفسه وطَّد الحسن البصرى ومريدوه دعائم التصوف. وتستطيع البصرة، فى مجال الشعر، أن تزعم أنها أنجبت شعراء بنى أمية العظام والمحدثين بشار بن برد وأبا نواس. وأخيرا فإن النثر العربى ولد فى

هذه البلدة على يد ابن المقفّع وسهل بن هارون والجاحظ . وليس هناك ما يشير بوضوح بعد القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) إلى التدهور الفكرى كما هو الحال بالنسبة للانحلال السياسى والاقتصادى ، فقد وهب ابن سوّار البلدة مكتبة طبقت شهرتها الآفاق ، وأسهم إخوان الصفاء والحريرى فى الحفاظ على ما تتمتع به البلدة من بعد الصيت ، ولكن الثقافة العربية بوجه عام كانت قد أخذ يدب فيها الاضمحلال ، واهتمت بغداد وغيرها من حواضر الأقاليم بأن تجرد البصرة من عرشها تجريداً تاماً .

المصادر :

كتب تاريخ البصرة أربعة مؤلفين على الأقل ، وهم عمر بن شبّة ، والمدائنى ، والساجى ، وابن العربى ، بيد أن مصنفاتهم لم يعثر عليها ، ومن الضرورى أن نشير إلى النصوص العظيمة الواردة فى كتب التاريخ والسير والجغرافية للبلاذرى والطبرى وابن سعد وابن الأثير وابن الفقيه والإصطخرى والمقدسى والإدريسى وياقوت إلخ . يضاف إلى هذا أن هذه المصنفات قد أفاد منها (١) L. Caetani فى *Annali* ، جـ ٣ ، ص ٢٩٢ — ٣٠٩ ، ص ٧٦٩ — ٧٨٤ (انظر أيضا للكاتب نفسه *Chronographia* ، فى مواضع مختلفة) و (٢) Le Strange ، ص ٤٤ — ٤٦ ؛ وكذلك (٣) Ch. Pellat - *Le Milieu basrien et la formation de Gahiz* ، باريس سنة ١٩٥٣ ، حيث يوجد تاريخ البلدة منذ إنشائها حتى منتصف القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) ويمكن أن يضاف إلى ذلك بصفة خاصة (٤) J. Saint - Martin : *Recherches sur L'histoire et la geographie de la Mésène et de la Characène* ، باريس سنة ١٨٣٨ ، ص ٤٧ وما بعدها (٥) Rawlinson : *The five Great Monarchies* جـ ٣ ، ص ٢٩٠ (٦) ناصر خسرو : سفر — نامه . (٧) أما الطبوغرافية القديمة للبلدة فهى موضوع بحث مفصل قام به صالح العلى : خطط البصرة ، فى سومر ، سنة ١٩٥٢ ، ص ٧٢ — ٨٣ و ٢٨١ — ٣٠٣ (انظر أيضا أعداد سومر التالية) (٨) وبحث مثير قام به L. Massignon : *Explication du plan de Basra* فى *Westostliche Abhandlungen* R. Tschudi ، فسبادن سنة ١٩٥٤ ، ص ١٥٤ — ١٧٤ مع خريطتين تقريبيتين تبينان أولا موقع كل من بلدتى البصرة وثانيا موضع الأخماس .

(٩) أما النظم الاجتماعية فى القرن الأول الهجرى (السابع الميلادى) فقد درسها دراسة عميقة صالح العلى : التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية فى البصرة ، بغداد سنة ١٩٥٣ (مع ذكر المصادر كاملة) .

[Ch. Pellat بلا] آدم

(٢) البصرة الحديثة

إن البصرة التى تضاءل حجمها وحيويتها كثيرا بين القرنين الخامس والسابع الهجريين (الحادى عشر — الثالث عشر الميلاديين) ازدادت وهنا على وهن ودب فيها الضعف مما لحقها من دمار وما تعرضت له من فوضى سريعة وإهمال إثر غزو

هولاكو للعراق عام ٦٥٦هـ (١٢٥٨م) وإقامة حكم الإيلخان فيها. وكانت البصرة في عهده أقصى الأقاليم. مرت بها فترات تعرضت فيها للفتنة أو العصيان أو الانشقاق. وفي منتصف القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) وجد ابن بطوطة المدينة قد أصبح معظمها أطلالا، وعلى حين كانت بعض المباني الرئيسية (وتشمل المسجد الجامع) لا تزال قائمة. فإن المدينة كانت تميل إلى التحول من موقعها الأصلي إلى موقع آخر (موضعها الحديث) على مسيرة اثني عشر ميلا. في مكان الأبُلّة أو بالقرب منه: وهو انتقال أملته إلى حد ما دواعي الأمن من ناحية وتلف القنوات من ناحية أخرى. وظلت منطقة البلح العظيمة في شط العرب مصدر ثروة البصريين وموضع فخارهم، بيد أن حياتها الثقافية والاقتصادية اضمحلت طوال أيام الدولة الجلائرية ودولة التركمان في تاريخ العراق، من عام ٧٤٠هـ (١٣٤٠م) إلى عام ٩١٤هـ (١٥٠٨م) فلما سقطت أخيراً هي والعراق بأسره في السنة الأخيرة المشار إليها، أجل لما سقطت في يد الملك الفارسي الشاه إسماعيل وظلت في قبضته حقبة قصيرة: من عام ٩١٤هـ (١٥٠٨م) إلى عام ٩٤١هـ (١٥٣٤م) — كانت، في موقعها الجديد الذي أقيم على مسيرة ميلين بمقربة من منبع قناة رئيسية (خليج العشار حديثا) مجرد بلدة إقليمية قليلة الأهمية، اللهم إلا ما كان لمينائها البحري من منزلة. وما تضمه من بساتين، ونزوعها للاستقلال محليا عن السلاطين البعيدين.

وقد كان للفتح العثماني عام ٩٤١هـ (١٥٣٤م) وهو الفتح الذي عزز العناصر السنة الغالبة من قبل على السكان، أثر قليل آخر على مكانتها أو مصائرها. وقد قنع الباشا التركي بأقل قدر من الاحترام والجزية من المدينة التي تحيط بها المستنقعات وتهددها القبائل من أقصى الجنوب. وعندما هبت رياح الاستقلال في البصرة بشدة عام ٩٥٣هـ (١٥٤٦م) نجحت حملتان أنفذتا من وسط العراق في استعادة بعض مظاهر السلطة التي يتمتع بها السلطان حيال المرشحين المحليين الأقوياء لتولي أمرها (من القبائل أو من أهل الحضر): وقام أحد أعيان الجهة ويدعى أفراسياب (انظر هذه المادة) وهو وقتذاك من أصل لا يعرف على وجه التحقيق، وابنه وحفيده على باشا (١٠٣٤هـ = ١٦٢٤م) وحسين باشا (حوالي عام ١٠٦٠هـ = ١٦٥٠م) بمحاولة دامت وقتا أطول وصادفت نجاحا أكبر للحصول على شبه استقلال مع الاعتراف بسلطة السلطان اسمياً فحسب. وفتحت هذه الأسرة الحاكمة الهامة أبواب البصرة وممراتها المائية لممثلي الأوروبيين وأساطيلهم التجارية — من البرتغاليين والبريطانيين والهولنديين — ثم نشطوا في تجارة الخليج الفارسي. وبقيت البصرة رغم تعرضها لبعض التقلبات والانقطاعات، مدة ٤٥ عاما صمدت فيها للجهود المسلحة والدبلوماسية التي قام بها باشا بغداد، وتهديدات الشاه الصفوي ودسائس الخصوم المحليين ورجال القبائل المرتدين. ولم تتم عودتها إلى حظيرة الإمبراطورية العثمانية عودة تامة إلا بعد مرور حقبة كاملة أخرى تعرضت فيها للثورة المحلية والتسلل

الفارسى ، والسيطرة القبلية (قبائل الحُوَيْزَة والمنْتَفِق) والإبادة بفعل الطاعون .

وظلت البصرة طوال القرنين الثانى عشر والثالث عشر الهجريين (الثامن عشر — التاسع عشر الميلاديين) التاليين لهذه الأحداث ، قصبة جنوبى العراق ، والميناء الوحيد فى البلاد — رغم أنه بدائى يفتقر إلى التجهيز السليم — وقاعدة لأسطول ضعيف صغير ومركزا لتجارة البلح وممرا لقبائل الجزيرة العربية وخوزستان والخليج الفارسى وأمرائها؛ وكانت المدينة ، التى لم تتطور إدارتها إلا بعد عام ١٢٤٧هـ (١٨٣١ م) وتنحو ببطء نحو العصرية ، دائما تحت رحمة المغيرين بل الغزاة من رجال القبائل ، وبخاصة جماعة المنتفق القبلية العظيمة ومعرضة للطاعون والفيضان .

وفى أثناء الحملات التى قام بها نادرشاه فى العراق فى منتصف القرن ، كانت البصرة مهددة وتعرضت للحصار فترة طويلة ، وعلى أثر انسحابه حدثت المحاولات المعتادة للانفصال : وشهد الناس حكومة قوية رشيدة فى عهد « المتسلمين » الناهر ، الذين يمتازون بمقدرة عالية ، ومنهم سليمان أبو ليلى من عام ١٢٦٦هـ (١٧٤٩م) وسليمان الكبير من عام ١٢٨٢هـ (١٧٦٥م) . وأنشئت مراكز تجارية دائمة وقنصليات وبعثات أوروبية (بريطانية وفرنسية وإيطالية) ونجحت فى بطء، ولكن الإحتلال بالنظام لم يتضاءل إلا نادرا . وازدادت تهديدات القبائل بارتفاع شأن زعامة سعدون القوية فى المنتفق بعد عام ١٢٥٦هـ (١٧٤٠م) ، وتعرضت المدينة والمنطقة للحصار والاحتلال من القوات الفارسية لصادق خان وشقيقه كريم خان زند (انظر هذه المادة) وكانت هذه حقبة غريبة قائمة بذاتها فى تاريخ البصرة . وأعقبها عودة كل الظروف المألوفة . ولم يؤد تهديد أسطول إمام مسقط للبصرة عام ١٢١٣هـ (١٧٩٨م) إلى نتيجة . على الرغم من أن المتنافسين على زعامة القبائل والسلطة الحكومية فى جنوبى العراق سعوا إليه ليكون حليفاً لهم ، كما حدث مثلا عام ١٢٤١ هـ (١٨٢٥م) ؛ ولم يعجز الطاعون الوبيل الذى انتشر فى بغداد عام ١٢٤٧هـ (١٨٣١م) عن تلويث الميناء أيضا وزاد من ضعفها والاضطرابات فيها .

وكانت الفترة من عام ١٢٤٨ — ١٣٣٢ هـ (١٨٣٢ — ١٩١٤ م) فترة تطور بطىء ، تحسن فيها الأمن وازدادت فيها الروابط التجارية بأوروبا وأمريكا ، وأصبحت البصرة ولاية عام ١٢٧٦ هـ (١٨٥٠ م) ومركزاً للقومية العربية الناشئة ، بين عائلاتها وشخصياتها البارزة .

وكان تحول البصرة إلى شكلها الحديث سريعاً أثناء الاحتلال البريطانى للعراق (من عام ١٣٣٣ هـ = ١٩١٤ م) والانتداب الذى أعقبه (١٣٣٩ — ١٣٥١ هـ = ١٩٢٠ — ١٩٣٢ م) : وشيدت الميناء على خطط فسيحة حديثة وجهزت تجهيزاً تاماً ووسعت قناة عميقة عند مصب شط العرب ، وتحسنت البلدة ذاتها هى وضواحيها بشق الكثير من الطرق الجديدة وإقامة العديد من المبانى والمرافق العامة ، وأصبحت المحطة النهائية الجنوبية لسكك حديد العراق ومركزا تتزايد أهميته ، وغدت فى عهد الحكومة العراقية مقراً لرئاسة اللواء الذى كان

يشمل قضاءى أبى الخصيب وقَرْنة التابعين له ؛ وكانت المدينة بضاحيتها المعقل والعشار تضم عام ١٩٥٥ نحو ٢٠٠,٠٠٠ نسمة ؛ وتبوأت البصرة مكانها بفضل تحسن الأمن ووسائل المواصلات باعتبارها الميناء الرئيسي والمستودع الكبير فى الخليج الفارسى والمنفذ الذى لاغنى له للعراق . وفى أثناء العقود الثلاثة السابقة لعام ١٣٧٧ هـ (١٩٥٧ م) نفذت إصلاحات هامة أخرى أدت إلى تحسين تخطيطها المدنى وشوارعها (ومنها طريق الكورنيش الرائع) وشيدت مبان عامة وتجارية ومرافق عامة وقدمت تسهيلات .

وإن بساتين النخيل الفسيحة (التى ظل الناس فيها على أية حال يعانون من الفقر والحياة البدائية) والممر المائى العظيم شط العرب هما شاهد عظيم على مدينة البصرة العصرية وضواحيها المنتشرة بما تتسم به من مزيج من الصفات البدائية وصفات القرون الوسطى والعصرية الكاملة . وقد نظمت صادرات البلح وتركزت فى يد هيئة اتخذت مقرها فى البصرة . وقامت شركة بترول العراق بالتنقيب عن البترول وكللت جهودها بالكشف عن حقل هام للزيت قرب قرية الزبير عام ١٣٦٨هـ (١٩٤٨م) وأعقبته كشوف أخرى (وبخاصة فى الرُمَيْلَة) فى اللواء ؛ وبدأ تصدير الزيت عن طريق ضخه فى أنابيب إلى فاو Fao عام ١٣٧١ هـ (١٩٥١ م) . وتطورت الصناعة بسرعة على نطاق كبير وأصبحت البصرة أعظم مصدر لتوظيف العاملين والتعليم التقنى والثروة . وتم إنشاء معمل صغير للتكرير فى المَفْتِيَّة عام ١٣٧٢ هـ (١٩٥٢ م) . وفى غضون ذلك استمرت المدينة والمنطقة تجنى الثمرات إلى أقصى حد منذ عام ١٣٥٣ هـ (١٩٣٤) وإن ازداد عائدها من الربح بعد عام ١٣٧٢ هـ (١٩٥٢ م) من الإثراء الذى عاد على الحكومة المركزية من استغلال مصادر الزيت فيها ؛ ووضعت خطط للقيام بإصلاحات هامة لحماية البلاد من الفيضان واستصلاح الأراضى والرى الدائم فى المنطقة المجاورة للمدينة .

المصادر :

المراجع المخطوطة والمطبوعة الخاصة بتاريخ البصرة الحديثة حتى عام ١٣١٨ هـ (١٩٠٠ م) واردة فى كتاب S. H. Longrigg وهو *Four Centuries of Modern Iraq* ، أكسفورد سنة ١٩٢٥م، ص ٣٢٧ — ٣٤٠ ؛ وبالنسبة للفترة من عام ١٣١٨هـ (١٩٠٠ م) إلى عام ١٣٧٠ هـ (١٩٥٠ م) انظر للكاتب نفسه كتاب *Iraq 1900 to 1950* ، لندن سنة ١٩٥٣ ، ص ٤٠١ — ٤١٢ .

[س . هـ . لونگريگ S. H. Longrigg]

« بُصْرَى » (Bostra) ويطلق عليها حديثاً « إسكى شام » أيضاً ، أى دمشق القديمة : قصبة ناحية ، وهى الآن قرية فقيرة من قرى حوران . وتدل آثارها الرائعة على ما كان لها من مجد فى الزمن القديم . والأمر الموثوق به تمام الوثوق هو أن بصرى كانت موجودة أيام المكابيين (المكابى الأول ، الإصحاح ٥ ، الآية ١٦) ثم تردد ذكرها فى العهد الذى تلاه واتسعت رقعتها ، وحصنت فى

عهد الرومان وكان اسمها وقتذاك نوفا ترايانا بوسترا Nova Tragana Bostra، كما كانت فى عهد دقلديانوس حاضرة الولاية العربية. ويظهر أنها لم تكن تابعة للغساسنة بل كان يحكمها البوزنطيون مباشرة؛ وفى عام ٦١٣ م دمرها الفرس كما دمروا أذرعات (انظر هذه المادة)؛ ولم تستعد بعد ذلك ما كان لها من عظمة ومجد؛

وتذهب الروايات إلى أن النبي محمداً صلى الله عليه وسلم زار بصرى فى صباه بصحبة عمه أبى طالب، وكان يعيش فى بصرى راهب اسمه بحيرا عرف فى محمد النبي المنتظر؛ وبعد ذلك بزمن بعث النبي رسولا إلى صاحب بصرى قتل فى الطريق، وربما يكون المقصود بصاحب بصرى هو عاملها من قبل الروم؛

وبصرى أول مدينة فتحها العرب فى الشام، إذ سقطت فى يد خالد عام ٦٣٤ م. ورضيت بأن تؤدى الجزية، واحتفظت فى حكم العرب بما كان لها من شأن، وظلت قصبة كورة حوران؛ ولقيت بصرى والجزء الشمالى بأسره من البلاد التى فى شرق الأردن الأمرين عام ٩٠٦ م على يد القرامطة وبنى كلب بقودهم أبو غانم. وبعد ذلك سلمها عاملها الخائن إلى بلدوين الثالث إبان الحروب الصليبية، ولكن نور الدين حال بين المسيحيين وبين الاستيلاء عليها. وحصن صلاح الدين وخلفاؤه مدينة بصرى تحصيناً منيعاً أعجز الصليبيين عن اقتحامها فيما بعد. ثم خربها المغول كما خربوا غيرها من حصون الشام، فأعاد بيبرس بناءها عقب انتصاره عام ١٢٦١ م؛ وظلت فى عهد المماليك قصبة ناحية من أعمال دمشق. ومعظم أطلالها من العصر الرومانى إلا بعضها فإنه يرجع إلى عهد الأيوبيين، كما يستدل من النقوش. وقد أخذ الخراب يدب فى مسجد العروس الذى كان زاهراً فى يوم من الأيام.

وروى أبو الفداء أن بصرى بلدة قديمة يسكنها بنو فزارة وبنو مرة وأن مساكنهم - كبقية المساكن فى حوران - مشيدة من الحجر الأسود الذى يستعمل أيضاً فى التسقيف. ويذكر كذلك المساجد والحصن الذى أعاد إلى ذاكرته دمشق والسوق التى تقام بها؛ وأشاد المقدسى بكروم بصرى التى أشار إليها النابغة ولم يخف إعجابه بديرها الذى تصل الروايات بينه وبين بحيرا؛ وكان السلطان يفرض ضريبة خاصة على ما يرد لهذا الدير من النذور والعطايا.

المصادر:

(١) P. Thomsen: *Loca sancta*، ص٤٤-٤٥ (٢) Porter: *Five years in Damascus*، ج ٢، ص ١٤٢ - ١٦٩ (٣) Schumacher: *Zeitschr. des Deutschen Pal. Ver.*، ج ٢٠، ص١٤٥-١٥٠. (٤) de Vogüé: *Syrie Centrale*، العمارة ص ٤٠، ٦٣ وما بعدها؛ لوحة رقم ٥، ص ٢٢ - ٢٣، النقوش، ص ١٠٣. (٥) M. von Oppenheim: *Vom Mittelmeer zum Persichen Golf* ج ١، ص ١٩٧ - ٢٠٢. (٦) ابن هشام؛ طبعة فستنفلد، ص ١١٥ (٧) الطبرى، طبعة ده غويه، ج ١، ص ١١٢٤ - ١١٢٥،

٢١٢٥ . (٨) الواقدى ، ترجمة ڤلهوزن Wellhausen ، ص ٣٠٩ (٩) البلاذرى ، طبعة ده غويه ، ص ١١٢ — ١١٣ . (١٠) المكتبة الجغرافية العربية ، طبعة ده غويه ، جـ ١ ، ص ٦٥ ؛ جـ ٣ ، ص ١٥١ — ١٥٢ ؛ جـ ٥ ، ص ١٦٥ ؛ جـ ٧ ، ص ٣٢٦ ؛ جـ ٨ ، ص ٢٦٥ ، ٢٨٦ ، ٣٧٣ . (١١) ياقوت : المعجم ، جـ ١ ، ص ٦٥٤ ؛ جـ ٢ ، ص ٦٤٧ ، ٧٠٤ . (١٢) أبو الفداء : تقويم البلدان ، ترجمة رينو وده سلان ، ص ٢٥٣ (١٣) المقريزى : كتاب السلوك ، ترجمة كاترمير ، جـ ١ ، ص ١٤١ . (١٤) ابن فضل الله العمرى : التعريف بالمصطلح الشريف ، القاهرة عام ١٣١٢ ، ص ١٨٢ . (١٥) G. le Strange : *Palestine under the Moslems* ص ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٢٨ .

[بول Fr. Buhl]

« البصير » ، اسم من أسماء الله الحسنى .

« البصير » : أبو على الفضل بن جعفر ابن الفضل بن يوسف : شاعر وكاتب رسائل عاش فى النصف الأول من القرن الثالث الهجرى ، وقد فضله ابن ميادة على البحترى ، كما أن نثره كان محل إعجاب عظيم ، ولكنه لا يعرف اليوم إلا بالقليل النادر الذى روى له أو ذكر عنه مما يدلنا على أنه قضى الشطر الأول من حياته فى الكوفة ، وأنه ممن حضروا دروس أبى العيناء وسعيد بن حُمَيْد ، وأنه كان محل رعاية عبيد الله ابن يحيى إبان سطوته عام ٢٤٥ هـ ؛ وقد اشتهرت أبياته فى هجاء رجل من رجال الحكم فى عصره هو المعلى بن أيوب المتوفى عام ٢٥٥ هـ ؛ ويظهر أن إحدى رسائله إلى عبيد الله كتبت للخليفة المتوكل .

وكان هذا الشاعر ضريراً ، ولذلك لقب بالبصير تلطفاً . ومن معارفه أحمد بن أبى طاهر ؛ وقد جمعت أربع من رسائله من كتب الأدب المختلفة كزهر الآداب ، ثم طبعت فى كتاب مفتاح الأفكار (القاهرة عام ١٣١٤ هـ ، ص ٣١٢ — ٣١٥) . كما ذكر المسعودى فى « مروج الذهب » منتخبات من شعره (طبعة Barbier de Meynrad جـ ٧ ، ص ٣٢٨ — ٣٣٠) فى حوادث عام ٣٤٨ ، وأورد الثعالبى قليلا من أشعاره فى « المنتحل » (ص ٧٤) ؛ وجاء فى الفهرست أن أشعاره ورسائله قد جمع كل منها فى ديوان ؛ وهناك نبذة عن البصير فى ذيل كتاب أحمد بن المنجم على كتاب الباهر ، وذكره ابن الحاجب النعمان بين الكتاب الشعراء الذين أوردهم .

[مرگوليوث D. S. Margoliouth]

« بَصيرى » : شاعر عثمانى من شعراء القرن العاشر الهجرى ، ويذكر كل من حسن چلبى صاحب كتاب التذكرة ، وسامى الذى يرجح أن يكون قد نقل عن حسن ، أن بصيرى من أهل خراسان ، بينما يذهب لطيفى إلى أنه ولد بمكان قريب من حدود فارس ؛ وجاء بصيرى إلى الآستانة فى عهد السلطان بايزيد الثانى مزوداً بتوصية

بن الشاعر بن جامى الفارسى وتوائى الجغتائى .
وكان بصرى أول من أحضر ديوان نوائى إلى
الآستانة . وعلى ذلك فإن له شأناً يذكر فى تطور
الشعر العثمانى الذى أثر فيه نوائى تأثيراً عظيماً .

ولم يبق من قصائد بصرى إلا أبيات قليلة وردت
فى التذكرة نستدل منها على أنه لم يكن يقصد بشعره
إلا إزجاء الفراغ لبعض رجال الدولة بما أورده
فيه من الطرائف والملح . ويذكر حسن وسامى
أنه توفى عام ٩٤١ هـ (١٥٣٤ — ١٥٣٥ م)
ولم يحدد لطيفى تاريخ وفاته .

المصادر :

(١) Gibb : *History of Ottoman Poetry* ، جـ ٤ ،
ص ٤٨ ، تعليق ٢ ، ص ٣٦٥ (٢) Hammer .
Gesch. der Osm. Dichtr جـ ٢ ، ص ٢١٣ .
[كيس F. Giese]

+ « البطائح » : (انظر مادة « بطيحة ») .

+ « البطائحى » ، أبو عبد الله محمد بن
فاتك الملقب بالمأمون : وزير فاطمى مغمور
الأصل كان أبوه جاسوساً مصرياً فى العراق . وقد
ارتقى مدارج السلطة بفضل رعاية وزير الأفضل
الفاطمى المشهور الذى كان للبطائحى ضلع فى اغتياله
سنة ٥١٥ هـ (١١٢١ م) ثم خلفه فأصبح الوزير
الأول للآمر الذى حكم من عام ٤٩٥ إلى عام ٥٢٤هـ
(١١٠١ — ١١٣٠ م) .

وقد دبر الأفضل انشاء مرصد فى القاهرة .
وتولى البطائحى هذا العمل الذى كان للأندلسى
أبى جعفر يوسف بن حسداى صديق الفيلسوف
ابن باجة شأن بارز فيه هو وعلماء آخرون من مصر
ومن خارجها ، وظل قائماً بهذا العمل حتى سنة
٥١٩ هـ (١١٢٥ م) وهنالك أثار البطائحى ريبة
الخليفة وهوى من سلطانه : ومن الجرائم التى
وجهت إليه إنشاء هذا المرصد ، وقد نسب إليه
أنه سمى هذا المرصد باسمه فدعاه « المأمونى »
واتخذ هذا دليلا على أنه تطلع إلى الخلافة . فلما
قبض على البطائحى ، رفض الخليفة الاستمرار فى
إنشاء المرصد ولم يجرؤ أحد على ذكره فى حضرته .
بل لقد أمر بتدميره ونقلت مواد الإنشاء إلى مخازن
الحكومة : وفر الخبراء والعمال . وكان من بين
الخبراء علاوة على أبى جعفر يوسف بن حسداى .
القاضى ابن أبى العيش الطرابلسى المهندس .
وأبو النجاء بن سند السكندرى الساعاتى ، والمهندس
أبو محمد عبد الكريم الصقلى .

وقد صلب البطائحى نفسه بأمر من الخليفة .
وظلت داره الكبيرة فى القاهرة مستخدمة مسكناً
أكثر من ثلاثين عاماً بعد ذلك ، على أن ابن خلكان
الذى أمدنا بهذه المعلومات (ترجمة « سلار »
جـ ٢ ، ص ٤٢٦) يستدرك قائلا إنها أصبحت
فى زمنه مدرسة للأحناف .

المصادر :

(١) ابن الأثير ، جـ ١٠ ، ص ٤١٧ ، ٤٤٣ —
٤٤٤ . (٢) المقريزى : الخطط ، طبعة بولاق .

ج ١ ، ص ١٢٥ — ١٢٨ ؛ (٣) ابن القلانسى ، ص ٢٠٤ ، ٢٠٩ ، ٢١٢ .

خورشيد [D. M. Dunlop دنلوب]

+ « البَطاحِرَة » (بَطْحرى) : قبيلة صغيرة غير أصيلة ، أو قل ضعيفة ، لا يزيد عددها عن مائة شخص من الذكور تقريباً ، تنزل الساحل الغربى الجنوبى بين رأس نَوْس ورأس سَوْقَرَة قبالة جزائر خوريان موريان . ومعظم معاشهم من صيد السمك ورعى الماعز ، ولكن لديهم أيضاً بعض الإبل ، وأشجار اللبان وقوارب التجارة . وهم يتكلمون علاوة على العربيـــة « البطحرى » (البَطْحرية) ويحتفظ فى هذه اللهجة بحرف العين أكثر من احتفاظ لهجات اللغات السامية الجنوبية الوثيقة النسب بها فى لغة الكلام : وهذه الألسنة هى : المَهْرى عند المهْرَة ، والحَرسوسى عند الحراسيس ، والشَحْرى عند الشحْرَة وعند أسيادهم الكبار القَرَاء،والسُقُطْرى (وقوامها المهرى ولكنها مختلطة أشد الاختلاط) عند قوم سقطرى .

والبطاحرة من حيث الدين مسلمون على المذهب الشافعى ، وهم ينتمون من حيث حزبهم السياسى إلى الغافريّة .

وجماعات البطـــاحرة هى : المَحابِشَة (المحَيشى) ؛ والمشارِمَة (المشْرى) ، والمَماطِرَة(الممْطرى) ،والمَجاعِرَة(المَجْعرى) والمَقَادِشَة (المقدشى) : ويعيش المقادشة فى جبال ظُفار بين القراء ، وهم كلهم لديهم أبقار ، ولم يبق من المجاعرة إلا ستة ذكور بعد أن قضت الحمى على عشرة منهم حوالى سنة ١٣٦٧ هـ (١٩٥٧ م) .

والمحابشة فرعان : بيت حُبَيْش (ابن حبيش) وبيت مَحْقَسِرَة (ابن محضيرة) وإلى بيت محضيرة كان ينتسب سنة ١٣٧٨ هـ (١٩٥٩ م) الشيخ القبلى حُشَيْت الذى خلف أباه محمداً راعى الحمراء قبل ذلك بسبع سنين تقريباً (وقد استبدل بلقب مُقَدَّم الآن باللقب العربى شيخ فى كثير من الأحوال) . وكان الشيخ يشاور فى المسائل الهامة زعماء الجَنَبَة والمهرة ، على أنه لم يكن خاضعاً لهم . وكان المركز الاجتماعى للبطاحرة مع مراعاة غلبة القرابة على نقاء الدم ، لاخوف شرب التصاهر مع أى من القبائل المجاورة لهم .

وكان الجيران الأقربون للبطاحرة فى إقليمهم الساحلى الخصب (وهو صغير إذا استثنينا المنطقة الداخلية التى يزعمون أنهم كانوا يمتلكونها فى يوم من الأيام) هم : القَرَاء والشحْرَة إلى الجنوب الغربى ، والحراسيس والجماعات الشرقية للمهرة فى الداخل ، والجَنَبَة إلى الشمال الشرقى ، ومن ثم فإننا فيما يتعلق بالأسماء الجغرافية فى إقليمهم ، نجد اختلافاً كبيراً بل اضطرابا بين اللغات غير العربية واللهجات العربية ، وخاصة فى اللهجة التى تتحدث بها الجنبة . وتزيد التطورات السياسية والاقتصادية من سرعة انتشار العربية ، ولذلك فإن أسماء الأماكن التى من هذا القبيل قد تنتهى

بأن يكون « الشأن الأول إن لم تصبح الآثار الوحيدة التي تذكرنا بتاريخ هذه الألسنة غير العربية في إقليم البطاحرة وفي غيره من أرجاء جنوبي جزيرة العرب .

المصادر :

(١) Four Strange Tongues : Betram Thomas from Central South Arabia ، أعيد طبعه نقلا عن Proc. Brit. Academy جـ ٢٣، لندن سنة ١٩٣٧ ، ص٢٣١—٣٣١ (٢) الكاتب نفسه : Arabia Felix نيويورك سنة ١٩٣٢ ، لندن سنة ١٩٣٦ ،ص٤٧، ٤٨ ، ٨٤ ، ١٣٠ . (٣) الكاتب نفسه : Among Some Unkown Tribes of South Arabia في J.R.A.I، ٥٩ ، سنة ١٩٢٩ ، ص ٩٧ — ١١١ .

المصادر العامة : (٤) Youakim Moubarac : Eléments de Bibliographie Sud — Semitique في R.E.I ، سنة ١٩٥٥(نشر سنة ١٩٥٧) . (٥) Index Islamicus (سنة ١٩٠٦ — ١٩٥٥) كمبردج سنة ١٩٥٨ (والأبحاث الأحدث مهمة بصفة خاصة، وهي التي قام بها دكتور وولف لسلاو Dr. Wolf Leslau، جامعة كاليفورنيا في لوس أنجليس، ودكتور إيوالد واجنر Ewald Wagner ، ماينز) .

[G. D. Matheus ماتيوز] خورشيد

« بطرس البستـــاني » : (انظر مادة : « البستاني ») .

+« البَطْروجي » « نور الدين أبو إسحق » وقد عرفه الكتاب الأوروبيون في القرون الوسطى باسم Alpetragius ألبِترا گيوس : فلكي عربي أندلسي ، وهو تلميذ ابن الطفيل (حوالي سنة ٦٠٠ هـ — ١٢٠٠ م) وصديقه : أما نظريته الفلكية التي يجب أن نلتمس أصولها في العودة إلى المذهب الأرسطي التي بدأها ابن باجة وغيره من فلاسفة العرب الأندلسيين مثل ابن طفيل والفلكي جابر بن أفلح ، فتتضمّن الرجوع إلى فكرة الحافز التي صاغها سنبلقيوس (القرن السادس الميلادي) على وجه الإجمال ، وترك أفلاك التدوير، والأفلاك مختلفة المركز ، وفكرة أن الأفلاك السماوية تدور حول محاور مختلفة ، وبذلك استحدث حركة لولبية . والكتاب الذي بسط فيه هذه النظريات وعنوانه «كتاب الهيئة » ترجمه ميخائيل سكوت Michael Scot . وقد نشر كارمودي Carmody بيركلي سنة ١٩٥٢ ، طبعة نقدية لهذه الترجمة بالمقارنة بالمتن العربي . وفي سنة ٦٥٧ هـ (١٢٥٩ م) ترجم موسى بن تبُّون هذا الكتاب من العربية إلى العبرية ، وفي سنة ٩٣٤ هـ (١٥٢٨م) ترجمه قلونيموس بن داود إلى اللاتينية بالاعتماد على الترجمة العبرية ، ونشرت ترجمته في البندقية سنة ١٥٣١ م ، في نفس الوقت الذي نشرت فيه رسالة ساكروبوسكو Sacreobosco « رسالة في الفلك » .

المصادر :

(١) انظر الكتب التي استشهد بها F.Y. Carmody:

Al - Bitrugi, De motibos Coelorum ، بيركلى سنة ١٩٥٢ . (٢) Sarton : Introduction to the Histoy of Science ، جـ ٢ ، ص ٣٩٩ ، والفهرس .

خورشيد [ڤرنيه Y. Vernet]

+ «بطْرَوْش» وبالأسبانية بدروش Pedroche ، مكان صغير فى مركز بوروبلانكو الإدارى ، على مسيرة ٦٠ كيلو مترا شمالى قرطبة ، وعلى الطريق من قرطبة إلى طَلَيْطِلَة ، وعلى نفس المسافة من دار البقر (الآن El Vacar) . ويقول الإدريسى إنها كانت بلدة كثيفة السكان محصنة ذات أسوار عالية .

وكانت بطروش تقوم فى إقليم فحص البَلُّوط الذى كانت قصبته « غافق » (الآن Belacázar) ومن ثَمّ كانت مقر قاض إقليمى . وقد اشتهر سكان غافق بالبسالة فى رد هجمات المسيحيين . وكانت جبالها وسهولها ، ولاتزال إلى حد كبير ، مغطاة بطائفة متنوعة من شجر البلوط عرفت بجودة جوزها ، وكان السكان يزرعونها فى عناية كبيرة ، وكانت تمدهم بالغذاء فى سنوات القحط ، وكانت هذه الأشجار — كما يؤكد الرازى — خير أشجار البلوط فى أرجاء الأندلس جميعاً . وقد احتل أبو حفص عمر البلّوطى — الذى كان أصلا من بطروش — جزيرة إقريطش فيمن نجوا من معركة الرَّبَض ، وأقام فى هذه الجزيرة بيتاً حاكماً ظل يحكمها حتى سنة ٣٥٠ هـ (٩٦١ م) .

وقد اشترك البربر النازلون بناحية فحص البلوط بقيادة الصوفى الأندلسى المعروف بأبى على السَّرّاج ، فى فتنة انتقضوا بها على الأمير عبد الله ، وقد انتهت هذه الفتنة بانتحار زعيمهم ومقتله أمام أسوار سمورة سنة ٢٨٨ هـ (٩٠١م) .

أما عن تاريخها فى عصرى المرابطين والموحدين فنحن لا نعلم عنه إلا ما حدث فى مستهل سنة ٥٥٠ هـ (١١٥٥ م) من أن والى قرطبة أبا زيد عبد الرحمن نفذ هو وجنود الموحدين من حصن بطروش وحصون إقليم فحص البلوط ، وكان ألفونسو السابع قد استولى عليهما وشيكا أثناء غزوة سريعة مكنته أيضاً من الاستيلاء على أندوجر ، وقد اكتسح أبو زيد الكونتَ أميرَ بطروش الذى كان ألفونسو السابع قد تركه فيها ليلى أمرها ، وأسره فى هجوم له على الحصن ، وأرسله إلى مراكش .

المصادر :

(١) الإدريسى ، ص ١٧٥ ، ٣١٣ (المتن) ؛ ٢١١ ، ٢٦٣ من الترجمة . (٢) ابن عبد المنعم : الروض المعطار ، ص ٤٥ من المتن ، ٥٧ من الترجمة . (٣) الرازى ، ص ٥١ . (٤) ابن خلدون : العبر ، جـ ٤ ، ص ٢١١ (٥) E. Lévi-Provençal : Hist. Mus. Esp. ، جـ ١ ، ص ٣٨٥ (٦) البيان المغرب ، الجزء الثالث ، مخطوط تمغروت (٧) Anales Toledanos primeros طبعة A. Huici ، ص ٣٤٨ .

خورشيد [ميراندا A. Huici Meranda]

+ «بِطْرِيق» (بَطْريق) : هى الصيغة المعربة للكلمة اللاتينية پاتريكيوس Patricius ، وقد أنشأ رتبة البطريق الإمبراطور قسطنطين (٣٠٦ — ٣٣٧م) وهى رتبة شرفية لا تتصل بأية وظيفة، وكانت تمنح لمن يؤدى للدولة خدمات جليلة.

١ — من المحقق أنه ما من عربى كان فى خدمة رومة قد منح رتبة البطريق قبل الغساسنة (انظر هذه المادة) وما من غسانى منحها قبل الحارث ابن جَبَلَة الذى أسبغ عليه شرف هذه الرتبة حوالى سنة ٥٤٠ م ، كما خلعت على ابنه وخليفته المنذر حوالى سنة ٥٧٠م . وحمل هذين الأميرين الغسانيين هذه الرتبة الشرفية يدل أبلغ الدلالة على ما كان لهما من مكانة وشأن فى تسلسل الطبقات الرومانية . والحارث والمنذر هما الشخصان الوحيدان فى تاريخ العرب أيام الجاهلية اللذان يمكن أن نقول على وجه التحقيق أنهما نالا هذه الرتبة . ولا يرد فى المصادر أى شاهد صريح على أن الرومان خلعوها مرة أخرى على أى غسانى بعد المنذر .

٢ — وغيرت الفتوح الإسلامية فى القرن السابع الميلادى من مركز العرب وشأنهم فى صلتهم بالرومان ، فأصبحوا غزاة بعد أن كانوا رعايا أو حلفاء ، أما رتبة البطريق التى كان يطمع فيها أيام الجاهلية الأمراء العرب طمعاً شديداً بوصفها رمزاً لصلاتهم بالرومان ، فقد بطل بطبيعة الحال التحلى بها . على أنها ظلت بدلا من ذلك مصطلحاً فى أدبهم . ولم تستعمل كلمة بطريق فى الشعر الجاهلى إلا شذوذاً أو تكاد ، واكتسبت الكلمة ثلاثة جموع تكسير ، وتسربت إلى أدب العصر الإسلامى ، وقد أدخلها المتنبى وأبو نواس فى الشعر العربى ، وتردد ذكرها عند المؤرخين والجغرافيين ، وأصبحت بلا ريب المصطلح المطرد الدال على القائد عند البوزنطيين (الروم) فى الحوليات العسكرية للصلات بين العرب والروم ، وترد أيضاً مصطلحات أخرى ، مثل « سردغوس » (باليونانية « ستراتيگوس ») ، و « دمستق » domesticus » و « دوقس » Dux ، ومن المفارقات العجيبة إن « بطريق » من حيث هى مصطلح غير عسكرى ، هى التى انتشر استعمالها أوسع انتشار .

٣ — على أن تردد كلمة البطريق كثيراً عند المؤلفين العرب اقترن بالتباسات وانحرافات . فقد دار فى الأوهام أن البطريق كانت : (أ) وظيفة ، (ب) وراثية ، (حـ) تنطبق على الفرس ، (د) يمكن أن تحل هى والبِطْرَق كل منهما محل الأخرى ، والحقيقة بطبيعة الحال هى أن البطريق ، رتبة شرفية لا تورث ، وهى بوزنطية خاصة ، وليست كنسية ، ولكن من المهم أن يفرق بين الاستعمال المرسل للمصطلح فى الكتب الأدبية التى من قبيل « الفرج بعد الشدة » للتنوخى ، وبين الاستعمال الدقيق له فى الكتب الجادة للمؤلفين والجغرافيين . ذلك أن هذه الكتب قد احتفظت بمعلومات لها بعض الشأن مع الرجوع إلى مألوف البوزنطيين التماسا لتاريخ هذه الرتبة مع الإشارة بصفة خاصة إلى المصطلح « پروتوپاتركيوس » .

٤ – وقد أدرك لغويو العرب أن كلمة « بطريق » من الدخيل ، وعدها بعضهم لفظاً مشتركاً حروفاً وجرساً مع كلمةعربيةمزعومة تدل من جهة أخرى على « الفخور المغرور » .

المصادر :

(١) B. Kuebler: *Patres, patricii* في Pauly-Wissowa ، مجلد ١٨ ، ج ٤ ، العمود ٢٢٣١ – ٢٢٣٢ . (٢) Th. Noeldeke : *Die Ghassamchen Fuersten aus dem Hause Gafna's* في *Abh. Pr. Ak. W.* ، برلين سنة ١٨٨٧ ، ص ١٣ – ١٤ ، التعليق ٣ على ص ١٣ غير دقيق .

وانظر عن ورود كلمة بطريق عند مؤلفي العرب : (٣) A. A. Vasiliev : *Byzance et les Arabes* ، بروكسل سنة ١٩٥٠ ، المجلد ١ ، ٢ في مواضع مختلفة . (٤) M. Canard : *Les aventures d'un prisonnier arabe et d'un patrice byzantine l'époque des guerres bulgaro-byzantines* في *Dumbarton Oaks Papers* (مطبعة جامعة هارفارد ، سنة ١٩٥٦) ، المجلد ٩ – ١٠ ، وخاصة ص ٦٢ ، تعليق ٣ ، ص ٦٦ ، ٦٨ ، تعليق ٢٨ . (٥) Lane : *Arabic English Lexicon* ، نيويورك سنة ١٩٥٥ ، مجلد ١ ، ج ١ ، ص ٢١٧ – ٢١٨ .

خورشيد [عرفان شاهد Irfan Kawar]

+ « البَطَّال » (سيد بطال غازى) : نصير العرب فى حروبهم مع بيزنطة (الروم) فى العصر الأموى ، وقد جعلته القصة التركية الخاصة بمغامراته ، نصيراً للعرب فى العصر العباسى ، ومن ثم أصبح البطال معاصراً لأمير ملطية عمرو ابن عبيد الله الأقطع المتوفى سنة ٢٤٩ هـ (٨٦٣م) وأدخل فى سلسلة ملاحم ملطية . ولما غزا الأمير دانشمند ملطية سنة ٤٩٥ هـ (١١٠٢ م) اقتبس الترك ملحمة ملطية وأدخلوا فيها سلسلة ملاحمهم ورفعوا نسب أبطالهم القوميين إلى البطال الأسطورى ، فغدا بطالا مستتركا وشرّف بنسبة علوية ، وهذا يعلل ورود اسم جعفر الذى نجده فى الرواية التركية للقصة ، والمؤرخون الأتراك الذين اتخذوا من هذه القصة الملحمية مصدراً تاريخياً قد جروا فى كثير من الأحيان على اعتبار العناصر الأسطورية حقائق تاريخية ، بل لقد ادى ذلك بهم إلى التسليم بالتاريخ الوارد فى القصة . ومن ثم جعل أولياء چلبى البطال معاصراً لهارون الرشيد وغير عهد هذا الخليفة فرده إلى سنة ٢٤٨ هـ (٨٥٩ م) وهى السنة التى نسب إليه فيها حصار القسطنطينية . وورد هذا الخطأ التاريخى نفسه فى النسخة التركية للطبرى ، وقع فى ذلك مترجم مجهول اقحم على كتابه اخباراً مأخوذة من مأثور الملحمة التركية .

ويظهر البطال فى قصتين ملحميتين عظيمتين : القصة العربية « ذات الهمة » (انظر مادة « ذو الهمة ») والقصة التركية لسيد بطال . وهذان الأثران ، وإن كانا متصلين ، فإنهما لم يخضعا لمؤثرات متبادلة . والراجح أنهما يرجعان إلى رواية عربية عن البطال ليس بين ايدينا عنها أثر مكتوب ، ولو ان وجودها يؤكده شاهدان

تاريخيان من القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى؛ انظر M. Canard فى *Jour. As.*، ص ١١٦ ؛ الكاتب نفسه فى *Byzantion* جـ ١٢ ، ص ١٨٦) .

القصة التركية : اصطنع الترك بعد غزوهم الأناضول الروايات الملحمية المحلية التى تمجد الحروب بين العرب والروم (البوزنطيين) كأنما هى تخصهم : وقد تبدلت هذه الأخبار بإضافة عناصر تركية وعناصر فارسية مصطنعة بالتركية ، فأدى ذلك إلى قيام ملحمة أناضولية جديدة تدور حول غزو آسية الصغرى : وقصة البطّال هى الأصل فى هذا الأدب ؛ على أنه قد تسللت إليها من أول الأمر عناصر من الأدب الشعبى التركى تشمل حوادث وقعت فى عالم تسكنه جنّ من أكلة لحوم البشر وكائنات من الخوارق ، وموضوعات من قصص الجن الفارسية أو الحكايات الملحمية ، وروايات شعبية مأخوذة من الشاهنامة ، وسمات من القصص التاريخية لمُثُل الزنادقة كقصة أبى مسلم ، وهى أثر نجده فى جميع أرجاء العالم التركى : وتبدو قصة البطال التركية كالرصيعة امتزجت فيها عناصر ومصادر من جميع الأزمان : ومن هذه العناصر يبرز بين سائر محتويات القصة الكتاب الذى يروى خبر فتنة بابك الزنديق وأسره ، ذلك أن هذا الكتاب له سند تاريخى ، يتكشف من خلال متاهات الأسطورة ، وفى هذا الخبر الذى يرجع إلى خلافة المعتصم (٨٣٣ — ٨٤٢ م) حل البطال محل البطل الحقيقى للحملة وهو الأفشين الذى استبعد اسمه بعد أن فقد الرضا وقتل سنة ٢٢٥ هـ (٨٤٠ م) والراجح أن هذا الكتاب واحد من كتب « بابك نامه » التى نعرف بوجودها من ابن النديم والتى أدخلت فى قصة البطال .

وكذلك تشمل القصة التركية عن ذات الهمة آثارا من عصر الحرب الصليبية الأولى : والراجح أنها كتبت فى القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) أو فى مطلع القرن السابع (القرن الثالث عشر) تماماً ، ذلك أن « قصة ملك دانشمند » التى تمجد مغامرات الفاتح التركى الأول لملطية والتى سجلت أول ما سجلت سنة ٦٤٣ هـ (١٢٤٥ م) كانت فى تصور كاتبها امتداداً لقصة البطال ، وقد أضاف بعض رواة العصر السلجوقى فصلا رووا فيه كيف اكتشف سلاجقة الأناضول قبر البطل ، وثمة رواية لقصة البطال بالشعر ، وهى منسوبة لبقائى نظمها فى عهد مصطفى الثالث (١٧٥٧ — ١٧٧٤ م) .

ولا يزال اسم البطّال حياً فى الأساطير الأناضولية الكثيرة ، مستقلا عن هذه السلسلة من الملاحم ، وخاصة فى السير الدينية للطريقتين العلوية والبكتاشية (انظر مادتى «النصيرية » و «البكتاشية») فقد اتخذه أتباع هاتين الطريقتين بطلا من أبطالهم .

المصادر :

(١) Ethe : *Die Fahrten des Sajjid Battāl* ، فى مجلدين ، ليبسك ، سنة ١٨٧١ : (٢) M. Canard : *Un Personnage de Roman Arabo-Byzantin*

في *Actes du IIème Congrès National des Sciences Historiques* ، الجزائر سنة ١٩٣٢ (انظر أيضاً الحكايات التي استشهد بها) (٣) H.Gregoire : *L'Epopée byzantine et ses rapports avec l'épopée turque* في *Bull. Cl. Lettres de l'ARB* ، ج ١٧ ، سنة ١٩٣١ ، ص ٤٦٣ — ٤٨١ . (٤) Portrav ، مادة بطال في إسلام أنسيكلوپيدياسى ، ص ١٩٤٣ (انظر المصادر) . (٥) طاهر آلانگو : بيزانس وتورك كهرمانلق إيپوپلرينكٔ چيقيشى أوزرينه في تورك ديلى ، ج ٢ ، آنقره سنة ١٩٥٣ ، ص ٥٤١ — ٥٥٧ :

خورشيد [مليكوف I. Melikoff]

+ «البطّال» ، عبد الله : غاز مشهور في العصر الأموي . اشترك في عدة حملات على البوزنطيين (الروم) ومعنى اللقب « الشجاع » و «البطل» . ولكن هذا اللقب له أيضاً معنى «منحط» (انظر على سبيل المثال ابن حوقل ، ص ٨٥ ؛ ومعاجم اللغة) . وليس بين أيدينا عن هذا الشخص إلا روايات تاريخية هزيلة بعض الشيء ، أو قل روايات شبه تاريخية ، ثم إن لدينا عنه قصة « سيرة ذات الهمة والبطّال » العربية ، وتتصل بها قصة تركية هي « سيد بطّال » .

ويقول الإخباريون الأولون (اليعقوبي والطبري) إن البطّال لم يظهر قبل عام ١٠٩ هـ (٧٢٧ — ٧٢٨م) على عهد هشام بن عبد الملك (١٠٥ — ١٢٥ هـ = ٧٢٤ — ٧٤٣ م) . وكذلك فإن المؤرخ البوزنطي ثيوفانس وصاحب التاريخ الإخباري السوري المعروف بديونيزيوس المزعوم من تل مهرة ، لم يذكرا إلا تاريخ وفاته وهو سنة ٧٤٠ م ، على أن رواية قديمة فعلا ، إذ هي ترد في الترجمة الفارسية للطبري بقلم البلعمي الذي كتب سنة ٣٥٢ هـ (٩٦٣ م) ، تقرن البطال بمسلمة ابن عبد الملك في حملته على القسطنطينية سنة ٩٨ هـ (٧١٧ م) . ونحن نتناول في هذا الصدد خبراً أسطورياً إلى حد بعيد ولا نعرف هل هو يحتوي على عناصر تاريخية يوثق بها ؟

والمعروف تاريخياً أن البطال على رأس طليعة معاوية بن هشام قد فتح « كَسْنْكَرَه » في پافلاغونيا سنة ١٠٩ هـ (٧٢٨ م) ؛ واشترك سنة ١١٣ هـ (٧٣١ — ٧٣٢ م) في حملة هلك فيها غاز أموي مشهور آخر هو عبد الوهاب بن بُخْت . وفي سنة ١١٤ هـ (٧٣٢ — ٧٣٣ م) أو في سنة ١١٥ نكّل البطال بقائد بوزنطي يدعى « قسطنطين » وأسره وذلك أثناء غزوة شنّها معاوية بن هشام على فرنجيا في إقليم أكروينون . ولم يرد له ذكر بعد ذلك حتى وفاته سنة ١٢٢ هـ (٧٤٠ م) ؛

وفي هذه السنة هجمت جنود سليمان بن هشام على عدة أجزاء من الأناضول . وقد بوغتت كتيبة البطال يقودها والي ملطية مالك بن شبيب (أو شعيب) ، فاجأها الإمبراطور ليو الثالث وابنه قسطنطين ونكّل بها بالقرب من أكروينون ، وقتل القائدان ، أما من بقي من جنودهما فقد فروا جنوباً ميممين جنوب سينّدَه وهناك حاولوا أن

يلحقوا سليمان : على أن تاريخ وفاة البطّال قد جعل فى سنة ١٢١ ، وسنة ١٢٣ بل سنة ١١٣ هـ :

وإذا كانت التواريخ الإخبارية المتقدمة فى الزمن لم تعلق فيما يظهر أهمية كبيرة على شخصه ، فإن مغامراته الحربية قد أشادت بها من قبل الروايات الشعبية فى أخبار ونوادر شتى . وقد عرف فى زمن المسعودى فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) بأنه من أشهر أعلام الإسلام ، وعلق الروم (البوزنطيون) صوره من قبل فى كنائسهم (المسعودى : مروج الذهب ، ص ٧٤) إلى جنب صورة أمير ملطية المشهور عمرو بن عبد الله الأقطع الذى هزم وقتل سنة ٢٤٩ هـ (٨٦٣ م) . وليس من المستحيل أن تكون أسطورة الرجابن قد نمت بعيد هذا التاريخ رداً على النجاح البوزنطى الأول . وفى خبر البلعمى عن حملة مسلمة عهد إلى البطال أن يؤمّن باباً من أبواب القسطنطينية فيجعله مفتوحاً فى حين يدخل مسلمة المدينة وحده ممتطياً صهوة جواده ، وأن يقتحم المدينة عنوة إذا أصيب مسلمة بضر . بل لقد قرن بين البطال ومسلمة فى خبر حصار الروم (البوزنطيين) فى « كتاب العيون » (القرن الخامس أو السادس الهجرى = الحادى عشر والثانى عشر الميلادى) حيث نجد المرء أيضاً فى حوادث سنة ١١٥ هـ خبر مبارزة خاضها البطال وحده. والرواية الشعبية عن حملة مسلمة التى أوردها الصوفى الأندلسى الكبير ابن عربى المتوفى سنة ٦٣٨ هـ (١٢٤٠ م) والتى تتصل برواية البلعمى ، تنسب للبطال أيضاً دوراً هاماً وهو قائد جنود الجزيرة والشام ورئيس كشافة مسلمة ، وقد كلف أمام القسطنطينية بنفس المهمة التى كلف بها فى رواية البلعمى :

وفى ملحظ طويل يتعلق بسيرته يردّ إلى ابن عساكر المتوفى سنة ٥٧١ هـ (١١٧٦ م) نجد رواية شآمية نقلها نقلا يتفاوت فى اكتماله مؤرخون شتى منهم ابن الأثير ، وسبط ابن الجوزى وابن شاكر الكتبى ، وابن فضل الله العمرى ، وابن كثير ، وقد بدأت هذه الرواية بإشارة موجزة إلى دور البطال فى حملة مسلمة ثم ساقت نوادر قصصية نظهر بعضها مرة أخرى فى قصة البطال وهى : (١) البطال الخفى ، فقد ظهر ليلة فى قرية رومية فسمع أما تهدد طفلها الباكى بدفعه إلى البطال إن لم يكف عن البكاء . (٢) دخول البطال ديراً رومياً وقد أوهن قواه ألم شديد أصاب جوفه ، إذ قاده جواده إلى دير نزل فى حماه، وقد نجا من التحريات التى كان جريها بطرق رومى (بوزنطى) بفضل رئيسة الدير ، وتبع البطرق حين غادر الدير وقتله وعاد إلى الدير واعتقل جميع الراهبات وتزوج رئيسة الدير . (٣) دخوله عمورية خدعة وترك أصحابه وبلغها حيث لقى البطرق بحجة أنه رسول الإمبراطور وأجبره على أن يخبره بمواقع جيش المسلمين ولحق بهذا الجيش . (٤) هلاكه فى ساحة المعركة حيث شهده الإمبراطور يلفظ أنفاسه الأخيرة فيعنى به ويسمح بأن يدفن على يد الأسرى المسلمين .

والكتّاب الذين يروون هذه النوادر يفرقون بينها وبين الأكاذيب الواردة فى « سيرة ذات الهمة

والبطال» (انظر ما يلى) التى علمنا بوجودها من قبل أثناء ذلك العهد من اليهودى المرتد عن دينه السموأل بن يحيا المغربى الذى كتب سنة ٥٦٥ هـ (١١٦٩ — ١١٧٠ م) :

ولم يذكر الكتاب الأولون شيئاً عن أصل البطال : ويقول المؤرخون المتأخرون إنه خرج من أنطاكية (أو من دمشق) وعاش فى أنطاكية ؛ وكان مولى للبيت الأموى شأن صاحبه عبد الوهاب ابن بخت الذى كان له هو الآخر دور عظيم فى سيرة ذات الهمة : وكان البطال يكنى أحياناً أبامحمد وأحياناً أبا يحيى ، وأحياناً أبا الحسين . وكان اسم أبيه أبا الحسين أو عمرو : أما عن أصل البطّال كما ورد فى سيرة ذات الهمة أو فى الرواية التركية « سيد بطّال » فانظر المادتين الخاصتين بهاتين القصتين :

المصادر :

(١) اليعقوبى ، ج ٢ ، ص ٣٩٥ . (٢) الطبرى ، ج ٢ ، ص ١٥٥٩ ، ١٥٦١ ، ١٧١٦ . (٣) الطبرى–البلعمى ، ترجمة زوتنبرغ Zotenberg ج ٤ ، ص ٢٣٩ وما بعدها . (٤) كتاب العيون فى Frag. Hist. Arab. ، طبعة ده غويه ، ج ١ ، ص ٢٨ وما بعدها ، ٩٠ ، ٩١ ، ١٠٠ . (٥) السموأل بن يحيى المغربى : إفحام اليهود فى Schreiner ، *Monatsschrift fuer Gesch. u. Wiss. d. Jud.*, NF VI. ، سنة ١٨٩٨ ، ص ٤١٨ (٦) ابن الأثير ، طبعة تورنبرغ ، ج ٥ ، ص ١٢٩ ، ١٣٢ ، ١٣٤ ، ١٨٦ ، ١٨٧ . (٧) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ، مخطوط بباريس رقم ٦١٣٢ ، ورقة ١٢٦ ظهر ، ١٦٠ ظهر . (٨) ابن شاكر الكتبى ، عيون التواريخ ، مخطوط بباريس رقم ١٥٨٧ ، ورقة ١٥٢ وجه — ١٥٣ ظهر ، ١٧٧ وجه — ١٧٩ ظهر . (٩) ابن العربى : محاضرة الأبرار فى مسامرة الأخيار ، القاهرة سنة ١٩٠٦ ، ج ٢ ، ص ٢٢٣ — ٢٣٣ . (١٠) ابن فضل الله العمرى : مسالك الأبصار ، طبعة F. Taeschner (*Bericht ueber Anatolien*) ، سنة ١٩٢٩ ، ص ٦٤ — ٦٦ . (١١) الذهبى : تاريخ الإسلام ، القاهرة سنة ١٣٦٧ ، ج ٤ ، ص ٢٢٧ ؛ ج ٥ ، ص ٢٦ . (١٢) الذهبى : كتاب العبر ، مخطوط بباريس رقم ١٥٨٤ ، ورقة ٣٦ ظهر . (١٣) الذهبى : كتاب دول الإسلام ، حيدر آباد سنة ١٣٣٧ ، ج ١ ، ص ٥٩ . (١٤) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٩ ، ص ٣٣١ — ٣٣٤ . (١٥) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، القاهرة ، ج ١ ، ص ٢٧٢ ، ٢٧٤ ، ٢٨٦ . (١٦) السيوطى : تاريخ الخلفاء ، القاهرة سنة ١٣٠٥ ، ص ٩٦ . (١٧) القرمانى : أخبار الدول على هامش ابن الأثير ، طبعه بولاق سنة ١٢٩٠ هـ ، ج ٤ ، ص ٢١٤—٢١٨ (١٨) Ps.-Denys of Tell Mahré ترجمة Chabot ، حوادث سنة ١٠٤٦ م = ٧٣٤–٧٣٥ هـ ، ص ٢٥ (١٩) Theophanes ، سنة ٦٢٣١ من تاريخ العالم ، طبعه de Boor ، ص ٤١١ (٢٠) Ramsay : *Hist. Geogr. of Asia Minor* ، ص ٨٧ ، ٣٢٢ (٢١) Le Strange ، ص ١٥٢ (٢٢) Weil : *Chalifen* ، ج ١ ، ص ٦٣٨ — ٦٣٩ (٢٣) A. Lombard :

: W. Brooks (٢٤) ص ٣٢ ، Constantin V في Journ. of Hell. The Arabs in Asia Minor Studies ، ج ٩٣ ، سنة ١٨٩٨ ، ص ١٩٤ وما بعدها ، ١٩٨وما بعدها (٢٥) M. Canard : في Les expéd. des Arabes contre Constantinople Jour. As. ، ج ٢٠٨ ، ص ٨٦ وما بعدها ، ١٠٠ وما بعدها (٢٦) F.Gabrieli: Califfato di Hisham سنة ١٩٣٥ ، ص ٨٧ — ٩١ .

خورشيد [كانار M. Canard]

+ « بَطْلَمْيُوس » : هو الرسم الذى يكاد يكون هو الأوحد فى الاستعمال للاسم الإغريقى اللاتينى Ptolemaeus ويكتبه المسعودى فى كتابه «التنبيه» : « إبطلميوس» وهو الرسم الذى يمكن قراءته « إبطلمَيوس » وهو أصدق رسم عربى ممكن . ويفسر المسعودى ذلك فى موضع من هذا الكتاب (ص ١٢٩) فيقول : « بطْلاماوس بلغتهم » . ويلاحظ المسعودى فيما يتعلق بلقبه « القلَوذى » أو « القَلُوذى » أن بعض الناس يظن أنه ابن كلاوديوس الإمبراطور الرومانى السادس [وثمة قراءة أخرى هى : « الثانى » أى « طريوس» الذى كان فى الحق هو الإمبراطور الثالث] ويضعه المسعودى نفسه فى زمنه الصحيح وكذلك يفعل ابن صاعد فى كتابه « طبقات الأمم » (طبعة شيخو ، ص ٢٩) ومن قبله صاحب الفهرست (ص ٢٦٧ من طبقة فلوگل Fluegel) ويرفض المسعودى (فى كتابه المذكور) وغيره أيضاً القول الباطل الذى يقول إن هذا الفلكى هو أحد ملوك مصر فى العهد اليونانى المتأخر (الهلنسى) .

وما من فيلسوف إغريقى سيطر فى القرون الوسطى على الفلك والجغرافيا ، بل على العلوم التى تشمل الكون كله ، مثلما سيطر بطلميوس ، عند أهل الغرب وعند أهل الشرق .

ومن ثم فإننا سنقتصر هنا فى هذا المقام على رصد بعض الكتب التى تبين أثر بطلميوس على نطاق واسع :

(١) الكتب العامة : G. Sarton : Introduction to History of Science ، ج ١ — ٣ ، الفهارس ؛ الكاتب نفسه : The Appreciation of Ancient and Medieval Science during the Renaissance ، سنة ١٩٥٥ ، الفصل ٣ ، ص ٥ ؛ الكاتب نفسه : Ancient science and modern civilization ، سنة ١٩٥٤ ، الفصل ٢ ؛ L. Thorndike : History of Magic etc. ، ج ١ ، سنة ١٩٢٣ ، ص ١٠٤ وما بعدها ، وانظر الفهارس فيما يختص بالمجلدات الأخرى .

(٢) علم الفلك : نالنو C. A. Nallino : علم الفلك عند العرب ، سنة ١٩١١ ، وبالإيطالية فى Raccolta di Scritti ، ج ٥ ، سنة ١٩٤٤ ؛ O. Neugebauer : The transmission of Planetary theories in ancient and medieval astronomy ، محاضرة فى نيويورك سنة ١٩٥٦ .

(٣) التنجيم : F.Boll : Kleine Schriften zur Sternkunde des Altertums ، سنة ١٩٥٠ .

(٤) الجغرافيا : E. Honigmann [redacted] 7 « Klimata » سنة ١٩٢٩ .

(٥) قواعد الألحان « Ingemar Duering : « Die Harmonie - Lehre des Klaudios Ptolmaios » سنة ١٩٣٠ ؛ Christ - Schmid - Staechlin : Gesch. d. griech. hist. ، الطبعة السادسة ، جـ ٢—٢ ، سنة ١٩٢٤ ، ص ٩٠٢ .

(٦) علم البصريات : Christ-Schmid-Staehlin: كتابه المذكور .

ونسوق إليك هنا قائمة بكتابات بطلميوس مرتبة حسب الفقرات الآنفة الذكر المرقومة من ١ — ٦ بقدر ما تركت هذه الكتابات أثراً على العلم عند المسلمين : ونورد تحت كل بند الكتابات الإغريقية أولا ثم تأتى عناوينها التى لاتعرف إلا بالعربية أو فى النقول التى أخذت عنها . ومصادرنا فى ذلك هى : « الفهرست » و « ابن صاعد الأندلسى » و « ابن القفطى » و « ابن أبى أصيبعة » علاوة على بروكلمان وفهارس المخطوطات . أما الترجمات الغربية فنحن نرجع فى شأنها إلى : M. Steinschneider : Die europ. Uebersetzungen a. d. Arab. ، وكتب سارتون وثورنديك المذكورة آنفاً ثم نرجع إلى J. M. Millàs Vallicrosa : Las traducciones orientales en los manuscritos de la Biblioteca Catedral de Toledo سنة ١٩٤٢ ؛ F.J. Carmody: Arabic Astronomical and Astrological Sciences in Latin Translation سنة ١٩٥٦ (وليس كل هذا الكتاب مما يعتمد عليه « L. Thorndike : « Notes upon some medieval, Latin astronomical, astrological and [redacted] thematical manuscripts at the Vatican » فى Isis ، ٤٧ ، سنة ١٩٥٦ ، ص ٣٩١—٤٠٤ ؛ الكاتب نفسه : Notes [redacted] — manuscripts of the Bibliothèque Nationale, Paris فى Journal and Courtbauld Institutes ، جـ ٢٠ ، سنة ١٩٥٧ ، ص ١١٢—١٧٢ ؛ (ومنه فِصَلٌ تباع) .

(٢) — الفلك :

أ — المجسطى : منذ أن عزز نالّينو بحجج جديدة ما ذهب إليه كوب Koppe من أن هذه الكلمة مأخوذة « بالنحت » من (مگالى سونتاكسيس» (Raccolta ، جـ ٥ ، ص ٢٦٢) فإن الرأى السابق الذى يقول باشتقاقها من « مگيستى » (سونتر ى مادة « المجسطى » بهذه الدائرة) قد ترك بصفة عامة . والصيغة العربية هى« المَجِسطِى » (هكذا وردت صراحة فى حاجى خليفة ، جـ٥ ، ص ٣٨٥) . ويذكر ابن العبرى أيضاً العنوان اليونانى الصحيح لهذا الكتاب « سونطاكسيس » (طبعة صالحانى ، ص ١٢٣) . وثمة إلمامة موسعة بمحتويات الأجزاء الأربعة الأولى من هذا الكتاب فى اليعقوبى (جـ ١ ، ص ١٥١ — ١٥٤) : انظر Klamroth فى Zeitschr. der Deutsch. Morgenl. Gesells. ، جـ٤٢ ، ص ١٧ — ١٨ ؛ « تسهيل المجسطى » لثابت بن قرة ، انظر بروكلمان ، جـ١ ص ٣٨٤، ١ ، ١٧) .

والناقل الأول لهذا الكتاب ليس سهلا الطبرى

(وهذا الرجل ليس مهلاس نشر كما ذهب شتاينشنيدر Steinschneider: *Arab. Lit. der Juden*، ص٢٤) كما زعم سارتون (Sarton: *Introduction to the History of Science*، ج ١، ص٥٦٢) . وقد ناقش هذه المسألة برمتها من جديد نالينو (Nallino : كتابة المذكور) وهو يسوق أيضاً تفسيراً جديداً للرواية الواردة فى الفهرست (*Raccolta*، ج٥، ص ٢٦٣) وانتهى إلى القول بأن الناقل الأول للكتاب مجهول . وقد انتفع تالكرن بمخطوط الإسكوريال رقم ١٩٥ (O. J. Tallgren : *Un point d'astronomie gréco-arabe-romane* فى *Neuphilologische Mitteilungen*، ج ٢٩ ، سنة ١٩٢٨ ، ص ٣٩ — ٤٤ ، وانظر أيضاً الكاتب نفسه : *Survivance arabo-romane du Catalogue d'étoiles de Ptolemée*، فى *Stud. Or.* *Soc. Or. Fenn.*، ج ٢ ، سنة ١٩٢٨ ، ص ٢٠٢ — ٢٨٣) . وهناك شرح لأبى جعفر الخازن (بروكلمان ، ج ١، ص٣٨٧) ظل مجهولا حتى الآن كشف عنه ڤاجدا (G. Vajda ، باريس، المكتبة الأهلية، رقم ٨٤٢١، ٩ عربى؛ انظر *Rivista degli studi orientali* ، ج ٢٥ ، ص ٨) وشرح آخر لجابر بن حيان لا يعرف إلا اسمه (Kraus : *Jābir ibn Hayyān*، ج١، سنة١٩٤٣، رقم٢٨٤٣) ، وقد ذكر كل من هاسكنز Ch. H. Haskins ، ولوكوود D.P. Lockwood أن الترجمة اللاتينية الأولى لهذا الكتاب نقلت مباشرة من اليونانية قبل الترجمة التى قام بها جيرار القرمونى عن العربية سنة ١١٧٥م باثنتى عشرة سنة (*The Sicilian Translators of the 12th Century and the first Latin version of Ptolemy's Almagest* فى مجموعة *Harvard Studies in Classical Philology*، ج ٢١، سنة ١٩١٠ ، ص ٧٥ — ١٠٢، وانظر أيضاً — J. L. Heiberg فى *Hermes* ، ج ٤٥ ، سنة ١٩١٠، ص ٥٧ — ٦٦ ؛ ج ٤٦ ، ص٢٠٧ — ٢١٦ ؛ وانظر كذلك Carmody ، ١٥ ، و Millás ، الفصل الخامس والثلاثين) ؛

ب — كتاب « پروكيروى كانونس » انظر Steinschneider فى *Tabulae manuales* ؛ *Zeitschr. der Deutsch. Morgenl.* ، ج ٥٠ ، ص ٢١٧ و ٣٤١) . ويسمى اليعقوبى (ج ١ ، ص ١٥٩ = Klamroth ، ص٢٥) هذا الكتاب الذى تناوله بالتحليل : «كتاب القانون فى علم النجوم وحسابها وقسمة أجزائها وتعديلها » ولكن هذا الكتاب ليس من تأليف بطلميوس كما بيّن هونگمان Honigmann . وكان هذا الكتاب قد التبس فى أيام اليونان بالشرح الذى كتبه ثاون الإسكندرانى. وهذا الشرح عرفه بعض العلماء العرب كما بيّن هونگمان (ص ١٢٠) وقد أثرت شروح ثاون على بطلميوس فى الكندى كما أثبت روزنتال Rosenthal فى تحليله للمخطوط المحفوظ فى آياصوفيا رقم ٤٨٣٠ (*Studi ... G. Levi della Vida*)

ويجب أن نعنى عناية خاصة بأحد جداول الزيج المعروف باسم « قانون باسيليوس » الذى نشره واخسموث (C. Wachsmuth فى كتابه *Einleitung in das Studium der alten Geschichte* ، سنة١٨٩٥، ص٣٠٤ —٣٠٦) ، وأعاد نشره كُنزل

مع ذكر الأعداد العربية والسنوات المسيحية لكل ملك(Handbuch der mathematischen :F. R. Ginzel *technischen Chronologie*» ، ج ١ ، سنة ١٩٠٦ ، ص٣٩) . وقد ذكر هذا النص اليعقوبى (ج ١، ص١٦١) فيما يتعلق بالملوك اليونان والرومان. وفى هذا الجدول يأتى الإسكندر الأكبر بعد دارا الثالث ثم يأتى فيليوس(أرهدايوس) وهو ذلك الملك الذى يأتى مع الإسكندر البنّاء، ثم الإسكندر الآخر « أى الذى ولد بعد وفاة أبيه الإسكندر الأكبر) . وفى عهدهذا الإسكندر(٣١٧–٣٠٥ ق. م.) وقع أول التاريخ السلوقى ،ولذلك عرف من بعد بالتاريخ السكندرى. وقد أخذ هذا القانون البيرونى (الآثار الباقية ، ص ٨٨ وما بعدها) كما ذكر صراحة (س ٥) . وقد لقّب البيرونى بحق (ص ٨٩) الإسكندر الأكبر « البنّاء » [باليونانية «كتيستيس ») ويلقب (ص ٩٢) ابن الإسكندر بلقب « الثانى » على أن الرواية العربية تلقب الإسكندر الثانى هذا بلقب « ذى القرنين » لأن سلفه كان يلقب أيضاً كما هو واضح باسم «فيليوس» (فيلفوس) . ويشير بعض الكتاب بحق إلى أن ثمة فارقاً مقداره اثنتا عشرة سنة بين وفاة الإسكندر الأكبر وبين بداية التاريخ الذى نسب إليه . ويقول حاجى خليفة (ج ٣ ، ص ٤٣٠ ، رقم ٦٤٧١) : تاريخ فيلفوس الرومى البنّاء ، ولكنه يضيف مصيبا «أخى ذى القرنين» . وقد حدد البيرونى تاريخى ملكين من الملوك الأكمينيين بما يزيد سنتين عن تحديد بطلميوس لهما . على أن مخطوطات البيرونى أيضا قد حددت المدة من بختنصر إلى وفاة الإسكندر بمثل ماحددها بطلميوس،أى ٤٢٤ سنة فى مجموعها ، وقد أبدلها سخاو ناشر الكتاب فجعلها ٤٢٨ سنة معتمداً على الحساب (انظر ص ٨٩ فى آخرها ، وانظر أيضاً القانون ، ص ٩٦ [ليبر] ، والطبرى ، طبعة ١٣٥٧ = ١٩٣٩ ، ج ١ ، ص ٤١٢ ، وانظر أيضاً كتاب طبقات الأمم لصاعد طبعة شيخو) .

ج – كتاب « أوپوتسيس توِن پلانومنون »، وربما كان هو الكتاب الذى ذكره الفهرست (ص٢٦٨) بعنوان« كتاب فى سَيْر [وليس سيَر ؟] السبعة »] (انظر Steinschneider : *Arab Ueb* ، ص ٢١١) . ويقول شتاينشنيدر بحق إن العنوان العربى الصحيح لهذا الكتاب هو « اقتصاص أحوال الكواكب » كما ذكر القفطى(ص ٩٨، وانظر بروكلمان ، ج ١، ص ٣٨٤،٧ب) . والنص العربى (ورقم المخطوط فى ليدن هو ١٠٤٥ وليس ١٠٤٤ ، ويضم هذا المخطوط من دفتيه كتاب المجسطى) الذى هو « إصلاح » نقل ثابت بن قرّة خاص بالجزء الثانى وهو الوحيد الباق. وقد ترجم الكتابين إلى الألمانية نيكس L. Nix ونشرا معاً هما والنص اليونانى للجزء الأول فى Claudi Ptolemaei : *Opera astronomica minora* طبعة هيبرغ J. L. Heiberg) ، سنة ١٩٠٧ : *Bibl. Teubn.*) .

د – كتاب « فاسيس أپلانون آستروس » ، وبالعربية « كتاب الأنواء » (صاعد ، ص ٢٩) ، أما عن معنى هذا العنوان فانظر نالّينو : علم الفلك عند العرب ، ص ١٣٣ وما بعدها (= *Raccolta* ، ج ٥ ، ص ١٩١ وما بعدها ، وانظر أيضاً

I. Kratchkosky فى أبى حنيفة الدينورى : كتاب الأخبار الطوال ، المقدمة ... إلخ ، سنة ١٩١٢ ، ص ٤٠ وما بعدها . ويوجد وصف للكتاب فى المسعودى : التنبيه والإشراف ، ص ١٧ . ولا يظن بول (Boll ، Sphaera سنة ١٩٠٣ ، ص ٤١٣) أن أبا معشر انتفع بهذا الكتاب فى قائمته بالأجرام السماوية التى تشرق فى وقت واحد (طبعة وترجمة A. Dyroff : كتابه المذكور ، ص ٤٩٠ وما بعدها) وهو يؤثر القول بوجود كتاب منحول نسب إلى بطلميوس .

هـ — « أبلوسيس أبڤانباس سفايراس » ، (Planis phaerium) ، ويذكر الفهرس عند كلامه عن بپس Pappus : « تفسير كتاب بطلميوس فى تسطيح الكرة » بنقل ثابت . وعلل اليعقوبى (ج ١ ، ص ١٥٤) « كتاب فى ذات الحلَق » (انظر Klamroth ، ص ٢٠ وما بعدها) . أما متن مختصر مسلمة المجريطى الذى عرف فى نقله العبرى واللاتينى فقط ، فقد اكتشفه حديثا فاجدا G. Vajda) فى Rivista degli studi orientali ، جـ ٢٥ ، ص ٨ ؛ وهو مخطوط بباريس ، القسم العربى رقم ٤٨٢١ ، ١٠) . أما عن الترجمة اللاتينية فانظر Carmody ، ص ١٨ .

و — وقد ذكر اليعقوبى أيضاً (ج ١ ، ص ١٥٧) كتاباً فى الأسطرلاب عنوانه « كتاب فى ذات الصفائح وهى الأسطرلاب » (انظر Klamroth ، ص ٢٣ وما بعدها ؛ Steinschneider ، ص ٢١٥ — ٢١٦) ؛ وانظر عن نسخ الترجمة اللاتينية لهذا الكتاب Garmody ، ص ٧١ . أما عن أثر بطلميوس فى الأسطرلابات العربية الأندلسية فانظر Y. Millás Vallicrosa : *Assaig d'historia de les idees fisiques i mathematiques a la Catalunya medieval* ، سنة ١٩٣١ ، الفصلان ٦ ، ٧ .

٣ — التنجيم :

ا — كتاب « أبيوتاسماتيكى سونتاكيس » أو « تترابيلوس » ، طبعه وترجمه إلى الإنكليزية روبرتس F.E. Roberts ، سنة ١٩٤٠ (*Loeb Class. Libr.* مع مانيتو Manetho) ، الطبعة الجديدة بمعرفة F. Boll & Ae. Boer ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٥٧ ؛ الفهرست ص ٢٦٨ : « كتاب الأربعة » ، صاعد ، ص ٢١ : « كتاب المقالات الأربع » (ابن العبرى ، ص ١٢٣ : « الأربع مقالات » فى أحكام النجوم » ، وانظر عن الترجمات اللاتينية لهذا الكتاب : Carmody ، ص ١٨ ؛ Millás ، الفصل ٣٧ ، وقد شرحه على ابن رضوان ، انظر المصدر نفسه ، الفصل ٣٩ ؛ والاستشهادات الواردة منه فى جابر بن حيان : كتاب البحث ، قد جمعها كراوس Kraus ، رقم ٢٨٣٤ (ص ١٦٨ ، تعليق ١) . أما عن مختصر ثابت لهذا الكتاب فانظر Honigmann ، *Sieben Klimata* ، ص ١١٦ .

ب — كتاب « كربوس » (*fructus* أو *centiloquium*) ، الفهرست ، ص ٢٦٨ : « كتاب الثمرة » ، وقد ذكر أيضاً شرحه بقلم أحمد بن يوسف

المصرى المهندس (صاحب ترجمة أحمد بن طولون) ؛ انظر بروكلمان ، جـ ١ ، ص ٢٢٩ ؛ وثمة طبعة للمتن اليونانى قام بها بور Ae. Boer سنة ١٩٥٢ ، والترجمات اللاتينية ذكرها Carmody، ص ١٦، و Millás ، الفصلان ٣٧، ٣٨ . وانظر أيضاً عن الكتابين المرقومين ١، ب Thorndike : Isis و Journal of the Warb. etc ، الموضع المذكور . وثمة عشر مقالات استشهد بها كتاب «غاية الحكيم» (Picatrix) المنحول للمجريطى، طبعة ريتر ، سنة ١٩٣٣، ص ٣٢٣—٣٢٤؛ وشرح أحمد بن يوسف للمقالة التاسعة برمته قد استشهد به هناك ، ص ٥٥ . وثمة قطعة جديدة من هذا الكتاب اكتشفها كراوس فى مخطوط بمكتبة تيمور ، أخلاق ، رقم ٢٩٠ ، ١٤ ؛ انظر كتابه « دراسات » سنة ١٩٣٩ ، ص ٦ ؛

جـ — كتاب فى المذنبات ذكره الفهرست ، ص ٢٦٨ بعنوان « كتاب ذوات الذوائب »؛ انظر Steinschneider : Ar. Uebs. ، ص ٢١٨ ، رقم ٢٢ ، وانظر Carmody الذى يتناول بالمناقشة الترجمات اللاتينية (ص ١٦ — ١٧) ويسمى متن هذا الكتاب « بسط لمقالة ٩٩ من المقالات المائة المنسوبة لبطلميوس » ؛

د — كتاب فى « المواليد » ، الفهرست ، ص ٢٦٨ : « كتاب المواليد » وقد ذكره جابر بعنوان « كتاب المواليد الصغير » ، انظر Kraus : Jabir ، جـ ٢ ، ص ٢٥٨ ، تعلق ١ ، ولا يظن كراوس أيضاً أن هذا الكتاب صحيح النسبة لبطلميوس ؛

هـ — كتاب آخر منحول له وهو « كتاب الملحمة » ، وقد عرف من الشواهد المتعددة التى نقلها منه ياقوت، فى معجم البلدان (انظر مجموعة أسماء الأماكن المذكورة فى هذا المعجم) والمعلومات الأخرى التى وردت فى Honigmann : Sieben Klimata ، ص ١٢٥ — ١٣٤ . ومعنى كلمة « ملحمة » ليس واضحاً تمام الوضوح ، ولا تمدنا النقول المأخوذة منه بشواهد كافية عن طبيعة هذا الكتاب ؛

و — وقد نشر حديثا متن يشير إلى بطلميوس واسمه « ذكر ما جاء فى النيروز وأحكامه مما فسره بطلميوس الحكيم ووضحه عن علم دانيال (ا) »، نشره عبد السلام هارون نقلا عن مخطوط إستانبول مكتبة مراد ملا ، رقم ٣٣٨ فى مجموعة نوادر المخطوطات ، جـ ٥ / ٢ / ١ ، سنة ١٣٧٣ هـ = ١٩٥٤ م ، ص ٣٥ — ٤٨ (معلومات مستقاة من السيد م . شوارز Schwarz الذى يعمل بمكتبة الجامعة العبرية) وهو يناقش مدلول يوم الأسبوع الذى تقع فيه السنة الجديدة ؛

ز — كتاب فى الصور التى تظهر فى الدرجات الثلثمائة والستين من الفلك ويعرف باسم « Liber imaginum Ptolemaie» وما أشبه ذلك، وهو موجود باللاتينية فى عدة مخطوطات ؛ انظر Steinschneider: Eur. Uebs. ، رقم ١٧٧ ج، Carmody ، ص ٢٠ ؛ Thorndike : Journ. Warb. Court. ، ص ١١٨ . وثمة متن عربى عنوانه « رسالة فى صور الدرج » منسوبة إلى بطلميوس ، وهى من المصادر التى رجع إليها كتاب

« سفينة الأحكام » لكاتب يدعى حضرت النصيرى ، مخطوطات برلين فهرس .Pet ، ج ١ ، ص ٦٧٦ ، والمتحف البريطانى « الإضافات رقم ٢٣,٤٠٠ (والرقم الوارد فى الفهرس « ٨٤٨ ، قد حرفه Steinschneider فى *Arab. Ueb.* فلسفة « ٩٠ » وفى الفهرس العام إلى ١٣٤٨ ، رياضيات ، حرف من ٢١٧ إلى ٨٤٣ و ٣٥٣ إلى ٨٧٤) . ولكن تحقيق النص العربى على النص اللاتينى لم يقم به أحد . أما عن معنى عنوان الكتاب فانظر Boll : *Sphaera* ، ص ٤٢٦ وما بعدها .

ح — كتاب « *Liber ad Herislhonem* » أو « *Aristonem de iudiciis* » (Steinschneider : *Ar. Uebs.* « ص ٢١٨ ، رقم ١١) وقد حلل هذا الكتاب ميلاّس Millas ، ص ١٧٥ » وانظر أيضا عن النصوص المشابهة لذلك المنسوبة إلى بطلميوس : Carmody ، ص ١٧ ، ٢٠ .

ط — كتاب « *et Ptholomeus* (ما شاء الله) *Messealach de electionibus* » وقد نشر فى البندقية سنة ١٥٠٩ ؛ انظر Steinschneider : *Eur. Uebs.* رقم ١٦٤ د . و *Arab. Lit. de Juden* ، ص ٢٢ ، رقم ٢٦ . وقد حققه كارمودى (ص ٤١) وثبت له بالاختبار أنه « كتاب الاختيارات » ، وهو مخطوط فى الإسكوريال « رقم ٩١٩ . وقد ذكر بروكلمان مخطوطاً آخر بنفس العنوان « ج ٣ » ص ١٢٠٥ ، أضف ج ١ » ص ٣٩٢ » وهو موجود بالإسكندرية ، حروف رقم ١٢ : وقد ذكر ثورنديك Thorndike) : *The Latin Translations of Astrological works by Mesahala* ، فى *Osiris* « ج ١٢ ، سنة ١٩٥٦ ، ص ٧٩) أن هذا الكتاب نسب خطأ إلى ما شاء الله وأن مؤلفه هو سهل بن بشر « ولم يذكر ثورنديك طبعة البندقية ، ومن ثم فإنه لم يوضح هل كتاب بطلميوس يفترض أنه كتاب آخر أم أن الطبعة تشير إلى تأليف مشترك ؛ ولا تزال هذه المسألة قائمة تنتظر البحث «

(٤) الجغرافيا :

إن ما قاله كرامرز J. H. Kramers عن الترجمات العربية ككتاب « كيوكرافيكى يوفيكيسوس » وأثره فى الأنظار الجغرافية للمسلمين (انظر مادة « جغرافيا ») لم يفت أوانه بحال (انظر أيضاً مقالته: *Geography and Commerce* فى كتاب *Legacy of Islam* « سنة ١٩٣١ » ص ٧٩ — ١٠٧) ونحن نحيل القارىء إلى الكتب المذكورة فى هاتين المقالتين » كما نحيله إلى Steinschneider « الفقرة ١١٩ ؛ استعراض Ruska لما نشره H. V. Mzik فى *Geographische Zeitschrift.* « ص ٢٤ » ٧٧ — ٨١ ، أما عن ترجمة هذا الكتاب التى عملت لمحمد الفاتح والمحفوظة مخطوطة فى مكتبة آيا صوفيا » رقم ٢٥٩٦ ، فانظر Honigmann ص ١١٤ ؛ وانظر Plessner فى *Islamica* « ج ٤ ، سنة ١٩٣١ » ص ٥٤٧ ؛ Ritter فى *Isl.* « ج ١٩ ، سنة ١٩٣١ » ص ٥٢ حيث وصف أيضاً مخطوط آخر محفوظ فى مكتبة آيا صوفيا رقم ٢٦١٠ «

(٥) قواعد الألحان :

انظر عن أثر هذا الكتاب فى كتاب الفارابى الموسيقى الكبير P. Kraus : *Jābir* ، ج ٢ ، ص ٢٠٤ ، تعليق ٢ .

(٦) البصريات :

والعنوان العربى الذى ذكره صاعد ، ص ٢٩ هو « كتاب المناظر » وقد ذكر كارمودى الترجمة اللاتينية لهذا الكتاب ، ص ٨ ؛ أما عن أثره فى ابن الهيثم فانظر Steinschneider : *Ar. Uebs.* الفقرة ١٢٢ .

(٧) متنوعات :

وثمة كتاب عن خواص الأحجار « كتاب منافع الأحجار » ويضمه مخطوط رقم ١٢٧٧٢ ، انظر J. Ruska & W. Hartner : *Katalog der orientalischen und lateinischen Originalhandschriften Abschriften und Photokopien des Instituts fuer Geschichte der Medizin und der Naturwissenschaften in Berlin* ، سنة ١٩٣٩ ، ص ٦٧ (ولم يرد فى G. Vajda : *Index général* ، سنة ١٩٥٣) .

المصادر :

وردت فى صلب المادة ، وانظر أيضاً (١) مقدمة عبد الرحمن بدوى لبحثه *Fontes Graecae doctrinarum politicarum Islamicarum* (*sic*) ، سنة ١٩٥٤ (٢) L. Thorndike فى *Isis* ، ٥٠ ، سنة ١٩٥٩ ، ص ٣٣ — ٥٠ .

[M. Plessner پلسنر] خورشيد

« بَطَلْيَوْس »(١) المعروفة باسم بداجوز Badajoz : هى الآن عاصمة حصينة للإقليم المعروف بهذا الاسم ، وهو أكبر أقاليم أسبانيا إذ يشمل النصف الجنوبى لإسترمادورهEstremadura الأسبانية . أما المدينة فعلى الضفة اليسرى من وادى يانه (أو آنه) قبيل انعطافه جنوبا على مقربة من حدود البرتقال ، وكان عدد سكانها ٣١,٠٠٠ نسمة .

ولا أساس لما قيل من أن كلمة Badajoz مشتقة من باكس Pax أو Augusta (julia) أو Colonia Pacensis إذ يرجع هذا القول إلى خطأ كان الباعث عليه العصبية الإقليمية ، فإن كلمة بداجوز لم تشتق من اسم المستعمرة الرومانية وإنما اشتقت من اسم المدينة البرتقالية بجة ، وبالعربية باجة (أو بإمالة الألف) المشتق من پاكم Pacem . أما القول بأن الاسم بداجوز مشتق من باديا Badia وهو ماذهب إليه كل من ڤاليريوس ماكسيموس Valerius Maximus وفلوطرخس فشكوك فيه ولا يمكن التثبت منه .

وقد ورد ذكر Badajoz لأول مرة فى المصنفات التاريخية بالنص العربى بَطَلْيَوْس الذى اشتق منه الاسم الأسبانى الحديث على أنها الحصن الذى امتنع فيه البطل الثائر ابن مروان (سنة ٢٦٢ هـ الموافقة ٨٧٥ م) وكانت ثورته على محمد الأول خليفة قرطبة(٢) . واستردها عبد الرحمن الثالث من ولد ابن مروان سنة ٣١٨ هـ الموافقة ٩٣٠ م

(البيان المغرب » جـ ٢ » ص ١٠٥ وما بعدها » ١٤٠ ، ١٩٥ ، ٢١٣ ، ٢١٦) : أما مدينة بطليوس الجديدة التى أسسها العرب والتى يقول عنها أبو الفداء « وهى مُحْدَثَة إسلامية » (ص ١٧٣) فقد حلت فى الأهمية محل المدينة القديمة Colonia Augusta Emerita التى عرفها العرب باسم ماردة ، وهى على مسيرة أربعين ميلا شمالا إلى شرق من بطليوس على الضفة العليا فى وادى يانه .

والحق إنه لما اضمحلت الخلافة الأموية فى قرطبة اضمحلت معها مدينة بطليوس الزاهرة التى اتخذها بنو الأفطس (انظر هذه المادة) عاصمة لملكهم ، وكانوا قد وحدوا الشطر الأوفى من شمال لوزيتانيا القديمة وجعلوه مملكة عظيمة الشأن (١٠٢٢ — ١٠٩٤ م) وحدث أن انهزم المسيحيون فى وقعة الزَلاّقة Sacralias فى الشمال الشرقى لبطليوس عام ١٠٨٦ م ، فأصبحت الإمارة التى على الشمال الغربى لبطليوس مع غيرها من بلاد ملوك الطوائف تعتمد على البربر المرابطين الذين خفوا لنجدتهم من مراكش ، وانتهى الأمر بها أن ألحقت نهائياً فى سنة ١٠٩٤ بممتلكات هذه الدولة القوية وأضحت بذلك جزءا من البلاد الأندلسية التابعة لدولة المرابطين فى الشمال الغربى من إفريقية . ثم انتقلت إلى أيدى الموحدين الذين خلفوا المرابطين . وفى عام ١١٦٨ م باغت الأذفونش الأول هنريكويز Henriquez البرتقالى مدينة بطليوس واستولى عليها ، بيد أن فرديناند ملك ليون [٣] استردها منه ثم ردها إليه . وانتقلت بطليوس بعد ذلك إلى حوزة الموحدين ثم سقطت آخر الأمر فى يد الأذفونش التاسع ملك قشتالة وليون عام ١٢٣٠ م .

وولد فى بطليوس كثير من علماء العرب أشهرهم عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسى (٤) المتوفى عام ٥٢١ هـ الموافق ١١٢٧ م (فى Brockelmann : *Gesch. der. arab. litt.* جـ ١ ، ص٤٢٧) والذى يجب أن يكون قد ولد عام ٤٤٤هـ الموافق١٥٠٢م (ابن بشكوال ، ص٦٣٩) .

المصادر :

(١) ياقوت : المعجم ، جـ٢ ، ص٦٦٤
(٢)مراصد الاطلاع ، جـ١،ص١٥٠ ، جـ٤،٣٤٤
(٣) Dozy : *Histoire des Musulmans d'Espagne* ، جـ٢ ، ص١٨٣ وما بعدها ، ٢٠٧ ، ٢٣٨ ، ٢٦٠
(٤) Madoz : *Diccionario* ، جـ ٣ ، ص ٢٥٦ وما بعدها
(٥) M. R. Martinez y Martinez : *Historia del reino de Badajoz* ، وانظر أيضاً إلى مصادر مادة بنى الأفطس .

[تسيبولد C. F. Seybold]

تعليقات على مادة « بطليوس »

(١) حاول مؤلف المادة أن يفند بلا دليل يصح التعويل عليه قول القائلين بأن اسم Padajoz مشتق من كلمتى Pax de Agosta اللتين رسمها هو Pax Augusta خطأ : وإنما صواب أصل الاشتقاق هو ماذكرناه : فقد كان أول الآخذين به العالم الجغرافى القديم إسترابون Strabon

من علماء القرن الأول قبل الميلاد وقد حرفه الأشبان إلى Paz de Agosta ثم إلى Padajoz وعربه العرب بعد الفتح إلى بَطَلْيَوْس بفتح ففتح فسكون كما ورد فى معجم ياقوت الذى قال فى التعريف بتلك المدينة : « مدينة كبيرة من أعمال ماردة (Merida) على نهر آنه (Guadiana) غربى قرطبة بانحراف إلى الشمال » .

وبطليوس — أو Padajos فى عصرنا الشاهد — قاعدة الإقليم المعروف بهذا الاسم بين بلاد البرتقال وإقليم قاصرش Caseres وطلبطلة وأقاليم قرطبة شرقا وإشبيلية وولبة Huelva جنوبا ، وموقعها من مجريط (مدريد) على مسافة ٥٩٩ كيلو مترا بالسكة الحديد ومن حدود البرتقال على مسافة ٧ كيلو مترات فحسب . وهى قائمة على ضفة نهر يانه الذى أسماه ياقوت الحموى فيما نقلناه عنه آنفا نهر آنه وأسماه أحد كبار المحققين المصريين فى تاريخ الأندلس وجغرافيتها الوادى اليابع وتابعته على هذا الوهم مصلحة المساحة فكتبته كذلك فى مصورها الجغرافى العربى لقارة أوربا .

وذكر الإدريسى مدينة بطليوس فى نزهته ست مرات قال فى إحداها تعريفا بها ما يأتى : بطليوس مدينة جليلة فى بسيط الأرض وعليها سور منيع وكان لها ربض كبير فى شرقها فخلا بالفتن . وهى على ضفة نهر يانه « إلخ .

نقول : ولمدينة بطليوس على هذا النهر داموس — Aqueduc ، أى قنطرة — ذات ٢٨ عينا فى امتداد ٥٢٥ مترا لجر الماء المشروب potable إليها ، بناه الرومان ثم تهدم فأعيد بناؤه فى سنة ١٥٩٦ ميلادية « وكان لها فى شمالها الشرقى حصن منيع عدت عليه عوادى الخراب فأصبح أطلالا بالية ، وكاتدرائية كالحصن فى ضخامتها ومناعتها » .

(٢) المراد هنا محمد الأول خليفة قرطبة الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط صاحب الغزوات المشهورة الموفقة فى بلاد الجلالقة Galicie ومملكة لاون Royaume de Léon . ولى الخلافة بقرطبة فى مكان أبيه فكان أول همه أن بعث البعوث العسكرية لقتال ملوك شمال أسبانيا المسيحيين ، فأنفذ موسى بن موسى صاحب طليطلة فى جيش جرار لنواحى آلبة Alava ففتح قلاعها وحصونها وأنفذ جيشا آخر إلى برشلونة ففتح حصونها كذلك ؛ وقد قام المخالفون والثوار من أهل البلاد عليه واستصرخوا علكى جليقية Galicie والبشكنس Les Basque ، فأكمن الأمير محمد لهم واوقع بهم حتى بلغ عدد القتلى من أهل طليطلة المخالفين وأنصارهم من المشركين عشرين ألفا . وفى سنة ٢٤٥ هجرية (٨٥٩ ميلادية) ظهرت مراكب الأعداء من المشركين فلقيهم مراكب الأمير محمد وغنمت منهم مركبين . وفى سنة ٢٤٧ (٨٦١) غزا محمد نواحى بنبلونة أو عقلونة Pampelune وصاحبها يومئذ الأمير غارسية Garcia وكان وقتئذ نصيرا أو ظهيرا للأمير أردن Ordon بن أذفونش ، فعاث جيشه فى نواحيها ثم عاد بعد أن دوخها وفتح كثيرا من حصونها وأسر فرتون ابن صاحبها فبقى أسيرا فى قرطبة عشرين عاما . وفى سنة

٢٥١ (٨٦٥) أنفذ أخاه المنذر بن عبد الرحمن في عسكر إلى نواحي ألبة فعاثوا فيها وأثخنوا في أهلها وهزموا أميرها لذريق Rodrigue ، وغزا بنفسه في السنة بعينها بلاد الجلالقة فأثخن في عدوه وخرب دياره . ومن سنة ٢٦٣ (٨٧٦) إلى سنة ٢٦٨ (٨٨١) غزا بنبلونة مرارا ودوخها وعاد منها بالغنائم والأسرى، وكانت وفاته لخمس وثلاثين سنة من خلافته أي في سنة ٢٧٣ (٨٨٦) وكان مولده في سنة ٢٠٧ (٨٢٢)

(٣) اختلف المؤلفون العرب في رسم تعريب كلمة Léon التي كانت اسما لإحدى الممالك الأسبانية فسماه بعضهم ومنهم المقري في نفح الطيب (ليون) وبعض الآخر (لاون) بألف بدلا من الياء ؛ والأصوب عندي الأخذ بثاني الرسمين تفاديا للاشتباه واللبس مع تعريب Lyon ليون المدينة الفرنسية . وليون في عبارة Golfe du lion التي ينبغي أن تعرب بخليج الأسد ، معنى كلمة lion التي ليست من أسماء الأعلام .

(٤) أورد مؤلف المادة اسم هذا العالم هكذا : عبد الله بن محمد البطليوسي المتوفى عام ٥٢١ هجرية، ولعل إيراده في هذا الوضع خطأ، إذ قال ياقوت في عرض كلامه على مدينة بطليوس ما يأتي : «وينسب إليها محمد بن عبد الله البطليوسي النحوي صاحب التصانيف المتوفى سنة ٥٢١ هجرية»، لا عبد الله بن محمد .

محمد مسعود

+ « البَطَلْيَوْسي » : أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد : نحوي وفيلسوف أندلسي مشهور ولد في بطليوس (انظر هذه المادة) سنة ٤٤٤ هـ (١٠٥٢ م) وتوفي في منتصف رجب سنة ٥٢١ (آخر يولية سنة ١١٢٧ م) في بلنسية حيث كان يعيش بعد أن أثار عليه غضب ابن رزين (انظر هذه المادة) والتجأ مدة من الزمن إلى سَرَقُسْطَة . وابن السيد — الذي كان له في بلنسية تلميذ نابه هو ابن بَشْكُوَال (انظر هذه المادة) — صاحب عشرين مصنفا أو نحوها بما في ذلك شرحه على ادب الكاتب لابن قتيبة (بعنوان « الاقتضاب في شرح أدب الكتاب »، طبعة عبد الله البستاني ، بيروت سنة ١٩٠١) ؛ و « كتاب الحدائق » (نشره وترجمه آسين Asin سنة ١٩٤٠) الذي كان له بعض الأثر في فلسفة الدين عند اليهود (انظر الترجمة العبرية التي نشرها D. Kaufmann : *Die Spuren Al-Bataljusis in der juedischen Religionsphilosophie* ، بودابشت سنة ١٨٨٠) ؛ و« فهرسة » ؛ وشرح لموطأ مالك ؛ وشرح على «سقط الزند» للمعري وهو مفقود، ولكن النقدات التي وجهها ابن العربي لهذا الكتاب أثارت ابن السيد فكتب ردا على هذا الهجوم عنوانه «الانتصار ممن عدل عن الاستبصار» (طبعة حامد عبد المجيد ، القاهرة سنة ١٩٥٥) ؛ « الإنصاف في التنبيه على الأسباب التي أوجبت الاختلاف » ، القاهرة سنة ١٣١٩ = (انظر Goldziher: *Vorlesungen ueber den Islam*

الطبعة الثانية ، سنة ١٩٢٥ ، ص ٣٣٠ ، تعليق ١١٦) .

المصادر :

(١) ابن بَشْكُوال ، رقم ٦٣٩ (٢) الضبّى ، رقم ٨٩٢ (٣) ابن القفطى (٤) ابن العماد : الشذرات (٥) ابن خلكان ، جـ١ ، ص ٣٣٢ (ترجمة ده سلان ، جـ٢ ، ص ٦١) (٦) الشقَنْدى (ترجمة غرسيه غومز Garcia Gomez : Elogio del Islam espaniol ، مدريد سنة ١٩٣٤ ، ص ٥٤ وتعليق ٥٠) (٧) Pons Boigues : Ensayo ، رقم ١٥١ (٨) Gonzalez Palencia : Historia de la literatura arabigo-espanola ، سنة ١٩٤٥ ص ٢٢٩ (٩) سركيس ، ص ٥٦٩ — ٥٧٠ (١٠) بروكلمان ، جـ١ ، ص ١٢٢ ، ٤٢٧ ، قسم ١ ، ص ١٨٥ ، ٧٥٨ .

خورشيد [ليڤى پرڤنسال E. Lévi-Provençal]

+ « بَطْن » : الراجح أنها الكلمة السامية الدالة على «الجوف» أو ضد الظهر مع زيادة المعنى العبرى للرحم ، وهى تطبق فى الآرامية باستعمال فعل من نفس الجذر بدل على « حَبَل » حَمْل ، وفى العربية باستعمال مصطلح مثل « ذو بطنها » أى ثمرة أحشائها ، وباستعمال الكلمة نفسها للدلالة على « جزء من القبيلة » ، وتفسر بأنها مشابهة للرحيم والفخذ ، وسلسلة كاملة من المدلولات الدالة على صلة الرحم . ولا تزال التفرقة بين « أولاد البطن » و « أولاد الظهر » قائمة فى العربية الحديثة وفقا لملاحظات ڤتزشتاين Wetzstein عن دمشق [انظر ايضا Arabica ، جـ ٥ ، ص ١ ، ٨٠ — ٨١ : بحث كانار M. Canard لمقالة بقلم ڤنيكوف Vinnikov] .

أما تفسير لغويى العرب الذين يجعلون البطن بين الفخذ والقبيلة — طبقا للترتيب المتبع فى عدّ أجزاء الجسم — فرفرض فى رأى روبرتسون سميث (W. Robertson Smith : Journal of Philology ، جـ ٩ ، ص ٨٦) الذى دهب إلى انه اكتشف المعنى المقابل للكلمة العربية «بطن» ماثلا فى معنى الكلمة العربية «بطْن» مهتديا بتفسير بارع لسفر أيوب (الإصحاح التاسع عشر ، الآية ١٧) حيث جرت عبارة « بنى بطنى » المفسرين ، وربما كانت مطابقة للعبارة العربية «بنى بطنى» (Kinship and Marriage Early Arabia ، الطبعة الثانية ، ص ٢٨) .

وانظر مناقشة هذه النظرية فى مواد « عائلة » و « عشيرة » و « قبيلة » وغيرها من المواد .

وتستعمل كلمة « بطن » بمعنى مجازى يدل على « الغور أو الحوض » ، فتظهر من ثم فى الأسماء الجغرافية (ياقوت : المعجم ، جـ١ ، ص ٦٦٥ وما بعدها) على حين أن بطن بمعنى « الداخل » لها مشتقات مثل « باطن » و « باطنية » [انظر هذه المادة) ولهذه المشتقات شأن فى الإسلاميات .

خورشيد [ليكرف J. Lecerf]

«بُطْنان» : ناحية فى الشام (سورية) شرق حلب ، ووادى بطنان هو الاسم الذى أطلقه العرب فى العصور الوسطى على الأراضى التى يرويها نهر الذّهَب وفروعه .

ولا شك أن بطنان اسم أطلق على هذه الناحية منذ عهد قديم جداً .

ولعل سخاو Sachau مصيب فيما ذهب إليه بقوله فى مقاله المشار إليه فى المصادر أن الصيغة الآرامية « بطنان » التى وردت فى مصنفات السريان هى تحريف لـ بيت أدنى ، المذكورة فى النقوش المسمارية ، وبيت أدنى هذه ذكرت فى التوراة باسم « بنى عدن » وهى دويلة تردد ذكرها فى عهد الأشوريين على ضفتى نهر الفرات ، وتحد على الجملة بخطين عند أحدهما من عينتاب إلى الرّها شمالا والآخر من حلب إلى حرّان جنوبا ، وكانت قصبتها « تل برْسيب» وتعرف حديثاً « ببره جك » .

وقد عرف الكتاب الأقدمون أيضاً مكانين على الأقل ، فى أرض الشام والجزيرة اسمهما « بتناى Botanae (بثناى أو بتنه = Bathnai, Batane ولا شك أن أحدهما الكائن فى كيرّستيكا Cyrrhestica ، أى الأراضى التى بين حلب والفرات ، هو عين وادى بطنان الذى كان موضعا ذا شأن فى ذلك الوقت . ويمكننا أن نرجع فيما يختص ببتناى (بثناى) إلى Pauly - Wissowa : Realencykl. d. klass. Altertumswiss ، جـ ٣ ، ص ١٢٥ ، ١٤٠ ؛ الملحق جـ ١ ، ص ٢٤٤ — ٢٤٥ ؛ Noeldeke : Nachr. der Götting. Ges. d. Wissensch ، سنة ١٨٧٦م ص ١٩ ؛ Chapot : La frontière de l'Euphrate ، باريس سنة ١٩٠٧ م ، ص ٣٠٥ وما بعدها ، ٣٤٢ ؛ H. E. Kieppert : Formae orbis antiqui ، عدد ٨ ، سنة ١٩١٠ م ، ص٣ ،٥ .

وذهب جغرافيو العرب ومن بينهم ياقوت إلى أن بطنان جمع بطن ؛ إلا أنه يتضح مما أسلفنا بيانه عن قدم هذا الاسم وعن أصله المحتمل أن ما ذهب إليه العرب لم يكن سوى تفسير شائع له .

وتمييزاً لهذه الناحية عن غيرها من النواحى المعروفة بالاسم نفسه تقول إنه كان يطلق عليها أيضاً بطنان حبيب نسبةً إلى حبيب بن مَسْلَمَة الذى بُعث إليها من قبل أبى عبيدة — أو عياض — بن غنم ؛ وهما اللذان فتحا الشام والجزيرة فى عهد الخليفة عمر . وقد استولى حبيب هذا على الحصن الذى فى هذه الناحية (البلاذرى ، طبعة ده غويه ، جـ١٦ ، ص١٤٩ ؛ ياقوت ، جـ ١ ص ٦٦٤) ، والراجح أن هذا الحصن هو عين قلعة بزاعة وهى قصبة بطنان ، وقد ورد ذكر هذه القلعة فى كثير من المواضع . واسم بطنان — وينطق الآن بَطنان — لا يطلق اليوم فى الغالب إلا على أكوام على مسيرة ميلين ونصف من شمالى شرق الباب بالقرب من بزاعة .

ويطلق الجغرافيان ياقوت والبكرى اسما آخر على وادى بطنان هو «طَرْطَر» ، ويقال طلَنْطَل، ويرد المؤرخ الحلبى ابن الشِحْنة المتوفى عام

٨٩٠ هـ (١٤٨٥ م) مكاناً فى هذا الإقليم دعاه «أبو طَلْطَل» أو «أبو طَرْطَر» (A.V. Kremer : *Denkscher. d. Wien. Akad. d. Wiss* » سنة ١٨٥٢م ، جـ٣ ، عدد ١ ، ص ٣٨) .

والحق إن ما ذكره جغرافيو العرب عن وادى بطنان متناقض فى بعض أجزائه ، ولم يكن عند المتأخرين منهم فكرة واضحة عن المدلول الجغرافى لهذا الاسم على التحديد ؛ وهم على الجملة يصفون وادى بطنان بأنه أرض منخفضة بين حلب غرباً ومَنْبِج شرقاً ؛ يرويها نهر الذهب الذى سماه الدمشقى خطأ نهر ساجور أو هى بين الباب وبُزاعة ، وقد أخطأ هؤلاء الجغرافيون فجعلوا هذين المكانين — اللذين هما أكبر الأمكنة شأناً فى بطنان — أدنى إلى منبج منهما إلى حلب :

ويجرى نهر الذهب بصفة عامة من الشمال إلى الجنوب على مسيرة عشرين ميلا من حلب على خط طول ٣٧° ٣٥َ شرقى گرينوتش ويمر بـ « قُوَيْرِس» ثم يصب فى البحيرة الملحة المعروفة بالسبخة أو جَبّول على خط عرض ٣٦° تقريباً .

ويتألف هذا النهر من نهيرات صغيرة تنبع من الباب وتاذف وبُزاعة . ويقول هرزفلد Herzfeld إن اتساع النهر فى مجراه الأدنى يبلغ ثلاثين ياردة ؛ ويروى ياقوت والقزوينى أن أهل حلب يزعمون أن نهر الذهب من عجائب الدنيا لأن « أوله يباع بالميزان وآخره بالكيل » .

ومعنى هذا الكلام أن أوله يزرع عليه القطن وسائر الحبوب وتروى منه الأشجار المثمرة ، وآخره يصير ملحا يمتار منه أكثر نواحى الشام ويباع بالكيل . وكانت ناحية بطنان مزدحمة بالخلق بالنسبة لوفرة مائها وخصب تربتها . وتستدل من كملة « بطنان » على أنه كانت بهذه الناحية بطائح (انظر فيما يختص بهذا الأمر Wellhausen : *Das Arab Reich und sein Sturz* ، سنة ١٩٠٢ ، ص ١١٧ تعليق ٢) وأهم بلدان الناحية بُزاعة والباب وتاذف ، وكلها مازال موجودا (انظر مادة بُزاعة)

ولوادى بطنان شأن هام فى تاريخ الحروب التى حدثت فى عهد عبد الملك ، وكان هذا الخليفة يشتو فيه إبان حرب مصعب بن الزبير من عام ٦٩ إلى ٧١ هـ (٦٨٩ — ٦٩١م) بل لقد عسكر فيه ، وكان يوجه منه حملاته (ڤلهوزن ، كتابه المذكور ، ص١١٧—١١٩ ؛ Weil : *Geschichte der Châlifen* ، جـ ١ ، ص ٣٩٧ ، تعليق ٢ ، ديوان الحماسة ، طبعة فريتاج ، ص٦٥٨) .

وذكرت بطنان أيضا فى الحرب التى استعر أوارها بين العباسيين وقرامطة الشام . وفيه باغت القرامطة الجيش الذى أنفذه المكتفى بقيادة أبى الأغَرّ عام ٢٩٠ هـ (٩٠٣م) ونكلوا به .

المصادر :

(١) ياقوت : المعجم ، طبعة ڤستنفلد ، جـ١ ، ص٦٦٤ ، جـ٢ ، ص٢٩ ، ٢٠٠ (٢) الدمشقى ، طبعة مهرن ، ص٢٠٥ (٣) القزوينى ، طبعة

شتنفلد ، ج١ ، ص١٧٨ (٤) أبو الفدا : تقويم البلدان ، طبعة پاريس ، ص٢٦٧ (٥) مراصد الاطلاع ، طبعة جوينبول ، ج١ ، ص٢٥٩ ، ٢٣٩ ؛ ج٤ ، ص٣٤٥ (٦) Le Strange : *Palestine under the Moslems* ، ١٨٩٠ ، ص٤٠٦، ٤٢٦ ، ٤٦٠ (٧) G. Freytag : *Selecta ex historia Halebi* ، پاريس سنة ١٨١٩ ص ٢٨ ، ٣٦ ، ١١٢ (٨) E. Sachau في *Zeitschr. fuer Assyriologie* ، ج ١٢ ، ص ٥٠ — ٥١ (٩) R. Pococke : *Description of the East* ، ج ٢ ، لندن سنة ١٧٤٥ ، ص ١٦٨ (١٠) Sarre & Herzfeld : *Archaeol. Reise im Euphrat-und Tigrisgebiet* ، ج١ ، برلين سنة ١٩١١م ، ص١١٤ وما بعدها ، ص١١٩ وما بعدها .

[شترك M. Streck]

« بطهان » : (انظر مادة « أفغانستان »)

« البطيحة »: منخفض كالمروج له بطن من الرمال المختلطة بالحصى تغمره مياه الأنهار المجاورة فى مواسم تتفاوت كمية مياهها كثرة وقلة، وعلى ذلك فإن الماء يتبطح فيه أغلب الأحيان.

والبطيحة اسم يطلق بصفة خاصة على ناحيتين :

(١) سهل ضيق بفلسطين تكتنفه الجبال على الشاطئ الشمالى الشرقى لبحيرة طبرية جنوبى « التل » الذى يرويه نهر الأردن ونهر آخر اسمه جرمایة ، وهذا التل مذكور فى التوراة باسم بيت صيدا أو يولياس . ويقطن هذا السهل الآن الغوارين أى العرب الغور، وهم مزارعون يربون قطعاناً كبيرة من الجاموس الممتدى فى هذه البقعة وفى المسيل الذى إلى الشمال من بحيرة «الحولة» . والاسم الحديث لهذه الناحية وهو البطيحة لم يرد — فيما أعلم — فى مصنفات العرب فى القرون الوسطى ، ولكنه ذكر لأول مرة فى مؤلفات الجوابين المحدثين من الأوروبيين أمثال سيتزن Seetzen وبوركهارت Burkhardt ، والعامة ينطقون البطيحة الإبطيحة ، وهو بلا شك مأخوذ من صيغة التصغير .

المصادر :

(١) Ritter : *Erdkunde* ، ج ١٥ ، ص ٢٧٦ وما بعدها (٢) Baedeker : *Palestine and Syria* ، الطبعة الرابعة ، ١٩٠٦ ، ص ٢٥١ (٣) E. Robinson : *Palaestina* ، ج ٣ ، ١٨٤٢ م ، ص ٥٥٩ — ٥٦٤ ، ٥٦٩ (٤) الكاتب نفسه : *Phys. Geogr. d. heil Landes* ، ١٨٦٥ م ، ص ٢٥٧ (٥) F. Buhl : *Geogr. d. alt. Palaestina* ، سنة ١٨٩٦ ، ص ٣٦، ٢٤١ (٦) Seetzen : *Reisen durch Syrien* ، ج ١ ، سنة ١٨٥٤ م ، ص ٣٤٥ .

٢ — يطلق كتاب العرب عادة اسم البطائح وهى جمع البطيحة على المسيل المتسع الذى على المجرى الأدنى للرافدين (دجلة والفرات) فيما بين واسط شمالا والبصرة جنوباً ، ويقال أحياناً بطائح

واسط أو بطائح البصرة نسبة إلى هاتين المدينتين المتجاورتين ».

وقد أخطأ العرب فى زعمهم أن هذه البطائح تكونت أول الأمر فى العهد الساسانى وأنها حلت محل أرض عامرة وقرى متصلة : والوجه الصحيح فى هذا الزعم هو أن هذه البطائح اتسعت اتساعاً كبيراً فى القرون الأخيرة من الحكم الساسانى بالنسبة لحدوث عدة فيضانات شديدة اكتسحت أمامها السدود ، يضاف إلى ذلك إهمال شأن هذه السدود وعدم المبادرة بإصلاحها . غير أن وجود بطائح فسيحة فى جنوبى العراق (بابل) يرجع بصفة عامة إلى زمن سحيق ، إذ أن الارتفاع المستمر فى شواطئ دجلة والفرات الناشئ من رسوب الغرين بكميات كبيرة أخذ يعوق بالتدريج رجوع المياه التى طغت على الشواطئ إبان الفيضان إلى النهر فتكونت البطائح . وقد كان فى الإمكان أن نجف المياه من هذه الأراضى لولا أن الماء يعود إلى غمرها كل عام فى موسم الفيضان . بل إننا نجد ذكرا لهذه البطائح فى الكتابات المسمارية ، فقد ورد فيها لفظ « أكَامّى » ومعناها البطائح وكلمة « أپَّراته » ، ومعناها إقليم القصب (انظر الفقرات الواردة من هذه الكتابات فى Delitzshc : *Assyr. Handworterb* ، ص ١٧ ١١٥) . ولا شك فى أن الناحية بأسرها التى تمتد من المُحَمَّرَة فى الجنوب إلى مافوق القَرْنَة والتى تمتد شرقاً إلى ما بعد الضفة الأخرى من نهر « كارون » كانت فى ذلك العهد بحيرة ضحلة فسيحة يصب فيها دجلة والفرات أى كرخا وكارون لأن كلا النهرين كان له مصب منفصل عن الآخر ، وكان يفصل هذه البحيرة عن الخليج الفارسى لسان ضيق من الأرض : وقد وجد فى قويونلق نقش بارز هام يمثل الملك سنحريب وهو يقاتل أهل هذه البطائح وسط غابة مرتفعة . (انظر الصورة التى أوردها لايارد Layard عن هذا النقش فى كتابه *Monuments of Nineveh* ، ج ٢ ، ص ٢٥ — ٢٨) : ويطلق الأشوريون على هذه البحيرة الضحلة « نارمَرَّتو » أى الماء المر أو تامدْو شا ماتو كَلْدى » أى بحر بلاد كِلْدة ، كما يطلقون عليها أيضاً « بطيحة (رَقّتو) بيت حشمر » أو « بطيحة ضفة دجلة » (انظر فيما يختص بهذه التسمية الأخيرة Delitzsch فى كتابه المذكور آنفاً ، ص ٦٢٧) وقد عرف الكتّاب اليونان هذه البحيرة باسم « لِمْنى » ، وعرفها الرومان باسم خالدايكوس لاكوس Chaldaicus Lacus . ووصفها نيرش Nearch وصفاً قيماً يستند إلى اجتيازه لها ، فقال إن عرضها ٦٠٠ ستاد أى ٨٠ ميلا . ووصفت لوحة پويتنجريانا Peutingeriana هذه البطائح البابلية ، وذكرت إلى جانب كلمة پالودس Paludes كلمة ديوتاهى Diotahi ، وهى بلاشك محرفة عن بيوتاهى أى البطائح (يمكن الرجوع فيما يختص بالإشارات التى وردت فى الكتابات المسمارية والمؤلفات القديمة إلى Andreas فى Pauly-Wissowa : *Realenzykl. d. kl. Altertumswiss* ، ج ١ ، ص ٧٣٦ ، ٨١٥ ، ١٨٧٨ وما بعدها ، ٢٨١٢ ،

Weissbach : الكتاب المذكور ، جـ ٣ ، ص ٢٠٤٤ ، جـ ٦ ، ص ١٢٠١ وما بعدها ؛ Streck جـ ٥ ، ص ١١٤٧ ، مادة ديوتاهي Diotahi) ؟

وأخذت هذه البحيرة الضحلة العظيمة فى الامتلاء بالغرين الذى تجلبه الأنهار منذ القدم فيما خلا أماكن قليلة منها ، كما ارتفعت الدلتا الحديثة التكون ، وانقطعت أجزاء من البحيرة الأصلية نذكر منها خور أبى كلان غربى القرنة ، وخور الجزائر على الضفة الغربية لشط العرب الأعلى والأخوار التى فى جوار الحُوَيْزة (الآن حَوِيزة) وتعرف بالخور الأعظم ، ومن الواضح أن هذا الخور هو عين « أغمّا رَبّتا » وهى كلمة آرامية معناها البطيحة الكبرى . وذكر البلاذرى (٢٩٣) وقدامة (٢٤١) شيئاً عن أحوال البطائح فى الزمن القديم .

وعنى الساسانيون بصفة عامة عناية فائقة بتصريف الماء المتجمع فى بطائح بابل فشقوا القنوات والمصارف فى مساحات واسعة وحولوا الأراضى التى استصلحوها إلى حدائق ، ثم حدث فى عهد الأكاسرة المتأخرين من هذه الأسرة أن انبثقت بثوق غمرت أراضى واسعة عامرة فكثرت البطائح إلى حد ظن معه العرب — كما أسلفنا بيانه — خطأ أن بدء تكونها يرجع إلى هذا العهد . وتتفق إشارات مصنفى العرب وبخاصة البلاذرى وقدامة والمسعودى وياقوت فى رواياتهم للتغيرات التى حدثت فى المجارى المائية بفعل العوامل الطبيعية . فقالوا إنه حدث فى عهد قباذ فيروز (٤٥٧ — ٤٨٤م) أن انبثق فى الأسافل جنوبى البصرة بثق عظيم غلب ماؤه وغرّق كثيراً من أرضين عامرة لم تستصلح إلا فى عهد كسرى أنوشروان الأول الذى حكم من عام ٥٣١ إلى عام ٥٧٨ م ، ذلك أنه ما إن ولى العرش حتى بذل كل ما فى وسعه لإعادة تلك الأرضين إلى عمارة ، ولا شك فى أن ما رواه الدينورى عن تقسيم هذا الملك الإقليم إلى نواح له صلة بهذا الأمر(Noeldeke : *Gesch. der perser u. Araber zur Zeit der Sassaniden*، سنة ١٨٧٩م، ص ١٦٤)؛ واتفق فى السنة الأخيرة من حكم كسرى الثانى أبرويز (٦ أو ٧ هـ = ٦٢٧م) أن زادت دجلة زيادة مفرطة وزاد الفرات أيضاً بخلاف العادة فانبثقت بثوق وطغى الماء على أرض واسعة فتكونت البطائح من جديد وعجز أبرويز عن دفع هذا البلاء على الرغم من جميع الجهود التى بذلها فى هذا السبيل ، ثم جاء الإسلام واشتغلوا بالحروب فاستفحل أمر البطائح ؛ وفتح العرب العراق ، ثم انقضت فترة من الزمان لم يعنوا فيها بالبطائح ؛ فلما ولى الخلافة معاوية أخذ فى استصلاح هذه البطيحة فولى عبد الله ابن دَرّاج مولاه خراج العراق واستخرج له من الأرضين بالبطائح ما بلغت غلته خمسة آلاف ألف درهم بأن قطع القصب وغلب الماء بالمسنيات ، وأطلق على الأراضى التى جفت وأصبحت صالحة للزراعة اسم « الجوامِيد » ومفردها الجامدة . وزادت عناية الخليفتين الوليد بن عبد الملك وهشام بأمر هذه البطائح ، وسار الحجاج عامل العراق

القوى فى عهدى عبد الملك والوليد خطوة واسعة فى سبيل استصلاحها .

وبنى الحجاج فوق البطيحة مباشرة مدينة متوسطة سماها « واسط » ليجعل منها حصناً جديداً يحمى سلطان العرب فى هذه البطيحة ، وازدهرت واسط فى أمد وجيز . وعمد الحجاج إلى إصلاح حال القنوات التى كان قد أهمل أمرها لأنه وجد ألا صلاح للأرض التى فى السهل المنخفض فى حوضى دجلة والفرات الأدنيين بدونها ، كما عنى بإقامة السدود وبناء القناطر ، واحتفر الحجاج النيل الزابى لتصريف الماء الزائد من دجلة والفرات قبل أن يفيضا فى البطيحة ، وليرى الأرض الجافة وإخصابها من جهة أخرى ([illegible] Babylo[illegible] ، ج ١ ، ص ٢٩ — ٣٢ ؛ ج ٢ ، ص ٣٠٣ — ٣٠٤) وقام بهذه الأعمال تحت إشراف الحجاج نبطى من أهل العراق اسمه حسان ، فأسدى الرجل للعراق خدمات جلى ، وأسكن الحجاج فى البطيحة الزط وهم خلق من الهند جاءه ابن جواميسهم البالغة ألفاً ، وكان قد بعث بهم إليه محمد بن القاسم فاتح الهند . ومنعت قلة المال الحجاج من أن يزيد فى إصلاح البطيحة ، إذ قدر لسبه المتوفى ثلاثة آلاف ألف درهم ، فلما استكثرها الوليد ، أبدى مسلمة بن عبد الملك أخو الخليفة ، استعداده للإنفاق عليها ، وجعل منها عملا يدر الربح ، فحفر قناتين تعرفان بالسيبين لتصريف الماء (انظر بصفة خاصة قدامة ، ص ٢٤٠ — ٢٤١ ؛ Wellhausen : *Das Arab. Reich u. sein Sturz* ، سنة ١٩٠٢ ، ص ١٥٦ — ١٥٨) .

وكان خالد القسرى أشد عمال العراق الذين جاءوا إثر الحجاج شغفاً بالفلاحة ، فأخذ يعمل بنشاط عظيم فى استكمال ما فعله الحجاج من إصلاح البطيحة ، وظلت هذه الأعمال تسير بإشراف الحسن النبطى ، وحصل خالد على أرضين كثيرة مما استصلح ، وكان خرجه منها عظيما ، غير أنه أثار السخط فى ولايته لتعسفه فى امتلاك جزء كبير من الأرضين (Wellhausen : كتابه المذكور ، ص ٢٠٧)

وقدّر ابن رستة المتوفى عام ٢٩٠ هـ الموافق ٩٠٣ م مساحة البطيحة بعد ما أصلحها العرب هذا الإصلاح العظيم بثلاثين فرسخاً فى الطول والعرض ، والفرسخ أربعة أميال . وتحدث قدامة المتوفى عام ٣١٠ هـ (٩٢٢م) عن أرض يربو طولها على ستين ميلا عربياً ، والميل العربى ١¼ من الأميال الإنكليزية ، ومع أنه لم يقل شيئاً عن مساحتها إلا أننا إذا أخذنا بطولها ومربّعناه بلغت مساحتها ٥١٨٤ ميلا إنجليزياً .

ومهما يكن من شيء فإن المسعودى بالغ فى تقديره مساحة البطيحة بقوله إنها تبلغ ألفين وخمسمائة فرسخ مربع . وقد أخذ شبرنگر بهذا التقدير (A. Sprenger : *Babylonien das reichste Land der Vorzeit* ، هيدلبرغ ، سنة ١٨٨٦ ، ص ٤٧ ومابعدها) . وعلل ڤاجنر H. Wagner هذا الخطأ بأنه خلط بين الفرسخ والميل (انظر H. Wagner : كتابه المذكور فى المصادر ، ص ٢٣٩) . وآية ذلك أن المسعودى ذهب إلى أن مساحة البطائح كلها لا تقل عن ٣٥,٠٠٠ ميل مربع بينما مساحة أرض العراق كله لا تزيد عن ٤٥,٠٠٠ ميل مربع .

وتمتد البطيحة ناحية الشمال الغربى إلى قرابة الكوفة و « نِفَّر » ، وتبدأ من ناحية الشرق على مسافة كبيرة من واسط ثم تنبطح ناحية الجنوب الشرقى إلى البصرة ، وكانت ضفتا نهر الفرات الحالى والجزء الأكبر من البلاد التى بين هذا النهر وبين الفرع الرئيسى لنهر دجلة فى زمننا هذا وفى زمن الجاهلية أيضاً ، والبقاع التى تمتد إلى ما وراء ذلك بمسافات كبيرة ، كانت كل هذه الأراضى فى العصور الوسطى عبارة عن بطائح يتراوح الماء فيها كثرة وقلة : ويصب نهر الفرات بقية مائه فى البطيحة على مسيرة بضعة أميال جنوبى الكوفة ، وكان الفرع الرئيسى لهذا النهر يسير فى تلك العصور بجوار هذه المدينة كما كان ماؤه يستخدم كثيراً فى شئون الرى شمالى العراق ووسطه ، وكان نهر دجلة يسير منذ نهاية العهد الساسانى إلى النصف الأول من القرن السابع عشر فى مجراه الغربى (شط الحىّ) بالقرب من واسط ، وموقعها الآن كوت الحىّ (؟) ، ويقول ياقوت إنه ينفصل عن واسط ويصب فى البطيحة منقسما إلى خمسة أنهار تجتمع عند (المَطارة) على مسيرة يوم من البصرة ، غير أن رواية ابن سرابيون الذى عاش فى بداية القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) ، وهى أقدم من رواية ياقوت وأصح ، تقول إن دجلة — أى شط الحىّ — تصل إلى البطيحة عند قرية « القَطَر » ثم تنقاد فى بحيرات أربع تكونت بفعل الفيضان وتصل بعضها ببعض قنوات صالحة للملاحة ، وتعرف هذه البحيرات باسم الحَوْر وهَوْر وهَوْل ، وتعرف اليوم باسم الخور : وتسير مياه البطيحة — أى نهر أبى الأسد ودجلة العوراء — من « المَذار » وهى فى موقع العُزير ثم يجتمعان ويكونان نهراً كبيراً بالقرب من القرنة .

وسنبين فى العجالة التالية الأقسام الحديثة لبطائح العراق الأوسط والجنوبى .

ولم يبق من البحيرتين المضمحلتين جنوبى « الكِفل » على ضفتى مجرى الفرات سوى البحيرة الطويلة منهما التى على الضفة الغربية ، وهى تعرف ببحر النجف ، على حين تحول خور أبى نجم شرقى أطلال الكوفة إلى أرض صالحة للزراعة (زراعة الأرز) وإلى الغرب من نِفَّر خور عفج أو عفك ، ويمتد ناحية ... خور الخزاعيل ، وكلا الخورين ... إلى ... عربية ، وتعرف البطائح الشاسعة التى تمتد ... الفرات من الملون إلى ما وراء السماوة ... التى تمتد ... إلى شط الحىّ باسم بطائح المدن ، وفى ... التى ... من دجلة والفرات قبل التقائهما غربى القرنة ... بطائح أبى كلام ، وعلى الضفة الغربية لشط العرب الأعلى خور الجزائر : ويقول لفتوس Loftus (كتابة المذكور فى المصادر ، ص ٢٤٤ وما بعدها) إن ضفتى شط الكار (كهر) ، وهو فرع من فروع الفرات بينه وبين شط الحى ، يكتنفهما القصب حتى ليتعذر السير فيهما : وجميع الأراضى التى على ضفتى دجلة وبخاصة ما كان منها على ضفته الغربية ، وما كان منها أسفل « إمام على الغربى » مليئة بالماء الآسن والبطائح : وتزداد البطائح كلما اتجهنا مع النهر ، وقد أغرقت كل الأراضى التى على ضفته الشرقية إلى ما وراء « كرخا » ، كما أغرقت الأراضى التى أعلاها

حتى وصلت إلى الجبال المتفرعة من پشت كوه ؛ والإقليم بأسره ما هو إلا بطائح ممتدة لا تبلغ العين مداها ، وتنتثر فيها أحراج النخيل وأكواخ من القصب قائمة على جزر صغيرة . ويعرف الجزء الشمالى من هذه البطائح شرقى دجلة ببطيحة «سمرغة» ، أما الجزء الأكبر الذى فى الجنوب المعرض لفضان نهر كرخا فهو معروف بالحور الأعظم ، ويوجد فى الوسط بطائح « سَمِيدَة » .

ونستطيع أن نقول بصفة عامة إن أرض البطيحة كلها وبخاصة ما كان منها بين الفرات ودجلة وشط الحى لم يستكشف منها إلا جانب ضئيل سواء فى الماضى أو فى الحاضر ، إذ أننا لا نعرف حق المعرفة سوى ضفاف هذين النهرين العظيمين . ومن ينظر إلى هذه البطائح على مسافة منها ير سهلا أخضر شاسع الأرجاء لا يرجع لونه الذى فى لون المروج إلى الحشائش ، بل إلى ما تكاثف فيه من قصب وحلفاء . وتؤلف هذه النباتات عادة آجاماً ترتفع إلى عدة أقدام تم تخترقها قنوات محواة تتفاوت طولا وقصراً يضل فيها الأجنبى ما لم يقده دليل من أهل البلاد . وهذه القنوات ضحلة فى الغالب ولا يمكن اجتيازها إلا بالقوارب الصغيرة (مشحوف وطرّادة) تسيّرها أعواد من القصب هى المردى وجمعها مرادى (أبو الفداء ، ص ٢٩٦ ، س ١٣ ؛ Meissner ، كتابه المذكور فى المصادر ، ص ٩ ، مادة Maerdi) وهذه الوسيلة من وسائل النقل (شَلَمَة ، انظر Zeitschr d. Deutsch Morgenl Ges. ، ج ١٧ ، ص ٢٢٤) قديمة جداً كما نستدل على ذلك من النقوش الأشورية التى أسلفنا الإشارة إليها (Layard : Monum. ، ج ٢ ، ص ٢٧ ؛ Orient Liter. Zeit ج ٩ ص ١٩٠) .

وكانت البطيحة على الدوام مخبأ محبباً لجميع اللصوص وقطاع الطرق والثائرين لصعوبة الوصول إليها ، ولذلك فقد أقيم الحراس فى بقاع مختلفة منها زمن الخلافة الإسلامية لحماية المسافرين وتأمين السير خلال القنوات .

ولا تزال معظم القبائل الآن مصدر خوف الناس لأن أفرادها يعتبرون من اللصوص . وكان بنو لام وأبو محمد من ذوى السمعة السيئة قبل وقتنا الحاضر ، إذ كانوا يتسللون فى قواربهم الصغيرة وينتقلون إلى المراكب الكبيرة التى تمخر المجارى الرئيسية وينهبون هذه المراكب ثم يختفون فى القنوات الصغيرة التى لا حصر لها والتى يتعذر على هذه المراكب السير فيها .

وقد أسكن الحجاج الزُّطّ (الجاط) — وهم قوم من الهنود — فى هذه البطيحة أيام عبد الملك ومعهم قطعان كبيرة من الجاموس . واسترعى هؤلاء الزط الاهتمام عدة مرات فى العهد العباسى الأول، إذ كانوا مصدر قلق لقيامهم بأعمال السلب والنهب . ولم ينجح الخليفة المأمون فى إخضاعهم إلا بعد أن بذل فى سبيل ذلك جهداً مضنياً .

وكانت فتنة الزنج الكبيرة أعظم من هذه خطراً ، وهم قوم من العبيد السودان كانوا يقطنون أطراف البطيحة أتى معظمهم من الشاطئ الشرقى لإفريقية . والزنج هو الاسم العربى لزنجبار ، وهى زنكيس

Zingis باليونانية : وكان هؤلاء يقومون بعمل شاق ألا وهو امتيار الملح من الأرض المالحة شرق البصرة : وقد قاموا بزعامة على بن محمد ، ولعله من العلويين ، بفتنة كبيرة آزرهم فيها طبقات مختلفة من أوشاب الناس . وكان ذلك من عام ٢٥٥ إلى عام ٢٧٠ ﻫ (٨٦٩–٨٨٣ م)، ويقص مؤرخو العرب كالطبرى وابن الأثير وابن خلدون أنباء هذه الفتنة الخبيثة تفصيلا : ورواياتهم تزودنا بمادة قيمة نافعة فى دراسة طبيعة أرض هذه البطيحة [Noeldeke : *Sketches from Eastern History*، ص ١٤٦ – ١٧٥) . وأقام بنو شاهين (انظر مادة «عمران بن شاهين») ومن بعدهم بنو المظفر ممالك فى هذه البطائح تتفاوت درجة استقلالها . وكان ذلك فى القرون التالية ، وقد شاركهم فى هذه الممالك بعد ذلك بنو مَزْيَد (انظر هذه المادة) الذين حكموا فى الحلّة من عام ٤٠٣ إلى عام ٥٥٨ ﻫ . ولما اضمحل شأن بنى مزيد جاء دور بنى المُنْتَفِق ، ولو أن الخليفة الناصر نجح فى القضاء على زعمائهم ، بنى معروف ، عام ٦٥٧ ﻫ (١٢٢٠م) ولا نعرف بالتفصيل تاريخ هذه البقاع فى ظل المغول والأتراك .

ولما قام العرب بفتوحهم التجأ الناس من نصارى بابل الآرامى الأصل . وهم النبط عند مصنفى العرب ، إلى إقليم البطيحة القحل بصفة مؤقتة ، ولا بد أن عددهم كان كبيراً فى هذه البطيحة فى أواخر القرون الوسطى . وشاهد هذا أننا نجد ذكراً لبطائح النبط فى مواضع مختلفة كأبى الفداء . ولا تزال بقايا منهم (وهم المندائيان Mandaeans الذين عرفهم العرب بالصُّبَّاء ، أى نصارى يوحنا المعمدان) يعيشون فى أماكن من هذه البطائح وبخاصة حول الخور الأعظم : وأهم محلاتهم هى مدينة الحُوَيْزَة . وهى الآن الحَوِيزة ، ومكانها ضار بالصحة إلى حد كبير .

ويتألف معظم سكانها الآن من قبائل عربية هجينة شرسة الطباع تحيا حياة برية مائية إلى حد ما ، وهم فى روايات الرحالة من أشرس أقوام المشرق . أما من جهة دينهم فإنهم على مذهب الشيعة وعلى معرفة بقوانين البدو . ولكن يعوزهم الكثير من فضائلهم : ومما يجدر ذكره كرمهم الحاتمى .

وأهم هذه القبائل العربية التى تنقسم فيما بينها إلى عشائر عديدة هى :

(١) بنو لام شرق دجلة بين كوت العمارة فى الشمال والعَمَّرة فى الجنوب، وهم يتجولون شرقاً حتى أطراف جبال پشت كوه بل إنهم ليصلون إلى مشارف بغداد . وكانت كوت العمارة مقر شيخهم فى العقود الأولى من القرن التاسع عشر الميلادى . وقد تحدث كريمر A. von Kremer عن هذه القبيلة فى *Sitz. Ber. der Wiener Akad.*، ١٨٥٠م، ص ٢٥١ – ٢٥٤ ، وأورد نماذج من أشعارهم ؛

(٢) أبو محمد ، ويقال لهم أيضاً آل أبى محمد، وهم يستوطنون أيضاً شرقى دجلة . كما أنهم الجيران الجنوبيون لبنى لام ، وأرضهم تتألف من البطيحتين اللتين فى جنوبى العَمَّرة وهما بطيحة سمرغة والخور الأعظم .

(٣) زُبيد غربى دجلة ، وبلادهم بين بغداد فى الشمال وكوت الحىّ فى الجنوب الشرقى ، وهم يتاخمون فى الجنوب أرض الخزاعل .

(٤) الخزَاعِل ، ويقال لم أيضاً الخُزاعِل وهم جنوبى زبيد ، ويقطنون الإقليم ما بين الكِفل وأطلال نِفَّر وإلى الجنوب الشرقى منها ، وينتشرون بمحاذاة الفرات من الديوانية إلى الملون حيث يشرفون منها على المنتفق : والعفق الهمج ، ويقال لم عفج وعَفَيّج ، هم فرع من هؤلاء إذا أخذنا بما جاء فى مجلة *Zeitschr. d. Deutsch Morgenl Ges.* جـ ١٧ ، ص ٢٢٤ ، ويقطنون البطائح المعروفة باسمهم ، وأهم قراهم العفج جنوبى نِفَّر وهى سوق تباع فيها منتجات قطعانهم الكبيرة من الجاموس . وكانت الملون مقر شيخ الخزاعل فى عهد نيبور Niebuhr أى فى منتصف القرن الثامن عشر .

(٥) المنتفق ، ويقال أيضاً المنتفج ، وهم الآن أقوى القبائل جنوبى العراق ويبسطون نوعاً من السيادة على أحلاف أصغر منهم هناك . ويقول موريتز Moritz (كتابه المذكور فى المصادر ، ص ٢٠٠) إنهم ليسوا قبيلة بالمعنى المفهوم من هذه الكلمة ، وأقرب منهم إلى هذا المعنى الأتباع العديدون لأسرة زعيم قوى من الزعماء . وبلادهم أسفل الملون وتشمل ضفتى الفرات إلى القرنة ؛ وحاضرتهم سوق الشيوخ ، وتمتد أراضيهم ناحية الشرق إلى ما وراء شط الحىّ ، أى إلى قرابة دجلة ، وعلى هذا فهى تضم أيضاً الجزء الأكبر من البطيحة الحقيقية .

(٦) المَعْدان ، ويقال لم أيضاً المُعْدان ومقر «مَعيدى» وهم يضربون خيامهم بين شطرة والقرنة ، ومستواهم الثقافى أحط من مستوى جميع القبائل فى العراق : ولفتوس Loftus هو أعظم من تحدث عنهم (كتابه المذكور فى المصادر ، ص ١٢٠ وما بعدها) .

ويجدر بنا أن نذكر أيضاً عرب خفاجة الذين كانوا معروفين فى القرون الوسطى ، كما كانوا فى عهد ابن بطوطة يسيطرون على الطريق الممتد بين الكوفة والبصرة (Weil : *Gesch. der. Chalifen* ، جـ ٣ ، ص ٩٢ ؛ ابن بطوطة ، طبعة باريس ، جـ ٢ ، ص ١ ، ٩٤) وهم اليوم — شأن آل بنى محمد — يبدون تارة وكأنهم أسرة من بنى لام ويبدون تارة أخرى وكأنهم فرع من المنتفق ، وذلك بالنظر لما حدث بينهم من صلات المصاهرة والولاء (von Kremer : كتابه المذكور ، سنة ١٨٥٠ م ، ص ٢٥٣ ؛ Chiha : كتابه المذكور ، ص ٢٤١) .

أما عن القبائل العربية التى تقطن العراق الأوسط والجنوبى والتى سبق أن تحدثنا عنها فى هذه المادة فيمكننا أن نرجع فى أخبارها إلى ما كتبه الجوابون أمثال ريتر Ritter المذكور فى المصادر ، جـ ١١ ؛ ولايارد Layard ولفتوس Loftus وإلى البيان الذى جمعه شبرنگر Sprenger من مخطوط عربى فى المتحف البريطانى ونشره فى *Zeitsch. d. Deutsch Morgenl Ges.* ، جـ ١٧ ، ص ٢٢٣ وما بعدها ، وكذلك إلى الفهارس التى أوردها البارون فون أوپنهيم von Oppenheim فى

Vom Mittelmeer Zum Persischen Golf ، جـ ٢ ، ص ٦٧ — ٧٦ وفهارس Chiha فى كتاب *La Province de Bagdad* ، القاهرة سنة ١٩٠٨ ، ص ٢٣٩ ، ٢٤٥ ومابعدها .

وتقوم بيوت أهل البطائح على مرتفعات أو جزر لا تصل إليها مياه الفيضان السنوى ويتجمع بعضها فيكوّن القرى : وهى عبارة عن أكواخ مستطيلة من القصب والحصير (صَرِيفة أو صرِيفة) ، وإنا لنجد ذكراً لهذه الأكواخ فى التلمود البابلى باسم صريفة أيضاً (Noeldeke : *Wiener Zeitschr. f. die Kunde des Morgenl* ، جـ ١٦ ، ص ١٩٨ ، تعليق رقم ١) .

ولا يزرع فى البطيحة إلا الأرز ، والقصب مصدر إيراد لا يستهان به ، وهو يستعمل فى جميع الحاجات المنزلية ، وقد اتخذ أداة للكتابة منذ القدم (*Orient. Lit. Zeit* ، جـ ٩ ، ص ١٩٠) وتشتهر أقلام البوص التى كانت تصنع أولا فى واسط ثم فى دزفول اليوم بأنها أجود الأقلام فى المشرق (Cl. Huart : *Les Calligraphes et les miniaturistes de l'Orient Musulm.* ، سنة ١٩٠٨ ، ص ١٣ ؛ H. Petermann : *Reisen im Orient* سنة ١٨٦١م ، جـ٢ ، ص ١٣٤ ، Stolze-Andreas فى *Petermann's Mitteil* ، العدد ٧٧ ، ص ١٩) وبالبطيحة كمية هائلة من السمك ، وهى ليست غذاء دائماً للأهالى فحسب ، بل هى تملح وتصدر للبلدان المجاورة أيضاً . ويذكر ابن رستة فى العصور الوسطى أن البطيحة كانت كنزاً لأهل البصرة مما تنتج من البوص وتخرج من السمك .

وأهم مصدر من مصادر الثروة لسكان البطيحة الحاليين هو ما تنتجه قطعان الجاموس الكثيرة من الألبان والزبد الذى يرسل بصفة خاصة إلى بغداد ، وهو من الأصناف التجارية التى تدر أرباحاً طائلة ؛ ومع أن الجاموس قد جلب فى الأصل من الهند إلا أنه توالد بشكل عجيب فى هذه البلاد التى تلائمه . وتكتظ بعض مناطق البطيحة بالجاموس ، والسكان يرعون الأغنام أيضاً ، غير أن الإبل لا تعيش فى البطيحة إطلاقاً .

أما فيما يتعلق بحيوان البطيحة ، فإن الطيور المائية بأنواعها موجودة فيها بكثرة كالنورس والبط البرى والأوز والتِم (الأوز العراقى) كما أن فيها أسراباً من الكراكى والبجع والغرنوق واللقلق والحبارى[1] والواق[2] ، كما يوجد الحيوان المفترس . ويقول الرحالة المحدثون إن الأسد يكثر فى آجام القصب كما كان فى القدم (Streck : *Die Inschriften Assurbanipals* ، ص ٢١٣ ، فصل ٢٨١٧ ، ص٣ وما بعدها ؛ Ritter : كتابه المذكور ، جـ ١١ ، ص ٩٤٠ ، ٩٤١ ؛ Layard : كتابه المذكور ، ص ٥٦٦ ، ٥٦٧ ؛ Loftus : كتابه المذكور ، ص ٢٤٢ وما بعدها ، ٢٥٩ ومابعدها ، Moritz : كتابه المذكور ، ص ١٩١) وتوجد

---

(١) طائر من طيور البر بعظم الدجاجة ، طويلة الرجلين ولا قصيرتهما ، طويلة العنق والذنب تعرف بهذا الاسم فى البلاد العربية اللسان ، ويعرف بالحزب أو الحبارى فى العراق .
معجم الحيوان لأمين المعلوف

(٢) الواق طائر من فصيلة مالك الحزين ، طويل العنق والمنقار والرجلين والأصابع والأظافر قصير الزمكى أصفر الريش مع رقشة وتوشيم ، يحب العزلة فيختفى فى النهار بين الأسل ويكثر الصياح فى الليل
معجم الحيوان لأمين المعلوف

أعداد كثيرة من الوشق(١) والفهد وابن آوى والذئب والقط البرى ؛ وتوجد الخنازير البرية هناك بكثرة ؛ ويهدد البعوض والذباب هذه المنطقة بالأوبئة ؛ ولبعض الأقاليم مثل إقليم «أم البق» جنوبى كوت العمارة على شط الحىّ سمعة سيئة فى طول البلاد وعرضها لكثرة ما فيه من هذه الحشرات الصغيرة البغيضة التى تجعل الحياة لا تحتمل (Ritter جـ ١٠ ، ص ١٩٠ ، جـ ١١ ، ص ٩٣٥ ، ١٠١٥) .

ولسنا بحاجة فى ختام مادتنا هذه إلى أن نؤكد تلكم الحقيقة وهى أن الأحوال الجوية لإقليم البطائح فى العراق تجعل خطرا على الصحة فى ازدياد بسبب الحيات الخطرة التى تتفشى فى كل مكان .

المصادر :

(١) المكتبة الجغرافية العربية ، طبعة ده غويه فى مواضع مختلفة ، وبخاصة جـ ٦ ، ص ٢٣٣ ، ٢٣٦ ، ٢٤٠ وما بعدها (قدامة) ، جـ ٧ ، ص ٩٤ وما بعدها ، ١٨٦ (ابن رستة) ؛ (٢) البلاذرى ، طبعة ده غويه ، ص ٢٩٢ — ٢٩٤ . (٣) ابن سرابيون ، وقد نشر فى مجلة الجمعية الأسيوية الملكية ، سنة ١٨٩٥ ، ص ٢٨ وما ذكره G. le Strange فى نفس هذه المجلة ص ٢٩٦ وما بعدها . (٤) المسعودى : مروج الذهب ، طبعة باريس ، جـ ١ ، ص ٢٢٤ وما بعدها ؛ (٥) الماوردى : الأحكام السلطانية ، طبعة R. Enger ، بون سنة ١٨٥٣ م ، ص ٣١١ وما بعدها وترجمة A. von Kremer لهذا الكتاب فى [illegible] Sitz-Ber. Wiener Akademie ، سنة ١٨٥٠م ، جـ٤ ، ص ٢٧١ وما بعدها ؛ (٦) الإدريسى : نزهة المشتاق ، ترجمة Jaubert ، باريس سنة ١٨٣٦ وما بعدها ، جـ ١ ، ص ٣٦٩ وما بعدها ؛ (٧) ياقوت : المعجم ، طبعة فستنفلد ، جـ ١ ، ص ٦٦٨ وما بعدها ؛ (٨) مراصد الاطلاع ، Lexicon geogr. ، طبعة جوينبول سنة ١٨٥٠ وما بعدها ، جـ ١ ، ص ١٦٠ — ١٦١ ؛ جـ ٤ ، ص ٣٤٣ ، ٣٤٨ ، انظر تعليق جوينبول ؛ (٩) أبو الفداء : تقويم البلدان ، طبعة باريس ، ص ٤٣ ، ٥١ ، ٢٩٦ . (١٠) A. von Kremer : Kulturgesch. des Orients unter den Chalifen ، جـ ١ ، ص ٢٥٩—٢٦١ . (١١) M. Streck : Babylonien nach den arab. Geographen ، جـ [illegible] ، ص ٣١ ، ص ٣٩ — ٤٢ . (١٢) H. Wagner : Nachr. d. Goetting Ges. d. Wiss. ، سنة ١٩٠٢ ، ص ٢٣٨ وما بعدها ، ٢٧١ وما بعدها ، ص ٢٧٥—٢٧٩ ؛ (١٣) G. le Strange : The Lands of [illegible] Eastern Caliphate ، سنة ١٩٠٥ م ، ص ٢٦ — ٢٩ ، ص ٤٠ — ٤٣ . (١٤) E. Herzfeld فى Memnon ، جـ ١ ، سنة ١٩٠٧ م ، ص ١٣٧ — ١٣٩ . (١٥) Ritter : Erdkunde ، جـ ٩ ، ص ٣٢٠ ، ٣٢٧ وما بعدها ، جـ ١٠ ، ص ٢٨ — ٣٠ ، ٤٦ ، ٥٨ ، ١٦٢—١٦٣ ، ١٨٨—١٩٥ ، جـ ١١ ، ص ٩٢٥ — ١٠٢٨ . (١٦) A. H.

(١) الوشق فارسية معربة : سبع من فصيلة السنانير طويل القوائم قصير الذنب فى أعلى أذنيه جمة — الشمر معجم الحيوان لأمين معلوف

Layard : *Nineveh and Babylon* ، لندن سنة ١٨٥٣ ، ص ٤١٣ ومابعدها ، ٥٨٥ ومابعدها ؛ (١٧) Layard : *Travels and Researches* ... *Chaldaea and Susiana* ، لندن سنة ١٨٥٧ م ، ص ٣٨ وما بعدها ، ٩١ وما بعدها ، وفقرات أخرى كثيرة ؛ (١٨) B. Moritz : *Verhandl. der Berliner Gesellsch f. Erdkunde* ، سنة ١٨٨٨ م ، ص ١٨٥ — ٢٠١ . (١٩) E. Sachau : *Am Euphrat und Tigris* ، ليبسك سنة ١٩٠٠م ، ص٧٠—٧٩ ؛ (٢٠) B. Meissner : *Von Babylon nach den Ruinen* ... *Hira und Huarnak* ، ليبسك سنة ١٩٠١ .

[شترك M. Streck]

* بُعَاث ، : مكان بالقرب من المدينة اشتهر بالحرب التي نشبت بين الأوس والخزرج قبل هجرة النبي وأصحابه ببضع سنين ، وهو موطن قبيلة بني قُرَيْظَة اليهودية ؛ ويروى السمهودى أن بعاث على مسيرة ميلين شرقى المدينة او إلى جنوبها الشرقى على التحديد فوق قَوْرَى وهى مزرعة للحنطة ؛ ومما يساعدنا على تحديد موقع بعاث تحديداً أقرب إلى الدقة تلك الإشارات القليلة التى وردت فى الأحاديث ، فإن أصحاب النبي الذين قتلوا كعب بن الأشرف مروا ببنى قريظة ثم ببعاث ووصلوا إلى حَرَّة العُرَيْض ومنها صاروا إلى بقيع الغَرْقَد شرقى المدينة ، وفى غزوة بنى قريظة مر خَوّات بن جبير بعبد الأشهل وزهرة ثم ببعاث حتى وصل إلى قريظة ؛ ودارت الدائرة أول الأمر على الأوس بعد مناوشات بين الفريقين وانتهت بهزيمة الخزرج هزيمة منكرة ، وقد أوحت هذه الواقعة بعدة قصائد تناقلها الناس .

المصادر :

(١) ابن هشام ، طبعة فستنفلد ، ص ٣٨٥ — ٣٨٦ ، ٥٥٢ ؛ (٢) الواقدى ، ترجمة فستنفلد ، ص ٩٧ ، ١٩٨ ؛ (٣) ياقوت : المعجم ، طبعة فستنفلد ، جـ ١ ، ص ٦٧٠—٦٧١ ؛ (٤) الطبرى ، طبعة ده غويه ، جـ ١ ، ص ١٣٧٢ ؛ (٥) Wellhausen : *Skizzen und Vorarbeiten* ، جـ ٤ ، ص ٣٣—٣٦ ، ٥٢ — ٦٤ ، وفى هذا الكتاب كل ما ورد عن بعاث فى ابن الأثير وكتاب الأغانى والحماسة ؛ (٦) Wuestenfeld : *Geschichte der Stadt Medina* فى *Abhandl. der Goett. Ges. der Wissensch* ، سنة ١٨٦٠ ، جـ ٩ ، ص ٥٢ .

[بول Fr. Buhl]

+ بعث ، : لفظاً : يرسل ، شرك ، واصطلاحاً فى العلوم الدينية ، تعنى إرسال الانبياء أو نشر الأموات .

١ — ويقول المعتزلة (انظر هذه المادة) ليس للرب غير أن يرسل الرسل ليعلموا الناس الدين كما توجبه عليه قدرته فى فعل الأحسن للناس ، والسنيون ينكرون هذا ويصرون على أن إرسال الرسل أملته الحكمة الإلهية ؛ ومن أسباب إدانة البرهميين والسومنية هو إنكارهم وجود الرسل .

٢ – وتفيد الفلسفة أن النشر (بعث ؛ نشر ؛ نشور) للروح فحسب . ولذا أنكرها السنيون على أنها زندقة . وأصروا على نشر الجسم .

ومنذ البدء بشّر محمد بأن الحياة الثانية حق وإن كان قد قال بأن القصاص يكون مع نهاية هذه الحياة الدنيا بغتة (سورة الأنعام ، الآية ٣١) تنذر به نفخة الصور (سورة الحاقة ، الآية ١٣ ، ونفختان : سورة الزمر ، الآية ٦٨ تتميز كل منهما عن الأخرى فى حقيقتها) فتنشق القبور وكلهم يهرعون ليعرضوا على القصاص (سورة الزمر ، الآية ٧٥ ؛ سورة الفجر ، الآيتان ٢٢ ، ٢٣) وسوف يعطيهم الحق كتبهم فى أيمانهم (سورة الإسراء ، الآيات ٧١–٧٣) وعن العلامات التى تسبق نهاية الحياة (الدنيا انظر مواد : «دابة» ، و «دجال» ، و «عيسى»).

والروح ليست خالدة طبعاً ، وبقاؤها رهن بمشيئة الله ، لذا فثمة آيات متأخرة (البقرة : ١٤٩ ؛ آل عمران : ١٦٣) تتضمن بقاء الروح ، وأن هؤلاء الذين يموتون فى سبيل الله خالدون حقاً فى نعيم . والأخبار المتأخرة ليست إلا توسعاً فى تكرار هذه الأفكار ولا تكون كلا متصلا ، فروح الرجل الصالح تترك البدن فى يسر ولكن تلك التى للرجل الطالح تنتزع منه فى ألم (انظر «عذاب القبر») والجسم يبلى فى القبر غير الجزء الأدنى من عظم العمود الفقرى الذى إليه تتجمع الأجزاء الجوهرية من الجسم . وكثرة تبقى فى القبر إلى يوم الفصل ، وثمة قلة لا تتقيد بهذا ، فالبعض يكون فى البرزخ (انظر هذه المادة) وعندما ينفخ إسرافيل فى الصور (انظر هذه المادة) تعود الدنيا هيولى وتعتّم الشمس وينهض الناس من القبور على خلقتهم حفاة الأقدام عراة ثم يجمعون فى مكان الفصل ، سهل منبسط حيث لا موضع فيه ولا وراءه يغيب فيه الواحد ، وقد يكون فى هذه الدنيا ، وقد يخلق خصيصاً . وفى خبر آخر فالنفخة الأولى تأتى على كل واحد إلا إبليس (انظر هذه المادة) والرؤساء الأربعة للملائكة ، وتعيد النفخة الثانية الناس إلى الحياة . وتصهر حرارة الشمس كل شئ ويفيض فيض يكاد يبلغ الآذان ، ويمكثون هناك ثلثمائة عام أو خمسين ألف عام لا طعام ولا شراب . وأقسى من العذاب الجسمانى الفزع من الديان . فسيشغل كل امرئ بنفسه ولا يعنى بغيره ، وسوف يلوذون بآدم يسألونه شفاعته ، ولا يستجيب لهم نبى من الأنبياء ويحيلونهم إلى محمد صلى الله عليه وسلم الذى يقبل المهمة ويصغى إليه الرب .

ومن صور الفصل الأخرى ، الصراط ، وهو أرق من الشعرة وأحد من السيف يمتد على جهنم ، يمر المؤمنون عليه سالمين ، بينما يتردى الكافرون ؛ والموازين التى توزن بها دنيا الناس ؛ والكتب التى فيها الأعمال طيبة أو سيئة . وسيحمل المذنبون آلات عملهم السيئ ، فالموسيقى سوف يحمل الآلة التى شغلته به عن الدين . وسوف يصبح العمل الصالح للإنسان دابة يركبها يوم الفصل . ويعتقد البعض أن كل المخلوقات الحية سوف تبعث فى اليوم الآخر . ومن الواضح أن الكثير من هذا سابق لمحمد . فلقد عرف المصريون القدماء وزن الأرواح والكتب المسجلة ، وعرف الفرس الصراط ،

وقد اختلطت الأفكار بعد ، فبعض الناس يصبحون رماداً فى قبورهم ، وتطوف أرواحهم فى الملكوت تحت سماء الدنيا ، وبعضهم يرقدون لا يعلمون شيئاً إلى أن يهبوا على الصور ثم يموتون الموتة الثانية ، وبعضهم يمكثون شهرين أو ثلاثة فى القبر ثم يطير الطير بأرواحهم إلى الجنة . وبعضهم يرقى إلى الصور ويظل فيه إذ ثمة كثرة من الأماكن الخفية فيها أرواح . ولقد بقى محمد على الأرض ثلاثين عاماً إلى مقتل الحسين (انظر هذه المادة) ثم صعد إلى السماء نافراً .

المصادر :

(١) محمد بن أبى شريف : كتاب المسامرة ، ص ١٨٧ . (٢) الغزالى : إحياء علوم الدين ، مجلد ٤ ، باب ٨ ، فصل ٢ . (٣) الكاتب نفسه : الدرة الفاخرة (*La Perle Precieuse*) ، سنة ١٨٧٢ . (٤) الثعلبى : عرائس المجالس (٥) Wolff : *Muhammadanische Eschatologie* ، سنة ١٨٧٢ .

[تريتون A. S. Tritton] الأبيارى

تعقيب

خير ما نعقب به على هذه المادة هو أن البعث — كغيره من أى موضوع دينى مشابه — صيغت حوله أقوال من نسج الخيال لاترجع إلى سند يعول عليه . ومن كتبنا العربية التى عرضت لمثل هذه الموضوعات ما هو ملئ بهذا الخيال . وكاتبنا هنا اعتمد فى الكثير على مرجع جعله عمدته ، وهو العرائس للثعلبى ، وقل قارئ لايعرف ما فيه من عبث .

وما من شك فى أن معتمد المتعرف لرأى الإسلام فى البعث هو القرآن والسنة ، ثم اجتهاد المجتهدين ذوى الرأى السليم ، وهذا كله مبسوط فى أمكنته ، وكله يؤكد أن ثمة بعثاً لتجزى كل نفس بما عملت فى دنياها ، وإلا كانت حياة الناس عبثاً من العبث . ولا ضير أن يكون الإسلام مسبوقاً بهذا ، فالإسلام دين الفطرة جاء ليقر الفطر السليمة؛ ثم إن ما جاء مع البعث من مقتضيات كالميزان والصراط ونحوهما فتلك صور إلى الله تعالى حقيقتها وهو القادر على كل شئ ، وأما ما يضفيه خيال المتخيلين على هذه الأشياء فما هو مما يحسب على

ابراهيم الابيارى

+« بعث » : (انظر مادة « نبى ») .

« بَعْقُوبا » : ويقال أيضاً « باعقوبا » ، بلدة بالعراق يقول ياقوت إنها محطة على طريق القوافل القديم الذى يسير من سهول العراق إلى جبال فارس ، وهو الطريق المعروف عند جغرافيي العرب بطريق خراسان . وهذا الطريق على مسيرة عشرة فراسخ ، أى نحو أربعين ميلا ، إلى الشرق من بغداد ، أو هو إلى الشمال الشرقى منها إذا شئت الدقة ، وعلى الشاطئ الغربى لنهر ديالى . ويتضح من رواية ابن سرابيون أن مجرى هذا النهر من بغداد حتى جسر النهروان هو جزء من قناة قاطول

للنهروان الكبرى التى كانت تسمى تامرّا (انظر عن هذا الموضوع كتاب Streck: *Babylon n. dan. Arab. Geogr.* جـ ١ ، ص ٣٧) . ولا تزال هذه المدينة باقية إلى الآن، وهى على خط عرض ٣٠°٤٥' شمالا وخط طول ٤٤° ٤٠' شرقى گرينويتش ، وهى واحة جميلة وسط الصحراء بها أشجار النخيل ، وترويها عدة مجار مائية صغيرة . وكان بلحها وثمرها مضرب المثل فى العصور الوسطى . ومدينة بعقوبا مشهورة باعتدال مناخها ، وهى على جانب من الأهمية لمرور طرق القوافل بها ، وفيها بعض الأسواق الهامة . وتختلف الروايات فى عدد سكانها . فيذهب كليمان Clément إلى أن عدد سكان هذه المدينة بلغ سنة ١٨٦٦ ثلاثة آلاف نسمة (انظر كتاب Reclus المذكور فى المصادر) بينما يذهب سوپان Supan (*Petermann's Mitteil*، رقم ١٣٥ : عام ١٩٠١ ، ص ٢٢) إلى أن تقدير كوينيه Cuinet لعدد سكان هذه المدينة بألفى نسمة هو أصح تقدير . ويقدر أوبان Aubin عدد سكانها بستة آلاف نسمة ، ومن الواضح أن هذا التقدير مبالغ فيه كثيراً . ويذهب أوبان أيضا إلى أن جميع سكان بعقوبا من العرب مع استثناء فئة قليلة من اليهود واللُّر . وقد أصاب فليشر Fleischer (طبعته لكتاب مراصد الاطلاع ، جـ ٤ ، ص ٣٥٠) فى قوله إن الاسم الآرامى لهذه المدينة هو اختصار لكلمة بَيْتَعْقُوبا وهى ترادف بالعربية كلمة معناها بيت يعقوب .

المصادر :

(١) ياقوت: المعجم ، طبعة فستنفلد ، جـ ١ ، ص ٤٧٢ ، ٦٧٢ (٢) أبو الفداء : تقويم البلدان ، طبعة رينو وده سلان Reinaud et de Slane ، ص ٢٩٤ (٣) أبو الفداء : مختصر تاريخ البشر ، طبعة ريسك – أدلر Reiske-Adler ، جـ ٤ ، ص ٦٩٠ (٤) رشيد الدين : تأريخ المغول ، طبعة كاترمير ، ص ٢٧٨ وما بعدها (٥) Weil : *Geschichte der Chalifen* ، جـ ٣ ، ص ٣٩٠ (٦) le Strange فى مجلة الجمعية الآسيوية الملكية سنة ١٨٩٥ ، ص ٢٦٨ (٧) Ritter : *Erdkunde* ، جـ ٩ ، ص ٤٩٨ (٨) Reclus : *Nouv. géogr. univ.* جـ ٩ ، ص ٤٣٧ ، ٤٣٩ (٩) Kiepert : *Zeitschr. f. Erdk.*, عام ١٨٨٣ ، ص ١٨ (١٠) V. Cuinet : *La Turquie d'Asie* ، جـ ٣ ، ص ١١٩ (١١) C. Huart : *Hist. de Baghdad* سنة ١٩٠٢ ، ص ٢ ، ٥٣ (١٢) Rousseau : *Description du Pachalik de Bagdad* ، ص ٨٠ (١٣) Czernik فى *Petermann's Geogr. Mitteil.* ، سنة ١٩٠٧ ، ص ٥٠ (١٤) E. Aubin : *La Perse d'aujourd'hui* ، سنة ١٩٠٨ ، ص ٣٥٧ وما بعدها .

[شترك M. Streck]

+ وبعقوبا الحديثة بلدة من بلدان الأقاليم العراقية سكانها عرب خليط من أهل السنة والشيعة ، وعددهم نحو ٨,٠٠٠ نسمة . وهى قصبة لواء ديالى وتتبعها أقضية مَنْدَلى وخالص وخانقين وبعقوبا نفسها . وقضاء بعقوبا يشمل نواحى كَنْعان ومقْدادِيَّة

(شهرابان من قبل) » والبلدة زاهرة ، وقد تغير حال بعضها بقيام العمائر الحديثة،والشوارع والمرافق العامة والمواصلات كثيرة ، وعندها يعبر الخط الحديدى التابع للسكك الحديدية العراقية الممتد من بغداد إلى إربل نهر ديالى فوق جسر مرتفع .

المصادر :

(١) ياقوت » جـ ١ ، ص ٤٧٢ ، ٦٧٢ (٢) أبو الفداء : تقويم البلدان » ص ٢٩٤ (٣) أبو الفداء : التاريخ *Annal. Moslem.* ، طبعة ريسكه Reiske ، جـ ٤ ، ص ٦٩٠ (٤) رشيد الدين : *Histoire des Mongols* ، طبعة كاترمير Quatremère ، ص ٢٧٨ ومابعدها (٥) La Turquie : V. Cuinet d'Asie ، جـ٣ ، ص١١٩ (٦) Descr. du : Rousseau Pachalik de Bagdad ، ص٨٠ (٧) Au : Binder Kurdistân, en Mésopotamie et en Perse ، باريس ، سنة ١٨٨٧ ، ص ٣١٩ وما بعدها (٨) The Lands of the Eastern : G. Le Strange Caliphate ، كمبردج سنة ١٩٠٥ (٩) E. Aubin : La Perse d'aujourd'hui ، سنة ١٩٠٨ ، ص ٣٥٧ ومابعدها (١٠) Iraq 1900-1950 : S.H.Longrigg ، لندن سنة ١٩٥٣ .

خورشيد [لونگرگ S. H. Longrigg]

« بَعْل » : والكلمة السامية الشائعة « بَعَل » ومعناها مالك الشئ (انظر المقالات الخاصة بهذا الموضوع فى Encycl. Dict. : Cheyne Hastings of the Bible.) . وقد عاشت هذه الكلمة فى الاستعمال الإسلامى على وجهين فقط : ووردت فى القرآن فى سورة البقرة (آية٢٢٨) وسورة هود (آية ٧٥) وسورة النور (آية ٣١) بمعنى زوج . وقد يكون هذا الاستعمال قديما (انظر الزواج بالامتلاك وما يتصل به من عادات فى كتاب Kinship and Marriage : Robertson Smith ، الفهرس ، ص ٩٢ وما بعدها بنوع خاص) . ونجد أن كلمة « بعلى » تدل فى اللغة الدارجة على الزرع الذى لا يسقى (Vocabulary of Coll. : Spiro Ar. of Egypt ، وانظر فيما يختص بالاستعمال العربى القديم الذى يدل بكلمة بعل على رب : Lane Lexicon ص ٢٨ ، Chrest. Ar. : De Sacy ، جـ ١ ، ص ٢٢٤ ، وإذا أردت التوسع انظر لسان العرب ، جـ١٣ ، ص ٥٩ ومابعدها ، والبلاذرى ، طبعة ده غويه ، ص ١٣ وما بعدها) .

ولا يزال بين كلمة بعل التى تدل على إله وبين «بَعِلَ» ومعناها دَهِش أو فَرِق ومشتقاتها صلة ضئيلة ، وليس لهذين الاشتقاقين الآن وجود (انظر ما كتب Noeldeke عن عرب الجاهلية فى Encycl. of Relig. ، ص ٦٦٤) . والحق إن أصحاب المعاجم قد أوردوا كلمة بَعْل بمعنى مالك أو رب ، بيد أن هذا الاستعمال يرجع ، كما هو واضح ، إلى عرب الجنوب الذين كانوا — على عكس عرب الشمال — يستعملون كلمة « بَعَل » بمعنى رب أو إله ودخلت إلى العربية تفسيراً لآية فى القرآن . وقد أشار القرآن (سورة الصافات ، الآيات ١٢٣ — ١٣٢) إلى قصة إلياس وقال على لسانه « أتدعون

بعلا وتذرون أحسن الخالقين»، ومن المرجح أن محمداً قصد بـ « بَعْل» «بعَل» كما سمعها فى قصة من قصص التوراة (سفر الملوك الأول، الإصحاح ١٨) ولكن المفسرين الأقدمين فسروها على ثلاثة أوجه، فالطبرى يقول فى تفسيره (ج٢٣، ص٥٣ طبعة الحلبى = ص ٥٨ — ٥٩ فى طبعة بولاق عام ١٣٢٨ هـ) إن كلمة بعل معناها رب وهى لغة لأهل اليمن، تقول من بعل هذا الثور أى من ربه ؛ أو إن بعل اسم صنم ؛ ومن ثم أطلق على المكان القديم « بك » اسم «بعلبك» ؛ أو إن بعل اسم امرأة كانوا يعبدونها ؛ وعلى هذا فإن علينا أن نفهم أن بعلا اسم علم ؛ ومن العسير القول بأنه اسم امرأة اللهم إلا إذا استندنا إلى أن بعل تدل على الزوج أو الزوجة ، أو لعلها إشارة إلى عبادة عشتروت فى بعلبك . ومع هذا فإن ابن عباس يرى فيما نقله عنه الطبرى أن استعمال العرب بعلا بمعنى مالك هو استعمال عربى صحيح وإن كان نادراً ؛ ومن الواضح أن هناك تخريجا بهذا المعنى فى القصة التى أوردها R. Smith (كتابه المذكور) نقلا عن الأغانى (ج ٧ ، ص ٤٣) . وفى اللسان رواية واحدة على الأقل لم يسندها إلى ابن عباس ولكن لا بد أنها كانت من الكلمات القديمة الموجودة فى عهده . وأورد الرازى فى كتابه مفاتيح الغيب (ج٧، ص ١٠٩ ، طبعة القاهرة عام ١٣٠٨ هـ) الوجهين فقط ، وهما أن بعلا اسم علم أو أن معناها رب كما فى لغة اليمن ، وهذا ما ذهب إليه البيضاوى وعامة المفسرين، والشائع الآن عند جمهور المسلمين هو أن بعلا اسم علم لإله كان يعبد فى بعلبك أو هليوبوليس، وقد تجمعت أساطير تشبه قصص التوراة حول الآيات القرآنية التى وردت فيها كلمة بعل ؛ وفى كتاب الثعلبى تفصيل الكلام عن هذه الأساطير (طبعة القاهرة عام ١٣١٤ هـ ، ص ١٤٢ وما بعدها ، وانظر كذلك النص العربى للكتاب المنحول للبلخى ، ج ٣ ، ص ٩٩ وما بعدها ؛ ياقوت : معجم البلدان ، مادة بعلبك ؛ وانظر أيضا الفذلكة الموجودة فى *Jewish Encycl.* ، ج ٢، ص ٣٨١) .

[ماكدونالد D. B. Macdonald]

تعليق على مادة « بعل »

بنى كاتب هذه المادة بحثه على نقطتين : معنى كلمة « بعل » بمعنى الزوج أو المالك أو السيد ، ومعناها على أن تكون اسما لصنم معين ، أو لامرأة كان قوم إلياس النبى يعبدونها .

وبث فى ثنايا مقاله ما اعتاد المستشرقون أن يبثوه فى أبحاثهم : من إرجاع كثير من الكلمات العربية — وخصوصا ما يتعلق منها بالقرآن والسنة — إلى اللغات الأخرى ، كالعبرية ونحوها، ومن محاولة إقناع القارئ بأن هذا القرآن إنما أخذ من التوراة والإنجيل ، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم درس كتب الأمم السابقة ، واصطنع منها هذا الكتاب ، حتى ليكادون يخرجون به فى نظرهم عن عروبته وفصاحته ، اتباعا لهواهم ، وانتصاراً لرأيهم ، وتنفيذاً لخطط موضوعة معروفة عنهم .

وقد رددت على إخوان له من قبل — فى التعليق على بعض مواد هذه الدائرة — فى مادتى « أمة » و « أمى » وفى مادة « إنجيل » .

وقد ادعى الكاتب هنا — فيما رجحه — «أن محمداً قصد بيتعل: بَعَل» كما سمعها في قصة من قصص التوراة» !!

وهذه دعوى عريضة كبيرة، تحتاج إلى قوائم من فولاذ تقف عليها، ولكنا نراهم بنوها على قوائم من ثلج أو ملح، وأسسوها على شفا جرف هار. وفيما كتبنا — فيما مضى — الكفاية في نقضها.

ومما يؤسف له حقاً أن المفسرين نقلت إليهم أخبار من الإسرائيليات عن قوم كان لهم صنم اسمه «البعل» فيما يزعمون، فرأوا أن يذكروها عند تفسير آيات سورة الصافات، التي يقول فيها النبي إلياس لقومه: «ألا تتقون. أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين»، وليس لهذه الأخبار أصل من الكتاب ولا من السنة، ونقل إليهم أيضا — مما لا أصل له — أن «بعل» اسم امرأة كانوا يعبدونها. فذكروا هذين القولين، على أنها مما نقل في معنى «بعلا» في الآية !!

وممن صنع ذلك الطبري — إمام المفسرين — ولكنه قال عقب ذلك: «وللبعل في كلام العرب أوجه: يقولون لرب الشيء: هو بعله، يقال: هذا بعل هذه الدار، يعني ربها، ويقولون لزوج المرأة: بعلها. ويقولون لما كان من الغروس والزروع مستغنيا بماء السماء ولم يكن سقيا: هو بعل، وهو العذى».

والعارف بكتاب الطبري وطريقته في التفسير يجزم من صنيعه في تفسير الآية أنه لم يرض إلا القول الأخير، وإن لم يرد الروايتين الأخريين رداً صريحا:

والبخاري — إمام أهل الحديث — لما ذكر هذه الآية في كتاب التفسير من صحيحه، قال: «بعلا: ربا»، ولم يقل غير هذا، ولم يشر إلى الروايات الإسرائيلية (انظر فتح البارى، ج ٨، ص ٤١٧ طبعة بولاق سنة ١٣٠١هـ). وقد أصاب.

وأما كلمة «بعل» فإنها عربية أصيلة، ليس فيها شية من العجمة، وإن ادعى كاتب المادة أنها سامية، وأنها «بعل»، وسنذكر الأدلة على ذلك قوية واضحة إن شاء الله.

قال الراغب الأصفهاني في غريب القرآن (ص ٥٤): بعل: البعل هو الذكر من الزوجين، قال الله عز وجل: (وهذا بعلي شيخاً)، وجمعه بعولة، نحو فحل وفحولة. قال تعالى: (وبُعولتُهن أحقّ بردهنّ)، ولما تُصوّر من الرجل الاستعلاء على المرأة فجعل سائسها والقائمَ عليها، كما قال تعالى: (الرجالُ قوامون على النساء): — سُمّي باسمه كل مُسْتَعْلٍ على غيره. فسمى العرب معبودهم الذي يتقربون به إلى الله بعلا (١) لاعتقادهم ذلك فيه، في نحو قوله تعالى: (أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين). ويقال: أتانا بعل هذه الدابة، أي المستعلي عليها. وقيل للأرض المستعلية على غيرها: بعل، ولفحل النخل: بعل، تشبيها بالبعل من

(١) يعنى انهم جعلوه اسما نكرة لما يعبدون، كقولهم «صنم» ونحوه فلم يعتبره الراغب علما على صنم بعينه، وهو الصواب.
احمد محمد شاكر

الرجال ، ولما عظم حتى يشرب بعروقه : بعل ، لاستعلائه: قال صلى الله عليه وسلم ، فيما سقى بعلاً العشر ، ولما كانت وطأة العالى على المستعلى عليه مستثقلة فى النفس قيل: أصبح فلان بعلا على أهله ، أى ثقيلا لعلوه عليهم ، وبنى من لفظ البعل المباعلة والبعال، كناية عن الجماع . وبعل الرجل يبعل بعولة واستبعل فهو بعل ومستبعل إذا صار بعلا . واستبعل النخل عظم ، وتصور من البعل الذى هو النخل قيامه فى مكانه فقيل : بعل فلان بأمره : إذا دهش وثبت مكانه ثبوت النخل فى مقره ، وذلك كقولهم : ما هو إلا شجر ، فيمن لا يبرح » .

وهذا النص عند الراغب يجمع معانى هذا الحرف ، وهو أدق النصوص ، لأنه يردها كلها إلى معنى واحد ، تفرعت عنه المعانى الأخر ، وهو من دلائل عروبة الكلمة ، فإنا إذا وجدنا العرب استعملوا كلمة ، ثم أكثروا من تصريفها والاشتقاق منها ، والانتقال من معانيها إلى أنواع مختلفة باختلاف الأوزان ، وانتقلوا بها إلى معان تشبه أن تكون بينها وبين المعنى الأول علاقة — : علمنا أن الكلمة أصيلة عندهم ، ومن لغتهم ، فإذا وجدناهم خرجوا من هذا إلى تقليب حروفها بالتقديم والتأخير ، واستعملوا تقاليب المادة أو أكثرها ، بإعادة معنى جديد فى كل تغيير منها — كان فى ذلك اليقين والجزم ، وارتفعت كل شبهة فى أنها عربية .

وقد صنع العرب فى هذا الحرف كل ذلك ، فاشتقوا من مادة « بعل » ما نقلناه عن الراغب وغيره ، ثم استعملوا تقاليبها كلها .

قدموا اللام على العين ، فقالوا « بلع » الشىء بلعاً ، وابتلعه ابتلاعاً ، وقالوا : رجل « بلع » كثير الأكل ، إلى آخر هذه المادة .

ثم قدموا العين على الباء ، فقالوا : رجل « عبل » إذا كان غليظا ، والمصدر « العبالة » و« العبولة » ، وهكذا .

ثم أخروا الباء بعد العين واللام ، فقالوا : « العلب » وجمعه « علوب » وهو الأثر فى الجسد ، واشتقوا منه فعلا ، وقالوا : « العلبة » ، و« استعلب » الجلد : إذا غلظ ، وغير ذلك .

ثم أخروا الباء بعد اللام والعين ، فقالوا : « لعب » ومشتقاتها .

ثم قدموا اللام قبل الباء والعين فقالوا: « ذهب دمه ضبعاً لبعاً » أى باطلا .

فهاهى الصور العقلية كلها فى تقليب هذه الحروف الثلاثة (ب ع ل) بالتقديم والتأخير ، استعملها العرب جميعا ، وإذا ذهبنا نبحث فيما يخرج منها بتغيير بعض الحروف بما يقاربها فى المخرج كما إذا أبدلنا من الباء فاء مثلا — وجدنا الصور الست فيها مستعملة كلها : (فعل ، فلع ، عفل ، لفع ، لعف ، عنف) .

وكذلك إذا وضعنا بدل العين حاء ، وجدنا تقاليب المادة مستعملة كلها : (بحل ، بلح ، حبل ، لبح ، لحب ، حلب) ، وكذلك إذا وضعنا الفاء والحاء بدل الباء والعين : (فحل ، فلح ، حفل ، لفح ، لحف ، حلف) .

وهكذا مما لو تتبعناه تفصيلا طال الأمر جداً .

فليس من المعقول بعد هذا أن يكون فى كلمة « بعل » أية شبهة من العجمة ، والنقول التى فيها أن الكلمة بمعنى « الرب » لغة أهل اليمن لا تنافى هذا ، فاليمنية عربية ، وكثير من الألفاظ التى تفردت باستعمالها عرفت قبل الإسلام فى مضر ، وقليل منها لم يعرفه سائر العرب ، ثم عرف بعد ، وكلها لغة واحدة .

هذا إلى أنى أذهب إلى ما ذهب إليه الشافعى وأبو عبيدة : أنه ليس فى القرآن كلمة واحدة غير عربية ، حاشا الأعلام . وأنصر هذا القولَ وأجزم بأنه الحق ، وإن خالفتَ فيه كثيراً من الأصوليين واللغويين .

قال الشافعى فى [كتاب الرسالة] (فى الفقرات ١٣١ — ١٣٦ ، ص ٤١ — ٤٢ من طبعه الحلبى بتصحيحى) :

« فالواجب على العالمين ألا يقولوا إلا من حيث علموا ؛ وقد تكلم فى العلم من لو أمسك عن بعض ما تكلم فيه منه لكان الإمساك أولى به ، وأقرب من السلامة له ، إن شاء الله . فقال قائل منهم : إن فى القرآن عربيا وأعجميا ؛ والقرآن يدل على أن ليس من كتاب الله شيء إلا بلسان العرب . ووجدَ قائلُ هذا القول من قَبِل ذلك منه ، تقليداً له ، وتركاً للمسئلة له عن حجته ، ومسئلة غيره ممن خالفه . وبالتقليد أغفل من أغفل منهم ، والله يغفر لنا ولهم » .

وبعد أن أقام الحجة لقوله ، وردّ قول مخالفيه ، اعتذر عن بدء كتابه بهذا البحث ، وقال (فى الفقرة ١٧٠ ، ص ٥٠) :

« فكان تنبيه العامة على أن القرآن نزل بلسان العرب خاصة ، نصيحة للمسلمين ، والنصيحة لهم فرض لا ينبغى تركه ، وإدراك نافلةِ خيرٍ لايدعها إلا من سفِه نفسه ، وترك موضعَ حظه ، وكان يجمع مع النصيحة لهم قياماً بإيضاح حق ، وكان القيام بالحق ونصيحة المسلمين من طاعة الله ، وطاعة الله جامعة للخير » .

وقال أبو عبيدة ، فيما نقله عنه أبو منصور الجواليقى فى [كتاب المعرب] (ص ٤ من طبعة ليبسك سنة ١٨٦٧) :

« من زعم أن فى القرآن لسانا سوى العربية فقد أعظمَ على الله القول » .

ولعلى أوفّق لتفصيل الحجج لما ذهبت إليه ، فى مقدمة [كتاب الرسالة] إن شاء الله ، واسأل الله التيسير والعون .

بقيت الشبهة التى أثارها كاتب المادة ، من أن فى اللغة السامية كلمة « بَعَل » بمعنى مالك الشيء ، وأن فى سفر الملوك إطلاق هذه الكلمة على صنم .

أما ما فى سفر الملوك ، فإن الذى يبدو لى أن الكلمة لم تكن علماً على صنم معين ، وإنما كانت فى الكلام مراداً بها التنكير أيضاً ، على قدر مافهمت مما فى الكلام من ضعف العبارة وسوء الترجمة .

وأما وجود الكلمة فى اللغة السامية ، فإنه لا يدل على نقلها منها إلى العربية .

وليس اشتراك أصل مادة فى لغتين متجاورتين متقاربتين كالسريانية مع العربية ، أو العبرية مع العربية : بدالّ على أن إحداهما أخذت الكلمة من الأخرى ، إلا إذا ثبت يقينا أن إحدى اللغتين أقدم من الأخرى وأسبق . والسريانية من اللغات القديمة ، وكانت لغة إبراهيم النبى عليه السلام ، ولم يثبت من وجه قاطع أنها أقدم من العربية ، حتى يكون ما فيها من المتفق مع العربية أصلا له .

وقد قلنا شيئا من هذا المعنى فيما مضى من الدائرة (مادة « أمة ») ثم وجدنا الآن بحثا فيه جيداً للحافظ الكبير العلامة ابن حزم فى (كتاب الإحكام فى أصول الأحكام، ج ١ ، ص ٣١-٣٢) قال :

« إن الذى وقفنا عليه وعلمناه يقينا أن السريانية والعبرانية والعربية ، التى هى لغة مضر وربيعة ، لا لغة حمير — : لغة واحدة ، تبدلت بتبدل مساكن أهلها ، فحدث فيها جرْس كالذى يحدث من الأندلسى إذا رام نغمة أهل القيروان ، ومن القيروانى إذا رام نغمة الأندلسى ، ومن الخراسانى إذا رام نغمتهما ؛ ونحن نجد من سمع لغة أهل فَحص البَلوط، وهى على ليلة واحدة من قرطبة ، كاد أن يقول إنها لغة أخرى غير لغة أهل قرطبة ؛ وهكذا فى كثير من البلاد ، فإنه بمجاورة أهل البلدة بأمة أخرى تتبدل لغتها تبديلا لا يخفى على من تأمله ؛ ونحن نجد العامة قد بدلت الألفاظ فى اللغة العربية تبديلا ، وهو فى البعد من أصل تلك الكلمة كلغة أخرى ولا فرق ، فنجدهم يقولون فى العنب : العِينب، وفى السوط : أسْطَوْط ، وفى ثلاثة دنانير، ثلاثدًا ؛ وإذا تعرب البربرى فأراد أن يقول الشجرة قال : السجرة . وإذا تعرب الجليقى أبدل من العين والحاء هاء ، فيقول : مهمد ، إذا أراد أن يقول محمد . ومثل هذا كثير . فمن تدبر العربية والعبرانية والسريانية أيقن أن اختلافها إنما هو من نحو ما ذكرناه ، من تبديل ألفاظ الناس ، على طول الأزمان ، واختلاف البلدان ، ومجاورة الأمم وأنها لغة واحدة فى الأصل » .

هذا ما قال ابن حزم ، وهو قوى جداً ، وواضح معقول ، لا تنقضه أوهام الواهمين ، ولا أهواء ذوى الأغراض ، وقد وافقناه فى أساس نظريته فيما كتبناه تعليقا على مادة « أمة » .

ولكن ابن حزم بعد ذلك انتهى إلى نتيجة لا نوافقه عليها ، إذ لم يقم عليها دليل صحيح ، فإنه قال : « وإذ قد تيقنا ذلك فالسريانية أصل للعربية وللعبرانية معاً ؛ والمستفيض أن أول من تكلم بهذه العربية إسمعيل عليه السلام، فهى لغة ولده ، والعبرانية لغة إسحق ولغة ولده ؛ والسريانية بلا شك هى كانت لغة إبراهيم — صلى الله عليه وعلى نبينا وسلم — بنقل الاستفاضة الموجبة لصحة العلم ، فالسريانية أصل لهما » .

ووجه نقدنا لابن حزم : أن إسحق ابن إبراهيم ، فمن البعيد جداً أن تكون له لغة خاصة غير لغة أبيه ،

وإلا فبماذا كانا يتخاطبان ويتفاهمان ؟ وليس من السهل اعتقاد أن إسحق اخترع لغة أخرى لنفسه بجوار لغته التي نشأ عليها . إنما المعقول أن تكون العبرانية لغة نشأت عن السريانية على توالى الأزمان فى بنى إسرائيل بعد أن هاجر إبراهيم من العراق إلى الشام ، ثم تطورت مع تجاور الأمم وتغاير اللهجات ، حتى صارت لغة قائمة بنفسها .

وأما الشأن فى إسمعيل فشىء آخر : المعقول أيضا أن لغته كانت لغة أبيه السريانية ، ونزح به أبوه إلى مكة فأسكنه بين أمة موجودة — كانت فى ذلك الزمان — هى الأمة العربية ، وقد كانت لها لغة تتفاهم بها ولا بد ، ومن الظاهر جداً أن تكون هى اللغة العربية ، الباقية فيهم إلى اليوم وإلى ما شاء الله .

وليس من المستساغ ادعاء أن قد كانت لهذه الأمة لغة غير لغتها المعروفة ، ثم تنوسيت ودرست ، ونشئوا على لغة غيرها . لأنه لم يأت بذلك خبر ، ولا قام عليه دليل .

ثم بماذا كان يخاطب إسمعيل هؤلاء الناس الذين نزل بجوارهم ؟ أيعقل أن يخترع لغة ثم يفرضها عليهم فرضاً ، حتى يدعوا لغتهم إليها ؟ ! أظن أن المعقول المفهوم أن يتعلم هو لغتهم ، إذ صار بجوارهم ، وواحداً منهم ، وكان طفلا رضيعاً . ثم أصهر إليهم ، وولد فيهم ، وبقى ببلدهم إلى أن مات ، ثم كان ولده منهم .

فإن لم تكن العربية أقدم من السريانية . فإنها على الأقل كانت بجوارها معروفة لقوم معروفين ، ويحتمل جداً أن تكونا متقاربتين ، وأن يكون الخلاف بينهما قليلا كالخلاف بين اللهجات المتعددة فى اللغة الواحدة . حتى كان ميسوراً لإبراهيم وإسمعيل وهاجر أن يتفهموا العرب ويُفهموهم ؛ أما أن تكون العربية فرعاً من السريانية أو العبرية فلا .

والذى شبّه على ابن حزم فى هذا أنه سمع أخباراً سماها « مستفيضة » أن أول من تكلم بهذه العربية إسمعيل . وليس لهذا أصل صحيح ، بل ورد فيه أثر رواه الحاكم فى المستدرك (ج ٢ ، ص ٥٥٢ — ٥٥٣) عن ابن عباس . وهو أثر ضعيف الإسناد جداً . والثابت الصحيح ينفيه ، ففى صحيح البخارى (ج ٦ ، ص ٢٨٥ — ٢٨٦) حديث لابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قصة إبراهيم وإسمعيل ، وفيه أن إسمعيل وهاجر بقيا وحدهما بجوار زمزم . حتى مرت بهم رفقة من جُرْهم . وأنهم استأذنوا فى النزول عندها فأذنت ، ثم قال فى الحديث : « فنزلوا وأرسلوا إلى أهليهم فنزلوا معهم ، حتى إذا كان بها أهل أبيات منهم ، وشبّ الغلام وتعلم العربية منهم إلى آخر الحديث . فهذا نص صريح صحيح ، عن خبر الصادق — صلى الله عليه وسلم — أن إسمعيل تعلم العربية من جرهم .

وبعد : فإذا كانت كلمة « بعل » العربية لها شبه بكلمة فى نحو معناها من اللغات السامية ؛ فليس معنى هذا أن العرب أخذوها منهم ، ولا يدل على أن ما فى القرآن الكريم مأخوذ من التوراة .

أحمد محمد شاكر

+ بَعْل « كلمة سامية قديمة ، وله سامية أصلية » وجوهر معناها «سيد أو مالك» ، وقد توسع في استعمالها فأصبحت تدل على « إله محلي » (مُخَصب الأرض) و«زوج » (في مجتمع السادةُ فيه الرجال). وفي القرن الماضي جذب و . ر . سمث W.R. Smith الأنظار بشدة إلى أهمية المعنى الأخير في كتابه « القرابة والزواج في الجزيرة العربية قديماً » (Kinship and Marriage in Early Arabia » كمبردج سنة ١٨٨٥ ، الطبعة الثانية ، لندن سنة ١٩٠٣)، بيد أنه لم يستطع أن يدعم صحة ما أورده في بحثه من أن العرب استعاروا اللفظ نفسه من الساميين الشماليين . وظلت المعاني المختلفة للكلمة قائمة في اللغة العربية الفصحى ، قياما اقترن بحيوية كانت تتفاوت وفقا للمراد والعصر والموطن .

١ــ أما فيما يتصل بكلمة بعل بمعنى « سيد » فإن اللغة العربية الفصحى استغنت عنها بمرادفات متعددة ، وهي لذلك تباين الكلمة العبرية بَعَل ، فلا تظهر في كثير من الكلمات المركبة . وظلت تستعمل بمعنى « زوج » ، والراجح أن الفضل في ذلك إلى أنها وردت في ثلاث آيات من القرآن الكريم (سورة البقرة ، آية ٢٢٨ ؛ سورة هود ، آية ٧٢ ؛ سورة النور ، آية ٣١ ، وفيها ذكرت مرتين) بصيغتي المفرد والجمع (بعولة ؛ تستعمل بعد ذلك في اللغة العربية الفصحى عادة بصيغة بعول أو بعال) . وكان إدراك الناس لمعنى «السيد» لا يزال قوياً : وكلمة بعلي «زوجي» في سورة هود (آية ٧٢) تعبر عن كلمة « أدوني» الواردة في التوراة (على لسان سارة ، سفر التكوين ، الإصحاح ١٧ ، آية ١٢ ؛ تَرْجُوم أُونْكِلُوس : وِبُّونِي) . وتستخدم اللغة العربية الفصحى في المؤنث صيغتي بعل أو بعلة . واشتقت من هذا المعنى المتعلق بالزواج صيغ فعلية عديدة .

٢ــ وساعد القرآن الكريم في سورة الصافات آية ١٢٥ (قصة إلياس ؛ انظر سفر الملوك الأول ، الإصحاح ١٨ ، ومادة «إلياس») مساعدة أكثر تحديدا على ألا يغيب عن أذهان المسلمين أن « بعلا » هو صنم ، على الرغم من الاختلاف الشديد بين المفسرين وتحفظهم . والحق إن الفكر الإسلامي لا يرحب بقبول هذا المعنى ، وإن ظهر عرضا في آراء مصنفي القرون الوسطى فيما يرتبط باشتقاق كلمة بعلبك (انظر هذه المادة) مصحوبا بتفاصيل خيالية تتعلق بوجود صنم قديم في هذا المكان . وفوق ذلك فإن مما يلفت النظر بقاء فكرة الرب بعل لاشعوريا في الحالتين الآتيتين :

(ا) الفعل بَعِلَ والصفة بَعِلٌ أي «دهش» ، والأصل فيهما ، كما أوضح نولدكه Noeldeke (في « Zeitschr. der Deutsch. Morgenl. Gesells سنة ١٨٨٦ ، جـ ٤٠ ، ص ١٧٤) « تقمصه بعل » .

(ب) بَعْل وبعلي لفظان يحملان معنى أرض لا تسقى : فهناك بيت من الشعر ينسب إلى الصحابي عبد الله بن رَوَاحَة (لسان العرب ، جـ ١٣ ، ص ٦٠) يقول فيه: هنالك لاأبالي نَخْلَ بَعْلٍ ولا سَقْيٍ ...[1] وفي عبارة من هذا القبيل ربما تكون

---

(١) البيت بأكمله :
هنالك لا أبالي نخل بعل ولا سقي وإن عظم الإتاء

كلمة بعل قد احتفظت بشيء من معناها الأصلى ، لم يدركه صاحب لسان العرب :

وهو أن الإله بعل (وهو ذكر) يخصب الأرض (وهى أنثى) بمياه المطر أو المياه الجوفية . وإن الموازنة بين أرض تسق (بألفاظ مشتقة من نفس المصدر مثل سق) و « دار بعل أو حقله » تتضح بجلاء فى التَّرْجُوم والتَّلْمُود (Jastrow : Dict. of the Talmud مادة b'l بعل وشق ؛ W.R.Smith: Lectures on the religion of the Semites لندن سنة ١٩٢٧ ، انظر الفهرس ؛ G. Dalman: Arbeit und Sitte in Palaestina كوتر سلوح سنة ١٩٣٢ ، حـ ٢ ، ص ٣٢ — ٣٣) .

ومهما يكن من أمر فإننا نصادف لفظ بعل فى اللغة العربية الفصحى إبان القرون الأولى من الهجرة فى مناسبات عديدة ، بنفرد بمعنى « أرض مزروعة لا تسقى » . وليس فى عبارة مركبة تخضع لكثير من التأويل . وتوجد بهذا المعنى فى كتب الفقه ؛ وبخاصة فيما يرتبط بضريبة العشور (الزكاة أو الصدقة) التى تفرض على الإنتاج الزراعى . والحق إن الشريعة الإسلامية ، عند الشيعة وأهل السنة على السواء ، تنص على تخفيض هذه الضريبة إلى نصف العشر أو إلى جزء من عشرين جزءا ، عندما يتوقف نمو المحصول على رى صناعى ، يستلزم شيئا من الجهد ، وفى مقابل هذا تكون الزكاة بالفعل عشر الناتج ، عندما يكون من أرض بعل . ويرد اللفظ مرتبطا بالموضوع نفسه فى أحاديث منقولة عن موطأ مالك (القرن الثانى الهجرى = الثامن الميلادى ؛ انظر الباجى : المنتقى ، حـ ٢ ، ص ١٥٧ — ١٥٨) ، ويرد مرارا فى القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) فى كتب الفقه مثل كتاب الأم للإمام الشافعى (حـ ٢ ، ص ٣٢) ومدونة سحنون المالكى (حـ ٢ ، ص ٩٩ ، ١٠٨) . وترد هذه الأحاديث بنصها تقريبا فى سنن أبى داود (السنن : رقم ١٥٩٦ — ١٥٩٨) ، ويرويها القدماء من المتخصصين فى الأموال وخراج الأرض (القرن الثالث — الرابع الهجرى = القرن التاسع — العاشر الميلادى) : يحيى بن آدم (كتاب الخراج ، طبعة القاهرة سنة ١٣٤٧هـ ، رقم ٣٦٤ — ٣٩٥ ، بينما ورد فى نسخة أخرى كاشفة ، رقم ٣٨١ « ما سقاه بعل » ، هكذا ورد النقل فى كتاب فتوح البلدان للبلاذرى ، ص ٧٠) ، وأبو عبيد بن سلاّم (كتاب الأموال ، طبعة القاهرة سنة ١٣٥٣هـ ، رقم ١٤١٠ — ١٤١١) ، وقدامة بن جعفر (كتاب الخراج ، الجزء السابع ، فصل ٧ ، تحقيق ده غويه ، حاشية على كتاب البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص ١٤ ، أما كتاب مفاتيح العلوم للخوارزمى الذى يتناول هذا الموضوع فليس إلا ملخصا لهذا المصنف) ، والأمر كذلك فى الفقه الفاطمى الذى كان قد استقر فى إفريقية (القرن الرابع الهجرى = العاشر الميلادى) : والقاضى النعمان (دعائم الإسلام ، طبعة القاهرة سنة ١٩٥١ ، حـ ١ ، ص ٣١٦) . ومن الطبيعى أن ينسحب هذا المفهوم على كثير من المصنفات المتأخرة .

وتثير هذه النصوص ، فيما يتعلق باستعمال كلمة بعل التفسيرين الآتيين : (١) يبدو أن الكلمة ترتبط

ترتبط بتقاليد أهل المدينة ، وكذلك أهل اليمن ، والظاهر أنها لم تكن معروفة فى التقاليد العراقية القديمة (ولعل هذا يرجع إلى أن العراق فى الأصل بلاد اعتمدت على الرى) . ولا يستخدم المذهب الحنفى ، وقد نشأ أصلا فى العراق ، هذه الكلمة عادة ، مع أنه يقرر القاعدة المتبعة فى هذا الشأن ، مثله فى ذلك مثل المذاهب الأخرى .

ب - أن الأحاديث التى تتضمن هذه الكلمة تدرجها فى عداد الأراضى المذكورة فيما سبق ، وفيها تبدو الأرض البعل متميزة عن الأراضى التى ترويها مياه الينابيع أو المطر أو القنوات ؛ ومع ذلك فإن بين المفسرين وأصحاب المعاجم من يتشبث بأن كلمة « بعل » تطلق على كل الأراضى المزروعة التى لا تسقى ، فى حين أن آخرين ، تأثروا بحرفية الأحاديث ، وربما بمعانى اللفظ فى اللهجات المختلفة ، يقدمون مجموعة من التفسيرات ، تدور حول فكرة الأرض التى لا تسقى فى حالة الجفاف ؛ ويرى البعض أن الكلمة لا تنطبق إلا على الأحوال التى يحصل فيها النبات على الماء بوساطة جذوره الممتدة تحت السطح وحدها (ثمة دليل تفصيلى فى لسان العرب ، الموضع المذكور ، وانظر أيضا W.R. Smith: *Lectures...* ، ص ٩٨-٩٩ ؛ و Lokkegaard: *Islamic Taxation* ، كوبنهاغن سنة ١٩٥٠ ، ص ١٢١) .

ويوجد بين الكلمات التى تحمل المعنى نفسه أو ما يقاربه ، وهى كثيرا ما تحل محل كلمة بعل أو تقترن بها فى الاستعمالات التى ذكرناها فيما سبق ، ما ينبغى أن نعنى بشأنه عناية خاصة بكلمة عثَرى (مثل ما ورد فى صحيح البخارى ، كتاب الزكاة ، باب ٥٥) وهو لفظ يصعب علينا أن نحجم عن تفسيره على ضوء اسم الإله عَثْتَر (=عشتروت أو عشتار) ، وعَثْتَر إله نجمى من مجمع الآلهة فى الجزيرة العربية وجنوبها وله تأثير على خصوبة الأرض ، وكان فى بعض الأوقات يوصف باسم بعل (Lagrange: *Études sur les religions sémitiques* ، باريس سنة ١٩٠٣ ، ص ١٣٣ - ١٣٦ ؛ Nielsen: *Handbuch der altarab. Altertumskunde* ، كوبنهاغن سنة ١٩٢٧ ، جـ ١ ، الفهرس ؛ Jamme فى *Le Muséon* سنة ١٩٤٧ ، ص ٨٥ - ١٠٠ ؛ G. Ryckmans فى *Atti. Accad. Lincei* ، سنة ١٩٤٨ ، ص ٣٦٧ ؛ الكاتب نفسه: *Les religions Arabes Préislamiques* ، الطبعة الثانية ، لوفان سنة ١٩٥١ ، ص ٤١ وفى مواضع متفرقة ؛ Jamme فى Brillant and Aigrain: *Hist. des Religions* [١٩٥٦] ، جـ ٤ ، ص ٢٦٤-٢٦٥) ، وهناك شواهد على إدغام الثاء والتاء وتحويلهما إلى تاء مضعفة فى اللغة العربية الفصحى ، ولا شك أن المقابلة المعنوية لكلمة بعل هنا تثير الدهشة ،

ولا بد أن نلاحظ ورود كلمة بعل ، بنفس المعنى ، فى بعض الروايات الخاصة بالشروط التى يؤثر أن النبى صلى الله عليه وسلم قد فرضها باعتبارها شريعة تطبق على الأرض فى العام التاسع الهجرى سواء على واحة دومة الجندل (على يد قائده أكيدر بن عبد الملك) أو على قبائل بنى كلب (على يد قائدهم حارثة بن قطن ؛ انظر Caetani: *Annali* ، العدد ٩ ، جـ ١ ، ص ٢٥٩ - ٢٦٩

[وقد ناقش هذه الواقعة Mssil فى Arabia Deserta ، نيويورك سنة ١٩٢٧ ، ملحق رقم ٧ ؛ وبحث بقلم W.M. Watt عنوانه محمد فى المدينة Muhammad at Medina ، أكسفورد سنة ١٩٥٦ ، ص ٣٦٢ — ٣٦٥)].

كما نلتقى به مرة أخرى فيما يرتبط بالخراج فى الرسائل الكبرى الخاصة بالشريعة فى القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) : الأحكام السلطانية تأليف أبى يعلى الحنبلى (طبعة القاهرة سنة ١٩٣٨ ، ص ١٥١) والماوردى الشافعى (ترجمة فانيان Fagnan ، الجزائر سنة ١٩١٥ ، ص ٣١٤) : ومن رأيها فى حساب هذه الضريبة مراعاة مورد الماء : وهو أربعة أضرب من الأرض المزروعة ، من بينها نجد أن الأرض البعل تتحدد بدقة على وجه التقريب كما قلنا من قبل ، فى مقابل الأرض المسقية أو الأرض التى يرويها المطر ريا كافيا .

ويستخدم الجغرافى المُقَدَّسى الكلمة فى ثلاث مناسبات فى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى ؛ المكتبة الجغرافية العربية ، جـ ٣ ، ص ١٩٧ ، ٤٧٤) ويتناول الإنتاج الزراعى قرب الرَّمْلَة والإسكندرية وفى السند ، وهو يستعملها دائما فى صيغة (على البعل) وهذا لا يكفى ، على أية حال ، للدلالة على استخدام الكلمة خارج بلاد الشام وفلسطين وهى مسقط رأس الكاتب : وفى هذه المنطقة الجغرافية حيث « الزراعة على البعل هى الأساس التقليدى للاستغلال الزراعى » على الرغم مما يتوهمه الناس من وفرة الماء فيها (J. Weulersse : Paysans de Syrie ، باريس سنة ١٩٤٦ ، ص ١٤٤) نجد فى الوقت الحاضر : أرض بعل تقابل أرض سقى كما فى الأزمنة السابقة (G. Dalman ، المصدر المذكور ، ص٣٠؛ وأشار إلى ذلك بالفعل E. Meier فى Zeitschr. der Deutsch. Morgenl. Gesells ، سنة ١٨٦٣ ، جـ ١٧ ، ص ٦٠٧) .

ونذكر هنا حالة خاصة باستخدام هذه الكلمة فى مصر أيام القرون الوسطى ، فقد كان هناك فى القاهرة أيام المماليك وربما فى أيام الفاطميين من قبل ، بستان قرب الخليج ، أصبح بعد متنزها عاما ، يسمى بستان البعل ، ثم « أرض البعل » (انظر المقريزى : الخطط ، طبعة بولاق سنة ١٢٧٠هـ ، جـ ٢ ، ص ١٢٩ ، وهنا نراه يستعمل صراحة كلمة بعل بمعناها الجغرافى) .

وجدير بالذكر أن مسلمى الأندلس ، مثل الفلاحين الأسبان اليوم تماما ، كانوا يفرقون بين أرض السكانو Secano (البعل بالعربية) وأرض الرگاديو Regadio (السقى بالعربية) ، فالأولى يحتفظ بها خصيصا لزراعة الحبوب (Levi-Provençal : Hist. Esp. Mus. ، باريس سنة ١٩٥٣ ، جـ ٣ ، ص ٢٧٠) : ويؤكد ابن العوام (القرن السادس الهجرى — الثانى عشر الميلادى) الخبير المشهور فى الفلاحة بإشبيلية وجود هذه التفرقة (كتاب الفلاحة ، طبعة بانكويرى Banqueri ، مدريد سنة ١٨٠٢ ، جـ ١ ، ص ٥) ، وقد ظهرت هذه التفرقة فى العقود

وبخاصة عقود المغارسة : فنحن نجد — مثلا — أن صيغة التوثيق التى وضعها ابن سلمون ، فى كتاب العقد المُنَظَّم (طبعة القاهرة سنة ١٣٠٢هـ ، حـ٢، ص ٢١ — ٢٢) فى القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) تتضمن صيغتى بعلى وَسقَوى .

ويبدو أن هاتين النسبتين تتحولان فى الواقع إلى اسمين فى الأزمنة الحديثة على الأرجح فى مناطق معينة، وذلك على منوال كلمة عثَرى . وقد لوحظ وجود كلمة بعلى جنبا إلى جنب هى وكلمة عثَّرى فى لهجات أهل جنوبى الجزيرة العربية: (Landberg : *Glossaire Datinois* ، ليدن سنة ١٩٢٠ ، حـ ١ ، ص ١٨٦) حيث نرى أن كلمة أثرى يجب أن تعدّل ، على وجه اليقين تقريبا ، إلى كلمة عثَّرى .

وليس من اليسير على الدوام أن نحدد، من أول نظرة ، هل كلمة بَعْلى تستعمل الآن، صفة أو اسما فى الشرق وفى شمالى إفريقية . وهى فى الغالب ترتبط — أكثر من كلمة سقوى التى تدل على نقيضها — باسم خضر من الخضراوات أو الفواكه : وتؤكد فى هذه الحالة صفة الجودة . فى مدينة فاس تطلق الصيغة المؤنثة بَعْلِيَّة على ثمرة تين ريانة ، بينما يوصف بكلمة بَعْلى أى رجل بخيل ، قاس شحيح كالأرض التى تحمل الاسم نفسه (معلومة قدمها ل . برونو L. Brunot) .

وكما هى الحال فى كثير من العناصر الأخرى التى يتألف منها معجم الألفاظ التى تتردد فى مفردات لغة الحديث العربية ، نرى أن من دواعى الأسف ألا نعرف بدقة كافية المناطق التى تستعمل فيها فعلا كلمتا بَعْل وبَعْلى ، وهما كلمتان غير معروفتين فى مناطق مترامية الأطراف يتحدث فيها الناس باللغة العربية ؛ وإن التوزيع الدقيق لهاتين الكلمتين يزودنا بمعارف تمثل وجهات نظر مختلفة .

د . يونس [ر . برنشفيك R. Brunschvig]

« بَعْلَبَك » وسمها الروم هليوپوليس Heliopolis : قصبة ناحية من أعمال أدمشق ومقر القائمقام . وهى فى هضبة البقاع الشامية ، وقد اشتهرت بأطلال معبد جوپيتر الذى شيده الإمبراطور أنطونينوس Antoninus (١٣٨ — ١٦١م) فوق منبسط مرتفع وبالساحات والأبهاء التى زادها الإمبراطور كراكالا كما تشتهر بمعبد باخوس . ولم نهتد بعد إلى اشتقاق كلمة بعلبك ، وتدل التسمية اليونانية « هليوپوليس » على أن تلك المدينة كانت مقراً لعبادة إله من آلهة الشمس كما أن التسمية العربية « بقاع العزيز » لها نفس الدلالة ، لأن لفظة العزيز تدل على معبود متصل بإله الشمس الذى كان يعبد فى شمال الشام وأواسطها .

وقد نسبت تلك الهضبة إليه لا إلى ابن أقل شأنا من أبناء صلاح الدين المشهور . وتذهب الأسطورة العربية إلى أن معبد بعلبك كان قصراً لسليمان مهره لبلقيس ملكة سبأ . وألحقت بعلبك صلحا بالدولة الإسلامية على يد أبى عبيدة قائد الخليفة عمر بن الخطاب عام ١٦ هـ (٦٣٧م) وظلت من أعمال دمشق فى عهد خلفاء بنى أمية وبنى العباس . ولما فتح

الخليفة المعز لدين الله الفاطمى مدينة دمشق عام ٣٦١ هـ (٩٤٢م) أقام فى بعلبك والياً من قبله ؛ وظلت بعلبك فى حوزة الفاطميين حتى عام ٤٦٨هـ (١٠٧٥م) فيما خلا فترتين : الأولى عند ما فتحها الإمبراطور يوحنا زيميسكس John Zimisces وخرّبها عام ٣٦٣ هـ (٩٧٤) ؛ والثانية عندما احتل صالح بن مرداس أمير حلب تلك المدينة عام ٤١٦هـ (١٠٢٥م) . وامتد حكم الأمير تتش السلجوقى وأولاده لهذه المدينة عام ٤٦٨هـ (١٠٧٥م) واستولى عليها مسلم بن قريش أمير حلب أمداً قصيراً عام ٤٧٦ هـ (١٠٨٣م) وبعد رحيل مسلم عنها وليها الخصى كمشتكين وظل فى منصبه هذا فى ظل أبناء تتش ؛ وولى الحكم فى بعلبك بعد السلاجقة طغتكين وكان فيما سبق أتابك من قبلهم (انظر هذه المادة) ؛ وتآمر كمشتكين على طغتكين عام ٥٠٤هـ (١١١٠م) فعزله طغتكين وولى مكانه ابنه بورى . وتوفى طغتكين عام ٥٢٢ هـ (١١٢٨م) فخلفه ولده بورى على دمشق ، وأقطع ابنه محمدا حكم بعلبك فاحتفظ بها على الرغم من طمع إخوته فيها بعد مقتل بورى عام ٥٢٢ هـ (١١٢٨م) . ويلوح لنا أن بعلبك كانت فى ذلك الوقت مدينة منيعة لأننا نسمع لأول مرة عن حسن دفاعها . وولى الأمير محمد حكم دمشق عام ٥٣٣ هـ (١١٣٨م) بعد مقتل أخويه : إسماعيل عام ٥٢٦ هـ (١١٣٢م) ، ومحمود عام ٥٢٩هـ (١١٣٤م) وأقطع وزيره الموهوب أنُر حكم بعلبك .

وكان زنكى أمير حلب زوجا لأم محمود المقتول ، ولذلك طالب بثأره من محمد البرىء ؛ وسار نحو بعلبك لما رأى استحالة محاصرة دمشق ، وسلمت إليه قلعة بعلبك التى ذادت عن حوضها بكل شجاعة بعد أن أمّن حاميتها ، ولكن زنكى لم يبر بوعده وولى عليها أيوب والد صلاح الدين (انظر مادة الأيوبيين) ؛

وقوّى زنكى حصون بعلبك ؛ وتوفى محمد عام ٥٣٤ هـ (١١٣٩م) فحكم أنر باسم أبق بن محمد الذى كان قاصراً . ولما قتل زنكى عام ٥٤١ هـ (١١٤٦م) اضطر أيوب إلى أن يعيد بعلبك إلى أنر ، وأقطعها أنر الخصى عطاء ، وبعد مقتل عطاء استولى ابن أخيه الضّحاك أمير وادى التيم فى الجنوب الغربى من البقاع على بعلبك ، ولكنه أجبر على التخلى عنها عام ٥٥٢ هـ (١١٥٧م) إلى نور الدين الذى ألجأ أبق إلى الانسحاب منها عام ٥٤٩ هـ (١١٥٤م) . وأمر نور الدين بإعادة تشييد أسوار بعلبك التى دمرها الزلزال المروع الذى حدث عام ٥٦٥ هـ (١١٧٠م) وانتزع صلاح الدين بعلبك من إسماعيل خليفة نور الدين عام ٥٧٠ هـ (١١٧٤م) بعد حصار دام أربعة أشهر . وأقطعها أولا محمداً أحد قواده ثم أخاه توران شاه عام ٥٧٤هـ (١١٧٨م) ثم ابن أخيه فرّخ شاه بعد ذلك بعام . وتوفى فرخ شاه بعد ذلك بثلاثة أعوام فخلفه ابنه بهرام شاه (انظر هذه المادة) فى حكم بعلبك . وظل يدبر شئونها من عام ٥٧٨هـ (١١٨٢م) إلى ٦٢٧هـ (١٢٣٠م) وابتنى بقلعتها برجين . وفى عام ٦٢٧ هـ (١٢٣٠م) استولى الأمير الأشرف موسى (انظر مادة موسى) على بعلبك ، وبعد وفاته استولى عليها أخوه الصالح

إسماعيل عام ٦٣٥ ﻫ (١٢٣٧م) ثم وقعت بعد ذلك فى حوزة الصالح أيوب عام ٦٤٤ ﻫ (١١٤٦م) بعد قتال دام سنة ، وكان الصالح أيوب قد أقام على بعلبك سعد الدين الحُمَيْدى، ولما خلفه على العرش توران شاه اعترف باستقلال هذا الوالى عام ٦٤٧ ﻫ (١٢٤٩م) وقتل توران شاه بعد سنة من حكمه فاستولى الناصر يوسف سلطان حلب على دمشق وطلب من والى بعلبك تسليمها له ؛ ولكن الوالى انحاز إلى ابن توران شاه الصغير ورضى بأداء الجزية . وغزا المغول الشام عام ٦٥٨ ﻫ (١٢٦٠م) فقضوا بذلك على حكم الناصر يوسف، إذ استولى القائد المغولى قتبغا على بعلبك وهدم حصونها ، غير أن قطز سلطان مصر هزم المغول فى العام نفسه ، وبذلك انتقلت بعلبك إلى سلطان المصريين ووضعت تحت حكم والى دمشق ؛ وظلت بعلبك على هذه الحال حتى عام ٩٢٢ ﻫ (١٥١٦م) أى إلى الوقت الذى فتح فيه السلطان سليم العثمانى الشام وضمها إلى ملكه . وظلت بعلبك تابعة للباب العالى منذ ذلك الوقت ، تحكمها أسر ضئيلة الشأن أهمها أسرة حرفوش . وانتقصت المنازعات المستمرة بين الأسر الشآمية من رخاء تلك المدينة وزادت فى شقاء أهلها . وقد لحقت بها خسائر فادحة بسبب الزلزال الذى حدث عام (١٧٥٩م) واستولى إبراهيم باشا على مدينة بعلبك مدة وجيزة عام (١٨٣١م) وعادت بعد رحيله إلى حكم أسرة حرفوش . ولم ينشىء الباب العالى فى تلك المدينة إدارة منظمة إلا فى عام ١٨٥٠ وذلك عندما غدت بعلبك مقر القائمقام الخاضع لوالى دمشق . وعم الرخاء بعلبك منذ ذلك الوقت ؛ وقد بلغ عدد سكانها اليوم خمسة آلاف نسمة منهم ألفان من المسلمين السنيين وألفان من الشيعة وألف من النصارى ؛ وأخذ الألمان يقومون بأعمال الحفر فى المدينة تحت إشراف كل من پوشتين Puchstein وشولز Schulz ، وذلك من عام ١٩٠٠ إلى ١٩٠٤ . ومدينة بعلبك هى الآن مطمح انظار جميع الرحالة الذين يقصدون إلى الشرق .

[redacted] بعلبك

والمعلومات التى ستوردها مستمدة من التقرير الثانى الذى وضعه پوشتين عن حفائره فى بعلبك ، وهو المطبوع فى برلين عام ١٩٠٣، ص٤١ وما بعدها .

حوّل العرب المعبد إلى قلعة ، وقد وصف مهندسوهم الشكل العام للقلعة ، وأول ماراعهم منه الساحات والمعبدان اللذان كانت أسوارها الخارجية تكسب القلعة منعة وعزة . ويظهر ان المعبد الصغير كان بناءً قائما بذاته داخل القلعة وهو بمثابة البرج . ولا تزال الخنادق بحوائطها الخارجية بادية إلى الآن فى جانبه الشمالى . وقد بنى البرج الكبير فى الركن الجنوبى الشرقى من هذا المعبد بقصد حمايته ، وكان يتعين بذل المال الكثير لملء الفراغ الذى يفصل بين المعبدين الكائنين فى الركن الجنوبى الغربى للقلعة ، وكان بهذا الركن مدخل الطريق إلى البقاع والمخرج منها ، ولذلك فقد عمد مهندسو العرب إلى منافسة مهندسى الرومان وإظهار براعتهم فى هذا الميدان . وتبين أنه لابد من ترميم

الأسوار العربية كى تصمد لحاجات الدفاع المتغيرة، كما صمدت الأسوار القديمة أمام جميع المحن . وتبين الخريطة الملحقة بهذه المادة العهود المختلفة لبناء هذه القلعة . أما الأرض التى أقيمت عليها الحصون الحديثة فقد كانت أكثر أجزاء المدينة انخفاضا، وهى بمثابة الضاحية أو المدينة السفلى ؛

وقد شيد فى أول عهد من عهود بناء القلعة سوران أحدهما ناحية الجنوب الغربى تجاه الواجهة الجنوبية للمعبد الصغير ، والآخر تجاه الواجهة الغربية للمعبد الكبير ، ووضع الباب وسط الجانب الغربى ، وأقيم على كل من جانبيه برج قليل الارتفاع . أما العهد الثانى من عهود بناء القلعة فلعله يوافق زمن محمد بن بورى الذى دافع عن بعلبك دفاعا مجيدا ، أو عهد زنكى الذى انهمك فى تحصين بعلبك كما تدل على ذلك الكتابات والنقوش المكتشفة . ويمتاز هذا العهد بأنه قد نقل فيه الباب إلى الجانب الجنوبى من القلعة ، وبهذا الجانب ممر مسقوف يؤدى إلى داخل الحصن الخارجى ، ثم إن هذا الممر كان متصلا بالقسم الشرقى من القلعة بوساطة ممر آخر مسقوف يرتفع تدريجا حتى يصل إلى مستوى هذا القسم . وقد بنى مكان الباب القديم وبرجيه الصغيرين برج آخر كبير أقيمت على جانبيه استحكامات جديدة لاتبعد عن الاستحكامات القديمة . ويلوح لنا أيضا أنه كان هناك برج آخر فى الركن الجنوبى الغربى . وقد شيد السلطان بهرام شاه برجا جديدا فى ذلك الموضع عام ٦١٠ هـ (١٢١٣م) كما ابتنى البرج الموجود فى الركن الشمالى الغربى من القلعة عام ١٢٢٤ م . وقد يكون هذا السلطان هو الذى قوّى جبهة البرج الغربى . وفى العهد الرابع من عهود بناء قلعة بعلبك ابتنى السلطان قلاوون وخلفاؤه عدة مبان جديدة منيعة ذات شأن ، وذلك بعد أن خرب المغول بعلبك فى نهاية القرن الثالث عشر الميلادى ؛ وأزيل الاستحكامان الغربيان ونقلا إلى واجهة البرج الغربى الذى شيد بحجارة ضخمة على نمط آخر جديد، وإلى هذا العهد أيضا يرجع بناء البرج الحصين الذى فى الركن الجنوبى الشرقى للمعبد الصغير . وقد دعت الظروف المتغيرة إلى حماية الباب الجنوبى القديم للقلعة ، ويلوح لنا أنه أقيم لهذا الغرض حصن خارج القلعة ، لأننا نجد الطريق الموجود وراء الجسر المنصوب فوق الخندق وراء الباب الخارجى ينحنى أربع مرات قبل أن يصل إلى الباب الداخلى. وتوجد بالقلعة أيضا ساحة صغيرة يمكن الإشراف عليها من عل، فإذا تجمع الأعداء فيها أمكن اكتساحهم. ونستدل من النقوش التذكارية القائمة على دعائم الباب الخارجى المتهدمة على أن الحصن الخارجى شيد حوالى عام ٦٨٩ هـ (١٢٩٠م) . ولم يدخل أى تعديل على حصون قلعة بعلبك بعد نهاية القرن الثالث عشر الميلادى، اللهم إلا تلك الإصلاحات التى أدخلت على الخندق المحيط بالقلعة عام ٧٩٦هـ (١٣٩٤م) وذلك عندما أخذ السلطان برقوق (انظر هذه المادة) أهبته لمقاومة تيمور كما تشير إلى ذلك الكتابات والنقوش ؛

المصادر :

(١) Ritter: *Erdkunde* ج١٧، ص٢٢٣—٢٢٨، ٢٤٤ — ٢٤٦ ، وفى هذه المجلة ذكر للقدماء الذين كتبوا عن بعلبك(٢) Alouf: *Histoire de Baalbek*، بيروت سنة ١٨٩٦ (٣) Puchstein: *Erster und zweiter Jahresbericht ueber die Ausgrabungen in Baalbek*، برلين سنة١٩٠٢، ١٩٠٣(٤) Puchstein: *Fuehrer durch die Ruinen Baalbeks*، برلين سنة ١٩٠٥ (٥) Subernheim: *Zur Geschichte Baalbeks* فى *Festschrift fuer Amari im Mittelalter*، بالرمو ١٩١٠،ص ١٥٢—١٦٣ ، وسينشر سوبرنهيم Sobernheim قريبا مصنفاً آخر عن حفائر بعلبك يضمنه تاريخها ونقوشها العربية وأسماء المؤلفات العربية التى كتبت عنها .

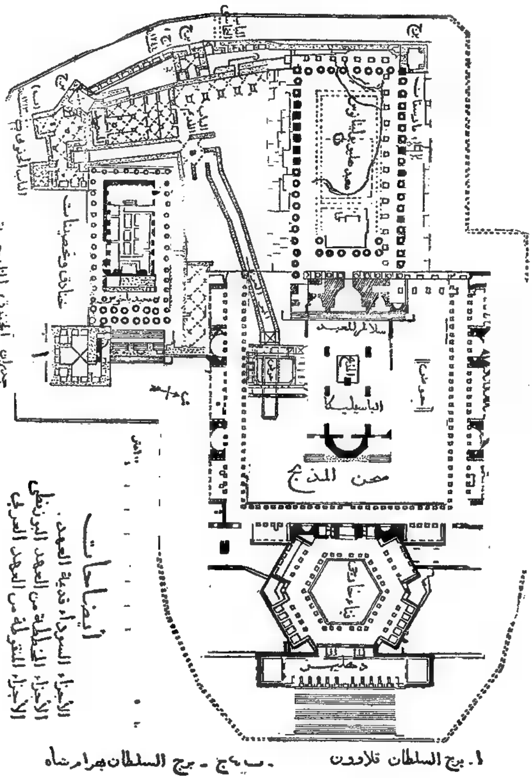
[سوبرنهيم M. Sobernheim]

+ **بعلبك** : بليدة فى داخل أراضى لبنان على ارتفاع ٣,٧٠٠ قدم تقريباً فوق حافة هضبة البقاع [انظر هذه المادة] ، وتحيط بها واحة من البساتين ، يرويها ينبوع رأس العين الكبير ، الذى ينبثق عند سطح سلسلة جبال لبنان الشرقية . وقد نالت إعجاب الكتاب العرب بجوها الطيب وجمال نباتها ، فامتدحوا غوطتها لأنها تذكرهم بغوطة دمشق . واختلفت الآراء فى أصل اشتقاق اسمها ، وفيه يمكن أن نرى الاسم السامى (انظر مادة بعل ،) ويبدو أنه لا يوجد بين هذه الآراء ما يشفى الغليل .

وتشتهر بعلبك ، بصفة خاصة ، بأطلالها القديمة وهى لا تزال تشاهد فى موضعها الذى شغلته ، ولا شك ، منذ زمن جد قديم . وكانت تنعم بالرخاء ، بصفة خاصة ، فى العهد الذى أطلق فيه على هذا المكان الاسم اليونانى هليوپوليس ، عندما كانت العبادة الشائعة بين الناس هناك تحتفل بالثالوث الهليوپوليسى (زيوس وأفروديت وهرمس باعتبارها تجسيداً للآلهة السورية) ، مما أدى إلى تشييد هياكل رائعة نسبت فى القرون الوسطى إلى ما كان لسليمان من قوة وبأس . ونحن نجد حتى اليوم أن المجموعة الرئيسة من الآثار تروعنا بمعبديها اللذين يتميزان بأبعادهما الهائلة وساحتيهما اللتين تتصدرهما أبواب واسعة وسورها بأساساته الضخمة . وقد حولت هذه المبانى فى عهد العرب ، إلى حصن منيع انتهت إلى تفاصيل خطته بعثة الآثار الألمانية ما بين عامى ١٩٠٠ — ١٩٠٤ ، بيد أنها ضحت بأجزاء معينة من هذا الحصن لإعادة الموقع إلى ما كان عليه فيما مضى ، أو القيام بعمليات تنقيب جديدة .

ولما كانت مدينة بعلبك تتحكم فى النواحى المحيطة بها وفى الطريق الرئيسى الموصل من دمشق إلى حمص على السواء فإن تاريخها حفل بالأحداث . وكانت الناحية العسكرية هى قوام ما لها من شأن منذ وجهت المسيحية ضربة قاضية إلى هياكلها الزاهرة ، وبدأ العرب ، إثر فتحهم لها ، فى استخدام قمة تلك المدينة قلعة أو مقرا للعامل على الإقليم . وفى عام ١٦ هـ (٦٣٧ م) ضمها المسلمون بقيادة أبى عبيدة إلى بلادهم عقب فتح دمشق ، وقبيل فتح حمص ، بمقتضى معاهدة عرفناها مما أورده البلاذرى ، وأصبحت فيما بعد جزءاً من « جند »

هيكل وقلعة بعلبك



ا. برج السلطان قلاوون   ب، ج. برج السلطان بهرامشاه

المصادر :

(١) Ritter: *Erdkunde* جـ١٧، ص٢٢٣—٢٢٨، ٢٤٤ — ٢٤٦ ، وفى هذه المجلة ذكر للقدماء الذين كتبوا عن بعلبك(٢) Alouf: *Histoire de Baalbek*، بيروت سنة ١٨٩٦ (٣) Puchstein: *Erster und zweiter Jahresbericht ueber die Ausgrabungen Baalbek*، برلين سنة ١٩٠٢، ١٩٠٣(٤) Puchstein: *Fuehrer durch die Ruinen Baalbeks* ، برلين سنة ١٩٠٥ (٥) Subernheim: *Zur Geschichte Baalbeks* فى *Festschrift fuer Amari im Mittelalter* ، بالرمو ١٩١٠،ص ١٥٢—١٦٣ ، وسينشر سوبرنهيم Sobernheim قريبا مصنفاً آخر عن حفائر بعلبك يضمنه تاريخها ونقوشها العربية وأسماء المؤلفات العربية التى كتبت عنها .

[سوبرنهيم M. Sobernheim]

+ **بعلبك** : بليدة فى داخل أراضى لبنان على ارتفاع ٣,٧٠٠ قدم تقريباً فوق حافة هضبة البقاع [انظر هذه المادة) ، وتحيط بها واحة من البساتين ، يرويها ينبوع رأس العين الكبير ، الذى ينبثق عند سطح سلسلة جبال لبنان الشرقية . وقد نالت إعجاب الكتاب العرب بجوها الطيب وجمال نباتها ، فامتدحوا غوطتها لأنها تذكرهم بغوطة دمشق ؛ واختلفت الآراء فى أصل اشتقاق اسمها ، وفيه يمكن أن نرى الاسم السامى (انظر مادة بعل ،) ويبدو أنه لا يوجد بين هذه الآراء ما يشفى الغليل ؛

وتشتهر بعلبك ، بصفة خاصة ، بأطلالها القديمة وهى لا تزال تشاهد فى موضعها الذى شغلته ، ولا شك ، منذ زمن جد قديم ، وكانت تنعم بالرخاء ، بصفة خاصة ، فى العهد الذى اطلق فيه على هذا المكان الاسم اليونانى هليوپوليس ، عندما كانت العبادة الشائعة بين الناس هناك تحتفل بالثالوث الهليوپوليسى (زيوس وأفروديت وهرمس باعتبارها تجسيداً للآلهة السورية) ، مما أدى إلى تشييد هياكل رائعة نسبت فى القرون الوسطى إلى ما كان لسليمان من قوة وبأس . ونحن نجد حتى اليوم أن المجموعة الرئيسة من الآثار تروعنا بمعبديها اللذين يتميزان بأبعادهما الهائلة وساحتيهما اللتين تتصدرهما أبواب واسعة وسورها بأساساته الضخمة . وقد حولت هذه المبانى فى عهد العرب ، إلى حصن منيع انتهت إلى تفاصيل خطته بعثة الآثار الألمانية ما بين عامى ١٩٠٠ — ١٩٠٤ ، بيد أنها ضحت بأجزاء معينة من هذا الحصن لإعادة الموقع إلى ما كان عليه فيما مضى ، أو القيام بعمليات تنقيب جديدة .

ولما كانت مدينة بعلبك تتحكم فى النواحى المحيطة بها وفى الطريق الرئيسى الموصل من دمشق إلى حمص على السواء فإن تاريخها يحفل بالأحداث ؛ وكانت الناحية العسكرية هى قوام ما لها من شأن مذ وجهت المسيحية ضربة قاضية إلى هياكلها الزاهرة ، وبدأ العرب ، إثر فتحهم لها ، فى استخدام قمة تلك المدينة قلعة أو مقرا للعامل على الإقليم ؛ وفى عام ١٦ هـ (٦٣٧ م) ضمها المسلمون بقيادة أبى عبيدة إلى بلادهم عقب فتح دمشق ، وقبيل فتح حمص ، بمقتضى معاهدة عرفناها مما أورده البلاذرى ، وأصبحت فيما بعد جزءاً من « جند »

دمشق فى عهد الأمويين ، ثم انتقلت إلى أيدى العباسيين حتى أقام عليها الخليفة الفاطمى المعز عاملا من قبله عام ٣٦١ هـ (٩٧٢ م) ؛ واحتلها إلى حين جون تزمسكس إمبراطور بوزنطة عام ٣٦٣ هـ (٩٧٤ م) وصالح بن مرداس إمير حلب عام ٤١٦هـ (١٠٢٥ م) ثم سقطت فى أيدى تُتُش السلجوقى وأبنائه عام ٤٦٨ هـ (١٠٨٥ م) ؛ واستولى عليها أثناء الحروب الأهلية فى العهد البورى على الترتيب : العامل كمشتگين وبورى وابنه محمد ، ثم آلت أخيراً إلى أنُر المشهور ، وانتزعها منه زنكى ، وظلت فى قبضته فترة ما ، ثم عهد بها إلى أيوب ، الذى قدر له أن يكون والد صلاح الدين . ونجح نور الدين فى غزوها من جديد عام ٥٤٩ هـ (١١٥٤م) ، واضطر إلى إعادة بناء أسوارها بعد ما لحقها من دمار بسبب الزلزال الرهيب الذى حدث عام ٥٦٥ هـ (١١٧٠ م) . وانتزع صلاح الدين بدوره القلعة من خلفاء مولاه القديم عام ٥٧٠ هـ (١١٧٤ م) ، وأقطعها على التعاقب أفراداً مختلفين من حاشيته أو من أسرته وبخاصة حفيده الملك الأمجد بهرام شاه الذى احتفظ بها من عام ٥٧٨ هـ (١١٨٢ م) حتى عام ٦٢٧ هـ (١٢٣٠ م) ، وفى هذه السنة انتزعها منه الملك الأشرف موسى صاحب دمشق ، وبعد أن تنازع على امتلاكها من جديد عدة أمراء من الأيوبيين ، استولى عليها المغول قبل أن تنتقل إلى حكم مصر عام ٦٥٨ هـ (١٢٦٠ م) ، ثم أصبحت فى عهد المماليك أهم مدينة فى الثغر الشمالى الثالث لولاية دمشق. وكان العامل عليها — ولم يكن سلطانه يمتد إلى أراضى البقاع بأسرها — فى مركز التبعية المباشرة لنائب الشام ، وكان هذا النائب يصادق بنفسه على تعيينه . ويبدو أن المدينة أصبحت منذ ذاك أقل شأناً ، ولذلك كان طريقا البريد الرئيسيان فى عهد المماليك ، دمشق — حمص ودمشق — طرابلس ، لا يمران بها ويؤثران طريق قَلَمُون ، كما حدث لطرق التجارة من بعد فى العصر الحديث . وفى عام ٩٢٢ (١٥١٦) انتقلت هى والشام بأكملها إلى حكم العثمانيين وظلت فى أيدى صغار الحكام ، وبخاصة بيت حرفوش إلى أن أنشأ فيها الباب العالى إدارة منظمة عام ١٨٥٠؛

والمعارك التى نشبت من أجل امتلاكها فى عهود آل بورى وآل زنكى والأيوبيين ، عندما كان يخيل إليهم أن الاحتفاظ بالمدينة يمهد السبيل للسيطرة على جنوبى الشام ، يفسر لنا لم كانت العمارة العربية هناك عبارة عن تحصين متواصل لنظام خطوط الدفاع التى أقيمت لسد الثغرة فى الطرف الجنوبى الغربى بين قاعدتى المعبدين القديمين : وإذا نحن عرضنا للعهود الأربعة التى استطعنا تمييزها من هذه العمارة وجدنا أن العهد الثانى يمتاز بنقل المدخل المحصن من الجانب الغربى إلى الجنوبى ، ويمكن أن يقال إن تاريخه يرجع إلى عهد محمد ابن بورى ، الذى دافع فعلا عن بعلبك ، أو إلى عهد زنكى ، الذى اتخذ إجراءات لتحسين حالة القلعة كما تدل على ذلك النقوش والوثائق المكتوبة . وأضيفت فى عهد بهرام شاه أبراج جديدة لتدعيم

الواجهة الجديدة . وأخيراً امتاز عهد قلاوون ببناء شيد بأسلوب أرق من سابقيه ، ونذكر بخاصة إقامة البرج الضخم فى الطرف الجنوبى الشرقى من المعبد الصغير والبريخ خانة حول الباب الجنوبى القديم .

والنقوش الوثيقة الاتصال بدراسة الآثار تتيح لنا أن نعرف على وجه التحقيق تاريخ الملامح المختلفة لمجموعة من الأطلال تعد ، ولا شك ، من أهم ما خلفته العمارة العسكرية العربية فى الشام أيام القرون الوسطى : ويرجع أيضاً إلى العهد نفسه المسجد الصغير فى رأس العين وبخاصة المسجد الجامع فى المدينة ، الذى شيد فى موضع لا يبعد كثيراً عن القلعة بمواد أخذت من مبنى أقدم ، وهو يمتاز بصحنه وأواوينه الأربعة ومئذنته الرائعة ؛ ونقشت فى كلا المسجدين نصوص من المراسيم المملوكية ، وثمة آثار أخرى ، درست ولم يعد لها وجود ، منها مدارس ورباطات ، وخانات وأديرة ومدارس للحديث ، يتردد ذكرها فى أوصاف للمدينة أقدم من ذلك

المصادر :

(١) R. Dussaud : *Topographie historique de la Syrie* ، باريس سنة ١٩٢٧ ، ص ٣٩٧ ، ٤٠٣-٤٠٤ (٢) G. Le Strange: *Palestine under the Moslems* ، لندن سنة ١٨٩٠ ، ص ٢٩٥ - ٢٩٨ (٣) M. Gaudefroy - Demombynes : *La Syrie à l'époque des Mamelouks* ، باريس سنة ١٩٢٣ ، ص ٧٠ - ٧٣ ، ١٨٠ (٤) البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ١٢٩-١٣٠ (انظر D.C. Dennett : *Conversion and the Poll Tax* ، كمبردج [ماساشوستس] سنة ١٩٥٠ ، ص ٥٥-٦٤) (٥) المكتبة الجغرافية العربية ، الفهارس (٦) ياقوت : المعجم (٧) ابن شداد : الأعلاق الخطيرة ، مخطوطة ، ليدن سنة ٨٠٠ ، ورقة ٨٥ ب - ٨٨ ب ، و M. Sobernheim : *Centenario ... Amari* ، بالرمو سنة ١٩١٠ ، جـ ٢ ، ص ١٥٢ - ١٦٣ (٨) Hist Or. Cr. ، الفهرس (٩) Th Wiegand : *Baalbek Ergebnisse der Ausgrabungen und Untersuchungen in den Jahren 1898 bis 1905* ، برلين - ليبسك سنة ١٩٢١ - ٢٥ ، المجلد الثالث (حيث نشر M. Sobernheim النقوش العربية وروعى فيها النصوص التى ترجع إلى أيام القرون الوسطى) (١٠) وبالنسبة للعصر القديم انظر Pauly - Wissowa ، مادتى *Heliopolis and Heliopolitanus* والمواد التى كتبها R. Dussaud و H. Seyrig والتى نشرت بخاصة فى *Syria* (١١) وبالنسبة للنقوش العربية انظر أيضاً G. Wiet : *Notes d'épigraphie syro-musulmane* ، فى *Syria* ، سنة ١٩٢٥ ، ص ١٥٠ وما بعدها (١٢) J. Sauvaget : *Notes sur quelques inscriptions arabes de Baalbekk de Tripoli* ، فى *Bull. du Musée de Beyrouth* ، جـ ٧ - ٨ ، سنة ١٩٤٩ ، ص ٧ - ١١ .

د. يونس [ج. سوردل - تومين
J. Sourdel-Thomine]

+ « البَعيث » : لقب شاعر بصرى من شعراء الهجاء اسمه خِداش بن بشر المُجاشِعى ، وهو يعد أعظم خطباء تميم ومع ذلك فإن ابن سلاّم يضعه فى الطبقة الثالثة من فحول الشعراء المسلمين ؛ على أن النقاد يقولون إن السبب فى خمول ذكره بعض الشىء هو شهرة جرير ؛ والحق إن نشاط البعيث يقترن بنشاط منافسيه جرير والفرزدق ، فقد ظل البعيث سنوات كثيرة يتبادل الهجاء هو وجرير ، ولكنه اضطر أن يستعين بالفرزدق ، ولم يكن الفرزدق يحسن معاملته فى كثير من الأحوال (كان الفرزدق أيضاً يناديه بلقبه « ابن حمراء العجان » إشارة إلى أصل أمه الوضيع ، وكانت أمه من سجستان) .

ويجعل ياقوت وفاته سنة ١٣٤ = (٧٥٢ م) ولكنه يضيف : « فى خلافة الوليد بن عبد الملك » (حكم الوليد من عام ٨٨ إلى ٩٨ هـ = ٧٠٥ — ٧١٥م) ومن ثم فإن هذا التاريخ لا يمكن الاستناد إليه.

المصادر .

(١) الجاحظ : البيان والحيوان ، الفهرس (٢) ابن قتيبة : الشعر ، طبعة شاكر ، ص ٤٧٢ — ٤٧٣ (٣) نقائض جرير والفرزدق ، فى مواضع مختلفة (٤) ديوانا جرير والفرزدق فى مواضع مختلفة (٥) ابن سلاّم : الطبقات ، الفهرس (٦) ابن دريد : الاشتقاق ، ص ١٤٧ (٧) ابن عساكر ، جـ ٥ ، ص ١٢٢ — ١٢٤ (٨) الآمدى : المؤتلف ، ص ٥٦ ، ١٠٨ (٩) ياقوت : معجم الأدباء ، جـ ١١ ص ٥٢ — ٥٥ (١٠) C. A. Nallino : *Letteratura*

[Ch. Pellat بلاّ]

+ « بُغا الشَّرابى » (أى حامل الكأس) ويقال له أيضا الصغير : قائد عسكرى تركى كان يحمل لقب « مولى أمير المؤمنين » ، ويجب ألا نخلط بينه وبين معاصره الذى يحمل الاسم نفسه ونعنى به « بغا الكبير » : قاتل بغا الشرابى فى ظل المتوكل المفتتنين فى آذربيجان ، ثم رأس المؤامرة على هذا الخليفة ، ذلك أنه اشتبه فى أن المتوكل كان يريد أن ينتقص من نفوذ الضباط الترك فعمل على اغتياله ، واستولى على السلطة هو وحليفه واصف فى ظل المنتصر والمستعين ؛ على أن المعتز الذى ولى العرش سنة ٢٥٢ هـ (٨٦٦م) سعى إلى التخلص من هذا العدو القديم قاتل أبيه ، فجرده من مناصبه وامتيازاته ونجح سنة ٢٥٤ هـ (٨٦٨م) فى الزج به فى السجن وقتله .

المصادر :

(١) الطبرى ، الفهرس (٣) البلدان ، ص ٢٦٢ (٤) البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٣٣٠ (٥) المسعودى : مروج الذهب ، جـ ٧ ، الفهرس (٦) ابن الأثير ، الفهرس (٧) أحمد أمين : ظهر الإسلام ، جـ ١ ، ص ١١ ، ٢٠ — ٢٢ (٨) D. Sourdel ، *Le vizirat ábbaside* ، جـ ١ ، دمشق سنة ١٩٥٩ ، الفهرس .

[D. Sourdel سوردل]

+ « بُغا الكبير » : قائد تركى عسكرى كان له شأن سياسى فى تلك الفترة المضطربة من الخلافة العباسية ، وقد أبلى بغا الكبير فى ظل الخليفة المعتصم

وخلفائه بلاء حسنا فى عدة حملات شنت على القبائل المنتقضة فى إقليم المدينة سنة ٢٣٠هـ (٨٢٤ — ٨٤٥) وفى أرمينية سنة ٢٣٧هـ (٨٥١ — ٨٥٢م) وعلى البوزنطيين (الروم) سنة ٢٤٤هـ (٨٥٧م) : وكان غائبا وقت اغتيال المتوكل سنة ٢٤٧هـ (٨٦١م) فعاد من ثم إلى سامرا وانتصر لقضية الضباط الأتراك الآخرين ، وفرض ولاية المستعين للعرش سنة ٢٤٨هـ (٨٦٢ م) . وتوفى فى هذه السنة .

وقد قيض لابنه موسى بن بغا أيضا أن يكون له مكان بارز فى المسرح السياسى بسامراء ، وقام مدة من الزمن على « البريد » .

المصادر :

(١) الطبرى ، الفهرس (٢) اليعقوبى ، الفهرس (٣) البلدان » ص٢٦٢ (٤) البلاذرى : فتوح البلدان » ص٢١١ (٥) المسعودى : مروج الذهب » ج٧ ، الفهرس (٦) التنوخى : نشوار المحاضرة ، ج٨ ، ص٤٥ — ٤٨ (٧) ابن الأثير ، الفهرس

خورشيد [سوردل D. Sourdel]

« بغبور » : (انظر مادة « فغفور ») .

+ « البُغْتورى » مقرين بن محمد : مؤرخ وكاتب سير إباضى ولد فى قرية بغتورة (ويقال أيضاً: بقطورة) فى الإقليم الغربى لجبل نفوسة (انظر هذه المادة) . وجاء فى كتاب السير لأبى العباس أحمد ابن أبى عثمان الشماخى (انظر هذه المادة) — وهو كتاب إباضى هام فى التاريخ والسير يرجع إلى القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) — أن البُغْتورى أخذ على عالمين إباضيين فى التاريخ والسير هما أبو يحيى توفيق بن يحيى الجَنّاوُنى وأبو محمد عبدالله بن محمد بن عبد الله بن مقصود (ويعرف أيضاً بالمَجولى) . وفى أثناء دراسته على الشيخ الأول منهما فى قرية إجناوُن (ويقال لها أيضاً « جَنّاوُن » وهى اليوم « جِنّاوِن » فى إقليم جادو) كتب البغتورى فى شهر ربيع الثانى ٥٩٩ (ديسمبر سنة ١٢٠٢ — يناير سنة ١٢٠٣) أهم كتبه فى سير أعيان الإباضية الذين ولدوا بجبل نفوسة . وهذا الكتاب — الذى عرف باسم « كتاب سير مشايخ نفوسة » « وسير نفوسة » وربما اشتهر أكثر باسم « السير » — مفقود اليوم وهو أهم مصدر لكتاب السير للشماخى الذى أورد مختارات هامة منه وخاصة فى أواسط كتابه (١٤٣ — ٣٤٤) . والراجح أن نسخة كتاب البغتورى التى كانت بين يدى الشماخى نسخت فى السنوات الأولى من القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) على يد يحيى بن أبى العز الشماخى التغرْمينى ، وهو نساخ إباضى مشهور وعالم من جبل نفوسة .

المصادر :

(١) أبو العباس أحمد الشماخى : كتاب السير ، القاهرة سنة ١٣٠١هـ (١٨٨٣م) فى مواضع مختلفة (وخاصة ص ٢١٢ ، ٥٤٢ — ٥٤٣ ، ٥٤٨ ، والفهرس ص ٥٧٨) (٢) T. Lewicki : *Une chronique Ibadite* فى *Revue des Etudes Islamiques*

سنة ١٩٣٤ ، الكراسة ١ ، ص ٧٤ — ٧٥ ، وفى مواضع أخرى (٣) الكاتب نفسه : *Etude ibadites nord africaines* ، جـ ١ : *Tasmya Shuyukh Djabal Nafusa* — *Qurahem* ، وارسو سنه ١٩٥٥ ، ص ١٥ ، ٦٩،٢٨ وفى مواضع أخرى ؛

خورشيد [لويكى T. Lewicki]

«بَغْداد» : حاضرة العراق (بابل) (١) فى الوقت الحاضر ، وقد كانت فيا مضى قصبة العباسيين الزاهرة وعاصمة العالم الإسلامى ، وهى الآن أعظم البلاد شأناً فى الولاية المعروفة بالاسم نفسه والتى كان يحكمها باشا فيا سلف ، ويخترقها دجلة ، وهى على خط عرض ٣٩° ١٩' شمالا وخط طول ٤٤° ٤٤' شرقى گرينوتش ،

١ — تاريخها

اسم بَغداد — ونطقه الشائع الآن «بُغداد» — فارسى من غير شك ، ومعناه عطية الله أو هبته . وقد روى فى العصور الوسطى بصيغ مختلفة ، منها بَغْدان وهى أكثرها ذيوعاً (Streck : M. *Babylonien* ، جـ ١ ، ص ٤٩ ؛ De Geoje المجلة الأسيوية ، السلسلة العاشرة ، جـ ٣ ، سنة ١٩٠٤ م ، ص ١٥٩) . وكان الناس يفضلون دائماً هذا الاسم الجاهلى بغداد (٢) ، أما الاسم الذى أطلقه المنصور على المدينة التى أنشأها وهو «مدينة السلام» أو «دار السلام» ، فقد انحصر استعماله فى الشئون الرسمية بصفة عامة ، ومن ثم ضربت السكة به ، وقد أخذ منه اللفظ اليونانى إيرونوبولس : وتضاربت أقوال كتاب العرب تضارباً كبيراً فى أصل هذا الاسم الأخير ومعناه ، ولعل المنصور تفاءل به فاختاره لحاضرة ملكه .

ومن المؤكد أن دار السلام (انظر هذه المادة) فيها إشارة إلى الجنة ، لأننا نجد بعد ذلك أن بغداد أصبحت أحد المواضع الأربعة التى أطلق عليها المسلمون جنة الأرض ، وهذه المواضع هى الأبلة وغوطة دمشق ووادى بَوّان ببلاد فارس وبغداد . ومهما يكن من شىء فإن الفرس قد فهموا مدينة السلام أو دار السلام على هذا المعنى ، وشاهد ذلك أنهم نقلوه إلى لغتهم فقالوا « بهشت آباذ » أى موضع الجنة ، أو الجنة العامرة إذا شئت التدقيق . وهم يستعملون هذه التسمية فى الشعر غالباً كما يفعل الأتراك الذين نقلوها عنهم . وتنسب بغداد أحياناً إلى منشئها فيقال « المنصورية » . ولها اسم آخر يشوبه الإبهام هو « الزَّوْراء » ولعله صيغة عربية لكلمة إيرانية قديمة أكسبها خضوعها للصور القياسية الشائعة معنى جديداً (Le Strange : *Baghdad* ، ص ١١ ؛ Streck : *Babylonien* ، جـ ١ ، ص ٥٠ ؛ Salmon : تاريخ الخطيب البغدادى ، ص ٩٤ ؛ P. Schwarz : *Die Abbasiden-Residenz Samarra* ، ليبسك ١٩٠٩ ، ص ٣٨ وما بعدها) .

وكثيراً ما خلط الرحالة الأوروبيون فى القرون

(١) بابل مدينة قديمة كانت عاصمة دولة بابل ، اما العراق فقطر مساحته ١٤٣٠٠٠ كيلو متر . وبابل جزء صغير جدا من العراق الوسطى لا تتجاوز مساحته الخمسين كيلو مترا .

(٢) قد تحقق اليوم ان اللفظة ليست بفارسية بل هى آرامية تفيد معنى باب الإله او باب الغنم او دار الغزل . فهى بل هودو او بكداد او بيت كدادا .

عبد الرزاق الحسنى

الوسطى بين بغداد وبابل كما خلطوا فى بعض الأحيان بينها وبين سلوقية وطيسفون. فقد وردت بغداد فى مؤلفاتهم باسم بابل Babel وبابلونيا Babellonia وغيرهما من الأسماء المشابهة » وإطلاق هذه التسمية الأخيرة على بغداد شائع فى التفاسير التلمودية لشيوخ العشائر البابلية فى العصر العباسى وفى مصنفات اليهود المتأخرين. وكان پترو دلا قاله Pietro della Valle الذى عاش فى بغداد بين عامى ١٦١٦ و ١٦١٧ م أول من دحض هذا الخطأ الذى فشا فى عهده : وكان الغربيون إلى القرن السابع عشر الميلادى يعرفون بغداد بالصيغة المحرفة بلدخ Baldach أو بلدتشو Baldacco .

ومن المحقق أنه كانت هناك محلة منذ عهد سحيق فى المكان الذى أصبح بعدُ مقر الخلافة . فقد وجد كل من رولنسون H. Rawlinson عام ١٨٤٨ م وأوپرت J. Oppert عام ١٨٥٣ وپونيون وهارپر Pognon-Harper عام ١٨٨٩م قطعاً من الآجر نقش عليها اسم بختنصر الثانى مأخوذة من محجر لا يزال جزء منه باقيا إلى اليوم على الضفة الغربية لدجلة[1] (H. Rawlinson فى Encycl. Britan. ، مادة بغداد ، المجلد الثانى » ص ٢٣٤، عمود ١؛ G. Rawlinson : Herodotus » لندن ١٨٥٢ ، ج ١ ، ص ٥١٣ ؛ J. Oppert : Exped. Scientif. ، ج ١ ، ص ٩٢ ؛ Harper : The Academy ، ١٨٨٠ ،رقم ٨٧٧ ، ص ١٣٩) .

وهناك بقايا بناء يشبه هذا المحجر أسفل المدينة الحالية بالقرب من قناة الحيرَ » .

وليس لدينا حتّى اليوم دليل يؤيد الزعم القائل بأن بغداد رسمت فى النقوش المسمارية بصيغة » بكدادو » لأننا إذا أخذنا بهذا أصبح فى مقدورنا أن نقرأ » حَدَدو » بدلا من » كُدُرّو » وهو الاسم المشكوك فيه لمكان ظهر لأول مرة على حجر من معالم الحدود للملك البابلى » » مردخ بلادان » الأول الذى حكم من عام ١١٩٤ إلى ١١٨٢ق م (Scheil : Délég. en Perse ، ج ٦، ١٩٠٥ ، ص ٣١ وما بعدها ؛ Streck : Mitt. der Vorderas Ges. » ج١١،ص ٢٢٧) زد على هذا أنه ليس من المعقول أن اسما لا شك فى إيرانيته يرجع إلى مثل هذا العهد السحيق، كما أن ماذهب إليه لتمان Littmann من أن هذا الاسم ورد فى نقوش ثمود مشكوك فيه (Euting » رقم ٥٦٥ ؛ Littmann : Mitt. der Vorderas Ges. » ج ٤ ، ص٢٨) ، ونجد من جهه أخرى أنه من المقطوع بهأن هناك إشارتين فى التلمود إلى بغداد فى العصر الجاهلى، فقد وردت فيه بصيغة [illegible] وانظر Berliner : Beitr. z. Geogr. u. Ethnogr. Babyloniens im Talmud u. Midrasch » برلين سنة ١٨٨٣ ، ص ٢٥) ويمكن الرجوع إلى بحث بلوشيه Blochet فيما يختص باحتمال ورود بغداد فى نص پهلوى باسم بكداد (Bolchet فى Recueil de Travaux ج ١٧، ص ١٧٠) .

ووضعت مدينة » ثلى » فى موقع بغداد بمصور بطلميوس (بطلميوس » ج ٦ » ص ١) كما أن

(١) لم يبق أى جزء من هــذا الاثر ظاهرا ، وقد يجوز أن هناك جزءا صغيرا منه قد غمرته مياه دجلة .

عبد الرزاق الحسنى

مدينة ستاكى التى وردت بمصنف أكسينفون (*Anabasis* ، ١ ، ١٣) كانت مجاورة لموقع بغداد (انظر R. Kiepert فى *Formae orbis antipui* ج ٥ ، عام ١٩١٠ ، ص ٦).

ومن الخطأ أن نقول إن إسكى بغداد (انظر هذه المادة) التى فوق سامراء هى أصل مدينة بغداد الحالية ، استناداً إلى أن كلمة إسكى معناها بالتركية قديم ؛ وإن كانت هذه التسمية لم تنشأ إلا منذ عهد قريب ، فقد جرت العادة بأن تسمى الأطلال باسم المدينة الشهيرة التى تجاورها . وشاهد ذلك قولنا إسكى موصل . ويطلق اسم بغداد على مكان آخر فقط فى المشرق هو تل بغداد فى الجنوب الشرقى من الرها أسفل خط عرض ٣٧° شمالا . (Sachau : *Reise* ، *Syr. u. Mesop.* ص ٢١٦) .

وأجمع كتاب العرب على أن المنصور لم يشد مدينته فى إقليم خلو من السكان ، وذكروا بيانا كاملا بأسماء محلات جاهلية أخذت تندمج تدريجاً فى الأماكن التى شملتها العاصمة العباسية فيما بعد ؛ وكانت بغداد أهم هذه الأماكن ، وهى قرية نصرانية من أعمال بادوريا (انظر هذه المادة) على الضفة اليسرى لدجلة ، ويلوح أنها كانت تشمل المدينة المدورة التى بناها المنصور ، كما أنها أضحت نواة لحاضرة العباسين الجديدة ، بل إن بغداد قد أخذت اسمها الشائع منها . ويجب أن نبحث عن معظم المحلات القديمة التى كان جل سكانها من النصارى الآراميين فى النصف الجنوبى الذى أصبح فيما بعد الجانب الغربى للمدينة التى على الضفة الغربية لدجلة ، فيه نطاق الحى الكبير الذى به السوق الكبيرة ، أى فى الكرخ وما جاور الكرخ شرقا وغربا ؛ وفى هذا الإقليم قرى أصلها ساسانى نذكر منها ما يلى : بَياوَرَى أو بَناورى وسال وشَرَّوانية ، وسونايا (وقد أصبح اسمها فيما بعد « العَتيقة ») ، ووَرْدانية ، وورْثال أو ورَثالا .

وأخذت مدينة الكرخ اسمها من قرية قديمة سابقة لها فى العهد أسسها الملك الساسانى سابور الثانى الذى حكم من عام ٣٠٩ إلى ٣٧٩م . وكلمة الكرخ تقابل فى الآرامية كلمة كرخا ومعناها مدينة .

وكانت « بَراثا » التى على مسافة من الشمال الغربى للكرخ بليدة قائمة بذاتها قبل عهد العباسين ، ولكن الجانب الغربى من بغداد اتسع بمرور الزمن فاحتضنها . وكانت قريتا الخطابية والشَّرفانية موجودتين فى النصف الشمالى من هذا الجانب قبل أن يحل عهد المنصور . وقد عرف هذا النصف فيما بعد بحى الحربية .

ويقول أكسينفون إن الأكمينين كانوا يملكون حدائق فسيحة فى إقليم بغداد عند سِتّاكه Sittake ، وهذا القول ينطبق أيضاً على ملوك الفرس المتأخرين ؛ وأنشئت عمائر فى حديقتين من هذه الحدائق الساسانية فكونتا حين هما دار عمارة بن حمزة وبستان القَسّ ؛ وابتنى الساسانيون بالقرب من مصب نهر عيسى قصراً أطلق عليه فيما بعد اسم « قصر عيسى » . وأقيم فى عهدهم قنطرة وصلت هذه البقعة بالضفة الشرقية لدجلة . وفى هذا المكان أقيم

فيا بعد جسر من القوارب وصل بين قصر الخلفاء وقصر عيسى . وكان هناك جسر آخر مشيد فى الجاهلية فوق قناة الصراة فى الجنوب الغربى من الكوفة ، ويعرف هذا الجسر بالقنطرة العتيقة ؛ ولا يوجد من الأماكن التى فى شرقى دجلة ما يرجع عهده إلى ما قبل العباسيين سوى سوق الثلاثاء على نهر المعلّى ومحلة المخرّم ، وهى أول محلة سكنت فى عهد عمر بن الخطاب . وليست هناك صلة بين سوق الثلاثاء وثالثا المذكورة فى بطلميوس (ج ٥ ، ص ١٩) ، لأن ثلّى لاثالثا هو الموضع الذى يتفق وموقع بغداد فى عصور بطلميوس ؛ ويؤكد كتاب العرب أيضا أن المكان الذى أصبح فيا بعد مقبرة الخيزرانية كان قبل عهد المنصور مقبرة للمجوس ؛ ولا شك فى أن معظم أديرة النصارى التى ازدهرت فى بغداد إبان العهد الساسانى قد شيد فى الجاهلية ، ولدينا من الشواهد الأصلية ما يفيد أن قصر الخلفاء المعروف بالخلد على الضفة الغربية لدجلة شيد مكان دير قديم ، وأن مكاناً من الأمكنة التى عند ملتقى الصراة بدجلة قد أنشئ لمثل هذا الغرض ، كما نستدل من الاسم الذى أطلق عليه فى عصور متأخرة وهو « الدير العتيق » .

ولم يكن لمحلة من هذه المحلات القديمة الكائنة فى الموقع الذى قامت عليه بغداد فيا بعد أى شأن من الناحيتين السياسية والتجارية ؛ ولذلك فإننا لا نعدو الحقيقة إذا قلنا إن المدينة التى ابتناها المنصور ثانى خلفاء العباسيين كانت مؤسسة جديدة بمعنى الكلمة .

وجرت العادة فى المشرق أن يعقب تغير الأسرة الحاكمة انتقال مقر الحكم ، وقد كان من المتعين على العباسيين بصفة خاصة أن يتخلوا عن دمشق قصبة أسلافهم التى ظلت على ولائها للأمويين ، لأن هذه المدينة كانت قريبة من حدود الروم كما كان مركزها القاصى ناحية الغرب لا يلائم دولة تمتد أراضيها من البحر الأبيض المتوسط إلى نهر السند . ومن السهولة بمكان أن نتوقع أن تنقل الأسرة الحاكمة الجديدة مقر ملكها من الشام ، وهو إقليم فقير ضئيل الشأن ، إلى العراق الغنى بموارده الطبيعية . زد على هذا أن إقليم العراق قدر له أن يكون حلقة الاتصال بين العالم السامى والعالم الإيرانى فأصبح بذلك واسطة العقد بين العنصرين الرئيسيين اللذين تألفت منهما الجماعة الإسلامية . ومما يجدر ذكره أيضا أنه فضلا عن أن جل قوة العباسيين كانت فى فارس لاعتمادهم على جند خراسان ، فإنه لاشك فى أنه كانت لهم مصلحة خاصة فى نقل حاضرتهم ناحية المشرق ، وما إن قاموا بتأسيسها حتى غدت ذات خطر فى السياسة والثقافة .

وإنا لنجد أيضاً أن السفاح أول خلفاء بنى العباس قد اتخذ مقره على ضفتى الفرات فلم يختر البصرة أو الكوفة ، وهما المدينتان الكبيرتان اللتان كانتا موجودتين منذ الفتح الإسلامى الأول للعراق ، وبديهى أن هذا لم يأت عفواً . فقد كان أهل الكوفة نزاعين إلى الشغب هواهم مع العلويين ، أما البصرة فكانت لا تصلح حاضرة للدولة بالنسبة لموقعها فى الجنوب . ولذلك فضل السفاح الهاشمية (انظر

هذه المادة) بالقرب من الأنبار ، وشيد خلفه المنصور مقراً له بهذا الاسم على مقربة من الكوفة ، ولكنه سرعان ما تخلى عنه لأنه كان مجاوراً للكوفة البغيضة إلى نفسه لتعصبها للعلويين ، وبحث المنصور عن مكان جديد يصلح مقراً لحكمه وجنده ، واختار آخر الأمر بقعة على دجلة فوق مصب نهر عيسى ، وهو أكبر قناة من قنوات الفرات ، وكان فى هذه البقعة كما سبق أن بينا قرية تعرف ببغداد وعدة محلات صغيرة أخرى .

ويجدر بنا أن نعترف بأنه قد تحقق الطالع الذى أنبأ الخليفة بحسن هذا الموقع وصلوحه لتشييد حاضرته الجديدة ، والحق إن الخليفة لم يكن أمامه أطيب منه ، لأن الأرض الخصبة التى تمتد بين دجلة والفرات عند اقتراب أحدهما من الآخر حيث تصل بينهما قنوات صالحة فى بعض أجزائها للملاحة فتتألف من هذا كله مجموعة مائية منظمة ، وحيث يصب ديالى[1] فى دجلة فيكون ممراً طبيعياً تمكن بواسطته الوصول إلى الهضاب الإيرانية المرتفعة ، هذه الأرض كانت على الدوام موطناً للحضارة ومهداً للثقافة الشرقية القديمة ومركزاً للتجارة وملتقى عدة طرق تصل بين مختلف الأمم . فقد تعاقبت فى هذه البقعة الحواضر العظيمة مثل بابل وسلوقية وطيسفون، وورثت مدينة الخلفاء الجديدة هذه الحواضر ، وكانت على مسيرة يوم (سبعة فراسخ أو حوالى أربعين كيلومتراً) من طيسفون العاصمة التى سبقتها فى الزمن مباشرة .

والحق إن امتداد البطائح فى المجرى الأسفل للفرات جنوبى بابل وصعوبة الاتصال الملاحى المتزايدة بالخليج الفارسى يفسرلنا لماذا كان موقع العاصمة منذ العهد السلوقى يختار دائماً على نهر دجلة

وضع المنصور أول حجر فى بناء عاصمته الجديدة عام ١٤٥ هـ (٧٦٢م) وجمع العمال من بابل وغيرها ، ويقال إن عددهم بلغ مائة ألف ، فأتموا فى أربع سنوات إنشاء مدينة عظيمة على الشاطئ الغربى لدجلة وفق خطة تجعلها مدورة . وبنى فى وسطها قصر الخليفة المعروف بباب الذهب أو القبة الخضراء ، والمسجد الجامع . وجلبت معظم الأحجار اللازمة للبناء من أطلال طيسفون المجاورة . وقد نشأت المدينة بمعناها الحقيقى حول نواة مدورة ثم قسمت إلى أحياء منفصلة وسرعان ما اتسعت اتساعاً كبيراً ، ومن الواضح أن المنصور قد شعر سريعاً أنه منعزل فى قصره لتزايد السكان من حوله ، أو لعله لم يكن آمناً على نفسه ، فشيد بعد بضع سنوات من بناء المدينة المدورة قصراً آخر على دجلة خارج أسوار المدينة وإلى الشرق منها : هو قصر الخُلْد . ولا يعتبر المنصور مشيد الجانب الغربى من بغداد ، أى المدينة التى على الضفة اليمنى لنهر دجلة فحسب ، بل إنه يعتبر أيضاً مشيد القسم الشرقى الذى بنى بعد الأول . وفى عام ١٥١ هـ (٧٦٨م) شيد عدة مبان فى شمالى المدينة لولده وولى عهده المهدى ، وأهم هذه المبانى قصر الرصافة .

(١) يغلط معظم كتاب الشرق فى كتابة هذا العلم « ديالى » بالتاء المفتوحة وصوابه الألف المقصورة .

عبد الرزاق الحسنى

ولم يكن المنصور يقصد بحال أن ينشيء حاضرة الدولة فى بغداد بل كان غرضه اول الأمر هو إقامة مدينة على مقربة من الكوفة يعسكر فيها جنوده الخراسانيون ، ولذلك قسم الأراضى التى حولها إلى قطاعات وزعها بين أقاربه ومواليه وقواد جيشه . وفعل مثل هذا عندما ابتنى الرصافة : وقد يورد اليعقوبى والخطيب البغدادى بياناً بهذه الإقطاعات .

وينقسم تاريخ بغداد الذى يبدأ بالمنصور إلى عهدين عظيمين : الأول عهد بنى العباس الذى دام خمسمائة سنة ، وكانت فيه بغداد—فيما خلا فترة تبلغ خمسة وخمسين عاماً—قصبة دولة إسلامية عظيمة شاسعة الأطراف ، وغدت مركز الحياة العقلية وأهم مركز تجارى للشرق الأدنى ، وكسفت شمسها حواضر الولايات فى العالم الإسلامى بل إنها احتلت أرفع مكان فى العالم المتمدين فى ذلك العهد بفضل اتساعها وازدهارها وثروتها . أما العهد الثانى فيبدأ بسقوط الخلافة العباسية إلى وقتنا هذا ، ولم تكن هذه المدينة فى هذا العهد سوى حاضرة ولاية من الولايات ، اللهم إلا فترات كانت خلالها المشتى المختار لبعض الإيلخانية . وهكذا كانت حالها إبان الحكم التركى ، فقد ظلت مدة طويلة عالية المكانة باعتبارها قصبة أكبر ولايات الترك وأهمها : كانت تعادل مصر أو تأتى بعدها ، وتقلصت رقعة ولاية بغداد منذ ذلك الحين ، وضعف لذلك سلطانها السياسى وانحصرت أهميتها شيئاً فشيئاً فى الناحية التجارية ، واستعادت فى هذه الناحية الكثير من مجدها القديم وظلت محتفظة به إلى يومنا هذا ، والحق إن تاريخ بغداد بأكمله فى عهدها الأول هو فى الواقع تاريخ بنى العباس ، ولذلك فإنه يجدر بنا فى هذا المقام أن نقتصر على فذلكة خاصة بتطور التاريخ المحلى لهذه المدينة بمعناه الضيق .

بلغت بغداد ازهى عصورها فى القرن الذى أعقب وفاة المنصور ، أو بوجه أدق فى عهد خلفائه الخمسة من المهدى إلى وفاة المأمون ، أى من عام ١٥٩ إلى ٢١٨ هـ (٧٧٥ — ٨٣٣ م) ، إذ كانت مساحة المدينة خمسة أميال مربعة او ستة فى الوقت الذى ارتقى المهدى فيه العرش ، ولما نقل هذا الخليفة بلاطه إلى الرصافة ، اى الحى القائم على الشاطيء الشرقى لدجلة ، اتسع هذا القسم من المدينة سريعاً ، واستقرت هناك فى الوقت نفسه الأسر الغنية واتباعها من العبيد والموالى الذين يبلغون بضعة آلاف ، وشيدت فى هذا القسم قصور فخمة اجملها القصر الذى كان مسرحاً للهو والسرور وهو قصر اسرة البرامكة المشهورة ذات الحول والطول الذى انتقل إلى بيت الخلافة بسقوط هذه الأسرة الفجائى ، وأصبح بذلك نواة المبانى العظيمة التى كان يتألف منها قصر الخلفاء على الشاطيء الشرقى لدجلة ، وفى بداية حكم الرشيد ، ولعله أزهى عهود المدينة ، أصبح القسم الشرقى ينافس فى الاتساع القسم الغربى .

وبعد عامين من وفاة الرشيد اشتجر الخلاف بين ولديه الأمين والمأمون ، وحوصرت بغداد لأول مرة فى تاريخها ودام هذا الحصار أربعة عشر شهراً . وحوالى نهاية عام ١٩٦ هـ (٨١٢ م) أطلق جند هرثمة وطاهر ، قائدى المأمون ، على الأمين فى

بغداد وعزل هرثمة الجانب الشرقى الذى لم يكن يحميه سوى سور سرعان ما أزاله ، بينما عسكر طاهر أمام باب الأنبار فسيطر بذلك على الجانب الغربى ، وحدثت مناوشات بين جنود الأخوين المتقاتلين ، ودب الشجار بين جنود الحامية والسكان اليائسين ، وامتلأ زمن الحصار بالدسائس والغدر على اختلاف أنواعه ورزح الجانب الغربى تحت المجانيق ، وتخرب الجزء الأكبر من نصفها الشمالى المعروف بالحربية . ووجد الخليفة نفسه آخر الأمر منعزلا فى قصر الخلد على شاطىء دجلة ، وما لبث أن وقع فى الأسر وهو يحاول الفرار ، وقتل فى أوائل عام ١٩٨هـ (٨١٣ م) وبموته رفع الحصار وأصبحت بغداد المزدهرة خرائب ورماداً لأول مرة فى تاريخها . فقد دمرت النيران أحياء بأكملها وأتت على سجلات الدولة كلها ، ولم ينتعش الجانب الغربى الذى كان أكثر تعرضاً للنيران من سواه بل إنه لم يعد إلى ما كان عليه من اتساع . والطبرى هو المصدر الذى ينبغى الرجوع إليه فى أخبار الحصار الأول لاستفاضة رواياته ولما أورده فى وصف المدينة من التفاصيل الدقيقة القيمة ، أضف إلى ذلك أن ما ذكره الطبرى هو أقدم ما وصل إلينا فى هذا الموضوع (الطبرى ، جـ٣ ص٨٦٤ — ٩٢٥ ؛ Weil : *Gesch. der Chalifen* ، جـ ٢ ، ص١٩٠ وما بعدها ؛ Mueller : *Der Islam* ، جـ ١ ، ص٥٠١ وما بعدها ؛ Le Strange : *Baghdad* ، ص ٣٠٣ — ٣٠٦ ، وما بعدها) .

وأثار موت الأمين سخط أهل بغداد ، وتمكن إبراهيم بن المهدى العباسى بفضل الخلاف بين الناس الذى اتخذ صورة الشغب من أن يستولى على بغداد ويصبح صاحب الأمر فيها ما يقرب من عامين ، غير أن خيانة قواده أجبرته على تسليم المدينة وزمام الحكم إلى الخليفة المأمون . وقد ألحق الحصار الذى حدث فى عهد الأمين ضرراً جسيما بقصرى الخلفة ، وهما قصر الذهب فى سرة مدينة المنصور المدورة وقصر الخلد على دجلة ، فنقل المأمون مقر الحكم إلى الجانب الشرقى من المدينة ، واستولى على قصر البرامكة السابق ذكره وبسط فى رقعته . وفى عهد خلفه المعتصم الذى حكم من عام ٢١٨ إلى عام ٢٢٧ هـ (٨٣٣ — ٨٤٢ م) قدر لبغداد أن تنزل عن مركزها الممتاز باعتبارها حاضرة الدولة إلى بليدة ضئيلة الشأن هى سامراء على مسيرة ثلاثة أيام من منبع النهر ، وذلك لمدة خمس وخمسين سنة . فتحولت سامراء فى طرفة عين إلى مقر فخم للخلافة ؛ والسبب المباشر لنقل مقر الخلافة إلى هذه المدينة عام ٢٢١هـ (٨٣٦م) هو أن أهل بغداد أسخطتهم قسوة الجند الخلط من الترك والبربر الذين غلوا فى عهد المعتصم جيشاً عدته حوالى سبعين ألف مقاتل ، لأن الاحتفاظ بمثل هذه الحامية الكبيرة فى حاضرة الدولة أمر محفوف بالصعاب ، ويلوح أن حرمان بغداد من بلاط الخلفة وعمال الدولة لم يحل بينها وبين التقدم ، وكانت هذه النقلة تشعر بأنها خسن الحظ موقوتة لا يرجى استمرارها طويلا . وكان يحكم بغداد خلال هذه الفترة عمال معظمهم من أسرة بنى طاهر القوية النفوذ .

وفى هذه الفترة التى تعرف بالعصر السامرائى فى تاريخ الخلافة حدث الحصار الثانى لبغداد الذى

شغل جل عام ٢٥١ هـ (٨٦٥ م) تقريباً . وأخذ استبداد العمال فى سامراء يشتد شيئاً فشيئاً . وكان الترك يقتتلون فيما بينهم . ففر المستعين إلى بغداد فى القسم الأصغر من جنده . أما القسم الأكبر من الجنود الترك فقد بقى فى سامراء وبايعوا المعتز ابن عم المستعين بالخلافة ، ولم يجد المستعين فسحة من الوقت يتم فيها السور حول الجانب الشرقى بأسره والجانب الغربى من بغداد ، إذ فاجأه المعتز على رأس جيش وبدأ يحاصر الحاضرة القديمة .

وعلى الرغم من الجهود التى بذلها المحاصرون فى الدفاع عن أنفسهم خوفاً من عودة الحكم التركى الباطش واستماتتهم فى الدفاع ، فإن المستعين بضعفه وتردده اضطر إلى التسليم آخر الأمر بشروط مهينة ، وتنازل عن كل حق له فى الخلافة . وبينما قضى الحصار الأول الذى حدث فى عهد الأمين على ازدهار الجانب الغربى من بغداد إلى الأبد فإن الحصار الثانى الذى حدث فى عهد المستعين أصاب الجانب الشرقى بأضرار جسيمة ، وتخربت أهم أحيائه كالرصافة والشماسية والمخرم وأعيد بناء أجزاء منها فقط بعد ذلك (انظر أخبار هذا الحصار الثانى فى الطبرى ، جـ ٣ ، ص ١٥٥٣ — ١٥٧٨ ، Weil : كتابه المذكور جـ ٢ ، ص ٣٨٥ وما بعدها ، Mueller : كتابه المذكور جـ ١ ، ص ٥٢٨ ، Le Strange كتابه المذكور ، ص ٣١١ وما بعدها) . وظلت الأمور بعد الحصار على اضطرابها وسادت القلاقل وأعمال الشغب فى الأعوام ٢٤٩ هـ (٨٦٣م) و ٢٥٣ هـ (٨٦٧ م) و ٢٥٥ هـ (٨٦٩م) بنوع خاص : (Weil : كتابه المذكور ، جـ ٢ ، ص ٣٨١ وما بعدها ، ص ٤٠٢ وما بعدها ص ٤١٢) .

وأخذ مركز الخليفة فى سامراء يتحرج شيئاً فشيئاً لأنه كان فى الواقع تحت رحمة القواد من مرتزقة الترك . ولذلك فإن المعتمد سابع الخلفاء بعد المعتصم هجر قصر الخلافة عام ٢٧٩ هـ (٨٩٢ م) ، وهو القصر الذى اختاره سلفه المعتصم وجعل بغداد حاضرة الدولة للمرة الثانية ، ولم يكن يزعجها الترك والبربر الذين كان يحزم أمرهم أخوه الموفق . وظلت حاضرة للدولة لا تنازعها فى ذلك مدينة أخرى حتى سقطت دولة بنى العباس . وبين رجوع الخلفاء إلى الحاضرة القديمة ودخول أمراء بنى بويه خمسون عاماً امتازت بامتداد قصر الخليفة امتداداً عظيماً فى الجانب الشرقى ، وأظهر الخلفاء الثلاثة الذين تولوا بعد المعتمد — وهم المعتضد والمكتفى والمقتدر — نشاطاً فائقاً فى هذا السبيل . وشيدت فى العهد نفسه عدة قصور وحدائق شغلت نحو ثلث مساحة الجانب الشرقى بأسره ، وكانت تفصلها أسوار عن بقية المدينة . وسرعان ما نشأت أحياء جديدة مكتظة بالسكان حول الحى الفسيح الذى يشغله قصر الخليفة .

وساد السلام بغداد فى عهدى الخليفتين الحازمين المعتضد والمكتفى ، إذ أن الجند من الأتراك لم يجسروا على رفع رءوسهم فى هذه الحقبة ، ولكن ما إن مات المكتفى حتى أخذت سلطة الخلفاء فى التدهور السريع ، وازدادت القلاقل على الأيام فى العاصمة وبخاصــة فتن الجند المصحوبة

بالحرائق وأعمال السلب والشغب مما أدى إلى اضمحلالها السريع . . .

[شترك M. Streck]

وتحسنت الأحوال عندما استولى على بغداد معز الدولة أحمد الديلمى البويهى عام ٣٣٤ هـ (٩٤٥ م) وجمع فى يده ما كان للخلفاء من سلطان ، واستمر الحكم فى بيته أكثر من قرن . واستولى الأمير البويهى فى الجزء الشمالى من الجانب الشرقى على قصر الأمير السابق مؤنس وبنى هو وخلفاؤه من ذوى الميل الفنى على توالى الزمن عدة قصور فخمة فى ذلك الجزء من المدينة الذى أصبح قفراً منذ حصار عام ٢٥١ هـ ، وقد عرفت جميع هذه القصور باسم « دار المملكة » : ومما تجدر الإشارة إليه أن عضد الدولة أعاد بناء قصر الخلد الذى كان للمنصور وجعل منه بيمارستان ، وأثارت ميول بنى بويه الشيعية فى كثير من الأحيان عدة فتن :

وبينما كان أهل الكرخ فى الجانب الغربى على ما عرف عنهم من نشاط يميلون إلى التشيع . كانت الأحياء الأخرى يسكنها أناس معظمهم من أهل السنة ، ولهذا لم يستطع البويهيون قط أن يعيدوا المدينة إلى ما كانت عليه فى أزهى أيامها . ولو أن السبب الأساسى الذى من أجله فشلت جهودهم هو انقسام البيت البويهى نفسه بعد وفاة عضد الدولة عام ٣٧٢ هـ (٩٨٣ م) واقتتال أفراده ، وانغمست بغداد فى هذا النضال أكثر من مرة . وسادتها الفوضى فى كثير من الأحيان ، وكانت المعارك الدموية بين أهل السنة والشيعة ، وبين الترك والديلم ، هى الصفة الغالبة على هذا العهد ، وانتهز العامة فرصة هذه القلاقل فأعملوا السلب والنهب بما تشتهيه نفوسهم . واستمرت الأحوال على هذا المنوال إلى أن وزر ابن المُسْلِمة للخليفة القائم بأمر الله ، فطلب العون من طغرل بك السلجوقى ، ودخل هذا بغداد عام ٤٤٧ هـ (١٠٥٥ م) : وبعد مضى بضع سنوات ، أى فى عام ٤٥٠ هـ (١٠٥٩ م) شبت فتنة البساسيرى الذى أمر بأن تكون الخطبة باسم الخليفة الفاطمى . وعلى ذلك اضطر العباسيون إلى هجر المدينة . ولكن هذا الأمر لم يدم طويلا . فما إن رجع طغرل بك بعد ذلك بعام حتى أجبر البساسيرى على مغادرة المدينة . واستعاد الخليفة القائم سلطانه عليها ، فأضحت الخلافة منذ ذلك الوقت فى حماية آل سلجوق الأقوياء . ولم يكن أمراء هذا البيت يقطنون بغداد وقتذاك ، بل إن ألب أرسلان لم يزر تلك الحاضرة قط ، ولكنهم أقاموا من قبلهم حاكماً عسكرياً نيط به العمل على استتباب الأمن فى المدينة . وكان ملكشاه أول من زارها منهم . ولم يقتصر فى ذلك على زيارة واحدة ، بل زارها مرات . وعقد عزمه فى سنيه الأخيرة على أن يجعل منها مشتى له . ولهذا الغرض أصلح قصر بنى بويه الذى أقام فيه ، ووسّعه ووضع أساس المسجد الجامع المعروف بجامع السلطان ، وعاجلته منيته فى سن مبكرة ، فلم يستطع إتمامه . فأكمل بعد وفاته ببضع سنين عام ٥٢٤ هـ (١١٣٠ م) ، وأقيمت فى بغداد وفى غيرها من المدن عدة مدارس

منها المدرسة النظامية التي أنشأها الوزير المشهور نظام الملك عام ٤٥٧ هـ (١٠٦٥ م) وسرعان ما ذاع صيتها وكانت في الجزء الجنوبي من الجانب الشرقي قريبة من ضفاف دجلة .

واشتهر الخلفتان المقتدى ، وحكم من عام ٤٦٧ إلى عام ٤٨٧ هـ (١٠٧٥ — ١٠٩٤ م) والمستظهر ، وحكم من عام ٤٨٧ إلى عام ٥١٢ هـ (١٠٩٤ — ١١١٨ م) بشغفهما بإقامة العمائر ، ففي اوائل حكم المستظهر بنى سوراً حول الجانب الشرقي لبغداد حيث يقيم الخلفاء ، أي في الحي المعروف باسم الحريم وما جاوره من أحياء . وهذا السور بأسره هو عين سور بغداد بصورته التي بقيت إلى وقت مدحت باشا في القرن الماضي . ويقول ابن حوقل (طبعة ده غويه ، ص ١٦٤ ، تعليق ع ؛ انظر ابن الأثير ، طبعة تورنبرغ ، جـ ١١ ، ص ٢٦٠) إن الخليفة المستضيء هو الذي بنى هذا السور عام ٥٦٨ هـ (١١٧٣ م) ولو أن المستظهر هو الذي بدأ بنايته على التحقيق ؛ ويقول ابن جبير الذي وصف هذا السور بعد ذلك ببضع سنين أي عام ٥٨١ هـ (١١٨٥ م) ، إن لهذا السور أربعة أبواب نذكرها مبتدئين من الجانب الذي يلي دجلة ناحية الشمال :

(١) باب السلطان ويعرف الآن بباب المعظَّم.

(٢) باب الظفريّة ، ويعرف الآن بالباب الوسطاني .

(٣) باب الحَلْبَة ، وهو الآن مسدود ؛

(٤) باب البَصَلِيّة ، ويعرف الآن بالباب الشرقي ، وقد أطلق عليه نيبور Neibuhr اسم قرا لق قاپي (قرانلق قاپي) .

وساد بغداد السلام بصفة عامة في القرنين الأخيرين من العهد العباسي . وكانت الحرائق بطبيعة الحال تشب كثيرا بين الحين والحين ، كما حدث في عام ٤٦٦ هـ (١٠٧٤ م) وعام ٥٥٤ هـ (١١٥٩ م) و ٦١٤ هـ (١٢١٧ م) . وغمرها الفيضان الخطر عدة مرات ، ولم تكن الفتن وأعمال الشغب نادرة الحدوث . وكان المجرمون وقطاع الطريق يلقون الرعب في قلوب سكان المدينة ، ولكن بغداد لم ترزح تحت حصار شديد الوطأة إلا مرة واحدة على يد السلطان محمد الثاني السلجوقي عام ٥٥١ هـ (١١٥٧ م) وقد قص علينا أخبار هذا الحصار على اختلافها شاهد عيان هو الكاتب والمؤرخ عماد الدين (انظر هذه المادة : *Recueil de textes relatifs à l'histoire des Seldjoucides* ، جـ ٢ ، ص ٢٤٦ — ٢٥٥) واضطر هذا السلطان آخر الأمر إلى الارتداد عنها دون أن يظفر بطائل .

وابتنى اثنان من الخلفاء المتأخرين منشآت لا تزال باقية إلى يومنا هذا ، أولهما هو الخليفة الناصر لدين الله الذي رمم باب الحلبة عام ٦١٨ هـ (١٢٢١ م) وزينه بنقش كان أول من عرّفنا به نيبور ، ودرسه حديثاً كل من متوخ Mittwoch (في *Jahrbuch der koen. Preuss. Kunstsammlungen* ، المجلد ٢٦ ، ص ١٩) ، وبرشم M. van Berchem) في *Archaeologische Reise im Euphrat-und Tigris-*

Gebiet, Arabische Inschriften ، ص [redacted]) ، وقد فصل البحاثة برشم الكلام عن نقش رائع يزين حنيّ العقد الذى يعلو الباب — المسدود الآن — والمؤدى إلى البرج ويعرف الآن بباب الطلسم . أما الخليفة الثانى المستنصر بالله فقد ابتنى مدرسة نستدل من نقش نشره نيبور لأول مرة أنها بنيت عام ٦٣٠ هـ (١٢٣٢ — ١٢٣٣ م ؛ M. Berchem ، الكتاب المذكور ، ص ٤٣). ولا تزال هذه العمارة قائمة على ضفة دجلة عند جسر القوارب ، وهى الآن دار المكوس. والحق إن جزءاً كبيراً من النقش القديم اختفى وحل محله نقش آخر جديد. وهناك نقش آخر للخليفة المستنصر على جامع الخلفاء يرجع تاريخه إلى عام ٦٣٣ هـ (١٢٣٥ — ١٢٣٦ م) واختفى هذا النقش الآن . وربما كانت مئذنة سوق الغزل القديمة التى لا تزال قائمة إلى اليوم هى مئذنة هذا الجامع . وقد نشر أوپنهيم Oppenheim صورة لهذا النقش فى كتابه : *Vom Mittelmeer zum pers. Golf* ، ج ٢ ، ص ٢٤٠) والراجح أن يكون الخليفة المستنصر قد رمم جامع الخلفاء وليس هو الذى شيده . ويقوم هذا الجامع وسط المدينة شرقى المستنصرية ، ويقال إنه نفس جامع القصر الذى شيده الخليفة المكتفى الذى حكم من عام ٢٨٩ إلى عام ٢٩٥ هـ (٩٠٢ — ٩٠٧ م) ، وهو من أهم مساجد المدينة (Le Strange : كتابه المذكور ، ص ٥٢٢ وما بعدها) .

ووصل هولاكو وجنوده من المغول والترك إلى أسوار بغداد فى المحرم من عام ٦٥٦ هـ (يناير ١٢٥٨ م) وفى الرابع من صفر (١٠ فبراير) وجد المستعصم آخر خلفاء بنى العباس نفسه مضطراً إلى التسليم دون قيد ولا شرط ؛ وقتل بعد ذلك بعشرة أيام هو وأفراد كثيرون من أهل بيته بينما نهبت المدينة وأحرقت ، ولكنها لم تخرب بأسرها كغيرها من المدن التى فتحها هولاكو ، لأنه كان يريد أن يتخذ منها عاصمة له ، فنجده على العكس من ذلك قد أمر بترميم عدد من العمائر التى أصابها التخريب أكثر من سواها ، مثل جامع القصر الذى سلفت الإشارة إليه .

ولما كنا لا نستطيع أن نفصّل القول فى تاريخ بغداد منذ فتحها المغول فسنقتصر على المعالم البارزة منه : كانت المدينة حتى عام ٧٤٠ هـ (١٣٣٩ — ١٣٤٠ م) تابعة للمملكة الإيلخانية أو الهولاكية وجعلت حاضرة للعراق العربى . وفى هذا العهد زارها الرحالة المشهور ابن بطوطة عام ٧٢٧ هـ (١٣٢٧ م) ومما يدعو إلى الأسف أن وصفه لها مأخوذ فى جملته من ابن جبير (رحلة ابن بطوطة ، طبعة باريس ، ج ٢ ، ص ١٠٠ وما بعدها) ، ويرجع وصف حمد الله مستوفى إلى هذا العهد أيضاً ، أى إلى عام ٧٤٠ هـ (١٣٣٩ م) . وفى عام ٧٤٠ هـ ظهر حسن بزرك (انظر هذه المادة) واستقل بالأمر فيها وأسس الدولة الجلائرية ، وقام بتشييد مدرسة تم بناؤها فى عهد ولده أويس ، ولعل هذا كان عام ٧٥٨ هـ (١٣٥٧ م) ، وسميت المرجانية نسبة إلى أمير يدعى مرجان ، ولا يزال بناؤها قائماً ، وقد نشرت النقوش التى عليه .

لنشر نيبور جزءاً منها ونشرها كلها برشم (كتابه المذكور ص ٤٥ وما بعدها).

واستمر حكم الأسرة الجلائرية إلى عام ١٤١٠ م ، وفى أيامها استولى تيمور على بغداد مرتين ؛ الأولى عام ٧٩٥ هـ (١٣٩٢ — ١٣٩٣ م) ولم يلحق المدينة من فتحه ضرر جسيم . أما فى المرة الثانية ، عام ٨٠٣ هـ (١٤١٠ م) فقد ذَبح أهلها وخرب الكثير من المساكن والمنشآت العامة . ورجع السلطان أحمد الجلائرى إلى بغداد بعد وفاة تيمور عام ٨٠٧ هـ (١٤٠٥ م) وأصلح بقدر استطاعته الأسوار التى دمرها تيمور ، ولم ينقض طويل وقت حتّى قتله قره يوسف أمير القطيع الأسود من التركمان عام ٨١٣ هـ (١٤١٠ م) واستولى رجاله على المدينة ، وظلت فى حوزتهم إلى عام ٨٧٢ هـ (١٤٦٧ — ١٤٦٨ م) وهنالك انتزعها منهم تركمان القطيع الأبيض يقودهم أوزون حسن . وفى عام ٩١٤ هـ (١٥٠٧ — ١٥٠٨ م) غزا الشاه إسماعيل الصفوى بغداد وظلت فى حوزة خلفائه إلى عام ٩٤١ هـ (١٥٣٤ م) . واستعاد الشاه طهماسب المدينة للصفويين من يد ذى الفقار عام ٩٣٦ هـ (١٥٣٠ م) ؛ وكان هذا الزعيم الكردى قد جعل الخطبة باسم السلطان سليمان الأول العثمانى أمداً وجيزاً . وفى عام ٩٤١ هـ (١٥٣٤ م) دخل السلطان سليمان الأول مدينة بغداد ، وظل يحكمها منذ ذلك الوقت وال من قبل الأتراك إلى أن طلب الثائر بكر صوباشى معونة الشاه عباس الأول الصفوى فاستولى هذا على المدينة عام ١٠٣٣ هـ (١٦٢٣ م) ، ولم يكن الترك عازمين بحال من الأحوال على ترك المدينة ، فاستعادوها عام ١٠٤٨ هـ (١٦٣٨ م) بقيادة السلطان مراد الرابع نفسه ؛ وسد مراد بهذه المناسبة باب الطلسم ، ورمم عدة أضرحة مثل ضريح أبى حنيفة فى قرية المعظم الحديثة على الشاطىء الشرقى لدجلة شمالى بغداد ، وضريح عبد القادر الجيلانى بداخلها . وفى هذا العهد هبطت بغداد إلى الدرك الأسفل . ويقول تافرنييه Tavernier عام ١٦٥٢ إن سكانها فى ذلك الحين بلغوا ١٤,٠٠٠ نسمة فقط .

وأضحت بغداد من جديد قصة ولاية تركية يحكمها هى والبصرة وال واحد فى بعض الأحيان . وقد زودنا كل من نيبور وإيوار ببيان بأسماء هؤلاء الولاة (Huart : *Histoire de Bagdad dans les temps modernes*) ، وأكمل إيوار هذا البيان حتى عام ١٢٤٧ هـ (١٨٣١ م) ؛ وفى هذا العهد ازداد رخاء المدينة وتضاعف عدد سكانها حتى وصل فى بداية القرن التاسع عشر إلى ١٥٠,٠٠٠ نسمة لم يبق منهم بعد الطاعون الذريع الذى اجتاحها عام ١٨٣١ م سوى ٣٠,٠٠٠ نسمة .

وتتميز مدة ولاية مدحت باشا من عام ١٨٦٩ إلى عام ١٨٧٢ م فى تاريخ بغداد بأنها كانت عهد نهضة حقيقية ، إذ تم خلالها مد خط تلغرافى وترام تجره الخيول يصل إلى الكاظمين وفتح مدارس وإقامة منشآت أخرى نافعة ، كما عمد هذا الباشا إلى إزالة السور القديم . وعلى هذا فإنا لا نجد اليوم منها إلا أرضاً مرتفعة بها بقايا من الحصون القديمة .

ووصل ملحت بين بغداد والبصرة تحط من القوارب البخارية بعد أن أعطى امتياز هذا الطريق وطريق الخليج الفارسى إلى شركة لنج للملاحة البخـــارية *Lynch Steam Navigation Company*. والآمال العظيمة معقودة على إنشاء خط حديدى يصل بين آسية الصغرى والآستانة(١) ، وبذلك توصل بغداد بالتجارة العالمية . وبغداد الآن مركز للتجارة مع جميع الأقطار المجاورة عامة وبلاد فارس خاصة .

ويقدر أوپنهيم عدد سكان المدينة وضواحيها بـ ٢٠٠,٠٠٠ نسمة منهم ١٥٠,٠٠٠ من المسلمين وغالبهم من الشيعة . ويذهب كوينيه Cuinet إلى أن عددهم ١٤٥,٠٠٠ من الأنفس ، وببغداد كذلك ٤٠,٠٠٠ يهودى و ١٠,٠٠٠ نصرانى معظمهم من الكاثوليك والأرمن الكرج .

ب — تخطيط المدينة القديمة

عرفنا من الإلمامة التاريخية السابقة أن بغداد الحديثة التى على الشاطئ الشرقى لدجلة لا تزال تشغل المساحة التى كانت تشغلها فى العهد الأخير من خلافة بنى العباس . ومع ذلك فقد كانت هناك فى تلك الأيام أحياء أخرى تفصل بعضها عن البعض أراض خربة تمتد إلى ما يعرف الآن بالمعظّم بما فيه ضريح أبى حنيفة وغيره من أئمة المسلمين ؛ وكانت فى هذا المكان مقبرة من أقدم المقابر فى بغداد سميت إلى الخيزران أم الخليفة هارون الرشيد ؛ وفيها قامت أضرحة الخلفاء المتأخرين ؛ وإلى الجنوب من هذه المقبرة نشأت المدينة الشرقية القديمة المعروفة بالرصافة أو عسكر المهدى بما فيها قصره وجامع الرصافة ؛ وهو من أهم المساجد التى شيدت فى عهد الخلافة الإسلامية . وكانت تجاورها من الناحيتين الشرقية والجنوبية أحياء الشماسية ودار الروم والمخرم ، وابتنى بنو بويه فى هذا الحى الأخير دار المملكة ، كما أن سلاطين آل سلجوق كانوا يسكنونه كلما زاروا بغداد ، وابتنى فيه ملكشاه جامع السلطان الذى سبقت الإشارة إليه ، بيد أنه لم يبق لهذا المسجد أثر ، مثله فى ذلك مثل مسجد الرصافة ، مع أن المسجدين بقيا بعد الفتح المغولى . وكانت هذه الأحياء تشغل ما بين قرية المعظم وما يعرف الآن بباب المعظم وبينهما مسيرة نصف ساعة . وكان فى المدينة الشرقية الحالية دار الخلافة ؛ وكانت فى الأصل جوسق جعفر البرمكى (انظر هذه المادة) ثم انتقل إلى المأمون قبل اعتلائه الخلافة ؛ ولم ينقل الخلفاء العباسيون مقرهم إليها إلا بعد رجوعهم من سامراء وشيدوا فيها عدة قصور أشهرها التاج . والمعتضد أول من وضع أساس هذه القصور ، ولم يتم بناؤها إلا فى عهد ولده وخليفته المكتفى ، فهو الذى بنى المسجد الجامع الثالث ؛ وإن كان هو الثانى من ناحية الترتيب التاريخى فى المدينة الشرقية ، وقد عرف بجامع القصر . وكان قصر التاج على ضفاف دجلة تحميه من الفيضان

---

(١) بوشر مد هذا الخط من بغداد الى سامراء قبل الحرب العالمية الاولى ومده الانكليز من سامراء الى بيجى «بجة القديمة» فى عام ١٩١٨ ، والاعمال جارية الآن لايصاله بخط الشرق بحيث لن ينتصف العام ١٩٣٩ الا وتجرى السكة مجراها .

عبد الرزاق الحسنى

سدود ، وإلى جانبه بنى المقتفى أيضاً قبة الحمار ، وسبب تسميتها بهذا الاسم هو أن الإنسان يستطيع أن يصل إلى قمتها على ظهر حمار يسير فى طريق يدور صعدا حول البناء ، وهذا النمط من أنماط البناء يذكرنا بالنمط الزقرتى القديم وله نظائر فى أطلال سامراء ، وفى بغداد نفسها مثال له هو ضريح الشيخ عمر السهروردى المتوفى عام ٦٣٢ هـ (١٢٣٤ م) الذى لايزال قائماً (انظر صورة هذا الضريح فى كتاب فون أوپنهايم الذى سبق أن ذكرناه ، ص ٢٤٦) ، وكل هذه العمائر التى يقال إن عددها بلغ فى عهد المقتدر ثلاثاً وعشرين عمارة كانت مدينة قائمة بذاتها تعرف بالحريم ، فيها من حدائق الحيوان والميادين وغير ذلك ؛ وقد فصل الخطيب البغدادى الكلام (طبعة Salmon ص ٤٩ وما بعدها ، ص ١٣٢ من الترجمة) عن هذه العمائر عند وصفه لاستقبال المقتدر لسفارة الروم عام ٣٠٥ هـ الموافق ٩١٧ — ٩١٨ م (Guy le Strange فى مجلة الجمعية الأسيوية الملكية عام ١٨٩٧ م ، ص ٣٥ وما بعدها) ؛ وكان يحيط بالحريم كله سور له سبعة أبواب يضم ما يقرب من ثلث الجانب الشرقى لبغداد . وإذا أردت زيادة فى التفصيل فإننا نحيلك إلى الفصول الخاصة فى كتاب Le Strange عن بغداد ، ومن الطبيعى أنه قد حدثت تغييرات كبيرة أصابت هذا الموضع على تعاقب القرون ؛ مثال ذلك أن قصر التاج وقبة الحمار أتت عليهما النيران عام ٥٤٩ هـ الموافق ١١٥٤ م .

ولم يبق شيء ما تقريباً من الجانب الغربى ، وهو أقدم من الجانب الذى ذكرناه ، اللهم إلا أضرحة قليلة ، وعلى الرغم من أنها لم تبق فى شكلها القديم فإنها مازالت قيّمة جداً بالنسبة لتخطيط المدينة القديم،لأن بناءهاأعيد فى المواضع نفسها التى كانت تقوم عليها فى الزمن الغابر ، وهذه الأضرحة هى ضريح معروف الكرخى وضريحا الكاظمين الشيعيين الكبيرين ونعنى بهما الإمام السابع موسى الكاظم المتوفى عام ١٨٣ هـ (٧٩٩ م) والإمام التاسع محمد الجواد المتوفى عام ٢٢٠ هـ (٨٣٥ م) ؛ ولسنا فى حاجة إلى ذكر الضريح المنسوب إلى زبيدة زوجة هارون الرشيد المتوفاة عام ٢٠٦ هـ (٨٣١ م) لأن ابن الأثير يقرر فى جلاء أنها لم تدفن فى هذا الموضع (ابن الأثير ، طبعة تورنبرج ، ج ٩ ، ص ٣٩٥) . والنقش الذى على هذا الضريح المؤيد لتلك الرواية الخاطئة والذى وصفه بيور يرجع[1] إلى عام ١١٣١ هـ (١٧١٨ م) . ونستطيع أن نصرف النظر عن بعض الأضرحة الأخرى وعن رباط الدراويش الذى بناه قلج أرسلان وكتب عليه نقش تاريخه عام ٥٨٤ هـ (١١٨٨ م) . وضريح الكاظمين على الضفة اليمنى لدجلة تجاه المعظم ، وهو الآن مكان هام يتراوح عدد سكانه بين ٧٠٠٠ و ٨٠٠٠

(١) لا صحة لنسبة القبر الذى فى الكرخ من بغداد (المعروف بقبر الست زبيدة) الى زبيدة زوجة الرشيد لان المؤرخين أجمعوا على انها دفنت فى مقابر قريش الكائنة فى صحن الكاظمين ، اما المدفونة فى هذا القبر فهى زبيدة خاتون ابنة السلطان بركيارق وزوج السلطان مسعود ابن السلطان محمد ملكشاه وكانت توفيت فى سنة ٥٣٢ هجرية (١١٢٧ م) .

عبد الرزاق الحسنى

نسمة ويربطه الترام ببغداد . وكان فى هذا المكان خلال العصور القديمة مقبرة قريش بالقرب من باب التبن ، وتخرب ضريح الكاظمين ، ولكنه رمم عدة مرات بعد ذلك . ويوجد فى هذا الموضع اليوم مسجد شيد فى بداية القرن التاسع عشر له أربع مآذن وبرج للساعة . وقبة هذا المسجد ومآذنه مغطاة بقشرة من الذهب وبابه المرتفع مزين بالقاشانى الجميل ، ويزوره سنوياً أفواج من الشيعة . أما أهل السنة فقد كان لهم فى الجزء الشمالى من الجانب الغربى مزار مشهور كانوا يحجون إليه فى عهد الخلافة العباسية . وهو قبر أحمد بن حنبل . ويقول « له سترانج » إن هذا الضريح زال عندما تخرب الحى الذى كان قائماً فيه ، ومنذ ذلك الوقت ظن الناس خطأً أن قبر ابنه عبد الله على ضفة دجلة هو قبر أبيه إلى أن زال هذا القبر أيضاً بفعل الفيضان . وكان حى الحربية يشغل بالتقريب المكان الذى بين الجزء الشمالى الأقصى من الجانب الغربى لبغداد وبين مدينة المنصور الأصلية ، وكان هذا الحى يواجه الرصافة فى الجانب الشرقى من بغداد . وكانت فى هذه البقعة عدة أحياء أخرى تغيرت أسماؤها عدة مرات على مر العصور ، ولا نستطيع هنا تفصيل القول فيها وحسبنا أن نقول إن هذا الجزء من بغداد قد وصل إلى درجة أصبحت أجزاؤه المأهولة بالسكان ضواحى قائمة بذاتها تفصلها بعضها عن بعض خرائب متسعة .

ولم يبق أثر من مدينة المنصور ، أى مدينة السلام أو الزوراء بما فيها من أسوار وأبواب ، وموقعها الخاص الفريد الذى نعرف أدق تفاصيله من أوصاف مؤلفى العرب كاليعقوبى والخطيب البغدادى يقتضى منا أن نسهب فى الحديث عنه ، ولكن يجدر بنا أن نمر عليه مر الكرام ونحيل القارئ إلى الفصول الأولى من كتاب له سترانج . ولسنا ندهش من اختفاء هذه المدينة اختفاء تاماً لأن العباسيين نقلوا دار المملكة إلى الجانب الشرقى عندما رجعوا من سامراء . ولم يعنوا بالمحافظة على الأسوار والعمائر العامة ، اللهم إلا إذا استثنينا المسجد الجامع . ولم يحفل أحد بإعادة بناء ما خربه الفيضان والحريق والحصار والفتن ، وفقدت المدينة جزءاً من سكانها . وبقى الجزء المجاور لباب البصرة من بغداد مدة أطول من غيره . ولذلك فإن الناس لم يعودوا يتحدثون فى القرون الأخيرة قبل عام ٦٥٦ هـ عن مدينة المنصور ، بل اقتصر حديثهم على حى باب البصرة .

وكانت أجزاء المدينة المختلفة التى تمتد غرباً وجنوباً حول مدينة المنصور تكوّن المركز التجارى والصناعى فى صدر العهد العباسى ، لأن هذا الموقع كان ملائماً . ففيه تكثر القنوات التى كانت — شأن الصراة ونهر عيسى — وسيلة من الوسائل المباشرة للاتصال بالفرات ، فاجتذبت إليها سكاناً يتميزون بالنشاط وحب العمل . وفى هذا الموضع وجدت ضاحية الكرخ التى كثيراً ما ذكرت فى تاريخ بغداد والتى كان بين أهلها من الشيعة وبين جيرانهم من الأحياء الأخرى معارك دموية ، وبخاصة من يقطنون باب البصرة . وبقى هذا الجزء من المدينة إلى يومنا هذا . ويسمى الترك الجانب الغربى

من بغداد باسم « قارشى ياقه » ومعناه بالعربية « الجانب الآخر » وفى مهجة العراق « هذاك الجانب » [أى ذلك الجانب] والجسور المقامة على القوارب تيسر عبور دجلة فى عصرنا هذا كما كان الحال فى العصور المتقدمة، ولو أن مواضعها قد تغيرت فى كثير من الأحيان .

المصادر :

(١) اليعقوبى : كتاب البلدان ، المكتبة الجغرافية العربية ، ج ٧ ؛ (٢) ابن سرابيون : وصفه للعراق وبغداد، نشره وترجمه G. le Strange فى مجلة الجمعية الملكية الأسيوية عام ١٨٩٥ ؛ (٣) الخطيب البغدادى Salmon : L'introduction topographique à l'histoire de Bahgdadh ؛ (٤) الإصطخرى وابن حوقل والمقدسى ، المكتبة الجغرافية العربية ، طبعة دى غويه ، ج ١ ، ج ٢ ، ج ٣ . (٥) البلاذرى ، طبعة دى غويه ، ص ٢٩٤ وما بعدها . (٦) بنيامين التطيلى : *Itinerarium* ، طبعة Adler فى *Jew. Quart. Review* ، سنة ١٩٠٥م ، ص ٢٩٣ وما بعدها . (٧) ابن جبير ، طبعة دى غويه ، ص ٢١٧ وما بعدها . (٨) ياقوت: المعجم ، مادة بغداد وفى مواد أخرى كثيرة ؛ (٩) مراصد الاطلاع ، طبعة جوينبول ؛ (١٠) رحلة ابن بطوطة ، طبعة Defrémery و Sanguinetti ، ج٢ ، ص١٠٠ وما بعدها . (١١) حمد الله مستوفى : نزهة القلوب طبعة بومباى ، انظر سياست نامه ، الملحق ، طبعة شفر Schefer ، ص١٤٦ وما بعدها ؛ (١٢) Tavernier : *Les six voyages* ، أترخت سنة ١٧١٢ م ؛ (١٣) C. Niebuhr : *Reisebeschreibung* ، ج ٢، ص ٢٩٣ — ٣٢٩ . (١٤) Ritter : *Erdkunde* ، ج ١١ ، ص ٧٩٠ — ٩٢٤ . (١٥) J. F. Jones : *Memoir on the province of Baghdad* فى *Selections from the records of Bombay Government* ، ص ٤٣ ، المجاميع الحديثة ، ص ٣٠٤ وما بعدها . (١٦) Rousseau : *Description du Pachalik de Bagdad* ؛ (١٧) V. Kremer : *Culturgeschichte* ، ج ٢ ، ص ٤٥ وما بعدها . (١٨) M. Streck : *Die alte Landschaft Babylonien* ؛ (١٩) G. le Strange : *Baghdad during the Abbasid Caliphate* ؛ (٢٠) Cuinet : *La Turquie d'Asie* ، ج ٣ ، ص ٨٩ وما بعدها . (٢١) V. Oppenheim : *Vom Mittelmeer zum persischen Golf* ، ج ٢، ص ٢٣٦ وما بعدها ؛ (٢٢) E. Aubin : *La Perse d'aujourd'hui* ، ص ٤٠٥ وما بعدها ؛ (٢٣) Sarra & Herzfeld : *Archaeologische Reise im Euphrat-und Tigris-Gebiet*

وأهم المراجع عن تاريخ المدينة هى تواريخ العرب التى سبق أن أشرنا إليها ، كالطبرى واليعقوبى ، وابن الأثير ؛ وانظر أيضاً : (١) *Recueil de textes relatifs à l'histoire des Seljouc.* الكتاب الثانى . (٢) رشيد الدين : تاريخ المغول ، طبعة Quatremère (٣) أبو الفرج : تاريخ السريان ؛

أما عن المدينة فى عهدها المتأخر فانظر : (١) C. Huart : *Histoire de Bagdad dans les temps modernes* والمراجع التى أوردها فى مقدمته لهذا الكتاب .

تعليق على مادة « بغداد »

بغداد حديثاً

ترك الترك بغداد ليلة الحادى عشر من مارس سنة ١٩١٧ وليس فيها من الحضارة والعمران ما يستحق الذكر . ولولا المبانى التى شادها مدحت باشا والى بغداد (١٨٦٩ — ١٨٧٣ م) والشارع العام الوحيد الذى بدأ بفتحه خليل باشا فى عام ١٩١٦ م ، لقلنا إنهم تركوا بغداد ولا أثر لهم فيها يذكر . ودخلها الإنكليز فى اليوم التالى فأتموا فتح الشارع المذكور وشرعوا فى تنظيمها تنظيما عصرياً جديداً ، فقد أناروها بالكهرباء وبلطوا بعض الجادات بالزفت وأقاموا بعض البنايات المهمة ، وقام الحكم الوطنى فيها فى ٢١ آب سنة ١٩٢١ ، فأخذت هذه العاصمة القديمة تسترجع ما اندثر من مجدها وما غبر من عزها ، وهى تمتد اليوم من الأعظمية إلى الكرادة الشرقية بمسافة خمسة عشر ميلا تزينها القصور الشاهقة والبنايات الفخمة ، وتتخللها البساتين الكثيرة والحدائق النضرة ، ويخترقها دجلة كما كان فى السابق فيشطرها شطرين يسمى الأيمن منهما بالرصافة ويدعى الثانى بالكرخ ، وقد أقيمت عليه عدة أجسر بعضها حديدى والبعض الآخر مقام على قوارب من حديد ، ويخترقها من الشمال إلى الجنوب جادتان فسيحتان مبلطتان تقوم على جوانبهما عدة دور ومخازن وتقطعهما جادات فرعية مبلطة ومنارة بالكهربية ، وتعد نفوسها حسب إحصاء عام ١٩٣٧ (٣٦٧,٤٥٠) نسمة عدا الأجانب . وكانت المنازل فى بغداد تبنى مفتوحة بالآجر الأصفر على الطريقة الشرقية ، أما الآن فإنها تبنى مغلقة على الطراز الأوربى الحديث . ويستعمل البغداديون الآن الحديد والأسمنت وسائر المواد الأوربية المتينة فى معظم منشآتهم .

ودور العلم فى بغداد على اختلاف درجاتها كثيرة ، وكذا المطابع والمكتبات العامة والخاصة ، ويصدر فيها من الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية والشهرية والنشرات الثقافية عدد لا يستهان به ، وتمتد منها خطوط حديدية إلى بعض الأنحاء تبلغ مسافتها نحو ألف ميل وتنزل فى مطارها الكبير جل الطائرات المارة على طريق بغداد إلى إيران والهند وأوربا ، وتسير فى جاداتها وشوارعها مالا يقل عن الثلاثة آلاف سيارة ومركبة .

وتجارة المدينة واسعة جداً وأسواقها حافلة بأنواع البضائع الأجنبية والشرقية وفيها عدة شركات ومصارف أجنبية ومصانعها المختلفة والكثيرة تمون الجيش والشرطة وطلاب المدارس بأنفس المنتوجات المحلية وكذا التبغ والسكاير وبعض الحاجيات الطفيفة .

وفيها دور للآثار القديمة لا بأس بها : ومن الآثار العباسية التى لا تزال ماثلة للعيان ، منارة جامع الخلفاء المعروفة اليوم بمنارة سوق الغزل وبعض غرف من قصر المأمون فى القلعة المدفعية وجدر من المدرسة المستنصرية الشهيرة ومراقد معروف الكرخى ومنصور الحلاج وجنيد والشيخ عبد القادر الكيلانى وأبى حنيفة النعمان بن ثابت والشيخ عمر السهروردى وغيرها .

ومن مبانى بغداد الفخمة الحالية قصر الزهور والمطار المدنى والبلاط الملكى والمستشفى الملكى ودور الحكومة وقصور الوزراء والأمراء وبيوت المتمولين ومحطات البث اللاسلكى ودور السينما وبعض الفنادق الكبرى .

وبغداد فضلا عن كونها عاصمة العراق ومقر البرلمان فهى مركز لواء بغداد الذى تتبعه عدة أقضية . فالعراق يقسم الآن إلى (١٤) لواء . ولكل لواء أقضيته ولكل قضاء نواحيه ؛ ورأس الإدارة فى اللواء هو المتصرف ، وكان هذا يعين بإرادة ملكية بناء على اقتراح وزير الداخلية ومصادقة مجلس الوزراء . أما رأس الإدارة فى القضاء فهو القائمقام وكان هذا يعين بإرادة ملكية أيضاً بناء على ترشيح الوزير المختص . وأما رأس الإدارة فى الناحية فهو المدير وهذا يعين من قبل وزارة الداخلية فقط .

السيد عبد الرزاق الحسنى

+ بغداد : تقع بغداد على ضفتى نهر دجلة على خط عرض ٣٣° ٢٦َ ١٨ً شمالا ، وخط طول ٤٤° ٢٣َ ٩ً شرقا ؛ وقد ظلت هذه المدينة — منذ إنشائها فى القرن الثامن الميلادى — مقرا للخلافة العباسية حتى سقوطها ، والعاصمة الثقافية للعالم قرونا ؛ وأصبحت بعد عام ١٢٥٨ هـ قصبة لولاية ، وظلت تحت الحكم العثمانى حاضرة ولاية بغداد ، ثم أصبحت عام ١٩٢١ عاصمة العراق الحديثة .

التاريخ

بغداد من الأسماء الجاهلية ، ولاسمها صلة بالمحلات السابقة فى هذا الموضع . ولقد أدرك هذه الحقيقة كتّاب العرب ، فأخذوا يبحثون ، كما هى العادة ، عن أصوله الفارسية (انظر المقدسى : البدء ، ج ٤ ، ص ١٠١ ؛ ابن رسته ، ص ١٠٨) . وتتضارب آراؤهم فى تفسير هذا الاسم ، وأشيع هذه الآراء أنه يعنى « عطية الله » أو « هبة الله » [أو الوثن ، انظر تاريخ الخطيب البغدادى : ج ١ ، ص ٥٨ — ٥٩ ، طبعة القاهرة ؛ ياقوت : ج ١ ، ص ٦٧٨ — ٦٧٩ ؛ أبو الفداء ، ج ١ ، ص ٢٩٢ ؛ ابن الجوزى : المناقب ، ص ٦ ؛ البكرى ، ج ١ ، ص ١٦٩ ؛ ابن الفقيه ، مخطوطة مشهد ، ورقة رقم ٢٩ ب] . ويميل الكتاب المحدثون بوجه عام إلى تفضيل هذا الاشتقاق الفارسى (انظر Salmon : *Introduction* ، ص ٢٣ — ٢٤ ؛ Le Strange : *Baghdad* ، ص ١٠ — ١١ ؛ Streck : *Landschaft* ، ج ١ ، ص ٤٩ — ٥٠ ؛ Herzfeld : *Paikuli* ، ص ١٥٣ ؛ W. Budge : *By Nile and Tigris* ، ج ١ ، ص ١٧٨ ؛ *JRIA* ، ج ١ ، ص ٤٦ — ٩٤) . ويميل آخرون إلى القول بأن الاسم من أصل آرامى ومعناه « بيت الأغنام أو حظيرتها » (ى . غنيمة ، و أ . الكرملى فى لغة العرب ، ج ٤ ، ص ٢٧ ؛ ج ٦ ، ص ٧٤٨ . لاحظ إشارة الطبرى إلى سوق البقر فى موضع بغداد ، ج ٣ ، ص ٢٧٧) . ويفضل دلتش Delitzsch الرأى القائل بأن الاسم من أصل آرامى دون أن يفسر المعنى

(Delitzsch : Paradies ، ص ٢٠٦ ، ٢٣٨) . وثمة وثيقة شرعية ترجع إلى عهد حمورابى (١٨٠٠ ق . م) يرد فيها ذكر مدينة بگدادو (Schorr : Altbabylonische Rechtsurkunden تعليق رقم ١٩٧ ، ص ١٧) . وهذا يدل على أن الاسم كان يستعمل قبل حمورابى ، وعلى وجه التحديد قبل أن يتعرض لأى تأثير فارسى محتمل . والحق إن كلمتى « بگ » و « حو » كان يعبر عنهما بالرسم نفسه . ومهما يكن من شىء فإن هناك حجرا من معالم الحدود يرجع إلى عصر الملك الكشّى (١) نزيماروتاش (١٣٤١ – ١٣١٦ ق م) يرد فيه ذكر مدينة پيلارى Pilari على ضفة « نهر شرّى » فى ناحية بگدادى (De Morgan : *Délégation en Perse* ، حـ١ ، ص ٨٦ – ٩٢) ، هذا بالإضافة إلى أن ذكر بگداتا مرارا عديدة فى التلمود يجعل كلمة «بگ» أرجع فى القراءة (Obermeyer : *Landschaft Babylonien* ، سنة ١٩٢٩ ، ص ١٤٧ وما بعدها ، Jewish Encyc. ، مادة *Baghdad*) . وهناك حجر آخر من معالم الحدود يرجع إلى عهد الملك البابلى مردخ أپالدّين (١٢٠٨ – ١١٩٥ ق . م) يتردد فيه ذكر مدينة بغداد (*Délégation en Perse* ، حـ ٣ ، ص ٣٢ – ٣٩) .

ولقد قام الملك أداد – نيرارى الثانى (٩١١ – ٨٩١ ق . م) بنهب محلات من بينها بگدا (دو) (*Synchronistic History* ، حـ٣ ، *K BI = L12* ، ٢٠٠) . وأصبحت بغداد فى القرن الثامن ق.م محلة آرامية . ويذكر تگلات پلصّر Tiglatpilasser الثالث (٧٤٥ – ٧٢٧ ق . م) بگدادو فى معرض حديثه عن قبيلة آرامية (Delitzsch : *Paradies* ، ص ٢٣٨) .

ومن الإنصاف ، والحالة هذه ، أن نسلم بأن أصول الاسم يكتنفها الغموض . ولا يغير من الموقف معرفة أن الإيرانيين استعملوا كلمة «بگ» حوالى القرن الثامن ق . م للدلالة على « رب » وأنها كانت تظهر فى أسماء الأشخاص (*Reallexikon* ، حـ ١ ، ص ٣٤١) .

وأطلق المنصور على مدينته اسم مدينة السلام تيمناً بجنة الخُلد (القرآن : سورة الأنعام ، آية ١٢٧ ؛ سورة يونس ، آية ٢٦) . وكان هذا هو الاسم الرسمى الذى يكتب فى الوثائق والسكة والأوزان إلخ . واستعملت من الاسم صيغ مختلفة وبخاصة بغداذ وتسميات مثل مدينة أبى جعفر ، ومدينة المنصور ، ومدينة الخلفاء ، والزَوْراء (ابن الفقيه ، ورقة رقم ٢٩ ب ، ياقوت ، حـ ١ ، ص ٦٧٨ ، ابن رسته ، ص ١٠٨) . ويبدو أن الزوراء اسم قديم كما يقول الفخرى (الفخرى ، ص ١٤٥ ؛ انظر المستوفى : نزهة القلوب ، ص ٤١) . ومن شاء الاطلاع على التفسيرات المتأخرة فلينظر المسعودى (كتاب التنبيه والإشراف ، طبعة القاهرة ، ص ٣١٢ ؛ ياقوت ، حـ ٢ ، ص ٩٥٤) . ويروى المصنفون العرب أن المنصور شيد مدينته فى موضع كانت تقوم فيه محلات جاهلية أهمها قرية بغداد (انظر الطبرى ، حـ ٢ ، ص ٢٧٧ ؛ حـ ١ ، ص

(١) ينتمى الى شعب غير سامى غزا بابل سنة ١٧٤٦ ق . م

٢٠٦٧ ؛ ابن الجوزى : المناقب ، ص ٧ ؛ اليعقوبى : البلدان ، ص ٢٣٧) ؛ على الضفة الغربية لنهر دجلة شمالى قناة الصراة (الطبرى ، حـ ٣ ، ص٢٧٧) ؛ ويرى البعض أنها قرية بادوريا ، ويشيرون إلى سوقها السنوية (الخطيب ، حـ ١ ، ص ٢٥ — ٢٧ ؛ ابن الجوزى : المناقب ، ص ٦ ؛ اليعقوبى : البلدان ، ص ٢٧٥) ، وسوف يعيننا هذا على أن نفسر لم أصبحت الكرخ من بعد حيا للتجار . ولقد كانت هناك محلات قديمة ، جلها آرامية ، على الجانب الغربى فى جوار الكرخ ، ومن بين هذه المحلات : الخَطّابية (بجوار باب الشام)والشَرْقانيّة ، شمالها الوَرْدانيّة التى أصبحت فى نطاق ربع الحربية ، ومنها سونايا قرب ملتقى قناة الصراة بنهر دجلة (أصبح اسمها فيما بعد « العتيقة ») وقَطْفَتا عند الطرف الذى تصب فيه قناة رُفَيْل فى نهر دجلة ، وبَرَاثا حيث تتفرع قناة كرخايا من قناة عيسى ؛ وكانت تقوم ثلاث محلات صغيرة بين قناة كرخايا وقناة الصراة وهى : سال ، ووَرْثالا (ربع القلاّءين فيما بعد) وبَنَاوَرِى . أما الكرخ نفسها (وكلمة كرخا الآرامية معناها بلدة حصينة) فتتخذ اسمها من قرية أقدم منها تنسبها الروايات الفارسية إلى سابور الثانى (٣٠٩—٣٧٩م؛ المستوفى ، ص ٤٠ ، وانظر الطبرى ، حـ ٣ ، ص ٢٧٨ — ٢٧٩ ؛ الخطيب البغدادى ، ص ٢٧ ، ٣٣ ؛ ابن الأثير حـ ٦ ، ص ٣٤٢ — ٣٤٣ ؛ ياقوت ، حـ ٣ ، ص ٦١٣ ، ابن الجوزى : المناقب ، ص ٧) .

ويقول إكسليفون إن الأكميين كانوا يملكون بساتين فسيحة فى ناحية بغداد (عند سِتّاكة Sittake) ويشير المصنفون العرب إلى بستانين منها (انظر الخطيب البغدادى ، ص ٢٨ ؛ المستوفى ، ص ٤٠) ؛ وكان قرب مصب نهر عيسى قصر بناه الساسانيون (قصر سابور) ، وشيد المنصور فيما بعد قنطرة فى موضعه . أما القنطرة العتيقة القائمة فوق قناة الصراة ، جنوبى غرب باب الكوفة فقد بناها الساسانيون ؛ وعلى الجانب الشرقى سوق الثلاثاء ومقبرة الخيزران ، ويرجعان إلى العصر الجاهلى . وكان فى المنطقة نفسها أديرة شيدت فى الجاهلية مثل دير مارفَثْيون (الدير العتيق) حيث شيد قصر الخُلْد ، ودير بستان القَسّ ، ودير الجاثليق الذى دفن بالقرب منه الشيخ معروف (الطبرى ، حـ ٣ ، ص ٢٧٤ ، ٢٧٧ ؛ ابن الفقيه ، ورقة رقم ٣٦ — ٣٧ أ ؛ الخطيب البغدادى ، ص ٤٦ — ٤٨ ؛ المسعودى : التنبيه والإشراف ، ص ٣١٢ ؛ الذهبى : دول الإسلام ، حـ ١ ، ص ٧٦ ؛ المستوفى ، ص ٤٠) .

ولم يكن لأى محلة من هذه المحلات القديمة شأن من الناحيتين السياسية أو التجارية ، وعلى هذا الأساس يمكن أن تعد مدينة المنصور منشأة جديدة . وما أكثر ما خلط الرحالة الأوروبيون فى القرون الوسطى بين بغداد وبابل ، كما خلطوا فى بعض الأحيان بينها وبين سلوقية ، وترد فى أخبارهم باسم بابل وبابلونيا إلخ ، والتسمية الأخيرة الخاطئة لبغداد شائعة كذلك فى التفاسير التلمودية لشيوخ العشائر البابلية (فى العصر العباسى) ، وفى مصنفات اليهود المتأخرين . وكان بِترو ده لافاله الذى عاش فى

بغداد (١٦١٦ – ١٦١٧م) أول من دحض هذا الخطأ الذى فشا فى عهده . وكان الناس فى الغرب حتى القرن السابع عشر يعرفون بصفة عامة اسم بغداد بالصيغة المحرّفة بلدخ Baldack (بَلْدَكُو Baldacco) وربما كانت مشتقة من الصيغة الصينية للاسم (انظر Bretschneider : *Medieval Researches*، جـ ١ ، ص ١٣٨ ؛ جـ ٢ ، ص ١٢٤ ؛ رحلات ماركو پولو *Travels of Marco Polo* ، طبعة فرامپتون Frampton ، ص ٢٩ ، ١٢٦) .

وحول العباسيون أبصارهم إلى الشرق ، وأخذوا يبحثون عن عاصمة جديدة ترمز لدولتهم ، فانتقل السفاح أول خلفاء بنى العباس من الكوفة إلى الأنبار ، وانتقل المنصور إلى الهاشمية بالقرب من الكوفة ، بيد أنه سرعان ما أدرك أن الكوفة النزاعة للشغب والمتعصبة للعلويين لها أثر سيء على جيشه ، وفى الوقت نفسه كان من السهل اقتحام الهاشمية كما ثبت من فتنة الراوندية (انظر ياقوت ، جـ ١ ، ص ٦٨٠ – ٦٨١ ؛ الطبرى ، جـ ٣ ، ص ٢٧١ – ٢٧٢ ؛ الفخرى ، طبعة القاهرة ، ص ١٤٣) ، ومن ثم أخذ يبحث عن موقع استراتيجى .

ووقع اختياره على موقع بغداد بعد استقصاء دقيـــق ، لاعتبارات عسكـــرية واقتصادية ومناخية ، فهو يقوم فى سهل خصب صالح للزراعة على ضفتى النهر كلتيهما ، وعلى طريق خراسان ، وعند ملتقى عدة طرق للقوافل ، وفيه تقام أسواق شهرية ، مما يوفر الميرة للجيش والناس . وكانت هناك شبكة من القنوات ، تفيد منها الزراعة ، ويمكن أن تكون بمثابة تحصينات للمدينة . وهذا الموضع فى وسط بلاد الجزيرة ، وينعم بجو صحى معتدل ، وهو خال من البعوض إلى حد لا بأس به (اليعقوبى ، ص ٢٣٥ – ٢٣٨ ؛ الطبرى ، جـ ٣ ، ص ٢٧١ – ٢٧٥ ؛ ياقوت ، جـ ١ ، ص ٦٧٩ – ٦٨٠ ؛ المناقب ، ص ٧ – ٨ ؛ المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ١١٩ – ١٢٠ ؛ ابن الأثير ، جـ ٥ ، ص ٤٢٦ – ٧ ؛ ابن الجوزى ، ص ٧ ؛ اليعقوبى ، جـ ٢ ، ص ٤٤٩ ؛ الفخرى ، ص ١٤٣ – ١٤٥) ؛ وثمة قصص موضوعة عن فضائلها ، وكيف أن القدر اختار المنصور لبنائها ، ووجدت هذه القصص رواجا فيما بعد (انظر اليعقوبى : البلدان ، ص ٢٣٧ ؛ الفخرى ، ص ١٤٤ ؛ الطبرى ، طبعة القاهرة ، جـ ٦ ، ص ٢٣٤ – ٢٣٥ ؛ ابن الجوزى : المناقب ، ص ٧ – ٨) .

وقدر لبغداد أن ترث بابل وسلوقية وطيسفون وأن تحملها جميعاً .

ويصف اليعقوبى (٢٧٨هـ = ٨٩١م) وابن الفقيه (٢٩٠هـ = ٩٠٣ م) بغداد فى عصر متقدم وصفا تفصيليا ، بينما يصف سهراب (حوالى عام ٩٠٠م) شبكة القنوات فى المنطقة . وتبدو المدينة بتحصيناتها وتخطيطها الداخلى كأنها حصن كبير ، فقد كان هناك أولا خندق عميق ، عرضه ٤٠ ذراعا (= ٢٠,٢٧ مترا) ، يحيط بالمدينة ، ثم رصيف من الآجر ، ثم السور الأول ، وارتفاعه ١٨ ذراعا (٩ أمتار) عند القاعدة ، يليه رحبة

عرضها ٥٦,٩ مترا (= ١٠٠ ذراع ، وفيما يختص بالمقاييس انظر كتاب الخراج للريس) تركت خالية لأغراض الدفاع ، ويليها السور الرئيسي من الآجر وارتفاعه ٣١,١٤ مترا وسمكه عند قاعدته ٥٠,٢ مترا وعند القمة ١٤,٢٢ مترا ، وبه أبراج عظيمة يبلغ عددها ٢٨ برجا بين كل بابين ما عدا الأبراج الواقعة بين بابي الكوفة والبصرة ففيها ٢٩ برجا ، وبنيت ، على كل باب ، قبة تطل على المدينة ، تحتها مساكن للحراس . ثم تليها رحبة عرضها ١٧٠,٧٠ مترا شيدت فيها بيوت . ولم يكن يسمح فيها بالبناء إلا للقواد والموالي المخلصين ، ومع ذلك فقد كان لكل طريق بابان وثيقان يمكن إغلاقهما . وكان يلي ذلك سور ثالث بسيط يحيط بالرحبة الداخلية الفسيحة ، حيث لم يشيد فيها سوى قصر الخليفة (باب الذهب) ، والمسجد الجامع ، والدواوين ، ودور لأولاد الخليفة ، وسقيفتين ، إحداهما لصاحب الحرس والأخرى لصاحب الشرطة . وقسمت المدينة إلى أربع مناطق متساوية ، يقسمها طريقان يبدآن من أبوابها المتساوية الأبعاد ، وذلك لضمان الإشراف على المدينة وتيسير حركة المواصلات في الداخل ، ومع طرق القوافل في الخارج . وكان باب خراسان (ويسمى أيضا باب الدولة) جهة الشمال الشرقي ، وباب البصرة جهة الجنوب الغربي ، وباب الشام جهة الشمال الغربي ، وباب الكوفة جهة الجنوب الشرقي . وكان على من يريد أن يصل إلى الدائرة الداخلية أن يعبر خندقا وأن يمر بخمسة أبواب ، اثنان منها في السور الخارجي ، وبابان ضخمان في السور الكبير وباب في السور الداخلي (انظر اليعقوبي : البلدان ، حـ ١ ، ص ٢٣٨ — ٢٤٢ ، الطبري ، حـ ٣ ، ص ٣٢٢ — ٣٢٣ ؛ ابن الجوزي : المناقب ، ص ٩ — ١٠ ؛ الخطيب البغدادي ، ص ٩ — ١٢ ؛ ابن الأثير ، حـ ٥ ، ص ٤٢٧ — ٤٢٨ ، ص ٤٣٩ ؛ اليعقوبي ، حـ ٢ ، ص ٤٤٩ ؛ ابن الفقيه ، مخطوطة ، ورقة رقم ١٣٣) .

وروعيت في التخطيط أيضا التقاليد الإمبراطورية القديمة . يؤيد ذلك وجود حجاب بين الخليفة وبين شعبه ، والتخطيط الفخم للقصر والمسجد لإظهار عظمة الدولة الجديدة ، وتوزيع الناس على ربوع منفصلة يمكن إغلاقها وحراستها بالليل .

ووزع المنصور على بعض مواليه وقواده المخلصين قطائع بجوار الأبواب خارج المدينة ، ومنح جنوده الأرباض لكي يبنوا عليها دوراً لهم ، ووهب لبعض آل بيته أطراف المدينة (اليعقوبي ، حـ ٢ ، ص ٤٤٩ — ٤٥٠ ؛ انظر ابن حوقل ، حـ ١ ، ص ٢٤٠) .

وكانت القبة الخضراء تحفة تفخر بها المدينة المدورة ، وارتفاعها ٤٨,٣٦ مترا ، وكانت تنهض شامخة فوق القصر ، وعلى قمتها تمثال على شكل فارس يمتطي صهوة جواده . وقد خرت هاوية عام ٣٢٩ هـ (٩٤١ م) في ليلة عاصفة ، وربما نزلت عليها صاعقة (الصولي : الراضي ، ص ٢٢٩ ؛ ابن الجوزي : المنتظم ، حـ ٦ ، ص ٣١٧ — ٣١٨ ؛ المناقب ، ص ١١ ؛ أبو المحاسن ، حـ ٣ ، ص ٢٧٠ ؛ الخطيب ، ص ١١) . ومهما يكن من شيء فإن أسوارها ظلت قائمة فترة أطول ،

ثم تهدمت آخر الأمر عام ٦٥٣هـ (١٢٥٥م ؛ ابن الفوطي ، ص ٣٠٣ ؛ سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ص ٦٧) . واستخدم فى بناء باب الذهب الرخام والحجر ومُوِّه بابه بالذهب . وظل المقر الرسمى زهاء نصف قرن ، ومع أن الرشيد انصرف عنه فإن الأمين أضاف إليه جناحا جديدا ، وأنشأ حوله « ميدانا » وتعرض للكثير من الدمار إبان حصار بغداد عام ١٩٨هـ (٨١٤م) ، ثم بطل استعماله مقراً رسميا وأهمل (انظر ابن الفوطى ، ص ٣٠٣) .

وشيد جامع المنصور بعد القصر ولهذا انحرف قليلا عن القبلة (انظر الطبرى ، طبعة القاهرة ، جـ ٦ ، ص ٢٦٥ ؛ ابن الأثير ، جـ ٥ ، ص ٤٣٩)؛ وهدمه الرشيد عام ١٩١هـ (٨٠٧م) وأعاد بناءه بالآجر . ووسع عام ٢٦٠ – ٢٦١هـ (٨٧٥م) وزيدت مساحته أخيرا عام ٢٨٠هـ (٨٩٣ م) ؛ وأضاف المعتضد إليه صحنا آخر وجدد منه أجزاء (المنتظم ، جـ ٥ ، ص ٢١ ، ١٤٣) ؛ وكان للمسجد مئذنة (الخطيب ، جـ ٥ ، ص ١٢٥) احترقت عام ٣٠٣هـ (٩١٥م ؛ المنتظم ، جـ ٦ ، ص ١٣٠) ، ثم أعيد بناؤها (انظر ابن الجوزى : المنتظم ، جـ ٧ ، ص ٢٨٤) ؛ وقد ظل المسجد الجامع فى بغداد فى عهد الخلافة ، وغمره الفيضان عام ٦٥٣هـ (١٢٥٥م) ، وقدّر له أن يبقى بعد هذا الفيضان وغزوة المغول .

ويعكس تخطيط بغداد أفكارا اجتماعية . فقد كان لكل ربع شخص مسؤول ، وكانت تقيم به بصفة عامة جماعة متجانسة ، من الناحية العنصرية (فرس ، وعرب ، وخوارزمية) ، أو من الناحية المهنية . وكان للجنود منازل خارج الأسوار ، تقوم بصفة عامة شمالى المدينة وغربيها ، بينما كان التجار والصناع يتركزون جنوبى قناة الصراة فى الكرخ (انظر ابن الفقيه ، مخطوطة ، ورقة رقم ٣٧ ب ، ٣٣ ب ، ٢٩ ب) ؛

وللأسواق شأن كبير فى تخطيط بغداد . ولقد كانت تقوم فى مبدأ الأمر طاقات فى كل طريق من الطرق الأربعة من السور الكبير إلى السور الداخلى ، وفيها أقيمت حوانيت ، ومن ثم قامت أربع أسواق (انظر الطبرى ، جـ ٣ ، ص ٣٢٢) . يضاف إلى هذا أن الخليفة أمر بأن يكون لكل منطقة من المناطق الأربع خارج السور رحبة تسمح بإقامة الأسواق فيها بحيث يكون فى كل منطقة سوق كبيرة (اليعقوبى : البلدان، ص ٢٤٢) . ودفعت اعتبارات الأمن المنصور إلى أن يأمر بإزالة الأسواق من المدينة المدورة عام ١٥٧هـ (٧٧٣م) ونقلها إلى الكرخ ، فقد أراد أن يبعد العامة من المشاغبين عن المدينة وأن يتأكد من أن أبواب الأحياء لا تترك مفتوحة خدمة للأسواق بالليل ، كما أمر باتخاذ الحيطة حيال أية جواسيس يمكن أن يتسربوا إلى المدينة . ورسم خطة لبناء الأسواق بين قناة الصراة وقناة عيسى (الطبرى جـ ٣ ، ص ٣٢٤ – ٣٢٥ ؛ ابن الجوزى : المناقب ، ص ١٣ – ١٤ ؛ ياقوت ، جـ ٤ ، ص ٢٥٤) .

وكان لكل حرفة أو تجارة سوقها المنفصلة أو دربها ، وكانت بين أسواق الكرخ سوق للفاكهة وسوق للقماش ، وسوق للطعام ، وسوق للصيارفة ، وسوق للوراقين ، وسوق للأغنام (اليعقوبى : البلدان ، ص ٢٤١ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ و ٢٥٣ ؛ الإصطخرى ، ص ٨٤ ؛ ابن حوقل ، ص ٢٤٢ ؛ الخطيب ، ص ٢٢ ، ٣١ ، ٦٧ ؛ ابن الجوزى : المناقب ، ص ٢٦ — ٢٨) ؛ ومع نمو المدينة نسمع عن تجار أتوا من خراسان وما وراء النهر ومَرْو وبَلْخ وبُخارى وخُوَارَزْم ، وكانت أسواقهم فى حى الحربية ، ولكل جماعة من هؤلاء التجار نقيب وشيخ(اليعقوبى : البلدان ، ص ٢٤٦ — ٢٤٨) ؛ ويبدو أنه كان لكل حرفة شيخ تختاره الدولة (انظر الدورى : تأريخ العراق الاقتصادى ، ص ٨١) .

وثمة رواية تذهب إلى أن المنصور أراد أن يهدم جانبا من القصر الأبيض فى طيسفون لاستخدام الآجر فى مبانيه ، ولكنه كفّ عن ذلك لأن النفقات لا تبرر القيام به . وهناك خبر آخر ينسب إلى المنصور أنه صاحب فكرة ترميم ذلك القصر ، بيد أنه يقول إن الوقت لم يتسع أمامه لإنجازه ، وكلتا الروايتين من آثار مناظرات الشعوبية ، فقد شيدت المدينة خاصة بالآجر .

ويقول اليعقوبى إن الخطة وضعت عام ١٤١هـ (٧٥٥م ؛ اليعقوبى : البلدان ، ص٢٣٨) بيد أن العمل لم يبدأ إلا فى غرة جمادى عام ١٤٥ (٢ أغسطس عام ٧٦٢م) ، خبر الخوارزمى الواردفى كتاب الخطيب البغدادى ، ص ٢ ؛ انظر Wiet ، اليعقوبى ، ص١١ ، تعليق رقم ٤) ؛ واشترك فى وضع خطة المدينة أربعة من المهندسين المعماريين ، وكان حجاج بن أرْطاة المهندس المعمارى للمسجد (الطبرى ، طبعة القاهرة ، جـ٦ ، ص٢٦٥ ، ٢٣٧ ؛ اليعقوبى ، ص٢٤١) .

وحشد المنصور ١٠٠,٠٠٠ عامل وصانع للعمل فى إنشائها (اليعقوبى ، ص٢٣٨ ؛ الطبرى ، جـ٣ ، ص٢٧٧) ؛ وشقت قناة من نهر كرخايا إلى الموقع لتزويد الناس بالماء للشرب ولأغراض البناء (اليعقوبى ، ص٢٣٨) ؛ ويبدو أن القصر والمسجد والدواوين على الأقل قد تم بناؤها عام ١٤٦هـ (٧٦٣م) ، وأن المنصور انتقل إلى بغداد (الطبرى ، جـ٣ ، ص٣١٣ ؛ الخطيب البغدادى ، ص٢) . وما إن حل عام ١٤٩ هـ (٧٦٦م) حتى اكتمل بناء المدينة المدورة (الطبرى ، جـ٣ ، ص٣٥٣ ؛ الخطيب ، ص٢—٣) .

و«المدينة المدوّرة» التى شيدها المنصور نموذج فريد فى تخطيط المدن . فقد كانت مدورة ، قلبها على أبعاد متساوية من المناطق المختلفة ومن اليسير التحكم فيها أو الدفاع عنها . ويعد هذا التخطيط فى نظر الروايات العربية فريدا فى بابه(اليعقوبى ، ص ٢٣٨ ؛ ابن الفقية ، ورقة رقم ٣٣ب ؛ الخطيب البغدادى ، ص٦٧ ؛ الذهبى : دول الإسلام ، جـ١ ، ص٧٦) . ومهما يكن من شىء فإن الخطة المدورة ليست من الخطط غير المألوفة فى الشرق الأدنى ، فتخطيط أرُك يكاد يكون مدوّرا (Christian . V : *Altertumskunde* ،

جـ ٢ ، جدول رقم ١٣) : والمعسكرات الحربية الآشورية أحيار مدورة يحيط بها سياج ؛ ويحصى كرزويل Creswell إحدى عشرة مدينة كانت بيضاوية الشكل أو مدوّرة « من بينها حرّان أگبتاناوهتّره،ودارابْجِرْد . وهناك شبه عجيب بين دارابجرد ومدينة المنصور فى تخطيطهما (Creswell : *Early Muslim Arch.* « الموجز ، ص ١٧١ — ١٧٣ ؛ Meissner : *Babylonien und Assyrien* ، جـ١ « جدول رقم ١٦١) ؛ .

ومن المحتمل أن المهندسين المعاريين للمدينة المدوّرة كانوا يعرفون مثل هذه الخطط . ويشير ابن الفقيه إلى أن اختيار التخطيط انحصر بين المربع والدائرة، وأن الأخيرة أقرب إلى الكمال(البلدان، مخطوطة ، ورقة رقم ٣٣ ب) : ومهما يكن من شيء فإن فكرة الحصن المدور هى التى أدت « على الأرجح،إلى هذا التخطيط : ويقول الطبرى: « وجعل (المنصور) أبوابها أربعة » على تدبير العساكر فى الحروب » (الطبرى، طبعةالقاهرة، جـ ٦ ، ص ٢٦٥) .

وهناك أخبار متضاربة عن أبعادمدينة المنصور، فيذهب خبر إلى أن المسافة بين باب خراسان وباب الكوفة ٨٠٠ ذراع (= ٤٠٥,١٢ متراً) ومن باب الشام إلى باب البصرة ٦٠٠ذراع (٣٠٣,١٢متراً ؛ الخطيب البغدادى « ص ٩ — ١١ ؛ ابن الفقيه، مخطوطة ، ورقة رقم ٣٣ ب) : وفى خبر آخر عن وكيع أن المسافة بين كل بابين ١٢٠٠ ذراع (= ٦٠٨,٢٨ متراً ؛ الخطيب ، ص ١١) ؛ والحق إن كلا الخبرين يقدر حجم المدينة تقديراً أقل من الواقع . وفى خبر ثالث أورده رَباح ، أحدمن شيدوا المدينة « أن المسافة بين كل بابين ميل واحد (أو ٤٠٠٠ ذراع مرسلة أو ١٨٤٨ متراً : د. الريّس « ص ٢٧٨ ؛ الخطيب البغدادى « ص ٨ ، وقد أورد ابن الجوزى هذا التقدير فى كتابه :المناقب « ص ٩ ؛ ياقوت ، جـ ١ « ص ٢٣٥ ؛أبو المحاسن، جـ ١ ، ص ٣٤١ ؛ الإرْبِلِىّ : التبر،ص ٥٤) . ويؤكد هذا التقدير القياس الذى نفذ تلبية لأوامر المعتضد وورد فى خبر لبدر المعتضدى (الخطيب البغدادى،ص ٥؛أبو المحاسن ، جـ ١،ص ٣٤١) ؛ وطبقاً لهذا القياس يكون قطر المدينة ٢٣٥٢ متراً ؛ أما اليعقوبى فإنه يقدر المسافة بين كل بابين خارج الخندق بمقدار ٥٠٠٠ ذراع أسود (أو ٢٥٣٤,٥ متراً)، وهذا التقدير هو الأرجح فى ضوء هذه المعلومات (البلدان ، ص ٢٣٨ — ٢٣٩) «

وتضاربت الأخبار عن نفقة المنصور على بناء المدينة ؛ فخبر يقدر النفقات بمبلغ ثمانية عشر ألف ألف ، والمفهوم أنها من الدنانير (الخطيب البغدادى ، ص ٥ ؛ ابن الجوزى : المناقب ، ص ٣٤ ؛ ياقوت ، جـ ١ ،ص ٨٦٣ ؛ الإربلى: التبر ، ص ٥٤٣) . وفى خبر ثان أنها مائة ألف ألف درهم (أبو المحاسن ، جـ ١ ، ص ٣٤١) . ومهما يكن من شيء فإن البيان الرسمى الذى يستند إلى وثائق الخلافة يقرر أن المنصور أنفق على المدينة المدوّرة أربعة آلاف ألف درهم وثمانمائة وثلاثة وثمانين درهما [الطبرى ، جـ ٣ « ص ٣٢٦ ؛ المقدسى :

أحسن التقاسيم ، ص ١٢١ ؛ الخطيب البغدادى ، ص ٥–٦ ؛ انظر ايضاً ابن الأثير ، ج ٥ ، ص ٤١٩ ، ابن الجوزى : المناقب ، ص ٣٤) ؛ وفى وسعنا أن نصل إلى هذا التقدير إذا أخذنا فى الحسبان انخفاض أجر العمل وأثمان المبرة ودقة المنصور فى الإشراف على حساباته .

وفى عام ١٥٧ ﻫ (٧٧٣ م) شيد المنصور قصراً على نهر دجلة أسفل باب خراسان ، تحيط به بساتين فسيحة ، وأطلق عليه اسم قصر الخُلْد؛ وكان الموضع الذى أقيم به خاليا من البعوض مشهوراً بطيب هوائه.ولقد أطلق عليه هذا الاسم تيمنا بجنة الخلد (الطبرى ، ج ٣ ، ص ٣٧٩ ؛ الخطيب ، ص١٤ ؛ ياقوت ، ج ٢ ، ص٧٨٣ ؛ ابن الجوزى : المناقب ، ص ١٢ ؛ ابن الأثير ، ج ٦ ، ص ٧٢ ؛ ابن الفقيه، ورقةرقم ٣٧ ب)؛

ولم تلبث الاعتبارات الاستراتيجية والسياسية التى انتهجها المنصور بتقسيم الجيش ، والافتقار إلى الأرض الفضاء أن حملت الخليفة على إقامة معسكر لولى عهده المهدى على الضفة الشرقية لنهر دجلة . وكان معسكر المهدى— وقد أطلق عليه فيما بعد الرصافة تيمنا باسم قصر بناه الرشيد — حيث شيد القصر والمسجد ، بمثابة النواة تحيط بها بيوت القواد والأتباع ؛ وسرعان ما وجد الجانب التجارى مجالا له فى أسواق باب الطاق؛ أما الجانب العسكرى فيبدو بوضوح فى قيام سور وخندق يحيطان بمعسكر المهدى . وقد بدأ العمل فيه عام ١٥١ ﻫ (٧٦٨ م) وانتهى عام ١٥٧ ﻫ (٧٧٣ م).وكانت الرصافة فى موضع يكاد يكون مقابلا لمدينة المنصور (اليعقوبى : البلدان ، ص ٢٥١ — ٢٥٣ ؛ الإصطخرى ، ص ٨٣ — ٨٤ ؛ الخطيب البغدادى ، ص ٢٣ — ٥ ؛ ابن الجوزى : المناقب ، ص ١٢ — ١٣ ؛ المقدسى ، ص ١٢١ ؛ أبو المحاسن ، ج ٢ ، ص ١٦ ؛ ياقوت ، ٢ ج ، ص ٧٨) .

واتسعت رقعة بغداد بسرعة فزادت مبانيها ونشطت فيها الحركة التجارية وازدادت ثروة وسكاناً، وتكالب الناس على السكنى فى شرقى بغداد،فقد اجتذبتهم هبات المهدى ثم عطايا البرامكة الذين كان لهم حى خاص عند باب الشـمّـاسيـة (اليعقوبى : البلدان ، ص ٢٥١ ؛ الأغانى ، طبعة بولاق ، ج ٦ ، ص٧٨ ؛ ج ٥ ، ص ٨ ؛ ابن خلكان طبعة بولاق، ج ٢ ، ص ٣١١) ؛ وشيد يحيى البرمكى قصراً فخماً وأطلق عليه الاسم المتواضع قصر الطين (الأغانى ، ج ٥، ص ٨) ؛ وشيد جعفر قصراً عظيماً فاخراً أسفل شرقى بغداد،أصبح فيما بعد من نصيب المأمون ، وامتدت رقعة الجانب الشرقى فى عهد الرشيد من باب الشماسية (المواجه لباب قَطْرَبُّل)إلى المخرّم(وحدُّها الجنوبى قنطرة المأمون الحديثة ؛ اليعقوبى : البلدان ، ص ٢٥٣ — ٢٥٤) ؛ ومن جهة أخرى فإن الأمين عاد من قصر الخلد ، حيث كان يقيم الرشيد ، إلى قصر باب الذهب ، وجدّده ، وأضاف إليه جناحاً ، وأحاطه بمربع (انظر الجَهْشيارى ، طبعة القاهرة ، سنة ١٩٣٨ ، ص ١٩٣ ؛ ابن الأثير ،

ج ١١ ، ص ١٥٢). وشيدت الملكة زبيدة مسجداً على نهر دجلة (نسب إليها) قرب القصور الملكية ومسجداً رائعاً آخر فى قطيعتها شمالى المدينة (ياقوت ، ج ٤ ، ص ٢١١ ؛ ابن خلكان ، ص ١٨٨ ؛ المستطرف ، طبعة بولاق ، ج ١ ، ص ٢٨٩) وشيدت أيضاً قصراً أطلقت عليه اسم القرار قرب قصر الخلد (انظر الخطيب ، ج ١ ، ص ٨٧) .

وامتدت رقعة الجانب الغربى بين باب قَطْرَبُّل فى الشمال وحى الكرخ ، الذى اتسعت رقعته بدوره حتى وصل إلى قناة عيسى الكبرى (وتصب هذه القناة فى نهر دجلة عند تلول خَشْم الدَّوْرَة) ؛ ووصلت جهة الغرب إلى المُحَوَّل تقريباً (المشرق ، سنة ١٩٣٤ ، ص ٨٩ ؛ انظر القصيدة التى فى كتاب ياقوت ، ج ١ ، ص ٦٨٦ ؛ المسعودى ، ج ٦ ، ص ٤٥٤ ؛ الطبرى ، ج ٣ ، ص ٨٧٤ ، ٨٧٦) ؛ ويتغنى الشعراء بجمال بغداد ، ويصفونها بأنها « جنة الله فى أرضه » . وقد اشتهرت ببساتينها الرائعة وريفها النضير ، وقصورها الفخمة الشامخة المزينة بزخارف فاخرة على الأبواب وفى القاعات ، ورياشها البديعة الثمينة (انظر الطبرى ، ج ٣ ، ص ٨٧٣ ، ٨٧٤ ؛ القالى : الأمالى ، ج ٢ ، ص ٢٣٧ ؛ ياقوت ، ج ١ ، ص ٦٨٦) .

وتلقت بغداد ضربة قاسية إبان النزاع الذى اشتجر بين الأمين والمأمون . ووصلت الحرب إلى المدينة عندما ضرب عليها حصار دام أربعة عشر شهراً (المسعودى ، ج ٦ ، ص ٤٥٦) . وأحنق صمود المدافعين طاهراً فأمر بهدم دورهم ، ودمرت أحياء كثيرة « ما بين دجلة ودار الرقيق (شمالى باب خراسان) وباب الشأم وباب الكوفة إلى الصراة وأرجاء أبى جعفر وربض حُمَيْد ونهر كرخايا والكُناسة » (الطبرى ج ٣ ، ص ٨٨٧) ؛ وشملها الخراب على يد الغوغاء والخارجين على القانون والعيارين . وتعرض للتدمير الشديد قصر الخلد وقصور أخرى ، وهى الكرخ وبعض الربوع الواقعة على الجانب الشرقى . ويعبر عن ذلك الطبرى والمسعودى فيقولان : « وكثر الخراب والهدم حتى درست محاسن بغداد » (انظر الطبرى ، ج ٣ ، ص ٨٧٠ — ٨٧٩ ، ٩٢٥ — ٩٢٦ ؛ المسعودى ، ج ٦ ، ص ٤٥٤ — ٤٥٩ ؛ ابن الأثير ، ج ٦ ص ١٨٨ وما بعدها) . وظلت الفوضى والقلاقل تضرب أطنابها فى بغداد إلى أن عاد المأمون من مرو عام ٢٠٤ هـ (٨١٩ م) . وأقام المأمون فى قصره ووسع رقعته حتى لقد أضاف إليه حلبة للسباق وحيراً للوحوش (حديقة للحيوان) وأحياء لمواليه المخلصين (ياقوت ، ج ا ، ص ٨٠٧) . ثم وهب هذا القصر للحسن بن سهل — ليصبح اسمه الحسنى — الذى أوصى به لابنته بوران . وانتعشت بغداد من جديد فى عهد المأمون . وشيد المعتصم قصراً فى الجانب الشرقى (اليعقوبى ، ص ٢٢٥ ؛ انظر الخطيب ، ص ٧٤) . ثم قرر أن يبحث عن عاصمة جديدة لجيشه التركى الجديد ، فقد كانت بغداد شديدة الازدحام لا تتسع لجنوده ، وكان الأهلون وفرق الجند القديمة يكنون العداء لجنود الأتراك . وخشى أن يحدث ما يكدر صفو الأمن . وفقدت بغداد أيام سامراء (٨٣٦ —

٨٩٢ م) اهتمام الخلفاء بها (انظر اليعقوبى ، ج٢ ، ص ٢٠٨ ؛ الإربلى ، ص ١٦١) ولكنها ظلت أكبر مركز للتجارة والنشاط الثقافى .

وعانت بغداد أيضا من القلاقل التى أثارها الأتراك ، عندما انتقل إليها المستعين من سامراء ، وحاصرتها قوات المعتز طوال عام ٢٥١ ه (٨٦٥ — ٨٦٦ م) ؛ وامتدت رقعة الرصافة فى هذه الفترة إلى سوق الثلاثاء (حتى شارع السموأل الحديث) . وأمر المستعين بالله بتحصين بغداد ومد السور القائم على الجانب الشرقى من باب الشماسية إلى سوق الثلاثاء ، والسور القائم على الجانب الغربى من قطيعة أم جعفر حول الربوع حتى قناة الصراة وحفر حولها خندق طاهر المشهور (الطبرى ، ج ٣ ، ص ١٨٥١) . ودمرت أثناء هذا الحصار منازل وحوانيت وبساتين خارج السور الشرقى لضرورات الدفاع (الطبرى ، ج ٣ ، ص ١٥٧١) وتعرضت للدمار الشديد الأحياء الشرقية من الشماسية والرصافة والمخرم .

وعاد المعتضد أخيراً إلى بغداد عام ٢٧٨ ه (٨٩٢ م) وكان قد طلب من بوران قصر الحسنى ، بيد أنها جددته وأثثته ليليق بخليفة ، وسلمته له (انظر ابن الجوزى : المنتظم ، ج٥ ، ص ١٤٤) ؛ ثم قام المعتضد بإعادة بناء القصر عام ٢٨٠ ه (٨٩٣ م) ووسع رقعة أراضيه وأضاف إليه أبنية جديدة وشيد سجوناً فوق مطامبره . وأضاف حلبة سباق ثم أحاط المنطقة بسور خاص وقدر له أن يصبح دار الخليفة ، وظل بعد إضافة بعض المبانى إليه ، مقره الرسمى (الخطيب البغدادى ، ص ٥٢ ؛ ابن الجوزى : المنتظم ، ج٦ ، ص ٥٣ ، المناقب ، ص ١٥ ؛ التنوخى : نشوار المحاضرة ، ج ٨ ، ص ١٥ ؛ أبو المحاسن ، ج ٣ ، ص ٨٥ ؛ الإربلى ، ص ١٧٣) .

ثم وضع أساس قصر التاج على مقربة من نهر دجلة ، بيد أنه رأى فيما بعد أنه يتعرض للكثير من الدخان من ناحية المدينة ، فقرر أن يشيد قصراً آخر على بعد ميلين ناحية الشمال الشرقى . وشيد قصر الثريا الشاهق العظيم ووصله بقصر (الحسنى) بنفق ، وأحاطه ببساتين ، وجلب إليه الماء من قناة موسى (انظر وصف ابن المعتز له فى ديوانه ، طبعة بيروت سنة ١٩١٣ ، ص ١٣٨ — ١٣٩) ؛ وأمر أيضاً بألا يزرع حول بغداد أرز أو نخيل ليبقى الهواء نقياً خالصاً (انظر ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٥ ، ص ١٤٢) . وبقى قصر الثريا فى حالة جيدة حتى عام ٤٦٩ ه (١٠٧٣ — ١٠٧٤ م) وهنالك اكتسحته مياه الفيضان ودمرته (ابن الجوزى : المناقب ، ص ١٥ ؛ ياقوت ، ج ١ ، ص ٨٠٨) ؛

ويدأ الخراب يدب فى المدينة المدورة وقتذاك ؛ وأمر المعتضد بهدم سور المدينة ، ولكن ما إن هدم قسم صغير منه حتى علت أصوات الهاشميين بالشكوى ، لأنه كان يرمز إلى مجد العباسيين ، فتوقف المعتضد عن هدمه . ومهما يكن من شىء فإن الناس وسعوا بيوتهم شيئاً فشيئاً على حساب السور ، وأدى هذا ، آخر الأمر ، إلى هدم السور وخراب المدينة (التنوخى : نشوار المحاضرة ، ج ١ ، ص ٧٤ — ٧٥) ؛

وشيد المكتفى (٢٨٩ — ٢٩٥ هـ = ٩٠١— ٩٠٧ م) قصر التاج وزوده بأبهاء وقباب ورصيف على نهر دجلة ، وبنى قبة شاهقة نصف دائرية على أراضيه بحيث يستطيع أن يبلغ قمتها ممتطيا ظهر حمار (الخطيب البغدادى ، ص٤٨ ، الإربلى ، ص ١٧٥ ؛ ياقوت ، ج ١ ، ص٨٠؛ ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٥ ، ص ١٤٤) ؛ وفى عام ٢٨٩ = (٩٠١ م) هدم المكتفى السجون الملحقة بالقصر وبنى ، جامع القصر ، الذى أصبح ثالث مسجد جامع فى المدينة حتى عهد المقتدر (ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٦ ، ص ٣ ؛ الخطيب البغدادى ، ص ٦٢) .

ولقد أضاف المقتدر (٢٩٥ — ٣٢٠ هـ = ٩٠٨ — ٩٣٢ م) مبانى جديدة إلى القصور الملكية وزينها على نحو يفوق الوصف ؛ ووجه عناية خاصة لـ « حير الوحوش » أى حديقة الحيوان (انظر الخطيب البغدادى ، ص ٤٨ ، ٥٣) ؛ وقد أورد الخطيب وصفاً تفصيلياً مدهشاً لعام ٣٠٥ = (٩١٧ — ٩١٨ م) ؛ وكان السور المتين الذى يحيط بالقصور والممر السرى الذى يصل ديوان المقتدر بأحد الأبواب من الوسائل الدفاعية الضرورية (انظر الخطيب ، ص ٥١) : ومن عجائب بغداد « دار الشجرة » ، وفيها شجرة من الفضة فى بركة واسعة لها ١٨ فرعاً وأغصان متعددة ، عليها طيور وعصافير من الفضة أو مموهة بالذهب ، تغرد فى أوقات ؛ وعلى كل جانب من البركة ١٥ تمثالا لفرسان يمتطون صهوات جيادهم ويتحركون فى اتجاه واحد وكأنما يطارد بعضهم بعضاً (ص ٥٤) ؛ وهناك بركة أخرى من الزئبق مساحتها ٣٠ × ٢٠ ذراعاً تسبح فيها أربعة قوارب مموهة بالذهب وحولها بستان يفوق الوصف . وكان حير الوحوش يضم كل أنواع الحيوان ، وفيه بيت الأسود ويضم مائة أسد ؛ وهناك قصر الفردوس بأسلحته الشهيرة ؛ وقد أحصيت القصور فكانت ثلاثة وثلاثين قصراً داخل نطاق الأراضى الملكية (انظر الخطيب ، ص ٥٣ — ٥٥ ؛ ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٤٤) .

وبلغت بغداد أوج ازدهارها فى ذلك العهد ، فقد امتد الجانب الشرقى منها خمسة أميال (الميل الواحد = ١٨٤٨ متراً) من الشماسية إلى دار الخلافة فى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى ، الإصطخرى ، ص ٨٣) ؛ ويقول طيفور المتوفى عام ٨٩٣ م إن الموفق أمر بقياس أبعاد بغداد قبل عام ٢٧٩ = (٨٩٢ م) ، فوجد أن مساحتها ٤٣٫٧٥٠ جريبا منها ٢٦٫٢٥٠ جريبا فى شرقى بغداد و١٧٫٥٠٠ جريب فى غربى بغداد (ابن الفقيه ، ورقة رقم ٤٤ ب ، انظر ابن حوقل ، ج ١ ، ص ٢٤٣) ؛ وتذهب رواية أخرى لطيفور أن مساحة شرقى بغداد فى عهد الموفق كانت ١٦٫٧٥٠ جريبا (الجريب الواحد = ١٣٦٦ متراً مربعاً) وأن مساحة غربى بغداد كانت ٢٧٫٠٠٠ جريب ؛ وهذا التقدير هو الأرجح لأن غربى بغداد ظل حتى ذلك الوقت أهم من شرقها ؛ وفى رواية أخرى أن المساحة قدرها ٥٣٫٧٥٠ جريبا منها ٢٦٫٧٥٠ جريبا فى الشرق

و٠٠٠ر ٢٧ جريب فى الغرب (الخطيب، ص ٧٤). والراجح أن الرقم الأخير يمثل المساحة فى عهد المقتدر عند ما اتسعت رقعة بغداد فى الشرق اتساعاً كبيراً ، ويكاد يكون طول بغداد من ناحيتها فى كل هذه الأخبار واحداً . وبالنسبة للرقم الأول يقدر طول بغداد كما أورده الإصطخرى وطيفور ، عام ٢٧٩ هـ (٨٩٢ م) ، بنحو ٧ ¼ كيلومتر وعرضها بنحو ٦¾ كيلومتر ، بينما كان طولها فى عهد المقتدر (٣٢٠ هـ = ٩٣٢ م) حوالى ٨¾ كيلومتر وعرضها حوالى ٧½ كيلومتر .

وهذا الموقع الجغرافى لبغداد ونشاط سكانها (انظر الجاحظ : البخلاء ، ص ٣٩ ؛ التنوخى : الفرج بعد الشدة ، جـ ٢ ، ص ١١) وتشجيع الدولة للتجارة (انظر اليعقوبى ، ص ٥٩٠) وهيبة الخلافة ، كل ذلك لم يلبث أن جعل بغداد مركزاً عظيما للتجارة (انظر الدورى : تاريخ العراق الاقتصادى ، ص ١٤٣ — ١٥٧) . وأصبحت الأسواق معلما جوهريا من معالم الحياة فيها ، فى الرصافة وفى الكرخ بصفة خاصة . وكانت لكل تجارة سوقها الخاصة بها ، ومن بين تلك الأسواق : سوق الفاكهة ، وسوق القماش ، وسوق القطن ، وسوق الوراقين — وكان بها أكثر من مائة حانوت — وسوق الصيارفة ، وسوق العطارين فى الكرخ . وكانت هناك أسواق للتجار الأجانب فى سوق باب الشام . وعلى الجانب الشرقى كانت تقوم اسواق شتى تضم سوق الطيب لبيع الأزهار ، وسوق للطعام ، وسوق الصاغة، وسوق الغنم ، وسوق الوراقين ، وسوق التجار من الصين (اليعقوبى : البلدان ، ص ٢٤١ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨ ، ٢٥٤ ؛ الإصطخرى ، ص ٤٨ ؛ الخطيب البغدادى ، ص ٢٢ ، ٦٥ وما بعدها ، ٣٦ ، ٦٩ ؛ ابن الجوزى : المناقب ، ص ٢٦ ، ٢٧ — ٨٠ ؛ ابن حوقل ، ص ٢٤٢) . وأقيم منذ عهد المنصور محتسب لمراقبة الأسواق ومنع الغش ومراجعة المكاييل والأوزان (انظر الخطيب ص ٢٠ ؛ الصابى : الرسائل ، ص ١١٤ ، ١٤١ — ١٤٢ ؛ الماوردى ، ص ١٤١ — ١٤٢) . وكان المحتسب أيضاً يراقب الحمامات وله أن يلاحظ المساجد (الخطيب ، ص ٧٨) ، كما كان يمنع أوجه النشاط المخربة .

وكان لكل تجارة أو حرفة شيخ تعينه الدولة ، ولكل حرفة صانع وأستاذ (انظر إخوان الصفا ، جـ ١ ، ص ٢٥٥ ؛ وانظر مقالات الجاحظ ، طبعة السندوبى ، ص ١٢٦) . وكانت بغداد تصدر الأقمشة القطنية ، والمنسوجات الحريرية ، وبخاصة المناديل والمبدعات والعمائم والبلورات المخروطة والفخار المزجج والزيوت المختلفة والأشربة والمعاجين (حدود العالم ، ورقة ١١ أ ؛ المقدسى ، ص ١٢٨) وكانت تصنع أيضاً قمصانا مختلفة الألوان ، وعمائم من نسيج رقيق وفوطا مشهورة (الدمشقى : التجارة ، ص ٢٦) ؛ وكانت قمصانها القطنية الرقيقة البيضاء لا نظير لها (ابن الفقيه ، ص ٢٥٤)، وكانت منسوجات السقلطون (قماش حريرى) والملحم والعتابى (من الحرير والقطن) مما اشتهرت

به بغداد (حدود العالم ، ص ٣٨ ؛ النويرى ، جـ ١ ، ص ٣٦٩ ؛ أبو القاسم ، ص ٣٥ ؛ المقدسى ، ص ٣٢٣ ، ابن حوقل ، ص ٢٦١) ؛ وكانت سيوف ممتازة تصنع فى باب الطاق (عريب ، ص ٥٠) . واشتهرت بغداد أيضاً بمصنوعاتها الجلدية وبصناعة الورق (انظر ابن الفقيه ، ص ٢٥١) .

وكان تطور النظام المصرفى فى بغداد — كما يتضح من الأعمال التى كان يقوم بها الصرافون والجهابذة — حافزا كبيراً للتجارة والصناعة . وكانت للصرافين أسواق خاصة ، ولا سيما فى الكرخ (انظر الجهشيارى ، ص ٢٢٨) ؛ وكانوا فى مبدأ الأمر يقدمون خدماتهم للأهالى ، على حين كان الجهابذة يعملون غالبا فى خدمة الحكومة وموظفيها .

وأصبحت بغداد دولية من حيث سكانها ، فقد كان أهلها أخلاطاً من شتى الأمم والألوان والنحل ، ممن وفدوا إليها من أجل العمل والتجارة ، ومن المجندين والأرقاء ، أو ممن جاءوا لممارسة مهن أخرى . وجدير بالذكر أن عامة الناس بدأوا فى القيام بدور هام فى حياة بغداد (انظر ابن الأثير ، جـ ٨ ، ص ٨٥ — ٨٦ ؛ مسكويه ، جـ ١ ، ص ٧٤ — ٧٥ ؛ الإصفهانى : تأريخ ، طبعة برلين ، ص ١٣٠) ، أما عن ثورتهم على ارتفاع الأسعار عام ٣٠٧ هـ (٩١٩ م) وجهودهم للحفاظ على النظام عام ٢٠١ هـ (٨١٦ م) إبان الاضطرابات التى حدثت عقب مصرع الأمين فانظر الطبرى (جـ ٣ ، ص ١٠٠٩ — ١٠١٠) وابن الأثير (جـ ٦ ، ص ٢٢٨ — ٢٢٩ ؛ جـ ٧ ، ص ١٣ — ١٤) . وبدأ نشاط العيّارين والشطار فى هذا العهد (انظر الطبرى ، ص جـ٣ ، ١٠٠٨ ، ١٥٨٦ ؛ المسعودى ، جـ ٦ ، ص ٤٥٧ ، ص ٤٦١ وما بعدها) .

وليس من اليسير تقدير عدد سكان بغداد ، ومن الواضح أن هناك مبالغات فى تقدير عدد المساجد والحمامات (٣٠٠,٠٠٠ مسجد و٦٠,٠٠٠ حمام فى عهد الموفّق ، و ٢٧,٠٠٠ حمام فى عهد المقتدر ، و ١٧,٠٠٠ حمام فى عهد معز الدولة ، و ٥,٠٠٠ فى عهد عضد الدولة ، و ٣,٠٠٠ حمام فى عهد بهاء الدولة [الخطيب ، ص ٧٤ — ٧٦ ؛ ابن الفقيه ، ورقة رقم ٥٩ ب ؛ هلال الصابى : رسوم دار الخلافة ، مخطوطة ، ص ٢٧ — ٣٠) ؛ وقد أحصيت الحمامات عام ٣٨٣ هـ (٩٩٣ م) فوجد أن عددها ١,٥٠٠ حمام . وتؤكد الروايات أن كل حمام كان يكفى حوالى ٢٠٠ بيت (ابن الفقيه ، ورقة رقم ٥٩ ب ، ٦٠ أ ؛ هلال الصابى ، مخطوطة ، ص ٢٩) . وإذا كان متوسط عدد الأفراد فى كل بيت خمسة ، فإن عدد سكان بغداد يكون وقتذاك قد بلغ حوالى المليون ونصف المليون من النسمات . وأمر المقتدرُ سنانَ بن ثابت باختبار الأطباء ، وألا يمنح الإجازة بمزاولة المهنة إلا لمن يصلح لها ، وكانت النتيجة منح الإجازة لثمانمائة وستين طبيباً (ابن الأثير ، جـ ٨ ، ص ٨٥ ؛ ابن أبى أصيبعة ، جـ ١ ، ص ٢٢١ وما بعدها ،

٢٢٤ ، ٣١٠ ؛ القِفْطى ، ص١٩٤ وما بعدها) . فإذا أضفنا إلى هؤلاء ، من يعملون من الأطباء فى البيمارستانات الحكومية والذين لم يحصلوا على إجازة بالعمل ، فإن عدد الأطباء يصل — فيما يرجح — إلى الألف طبيب . وقد بلغ عدد المصلين يوم الجمعة الأخيرة من الشهر فى مسجد المنصور ومسجد الرصافة ٦٤,٠٠٠ مصلٍّ مقدرا بالمساحة المخصصة للصلاة (ابن الفقيه ، ورقة ٦٢ أ ؛ انظر أيضا الطبرى ، ج ٣ ، ص ١٧٣٠) . وقد أحصى عدد القوارب حوالى نهاية القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) فوجد أنه ٣٠,٠٠٠ قارب (ابن الجوزى : المناقب ، ص ٢٤) . ونستطيع من هذه الأرقام ومن مساحة بغداد أن نقدر عدد سكان بغداد فى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) بمليون ونصف المليون من النسمات ، ويتفق هذا الرقم مع ما يذكره الإتليدى ، أحد المعاصرين .

وكانت فى بغداد أحياء أرستقراطية مثل الظاهر ، والشماسية ، والمأمونية ، ودرب عون ؛ وأحياء فقيرة مثل قطيعة الكلاب ونهر الدجاج (أبو القاسم البغدادى ، ص ٢٣ ، ١٠٦) . وكانت البيوت من طابقين ، أما بيوت العامة فمن طابق واحد . وكانت بيوت الأغنياء لها حمامات وتقسم عادة إلى ثلاثة أقسام يحيط بها سور : قسم للسيدات ، وحجرات للضيفان ، وقسم للخدم . وكانت البساتين تحظى بعناية خاصة (الأغانى ، ج ٢ ، ص ٧٣ ؛ ج ٣ ، ص ٣١ ؛ ج ٩ ، ص ١٤٤ ؛ ج ٥ ، ص ٣٨ ؛ ج ١٧ ، ص ١٢٩ ؛ هلال الصابى : رسوم دار الخلافة ، ص ٣٢) . وكانت السجاجيد والأرائك والستائر والوسائد عناصر ملحوظة فى الأثاث (أبو القاسم ، ص٣٦) ، وكانت المراوح والبيوت المبردة خاصة والسراديب تستخدم فى الصيف (انظر ج . ملور : حضارة الإسلام ، ص ١١٧ ، ١٣٠) ؛ وكانت النقوش ورسوم الحيوان والنبات أو الوجوه الآدمية تزين المداخل (المصدر المذكور ، ص ٢٩ ؛ أبو القاسم ، ص ٧ ، ٣٦) .

وثمة سمة خاصة من سمات الحياة فى بغداد ، هى العدد الضخم من المساجد والحمامات كما سبق أن أوضحنا .

وكانت بغداد المركز العظيم للثقافة ، فقد كانت موئلاً للمذهبين الحنفى والحنبلى ، وكانت مركزا للترجمات ، فى بيت الحكمة وخارجه ، وموطناً لبعض التجارب العلمية ؛ وكانت مساجدها ، وبخاصة جامع المنصور ، مراكز كبيرة للدرس والتحصيل . وإن العدد الكبير من مكتبات الوراقين التى كانت تتحول أحياناً إلى « صالونات أدبية » ليدل على مدى النشاط الثقافى . وشعراؤها ومؤرخوها وعلماؤها أكثر من أن نحصيهم . وفى وسعنا أن نشير إلى تاريخ بغداد للخطيب لنرى العدد الكبير من العلماء ، فى ميدان واحد ، الذين يرتبطون ببغداد . وكان العلم لا يلقى كل تشجيع من الخلفاء فحسب بل كان يلقاه من الوزراء والكبراء أيضاً . والحق إن فترة الإبداع فى مجال الثقافة الإسلامية تقترن بمدينة بغداد فقد أسست فيما بعد إبان هذه الفترة دور كتب عامة كانت

مراكز للدرس والتحصيل ، وأشبه ها دار العلم التى أنشأها أبو نصر سابور بن أردشير . وعند ما ظهر نظام المدرسة عقد لبغداد لواء الزعامة بمدرستها النظامية والمستنصرية ، وأثرت فى نظام المدرسة ، من جهة المناهج العلمية والهندسة المعمارية على السواء .

وحظيت البيمارستانات بالكثير من العناية ، وبخاصة فى القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) والقرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) . واشتهر من بينها بيمارستان السيدة (٣٠٦ ﻫ = ٩١٨ م) والبيمارستان المقتدرى (٣٠٦ ﻫ = ٩١٨ م) والبيمارستان العضدى (٣٧٢ ﻫ = ٩٨٢ م) . كذلك أنشأ الوزراء وغيرهم البيمارستانات . وكان الأطباء يخضعون فى بعض الأحيان للإشراف (انظر ما سبق) .

وكانت فى بغداد ثلاث قناطر فى عهد الرشيد (اليعقوبى ، ج ٢ ، ص ٥١٠) . وكانت القنطرتان الشهيرتان تقومان قرب باب خراسان وفى الكرخ (انظر اليعقوبى ، ج ٢ ، ص ٥٤٢ ، الجهشيارى ، ص ٢٥٤ ؛ الطبرى ، ج ٣ ، ص ١٢٣٢) . وبنى الرشيد قنطرتين فى الشماسية ، ولكنهما دمرتا إبان الحصار الأول لبغداد (ابن الجوزى : المناقب ، ص ٢٠ ؛ ابن الفقيه ، ورقة رقم ٤٢ أ) . وظلت القناطر الثلاث قائمة حتى نهاية القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى ؛ ابن الفقيه ، ورقة رقم ٤٢ أ) . ويبدو أن القنطرة الشمالية دمرت ، ويتحدث الإصطخرى عن قنطرتين فحسب (ابن الجوزى : المناقب ، ص ٢٠ ، الإصطخرى ، ص ٨٤) . وفى عام ٣٨٧ ﻫ (٩٩٧ م) شيد بهاء الدولة قنطرة عند سوق الثلاثاء (مشرعة القطانين) لتصبح القنطرة الثالثة . وهذا يدل على تحول الاهتمام من شمالى بغداد إلى سوق الثلاثاء (ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٧ ، ص ١٧١ ؛ وانظر ابن الجوزى : المناقب ص ٢٠ ؛ الخطيب ، ص ٧١ — ٧٢) .

وكانت الحياة فى بغداد تنعم بالاستقرار حتى عهد الأمين . وأظهر الحصار الأول لبغداد وجود عناصر مشاغبة بين العامة . وبدأ الفيضان والحريق أيضاً يقومان بدورهما اعتباراً من الربع الأخير من القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) ؛ وأتى الفيضان عام ٢٧٠ ﻫ (٨٨٣ م) على ٧,٠٠٠ بيت فى الكرخ . وعانت بغداد كثيراً من الفيضان عام ٢٩٢ م ﻫ (٩٠٤ م) وعام ٣٢٨ ﻫ (٩٢٩ م ؛ الطبرى ، ج ٣ ، ص ٢١٠٥ ؛ ابن الأثير ، ج ٨ ، ص ٣٧١ ؛ أبو المحاسن ، ج ٣ ، ص ١٥٧ ، ٢٦٦) . وفى عام ٣٧٣ ﻫ (٩٨٣ م) اكتسح الفيضان ما وراء باب الكوفة ووصل إلى داخل المدينة (الصولى : الراضى ، ص ٢٧٨ ؛ الخطيب البغدادى ، ص ١٦) . ولا شك أن إهمال القنوات وبخاصة فى عهد « أمير الأمراء » (٣٢٤ — ٣٣٤ ﻫ = ٩٣٥ — ٩٤٥ م) أدى إلى حدوث فيضانات كما أدى إلى خراب ناحية بادوريا (مسكويه ، ج ٢ ، ص ١ — ٩ ؛ الصولى : الراضى ، ص ١٠٦ ، ٢٢٥ ، ١٣٧ — ١٣٨) . ومن ثم فإننا نجد الندرة فى الحاجيات الضرورية والطاعون فى

حكم الناد. قبل عام ٣٢٠ ﻫ (٩٣٢ م) إلا أنهما تكرر بعد ذلك (انظر ابن الأثير، ج ٧، ص ١٧٧، ١٨٧، ٣٣٨). أما ندرة هذه الحاجيات التى سادت عام ٣٠٧ ﻫ (٩١٩ م) فكانت نتيجة الاحتكار، وسرعان ما تغلب عليها. وقد حدث ذلك فى الأعوام ٣٢٣ ﻫ (٩٣٤ م) و ٣٢٦ ﻫ (٩٣٧ م) و ٣٢٩ ﻫ (٩٤٠ م؛ مع طاعون) و ٣٣٠ ﻫ (٩٤١ م) و ٣٣١ ﻫ (٩٤٢ م؛ مع طاعون) و ٣٣٢ ﻫ (٩٤٣ م) و ٣٣٧ ﻫ (٩٤٨م) وأصبحت الحياة لا تطاق (الصولى: الراضى، ص ٦١، ١٠٤، ٢٣٦، ٢٥١؛ ابن الأثير، ج ٨، ص ٢٨٢، ٣١١؛ الإصفهانى: التأريخ، ص ١٢٥؛ أبو المحاسن، ج ٣، ص ٢٧٠، ٢٧٤).

وفى عامى ٣٠٨ ﻫ (٩٢٠ م) و ٣٠٩ ﻫ (٩٢١ م) عانت الكرخ كثيراً من الحرائق (ابن الأثير، ج ٨، ص ٨٩، ٩٥)؛ وامتدت نيران الكرخ عام ٣٢٣ ﻫ (٩٣٤ م) إلى أحياء العطارين وباعة المروخ والصاغة وغيرهم، وكان فى الوسع مشاهدة آثارها بعد ذلك بسنين عديدة (الصولى: الراضى، ص ٦٨).

وكان عهد بنى بويه شديد الوطأة بعض الشىء على بغداد: وأصلح معز الدولة عام ٣٣٥ ﻫ (٩٤٦م) أول الأمر بعض القنوات فى بادوريا، وأدى هذا إلى تحسين أحوال المعيشة (مسكويه، ج ٢، ص ١٦٥)؛ وأعقبت هذا فترة من الإهمال، وأصبح كثير من القنوات التى كانت تروى غرب بغداد خراباً. وقام عضد الدولة (٣٦٧ - ٣٧٢ ﻫ = ٩٧٧ - ٩٨٢ م) بتطهيرها، وأعاد بناء القناطر والأهوسة (مسكويه، ج ٢، ص ٤٠٦؛ ج ٣، ص ٦٩؛ ابن الأثير، ج ٨، ص ٥١٨)، ولا نسمع بعد ذلك شيئاً عن مثل هذه الجهود.

وكانت أعمال البناء محدودة. وفى عام ٣٥٠ ﻫ (٩٦١ م) شيد معز الدولة قصراً كبيراً عند باب الشماسية وجعل أمامه ميداناً فسيحاً وبه رصيف ميناء وبساتين جميلة. واستولى على الأبواب الحديدية السبعة للمدينة المدورة من أجل هذا القصر، وأنفق حوالى مليون دينار (١١ مليون درهم)؛ ومهما يكن من شىء فإن هذا القصر هدم عام ٤١٨ ﻫ (١٠٢٧ م؛ التنوخى: نشوار المحاضرة، ج ١، ص ٧٠ - ٧١؛ ابن الأثير، ج ٨، ص ٣٩٧ - ٣٩٨، ج ٩، ص ٢٥٦)؛ وأعاد عضد الدولة بناء بيت سبكتكين، حاجب معز الدولة فى المخرم العليا، وأضاف إليه بساتين واسعة، وجلب إليه الماء بشق قنوات من نهر الخالص، وأنفق على ذلك أموالا طائلة، وأصبح دار الإمارة أو المقر الرسمى لبنى بويه (الخطيب البغدادى، ص ٥٨ - ٥٩؛ ابن الجوزى، المنتظم، ج ٧، ص ٧٧ - ٧٨؛ مسكويه، ج ٣، ص ١٢٤).

ووجد عضد الدولة أن بغداد قد أصبحت شائهة المنظر، فأمر بتجديد بيوتها وأسواقها وأنفق الكثير من الأموال لإعادة بناء مساجدها الجامعة، ورمم الأرصفة على ضفاف نهر دجلة وأمر الأثرياء بترميم بيوتهم على نهر دجلة، وغرس البساتين فى

الخرائب التى لا مالك لها ؛ ووجد أن القنطرة الوسطى ضيقة واهنة فجددها ووسعها (ابن الأثير، جـ ٨، ص ٥٥٨ ؛ ابن الجوزى : المنتظم، جـ ٧، ص ١١٤ ؛ مسكويه، جـ ٢، ص ٤٠٤ — ٤٠٦) ؛ وشيد عام ٣٧٢ هـ (٩٨٢ م) البيمارستان العضدى، وعين له الأطباء والمشرفين وأمناء المخازن، وزوده بكميات كبيرة من الأدوية والأشربة والآلات والأثاث ؛ وحبست عليه الأوقاف للإنفاق منها على صيانته (ابن الجوزى : المنتظم، جـ ٧، ص ١١٢ — ١١٤).

ومع ذلك فإن بغداد تدهورت فى عهد بنى بويه (التنوخى : نشوار المحاضرة، جـ ١، ص ٦٦، وفيه يقول إن بغداد انكمشت عام ٣٤٥ هـ الموافق ٩٥٦ م إلى عشر ما كان عليه حجمها فى عهد المقتدر) ؛ وأهملت مدينة المنصور ولم يعد فيها حياة وقتذاك (المقدسى، ص ١٢٠) ؛ وكان معظم الأحياء فى غربى بغداد على هيئة زرية، كما كانت قد تقلصت، وكانت الكرخ أعظم الأحياء ازدهاراً فى غربى بغداد، وفيها كان التجار يتخذون حوانيت للتجارة ؛ ولهذا فإن الجانب الغربى عرف آنئذ باسم الكرخ (ابن حوقل، جـ ١، ص ٢٤١ — ٢٤٢ ؛ المقدسى، ص ١٢٠) ؛

وأما الجانب الشرقى من المدينة فكان أكثر ازدهاراً، وكان الكبراء يقيمون فيه عادة (انظر ابن حوقل، ص ٢٤٠) ؛ وكانت المناطق المزدهرة فى هذا الجانب هى باب الطاق حيث السوق الكبرى ودار الإمارة فى المُخَرِّم وقصور الخليفة فى الطرف الجنوبى (انظر المقدسى، ص ١٢٠ ؛ ابن حوقل، جـ ١، ص ٢٤٠ — ٢٤١ ؛ الإصطخرى، ص ٨٤). ووصلت بعض الدور الصغيرة الشأن إلى كَلْواذَى ؛ ورأى ابن حوقل أربعة مساجد جامعة هى : مسجد المنصور، ومسجد الرصافة، ومسجد براثا، ومسجد دار السلطان (ص ٢٤١) ؛ ثم أصبح مسجد القطيعة ومسجد الحربية عام ٣٧٩ هـ (٩٨٩ م) وعام ٣٨٣ هـ (٩٩٣ م) مسجدين جامعين (ابن الجوزى : المنتظم، جـ ٧، ص ٦٧١ ؛ الخطيب البغدادى، ص ٥٣ — ٥٤ ؛ ابن الجوزى : المناقب، ص ٢١ — ٢٢ ؛ ابن الأثير، جـ ٩، ص ٤٨) ؛

وشاهد ابن حوقل قنطرتين، إحداهما فى حالة سيئة (جـ ١، ص ٢٤١) ؛ ويبدو أنه كانت هناك ثلاث قناطر فى عهد معز الدولة، إحداها عند باب الشماسية (قرب قصره) والثانية عند باب الطاق والثالثة عند سوق الثلاثاء، ونقلت الأولى إلى باب الطاق، وأصبح هناك قنطرتان، ثم ساءت حال إحداهما (انظر ابن الجوزى : المناقب، ص ٢٠) ؛

وعانت بغداد كثيراً من شغب العامة، ومن الخلافات الطائفية التى شجعها بنو بويه، ومن العَيَّارين، وتتحدث مصادرنا كثيراً عن جهل العامة واستعدادهم لتلبية أى دعوة، وفطرتهم الخيّرة وعدم احترامهم للقانون (انظر المسعودى، جـ ٥، ص ٨١، ٨٢ — ٨٣، ٨٥ — ٨٧ ؛ الغزالى : فضائح، ص ٥٣ ؛ ابن الجوزى :

المناقب ، ص ٣١ – ٣٢ ؛ البغدادى : الفرق ، ص ١٤١) : وفى عام ٢٧٩ = (٨٩٢ م) حظر المعتضد على القصّاص والعرّافين أن يجلسوا فى الطرقات أو فى المساجد ومنع الناس من أن يتجمعوا حولهم أو أن يدخلوا معهم فى جدل (ابن الجوزى : المنتظم ، جـ ٥ ، ص ١٢٢ ، ١٧١) .

وكان الحنابلة مصدر القلاقل قبل عهد بنى بويه ، فقد حاولوا فى بعض الأوقات أن يهذبوا الأخلاق بالقوة (انظر ابن الأثير ، جـ ٨ ، ص ٢٢٩ – ٢٣٠ ، ٨٤ – ٨٥ ، ١٥٧ – ١٥٨ ؛ الصولى : الراضى ، ص ١٩٨) . وازدادت فى هذه الفترة الاضطرابات الطائفية ، وتسببت فى كثير من الخسارة فى الأموال والأرواح . وأعلن بنوبويه أن العاشر من المحرم يعد يوم حداد عام وأمروا بإغلاق الأسواق ، وشجعوا العامة على السير فى مواكب مع النساء وهم يلطمون وجوههم (انظر ابن الجوزى ، جـ ٧ ، ص ١٥) . ومن جهة أخرى جُعل الغدير فى اليوم الثامن عشر من ذى الحجة عيداً تقام فيه الاحتفالات . وأدى هذا إلى أن يختار أهل السنة يومين مختلفين ، يقع كل منهما بعد ثمانية أيام من اليومين المذكورين (انظر ابن الأثير ، جـ ٩ ، ص ١١٠) . وأصبح من الحوادث المألوفة فى هذا العصر ، نشوب معارك بين الشيعة وأهل السنة ، ابتداء من عام ٣٣٨ هـ (٩٤٩ م) حين تعرضت الكرخ للسلب والنهب (ابن الجوزى : المنتظم ، جـ ٦ ، ص ٣٦٣) . وفى عام ٣٤٨ هـ (٩٥٩ م) نشبت معارك بين الفريقين أدت إلى التخريب وإشعال النار فى باب الطاق (المصدر المذكور ، ص ٣٩٠) . وفى عام ٣٦١ = (٩٧١ م) أدت القلاقل فى الكرخ إلى إحراقها وهلاك ١٧,٠٠٠ من أهلها وتخريب ٣٠٠ حانوت وكثير من المنازل بفعل النيران (ابن الأثير ، جـ ٨ ، ص ٢٠٧ ؛ انظر ابن الجوزى : المنتظم ، جـ ٧ ، ص ٦٠) . وأحرقت النار عام ٣٦٣ هـ (٩٧٣ م) جانبا كبيراً من الكرخ (مسكويه ، جـ ٢ ، ص ٣٢٧) .

ونشبت الفتن فى كثير من الأحياء وشبت فيها النار مراراً عام ٣٨١ هـ (٩٩١ م؛ابن الأثير ، جـ ٩ ، ص ٣١) . وفى عام ١٠١٦ م احترق حيّا نهر طابق وباب القطن وجانب كبير من حى باب البصرة (ابن الأثير ، جـ ٩ ، ص ١٠٢ ؛ انظر أيضاً جـ ٨ ، ص ١٨٤ ؛ جـ ٩، ص ٢٥ – ٢٦ ، ٣٢ ، ٥٨) . ودمرت أسواق كثيرة عام ٤٢٢ = (١٠٣٠ م) إبان الفتن (ابن الجوزى : المنتظم ، جـ ٨ ، ص ٥٥) . وألحق العيارون ــ الذين نشطوا للعمل بصفة خاصة طوال الربع الأخير من القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) حتى نهاية هذا العهد ــ بالمدينة دماراً أكبر وأشاعوا فيها البلبلة والاضطراب (فيما يختص بفعالهم أثناء الحصارين اللذين ضربا حول بغداد ، انظر الطبرى جـ ٣ ، ص ٨٧٧ ، ١٠٠٨–١٠١٠ ، ١٥٥٢ ، ١٥٥٦ ــ ١٥٥٧ ؛ المسعودى ، جـ ٦ ، ص ٤٥٠ وما بعدها) ؛ ويسيء المؤرخون فهم طبيعة فعالهم ويظهرونهم بمظهر اللصوص والسراق ، بيد أن فتنهم إنما كانت وليدة الأحوال المعاشية القاسية التى كانوا

يعانون منها إلى جانب الفوضى السياسية ، وكانت ثورتهم موجهة ضد الأغنياء والحكام ، وهذا يفسر لنا لم كان نشاطهم موجها أولا ضد الأغنياء والأسواق والشرطة والأعيان (انظر التنوخي : الفرج بعد الشدة ، جـ ١ ، ص ١٠٦، ١٠٧–١٠٨؛ ابن الجوزي : المنتظم ، جـ ٧ ، ص ١٧٤ ، ٢٢٠ ، ابن الأثير ، جـ ٩ ، ص ١١٥) . ولقد تمسكوا بمبادئ أخلاقية لم يحيدوا عنها مثل الشرف وإغاثة الفقراء والنساء والتعاون والصبر والجلد . وارتبط نظام الفتوة من بعد بحركتهم إلى حد ما (انظر ابن الجوزي : تلبيس إبليس، ص ٣٩٢ ؛ القُشَيْري : الرسالة ، ص ١١٣ – ١١٤ ؛ ابن الجوزي : المنتظم ، جـ ٨ ، ص ٧٧ ، التنوخي : الفرج بعد الشدة ، جـ ٢ ، ص ١٨٠) .

وكان لهم نظام في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) ، ومن الألقاب التي كانت تطلق على زعمائهم ، المتقدّم والقائد والأمير ، وكانوا يقيمون حفلات خاصة عند دخول أحد في زمرتهم (انظر المنتظم ، جـ ٨ ، ص ٤٩، ١٥١ ، ١٧٨ ؛ مسكويه ، جـ ٢ ، ص ٣٠٦ ؛ القشيري: المصدر المذكور ، ص ١١٣ ؛ التنوخي : الفرج ، جـ٢ ، ص١٠٩). وعلى كل حال فقد انقسموا إلى شيعة وسنية [ابن الجوزي : المنتظم ، جـ٨، ص ٧٨-٩) .

وحرص العيارون على أن يبقى الناس في فزع مستمر على حياتهم وأموالهم . وفرضوا مكوساً على التجار في الأسواق وعلى المارة في الطرقات وسلبوا عابري السبيل ودأبوا على اقتحام البيوت بالليل ونشروا يد التخريب بحد السيف والنار ، وأحرقوا كثيراً من الأحياء والأسواق وبخاصة باب الطاق وسوق يحيى (في شرقي بغداد) والكرخ ، لأنها كانت وقفاً على الأثرياء . واضطر الناس إلى إغلاق بوابات حاراتهم ، ولزم التجار جانب الحذر بالليل ، وأدى الإخلال بالنظام والسلب والنهب إلى ارتفاع الأسعار (ابن الجوزي : المنتظم ، جـ٧، ص ١٥١، ٢٢٠ ؛ جـ ٨ ، ص ٢١ - ٢٢، ٤٤ ، ٤٧ - ٥٠، ٥٤ - ٥٥ ، ٦٠ ، ٧٢ – ٧٥ ، ٧٩ ، ٨٧ ، ١٤٢، ١٦١) . ودعا واعظ ربه عام ٤٢١ هـ (١٠٣٠ م) فقال : رباه ! خلّص البلاد من الدهماء والرعاع (ابن الجوزي : المنتظم ، جـ ٨ ، ص ٤٤) ؛ وكان البُرْجُمي ، وهو مقدم عيارين قبيح الصيت ، يحكم بغداد في الواقع أربعة أعوام من سنة ٤٢٢ – ٤٢٥ هـ (١٠٣٠ – ١٠٣٣ م) وأعمل فيها يد السلب والنهب (المصدر السابق ، ص ٧٥ – ٧٦) ؛ وكانت الحكومة حيالهم لا حول لها ولا طول (انظر ص ٤٩) ، وتركوا وشأنهم ، يفرضون الإتاوات والمكوس اتقاء شرهم (المصدر المذكور ، ص ٧٨) ، وهجر خلق كثير أحياءهم ورحلوا عنها طلباً للنجاة (المصدر المذكور ، ص ١٤٢) . وظل العيارون ينشرون الرعب والفزع حتى قيام السلاجقة (المصدر المذكور ، ص ١٦١) .

وفي عام ٤٤٧ هـ (١٠٥٥م) دخل طُغْرل بك بغداد . وانتهج السلاجقة سياسة تخالف على طول الخط السياسة التي سار عليها بنو بويه ، وشجعوا أهل السنة (انظر كتاب أبي المحاسن ، جـ ٥ ، ص

٥٩) : واستولى البساسيرى ، أحد العصاة ، على بغداد عام ٤٥٠ هـ (١٠٥٨ م) ، باسم الفاطميين (انظر كتاب أبي الفداء ، جـ ٢ ص ١٨٦ ؛ ابن القلانسى ، ص ٨٧) ، وهزمته قوات السلاجقة ولقى حتفه على يديها عام ٤٥١ هـ (١٠٥٩ م ؛ أبو الفداء ، جـ٢، ص ١٨٧ — ١٨٨) . واتخذت بغداد ، فى هذا العهد ، صورة لم تتغير بعد ذلك إلا قليلا .

ووسع طُغْرل بك عام ٤٤٨ هـ (١٠٥٦ م) رقعة دار الإمارة، وهدم الكثير من المنازل والحوانيت، وأعاد بناء الدار وأحاطها بسور (ابن الجوزى ، جـ ٨ ، ١٦٩) . وأحرقت عام ٤٥٠ هـ (١٠٥٨ م) عن آخرها وأعيد بناؤها (ابن الجوزى : المنتظم ، جـ ٧ ، ص ٧٧٨) وأصبحت تعرف باسم دار المملكة . وأعيد بناؤها عام ٥٠٩ هـ (١١١٥م) بيد أنها احترقت قضاء وقدراً عام ٥١٥ هـ (١١٢١م) وشيدت بدلا منها دار جديدة (ابن الجوزى : المناقب ، ص ١٦ : المنتظم ، جـ ٩ ، ص ٢٢٣) ؛ ووسع ملكشاه مسجد المخرّم القريب من القصر وأعاد بناءه عام ٤٨٤ هـ (١٠٩١ م) وأطلق عليه منذ ذاك اسم جامع السلطان ؛ ورمم عام ٥٠٢ هـ (١١٠٨ م ؛ ابن الجوزى : المنتظم ، جـ ٩ ص ١٥٩). وتم بناؤه آخر الأمر عام ٥٢٤ هـ (١١٢٩م ؛ أبو الفداء ، جـ ٢ ، ص ٢١١ ؛ ابن الجوزى : المناقب ، ص ٢٣ ؛ أبو المحاسن، جـ٥ ، ص ١٣٥)؛

وتركزت الحياة فى شرقى بغداد حول قصور الخليفة . وشجع المقتدى (٤٦٧ — ٤٨٧ هـ = ١٠٧٤ — ١٠٩٤ م) البناء ؛ وازدهرت الأحياء الواقعة حول القصور — مثل البَصَلِيّة والقطيعة والحلبة والأجمة إلخ . كما شيد أيضاً دار الشاطئية بجوار قصر التاج القديم (ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص ٢٩٣ ؛ ابن الأثير ، جـ ١٠، ص ١٥٦؛ انظر Le Strange، ص ٢٥٣ ؛ ابن الفوطى ، ص ٢١) . وهدم قصر التاج عام ٥٢٤ هـ (١١٢٩ م) وأعيد بناؤه (ابن الجوزى : المنتظم ، جـ ١٠ ، ص ١٤) . وكانت هذه الأحياء غير مسورة وتعرضت كثيراً للفيضان عام ١٠٧٠ م ؛ وبنى المستظهر عام ٤٨٨ هـ (١٠٩٥ م) سوراً حول ما يسمى بحى الحريم ؛ ثم أعاد المسترشد عام ٥١٧ هـ (١١٢٣ م) بناءه ، وأقام به أربعة أبواب وجعل عرضه ٢٢ ذراعاً ؛ وأحاط الفيضان بالسور عام ٥٥٤ هـ (١١٥٩ م) وأحدث فيه صدعاً ودمر كثيراً من الأحياء. ورُئب الصدع وشُرع فى حفر سد ، أُكمل فيما بعد حول السور (انظر ابن الجوزى : المناقب ، ص ٣٤ ؛ الكاتب نفسه : المنتظم ، جـ ١٠ ص ١٨٩ ، ١٩٠) ؛ وحدثت محاولات أخرى لإعادة بناء السور أو ترميمه فى عهدى الناصر والمستنصر (ابن الفوطى ، ص ١٦ ، ١١١) . وحدد هذا السور تخوم شرقى بغداد حتى نهاية العصر العثمانى .

وكانت بغداد فى حالة ضعف وانحلال أثناء هذا العصر ، وعاشت على مجدها الماضى. وطرأت تغيرات كثيرة على تخطيطها اعتباراً من النصف الثانى للقرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى). فقد تخربت أحياء كثيرة فى غربى بغداد ، وأصبحت

البساتين والبيوت السابقة خراباً بلقعا (انظر الخطيب البغدادى ، ص ٦٧ ؛ التنوخى : نشوار المحاضرة ، ج ١ ، ص ٧٤ — ٧٥) ؛ ولعل هذا يفسر لنا الزيادة فى عدد المساجد الجامعة . وأهملت الأحياء القديمة : الشماسية والرصافة والمخرّم (انظر ابن حوقل ، ص ٢٤١) ؛

ويتحدث بنيامين التطيلى Benjamin of Tudela الذى زار بغداد حوالى عام ٥٦٧ هـ (١١٧١ م) عن عظمة قصر الخليفة ، بسوره وبساتينه وحيره وحوشه وبركه . ويمتدح البيمارستان العضدى وأطباءه الستين ومصحته الخاصة بالمجانين . ووجد ٤٠,٠٠٠ يهودى فى بغداد ، لهم عشر مدارس (رحلة بنيامين Itinerary ، طبعة وترجمة A. Asher ، نيويورك ، سنة ١٨٤٠ — ١٨٤٢ ج ١ ، المتن ص ٥٤ — ٦٤ ؛ الترجمة ص ٩٣ — ١٠٥ ؛ الترجمة العربية بقلم أ . حداد E.H. Haddad ، بغداد سنة ١٩٤٥ ، ص ١٣١ — ١٣٨) . ووصف ابن جبير بغداد عام ٥٨١هـ (١١٨٥م) ، ولاحظ ما هى عليه من انحلال شامل وانتقد صلف أهلها (ص ٢١٨) . وكان جزء كبير من الجانب الشرقى قد أضحى خراباً ، ومع ذلك فقد كان فيه سبعة عشر حيّا منفصلا ، كلها تضم حمّامين أو ثلاثة أو ثمانية (ص ٢٢٥) ؛ وكان مقر الخليفة بما فيه من قصور فخمة وبساتين رائعة يشغل نحو ربع المساحة تقريباً أو أكثر (ص ٢٢٦ — ٢٢٧) ؛ وكان هذا الجانب آهلا بالسكان وفيه أسواق عامرة (ص ٢٢٨) ؛ وكان القُرَيّة أكبر الأحياء (من المحتمل جداً أنه كان بين قنطرة الأحراس الحديثة ورأس القرية) وعلى مقربة منه رَبَض المَأْمونية (ولعله كان بالقرب من سيدى سلطان علىّ الآن) . وكان به ثلاثة مساجد جامعة هى جامع السلطان شمالى السور ، ومسجد الرصافة على مسيرة ميل شمالى الأخير (ص ٢٢٨ — ٢٢٩) وجامع الخليفة . وكان به أيضاً حوالى ثلاثين مدرسة كلها تشغل مبانى رائعة ، وحبست عليها أوقاف كثيرة وقدمت لها هبات للإنفاق منها على صيانتها ولمواجهة نفقات الطلاب . وأشهرها مدرسة النظامية التى أعيد بناؤها عام ١١١٠ م (ص ٢٢٩) ؛

ويصف بنيامين السور الذى بناه المسترشد ، والذى كان يحيط بالشرقية ، بأن له أربعة أبواب : ١ — باب السلطان جهة الشمال (سمى فيما بعد باب المعظّم) . ٢ — باب الظفرية (فى الشمال الشرقى) وسمى فيما بعد الباب الوسطانى . ٣ — باب الحَلْبَة (فى الشرق) واصبح اسمه فيما بعد باب الطلسم ، ٤ — باب البَصَلِيَّة (فى الجنوب) وعرف فيما بعد باسم الباب الشرقى . وأحاط السور بالشرقية على هيئة نصف دائرة يصل إلى نهر دجلة من الطرفين (ص ٢٢٩) . ويتحدث عن حى أبى حنيفة الآهل بالسكان ، بينما كانت الأحياء القديمة : الرصافة والشماسية والمعظم والمخرم خراباً بلقعا (انظر ص ٢٢٦ ؛ ابن حوقل ، ص ٢٤١) ؛ وانتشر الخراب فى غربى بغداد بكل مكان . ويتحدث بنيامين هنا عن حى الكرخ على اعتبار أنه مدينة مسورة وعن حى باب البصرة الذى كان يضم مسجد المنصور الجامع وما بقى من المدينة القديمة (ص ٢٢٥) .

وكان بجانب نهر دجلة حى الشارع الذى كان يؤلف هو والكرخ وباب البصرة والقـرَيَّة أكبر أحياء بغداد (ص ٢٢٥) : وبين حى الشارع وحى باب البصرة « حى سوق المارستان ، وهو أشبه بمدينة صغيرة ، وفيه البيمارستان العضدى المشهور ، المزود بما يكفى من الأطباء والموظفين والمؤن (ص ٢٢٥ — ٢٢٦) . ونوه بين الأحياء الأخرى بحى الحربية ، باعتباره فى أقصى الشمال ، وحى العتّابية ، المشهور بقماش العتابى « وهو نسيج من القطن والحرير (ص ٢٢٦) . ويتحدث ابن جبير (ص ٢٢٩) عن ٢٠٠٠ حمام وأحد عشر مسجداً جامعاً فى بغداد .

وكانت هناك قنطرة واحدة قرب قناة عيسى فى عهد المستَرشد (٥١٢ — ٥٢٩ هـ = ١١١٨ — ١١٣٤ م) ونقلت فيما بعد إلى باب القـُرَيَّة ، وأقيمت قنطرة جديدة فى باب القرية أيام المستضئ (٥٦٦ — ٥٧٥ هـ = ١١٧٠ — ١١٧٩م) ، وأعيدت القنطرة القديمة إلى موضعها قرب قناة عيسى . ولم يشهد ابن جبير إلا القنطرة الأولى ، ولكنه يؤكد أنه كانت هناك عادة قنطرتان ويؤكد هذه الحقيقة ابن الجوزى ، الذى كتب مصنفه قبل سقوط بغداد مباشرة (ابن الجوزى : المناقب ، ص ٢٠ ؛ ابن جبير ، ص ٢٢٥) .

ويسوق ياقوت (٦٢٣ هـ = ١٢٢٦ م) بعد ذلك بنصف قرن « بعض المعلومات المفيدة . فهو يصور غربى بغداد على أنه مجموعة من الأحياء المنعزلة ، لكل منها سور وتفصله عن غيره أرض خراب بلقع ، والأحياء المعروفة هى الحربية والحريم « والطاهرى فى الشمال ، وچهارسوج مع الناصرية والعتّابيين ودار القز فى الجنوب الغربى ، والمحوَّل جهة الغرب ، وقصر عيسى جهة الشرق ، والقُرَيّة والكرخ فى الجنوب .

أما فى شرقى بغداد فقد تركزت الحياة فى الأحياء الواقعة حول « حريم دار الخليفة » الذى كان يشغل حوالى ثلث المساحة المحصورة بين الأسوار . وكان بين الأحياء الكبيرة المزدهرة حى باب الأزج بأسواقه، والمأمونية التى تليه، وسوق الثلاثاء « ونهر المـُعَلّى والقـُرَيَّة (ياقوت، جـ ١ ، ص٢٣٢، ٤٤١، ٤٤٤، ٥٣٤، ٦٥٥ ؛ جـ ٢ ، ص ٨٨ ، ١٦٧ ، ٢٣٤ ، ٤٥٩، ٥١٢، ٧٨٣ ؛ ٩١٧، جـ ٣ ، ص ١٩٣ — ١٩٤ ، ١٩٧ ، ٢٣١ ، ٢٧٩ ، ٢٩١ و ٤٨٩ ؛ جـ ٤ ، ص١١٧ ، ٢٥٢ ، ٢٥٥ ، ٣٨٥ ، ٤٣٢ ، ٤٥٧ ، ٧١٣ — ٧١٤ ، ٧٨٦ ، ٤٨١ ، ٤٨٥) .

وازدادت المساجد الجامعة فى الغربية (غربى بغداد) فى هذا العصر ، مما يدل على أن الأحياء كانت أشبه بالأحياء المستقلة . ويتحدث ابن الجوزى عن ستة منها بين عامى ٥٣٠هـ (١١٣٥م) و ٥٧٢ هـ (١١٧٦ م) علاوة على جامع المنصور (ابن الجوزى : المناقب ، ص ٢٣ ؛ وانظر أيضاً ابن الفوطى) . ورمم المستنصر مساجد الكرخ (ابن الفوطى ، ص ١٥) . وجُدِّد جامع القصر عام ٤٧٥ هـ (١٠٨٢ م) ، وجدده المستنصر مرة

أخرى عام ٦٧٣ ﻫ (١٢٣٥ م ؛ ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٩ ، ص ٣ ؛ Le Strange ، ص ٢٦٩) . وشُيد جامع القمرية (لا يزال قائماً) عام ٦٢٦ ﻫ (١٢٢٨ م ؛ ابن الفوطى ، ص ٤) .

ويتضح سلطان الصوفية من العدد الكبير من الرباطات (انظر هذه المادة) التى شيدت فى القرن الأخير من عهد الخلافة . وقد بناها الخلفاء أو أقاربهم (انظر ابن الفوطى ، ص ٢ ، ٧٤ ، ٧٥، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٧ ، ١١٧ و ٢٦١ ؛ ابن الجوزى : المنتظم ، ﺟ ٩ ، ص ١١ ؛ ابن الأثير ، ﺟ ١١ ، ص ٧٧ ، ١٣٣ ، ﺟ ١٢ ، ص ٢٧و ٦٧ — ٦٨) .

وحظى تأسيس المدارس (الكليات) بالكثير من العناية . ويمكن تفسير هذه الحركة بادئ ذى بدء بالنهضة الدينية التى قامت بين الشافعية وبالحاجات السياسية والإدارية ، بيد أنها استمرت حركة ثقافية؛ وشهد ابن جبير ثلاثين مدرسة فى شرقى بغداد (ابن جبير ، ص ٢٢٩ ؛ انظر أيضاً م. جواد ، فى مجلة كلية المعلمين العليا ، بغداد ، المجلد الخامس ص ١١٠ وما بعدها ، والمجلد السادس ص ٨٦ وما بعدها) ؛ وأنشئت مدارس أخرى بعد زيارة ابن جبير (انظر ابن الفوطى ، ص ٢٤ — ٢٥ ، ٥٣ ، ١٢٨ ، ٣٠٨ ؛ ابن الأثير ، ﺟ ١١ ، ص ٢١١) . وأشهرها مدرسة النظامية التى أنشئت عام ٤٥٩ ﻫ (١٠٦٦ م) ومدرسة أبى حنيفة التى أنشئت فى العام نفسه (ابن الجوزى : المنتظم ، ﺟ ٨ ، ولا تزال موجودة باسم كلية الشريعة) ، والمستنصرية التى انشأها المستنصر عام ٦٣١ ﻫ (١٢٣٣ م) وظلت قائمة حتى القرن السابع عشر .

وخصصت كل هذه المدارس فى مذهب من المذاهب الأربعة ما عدا مدرسى المستنصرية والبشرية (أنشئت عام ٦٥٣ ﻫ = ١٢٥٥ م) فقد كانتا تعنيان بتدريس فقه المذاهب الأربعة (انظر ابن الفوطى ، ص ٣٠٨ ؛ ابن الجوزى : المنتظم ، ﺟ ٨ ، ص ٢٤٥ — ٢٤٦ ، ٢٤٦—٢٤٧ ؛ ابن الأثير ، ﺟ ١٠ ، ص ٣٨ ؛ ابن الفوطى ، ص ٥٣ — ٥٤ ، ٥٨ — ٥٩ ؛ انظر عواد فى Sumer ، ﺟ ١ ، سنة ١٩٤٥) ؛ وكان هناك مكتب للأيتام ، أنشأه شمس الملوك (ابن نظام الملك ؛ الإصفهانى : السلاجقة ، ص ١٢٤ — ١٢٥). وشيدت دور ضيافة عام ٦٠٦ ﻫ (١٢٠٩م) فى جميع أحياء بغداد لتقديم الطعام للفقراء فى رمضان (ابن الأثير ، ﺟ ١٢ ، ص ٢٨٦ ؛ إشارات أخرى فى المصدر نفسه ، ص ١٨٤ ؛ ابن الفوطى ، ص ٩٤) .

وعانت بغداد أثناء هذه الفترة من الحريق والفيضان والفتنة . ففى عام ٤٤٩ ﻫ (١٠٥٧ م) أحرق حيا الكرخ وباب المحوَّل ومعظم أسواق الكرخ عن آخرها . وفى عام ٤٥١ ﻫ (١٠٥٩ م) أحرق حى الكرخ وبغداد القديمة (ابن الجوزى : المنتظم ، ﺟ ٨ ، ص ٨١ ؛ ابن الأثير ، ﺟ ١٠ ، ص ٥) ؛ وأحرقت الأحياء والأسواق القريبة من قناة المُعلَّى ودار الخلافة أكثر من مرة (ابن الأثير ، ﺟ ١٠ ص ٣٥ ، ٦٧ ، ٣١٨ ؛ ابن الجوزى : المنتظم ، ﺟ ٨ ، ص ٢٤١ ؛ ﺟ ٩ ، ص ٦١ ،

١٤٨ ، ١٨٤ ؛ حـ ١٠ ، ص ٣٥) ؛ وانتشر الحريق عام ٥٥١ هـ (١١٥٦ م) من أحياء مجاورة إلى دار الخلافة والأسواق المجاورة له (ابن الأثير ، حـ ١١ ، ص ١٤٣) ، وشبت حرائق أخرى فى تلك الأحياء عام ٥٦٠ هـ (١١٦٤ م) وعام ٥٦٩ هـ (١١٧٣ م) وعام ٥٨٣ هـ (١١٨٧م ؛ ابن الأثير ، حـ ١١ ، ص ٢٧٠ ، ٣٧٢ ؛ المنتظم ، حـ ١٠ ، ص ٢١٢) ؛

وكان نشاط العيّارين كبيراً إلى حد ما أيام السلاجقة . فقد أخذوا ينهبون الحوانيت والبيوت ويعبثون بالأمن (بالنسبة للفترة بين عامى ٤٤٩ هـ = ١٠٥٧ م و ٥٣٧ هـ = ١١٤٢ م ، انظر ابن الجوزى : المنتظم ، حـ ٨ ، ص ١٣٩ ، ٢٣٤ : ابن الأثير ، حـ ١٠ ، ص ٢٠٤ و ٣٨٣ ؛ جـ ١١ ، ص ٢٩ ، ٣٦ ، ٥٩ ، ٦٣) . ولم تنقطع فتن العامة ومعاركهم الطائفية (الحنابلة ضد الشافعية،وأهل السنة ضد الشيعة) وكانت سبباً فى إزهاق الكثير من الأرواح وخراب الممتلكات . ويتحدث ابن الأثير عن صلح موقت عام ٥٠٢ هـ (١١٠٨ م) ويضيف قائلا : « الشر منهم [أى العامة] على طول الزمان». (حـ ١٠ ، ص ٣٢٩ ؛ انظر أيضاً حـ ١٠ ، ص ٨٠ ، ٢٥٩ ، ١٠٤ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٢، و ١١٧ — ١١٨) . ولم تدم هذه الهدنة طويلا ، واستمرت المنازعات والمعارك وأصبحت مروعة فى عهد المستعصم (ابن الأثير ، حـ ١٠ ، ص ٣٦٠؛ حـ ١١ ، ص ٢٧١ ، ٣٤٤ ؛ حـ ١٢ ، ص ١٣٣ ، ٢١٦) . وفى عام ٦٤٠ هـ (١٢٤٢ م) نشبت معارك بين حى المأمونية وحى باب الأزج الذى يضم سوق النظامية ، وبين حى المختارة وحى سوق السلطان ، وبين حى قَطُفْتا وحى القُرَيَّة (فى غربى بغداد) ، وقتل كثيرون ونهبت حوانيت (ابن الفوطى ، ص ١٧٥ — ١٧٧ ؛ انظر ابن أبى الحديد ، حـ ٢ ، ص ٥٥٤) . وما إن حل عام ٦٥٣ هـ (١٢٥٥ م) حتى كانت الأمور قد ساءت إلى حد كبير وتشبت معارك بين حى الرصافة (وسكانه من أهل السنة) وحى الخضيرين (وسكانه من الشيعة) وسرعان ما أيد أهالى حى باب البصرة حىَّ الرصافة بينما أيد حى الكرخ الآخرين (ابن الفوطى ، ص ٢٩٨ — ٢٩٩) . وتدل هذه المعارك على نزعة التنافس بين الأحياء التى ازدادت بسبب ضعف هيمنة الحكومة . ولما تجددت المعارك بين حى الكرخ وباب البصرة قام الجند الذين أرسلوا لقمعها بنهب الكرخ فازداد الموقف سوءاً (المصدر المذكور ، ص ٢٦٧—٢٧٧) ؛ وبلغت المعارك ذروتها عام ٦٥٤ هـ (١٢٥٦ م) عندما قتل أهالى الكرخ بعض خصومهم ، وانضم الجند ، الذين أرسلوا لحفظ النظام ، إلى جماهير العامة ونهبوا الكرخ وأحرقوا بها عدة حوانيت وقتلوا خلقاً كثيراً وسبوا النساء . وأعقب هذا الأخذُ بالثأر ،ولكن أحداً لم ينس المأساة (المصدر نفسه، ص ٣١٤ — ٣١٥) . ونشط العيّارون نشاطاً كبيراً فى هذا العهد فنهبوا الحوانيت وسطوا على البيوت بالليل،بل إن مدرسة المستنصرية سرقت مرتين (ابن الفوطى ، ص ٣٧٨ ، ٢٥٤ ، ٢٦٠ ، ٢٦٢) ؛

وكانت الحكومة أضعف من أن تستطيع حفظ النظام. وتكرر حدوث الفيضان مما يدل على ضعف الحكومة وإهمال الرى . وفى عام ٦٤١ هـ (١٢٤٣ م) وصلت مياه الفيضان إلى النظامية والأراضى المجاورة لها وخربت بعض الأحياء. وأحدق الفيضان بشرقى بغداد عام ٦٤٦ هـ (١٢٤٨ م) وهدمت مياهه جزءاً من السور ونفذت إلى أجنحة الحرم . وغمرت مياه الفيضان أيضاً الرصافة وسقط الكثير من بيوتها . وأغرق غربى بغداد وسقطت معظم المنازل اللهم إلا فى جانب من باب البصرة والكرخ . وانهارت البيوت الواقعة على النهر ودخلت مياه الفيضان إلى بغداد عام ٦٥١ هـ (١٢٥٣ م) ثم دخلت مرة أخرى عام ٦٥٣ هـ (١٢٥٥ م) وهنالك انهار عدد كبير من المنازل وأتلف الزرع . وحدث أسوأ فيضان عام ٦٥٤ هـ (١٢٥٦ م) عندما أحدقت مياه الفيضان بكلا الجانبين ووصلت إلى داخل الأسواق فى شرقى بغداد ودار الخلافة والنظامية (ابن الفوطى ص ١٨٦–١٨٧ ، ٢٦٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣٣ ، ٢٧٧ ، ٣٠٤ ، ٣١٧ – ٣١٩) . وهكذا تحالفت الطبيعة والإنسان على اضمحلال بغداد .

وغزا المغول بغداد بعد عامين . واستسلم الخليفة المستعصم يوم ٤ صفر عام ٦٥٦ هـ (١٠ فبراير عام ١٢٥٨ م) بلا قيد ولا شرط . وظل السيف يعمل فى رقاب أهلها بلا تمييز ما يربو على أسبوع . وشاركهم فى هذا المصير الحزن أعداد كبيرة من أهالى الريف الذين تقاطروا إلى بغداد قبل الحصار . ويتراوح عدد من قتلوا بين ٨٠٠٠٠٠ ومليونى نسمة ، وأخذ عدد القتلى يرتفع بمضى الزمن (الفخرى ، ص ١٣٠ ؛ ابن الفوطى ، ص ٢٨١ ؛ الذهبى : دول الإسلام ، جـ ٢ ، ص ١٢١ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص ٢٠٢) ؛ ويقول الرحالة الصينى تشأنغ ته سنة (١٢٥٩ م) إن عشرات الألوف من الناس قتلوا. ومن الواضح أنه استقى معلوماته من مصادر مغولية (Bretschneider: *Medieval Researches* ، جـ ١ ، ص ١٣٨ – ١٣٩) . ومن ثم يصعب تحديد أى رقم ، ولكن الراجح أن عدد القتلى يتجاوز مائة ألف . وتخربت أحياء كثيرة بسبب الحصار أو السلب والنهب أو الحريق ، وأحرق مسجد الخلفاء وضريح الكاظمين (ابن الفوطى ، ص ٣٢٧ – ٣٣٠ ؛ ابن العبرى ، ص ٢٧) . ومهما يكن من شىء فإن بغداد نجت من الدمار التام ، ولعل الفتوى التى أكره العلماء على إصدارها بأن كافرا عادلا خير من إمام ظالم قد ساعدت على النجاة من هذا الدمار التام . وقد أمر هولاكو قبل أن يغادر بغداد بإصلاح بعض المبانى العامة . فأعاد ناظر الوقف بناء جامع الخلفاء وعنى بإعادة فتح المدارس والرباطات (ابن العبرى ص ٤٧٥ ؛ ابن الفوطى ، ص ٣٣٧) . وعانت الثقافة كثيراً ولكنها لم تقتلع من جذورها . وأصبحت بغداد حاضرة ولاية من جميع الوجوه .

وظلت بغداد حتى عام ٧٤٠ هـ (١٣٣٩ – ١٣٤٠ م) خاضعة لحكم الإيلخانية ، يدير أمورها وال ومعه شحنة وحامية عسكرية (انظر ابن الفوطى ، ص ٣٣١) .

وأحصى المغول سكان بغداد بالعشرات والمئات والآلاف لفرض الضرائب عليهم ؛ وفرض على الجميع أداء ضريبة رءوس ما عدا المسنين والأطفال، وظلت هذه الضريبة تجبى نحو عامين (ابن الفوطى ، ص ٣٣٩ ؛ انظر الجوينى [ترجمة بويل Boyle]، حـ ١ ، ص ٣٤) ؛ وبدأت بغداد تنتعش شيئاً فشيئاً بعد أن عهد بإدارتها فى الغالب للفرس ، ويرجع الكثير من هذا الانتعاش إلى السياسة التى اتبعها عطاء ملك الجوينى ، وقد ظل والياً عليها فترة تقرب من ٢٣ عاماً (٦٥٧ هـ = ١٢٥٨ م — ٦٨١ هـ = ١٢٨٢ م) ؛ وفى عهده أعيد بناء مئذنة جامع الخلفاء وسوق النظامية ، ورممت مدرسة المستنصرية وأضيف إلى ذلك نظام مائى جديد (ابن الفوطى ، ص ٣٧١) . ورمم مسجد الشيخ معروف والقمرية (المصدر المذكور ، ص ٤٠٨ ؛ العزاوى : تأريخ العراق ، حـ ١ ، ص ٢٦٧ ، ٢٩٦) ؛

واستأنفت العمل بعض المدارس القديمة ، وبخاصة مدارس النظامية والمستنصرية والبشيرية والتتشيّة ومدرسة الأصحاب (انظر ابن بطوطة . طبعة القاهرة سنة ١٩١٨ ، حـ ١ ، ص ١٤٠-١٤١ ؛ ابن الفوطى ، ص ١٨٢ ، ٣٨٥ ، ٣٩٦ ؛ العزاوى : تأريخ ، حـ ١ ، ص ٣١٨) ؛ وأنشأت زوجة الجوينى مدرسة العصمتية لتعليم الفقه على المذاهب الأربعة ورباطا بالقرب منها (ابن الفوطى ، ص ٣٧٧) ؛ وبعث الإيلخان تكودار برسالة إلى بغداد يطلب فيها إعادة الهبات إلى المدارس والمساجد كما كانت الحال فى عهد العباسيين ، ولعلها رغبة منه أملتها التقوى (الكرملى : الفوز ، ص ١٢) ؛ وأدت السياسة التى انتهجها الإيلخانية إلى شبوب فتن فى وجه غير المسلمين ، فقد أسبغوا حمايتهم على المسيحيين وأعفوهم من الجزية، وأعادوا بناء الكنائس وفتحوا لهم المدارس؛ وأدى هذا إلى نشوب فتنة فى وجههم عام ٦٦٥ هـ (١٢٦٣م) ، وارتفع اليهود إلى مكان الصدارة فى عهد أرغون (٦٨٣ — ٦٩٠ هـ = ١٢٨٤ — ١٢٩١ م) بفضل سعد الدولة اليهودى القائم على بيت المال ، وهو الذى عين أخاه والياً على بغداد ؛ وفى عام ٦٩٠ هـ (١٢٩١ م) قُتل سعد الدولة وانقض العد[illegible] فى بغداد على اليهود ، وعانى غير المسلمين فى [illegible]د غازان من الالتزام بارتداء زى معين لتمييزهم ومن إعادة فرض ضريبة الرءوس عليهم وسلوك الغوغاء، فاعتنق كثير منهم الإسلام (انظر عمرو بن متى : كتاب المجدل ، ص ١٢٠ — ١٢٢ ، ١٢٥ ، ابن الفوطى ، ص ٣٥٤ ، ٤٦٥ — ٤٦٦ ، ٤٨٣ ؛ وصاف ، حـ ٢ ، ص ٢٣٨ ، الكرملى : المصدر المذكور ، ص ١٤ — ١٥ ، ٢١ ؛ العزاوى ، حـ ١ ، ص ٣٤٩ ، ٥١٣) .

وأثار ألجايتو القلاقل عندما تذبذب بين مذهبى الشيعة والسنة . وحاول الإيلخانية أن يفرضوا «الچاو» (أوراق النقد [انظر هذه المادة]) ولكنها كانت مكروهة جداً فى بغداد فألغاها غازان آخر الأمر عام ٦٩٧ هـ (١٢٩٧ م ؛ ابن الفوطى ، ص ٤٧٧ و ٤٩٢) ؛

ولدينا روايات ثلاثة من الجغرافيين عن هذه الفترة وهم : ابن عبد الحق (حوالى ٧٠٠ هـ = ١٣٠٠ م) وابن بطوطة (٧٢٧ هـ = ١٣٢٧ م) والمستوفى (٧٤٠ هـ = ١٣٣٩ م) .

ويقول صاحب كتاب المراصد أنه لم يبق شيء من غربى بغداد سوى بضعة أحياء منعزلة ، أكثرها سكاناً حى الكرخ (ص ٢٠١) ؛ ويتحدث عن حى القُرَيّة وحى الرُّمَليّة الآهل بالسكان وسوق دار الرقيق ، ودار القزّ التى تقف وحدها حيث كان يصنع الورق ، وحى باب المُحَوَّل الذى يقف وحده كأنه قرية منعزلة (المراصد ، [طبعة القاهرة] ، ص ١٤٦ ، ٢٠١ ، ٥٠٧ ، ٧٧٣، ١٠٨٨) ؛ ويشير إلى البيمارستان العَضُدى ويقول إنه لم يبق شيء من أحياء الحريم الطاهرى ، ونهر طابق والقطيعة على حين كان حى توثة يبدو كأنه قرية منعزله (المراصد ، ص ٢٨٠ ، ٨٣٧ ، ٣٩٧ ، ١٤٠٣) ؛ ويقول كتاب المراصد عن شرقى بغداد : « حتى جاء التتر إليها فخرب أكثرها وقتلوا أهلها كلهم فلم يبق منهم غير آحاد ، كانوا أنموذجاً حسناً وجاءها أهل البلاد فسكنوها » (ص ٢٠١) ؛ ويقول إن الحَلَبة والقُرَيّة والقطيعة كانت أحياء مزدحمة بالسكان (المراصد ، ص ٤١٧ ، ١٠٨٨ ، ١١١٠) .

ويسير ابن بطوطة على نهج ابن جبير ولا يكاد يختلف عنه ، ومع ذلك فإنه يتحدث عن قنطرتين فى بغداد ويورد تفاصيل جديدة عن الحمامات الممتازة فى المدينة (طبعة القاهرة سنة ١٩٠٨ ، جـ ١ ، ص ١٤٠ — ١٤١) ؛ ويقول إن المساجد والمدارس كانت كثيرة بيد أنها كانت خراباً بلقعا (المصدر المذكور ، جـ ١ ، ص ١٤٠) .

وللمعلومات التى أوردها المستوفى دلالتها ، فهو يتفق فى وصفه لسور شرقى بغداد مع ابن جبير ، ويقول إن السور كان به أربعة أبواب ويحيط بالمدينة على هيئة نصف دائرة محيطها ١٨,٠٠٠ خطوة . أما غربى بغداد ، ويسميه الكرخ ، فكان يحيط به سور محيطه ١٢,٠٠٠ خطوة ؛ ووجد أن الحياة سهلة ميسورة فى بغداد وأن أهلها لطاف المعشر ، ولكن لغتهم العربية محرفة ؛ ووجد أن السيادة فى بغداد للشافعية والحنابلة على الرغم من أن أتباع المذاهب الأخرى كثيرون ؛ وكانت المدارس والرباطات عديدة ، ولكنه نوه قائلا إن النظامية كانت أعظمها جميعاً ، على حين شغلت مدرسة المستنصرية أجمل مبنى (نزهة القلوب ، ص ٤٠ — ٤٢) ؛ وقد يُرَدّ ضريح الست زبيدة إلى هذا العهد ، والسيدة التى أطلق اسمها عليه قد تكون زبيدة ، حفيدة أكبر أبناء المستعصم (العزاوى ، جـ ١ ، ص ٤٠٦) .

وفى عام ٧٤٠ هـ (١٣٣٩) مكّن حسن بُزُرْگ لنفسه فى بغداد وأسس الدولة الجلائرية التى ظلت فى الحكم حتى عام ٨١٣ هـ (١٤١٠م) . ويرجع مسجد مرجان إلى هذا العهد ؛ ونعلم من نقوشه أن مرجان ، وهو من قواد أويس ، شرع فى بناء المدرسة ومسجدها فى عهد حسن بزرك وأتم بناءها فى عهد أويس عام ٧٥٨هـ (١٣٣٧م) .

وكانت المدرسة وقفاً على الشافعية والحنفية (نص النقوش وارد فى كتاب الآلوسى : المساجد ، ص ٤٥ وما بعدها ؛ *Mission* : Massignon ، حـ ٢ ، ص ١ وما بعدها) . ولم يبق الآن من المدرسة — أو المسجد فيما بعد — إلا الباب .

ونسمع فيما عدا ذلك عن فيضان أو حصار أو فتن أحدثت ضرراً بليغاً وخسارة فادحة .

وقد استولى تيمور على بغداد مرتين ، أولاهما عام ٧٩٥ هـ (١٣٩٢ — ١٣٩٣ م) وفيها نجت المدينة ولم يلحقها إلا ضرر قليل ، والثانية عام ٨٠٣ هـ (١٤٠١ م) عندما أُعْمِل السيف فى رقاب أهلها بلا تمييز وخرب الكثير من مبانيها العامة (العباسية) وأحيائها . وكانت هذه ضربة قاضية على الثقافة فى بغداد . وعاد أحمد الجلائرى إلى بغداد عام ٨٠٧هـ (١٤٠٥ م) وأصلح الأسوار التى دمرها تيمور وحاول ترميم بعض المبانى والأسواق ولكن حياته كانت قصيرة .

وانتقلت بغداد عام ٨١٣ هـ (١٤١٠ م) إلى أيدى التركمان القره قويونلى الذين احتفظوا بها حتى عام ٨٧٢ هـ (١٤٦٧ — ١٤٦٨ م) ، وجاء بعدهم التركمان الآق قويونلى . واستمرت بغداد تنحدر إلى هوة أعمق فى عهد التركمان وعانت كثيراً من فساد الحكم ، وهجر المدينة عدد كبير من سكانها . ولاشك أن تكرار حدوث الفيضان وما ترتب عليه من دمار إنما يرجع إلى ما أصاب نظام الرى من خراب . ويتحدث المقريزى فى حوادث عام ٨٤١ هـ (١٤٣٧ م) فيقول : « إن بغداد تخربت ، فلم يبق فيها مسجد ولا زاوية ولا سوق . وجفت معظم المياه من قنواتها حتى يصعب القول بأنها مدينة (المقريزى : السلوك ، حـ ٣ ، ص ١٠٠ ؛ انظر العزاوى ، حـ ٣ ، ص ٧٩ وما بعدها ؛ الكرملى ، ص ٦١ وما بعدها) . يضاف إلى هذا أن العصبية القبلية سادت وأن أحلاف القبائل بدأت تقوم بدورها فى إثارة الفتن فى حياة البلاد .

وفى عام ٩١٤ هـ (١٥٠٧ — ١٥٠٨ م) انتقلت بغداد إلى حكم الشاه إسماعيل الصفوى ، وبدأت فترة تنازع فيها الفرس والعثمانيون على امتلاك بغداد ، وجدت صداها فى أغنية بغداد « بين العجم والروم ياويلنا ياويلنا » . وهدمت أضرحة الكثيرين من أهل السنة وبخاصة ضريحا أبى حنيفة وعبد القادر الجيلانى ، وقتل الكثيرون من كبار أهل السنة بناء على أوامر الشاه إسماعيل ؛ ومهما يكن من شىء فإنه قد شرع فى بناء ضريح لموسى الكاظم . وأقام والياً منحه لقب خليفة الخلفاء (العزاوى ، حـ ٣ ، ص ٣٣٦ — ٣٤٣) . وأقبل عدد كبير من التجار العجم إلى بغداد وكانوا سبباً فى رواج التجارة . وبعد فترة قصيرة من استيلاء الأمير الكردى ذى الفقار على بغداد ، وإعلان ولائه للسلطان سليمان القانونى ، غلب على المدينة مرة أخرى الشاه طهماسب عام ٩٣٦ هـ (١٥٣٠ م) ، ودخل السلطان سليمان بغداد عام ٩٤١هـ (١٥٣٤م) ، وبنى قبة لضريح أبى حنيفة ومسجداً ومدرسة وأعاد بناء المسجد والتكية وضريح الجيلانى وأمر

بإقامة خان للفقراء فى كل من المسجدين » وأمر أيضاً بتكملة بناء ضريح ومسجد الكاظمين « الذى كان الشاه إسماعيل قد شرع فيه (سليمان — نامه ص ١١٩ ، أوليا چلبى « جـ ٤ » ، ص ٤٢٦ ؛ الآلوسى : المساجد « ص ١١٧ ؛ العزاوى « جـ ٤ ، ص ٢٨ وما بعدها) . وأمر بمسح الأراضى المملوكة وتسجيلها ونظم إدارة الولاية (أوليا چلبى « جـ ٤ ، ص ٤١) . وعهد بها إلى والٍ (پاشا) ودفتردار (للمالية) وقاض . وأقيمت حامية فى بغداد ، قوامها الإنكشارية .

وشيدت مبان قليلة فى الفترة التالية . ففى عام ٩٧٨ هـ (١٥٧٠ م) شيد مراد پاشا مسجد المرادية فى حى الميدان . وأعيد بناء مسجد الجيلانى » وشيد چغالزاده خاناً » ومقهى وسوقاً شهيرة » كما شيد جامع الصاغة ، أو جامع الخفافين ، وأعاد بناء تكية المولوية المعروفة الآن باسم مسجد الآصفية (العزاوى « جـ ٤ ، ص ١١٦ ، ١٢٨—١٣٢ ؛ انظر الآلوسى : المساجد ، ص ٣٠ — ٣١ و ٦٢ — ٦٤) . وشيد حسن پاشا المسجد المعروف باسمه » والمسمى أيضاً بجامع الوزير (گلشن خلفا ، ص ٦٦ ؛ أوليا چلبى ، جـ ٤ ، ص ٤١٩) . كما أقام حصناً وحفر خندقاً حول الكرخ لحمايتها من البدو .

ويبدأ الرحالة الأوربيون زيارة بغداد فى هذا العهد . ويتحدثون عنها بوصفها ملتقى للقوافل ومركزاً كبيراً للتجارة مع الجزيرة العربية وبلاد فارس وتركية . ورأى سيزار فردريكو Caesar Fredrigo (عام ١٥٦٣ م) الكثيرين من التجار الأجانب فى المدينة . وشهد سير أنتونى شيرلى Sir Anthony Sherley (عام ١٥٩٠ م) « سلعاً جيدة من جميع الأنواع رخيصة جداً » (Purchas » جـ ٨ » ص ٣٨٤) : وكان فيها قنطرة من القوارب ، تربطها سلسلة كبيرة من الحديد ، وعندما تعبر بعض القوارب النهر جيئة أو ذهاباً » ترفع بعض القوارب التى تتألف منها القنطرة حتى تنتهى حركة المرور بالنهر : (Ralph Fitch فى سنة ١٥٨٣ ، مجموعة Hakluyt ، جـ ٣ » ص٢٨٢ - ٢٨٣) . ورأى راوولف Rauwolf (عام ١٥٧٤) شوارع ضيقة وبيوتاً زرية البناء » وكان الكثير من المبانى أطلالا خربة : وكانت بعض العمائر العامة — مثل مقر الپاشا والسوق الكبيرة أو سوق المبادلات التجارية — فى حالة جيدة » أما حماماتها فكانت حقيرة : وكان الجانب الشرقى منها جيد التحصين سور وخندق ، أما الجانب الغربى فكان مكشوفا أدنى إلى القرية الكبيرة فى مظهره (Rauwolf : *Travels* ، فى مجموعة راى Ray ، لندن سنة ١٦٠٥ ، جـ ١ ، ص ١٧٩ وما بعدها) ؛ أما أسوار المدينة فكانت من الآجر وكانت لها ملحقات ، تضم أربعة أبراج بارزة ركبت عليها مدافع ثقيلة من البرونز فى حالة جيدة (Texeira : *Travels* ، مجموعة Hakluyt » ص ٣١) ؛ وقيل إن محيط الأسوار يتراوح بين ميلين وثلاثة أميال . ولاحظ جون إلدرد John Eldred (عام ١٥٨٣) أن الناس كانوا يتحدثون بثلاث

لغات في بغداد وهي العربية والتركية والفارسية (مجموعة Hakluyt ، جـ ٣ ، ص ٣٢٥) ؛

ووجد رالف فتش Ralph Fitch (عام١٥٨٣) أيضا أن بغداد لم تكن مدينة كبيرة جدا ولكنها كانت مزدحمة بالسكان . وقدر الرحالة البرتغالى بدرو تكسيرا Pedro Texeira (عام ١٦٠٤) عدد المنازل فى شرق بغداد بما يتراوح بين عشرين ألف وثلاثين ألف منزل ؛ وكانت فى بغداد دار لسك النقود ، تضرب فيها العملات الذهبية والفضية والنحاسية . وكانت بها مدرسة لتعليم الرمى بالسهام وأخرى لتعليم الضرب بالبنادق ، حافظت عليها الحكومة (Travels ، مجموعة هكلويت Hakluyt ص ٣١) .

وعلى إثر الفتنة التى قام بها بكر الصوباشى ، فتح الشاه عباس الأول بغداد عام ١٠٣٢ = (١٦٢٣ م) . وتعرضت للدمار مبانى المدارس وأضرحة اهل السنة ، ومنها مسجدا الجيلانى وابى حنيفة . وقتل ألوف أو بيعوا كالأرقاء وعذب آخرون (كاتب چلبى : فذلكه ، جـ ٢ ، ص ٥٠ ؛ خلاصة الاثار ، جـ ١ ، ص ٣٨٣ ؛ العزاوى ، جـ ٤ ، ص ١٧٨ — ١٨٢) . وشيد صفى قُلى خان ، الوالى الفارسى فى هذا العهد ، السراى (مقر الحكومة) . واسترد العثمانيون بغداد عام ١٠٤٨ = (١٦٣٨ م) بقيادة السلطان مراد الرابع نفسه ، وامر بإعادة بناء الأضرحة وبخاصة ضريحى أبى حنيفة والجيلانى . وسوّر ، عند رحيله ، باب الطلسم وظل قائماً حتى هدمه الأتراك عند انسحابهم عام ١٩١٧ ؛ وقام صدوه الأعظم بترميم القلعة ترميما جيدا .

ووصلت إلينا حقائق أخرى من الرحالة فى هذه الفترة ، مثل تافرنييه Tavernier (عام ١٦٥٢) وأوليا چلبى (عام ١٦٥٥) وتيفينو Thevenot (عام ١٦٦٣) : وكان السور المحيط بشرقى بغداد يكاد يكون دائرى الشكل ، وارتفاعه ٦٠ ذراعاً وعرضه من ١٠ — ١٥ ذراعا وفيه فتحات للمدافع ؛ وبه أبراج عظيمة فى الأركان الرئيسية ، منها أربعة اشتهرت فى هذه الفترة — وأبراج أصغر تبعد كل منها مسافة قصيرة عن الأخرى . وثبتت مدافع من النحاس الأصفر على الأبراج الكبرى ؛ وأكمل السور على ضفة النهر للدفاع عنها بحق (وتبين خريطة نصوح الصلاحى التى رسمت للسلطان سليمان عام ١٥٣٧ هذا السور ؛ Atlas of Baghdad : A. Sousa، ص ١٢) ؛ وكان فى السور الذى على البر ١١٨ برجا وفى السور الذى على ضفة النهر ٤٥ برجا (حاجى خليفه [عام ١٦٥٧] : جهانْنما ، ص ٤٥٧ وما بعدها) ويتحدث كرپورتر Ker Porter [عام ١٨١٩] عن ١١٧ برجا ، منها ١٧ برجا كبيرا (Travels ، ص ٢٦٥ ؛ انظر Buckingham : Travels ، ص ٣٧٢) . وكان للسور ثلاثة أبواب فى الجانب الواقع على البر (لأن باب الطلسم مسوّر) وهى : باب الإمام الأعظم فى الشمال على بعد ٧٠٠ ذراع من نهر دجلة ، وقرا قلق قاپى (باب كلواذى)

أو الباب الأسود فى الجنوب على بعد ٥٠ ذراعاً من نهر دجلة ، وآق قابى (الباب الوسطانى) أو الباب الأبيض فى الشرق . أما الباب الرابع فكان عند القنطرة . وقاس أوليا چلبى طول السور فوجد أنه ٢٨٫٨٠٠ خطوة بالسير البطيء أو سبعة أميال (الميل الواحد = ٤٠٠٠ خطوة) بينما يذهب حاجى خليفة إلى أن طوله ١٢٫٢٠٠ ذراع أو ميلان (يرى نيبور Niebuhr و أوليفييه Olivier أن طول شرق بغداد ميلان) . ومن رأى ولستد Wellsted أن محيط الأسوار سبعة أميال ؛ ويقول فلكس جونز Felix Jones الذى قام بمسح بغداد عام ١٨٥٣ أن محيط أسوار شرق بغداد ، وتضم واجهة النهر ، ١٠٫٦٠٠ ياردة أو حوالى ستة أميال (Olivier : *Voyage* ، ج ٢، ص ٣٧٩ — ٨٠ ؛ Wellsted : *Travels* ، ج ١، ص ٢٥٥ ؛ Felix Jones ، ص ٣١٨ ؛ انظر Rousseau ، ص ؛ Tavernier ، ص ٨٤) ؛

وكان يحيط بالسور خندق ، عرضه ستون ذراعاً ، يجلب له الماء من نهر دجلة . وتقوم القلعة (القلعة الداخلية) فى الطرف الشمالى الغربى من السور ، من باب المعظم إلى نهر دجلة ؛ ويحدق بها سور واحد به أبراج صغيرة ركبت عليها المدافع . وكانت هناك ثكنات ومخازن للذخيرة الحربية والمؤن العسكرية ، كذلك الخزانة ودار سك النقود . أما السراى ، التى يقيم بها الباشا ، فكانت أسفل القلعة ، وبها بساتين فسيحة وجواسق جميلة . وعلى الطرف الآخر من القنطرة كانت هناك قلعة تسمى قوشلر قلعه سى أو قلعة الطيور ، ولها باب على القنطرة (أوليا چلبى ، ج ٤ ، ص ٤١٦ ؛ حاجى خليفة : جهانما ، ص ٤٥٧ — ٤٦٠ ؛ Tavernier ، ص ٦٤ ؛ Thevenot : *Voyage* ، ج ٢ ، ص ٢١١) .

ويشير أوليا چلبى إلى مساجد بغداد الكثيرة ويتحدث عن تسعة مساجد هامة منها . أما المدارس فأكبرها مدرستان هما المرجانية ومدرسة الخلفاء (المستنصرية) ؛ وكان بين الخانات الكثيرة اثنان صالحان . ويتحدث عن ثمانى كنائس وثلاثة معابد لليهود ، ويورد أرقاماً مبالغاً فيها لعدد التكايا (٧٠٠) والحمامات (٥٠٠) ؛ وكان جسر القوارب من ٣٧ إلى ٤٠ قارباً حسب ارتفاع مياه النهر ، وفى الإمكان رفع بعض القوارب فى الوسط إما لدواعى الأمن بالليل أو لتيسير حركة المرور بالنهر أو لمجرد الاحتياط الذى تقتضيه الضرورة العسكرية . وكانت اللغات الكبرى التى يتحدث بها الناس فى بغداد هى العربية والتركية والفارسية . وكان ببغداد أجود أنواع الحمام الزاجل .

ومهما يكن من شيء فإن بغداد كانت لا تزال تسير فى طريق الاضمحلال ، فقد بلغ عدد سكانها أقل رقم وصل إليه وهو ١٥٫٠٠٠ نسمة (Tavernier : *Travels* ، لندن سنة ١٦٧٨ ، ص ٨٥ — ٨٦ ؛ أوليا چلبى : سياحت نامه ، ج ٤، ص ٤٢٠ وما بعدها ؛ Thevenot : *Voyage* ، ج ٢ ، ص ٢١١) .

وحكم بغداد ٢٤ باشا بين عامى ١٠٤٨ هـ (١٦٣٨ م) و ١١١٦ هـ (١٧٠٤ م) ولم يكن

هناك مجال لأى تقدم حقيقى ؛ ولقد تمتع الباشوات بشبه استقلال ذاتى ،وكانت قوة الإنكشارية عظيمة ، واشتد بأس القبائل وأصبح شيئاً فشيئاً يهدد الحياة فى المدينة .

وإذا استثنينا ترميم أسوار المدينة أو المساجد فإننا لا نجد من الإصلاحات إلا القليل . فقد شيد كوچوك حسن باشا ثلاثة أبراج بالقرب من برج العجم ، وأعاد خاصكى محمد باشا بناء طابية الفاتح ، ورمم الأسوار بعد فيضان عام ١٦٥٧ ، ورمم أحمد بُشْناق الأبراج ، وبخاصة برج الجاويش (چاووش) وشيد برج الصابونى (عام ١٦٨٧) . ولقيت المساجد بعض العناية فقد أعاد دلى حسين باشا (عام ١٦٤٤) بناء مسجد القمرية . وشيد مسجد الخاصكى فى رأس القرية ؛ وأعاد سلحدار حسين باشا (عام ١٦٧١) بناء مسجد الفضل الذى أصبح يعرف باسم جامع حسين باشا ، وأحاط ضريح عمر السُهْرَوَرْدى بسور وجلب إليه الماء بشق قناة . ورمم عبد الرحمن باشا (عام ١٦٧٤) جامع الشيخ معروف وأكمل السد الذى شرع فى بنائه سلفه لحماية الأعظمية من مياه الفيضان . وأعاد قپلان مصطفى (عام ١٦٧٦ م) بناء جامع الشيخ القَدورى الذى أصبح يعرف باسم جامع القپلانية . ورمم عمر باشا (عام ١٦٧٨) مسجد أبى حنيفة وحبس عليه أوقافاً جديدة ؛ وجدد إبراهيم باشا (عام ١٦٨١) جامع السيد سلطان علىّ وجامع السراى ؛ وأعاد إسماعيل باشا (عام ١٦٩٨) بناء جامع الخَفّافين (العزاوى ، ج ٤ ، ص ٢٧ ، ٦٤ ، ١٠٩ ، ١١٦ ، ١٤٣ ؛ گلشن خلفا ، ص ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ؛ الألوسى : المساجد ، ص ٣٧ ، ٥٧ — ٥٨) . وشيد أحمد بشناق (عام ١٦٧٨) خان بنى سعد المشهور على حين شيد السلحدار حسين باشا سوقاً جديدة بالقرب من المستنصرية .

وشهد مطلع القرن الثامن عشر الفوضى تضرب أطنابها بصورة مروعة فى إيالة بغداد ، فالإنكشارية يصبحون سادة الموقف فى المدينة ، والقبائل العربية تسيطر على أرض الريف المجاورة والسلام والأمن لا وجود لهما بالنسبة للتجارة ؛ وكان تعيين حسن باشا عام ١٧٠٤ ثم تعيين ابنه أحمد بعده ، إيذاناً ببدء عهد جديد لبغداد . فقد استعانا لأول مرة بالمماليك (كوله من) لكبح جماح الإنكشارية ووضعا الأساس لسيادة المماليك التى دامت حتى عام ١٨٣١ . وأصبح من الميسور السيطرة على الإنكشارية والقبائل العربية ، واستتب النظام كما أمكن توقى التهديد الفارسى ؛ وأعاد حسن باشا بناء مسجد السراى (جديد حسن باشا) ؛ وألغى المكوس على الوقود والمأكولات ، وأغاث الأحياء وخلصها من المظالم واغتصاب الأموال الذى كان يحدث عقب جرائم القتل (*Gazetteer of the Persian Gulf* ، مجلد ١ ، القسم الأول ، ص ١١٩٣ — ١١٩٤ ؛ سليمان فائق : حروب الإيرانيين ، مخطوطة ، ورقة رقم ١٨ — ١٩ ، الكاتب نفسه ، تأريخ المماليك ، مخطوطة ، ورقة رقم ٤ ؛ حديقة الزوراء [مختصرة] ، مخطوطة ، ص ٩ ؛ گلشن خلفا ، ص ٢٢٥) . واستمر

أحمد باشا يسير على نهج أبيه ورفع إلى حد كبير هيبة بغداد . وحاصر نادر شاه بغداد مرتين عامى ١٧٣٧ و ١٧٤٣ ، وعلى الرغم من أن المدينة قاست كثيراً من الحصار الأول فإن أحمد باشا صمد وأنقذ المدينة . فلما مات أحمد باشا عام ١٧٤٧ حاولت الآستانة أن تفرض سلطانها من جديد على بغداد ولكنها فشلت بسبب معارضة المماليك . وكان سليمان باشا أول مملوك ينصب والياً على بغداد عام ١٧٤٩ . وهو يعد المؤسس الحقيقى لنظام الحكم المملوكى فى العراق . واضطر السلطان مذذاك إلى أن يعترف بوضعهم وأن يصدق بوجه عام على تعيينهم فى مناصب الولاة . وأراد حسن باشا الذى تربى فى البلاط العثمانى (بيت الرقيق) أن يحذو حذوه ، فشيد بيوتاً وشرع فى تدريب المماليك الجراكسة والكرج وأبناء أقطاب القوم فى هذه البيوت . وتوسع سليمان وقتذاك فى هذا التدريب ، وكان هناك على الدوام نحو ٢٠٠ مملوك يتلقون التدريب فى المدرسة » لإعدادهم ليكونوا ضباطاً وموظفين . وكانوا يتلقون تعليما أدبيا ويتدربون على استخدام الأسلحة » وفن الفروسية والألعاب الرياضية، ويتلقون آخر الأمر شيئاً من التربية الخاصة بالقصور ، ليخرج منهم صفوة يتولون الحكم (سليمان فائق : تأريخ المماليك « دوحة الوزراء » ص ٨) ، وتكونت طبقة من الحكام تجمع بين الدربة والمقدرة والحصافة. ولكن الضعف تسرب إلى صفوفهم بسبب مشاعر الحسد والدسائس ، وأخضع سليمان شوكة القبائل واستتب فى عهده النظام والأمن وشجع التجارة. وخلفه على باشا عام ١١٧٥هـ (١٧٦٢ م) وتلاه عمر باشا عام ١١٧٧هـ (١٧٦٤م ؛ تأريخ جودت ، الطبعة الثانية ، ج ١ ، ص ٣٣٩ — ٣٤٠) ؛ واعتمدت بومباى عام ١٧٦٦ إقامة دار للمعتمد البريطانى فى بغداد (Gazetteer ، ج ١ ، ص ١٢٢٥) ؛ وتفشى طاعون وبيل فى بغداد عام ١١٨٦هـ (١٧٧٢ م) واستمر ستة شهور ، وهلك آلاف وهاجر آخرون وتوقفت الأعمال التجارية (Gazetteer ، ج ١ ، ص ٣٢٤) ؛

وقد أدى استتباب الأمن إلى أن تصبح بغداد مركزاً تجارياً عظيما . وقد كتب شاهد عيان سنة ١٧٧٤ يقول : « هذه هى السوق الكبرى لمنتجات الهند وبلاد فارس والآستانة وحلب ودمشق ؛ وصفوة القول إنها المستودع العظيم للشرق » (Gazetteer ، ج ١ ص ١٢٤٣) ؛

وأدى الشقاق بين المماليك وضعف قيادتهم إلى قيام عهد انتشرت فيه الفتن والمنازعات القبلية وإلى غزو البصرة على يد الفرس . وانتهى هذا العهد عندما أصبح سليمان باشا الكبير والياً (١١٩٣هـ = ١٧٧٩م) وجمع بين بغداد وشهرزور ، والبصرة ؛ وكبح جماح القبائل واستتب السلام وانتعشت قوة المماليك (تاريخ جودت ، ج ٢ ، ص ١٤٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ؛ الصوفى : تاريخ المماليك ، ص ١٩ وما بعدها ، ص ٥٤ وما بعدها ؛ س . فائق : تأريخ المماليك ، ورقة رقم ١٦ — ١٧) ؛

ورمم سليمان باشا أسوار شرقى بغداد ، وشيد سوراً حول الكرخ وأحاطه بخندق ، وأعاد بناء

السراى ، وبنى مدرسة السليمانية ، وجدد مسجد القيلانية والفضل والخلفاء . وعلاوة على هذا فإنه بنى سور السراجين . وشرع مولاه (الكخيا) فى بناء مسجد الأحمدية (جامع الميدان) ليكمله شقيق الكخيا (عثمان بن سند [الطبعة المختصرة]، ص ٧٠ — ٧٣ ، ٧٦ — ٧٧) ، وشهد آخر عام من حياته (١٨٠٢) طاعوناً يتفشى فى بغداد (Gazetteer ، ج ١ ، ص١٢٨٥ ؛ ياسين أفندى العمرى: غرائب الأثر ، ص ٦٤) . وألغى كوچوك سليمان (عام ١٨٠٨) عقوبة الإعدام إلا إذاحكمت بها المحاكم الشرعية. ومنع مصادرة الأموال وألغى الرسوم المفروضة على رفع القضايا فى المحاكم ، وخصص مرتبات للقضاة (س . فائق ، تأريخ المماليك ، ورقة رقم ١٦ ، دوحة الوزراء ، ص ٢٥٠) .

وولى داود باشا الحكم (عام ١٨١٦) بعد فترة سادتها القلاقل . وأخضع شوكة القبائل واستعاد النظام والأمن . وطهر بعض قنوات الرى وأنشأ مصانع لإنتاج القماش والأسلحة وشجع الصناعة المحلية . وشيد ثلاثة مساجد كبيرة أهمها مسجد حيدر خانه . وأنشأ ثلاث مدارس وبنى سوقاً بجوار القنطرة . ونظم جيشاً قوامه حوالى ٢٠,٠٠٠ جندى واستقدم ضابطا فرنسياً لتدريبه. وعادت إدارته القديرة الذكية بالرخاء على المدينة. ومهما يكن من شىء فإنه اضطر إلى فرض مكوس باهظة فى بغداد . وكان سقوط حكم داود ونهاية عهد المماليك نتيجة سياسة محمود الثانى التى اتسمت بالمركزية والإصلاح ، وإلى جانب الطاعون الوبيل ، والقحط ، والفيضان التى تأثر بها معظم سكان المدينة (١٢٤٧ هـ = ١٨٣١ م ؛ حديقة الزوراء [الطبعة المختصرة] ، مخطوطة ، ورقة رقم ٤٣ — ٤٤ ، ٥٥ — ٥٦ ؛ ا. ر. سويدى : نزهة الأدباء ، مخطوطة، ورقةرقم ٤١ — ٤٢ ، مرآة الزوراء ، ص ٥٩؛ س . فائق: تأريخ المماليك، مخطوطة ، ورقة رقم ٣٩ — ٥٢ ، Gazetteer ، ج ١ ، ص ١٣١٦ ، Frazer : *Travels* ، ج ١ ص ٢٢٤ — ٥ ؛ *Handbook of Mesopotamia* ، ج ١ ، ص ٨٠ — ٨١) .

وقد نقل النظام الإدارى ببغداد على نطاق صغير من نظيره فى الآستانة. واحتفظ الباشا بالسلطة العسكرية والإدارية العليا . وكان الكتخدا (أو الكخيا) وهو أشبه بالوزير ، على رأس الإدارة ، يعاونه الدفتردار الذى كانمديراً للمالية وديوان أفندى ى أو رئيس الحجاب . وكان ثمة رئيس لحرس القصر وأغا للإنكشارية . وكان القاضى على رأس السلطة القضائية . وكان الباشا يدعو الديوان الذى يضم الكخيا والدفتردار والقاضى والقائد والشخصيات الكبيرة الأخرى لمناقشة المسائل الهامة ، وكان فى القصر بيتان بهما مدرسون ومعلمون (لالات) لتعليم المماليك (جودت ، ج ٢ ، ص ٢٨٧ ، ج ٣ ، ص٢٠٤ . عثمان بن سند ، ص٣١ — ٣٢ ، ٥٦ ، ٣٩ ؛ Rousseau ، ص ٢٥ وما بعدها) ؛ وكان قوام جيش المماليك ١٢٥٠٠ جندى ويرتفع عددهم فى حالة الضرورة إلى ٣٠,٠٠٠ بجند الأهالى وبالمجندين من باقى أرجاء الولاية (س . فائق : المماليك ، ص ٥١ — ٥٢) ؛

إن موقع المدينة المدوّرة قد حددته القنوات القديمة ، وبخاصة قناة عيسى وقناة الصراة : ولايزال مجرى قناة عيسى يعرف بالعيساوى أو الداودى ، ويمكن مشاهدة القناة التى تنساب فى المدينة وتتبعها حتى قناة الخر ، بيد أن الجزء الأدنى منها قد أزيل. غير أننا نعرف أن القنطرة الرئيسية فى القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) كانت عند مَشْرَعة الرَوَاية بجانب قناة عيسى . وأن هذه المشْرَعة كانت مقابلة لسوق الثلاثاء تحت قنطرة المأمون الحديثة (ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٨ ، ص ١٦٩ ؛ الكاتب نفسه : مناقب بغداد ، ص ٢٠ ؛ انظر Massignon : *Mission* ، ج ٢ ، ص ١٠٤ — ١٠٥) . ومع ذلك فإنى لجأت إلى استخدام آلة «السيكترو غراف» لعمل مسح لمنطقة بغداد ووجدت أن مجرى قناة عيسى حتى نهر دجلة كما هو موضح على الخريطة (عند الشَوّاكة الحديثة) يتفق مع ما أشرت إليه فيما سبق .

وكانت قناة الصراة تصب فى نهر دجلة بالقرب من باب الشعير . ويقول ابن الفقيه (مخطوطة مشهد) إن باب الشعير كان بالقرب من نهر الشريعة الذى كانت تتوقف عنده المراكب القادمة من الموصل ؛ ونهر الشريعة المشار إليه لايمكن أن يكون موضعه اليوم إلا القمرية .

وكان الحد الجنوبى للمدينة المدورة بالقرب من قناة الصراة . عند ملتقى هذه القناة نهر دجلة . وكانت قرية سونايا خارج سورها . بالقرب من القسم الشمالى (انظر ابن الجوزى : المناقب ، ص ٢٤) . وكانت هذه القرية . على الأرجح . فى موضع المنطقة الحالية ، ومن ثم فإن المنْطَقة هى الحد الشرقى للمدينة المدورة التى كانت لاتقع مباشرة على نهر دجلة . وقد حدد أحمد بن حنبل موقع مدينة بغداد بين قناة الصراة وباب التبن . وبهذا يرى أن خندق طاهر هو الحد الشمالى لها . وكان هذا الخندق يضم الحريم الطاهرى ولايترك وراءه إلا قطيعة أم جعفر (الخطيب . ص ٧٩ ؛ المناقب . ص ٢٨) . ولما كان جناح الحريم الطاهرى قد اكتسحت معظمه مياه نهر دجلة أثناء تغيير مجراه (كما يقول صاحب كتاب المراصد) ، فإن حده لايمكن أن يتجاوز خط عرض ٣٣°٢٢َ شمالا . ومن ثم فلا ريب أن الحد الشمالى للمدينة المدورة كان عند خط عرض ٣٣° ٢١َ .

وكان معسكر المهدى (الرصافة) يكاد يقابل المدينة المدورة ، وكان حى الشماسية فى الجهة المقابلة لحى الحربية ، بينما كان باب الشماسية يكاد يقابل باب قَطْرَبُّل (الإصطخرى ، ص ٨٣ ؛ الطبرى ، ج ٣ ، ص ١٥٧٦) . وكانت الشماسية شمالى حى أبى حنيفة وشرقيه ، وأسفل حى أبى حنيفة تقع مقبرة الخلفاء ويليها مسجد الرصافة . ويدل الحفر وتحليل التربة على أن هذه المقبرة كانت فوق النادى الرياضى الملكى السابق بقليل . وكان مسجد الرصافة على مسيرة نحو ميل شمالى جامع السلطان عند المخرّم العليا التى لايمكن أن تكون فوق العيواضية الحديثة ، وعلى هذا فان المسجد كان عند الحد الشمالى لساحة عنترة .

وكانت المستنصرية هى الحد الجنوبى للمخرّم وبداية سوق الثلاثاء التى كانت تنتهى عند جامع الخلفاء (ويمكن اقتفاء أثرها متئذنة سوق الغزل) . وعلى هذا فإن القصور الملكية (حريم دار الخلافة) تبدأ وتمتد عبر القُرَيَّة — التى لاتزال تحتفظ باسمها — وتنتهى عند الرَبْض فى المُرَبَّعَة — التى لاتزال تحتفظ أيضاً باسمها ، (انظر ابن جبير) . وهذا يحدد موضع حريم دار الخلافة بين شارع السموأل تقريباً وجامع سيد سلطان على . وعند حفر أساسات المبنى الجديد لمصرف الرافدين . على مسيرة حوالى خمسين ياردة من شارع السموءل اصطدمت المعاول بمطبخ ، يرجح أنه كان مطبخ دار الخلافة (الجهشيارى ، طبعة القاهرة سنة ١٩٣٨ ، ص ١٨٩ ، ١٩٥ ؛ ابن الأثير ، ج ١٠ ، ص ٧٣ ؛ ياقوت ، ج ٢ ، ص ٥٨٧ ؛ ج ٣ ، ص ١٩٥ ؛ انظر Massignon : *Mission* ، ص ٨٩ ؛ سومر ، ج ٢ ، ص ١٩٧) . وينطبق حد سور المستعين شرقاً على سدّ ناظم باشا تقريباً كما يتضح من حفر أساسات المنازل الجديدة .

(انظر الخريطة على صفحتى ٤٢٢ ، ٤٢٣)



(١) الكاظمين
(٢) مقبرة أم جعفر
(٣) دجلة القديم
(٤) الحريم
(٥) حي الحربية
(٦) باب الشام
(٧) الخندق الطاهري
(٨) المدينة المدورة
(٩) قصر ومسجد باب الذهب
(١٠) باب الكوفة
(١١) قناة الصراة
(١٢) حي الكرخ
(١٣) ربع الكرخ
(١٤) قناة عيسى
(١٥) الخول
(١٦) مدينة المنصور القديمة
(١٧) باب البصرة
(١٨) الشماسية
(١٩) ربع أبي حنيفة
(٢٠) الرصافة
(٢١) سور المستعين
(٢٢) السد الشرقي
(٢٣) سد نجيب باشا
(٢٤) المخرم
(٢٥) باب السلطان (كباب المعظم)
(٢٦) سوق الثلاثاء
(٢٧) باب الخلافة
(٢٨) ربع الظفرية
(٢٩) باب الظفرية (الباب الوسطاني)(آقتابي)
(٣٠) باب الطلسم (باب الحلبة)
(٣١) سور المستظهر من بغداد
(٣٢) قصر المعلى
(٣٣) المأمونية
(٣٤) باب الأزج
(٣٥) سوق الثلاثاء
(٣٦) باب البصلية (قرا تلق قپي)
(البوابة الجنوبية)
(٣٧) معسكر الرشيد
(٣٨) بغداد الجديدة
(٣٩) مقياس الرسم

صفر ٤٠٠ ٨٠٠ ١٢٠٠ ١٦٠٠ ٢٠٠٠

ويقدم لنا الرحالة الأوربيون فى هذا العهد بعض المعلومات عن بغداد . وينوه البعض بأن الأسوار بنيت ورممت فى عهود كثيرة مختلفة ، وأن الأجزاء القديمة هى الأفضل (Buckingham : *Travels* ، سنة ١٨٢٧ ، ص ٣٣٢ ؛ انظر Felix Jones : *Memoir* ، ص ٣٠٩) ؛ وكانت المنطقة المحصورة داخل الأسوار (شرقا) تبلغ مساحتها طبقاً لتقدير فيلكس جونز Felix Jones ٥٩١ فداناً (انظر Dr. Ives : *Journey* ، لندن سنة ١٧٧٨ ، ص ٢٠ ؛ Rousseau : *Description* ص ٥) ؛ ويبدو أن السور القائم على النهر قد أهمل وأن بيوتاً شيدت على الضفة (Olivier : *Voyage* ، سنة ١٨٠٤ ، ج ٢ ، ص ٣٧٩) ؛ ولم يشغل أحد قسما كبيراً من المدينة داخل الأسوار ، وبخاصة فى الجانب الشرقى . أما القسم القريب من النهر فكان آهلا بالسكان، ولكن حتى هناك كانت البساتين من الكثرة بحيث بدا هذا القسم كأنه مدينة تقوم وسط حرج من النخيل (Niebuhr ، ج ٢ ، ص ٢٣٩ ؛ Buckingham ، ص ٣٧٣ ؛ Wellsted : *Travels* ، سنة ١٨٤٠ ، ج ١ ، ص ٢٥٥) ؛ وكانت السراى فسيحة وفيها بساتين جميلة ومجهزة بأثاث ثمين (Rousseau ، ص ٦ ؛ Ker Porter ، ص ٢٦٣) ؛

أما الجانب الغربى وهو الكرخ ، فكان بمثابة ضاحية فيها بساتين عديدة . وكان فى مبدأ الأمر خالياً من وسائل الدفاع (Rousseau ، ص ٥ ؛ Ives ، ص ٢٨) إلى أن جاء سليمان باشا فبنى السور الكبير وفيه أربعة أبواب : - باب الكاظم (شمالا) وباب الشيخ معروف (غرباً) ، وباب الحلة (فى الجنوب الغربى) وباب الكريمات (جنوبا) ؛ وكان طول الأسوار ٥,٨٠٠ ياردة ، وتحيط بمنطقة مساحتها ٢٤٦ فداناً (F. Jones ، ص ٣٠٩) . ووجد كر پورتر Ker Porter (سنة ١٨١٨) أنها تضم حوانيت فى شوارع عديدة واسعة (Ker Porter ، ج ٢ ، ص ٢٥٥ ؛ المنشئ البغدادى : الرحلة ، ص ٣١) . وفضلا عن ذلك فإن هذا الجانب لم يكن آهلا بالسكان مثل الجانب الشرقى ، وكان يسكنه عادة عامة الناس (Niebuhr ، ج ٢ ، ص ٢٤٤ ، Rousseau ، ص ٤) ؛ وكان عرض جسر القوارب ست أقدام ؛ وعليه كان الناس يعبرون النهر أو يستخدمون القفف لعبوره (Ker Porter ، ج ٢ ، ص ٢٥٥ ؛ Niebuhr ، ج ٢ ، ص ٢٤٣ ؛ المنشئ البغدادى ، ص ٢٤٣) . وزاد عدد السكان بالتدريج فى هذا العهد . ويقدر روسو Rousseau (حوالى عام ١٨٠٠) عددهم بـ ٤٥,٠٠٠ نسمة ، أما أوليفيه فيرى أنهم ٨٠,٠٠٠ نسمة ، بينما يذهب السكان إلى أن عددهم ١٠٠,٠٠٠ (Rousseau ، ص ٨ ؛ Olivier ، ج ٢ ، ص ٣٨٠) ؛ ويقدر بكنجهام Buckingham (١٨١٦) أن عددهم يبلغ ٨٠,٠٠٠ نسمة (*Travels* ، ج ٢ ، ص ٣٨٠) ، أما كرپورتر Ker Porter (سنة ١٨١٨) فيرى أن العدد يبلغ ١٠٠,٠٠٠ نسمة (*Travels* ، ص ٢٦٥) ؛ ويردد المنشئ البغدادى أصداء آراء محلية بقوله إنه كان فى بغداد ١٠٠,٠٠٠ بيت ، منها ١,٥٠٠ بيت

لليهود و ٨٠٠ للمسيحيين (الرحلة ، ص ٢٤) ؛ وما إن حل عام ١٨٣٠ حتى يصل التقدير ما بين ١٢٠,٠٠٠ — ١٥٠,٠٠٠ نسمة (Frazer ، جـ ١ ، ص ٢٢٤ — ٢٢٥ ؛ Wellsted) ؟ وكان هناك خليط من الأجناس والملل . وكانت طبقة الموظفين من الأتراك (أو المماليك) أما التجار فكانوا أولا من العرب ،وكان هناك أعجام وكرد وبعض الهنود (Buckingham ، ص ٣٨٧ ؛ Niebuhr ، جـ ٢ ، ص ٢٥٠ ؛ Ker Porter ، جـ ٢ ص ٢٦٥ ؛ Wellsted ، جـ ١ ، ص ٢٥١) ؛ وكانت فى بغداد أسواق كثيرة ،وبخاصة بالقرب من القنطرة ، وكانت الأسواق الكبرى مغطاة بقباب من الآجر ، أما بقية الأسواق فغطاة بجذوع النخيل. وبها كثير من الخانات و ٢٤ حماماً وخمس مدارس كبيرة وعشرون مسجداً كبيراً وكثير من المساجد الصغيرة (Buckingham ، ص ٣٧٨ — [illegible] ؛ Ives ، ص ٢٧٣ ؛ المنشئ البغدادى ، ص ٣١ ؛ Niebuhr ، جـ ٢ ، ص ٢٣٠ ، Wellsted ، جـ ١ ، ص ٢٥٧ ؛ Olivier ، جـ ٢ ، ص ٣٨٢) .

وكانت الطرقات ضيقة ، يثنى بعضها ببوابات تغلق فى الليل لحماية السكان . وكانت البيوت مرتفعة ، فيها نوافذ قليلة تطل على الشوارع .ويتألف البيت فى الداخل من سلسلة من الحجرات تفضى إلى فناء داخلى مربع به بستان عادة .وكان الناس يلجأون إلى السراديب لاتقاء الحرارة فى الصيف ، وإلى الأسطح المكشوفة للجلوس بعد العصر ، وكانوا ينامون فوق السطح فى فصل الصيف (انظر Buckingham ، ص ٣٨٠) . ولم تخل بغداد من بعض الصناعات وبخاصة دباغة الجلود ونسيج القطن والحرير والأقمشة الصوفية (Rousseau ، ص ٩ — ١٠) ؛

وكانت بغداد خاضعة مباشرة لحكم الآستانة من عام ١٨٣١ حتى نهاية العصر العثمانى . وحاول بعض الولاة أن يقوموا بإصلاحات . وكان محمد رشيد باشا (سنة ١٨٤٧) أول من حاول تحسين الأحوال الاقتصادية ، فأنشأ شركة لشراء سفينتين للنقل تعملان بين بغداد والبصرة وأدى نجاحها إلى قيام مشروع بريطانى مماثل . وأسس نامق باشا (١٨٥٣) الدمير خانه التى كان فى استطاعتها إصلاح السفن (شيحه ، ص ٥٤ ، ٥٨ — ٥٩ ؛ *Gazetteer* ، جـ ١ ، ص ١٣٦٠ ، ١٣٦٥ ، ١٣٦٦ — ١٣٧٢) . وأدخل مدحت باشا (١٨٦٩ — ١٨٧٢) نظام « الولاية » الحديث . فكان للوالى معاون ومدير للشئون الخارجية ومأمون أو كاتب سر . وقسمت الولاية إلى سبعة سناجق ، يرأسها متصرفون ، وكانت بغداد إحداها (*Gazetteer* ، جـ ١ ، ص ١٤٤٢ ، ١٤٤٧ — ١٤٤٨) . وألغى المكوس المكروهة : الاحتساب (الرسم) على كل إنتاج يجلب إلى أسوار المدينة للبيع « والطالبية » وهى مكس كان يفرض على أصحاب الحرف « النهرية » و « خمس حطب » أو ٢٠٪ على الوقود » و « روس أبكار » على دواليب الرى للزراعة » وحلت محلها ضريبة العشر على الإنتاج الزراعى

Gazetteer ، حـ ١ ، ص ١٤٤٢) . وأنشأ مدحت عام ١٨٧٠ تراماً يصل بغداد بالكاظمية وظل يعمل ٧٠ عاماً (على حيدر مدحت : Life ، ص ٥١) . وأسس (عام ١٨٦٩) أول دار للنشر ، وهي دار نشر الولاية ، في بغداد ، وأسس الزوراء وهي أول جريدة تظهر في العراق ، وتنطق رسمياً باسم حكومة الولاية . واستمرت تصدر حتى شهر مارس عام ١٩١٧ جريدةً أسبوعية (العزاوي ، حـ ٧ ، ص ٢٤١ ؛ على حيدر مدحت : Life of Midhat Pasha ، لندن سنة ١٩٠٣ ، ص ٤٧ وما بعدها ؛ طرّازي : الصحافة العربية ، حـ ١ ، ص ٧٨ ؛ Handbook of Mesopotamia ، حـ ١ ، ص ٨١) . ولم تكن في بغداد مدارس حديثة اللهم إلا بضع مدارس لبعثات التبشير الفرنسية . وأنشأ مدحت بين عامى ١٨٦٩ و ١٨٧١ مدارس حديثة ومدرسة صناعية ومدارس عسكرية رشدية وإعدادية ومدارس ملكية رشدية وإعدادية (الزوراء عدد رقم ١٨٢ ؛ العزاوي ، حـ ٨ ، ص ٢١ ؛ سالنامه بغداد [١٩٠٠] ، ص ٤٥٤ ؛ Chiha ، ص ١٠٠ — ١٠٢) . وهدم مدحت أسوار المدينة متخذا من ذلك خطوة أولى في سبيل إسباغ صفة العصرية عليها . وأكمل بناء السراى التي بدأها نامق باشا (Chiha ، ص ٦٦) .

واستمرت حركة التعليم التي بدأها مدحت بعد انتهاء حكمه . وافتتحت أول مدرسة رشدية للبنات عام ١٨٩٩ (سالنامه ، ص ١٣١٨) . وافتتحت أربع مدارس ابتدائية عام ١٨٩٠ ومدرسة لمعلمى القسم الابتدائي عام ١٩٠٠ (سالنامه معارف ، إستانبول سنة ١٩٠٠ ؛ س. فيضى : نضال ، ص ٥٨ — ٥٩) . وما إن حل عام ١٩١٣ حتى كانت في العراق ١٠٣ مدارس : ٦٧ مدرسة ابتدائية ، ٢٩ مدرسة رشدية ، ٦ مدارس إعدادية ، وكلية واحدة هي كلية الشريعة (لغة العرب ، سنة ١٩١٣ ، ص ٣٣٥) . وأنشئت خمس مطابع بين عامى ١٨٨٤ و ١٩٠٧ . وظهرت جرائد في بغداد بعد عام ١٩٠٨ . وعند حلول عام ١٩١٥ كانت هناك ٤٥ جريدة يصدرها أناس مختلفون .

وخلفت مدحت ولاة تعاقبوا على الحكم فترات قصاراً ، ولم ينجز في عهدهم إلا القليل . وفي عام ١٨٨٦ فرض نظام الخدمة العسكرية الإجبارية (على المسلمين فقط) . وفي عام ١٨٧٩ افتتحت أخيراً المستشفى التي بناها مدحت (الزوراء ، عدد رقم ٨١٠) . وفي عام ١٩٠٢ أقيم جسر جديد من القوارب ، اتساعه يكفى لمرور العربات ، وبه مقهى على الجانب الجنوبي (الآلوسى ، ص ٢٥ ؛ Handbook ، حـ ١ ، ص ٣٧٤) . وأرسلت بغداد ثلاثة نواب يمثلونها في المجلس النيابي العثماني (العزاوي ، حـ ٨ ، ص ١٦٥) . وشيد ناظم باشا عام ١٩١٠ سداً يحيط بشرقى بغداد لحمايته من الفيضان (العزاوي ، حـ ٨ ، ص ٢٠٠ — ٢٠١) . وكان ناظم باشا آخر الولاة الأقوياء .

ولقد كان الوالى برأس الإدارة ، ويعاونه مجلس ، يتألف حوالى نصفه من أعضاء منتخبين ،

ويعين الباقون (بحكم وظائفهم) ؛ وكان بين الأعضاء المنتخبين اثنان من غير المسلمين . ويعاون الوالى قائم مقام (الزوراء،عدد رقم ١٣٦٩ ؛ سالنامه سنة ١٢٩٢ هـ) ؛ وكانت بين الوظائف الهامة مديرية المعارف ومديرية الطابو ؛ ومكتب التسجيل والمحاكم المدنية (سالنامه ، سنة١٣٠٠هـ ؛ ص ٨٢ — ٩٦) . وكانت بغداد ، حتى عام١٨٦٨، قصبة الإيالات الثلاث: الموصل والبصرة وبغداد ؛ وانفصلت الموصل عام ١٨٦١ ، والبصرة عام ١٨٨٤ ، وأصبحت بغداد قصبة المتصرفليات الثلاث (Chiha : *Province* ، ص ٨٥) .

وترك الطاعون والفيضان عام ١٨٣١ آثارا مروعة فى بغداد . وأضحت معظم المنازل فى شرق بغداد أطلالا خربة ، وثلثا الأرض الفضاء محصورة داخل الأسوار خالية ؛ بينما كان معظم حى الكرخ خراباً بلقعا . وكان فى الأسوار القائمة على كلا الجانبين فجوات كبيرة نفذ منها الفيضان ؛ وكانت المدينة فى حالة يرثى لها إذا قورنت بما كانت عليه أيام داود باشا (Frazer : *Travels* ، حـ ١ ، ص ٢٦٩ ، ٢٣٣ — ٢٣٤ ، ٢٥٢) .

ولاحظ سوثگيت Southgate (سنة ١٨٤٧) أن المدينة أخذت تفيق ببطء من هول الكارثة ؛ وقدر عدد السكان بأربعين ألف نسمة ؛ ولكنه رأى المدارس مهملة ولا تنفق مخصصاتها على الوجه الرشيد (Southgate : *Narrative* ، مجلدان ؛ سنة ١٨٥١ ، ص ١١ ، ١٨٠ ، ١٦٥ — ١٦٦ ؛ *Handbook of Mesopotamia* ؛ حـ١ ، ص٨٠—٨١) .

وعندما قام فلكس جونز Felix Jones بعمل مساحة لمدينة بغداد (١٨٥٣ — ١٨٥٤) كانت الأمور قد تحسنت . وهو يتحدث عن ٦٣ حياً فى شرق بغداد ، و ٢٥ حياً فى الكرخ ؛ معظمها لا تزال تحتفظ بأسمائها (*Memoir* ؛ ص٣٣٩ ؛ انظر Frazer ؛ ص ٢٣٣ — ٢٣٤) .

وأخذ عدد السكان يزداد ازدياداً مطرداً بعد منتصف القرن التاسع عشر . وكانوا حوالى ٦٠,٠٠٠ نسمة عام ١٨٥٣ (Felix Jones ؛ ص ٣١٥ ؛ ٣٢٩) . وقدر عدد الذكور من سكان بغداد عام ١٨٦٧ بـ ٦٧,٢٧٣ (لغة العرب ، سنة ١٩١٣) ؛ وفى عام ١٨٧٧ قدر عددهم جميعاً بما يتراوح بين ٧٠ و ٨٠ ألفا (*Persian Gulf Gazetteer* ؛ ص ٨ ؛ Geary : *Through Asiatic Turkey* ؛ سنة ١٨٧٨ ، حـ ١ ، ص ١٢٦) . وفى عام ١٨٩٠ قدر عددهم بما يتراوح بين ٨٠ و ١٠٠ ألف (Harris : *From Batum to Baghdad* ؛ ص ٢٩٩ ؛ Cowper : *Through Asiatic Turkey* ؛ ص ٢٧٠) . وقدر عددهم عام ١٩٠٠ بمائة ألف (Chiha : *Province* ، ص ١٦٥ ؛ انظر سالنامه ؛ سنة ١٣٢٠ هـ ؛ ص ١٣٦ — ١٣٧ ؛ ١٨١) .

وفى تقدير آخر أن عددهم بلغ ١٤٠,٠٠٠ نسمة عام ١٩٠٤ (*Handbook of Mesopotamia* ، جـ ١ ، ص ٨٩) ؛ وعند حلول عام ١٩١٨ بلغ عدد السكان ٢٠٠,٠٠٠ نسمة (*Handbook* ؛ جـ ٢، ص٣٣٤ ؛ الآلوسى : أخبار بغداد، ص ٢٨٠ — ٢٨١ ؛ انظر R. Coke بالنسبة لرقم ١٨٠,٠٠٠عام

١٩١٨ ، *Baghdad* ، ص ٢٩٨) ؛ وتأثر الرحالة بخليط الأجناس الهائل واختلاف لغة الكلام ، والحرية النادرة التي يتمتع بها غير المسلمين والتسامح العظيم السائد بين الجماهير (Jones ، ص ٣٣٩ ؛ Olivier ، ج ٢ ، ص ٣٨٨ — ٣٨٩) . وترك هذا الخليط طابعه على اللهجة فى بغداد (عبداللطيف : قاموس لهجة بغداد ، مخطوطة) .

ومهما يكن من شىء فإن اللغة العربية كانت هى اللغة الشائعة . وازداد السكان العرب بظهور عناصر قبلية (Geary : المصدر المذكور ، ج ١ ، ص ١٣٦ ، ٢١٤) . وكان الأهالى الذين يتبعون ملة واحدة أو يمتون لجنس واحد يحتشدون عادة فى حى خاص (انظر F. Jones : *Memoir*، ص ٣٣٩) ؛ وكان الأتراك يحتلون الأحياء الشمالية من المدينة، على حين كان اليهود والمسيحيون يقيمون فى أحيائهم القديمة شمالى سوق الغزل وغربيه . ومعظم العجم يعيشون فى الجانب الغربى، أما سكان الكرخ فكانوا فى الغالب من العرب (F. Jones : *Memoir*، ص ٣٣٩؛ *Persian Gulf*، ص ٧٩ — ٨٠ ؛ *Handbook*، ج ٢ ، ص ٣٨١ ؛ Southgate ، ج ٢ ، ص ١٨٢) . وعلى الرغم من أن السكان الذين يعتنقون الأديان الثلاثة كانوا يتحدثون باللغة العربية فإن لهجاتهم كانت تختلف (لغة العرب ، سنة ١٩١١، ص ٦٩ — ٧١) ؛

وفى دورة القرن كانت لا تزال فيها بعض الصناعات . ومن المنسوجات فى بغداد ، الأقمشة الحريرية والأقمشة القطنية ، والأقمشة المصنوعة من مزيج من الصوف والحرير ، وأقمشة قطنية مخططة، وقماش قطنى خشن تصنع منه طيلسانات للرأس وعباءات وثياب خارجية للنساء . واشتهرت الأقمشة الحريرية فى بغداد بلونها وجودة صناعتها . وكانت هناك صناعة للصباغة ممتازة . وكانت دباغة الجلود من الصناعات الرئيسية . وفى حى المعظم نحو أربعين مدبغة، والنجارة وصناعة السيوف من الصناعات المتقدمة . وكان هناك مصنع حربى للنسيج (*Handbook* ، ج ١ ، ص ٢٣١ ؛ سالنامه سنة ١٣٠٠ هـ ، ص ٧٩ ، ١٣٦) .

وكانت أسواق بغداد إما مغطاة وإما مكشوفة مثل سوق الغزل . وفى رأس الجسر الشرقى كانت الساحة الرئيسية للتجارة فى أسواق السراى والميدان والشُرْجة وسوق القماش الذى أعاد داود باشا بناءه ، وكانت فى بعض الأسواق حرف لها نقابات خاصة بها، وتسمى السوق عادة باسمها مثل سوق الصفافير (النحاسين) وسوق السراجين ، سوق الصاغة وسوق الخفافين (صانعى الأحذية) إلخ . (أوليا چلبى ، ج ٤ ، ص ٢٢ ؛ *M.G.T.B.*، ج ١ ، ص ٢٢ — ٢٣) .

وكان هناك شارعان مهمان، أحدهما يتجه من الباب الشمالى إلى قرب القنطرة ، والآخر يسير من الباب الجنوبى إلى نهاية السوق الرئيسية . وفى عام ١٩١٥ كان الباب الشمالى يتصل بالباب الجنوبى بطريق يعرف باسم شارع الرشيد (*Handbook* ، ج ١ ، ص ٣٧٧ ؛ سالنامه سنة ١٣١٨ هـ ، ص ٥٩٩ — ٦٠٠) .

وحاول نامق باشا عام ١٩٢٢ إصلاح بعض الشوارع (سالنامه سنة ١٣١٨ هـ، ص ٦٠)؛ وحوّل سري باشا سنة ١٣٠٧هـ (١٨٨٩م) الميدان إلى ساحة مكشوفة بها بستان (انظر سالنامه سنة ١٣٢١ هـ، ص ٧٦).

وأنشأ مدحت عام ١٢٨٥ هـ (١٨٦٩ م) مجلساً بلدياً يختار أعضاؤه بطريق الانتخاب، وصدرت أوامر بتنظيف الشوارع. وأنشئت بلديات عام ١٨٧٩، وصدرت أوامر بتحقيق النظافة والتنزح (الزوراء، أعداد رقم ٢٣١ ورقم ٨٧٨ ورقم ٨١٧ ورقم ١٧٧٤؛ لغة العرب، ج ١، ص ١٧؛ سالنامه سنة ١٣٠٠ هـ، ص ١٣٦). وأدخلت الإضاءة بمصابيح الغاز وعهد بها إلى مقاول. ولكن لم تحظ بالإضاءة في الواقع إلا الشوارع التي يقيم بها سكان من علية القوم (الزوراء، عدد رقم ٤٩٠ وعدد رقم ٨٣٧؛ انظر أيضاً مادة «بلدية»)؛

وكانت مدينة بغداد في مستهل القرن العشرين تستوعب مساحة قدرها حوالى أربعة أميال مربعة: وبقايا سور المدينة على الجانب الشرقي الذي هدمه مدحت قد أصبح هو والنهر على شكل معين تقريبي طول ضلعه حوالى ميلين ومتوسط عرضه يزيد على الميل. وكان حوالى ثلث هذه المساحة خالياً أو تشغله مقابر أو أطلال، وفي المنطقة الواقعة تجاه الجنوب أرض فضاء شاسعة تكسوها أحراج من النخيل: وبدأت الكرخ تنمو نحو منبع النهر أكثر مما تتجه نحو شرقي بغداد، ولكنها كانت أصغر في الطول والعمق (*Handbook*، ج ٢، ص ٢٧٦). وفي عام ١٨٨٢ كان هناك ١٦,٣٠٣ بيتاً و ٦٠٠ خان و ٢١ حماماً و ٤٦ مسجدا جامعاً و ٣٦ مسجداً و ٣٤ مكتباً للأطفال و ٢١ مدرسة دينية و ١٨٤ مقهى و ٣,٢٤٤ حانوتاً (سالنامه سنة ١٣٠٠ هـ، ص ١٣٦)؛ أما في عام ١٨٨٤ فكانت الأرقام كما يلي: ١٦,٤٢٦ بيتاً و ٢٠٥ خانات و ٣٩ حماماً و ٩٣ مسجدا جامعاً و ٤٢ مسجداً و ٣٦ مكتبا للأطفال (سالنامه سنة ١٣٠٢ هـ، ص ٣٣٥)؛

وفي عام ١٩٠٣ كان في بغداد ٤٠٠٠ حانوت و ٢٨٥ مقهى و ١٣٥ بستاناً و ١٤٥ جامعاً و ٦ مدارس أولية و ٨ مدارس لغير المسلمين و ٢٠ تكية و ١٢ حانوتاً للوراقين، ومكتبة عامة، و ٢٠ مكتباً للصبيان و ٨ كنائس و ٩ مدابغ ومصنع للصابون و ١٢٩ ورشة للنسج و ٢٢ مصنعاً للنسيج (سالنامه سنة ١٣٢١ هـ، ص ١٧٩). وعند حلول عام ١٩٠٩ بلغ عدد المنازل ٩٠,٠٠٠ منزل، وكانت هناك ثلاث مطابع خاصة و ٦ كنائس و ٦ معابد لليهود (سالنامه سنة ١٣٢٤ هـ، ص ٢٢٣)؛

ويصف شكري الآلوسي ٤٤ مسجداً في شرقي بغداد و ١٨ مسجداً في الكرخ (الآلوسي: مساجد؛ Massignon: *Mission*، ج ٢، ٦٣ — ٥)؛

وتتراوح درجة الحرارة في بغداد بين ١١٤° و ١٢١° فهرنهيت في الصيف وبين ٢٦° و ٣١° فهرنهيت في الشتاء، ولكنها ترتفع أحياناً إلى ١٢٣° فهرنهيت في الصيف، وتهبط إلى ٢٠° فهرنهيت في الشتاء.

وأنجبت بغداد بعض الشعراء البارزين إبان العصر العثماني مثل فضولي (انظر هذه المادة) وذهني (انظر هذه المادة) وأخرس وعبد الباقي العمري ، كما أنجبت مؤرخين مثل مرتضى ، وغرائي ، ومحمود شكري الآلوسي ، وفقهاء مثل عبد الله السويدي وأبي الثنا الآلوسي (انظر الآلوسي : المسك الأذفر ، بغداد سنة ١٩٣٠) .

وقد تغيرت بغداد الحديثة إلى حد كبير وبخاصة منذ الثلاثينات ، فقد اتسعت رقعتها لتتصل بالأعظمية والكاظمية من جهة الشمال ، وبالشاطئ الشرقي من جهة الشرق ، وبثنية نهر دجلة العظيمة من جهة الجنوب ، وبالمطار المدني والضواحي القريبة مثل مدينتي المنصور والمأمون . وهناك ٧٦ حياً في الكرخ والرصافة و ٨ أحياء في الأعظمية و ٤ في كرّادة الشرقية و ٦ في الكاظمين (*Atlas of Baghdad* : Sousa ، ص ٢١—٢٥) ؛ وكان عدد سكان مدينة بغداد ٧٣٣ر٤٦٦ نسمة سنة ١٩٤٧ ، وقد ارتفع الرقم إلى ٠٠٠ر٧٣٥ عند حلول عام ١٩٥٧ .

وهجرت طرز البناء التقليدية وحلت محلها مبان على الطرز العصرية في مناطق وراء المدينة القديمة ، على حين تتغير الأقسام القديمة شيئاً فشيئاً . وقد زال جسر القوارب وشيدت أربع قناطر دائمة .

والأخذ بالأساليب العصرية ، من الناحية المادية والاجتماعية ، يسير بخطى أسرع من أن نحصيها هنا .

المصادر :

لقد ذكرت المصادر في صلب المادة ، وعلاوة على الكتب الكبرى للمؤرخين أمثال الطبري والمسعودي واليعقوبي وابن الأثير ، والجغرافيين مثل ابن رسته وابن الفقيه (مخطوطات مشهد) وابن حوقل واليعقوبي والمقدسي وياقوت ، وكتابي مراصد الاطلاع وحدود العالم والمستوفي ، والرحالة أمثال ابن جبير وابن بطوطه وبنيامين التطيلي Benjamin of Tudela ، نرى لزاماً علينا أن نذكر المصادر التالية :

(١) ابن الساعي : الجامع المختصر ، طبعة مصطفى جواد ، بغداد سنة ١٩٣٤ (٢) ابن الجوزي : مناقب بغداد ، بغداد سنة ١٩٢١ (٣) الكاتب نفسه : المنتظم ، حيدر آباد الدكن ، سنة ١٣٥٧—١٣٥٩ هـ (٤) مسكويه : تجارب الأمم ، مجلدات ١ — ٧ (نشره وترجمه أمدروز ومارگوليوث Amedroz and Margoliouth ، سنة ١٩٢٠ — ١٩٢١) (٥) سهراب : عجائب الأقاليم السبعة ، طبعة هانز ڤون مزيك Hans von Mzik ، ليپسك سنة ١٩٣٠ (٦) الشابشتي : كتاب الديارات ، طبعة كوركيس عواد ، بغداد سنة ١٩٥١ (٧) هلال الصابي : رسوم دار الخلافة ، مديرية الآثار ، المكتبة ، مخطوطة رقم ٢٩٠٠ (٨) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، طبعة مصطفى جواد ، بغداد سنة ١٣٥١ ، (٩) الصولي : أخبار الراضي والمتقي بالله ، القاهرة سنة ١٩٣٥ (١٠) التنوخي : نشوار المحاضرة ، مجلد ١ ، القاهرة سنة ١٩٢١ ، مجلد ٨ ، دمشق

سنة ١٩٣٠ (١١) م؛ س؛ الآلوسى : المسك الأذفر ، ج ١ ، بغداد سنة ١٩٣٠ (١٢) أوليا چلبى : سياحت نامه ، مجلد ٤ ، الآستانة سنة ١٣١٤ هـ (١٣) المنشى البغدادى : الرحلة ، ترجمة عباس عزاوى ، بغداد سنة ١٩٤٨ (١٤) سالنامات بغداد عن الأعوام ١٢٩٩ و ١٣٠٠ هـ ، ١٣٠١ هـ ، ١٣١٢ هـ ، ١٣١٧ هـ ، ١٣١٨ هـ ، ١٣٢١ هـ ، ١٣٢٤ هـ (١٥) W.B. Harris : *From Batum to Baghdad* ، إدنبرة سنة ١٨٩٦ (١٦) الحسينى : أخبار الدولة السلجوقية ، طبعة محمد إقبال ، لاهور سنة ١٩٣٣ (١٧) Chiha : *La Province de Baghdad* ، القاهرة حوالى عام ١٩٠٠ (١٨) حاجى خليفة : جهانما ، الآستانةسنة ١١٤٥ هـ (١٩) يس العمرى : غرائب الأثر ، نشره م؛ س؛ جليلى ، الموصل سنة ١٩٤٠ (٢٠) عباس العزاوى : تأريخ العراق بين احتلالين ، ٨ مجلدات ، بغداد سنة ١٩٣٦ — ١٩٥٨ (٢١) عثمان بن سند البصرى : مطالع السعود فى أخبار الوالى داود ، مديرية الآثار ، المكتبة ، مخطوطة رقم ٢٣٣ (اختصره ا د هـ مدنى ، القاهرة سنة١٣٧١هـ) (٢٢) سليمان فائق : تأريخ المماليك فى بغداد (مخطوطة ، بمكتبة مديرية الآثار رقم ١٢٢٧) (٢٣) سليمان فائق : حروب الإيرانيين فى العراق (مكتبة مديرية الآثار ببغداد رقم ١٩٥٢) (٢٤) حديقة الزوراء ، اختصره عبد الرحمن السهروردى (مخطوطة) (٢٥) عبدالرحمن السهروردى : نزهة الأدباء فى تراجم علماء ووزراء بغداد (مخطوطة) (٢٦) أ. م. الكرملى : الفوز بالمراد فى تأريخ بغداد ، سنة ١٣٢٩ هـ (٢٧) فريدون بك : منشآت السلاطين ، إستانبول سنة ١٢٧٤ هـ (٢٨) كاتب چلبى : فذلكه ، ج ٢ ، إستانبول سنة ١٢٩٧ هـ (٢٩) مرتضى : گلشن خلفا (٣٠) محمد أمين : بغداد وصون حادثه ضياعى ، إستانبول سنة ١٣٣٨ — ١٣٤١ هـ (٣١) جودت پاشا : تأريخ ، إستانبول ، الطبعة الثانية سنة ١٣٠١ — ١٣٠٩ (٣٢) الأزدى : حكاية أبى القاسم البغدادى ، طبعة أ. متز A. Mez ، هيدلبرغ سنة ١٩٠٢ (٣٣) الزوراء (الجريدة الرسمية ، مكتبة مديرية الآثار) (٣٤) ا. ق. شهربانى : تذكرة الشعراء ، طبعة أ. م. الكرملى ، بغداد سنة ١٩٣٦ (٣٥) الآلوسى : مساجد بغداد ، بغداد سنة ١٣٤٦ هـ (٣٦) ابن طيفور : تأريخ بغداد ، ج ٦ ليبسك سنة ١٩٠٨ (٣٧) Cl. Huart : *Histoire de Baghdad dans les temps modernes* ، باريس سنة ١٩٠٤ (٣٨) J.R. Wellsted : *Travels in the city of the Caliphs* ، مجلدان ، لندن سنة ١٨٤٠ (٣٩) Rousseau : *Description du Pachalik de Baghdad* ، باريس سنة ١٨٠٩ (٤٠) Sarre and Herzfeld : *Archaeologische Reise im Euphrat und Tigris-Gebiet* ، برلين سنة ١٩٠٠ (٤١) Rev H. Southgate : *Tour through Armenia, Kurdistan, Persia and Mesopotamia* ، مجلدان ، لندن ١٨٥٠ (٤٢) M.deThevenot : *Relation d'un Voyage fait au Levant* (٤٣) J.S Buckingham : *Travels in Mesopotamia* ، مجلدان

لندن سنة ١٨٢٧؛ (٤٤) Felix Jones: Memoir on Baghdad، بومباى سنة ١٨٥٧؛ (٤٥) C. Niebuhr: Voyage en Arabie، مجلد ٢، سنة ١٧٨٠؛ (٤٦) Ker Porter: Travels in Syria, Persia Armenia, Ancient Babylonia، مجلدان، لندن سنة ١٨١٧ – ١٨٢٠؛ (٤٧) J. G. Lorimer: Gazetteer of the Persian Gulf، مجلد ١، ج ١، ٢، كلكتة سنة ١٩٢٥؛ (٤٨) Handbook of Mesopotamia، أربع مجلدات، لندن سنة ١٩١٧؛ (٤٩) Olivier: Voyages، مجلدان، باريس سنة ١٨٠٤؛ (٥٠) S.H. Longrigg: Four centuries of Modern Iraq، أكسفورد سنة ١٩٢٥؛ (٥١) Reallexikon der Assyriologie، برلين سنة ١٩٢٨؛ (٥٢) L. Massignon: Mission en Mesopotamie، مجلد ٢، القاهرة سنة ١٩١٢؛ (٥٣) E. Ives: Journey from Persia to Baghdad، لندن سنة ١٧٧٨؛ (٥٤) خريطة المجمع العلمي العراقي، رسمها A. Sousa و م. جواد مع دليلها المفصل، بغداد سنة ١٩٥٨؛ (٥٥) G. Le Strange: Baghdad during the Abbaside Caliphate، أكسفورد سنة ١٩٢٤؛ (٥٦) R. Levy: A Baghdad Chronicle، كمبردج سنة ١٩٢٩؛ (٥٧) A. Abel: Les Marchés de Baghdad، فى Bulletin de la Société Belge d'Etudes géographiques سنة ١٩٤٩، ص ١٤٨–١٦٤؛ (٥٨) D. S. Sassoon: History of the Jews in Baghdad، لتشورث سنة ١٩٤٩؛ (٥٩) إسلام أنسيكلوپيدياسى، مادة بغداد (بقلم م. جاويد بايصون)؛ (٦٠) R. Coke: Baghad the City of Peace، لندن سنة ١٩٢٧؛ (٦١) M. Streck: Die [illegible] Landschaft Babylonien، ج ١، ليدن سنة ١٩٠٠؛ (٦٢) A. Sousa: Atlas Baghdad، بغداد سنة ١٩٥٢.

د. يونس [عبد العزيز الدورى A.A. Duri]

+ « بغداد خاتون »: ابنة أمير الأمراء الأمير چوبان، وابنة أخت الحاكم الإيلخانى لبلاد فارس أبى سعيد (حكم من سنة ٧١٧ – ٧٣٦ هـ = ١٣١٧ – ١٣٣٥ م) وزوجة الأمير حسن الجلائرى الذى اشتهر بالشيخ حسن بزرگ. تزوجته سنة ٧٢٣ هـ (١٣٢٣ م)؛ وفى سنة ١٣٢٥ م استشهد أبو سعيد بسابقة هى «ياسا چنكيز خان» وحاول أن يجبر الشيخ حسن على تطليق بغداد خاتون حتى يتزوجها هو نفسه، ولكن الأمير چوبان أحبط هذا المسعى؛ وفى أكتوبر أو نوفمبر سنة ١٣٢٧ م قتل الأمير چوبان غيلة فى هراة على يد غياث الدين الكُرْتى، وكان ذلك بتحريض من أبى سعيد. وهنالك استطاع أبو سعيد أن يحقق مسعاه بالزواج من بغداد خاتون؛ وأصبحت لهذه السيدة مكانة ذات سلطان عظيم ومنحت لقب خداوندگار (ومعنى اللقب سلطان)؛ وفى سنة ٧٣٢ هـ (١٣٣١ – ١٣٣٢ م) اتهم الشيخ حسن بالتآمر مع زوجته السابقة بغداد خاتون على قتل أبى سعيد؛ ومن ثم دبت الوحشة بين أبى سعيد وبغداد خاتون. ثم استعادت حظوتها عنده فى العام التالى حين ثبت أن هذه التهمة كانت باطلة. وفى سنة ٧٣٤ هـ (١٣٣٣ – ١٣٣٤ م) تزوج أبو سعيد دلشاد خاتون ابنة أخت بغداد خاتون.

فأثار ذلك غيرة بغداد خاتون ، فلما توفى أبو سعيد فجأة فى الثالث عشر من ربيع الثانى سنة ٧٣٦ هـ (٣٠ نوفمبر سنة ١٣٣٥ م) اشتبه فى أن تكون بغداد خاتون قد سمته فقتلها الأمراء ؛ وثمة رواية أخرى تقول إنها قتلت لأنها كانت تتراسل مع أوزبك خان القبيلة الذهبية وأغرته بغزو بلاد فارس.

المصادر :

(١) حافظ أبرو : ذيل جامع التواريخ رشيدى ، طبعة بيانى ، طهران سنة ١٣١٧ هـ = ١٩٣٨ م ، الفهرس (٢) ابن بطوطة ، طبعة Defrémery [illegible] Sanguinetti ، باريس سنة ١٨٥٤ ، جـ [illegible] ، ص ١١٧ ومابعدها (٣) تاريخ شيخ أويس ، طبعة Loon [illegible] J.B. ، لاهاى سنة ١٩٥٤ ، ص ٥٧ ، ٥٩ (٤) D'Ohsson .C : Histoire des Mongols ، لاهاى وأمستردام ، سنة ١٨٣٥ ، جـ [illegible] ، ص ٦٦٧ وما بعدها ، ٧١٤ ، ٧٢٠ (٥) H. Howarth : History of the Mongols ، لندن سنة ١٨٧٦ — ١٨٨٨ ، جـ ٣ ، ص ٦٠٥ وما بعدها ، ٦٢٢ وما بعدها (٦) عباس العزاوى : تاريخ العراق ، بغداد سنة ١٩٣٥ ، ص ٤٩٣ — ٤٩٦ ، والفهرس (٧) Spuler : Die Mongolen in Iran ، الطبعة الثانية ، برلين سنة ١٩٥٥ ، الفهرس .

خورشيد [سافورى R.M. Savory]

+ « البغدادى » : الخطيب (انظر مادة « الخطيب البغدادى ») .

« البغدادى » : عبد القاهر بن طاهر أبو منصور : متكلم ورد مع ابيه نيسابور ودرس فيها علوماً جمة . وقد اشتهر فيما بعد بمهارته فى علم الحساب وألف فيه رسالة ، ولكنه شغف بصفة خاصة بعلوم الدين ، وتفقه فيها على أبى إسحاق الإسفرايينى ،

وتوفى الإسفرايينى عام ٤١٨ هـ (١٠٢٧ م) فقام مقامه فى التدريس ، ولما نشبت فتنة التركمان اضطر إلى هجر المدينة عام ٤٢٩ هـ (١٠٣٧ م) ، ونزح إلى إسفراين ، وتوفى بها بعد قليل .

وألف البغدادى فى الفرق الإسلامية كتاباً سماه « كتاب الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم » نشره بالقاهرة محمد بدر عام ١٣٢٨ هـ (١٩١٠ م) .

المصادر :

(١) ابن خلكان رقم ٣٦٥ (٢) Wuestenfeld: Die Schafi'iten ، رقم ٣٤٥ (٣) Brockelmann : Geschichte der arab. Litt. ، جـ ١ ، ص ٣٨٥ (٤) Friedlaender فى Journal of the Amer. Orient Soc ، جـ ٢٨ ، ص ٢٦ ما بعدها .

+ البغدادى ، عبد القاهر بن طاهر ، أبو منصور الشافعى المتوفى سنة ٤٢٩ هـ (١٠٣٧ م): أخذه أبوه إلى نيسابور بغية تعليمه ، وفيها استوطن .

ودرس عليه معظم علماء خراسان ، وكان فى مكنته أن يدرس ١٧ مادة، وخاصة الفقه والأصول والحساب وأحكام المواريث ، والكلام . وقد ترك البغدادى نيسابور بسبب فتنة التركمان وشخص إلى إسفراين ولم يلبث أن توفى .

وكان البغدادى دارساً للأدب كما كان دارساً للفقه،وكان موسرا يعين غيره من العلماء،وقد أثنى الثناء المستطاب على كتبه فى الفقه، والحساب (بقى منها واحد) وأحكام المواريث. وكتب البغدادى عدة كتب فى علم الكلام . وفقد مؤلفه الذى عنوانه « كتاب الملل والنحل » . أما رسالته فى أصول الدين،وهى رسالة منهجية تبدأبطبيعة المعرفة، والخلق ، وكيفية معرفة الخالق ، وصفاته .. إلخ فأشبه بكتاب « المحصّل » لمحمد بن عمر الرازى، على أنه يذكر آراء الفرق فى كل موضوع ، ولا يمكن القول بانطباقها على أى كتاب من الكتب التى ذكرها السبكى. ونزعة البغدادى فى هذه الرسالة كلها نزعة موضوعية على عكس كتابه الآخر « الفَرق بين الفِرق »،ذلك أن كتاب الفرق يتناول كل فرقة على حدة ، ويقسها جميعاً بمقياس أهل السنة ويذم كل من ينحرف عن الجادة . ولا يعد هذا الكتاب رواية بسيطة للوقائع مثل كتاب الشهرستانى « كتاب الملل والنحل » . وإنما هو كتاب يقوم على الجدل . وهو يتناول الإسلام فحسب على الرغم من أننا نجد فيه فصلا عنوانه «سقراط » أفلاطون » ، ولو أنه يرى بعض الانحرافات فيقول إنها لا تستحق أن يطلق عليها هذه الصفه » أى صفة الإسلام . وهو يختم كتابه بعرض لمعتقد أهل السنة .

وللبغدادى كتابان فى أخطاء أبى الهُذَيل وأخطاء كرّام ، وهما مفقودان . ومن الإنصاف أن نقول إن البغدادى يستخرج من الأقوال التى يذمها نتائج لم تدر قط بمخيلة قائليها .

المصادر :

(١) السبكى : طبقات الشافعية ، جـ ٣ ، ص ٢٣٨ وما بعدها (٢) ابن خلكان ، رقم ٤٠٢ (٣) *Zeitschr. der Deutsch. Morgenl. Gesells.* ، ص٦٥ ، ٣٤٩ ومابعدها (٤) *Le Monde Oriental* ، ص ١٩ ، ص ١٨٧ وما بعدها (٥) Brockelmann ، جـ١ ، ص ٣٨٥ ، قسم ١ ، ص ٦٦٦ .

خورشيد [تريتون A.S. Triton]

« بُغْدان » : نسبة إلى بغدان الأول در۱گوش (١٣٥٢م) ، وهو الاسم الذى يطلقه الأتراك على ملداڤيا .

انتصر استفان الأكبر Stephen على الأتراك عند راكوڤا Racova عام ١٤٧٥ م ، غير أنه هزم فى العام التالى بالوادى الأبيض Valea Alba ، وتحالف مع الأتراك وخرّب جزءاً من پولندة عام ١٤٩٨م ، وما إن مر عام حتى نفض عن كاهله سلطان العثمانيين ، وتحالف مع الپولنديين والمجر ، وتمكن بفضل ذلك من صد غارة أخرى عام ١٤٩٩؛ ولما وافته المنية فى الثانى من يولية عام ١٥٠٤ م أوصى ولده بغدان بالخضوع للترك ، وتم هذا بالمعاهدة التى عقدت عام ١٥١١ م .

وعرض « بطرس راوش » على السلطان سليمان إبان حصار فينا عام ١٥٢٩ م أن يبسط نفوذ العثمانيين على البغدان، وذهب إلى صوفيا ليقسم يمين الولاء . إلا أن سليمان عقد عزمه على محاربته لما بلغه من تآمره مع فرديناند ملك المجر واشتراكه فى قتل ألويزيو گرتى Aloisio Gritti . وخرج من حاضرة ملكه فى الحادى عشر من صفر عام ٩٤٥ هـ الموافق ليوم الثلاثاء التاسع من يولية عام ١٥٣٨ م والتقى بصاحب القرم عند بسى ، وحرق المدينة . ثم سار فى إثر رارش الذى كان قد التجأ إلى ترانسلفانيا . وسقطت « سكزوه » فى يد السلطان سليمان فعقد مجلساً من أمراء البلاد انتخب استفان ليحل محل أخيه رارش . ودخل استفان فى الإسلام وتنازل للترك عن مدينة « بجاق » عند مصب نهر الدنيستر .

وحصل بطرس رارش الذى كان يعيش فى بيره على فرمان سلطانى استعاد بموجبه سلطانه ، وخلع ولده إلياس الثانى لاتهامه بأنه كان سبباً فى هزيمة العثمانيين على يد مارتنتزى Martinuzzi عام ١٥٤٨ م ، وأقيم مكانه أخوه استفان الذى لقى حتفه بعد ذلك بقليل عام ١٥٥٢م . وكان استفان هذا هو آخر من حكم من أسرة بغدان .

وفى الثالث عشر من نوفمبر عام ١٥٩٤ م شبت فى بسى فتنة كان من جرائها أن ذبحت الحامية التركية المعسكرة فيها .

ولما ولى محمد الثالث العرش عهد إلى جعل البغدان ولاية أمّر عليها جعفر ثم ألحقت بالمجر بمقتضى معاهدة كالاسرغ عام ١٥٩٥ ؛ وفتحها ميخائيل الأفلاقى Michael the Wallachian عام ١٦٠٠م . وكان يحكم البغدان حتى ذلك الوقت أمراء من أهلها ، غير أنها أضحت نهباً لمطامع المتآمرين الذين سعوا لشراء منصب الحكم فبيع لمن دفع فيه أغلى ثمن ؛ وهؤلاء الطامعون هم يانكول السكسونى عام (١٥٨٠ م) Jankul وگراتيانى الكرواتى عام (١٦١٩ م) Gratiani ، وبرنوفسكى البولونى عام (١٦٢٦م) Barnowski ، والإسكندر إلياس الرومى عام (١٦٣٠م) Alexander .

وسارت الأمور على هذا المنوال حتى عام ١١١٥ هـ (١٧٠٣ م) وهى السنة التى سمح فيها السلطان أحمد الثالث لأمراء هذه البلاد أن ينتخبوا من بينهم الحاكم (Hospodar) عليها . فانتخبوا بالإجماع ميخائيل راكوفيتزه Michael Rakoviza ، وصدّق الباب العالى على ذلك فى الثانى والعشرين من جمادى الأولى الموافق لليوم الثالث من أكتوبر . وميخائيل هذا هو زوج ابنة قسطنطين كانتمير Constantine Cantmir الذى حكم البغدان من عام ١٦٨٥ إلى ١٦٩٣ م ووالد المؤرخ دمترى كانتمير . وأصبح أمراء البغدان والأفلاق من عام ١٧١٦ ينتخبون من أسرة الفنار اليونانية أمثال غيكه Ghyka وموروگرداتو Maurogordato وكلماكى Callimaki ومروسى Murusi إيبسلانتى Ypsilanti .

وحصل الإسكندر إيبسلانتى على فرمان من الباب العالى عام ١٧٧٤ م ألغى به جزءاً من الضريبة التى يؤديها الرئيس كما نظمت بمقتضاه الضرائب .

وفى عام ١٧٨١ م أقامت الروسيا فى يسّى قنصلا عاماً نيط به الإشراف على سلوك الأمراء ، وقد حدد هذا القنصل الضريبة التى يجب أداؤها بـ ١١٥,٠٠٠ قرش . ونشبت فتنة عام ١٨٢١ بزعامة رجل آخر يدعى الإسكندر إيبسلانتى ابن قسطنطين ، غير أن هذه الفتنة أخفقت وحملت العثمانيين على إنفاذ حملة لاحتلال البُغدان ، وأقامت من أهل البلاد حاكماً يدعى ستوردزه Stourdza فى التاسع عشر من أكتوبر عام ١٨٢٢ م : واستقلت الأفلاق والبغدان بمقتضى معاهدة أدرنة التى عقدت بين الروس والترك فى الرابع عشر من سبتمبر عام ١٨٢٩ م وصار يحكمها أمراء من أهلهما ينتخبون مدى الحياة على أن يؤدوا نظير ذلك جزية ، ومنهم ميخائيل ستوردزه الذى حكم من عام ١٨٤٩ م إلى عام ١٨٥٦ م . واتحدت المملكتان وكونتا إمارة حكمها عام ١٨٦١ م الأمير كوزه Cuza ، وانتخب حاكماً عليها شارل هوهنزلرن فى الثامن من أبريل عام ١٨٦٦ ، وأصبحت بعد ذلك مملكة رومانيا ؛ وأعلن استقلال الولايتين نهائياً فى المادة ٤٣ من معاهدة برلين .

[Cl. Huart إيوار]

+ بغدان ، وأصلها ، بغدان إيلى ، أو ، بغدان ولايتى ، (بلاد البغدان) : الاسم التركى للداقيا ، وقد نسبت إلى بغدان الذى أقام عام ٧٦٠ ﻫ (١٣٥٩ م) إمارة بين التخوم الشرقية لجبال الكربات ونهر الدنيستر (طورلا) . وقد ظهر اسم ، بغدان إيلى ، فى ، حكم ، أصدره محمد الثانى سنة ٨٥٩ ﻫ (١٤٥٥ م ؛ Kraelitz : Osm. Urk. ، لوحة ١) : أما الاسم ، قره بغدان ، فنجده فى رسالة إمينك المؤرخة ٨٨١ ﻫ خاصة (١٤٧٦ م ؛ بلتّن ، رقم ٣—٤ ، ٦٤٤) وفى التواريخ العثمانية الإخبارية عامة .

وقد رزئت الإمارة بأول غارة (آقن) علها شنها العثمانيون سنة ٨٢٣ ﻫ (١٤٢٠ م ؛ حصار آق كرمان الفاشل) : وفى سنة ٨٣١ ﻫ (١٤٢٨ م) اقترح ألغ محمد خان القبيلة الذهبية على مراد الثانى أن يعملا فى وفاق للقضاء على الولاج الكفار الذين يسكنون بين ظهرانيهما (انظر قورات : يارلق وبيتيكلر ، ٨) : وتحالف حاجى كراى (انظر هذه المادة) مع محمد الثانى على بغدان إيلى ، وهاجم أسطول تركى آق كرمان سنة ٨٥٨ ﻫ (١٤٥٤ م) ونتج من ذلك أن الأمير (فويفود) پترو آرون قبل سيادة الأتراك واتفق على أداء جزية سنوية لم قدرها ٢٠٠٠ دوقية (خريف سنة ٨٥٩ ﻫ = ١٤٥٥ م ؛ انظر Fr. Babinger : *Beitraege Zur Fruehgesch der Tuerk in Rumelien*، ٢١) ، ومنح السلطان تجار البغدان حرية التجارة فى أملاك العثمانيين (Kraelitz : المصدر المذكور) :

وجدد استفان الأكبر (١٤٥٧ — ١٥٠٤ م) تبعيته لملك پولندة ، ورد هجوماً شنه القريميون سنة ٨٧٣ ﻫ (١٤٦٩ م) ودخل فى علاقات دبلوماسية مع أوزون حسن (انظر هذه المادة) وهزم البكلربكى العثمانى على الرومىّ فى ٢ رمضان

سنة ٨٧٩ (١٠ يناير سنة ١٤٧٥) . وغزا محمد الثانى البغدان آخر الأمر وحرق قصبتها « سوچياوا » فى ربيع الأول سنة ٨٨١ (يولية سنة ١٤٧٦ م) ؛ وفى سنة ٨٨٩ هـ (١٤٨٤ م) نشأ من الحملة المشتركة التى شنها بايزيد الثانى وتابعه خان القرم أن احتل العثمانيون آق كرمان وكيلى واحتل الخان كوشان وطومبازار ؛ وفى سنة ٨٩٧ = (١٤٩٢ م) اعترف استيفان بالسيادة العثمانية إذ بعث بالجزية وبابنه إلى الباب العالى .

وأصبحت آق كرمان وكيلى فى ظل العثمانيين أكثر اشتراكاً فى تجارة الشرق . ويمكن أن نتبين ذلك الآن من سجلات دور المكوس العثمانية لهذا العهد المحفوظة فى ماشوكالت أرشيوى (إستانبول ، ماليه ٦) : وغدت تجارة البغدان بصادراتها من الحبوب واللحم والزبد والشمع فى ظل نظام الاحتكار تزداد اعتمادا على سوق إستانبول .

وكانت الصلات بين العثمانيين وبغدان تقوم على المبدأ الإسلامى « دار العهد » (انظر هذه المادة) كما تبين من « العهدنامات » التى منحها سلاطين العثمانيين ، والبراءات التى أصدرها الأمراء (انظر « براءت » ألكسندرو السادس إلياش فى فريدون : منشآت ، جـ ٢ ، ص ٣٩٨) .

وقد دعمت الصلات التى كانت تربط الأمير بالباب العالى أكثر وأكثر حين كان الأمير يتلقى تعيينه فى إمارته من السلطان مباشرة ، وكان أول أمير عين على هذا النحو هو پترو الرابع رارش سنة ٩٣٣ هـ (١٥٢٧ م) ؛ وكان مصدر سلطة الأمير كلها هو السلطان ، وكان السلطان فى « براءته » يوجب على جميع « البويار » والقسس والجمهور أن يعترفوا بأميرهم حاكماً عليهم (بك)؛ فإذا لم يفعلوا عدت أرضهم « دار حرب ». وكانت شارات سلطة الأمير العلم والخلعة والقلنسوة الحمراء (من اللباد) ؛ ويصحب « أغا » الأميرَ إلى حاضرة إمارته ويجلسه على العرش ويقرأ براءة تعيينه على الناس ؛ وفى عهد متأخر يرجع إلى القرن العاشر الهجرى (السابع عشر الميلادى) أحس الناس بأن من المهم أن يكون الأمير سليل أمير سابق (انظر فريدون ، جـ ٢ ، ص ٣٩٨ ، ٤٤٦) ، ومع ذلك كانت رغبات البويار المحليين تؤخذ فى الاعتبار . ولم يجد العثمانيون بعاونهم تتر القرم صعوبة فى إقصاء مدعى العرش الذين تظاهرهم پولندة أو القوزاق أو الأمراء الذين أبوا الاعتراف بأمر السلطان بخلعهم . وأصبح الأمراء بعد خيانة ديمترى كانتمير سنة ١١٢٣ هـ (١٧١١ م) لايختارون إلا من بين عائلات قليلة من يونانيى الفنار « (الماڤروكرداتى ، والكاليماتشى ، والميسپلانتى) . وفى هذا العهد الفنارى (١١٢٣ — ١١٣٦ هـ = ١٧١١ — ١٨٢١ م) انتقصت مكانة الأمراء فأصبحوا مجرد موظفين عثمانيين ، وكانوا يغيرون كثيراً ، إلا أنهم أصبحوا بعد عام ١٢١٧ هـ (١٨٠٢ م) يقامون فى مناصبهم مدة سبع سنوات نتيجة للضغط الروسى .

وكانت الجزية التى يؤدها البغدان بوصفهم « أهل العهد » تعد « خراجاً مقطوعاً » يجمعها

الأمير الذى كان ينتظر منه ، وهو العامل [أى جابى الضرائب] ، أن يزيد إلى أقصى حد الجزية التى تستطيع بلاده أن تؤديها . وقد حددت الجزية سنة ٨٥٩ هـ [١٤٥٥ م] بألفى دوقية . ثم زيدت فى عهد ستيفان الكبير إلى ٤٠٠٠ دوقية ، وزيدت فى عهد رارش إلى ١٠,٠٠٠ دوقية ، وارتفعت أيام غاشپار إلى ٤٠,٠٠٠ دوقية . وبلغت فى القرن الثانى عشر الهجرى (الثامن عشر الميلادى) ٦٥,٠٠٠ غروش (انظر هذه المادة) . وكانت بغدان تؤدى أيضاً جزية (٧٠٠٠ دوقية سنوياً) إلى خان القرم . وأصبحت الهدايا (پيشكش) التى كان يقدمها الأمير إلى السلطان والوزراء وذوى الحل والعقد عرفاً مستقراً ، وكانت هذه الهدايا تساوى تقريباً المبلغ الذى يؤديه الأمير خراجاً .

وكان « العهدنامه » الذى يمنح للأمير ينص أيضاً على أن واجبه أن يكون « صديق أصدقاء السلطان وعدو أعدائه » وأن يقدم العون العسكرى إذا طلب منه ذلك ، وأن يخدم الأمير بشخصه إذا خرج السلطان إلى ميدان القتال (نعيا ، حـ ٦ ، ص ٣٢٢) . على أن البراءات كانت تؤكد أن العمال العثمانيين لا يجوز لهم أن يتدخلوا على أى وجه فى الشئون الداخلية للإمارة . وكان للأمير ممثل (قاپى كتخداسى أو كخيا) فى إستانبول لمعالجة المسائل التى تنشأ بين الأمير والباب العالى .

وكان شعب البغدان يعد « خراج گذار رعيت » للسلطان . وكان من مهام السلطان حمايته من أعدائه وخلع الأمراء الذين يستبدون به . ولم يكن « البويار » قط طبقة وراثية من النبلاء ، وفى القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى) كانوا مجرد طبقة من الفلاحين الموسرين . وقد استطاع الباب العالى أن يشدد من قبضته على البلاد بضرب البويار بالأمير والأمير بالبويار . وأصبح البويار فى القرن الثانى عشر الهجرى (السابع عشر الميلادى) من كبار ملاك الأرض وانتقص من قدر الفلاحين حتى أصبحوا رقيق أرض . ولكن الأمراء الفناريين حاولوا أن يكسروا شوكة البويار ، وفى سنة ١١٥٣ هـ (١٧٤٠ م) ألغى قسطنطين ماڤروكرداتو الرق وحرر الفلاحين من أسر البويار ، ومن يومها راح البويار يتطلعون أكثر وأكثر إلى معونة الدول المسيحية ، وخاصة الروسيا . وبمقتضى اللائحة الأساسية التى وضعت سنة ١٢٤٧ هـ (١٨٣١ م) أيام الاحتلال الروسى ، منح مجلس البويار الحق فى انتخاب الأمير .

وبمرور الزمن استطاعت الدولة العثمانية أن تستوعب أجزاء عدة من الإمارة وتدخلها فى « دار الإسلام » . وتعد حملة سليمان الأول سنة ٩٤٥ هـ (١٥٣٨ م) نقطة تحول من كثير من الوجوه : فقد جعل الأمير أوثق اعتمادا على الباب العالى ، وضمت ناحية بُجاق (انظر هذه المادة) لتأمين ثغر آق كرمان . وفى سنة ١٠٣٠ هـ (١٦٢١) استنقذ عثمان الثانى ختين من قبضة البولنديين وضمها إلى البغدان ، ولكنه ألحق بالأملاك العثمانية المنطقة القائمة شمالى إسماعيل . وأراد دمترى كانتمر أن يسترد (بجاق) فاعترف سرا سنة ١١٢٣ هـ

(١٧١١ م) بحملة القيصر ، وبعد معاهدة بروث ، أخضع الباب العالى ختين والناحية المحيطة بها حتى نهر بروث لولاية باشا عثمانى . وفى سنة ١١٨٩ هـ (١٧٧٥ م) استولت النمسا على الجزء الشمالى الغربى من البلاد (بكوفينا) ، وضمت الروسيا بسارابيا إليها سنة ١٢٢٧ هـ (١٨١٢ م) . وبعد معاهدة كوچوك قينارجه سنة ١١٨٨ هـ (١٧٧٤ م) اتخذت الروسيا موقف الحامية للبغدان ، وبعد معاهدة آق كرمان فى ٥ ربيع الأول سنة ١٢٤٢ (٧ أكتوبر سنة ١٨٢٦ م) انتهى الأمر بأن أصبحت سيادة العثمانيين على الإمارة اسمية واعترف بأن روسيا هى الدولة الحامية . وفى سنة ١٢٧٦ هـ (١٨٥٩ م) اتحدت الإمارتان التوأمتان الأفلاق والبغدان . وإن كان السلطان لم يعترف بهذا الاتحاد إلا بعد سنتين فى ٢٨ جمادى الأولى سنة ١٢٧٨ (٢ ديسمبر سنة ١٨٦١ م) .

المصادر :

(١) N. Iorga : *Hist. des Roumains* ، فى عشرة مجلدات ، بوخارست سنة ١٩٣٦—١٩٣٩ (٢) J. Nistor : *Die auswaertigen handelsbeziehungen der Moldau im XIV und XVI Jahr.* ، گوتا سنة ١٩١٢ (٣) G. Urechi : *Chronique de Moldavie* ، النص الرومانى مع ترجمة فرنسية بقلم E. Picot ، باريس سنة ١٨٨٤ — ١٨٨٦ . (٤) فريدون : منشآت ، ج ٢ ، ص ٣٣ — ٤٠ ، ٤٣ ، ٣٩٨ ، ٤٤٦ (٤) *Nouvelles études d'histoire* ، طبعة l'Academie de la R.P.R. ، بوخارست سنة ١٩٥٥

(٥) أوليا چلبى : سياحتنامه ، مجلد ٥ ، إستانبول سنة ١٣١٥ هـ ، ص ١٠٦ — ٢١٨ (٦) إسلام أنسيكلوپيدياسى ، مادة «بغدان» بقلم Aurel Decei .

خورشيد [خليل إينالجق Halil Inalcik]

« بُغْرا » : معناه فى اللغة الجغتائية الجمل ذو السنامين ، وخاصة الذكر منه (انظر مادة «بوغور») ، وهو اسم علم على عدة حكام بآسية الوسطى (انظر مادة « بُغْراخان ») وسمى بهذا الاسم صنف من الفطائر يعرف فى لغة الأتراك العثمانيين بـ « عجم بخنيسى » و « طاوه بوركى » .

المصادر :

(١) سليمان أفندى : لغات چغتاى ، ص ٨٢ (٢) حاشية ميرزا حبيب على ديوان أطعمه لأبى إسحاق الحلاج ، ص ١٧٥ (٣) Vámbéry : *Chagataische Sprach-Studien* ، ص ٢٤٨ (٤) Pavet de Courteille : *Diction. Turc-Oriental* ، ص ١٧٢ .

[إيوار Cl. Huart]

« بُغْراخان » : اسم يطلق على عدة أمراء من الأسرة الإيلكخانية أو القراخانية فى آسية الوسطى ، أشهرهم :

١ — ستُوق بغراخان عبدالكريم ، ويقال إنه أول أمير من أمراء هذه الأسرة دخل فى الإسلام وعمل على نشره فى أنحاء المملكة . ويسميه ابن الأثير شَبَّق قره خاقان ، وعلى هذا يكون شَبُق تصحيفاً

(ابن الأثير ، طبعة تورنبرغ ، ج ١١ ، ص ٥٤) . ولم تصل إلينا معلومات يوثق بها سواء عن حكمه بصفة عامة أو عن إسلامه، اللهم إلا إذا كانت رواية ابن الأثير (ج ٨ ، ص ٣٩٦) عن دخول أناس من الترك فى الإسلام عام ٣٤٩ هـ (٩٦٠ م) تشير إلى رعايا هذا الأمير . ويقول جمال القرشى إن بغراخان توفى مع عام ٣٤٤ هـ الموافق ٩٥٥– ٩٥٦ م (Barthold : *Turkestan v epochu Mongolskago Nashestviya* ، ج ١ ص ١٣٠) ولا يزال الناس يحجون إلى قبره فى أرتوج التى تعرف اليوم باسم أرتيش بالقرب من كاشغر . ولا شك أن سيرته المعروفه بتذكرة بغراخان والتى نشرها گرينار F. Grenard (فى المجلة الأسيوية، المجموعة التاسعة ج ١٥، ص ٥)أسطورية فى مبناها ، ونجد مقتطفات منها عند جمال القرشى وغيره ممن زادوا عليها فى عصور متأخرة . ولا نستطيع أن نثبت أن هناك أساساً تاريخياً لهذه الروايات .

٢ — بُغراخان هارون بن موسى ، أو هارون ابن سليمان كما أورده ابن الأثير (ج ٩ ، ص ٦٨) وهو حفيد ستُوق وأول من غزا بلاد ما وراء النهر من أمراء هذه الأسرة . وكانت الفتن الداخلية التى حدثت فى عهد نوح بن منصور الذى حكم من عام ٣٦٥ إلى ٣٨٧ هـ (٩٧٧ — ٩٩٩ م) قد أخذت تعصف بسلطان السامانيين . فلما خرج الفاتح هارون من حاضرته بلاساغون (انظر هذه المادة) وظهر أمام إسفيجاب ، وهى قلعة السامانيين فى الشمال الغربى وتعرف الآن بـ « سيْرام » بالقرب من چمكنت ، لم يلق فى طريقه مقاومة جدية حتى ليقال إن النبلاء الذين كانوا يبغضون السامانين هم الذين استدعوا الأتراك . واستطاع بغراخان دخول حاضرتهم بخارى فى ربيع الأول من عام ٣٨٢ هـ (٧ مايو — ٥ يونيه عام ٩٩٢) ولكن سرعان ما أقعده المرض إثر إفراطه فى أكل الفاكهة ، فاضطر إلى الجلاء عن البلاد التى فتحها . وعاد نوح إلى حاضرته مع منتصف جمادى الآخرة من العام نفسه الموافق يوم الأربعاء ١٧ أغسطس . وتوفى بغراخان فى طريقه إلى كاشغر بمدينة قوچقار باشى ، غير بعيد من منبع نهر چو الذى لا يزال يعرف إلى الآن باسم قوچقار . ولم يجد ابن الأثير (ج ٩ ، ص ٦٨ وما بعدها) تاريخاً مضبوطاً فى المصدر الرئيسى الذى استقى منه وهو تأريخ يمينى للعتبى ، فزعم أن بغراخان فتح بخارى لأول مرة عام ٣٨٣ هـ (٩٩٣ — ٩٩٤ م) ولكن روايتى الگرديزى (فى Barthold : *Turkestan...* ، ج ١ ، ص ١٢) والبيهقى (طبعة مورلى Morley ، ص ٢٣٤) اللتين تتفقان فيما بينهما اتفاقاً تاماً تدحضان رواية ابن الأثير .

٣ — بُغراخان محمد بن يوسف : حفيد هارون ، لقب بـ « يغان تگين » فى حياة والده قدر خان يوسف الذى كان يحكم فى كاشغر . ولما توفى أبوه واعتلى أخوه الأكبر أرسلان خان سليمان العرش لقب المترجم له ببغراخان عام ٤٢٣ هـ (١٠٣٢م) وأقطع طراز التى تعرف الآن باسم أوليا آتا وإسفيجاب ،

وتحالف مع الغزنويين باعتباره أميراً وحاكماً ، وكان يطمع فى أن يتمكن بفضل معونتهم من طرد عدوه على تگين من بلاد ما وراء النهر ، بيد أن هذه الخطة لم تنفذ قط ، كما أن زواجه بزينب بنت السلطان محمود وأخت السلطان مسعود لم يتم ، وإن كان بغراخان قد ذهب بنفسه إلى بلخ عام ٤١٦ هـ (١٠٢٥ م) فى عهد محمود سعياً وراء عروسه (البيهقى ، طبعة مورلى ، ص٦٥٥ وما بعدها) : ولما علم بغراخان أن مشروع زواجه بزينب أجل مرة أخرى فى عهد السلطان مسعود عمد إلى التحالف مع السلاجقة فجلب على نفسه عداوة الغزنويين وخصومة أخيه أرسلان خان ؛ وبعث السلطان مسعود الإمام أبا صادق التبانى إلى بغراخان فخرج من غزنة فى السابع من ذى القعدة عام ٤٢٨ هـ (٢٣ أغسطس ١٠٣٧ م) وأمضى ثمانية عشر شهراً فى بلاد الترك حتى نجح فى تهوين الأمر على بغراخان والتوفيق بينه وبين أخيه : وضربت السكة خلال هذه الأعوام باسمه حتى فى بلاد ما وراء النهر ، ونستنتج من هذا أنه قد اعترف بحكمه فى هذه الديار أيضاً . ويقول ابن الأثير (جـ ٩ ، ص ٣٥٨) إنه نجح فى إخماد فتنة قام بها الشيعة فى ما وراء النهر ، واستعمل فى قمعها وسائل العنف : وتفصيل ذلك أن دعاة الشيعة وفقوا فى اكتساب الأنصار للخليفة المستنصر الذى حكم من عام ٤٢٧ إلى ٤٨٧ هـ (١٠٣٦ — ١٠٩٤ م) فخادعهم بغراخان وتظاهر بالميل لهم حتى إذا اطمأنوا إلى أنهم بمأمن من كل خطر لحماية الخان لهم ، صدر الأمر فجأة بإبادتهم فى العاصمة والولايات : ويذكر ابن الأثير (جـ ٩ ، ص ٢١١) أن بغراخان لم يعمر إلا إلى سنة ٤٣٩ هـ (١٠٤٧ — ١٠٤٨ م) فى حين أن البيهقى الذى كان معاصراً له يقول إنه عاش حتى عام ٤٤٩ هـ (١٠٥٧ — ١٠٥٨ م) وروايته هذه أرجح من رواية ابن الأثير : وتدل هاتان الروايتان على أنه طرد أخاه من مملكته واستولى عليها قُبيل وفاته . ويتضح لنا من صفحة ١٩٣ من الطبعة الحجرية الفارسية لتاريخ البيهقى التى طُبعت عام ١٣٠٧ هـ (١٨٨٩ — ١٨٩٠ م) أن النص المخطوط لهذا التاريخ كثير التحريف : ويروى ابن الأثير كذلك أن بغراخان قد دست له زوجته السم كما أنها شنقت أخاه الأكبر الذى كان سجيناً :

٤ — بغراخان أمير كاشغر ، وهو الذى رفع إليه يوسف خاص حاجب البلاساغونى كتابه الأخلاقى الموسوم بـ « قوداتقُو بيليك » عام ٤٦٢ هـ (١٠٦٩ — ١٠٧٠ م) ولعله بغراخان هارون أخو المترجم له سابقاً كما ذهب إلى ذلك ابن الأثير (جـ ٩ ص ٢١٢ — ٢١٣) : ويقال إن بغراخان هذا حكم بالاشتراك مع أخيه طغرل قره خان ستة عشر عاما وانفرد وحده بحكم كاشغر وختن وبلاساغون تسعة وعشرين عاماً ، وكانت وفاته عام ٤٩٦ هـ (١١٠٢ — ١١٠٣ م) : ولاشك أن إشارات ابن الأثير (جـ ١٠ ، ص ١١٢ وما بعدها) عن خان كاشغر الذى خضع للسلطان ملكشاه عام ٤٨٢ هـ (١٠٨٩ م) قصد بها بغراخان الذى نترجم له : ويحدثنا المؤلف نفسه عن حروب هذا الخان وأخيه يعقوب تكين أمير أتباش مع أمير ثالث يدعى طغرل ،

ولكنه لا يبين لنا بصفة قاطعة خاتمة هذه الحروب (انظر ايضاً مادة «القراخانية») .

[بارتلد W. Barthold]

«بَغْراس» ، وتعرف قديماً «بكراى Pagrae» محطة هامة على الطريق من الإسكندرونة إلى أنطاكية ، عند الطرف الجنوبى الشرقى لممر بيلان ، وهى تشرف على مخرج هذا الممر . وكان لهذه المحطة شأن فى الحروب التى وقعت بين العباسيين والروم لتداول أباطرة الروم وخلفاء العباسيين حكمها .

وكانت بغراس ضمن جند العواصم (انظر هذه المادة) الذى فصله هارون الرشيد عن ولاية قِنَّسْرين كما كانت تحمى الطريق الواصل إلى الثغور . وزاد شأن هذه المدينة لما انتقلت من حكم الداوية(١) إلى حكم صلاح الدين عقب واقعة حِطّين عام ٥٨٤ هـ (١١٨٨ م) وكانت بغراس قلعة على الحدود الإسلامية تحميها من مملكة أرمينية الصغرى إلى أن ضم إقليم نهر جاهان (جيحان ، الفتوحات الجاهانة) لدولة المماليك فى عهد السلطان الناصر محمد بن قلاون . ونشبت الحرب بين العثمانيين والمماليك من جديد بقصد امتلاك هذا الممر . وكانت بغراس من الناحية الإدارية تابعة لمملكة حلب فى عهد المماليك ولم يبق من قلعتها فى الوقت الحاضر سوى أطلال ، ويقوم فى موضعها الآن قرية ضئيلة الشأن تعرف ب «بكراس» .

المصادر :

(١) المكتبة الجغرافية العربية ، جـ ١ ، ص ٦٥ ؛ جـ ٢ ص ١٢٣ (٢) ياقوت : المعجم ، جـ ١ ، ص ٦٩٣ (٣) ابن بطوطة ، طبعة Defrémery ، جـ ١ ، ص ١٦٣ (٤) ابن فضل الله العمرى : التعريف ، القاهرة سنة ١٣١٢ هـ ، ص ١٨١ (٥) أبو الفداء ، طبعة Reinaud ، ص ٢٥٨ وما بعدها (٦) G. le Strange : Palestine under the Moslems ، ص ٤٠٧ وما بعدها (٧) A. [illegible] Kremer : Beitraege [illegible] Geographie des noerdlichen Syrien ، فينا سنة ١٨٥٢ ، ص ١١ (٨) Quatremère فى المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك ، جـ ١ ، القسم الثانى ، ص ٢٦٦ وما بعدها (٩) Ritter : Erdkunde ، جـ ١٧ ، ص ١٩٠٨ وما بعدها (١٠) Martin Hartmann : Zeitschr. d. Gesellsch. f. Erdk. ، جـ ٢٩ ، ص ١٧٠ ، ٥١٣ .

[هارتمان R. Hartmann]

+ «البغل» : الحيوان المعروف (والجمع بغال ، والمؤنث : بغلة ، ولكن البعض يظنون أن البغل هو ذلك الحيوان الخلاسى دون تمييز للجنس ، وأن البغلة هى صيغة المفرد التى تنطبق على الذكر والأنثى) . وتدل الكلمة أيضاً على النغل ، أى نسل

---

(١) هو الاسم الذى اطلقه العرب على مايعرف عند الفرنجة باسم الـ Templars اى فرسان الهيكل او المعبد . وهم الفرسان الذين كان لهم شأن فى العصور الوسطى وكانت لهم حروب مع صلاح الدين الايوبى .

اللجنة

فحل الخيل من الحمارة (انظر مع ذلك الكَوْدَن فى المسعودى « ج ٢ ، ص ٤٠٨ ؛ وعلى العكس : الجاحظ : بغال « ص ١٢٠ ؛ الدميرى « هذه المادة ؛ وانظر الجاحظ : رسالة التربيع ، طبعة Pellat « الفهرس ، هذه المادة) وعلى البغل الذى هو نسل الحمار من الفرس ، وخصائص تركيب جسم النوعين وسط بين تلك التى للحمار وتلك التى للجواد مع نزعة إلى التأثر بالأم . ويقال إن أول من أنتج هذا الحيوان المهجن هو قارون (انظر الدميرى) أو طهمورث (انظر الطبرى / البلعمى « ترجمة زوتنبرغ ، ج ١ ، ص ١٠١).

وقد جاء فى القرآن أن الله هو الذى خلق البغال ، وكان للنبى نفسه (ص) بغال (أشهرها الدُلْدُل التى عاشت حتى أيام معاوية) ، ومن ثم فإنه وإن كانت الأحاديث التى تنهى عن أكل لحم البغل (مثل أكل لحم الحمار) قد تكون صحيحة ، فإن الأحاديث التى تمنع المزاوجة بين الحمير والأفراس نصيبها من الصحة أقل من ذلك . ومهما يكن من شىء فإن الأحاديث التى تمنع هذا التهجين لم تتبع ، ولم تتأثر بها تجارة البغال ، وكان ديوان البريد يستخدم البغال ، ولم يستنكف من ركوبها رجال ونسوة من الوجوه ذوى الحسب على الرغم من شموسها وعنادها ، ذلك أن استواء مشيتها وثباتها يجعلانها من الدواب الأثيرة .

وقد عنيت العقول المتطلعة إلى المعرفة بهذا الحيوان المهجن خاصة وبعقمه وعلى أن علماء الحيوان العرب ظنوا أن البغلة خصبة بالطبيعة ، ولكنها « لاتعلق » أو أن تكوينها العظمى أصغر من أن تلد ولادة سلمة لاتفقدها حياتها ، وكانت « تكتب » دفعاً لوقوع حوادث من هذا القبيل فتسمى فى هذه الحالة « مكتوبة » . على أن الدميرى يروى سنة ٤٤٤هـ (١٠٥٢م) خبر بغلة ولدت فى بطن حجرة (مهرة) سوداء وبغلا أبيض .

ويضرب المثل بحجم رأس البغل وقضيبه ، وطول عمره (بسبب عفته) وعقمه وعناده وغير ذلك من الصفات . وتدخل كلمتا « بغل » و «بغال» فى طائفة كبيرة من التعابير (وانظر خبر بغلة أبى دُلامة التى أصبحت نقائصها مضرب المثل محمد بن شنب : أبو دلامة ، الجزائر سنة ١٩٢٢ ؛ الجاحظ : البغال ، ص ١٠٠ وما بعدها)

وتستعمل بعض أجزاء من جسم البغل ، وخاصة أسنانه وشعره وحوافره ودمه فى تحضير العقاقير والرقى والتمائم .

ورؤية البغل فى المنام تدل على السفر ، أوطول العمر وانحطاط الأصل والعقم إلخ .

وعلاوة على المعانى الأخرى التى جمعتها المعاجم العربية كما جمعها دوزى فإن مما تجدر ملاحظته أن كلمة «بغلة» (والجمع «بغلات») قد دلت فى مصر على الإماء اللائى ولدن من زواج الصقالية بجنس آخر (الجاحظ : البغال « ص ٦٦) .

المصادر :

علاوة على الكتب المألوفة فى علم الحيوان (وفى هذا الباب يعد معجم الدميرى كتاباً أساسياً)

والأقراباذين وتفسير الأحلام إلخ.: (انظر على سبيل المثال مصادر مادة «أفعى») وهى التى تزودنا بقدر من المعلومات ، يجب أن نلفت النظر بصفة خاصة إلى واقعة أن البغال بحكم أصلها العجيب بلاشك، قد شجعت الجاحظ على كتابة بحث خاص عنوانه «القول فى البغال » (طبعة Ch. Pellet « القاهرة سنة ١٣٧٥هـ = ١٩٥٥م) وهو أشبه بذيل لكتاب الحيوان ، يستشهد فيه الكاتب خاصة بنوادر وأشعار تصور شخصية هذا الحيوان ونفعه .

خورشيد [پلاّ Ch. Pallet]

« بغلى »: درهم فارسى (انظر هذه المادة) وانظر أصل هذه التسمية فى Lex. Pers. Lat. : Vullers ج ١ ، ص ٢٥١ ، ٨٤٠ (وانظر مادة «درهم»)

« البَغَوِىّ » ، أبو محمد الحسن بن مسعود بن محمد الفرّاء : مؤلف عربى وفقيه شافعى وحجة فى الحديث ومن أصحاب التفاسير . ولقب أيضاً بمحيى السنة وركن الدين . ولد فى بغ أو بَغْشُور من أعمال خراسان [ياقوت ، ج ١ ، ص ٦٩٥) . ودرس فى مَرْو الروذ على القاضى أبى على الحسن بن محمد بن أحمد المروذى ، ولم يغادر هذه المدينة التى اتخذ منها وطناً ثانياً له ، وتوفى بها بعد أن نيف على الثمانين فى شوال عام ٥١٦هـ (ديسمبر ١١٢٢م) وتقول روايات أخرى إن وفاته كانت فى شوال عام ٥١٠هـ (فبراير ١١١٧م) . وللبغوى مجموعة من الفتاوى لم تصل إلينا ضمنها فتاوى شيخه : وقد كتب أيضاً موجزاً فى الفقه سماه «التهذيب فى الفروع» (انظر فهرست دار الكتب المصرية ، ج ٣ ، ٢١٢) . وطبع تفسيره المسمى «معالم التنزيل» على الحجر ببلاد فارس فى أربعة مجلدات ، ولم يذكر مكان الطبع أو تاريخه . وطبع أيضاً فى بومباى فى مجلدين ، عام ١٣٠٩هـ (١٨٩١م) وكان نصيبه الرواج والانتشار .

وجمع البغوى الأحاديث النبوية كلها فى كتابه « شرح السنة » (Verzeichnis : Ahlwardt der arab. Hss. der Kgl. Bibliothek zu Berlin » رقم ١٢٩٥—١٣٢٦) . وترجع شهرته فى العالم الإسلامى إلى مصنفه فى الحديث المعروف بـ « مصابيح السنة » وقد جمعه من كتب السنة السبعة الصحيحة ، وبوّبه على أبواب ، وقسم الأحاديث فى كل باب إلى ثلاث طبقات : صحيحة أخذها من البخارى ومسلم ، وحسنة أخذها من السنن ، وغريبة وضعيفة (١) ، وطبع هذا المصنف بالقاهرة عام ١٢٩٤هـ(١٨٧٧م) فى مجلدين ، ثم طبع عام ١٣١٨هـ (١٩٠٠م) وجاء محمد بن عبد الله الخطيب التبريزى فرتب هذا المصنف ترتيباً جديداً وأتمه عام ٧٣٧هـ (١٣٣٦م) وسماه « مشكاة المصابيح » . وهو الآن كثير الذيوع لشموله وسهولة ترتيبه . إذ أنه عد المسلم القليل الحظ من العلم بمجاميع الحديث القديمة متحاشياً الإسناد الكثير المتعب مع توخى الإرشاد وتجنب التعالم (Muhammed Studien : I. Goldziher ، ج٢ ص ٢٧٠ ، ٢٧١) ، وطبع هذا الكتاب عدة مرات فى دلهى وبومباى وكلكتة وكاسان ، وطبع على الحجر

بسانت بطرسبرغ عام ١٨٨٩ — ١٨٩٩ م فى مجلدين ، ونقله إلى الإنكليزية A.N. Matthews ، كلكتة عام ١٨٠٩م ؛

وألف التبريزى «كتاب أسماء المشكاة» وهو تراجم للرجال المذكورين فى «المشكاة» ، وأتمه فى ٢٠ رجب سنة ٧٤٠هـ (٢٢ يناير عام ١٣٤٠م ؛ انظر Nicholson فى مجلة الجمعية الأسيوية الملكية ، سنة ١٨٩٩م ، ص ٩١٠) ؛

ونذكر من بين شروح هذا الكتاب شرح ابن حجر الهيتمى المتوفى عام ٩٧٤هـ (١٥٦٦م) الذى طبع بالقاهرة عام ١٣٠٩هـ (١٨٩١م) فى خمسة مجلدات(٢) . وشرحه بالفارسية عبد الحق الدهلوى المتوفى عام ١٠٥٢هـ (١٦٤٢م) وطبع هذا الشرح فى كلكتة وشنسورة عام ١٢٥١ — ١٢٥٩هـ (١٨٣٥ — ١٨٤٣م) .

المصادر :

(١) ابن خلكان ، بولاق سنة ١٢٩٩هـ ، رقم ١٧٧ ، طبعة فستنفلد ١٨٤ (٢) السبكى : طبقات الشافعية ، طبعة القاهرة عام ١٣٢٤ جـ ٤ : ص ٢١٤ — ٢١٧ (٣) السيوطى : طبقات المفسرين ، طبعة Meursinge ، ص ١٢ ، رقم ٣٤ (٥) Brockelmann : *Gesch. cdr arab. Lit.* : جـ ١ ، ص ٣٦٣ ؛

[بروكلمان C. Brockelmann]

تعليق على مادة « البغوى »

(١) ليس هذا النقل مطابقاً بالدقة لصنيع البغوى فى المصابيح ، لأنه قسم أحاديث الكتاب فى كل باب إلى قسمين فقط : صحاح وحسان ، ثم قال فى الحسان : « وأكثرها صحاح بنقل العدل عن العدل ، غير أنها لم تبلغ غاية شرط الشيخين فى علو الدرجة ، من صحة الإسناد ، إذ أكثر الأحكام ثبوتها بطريق حسن ، وما كان فيها من ضعيف أوغريب أشرت إليه » . فيفهم من هذا أنه لم يجعل قسما خاصاً للغريب والضعيف ، بل هو داخل قسم (الحسان) عنده ، وأن الغرابة والضعف ليسا إلى الدرجة التى تمنع الأخذ بما ذكره فى الحسان ؛ ثم هذا التقسيم للبغوى اصطلاح خاص به ، ليس موافقاً لمصطلح أهل الحديث ، بل هو اصطلاح غير صواب ، لأنه يخلط الأمر على القارئ ، فإن فى كثير من كتب السنن الثلاث التى أخذ منها الحسان — وهى أبو داود والترمذى والنسائى — أحاديث صحيحة جداً ، لاتقل فى الصحة عن درجة ما اتفق عليه البخارى ومسلم ، وقد انتقد كثير من المتقدمين صنيع البغوى هذا وأبانوا عن خطئه ، وإن كان اصطلاحاً خاصاً به ؛

(٢) هذا غلط من الأستاذ المستشرق بروكلمان ، ويظهر أنه سها عن النقل ، إذ أن شرح ابن حجر الهيتمى على مشكاة المصابيح مجلد واحد فقط ، واسمه (فتح الإله فى شرح المشكاة) ، وهو مخطوط بدار الكتب المصرية (رقم ٣٥٤ حديث) ولم يطبع قط فيما نعلم ، لا فى مصر ولا فى غيرها . أما المطبوع فى مصر سنة ١٣٠٩ فى خمسة مجلدات فهو (مرقاة المفاتيح لمشكاة المصابيح) تأليف العلامة ملا على ابن سلطان محمد الهروى القارى المتوفى بمكة فى شوال

سنة ١٠١٤هـ (فبراير سنة ١٦٠٦م) وهو شرح نفيس معروف، وقد أدرك العلامة بروكلمان غلطه هذا فأصلحه فى الملحق الأخير لكتابه فى تاريخ آداب العرب الصادر فى العام الماضى. وقد أطلعنى عليه بعض الإخوان العارفين باللغة الألمانية.

احمد محمد شاكر

+ «بقاء وفناء»: تشير المصطلحان الصوفيان «فناء» و«بقاء» إلى مرحلتين يمر بهما الصوفى فى طريق المعرفة. وهذان القسمان متقابلان من ناحية ومتكاملان من ناحية أخرى، وهما معادلان على تفاوت لتلك العبارات الزوجية الأخرى: «سكر» و«صحو»؛ و«جمع» و«وحدة» و«تفرقة» و«كثرة»؛ و«نفى» و«إثبات».

وقد تمت هذه النظرية وخاصة منذ مقتل الحلاج فى بغداد سنة ٩٢٢م بعد إذ قال «أنا الله»، وذلك حين تحول الصوفية إلى وصف أرصن للتجربة الصوفية محاولين أن يبرئوا الحلاج من تلك الفكرة المنافية للإسلام التى تجعل الذات الإنسانية هى والله ذاتا واحدة، وأن يبينوا أن التصوف لم يكن إسلامياً حقاً فحسب وإنما هو الإسلام الحق. ومع أن بعض الصوفية فى جدلهم لم يستطيعوا أن يصونوا أنفسهم عن التفوه بمثل القولة التى تفوه بها الحلاج، وخاصة فى شعرهم، فإنهم قد جروا نظرياً على إنكار حلول الله فى الإنسان وفناء ذات العبد المحدودة فناء كاملا فى الله؛ وهناك حدان جعلا للفناء: (١) فناء وعى الصوفى بجميع الأشياء، بما فيها نفسه، بل فناء وعيه بهذا الفناء، ويبقى وعيه الخالص بالله؛ (٢) سقوط الصفات المذمومة وظهور الصفات المحمودة التى حياه بها الله؛ ومن الواضح كل الوضوح أن الفناء — على خلاف النرفانا عند الهنود — ليس مجرد انقطاع لحياة العبد، بل هو نمو أوفى وأكمل للذات يتحقق بفضل الله، وهو أقرب إلى الإكستاسيس عند اليونان على شريطة أن يتحرز المرء من القول بفناء العبد فناء كلياً فى الله.

ومن ثم فإن «البقاء» فى ضوء هذين الحدين للفناء، هو: (١) البقاء بالله بفناء العبد عن نفسه وصفاته (٢) العودة إلى الوعى الصوفى بتعدد دنيا الخلق. والحد الثانى نتيجة للحد الأول، لأن البقاء بالله يدل أيضاً على البقاء بالدنيا التى خلقها والتى يتجلى الله فيها مهما كان هذا التجلى غير كامل. ويرى الصوفية بصفة عامة أن حالة البقاء هذه أكمل من مجرد الفناء. وهذا هو المعنى الذى يقصدونه من قولهم المأثور بأن الصحو يعقب السكر. وهذه العودة إلى الدنيا التى يؤكدون أنها ليست هى عودة الصوفى ببساطة إلى ما قبل الفناء لأن تجربته قد أتاحت له بصيرة جديدة كل الجدة. هذه العودة معناها إدراك ما فى الدنيا من نقص ومحاولة جعلها أكثر كمالا.

ونظرية «البقاء» تبرز إبرازاً بينا الفرق بين وعى الصوفى ووعى النبى. ذلك أن وعى الصوفى العادى يقف عند الفناء ولا تخامره أية رغبة فى العودة إلى الدنيا، على حين أن رسالة النبى، وهو الصوفى الأمثل، هى أن يبقى دائماً بالله وبالدنيا وأن يحول مجرى التاريخ بالحقيقة الإلهية الدينية والأخلاقية،

المصادر :

(١) علاوة على كتب الصوفية التي ترى أن أهمها في هذا الموضوع هو « كتاب اللُّمَع » لأبي نصر السرّاج و« كشف» المحجوب للهجويري ، فإن أنفع كتاب في اللغات الغربية جميعاً هو (٢) R.A. Nicholson : *The Mystics of Islam* ، لندن سنة ١٩١٤ ، وخاصة الفصل الأخير فيه (٣) ويقول الهجويري إن صاحب هذه النظرية هو أبوسعيد الخرّاز ، ولكنها تطورت بعد على يد الجنيد وغيره ، ولاشك أن هذا التطور كان متأثراً بنقد أهل السنة (٤) وثمة بيان جوهري قوي سهل قد قام نقداً لابن العربي ، وهذا البيان لرجل من أعيان القرن السابع عشر هو الشيخ أحمد سرهندي الهندي الذي لم يدرس كتابه الفارسي « مكتوبات» في الغرب على الإطلاق .

خورشيد [رحمن F. Rahman]

+ « البِقَاع» ، جمع بُقْعَة : اسم علم يدل على السهل الممتد الذي يعرف عادة بالبقاع وهو يقوم على ارتفاع منخفض قدره ١٠٠٠ متر بين جبال لبنان وجبال لبنان الشرقية ، وقد حدده القدماء تحديداً واضحاً فأطلقوا عليه اسم Coele Syria أي سورية الغائرة ومن ثم توسع في هذه التسمية ، وهذا السهل غور إلتوائي امتلأ بالرواسب ، وهو امتداد لأخدود الأردن يسير على طول المحور الشمالي الجنوبي الذي هو من السمات الرئيسية لتكوين الشرق الأدنى ويرويه ريّاً غير كاف نهرا الليطاني والعاصي اللذان ينبعان على جانبي مقسم ماء بعلبك ، وذلك قبل أن يشقا طريقهما : واحد في هضاب الجنوب الوعرة والثاني في الخوانق التي تنفذ إلى هضبة حمص المكونة من صخور البازلت .

وجو البقاع القاري يجعل هذا السهل سهباً شبه قاحل ترصعه مع ذلك واحات وأغوار ظلت مدة طويلة مستنقعات مما يبرر ما ذكره القلقشندي عن بحيرة البقاع في زمانه .

وقد أسهم في تطور البقاع منشآت الصرف والري التكميلية ، ومن بينها تلك التي قام بها تنكز نائب الشام في بداية العصر المملوكي والتي ظلت مشهورة : على أن البقاع بقيت حتى اليوم قليلة السكان (٣٨ نفساً في كل كيلو متر مربع) وقصرت همها ، كما هو العهد بها ، على إنتاج الحبوب إنتاجاً يقوم على نظام من الملكية المشاعة أو الضياع الكبيرة .

وجل سكان البقاع من المسلمين ، ويغلب الشيعة في الشمال ويعيشون في قرى كبيرة ويؤثرون القرى التي على سفوح الجبال حيث تجتذب الكهوف أولئك النزاعين إلى حياة التقشف والزهد ، ونذكر من الأماكن القائمة في الوادي الأعلى الذي كان في الأزمان القديمة ناحية يسكنها سكان مقيمون وطريقاً تجارياً مطروقاً وأصبح منذ الفتح العربي من أغنى النواحي في ولاية دمشق : المقر الأموي عين الجرّ (انظر هذه المادة) والقرية الشريدة كرك نوح التي كانت حاضرة مملوكية ، والقرى الصغيرة

الزاهرة فى الوقت الحالى مثل زحلة ، هذا علاوة على كثير من المواقع المشهورة بأطلالها القديمة والرسومات التى فى كهوفها . وكانت بعلبك (انظر هذه المادة) أهم مراكز البقاع ، ولو أن سلطان هذه القلعة التى ظلت تشرف مدة طويلة على البلاد جميعاً ، كان قد انتقص كثيراً فى عهد المماليك ، وقسم الريف المجاور لها إلى ناحيتين وكلتا إلى والٍ واحد . ومن يومها أصبحت هناك ولايتان إلى جانب نيابة بعلبك : ولاية البقاع البعلبكى وولاية البقاع العزيزى .

والبقاع العزيزى يتصل —فى قول مؤرخى العرب— بالعزيز (انظر هذه المادة) ابن صلاح الدين ، ويقول بعض العلماء المحدثون أنه يتصل بالإله المحلى القديم أزيزوس Azizos . وربما استطاع المرء أيضاً أن يرى بقايا عبادات قديمة ماثلة فى بعض النذور الشعبية العديدة التى تشهد بها أسماءالأماكن والآثار والتى تردّ إلى الأذهان فوق ذلك كله قصة نوح وذكريات الطوفان أوشخصية إلياس الناسك الأمثل ومزدرى عبادة بعل .

المصادر :

(١) P. Birot & J. Dresch : La Méditerranée et le Moyen-Orient ، جـ٢ ، باريس سنة ١٩٥٦ ، الفهرس مادة Bekaa (٢) R. Dussaud : Topographie historique de la Syrie ، باريس سنة ١٩٢٣ ، الفهرس مادة Beqae (٣) S. Le Strange : Palestine under the Moslem ، لندن ١٨٩٠ ص ٦٩ ، ٤٢٢ (٤) Gaidefroy-Demombynes : La Syrie à l'époque des Mamelouks ، باريس سنة ١٩٢٣ ، ص ٢٠ ، ٧٣ ، ١٨١ (٥) ياقوت ، جـ١ ، ص ٦٩٩ (٦) الهروى : كتاب الزيارات ، طبعة Sourdel-Thomine ، ص ٩ — ١٠ .

[خورشيد [سوردل — تومين J. Sourdel-Thomine]

+ « بَقَر » : لا ينحصر إطلاق هذا المصطلح فى كتب العرب أيام القرون الوسطى على المعنى السائد وهو الماشية (Bos) تمييزاً له من الاستعمال الأحدث واستعمال الصيغ المرادفة لذلك فى اللغات السامية الأخرى . ويميز كتاب العرب بين البقر الأهلى (= الماشية) والبقر الوحشى ، وثمة أقوال مختلفة فى البقر الوحشى ، فيقال إنه المها (Oryx beatrix ؛ النويرى ، جـ ٩ ، ص ٣٢٢) ، ويقال إنه «الأيِّل» ([انظر هذه المادة] وهذا ينطبق على وصف القزوينى) ، ويقال إنه طائفة من الحيوانات الأخرى (أشار إليها لين Lane ، ص ٢٣٤ باسم bovine antelopes) تشمل أيضاً فى قول الدميرى علاوة على هذين النوعين : اليَحْمُور (roedeer) والثَّيْتَل (bubale antelope) . على أن الصفة المميزة لا تضاف دائماً ، ومن ثم فإن كلمة « البقر » وحدها (أو صيغة المفرد « البقرة ») قد تدل أيضاً على عدة وحوش ، وهذا ينطبق مثلا على الشعر العربى القديم (انظر الجاحظ ، جـ ٥ ، ص ٢١٨ ، س ٢) وشروحه وعلى المعلومات الخاصة بذلك فى المعاجم (تتناول ابن سيده «البقر» فى «كتاب الوحوش») ، بل ينطبق

على كتب الحيوان (انظر الجاحظ جـ ٤ ، ص ١٩٩٩ ؛ جـ ٤ ، ص ٣٩٩٣).

أما فى الكتب الخاصة بتفسير الأحلام فإن للبقر مكانة هامة ، ومن العسير تحديد المدلول الدقيق لذلك فى كل حالة ، والظاهر أن روايات مختلفة قد اختلطت أيضاً فى كتب الأقراباذين ، وفيها تذكر قرون البقر فى كثير من الأحوال ، على حين يصف بعض الكتاب العرب البقر الأهلى بأنه حيوان لا قرون له .

أما فى القرآن حيث يذكر البقر غالباً فى القصص الكتابية ، فإن معناها فى جميع الأحوال هو الماشية أو البقرة . زد على ذلك أن هذا المصطلح يرد أيضاً فى الأمثال القديمة وفى الحديث .

المصادر :

(١) عبد الغنى النابلسى : تعطير الأنام ، هذه المادة (٢) أبو حيان التوحيدى : الإمتاع والمؤانسة ، جـ ١ ص ١٦٠ ، ١٦٤ — ١٦٦ ، ١٦٩ — ١٧٠ ؛ جـ ٢ ، ص ، ص ٣٠ (ترجمة L. Kopf فى Osiris ، ١٢ ، سنة ١٩٥٦ ، ص ٤٦٣ (الفهرس) (٣) على الطبرى : فردوس الحكمة ، طبعة صديقى ، ص ٤٢١ وما بعدها (٤) الدميرى ، هذه المادة ، ترجمة Jayakar ، جـ ١ ، ص ٣١٥ وما بعدها ، ٣٢٧ وما بعدها (٥) الجاحظ : الحيوان ، الطبعة الثانية ، الفهرس (٦) Hommel : Saeugethiere ، الفهرس ، مادة Rindvieh (٧) ابن العوام : الفلاحة (ترجمة Clément - Mullet) ، جـ ٢/ب ، ص ١ وما بعدها (٨) ابن قتيبة : عيون الأخبار ، القاهرة سنة ١٩٢٥ — ١٩٣٠ ، جـ ٢ ، ص ٧٠ ، ٧٥ ، ٨١ ، ٩٤ (ترجمة Kopf ، ص ٤٣ ، ٥٠ ، ٥٧ ، ٧٠) (٩) ابن البيطار : الجامع ، بولاق سنة ١٢٩١ ، ص ١٠٥ وما بعدها (١٠) داود الأنطاكى : التذكرة ، القاهرة سنة ١٣٢٤ هـ ، جـ ١ ، ص ٧٤ (١١) ابن سيدة : المخصص ، جـ ٨ ، ص ٣٢ وما بعدها (١٢) ابن سيرين : منتخب الكلام ، باب ٣٣ (٣) الإبشيهى : المستطرف ، باب ٦٢ ، هذه المادة (١٤) القزوينى ، طبعة فستنفلد ، جـ ١ ، ص ٣٨ وما بعدها (١٥) المعلوف : معجم الحيوان ، القاهرة سنة ١٩٣٢ ، الفهرس (١٦) المستوفى القزوينى ، طبعة ستيفنسون Stephenson ، ص ٤ وما بعدها (١٧) النويرى : نهاية الأرب ، جـ ٩ ، ص ٣٢٢ ؛ جـ ١٠ ، ص ١٢٠ وما بعدها (١٨) A. D. Carruthers : *Arabian Adventure to the Great Nafud in Quest of the Oryx* ، لندن سنة ١٩٣٥ .

خورشيد [كويف L. Kopf]

« بُقْراط » : الاسم الذى أطلقه العرب على هيبوكراتيس Hippocrates ، وقد كان له شهرة واسعة بين علماء المشرق الذين عرفوا كثيراً من كتبه . ونقل سرجيوس ، وموطنه رأس العين ، مصنفاته إلى السريانية . وكان حنين بن إسحاق وقسطا بن لوقا وعيسى بن يحيى وعبد الرحمن بن على أشهر من نقلها إلى العربية ،

وقد ترجم حنين كتاب إبيذيميا *Epidémies* ، وعرف العرب بهذا العنوان سبعة كتب ، الأول والثالث منها تصح نسبتهما إلى بقراط ، ونقل حنين أيضاً مقالات بقراط التي عنوانها تقدمة المعرفة *Prognostica* ، وطبيعة الإنسان *De Natura Hominis* ؛ وترجم عيسى بن يحيى كتاب الأمراض الحادة (پرىدياىتيس أوكسيون) ، ونقل المترجمون الأربعة الذين سبقت الإشارة إليهم كتاب الفصول .

وذكر حاجي خليفة إلى جانب ما ذكرنا من هذه المصنفات المشهورة عدداً من التواليف الأخرى المنسوبة إلى بقراط . وعدّد ونرتش Wenrich لبقراط أكثر من خمسين كتاباً (*De Auctorum Graecorum Bersionibus et commentariis* ، ص ٩٥ - ١١٤) .

ولم يكتف علماء المشرق بترجمة مؤلفات هذا الطبيب اليوناني العظيم ، ولكنهم أضافوا إليها شروحاً وتفاسير ، وفسروا خاصة كتابيه في تقدمة المعرفة والفصول ، وكتب ثابت بن قرة موجزاً لكتاب بقراط عن الماء والهواء *De Aere Aqua et Locis* ، وصنف الفيلسوف الكندي كتاب الطب البقراطي عن منهج بقراط في الطب .

وقد عرف العرب حادثاً مشهوراً في حياة هذا الطبيب اليوناني يشرفه ويعلي من قدره ، وهو أن الطاعون اجتاح بلاد أرطخشست ملك الفرس فدعا بقراط ، وكان يقيم في قوس ، لمعالجته وعرض عليه المناصب الرفيعة والمال الوافر ، ولكن بقراط أبى قائلا إنه لا يخدم أعداء بلاده وأن واجبه الأول أن يكون لأبناء وطنه .

وقال المسعودي في كتابه التنبيه والإشراف (ص ١٨٤) إنه عرف هذه الحادثة من شرح جالينوس على كتاب إيمان بقراط الذي ترجمه حنين بن إسحاق ، ويضيف إلى ذلك أن قوس هذه كانت حينذاك تحت حكم أرتكزركس ، وهو يسميه أرطخشست ويقول إنه عين بهمن بن إسفنديار ، بيد أن صاحب كتاب تاريخ الحكماء يقول إن هذا الملك هو أردشير .

ويقول مصنفو العرب إن بقراط عاش قبل الإسكندر بنحو مائة سنة ، ويذكر صاحب كتاب تاريخ الحكماء أن بقراط أقام في حمص ثم انتقل إلى دمشق وأنه كان يعلّم في غياضها بموضع لا يزال يُعرف باسم صُفّة بقراط .

ولما كان من أبناء هذا الطبيب العظيم من سموا بهذا الاسم واشتغلوا كذلك بالطب فقد التبس الأمر على مصنفي العرب فعدوا أربعة يسمى كل منهم باسم بقراط ، وجعلوا لهذا الاسم صيغة جمع ، فقالوا « البقراطيون » ، وكان ثابت بن قرة أول من ذكر عدد البقراطيين (تاريخ الحكماء) فقال : « الأول الذي من نسل أسقليبوس ، وهو المشهور المذكور ؛ وبقراط الثاني هو ابن أبرقليدس وبينه وبين الأول تسعة آباء ، وقيل إن بينه وبين أسقليبوس تسعة آباء ، وتوفي بقراط الثاني وخلف من الأولاد لصلبه ثلاثة ، وهم طاسلوس ودارقن وماناريسا ؛

وهى ابنته وكانت أبرع من بليه . ومن ولد ولده بقراط بن طاسلوس وبقراط بن دارقن[1] » .

ويقول الكتاب نفسه إن ثمانية انتهت إليهم صناعة الطب على الولاء فى العصر القديم من أسلقبيوس إلى جالينوس : ونلمح من هذا الترتيب ميل علماء المشرق ، وخاصة الصابئة ، إلى اعتبار حكماء العصور القديمة بمنزلة الأنبياء ، وفكرة تسلسل هؤلاء الأطباء العظام من نصف إله هو أسقليبيوس قريبة الشبه بتسلسل النبوة (الفهرست لابن النديم ؛ ابن أبى صيبعة ، جـ ١ ، ص ٢٤ وما بعدها) .

[كارّاده فو B. Carra De Vaux]

« البَقَرة » اسم السورة الثانية من سور القرآن » وسميت بذلك نسبة إلى القصة التى ذكرت فى الآيات من ٦٧ إلى ٧٣ عن الفداء الذى قدمه بنو إسرائيل » (سفر العدد، الإصحاح ١٩ ؛ سفر التثنية ، الإصحاح ٢١ ، الآيات ١ — ٩) .

« بَقَرْعِيد » وبالعامية بقَرة عيد : اسم يستعمل فى الهند للدلالة على عيد الأضحى (انظر مادتى « بيرام » و « عيد »)

(1) وجدنا فقرة من هذا النص فى اخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطى « طبعة القاهرة » ص ٧٠ ، وبقية النص فى كتاب الفهرست لابن النديم ، طبعة القاهرة ، ١٣٤٨ هـ ، ص ٤٠٠ وفيه تاسلوس بدلا من طاسلوس ودراقن مكان دارقن ومايا اوسيا عوضا عن ماريسا ».

اللجنة

+ « البُقْعَة » : (انظر مادة « البقاع ») .

+ « بُقْعة » أو بَقْعة : تدل فى قول علماء اللغة على إقليم متميز عما جاوره عامة ، وعلى غور بين جبلين خاصة ؛ وقد أطلقت بقعة بصفة خاصة على مكان يستنقع فيه الماء : ويظهر الاسم كثيراً علماً على مكان هو وتصغيره « بُقَيْعَة » .

[خورشيد [سوردل تومين J. Sourdel-Thomine]

« بَقْط » : هى الجزية التى كانت تؤديها بلاد النوبة ، وربما كانت كلمة مصرية قديمة معناها عبد ظهرت فى المصنفات العربية اصطلاحاً على الجزية التى كانت تؤديها النوبة المسيحية إلى حاكم مصر من قبل الخلفاء بمقتضى معاهدة رمضان عام ٣١هـ (أبريل — مايو عام ٦٥٢م) : وكانت أول أمرها ٣٦٠ عبداً ، وهو رقم وطريقة للأداء كثيراً ما نجدهما فى تحصيل الجزية فى صدر الإسلام : كما كان يقدم إلى جانب ما سلف ٤٠ عبداً إلى الوسطاء من العمال وهدايا أخرى أخصها الحيوان النادر كالفيل والزراف والفهد التى كانت من مظاهر أبهة القصور فى ذلك العهد : وذكر ابن تغرى بردى فى عهد متأخر (النجوم الزاهرة، جـ ١ ، ص٧٢٥)

أن البقط بلغ خمسمائة عبد ، ولم يكن هذا الذى تؤديه جزية بالمعنى الحقيقى ، لأن المسلمين كانوا يؤدون فى مقابلها ألف أردب من القمح ومثلها من الشعير وألف وعاء من الخمر وجوادين أصيلين ومائة كساء وعدداً من أدوات الملبس الثمينة إلى جانب الهدايا التى كانت تقدم إلى رسل النوبة ؛ وعلى هذا فقد كانت البقط صورة بدائية من صور التبادل السياسى ؛ والحق إنه قد لوحظ فى عهد الخليفة المعتصم أن هدايا المسلمين كانت أثمن من جزية النوبة ؛ وكانت تؤدى بانتظام حتى زمن الفاطميين وانقطع أداؤها باضمحلال النوبة واستيلاء المسلمين على وادى النيل الأعلى ، وإن كانت تعوزنا المعلومات الوثيقة عن هذا الموضوع .

المصادر :

(١) المقريزى : الخطط ، جـ ١ ، ص ١٩٩ وما بعدها (٢) البلاذرى : فتوح البلدان ، طبعة ده غويه ، ص ٢٢٧ (٣) Quatrmère : *Memoires sur l'Egypte* جـ٢ ، ص٤٢ وما بعدها (٤) C.H. Becker: *Papyrus studien* فى *Zeitschr. fuer Assyriol* جـ ٢٢ ، ص ١٤١ وما بعدها .

[بيكر C. H. Becker]

+ بقط ، Pactum باللاتينية ، وپكتُن باليونانية . وقد استخدمت هذه الكلمة فى العالم اليونانى المتأخر (الهلينسى) للدلالة على اتفاق يتعهد فيه الطرفان بالتزامات متبادلة وما يرتبط بذلك من أداء أموال . وكان العرب يشيرون بهذا المصطلح إلى ما يعدونه جزية تؤديها لهم النوبة المسيحية ، وقد استطاعت النوبة ، بفضل موقعها الجغرافى ، وأهلها النزاعين إلى القتال ، أن تصمد للسورة الأولى للفتح الإسلامى ، وبعد قتال مرير بقيادة عمرو بن العاص (عام ٢٠ أو ٢١ هـ = ٦٤٢ - ٦٤٣ م) الذى اضطر آخر الأمر إلى سحب جنده ، أبرم خلفه عبد الله ابن سعد بن أبى سَرْح ، عامل عثمان على مصر ، عهداً مع النوبة عام ٣١ هـ (= ٦٥٢ م) على أساس عقد ثنائى ملزم للجانبين ، مخالفاً بذلك معاهدات الصلح المألوفة التى عرفها الفقهاء ؛ واتفق الطرفان المتعاقدان على أن يمنح كل منهما الآخر حق المرور بحرية فى بلد الطرف الثانى ، وألا يكون لأحدهما الحق فى اتخاذ مقام ثابت فى بلد الآخر ؛ وألزم النوبيون أنفسهم باعادة من نزل بلدهم من المسلمين والعبيد الآبقين والذميين الذين يجب عليهم أداء ضريبة الرءوس ؛ ووافقوا فضلا عن ذلك على أن يقوموا بنفقات صيانة مسجد يشيد فى دنقلة ؛ ثم ارتبطوا أيضاً بأن يسلموا كل عام ٣٦٠ عبداً ، من أسراهم فى الحرب أصلا على الأقل ، وجرت العادة بأن يقدموا ٤٠ رأساً أخرى للعمال العرب المكلفين بتنفيذ العهد ؛ وكان المسلمون ، من جهة أخرى ، ملزمين بتسليم مقدار مساو لذلك من القمح وغيره من الحبوب والمنسوجات ؛ ولم يستطع الفقهاء المسلمون المتأخرون أن يدخلوا هذه الشروط فى إطار النظام المعمول به ، وبرزت رواية — أو على الأقل تفسير لرواية قائمة — بأن حصة المسلمين نشأت من التعويض عن العبيد الأربعين بعد إبدالهم بالخمر وغيرها من المؤن ، كما يظهر من شرح

ابن عبد الحكم (فتوح مصر ، طبعة تورى C. C. Torrey ، ص ١٨٩) ؛ ويسمى هذا الوضع السياسى بصيغة أخرى هدنة ؛ ويرى مالك بن أنس أنه صلح شرعى ، إلا أن معظم أقرانه يرون أنه ليس إلا معاهدة عدم اعتداء وأن المسلمين لم يكونوا ملزمين بالدفاع عن النوبة ضد أى طرف ثالث . وأيد الولاة المتعاقبون هذا العهد،ويتحدث الطبرى فى ذلك بصفة خاصة عن عمر بن عبد العزيز (التاريخ ، ٢ ، ٥ ، ص ٢٥٩٣) ؛ ويبدو أن النوبيين واظبوا على الوفاء بنصيبهم من بعد ، بسبب نقص أسرى الحرب على الأرجح ، وترتب على هذا أنهم اضطروا إلى أن يستبدلوا بالعدد المطلوب من العبيد عدداً من أهل بلادهم . ولعل الحيوانات المطلوبة لحدائق الحيوان أو للتجارب الطبية والتى شملتها حصتهم فى أزمنة متأخرة قد سدت مثل هذا العجز ؛ وفى عهدى المهدى والمعتصم نسمع عن تعديلات ثالية ؛ وفى عهد المعتصم ، عند ما كانت النوبة توشك أن تخالف العهد ، وجد أن الجزية التى كان النوبيون يؤدونها قد انخفضت إلى أقل مما كان يؤديه العرب ؛ ويتبين عجز العرب عن حشد القوة اللازمة لتغيير هذا العهد تغييراً جذرياً من انتهاجهم أسلوباً يتسم باللين ، يسمح للنوبيين بدفع الحصة المشترطة كل ثلاث سنوات فقط ، على أن المطالبة بسحب الحامية الموجودة فى القصر على الأرض النوبية لم يستجب لها ، فقد كان هذا هو المكان الذى تسلم فيه الحصص ، ولم يتم إخضاع النوبة نهائياً إلا فى عهد بيبرس البندقدارى سنة ٦٧٤ هـ (١٢٧٦ م) ، وأصبح جزء منها يخضع لحكم المسلمين ، واحتفظ الأمراء الوطنيون الصغار فى الوقت نفسه بحرية بتفاوت مقدارها ؛ وانتشر الإسلام بعد ذلك بسرعة ؛ وليس من شك فى أن كلمة «بقط» اندثرت بسبب عدم الاستعمال بعد أن فقدت معناها فى ظل الظروف التى تغيرت .

المصادر :

(١) المقريزى : الخطط ، بولاق سنة ١٢٧٠ هـ ، جـ ١ ، ص ١٩٩ وما بعدها ؛ القاهرة سنة ١٣٢٤ هـ ، جـ ١ ، ص ٣٢٢ وما بعدها (٢) البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٢٣٦ وما بعدها (٣) E. M. Quatremère : *Mémoires géographiques et historiques sur l'Egypte* ، جـ٢ ، ص ٤٢ وما بعدها (٤) C.H. Becker : *Zeitschrift fuer Assyriologie*،جـ٢٢،ص ١٤١ وما بعدها (٥) Pauly-Wissowa ، الطبعةالجديدة ، سنة ١٩٤٢ ، انظر مادة Pactum .

آدم [ف . لكيگارد F. Lokkegaard]

«بُقْطُر» واسمه الكامل إلياس بُقْطُر : لغوى عربى ولد من أبوين نصرانيين فى الثانى عشر من أبريل عام ١٧٨٤ م بمدينة أسيوط ، واشتغل ترجماناً فى الجيش الفرنسى إبان حملة نابليون ، وصحب هذا الجيش فى عودته إلى فرنسا، وعين أستاذاً للغة العربية الحديثة بمكتبة ده روى

Bibliothèque du Roy عام ١٨١٨ ، وتوفى فى السادس والعشرين من سبتمبر عام ١٨٢١ م .

وقد صنف بقطر معجماً فرنسياً عربياً نشره كوسّان ده پرسيڤال Caussin de Perçeval فى مجلدين بپاريس ، سنة ١٨٢٧ — ١٨٢٩ ، وطبع طبعة ثانية عام ١٨٤٨ .

المصادر :

(١) *Biographie Universelle* ، جـ ٥٨ ، الملحق ، ص ٤٠٨ (٢) *Nouvelle Biographie Universelle* ، جـ ٦ ، ص ٣١٤ (٣) Brockelmann : *Gesch d. arab. Litt.* ، جـ ٢ ، ص ٤٧٩ .

« البَقّارَة » : قبائل عربية فى السودان الشرق ، ونعنى بها البدو او شبه البدو من العرب أو المستعربين الذين يرعون البقر فى السودان الشرق ، وقد سموا بهذا الاسم تمييزاً لهم عن الأبّالة أى قبائل العرب التى تعيش فى هذه البلاد وترعى الإبل . غير أن هذا التمييز لا يعتبر تمييزاً مطلقاً لأن بعض البقارة يرعون الإبل أيضاً . ويلوح أن رعى الماشية يبدأ فى جنوب حدود المنطقة المعتدلة الحارة . ولكثير من قبائل البقارة كالرزيقات أقارب فى الشمال يعرفون أيضاً بالبقارة ويرعون الإبل . وعلى هذا فإن تربية الماشية تعتمد أيضاً على حالة المناخ . وقد أخذ العرب يتدربون على تربية الماشية تدريجاً إبان توغلهم شيئاً فشيئاً ناحية الجنوب . فلم يكونوا يجلبون الماشية إلى هذا الإقليم مع أنهم جميعاً يزعمون أنهم أتوا من اليمن حيث كانت تربيتها شائعة . وأنعام البقارة من ذوات السنام التى نجدها فى أواسط إفريقية :

ولا يطلق اسم البقارة إلا على القبائل العربية التى ترعى الماشية فى ودائى (واداى) ودارفور وكردفان . ولا يُسمى به العرب الشوه فى برنو ، وهم أيضاً يرعون الماشية .

ورواية ناشتيگال Nachtigal هى أوثق الروايات التى عندنا عن قبائل البقارة العديدة . فقد أحصى أهم من يعيش منها فى واداى وهى : سلامات ، ومِسَّريجة ، وأولاد راشد ، ودشعادنة ، وشنزَام ، وشرفا ، وهَيْمات ، ودكِنه ، وشقبرات ، وتُرْدشم ، وكومات ، وبنو حسن ، وزَبَلْت ، ومهادى ، وزناتيت ، ومدشانين ، وكروبات ، وإسرةً . وقد جمع ناشتيگال أيضاً معلومات قيمة عن صلاتهم ومساكنهم ونظامهم فى مملكة واداى ، وعاداتهم ، ويعود الفضل أيضاً إلى هذا الرحالة فى جميع ما نعرفه عن البقارة بين واداى ونهر النيل ، وأهم قبائل هذا الإقليم هى الرزيقات التى تتفرع منها المَهَرية والحاميد والنوائبة وبطنان مهمان من قبيلة هيات هما : التعايشة والهبانيجة . كما يتفرع منها التُردشم وبنوهَلْبة والثعالبة والبدريجة ، وينسب إليهم كذلك قبيلة حُمُر الوضيعة التى تذكر عادة فى المصورات الجغرافية باسم بقارة الحَمْر ، ومن السهل البرهنة على أن هذه القبائل التى ذكرناها من أصل واحد كما يظن أن القبائل الأخرى ترجع أيضاً إلى أصل واحد . وقد وضع

كامفماير Kampffmeyer شجرة نسبهم وبدأها باسم جهينة . ويمكننا أن نتتبع مراحل هجرة الجهينين تدريجاً من مصر إلى السودان ، إذ نجد آثارهم فى بلاد النوبة منذ بداية القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) كما نجدهم بعد ذلك يعملون على تأسيس دويلات صغيرة فى السودان ، ثم نراهم فى العصور المتأخرة يتصلون بالنخاسين . ولما أسس المهدى مملكته فى الخرطوم كان البقارة يسكنون مواضع متعددة ، وقد أصبحوا عنصراً هاماً فى السودان ، وشاهد ذلك أن رجلا منهم وهو عبد الله — الذى أصبح بعد الخليفة عبد الله التعايشى — كان اليد اليمنى للمهدى . ولكنهم تناقصوا كثيراً بسبب الحروب المتعاقبة والفتح الإنكليزى المصرى للسودان .

ويصف شوينفورث Schweinfurth بنيتهم بأنها جميلة سمراء كالشبه (البرونز) وأنهم مفتولو العضل وتقاسيمهم تامة التناسب وعارضهم قائم الزاوية تماماً ، وليس الفرد منهم أقنى الأنف ولكنه مستديره فى جمال . وهذه التقاطيع تكسب شبانهم رقة كرقة النساء يضاعفها انتظام استدارة الحاجب . وهم يضفرون شعورهم الطويلة فى ضفائر رفيعة تتهدل من قمة الرأس على القفا ، وينطبق وصف شوينفورث هذا على قبيلة الرزيقات ، ونظراً لاختلاط هذه القبائل كلها بالدم الزنجى فهى تميل إما إلى الشكل الحامى السامى وإما إلى الشكل الزنجى .

المصادر :

(١) J. Nachtigal : Sahara und Sudan ، ليبسك سنة ١٨٨٩ م ، ج ٣ ، ص ٢٠٦ وما بعدها ، ص ٥٣ وما بعدها

(٢) J. Schweinfurth : Im Herzen von Afrika ، ليبسك سنة ١٨٧٨ م ، ص ٤١٩

(٣) Kampffmeyer : Materialien zum Studium der arabischen Beduinendialekte Inner Afrikas فى Mitt. Sem. f. Orient Sprachen ، برلين سنة ١٨٩٩ ، ج [illegible] ، ص ١٤٣ وما بعدها ، ص ١٧٠

(٤) C.H. Becker : Zur Geschichte des Ostlichen Sudan (Der Islam ، ج ١ ، سنة ١٩١٠ م ، ص ١٥٥ وما بعدها

(٥) Slatin Pasha : Fire and Sword in the Sudan ، سنة ١٨٩٦ م .

[بيكر C.H. Becker]

+ البَقّارة : بدو فى السودان يتحدثون باللغة العربية ، ويقيمون فى الأراضى الممتدة من بحيرة تشاد إلى النيل الأبيض بين خطى عرض ٩° و ١٣° شمالا ؛ وهم يعتمدون فى معاشهم على رعى البقر ومن ثم اسمهم ، ويقضون فصل الجفاف فى الأراضى النهرية الجنوبية ، وينتقلون شمالا إلى الأراضى المعشبة الموسمية عند سقوط الأمطار — وتُحصَد الحبوب التى تُزرع فى هذه الرحلة عند العودة . وأصول البقارة يكتنفها الغموض ، وتبين سلاسل الأنساب تجمعات قائمة أكثر مما تقدم دليلا على الأصل . والراجح أنهم يرتبطون ببنى جُهَيْنه الذين غزوا النوبة قادمين من مصر فى القرن الرابع عشر ، والظاهر أن جماعات بدوية

زحفت من النيل فى القرن السابع عشر إلى الأراضى الواقعة بين ودّاى وبحيرة تشاد . ولعل الاندماج بعناصر أخرى من شمالى إفريقية قد أدى إلى قيام رواية تتردد بين بعض البقارة بأنهم ينحدرون من بنى هلال . وحدث أن تحولوا إلى تربية الماشية عند تغلغلهم جنوباً إلى مناطق لاتصلح لتربية الجمال . وثمة جماعات اندفعت شرقاً ، إلى الجنوب من المناطق المزروعة فى ودّاى ودارفور وكردفان (التى كانت تخضع لحكم أسر اعتنقت الإسلام) فأقامت إسفنا عربياً بين هذه السلطنات والقبائل الوثنية التى تراجعت نحو الجنوب . وكان البقارة أتباعاً مرغمين لهذه السلطنات يؤدون لها الجزية ويهاجرون عندما تسنح لهم فرصة يتحررون فيها من سلطان سادتهم . وقد أثرت غارات النخّاسين على الوثنيين فى الجنوب وماتلا ذلك من تزاوج بينهم، فى الصفات الجسمانية للبقارة . وكانت قبائل الرزيقات البقارة القوية أثناء القرنين الثامن عشر والتاسع عشر تخضع لسادة دارفور . وأدى نزاعهم مع النخاس السودانى الزبير رحمة منصور إلى الفتح المصرى لدارفور عام ١٨٤٧ . وساعد البقارة محمد أحمد المهدى (انظر هذه المادة) على الإطاحة بالحكم المصرى ، بيد أنهم أثبتوا أنهم متمردون على حكومة المهدى ولجأ الخليفة عبد الله ابن محمد (انظر هذه المادة) ، وهو نفسه من قبيلة التعايشة البقارية ، إلى استخدام البقارة جندا له . واختار من بينهم كبار معاونيه . وفى عام ١٨٨٨ — ١٨٨٩ أجبر عبدُ الله البقارةَ فى دارفور على الهجرة إلى أم درمان والمنطقة المجاورة لها لتدعيم سلطانه أمام أولاد البلد (انظر هذه المادة) ولوضعهم تحت نظره المباشر . وأدت الهجرة وخسائر البقارة فى القتال ووفياتهم بسبب الأوبئة إلى إضعاف شوكتهم . وعاد الكثيرون أثناء إعادة فتح السودان (١٨٩٦— ١٨٩٨) إلى مواطنهم وهم قبائل ممزقة . ولم يسببوا للدولة الحكم الثنائى (١٨٨٩—١٩٥٥) إلا القليل من المتاعب ، وشهد هذا الحكم استقرار البقارة التدريجى ودخولهم فى النظام الإدارى .

المصادر :

(١) G. Nachtigal: *Sahara und Sudan*، ليبسك سنة ١٨٩٩ ، جـ ٣ ، ص ٢٠٦ وما بعدها ، ص ٤٥٣ وما بعدها (٢) R. C. Slatin : *Fire and Sword* ■ *the Sudan* ، لندن سنة ١٨٩٦ ، ص ٤٥ وما بعدها (٣) H. A. Mac Michael : *The Tribes of Northern and Central Kordofan* ، كمبردج سنة ١٩١٢ ، ص ١٤٠ — ١٥٥ (٤) *A History of the Arabs in the Sudan* ، كمبردج سنة ١٩٢٢ ، جـ ١ ، ص ٢٧١ — ٣٠٦ (انظر أيضاً الفهرس) (٥) مقالات فى *Sudan Notes and Records* ، الخرطوم سنة ١٩١٨ تشمل K. D. Henderson : *A Note on the Migration of* ■ *Messiria Tribe into South West Kordofan* فى *SNR* سنة ١٩٣٩ ، جـ ٢٢/١ ، ص ٤٩ — ٧٧ و I. Cunnison : *The Humr and the Land* ، فى *SNR* ، سنة ١٩٥٤ ، جـ ٣٥/ ■ ، ص ٥٠ — ٦٨ .

[P. M. Holt ب.م. هولت] لم أم]

+ « بَقّال » : كلمة مشتقة معناها « بائع خضر بالتجزئة » ، وقد أصبحت هذه الكلمة مرادفة لكلمة grocer («بدّال») الإنكليزية بمعناها الواسع؛ وانتقلت بهذا المعنى الأخير إلى اللغتين الفارسية والتركية ، ثم انتقلت من التركية إلى اللغات البلقانية ؛

وعرفت الكلمة بمعناها الاشتقاقى فى اللغة الأندلسية لبلنسية أثناء القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) ، وفسرت بأنها ترادف مصطلح Olerum Venditor بيد أنها تقابل فى لهجة غرناطة (نهاية القرن التاسع الهجرى=الخامس عشر الميلادى) الكلمة القشتالية regaton « بائع مأكولات بالتجزئة بصفة عامة» وقد ترجمت هذه الكلمة أيضا بكلمة« خَضّار»؛

وكان البقال فى المدن المراكشية فى مستهل القرن العشرين هو أساسا بائع دهون بالتجزئة : زيت ومسلى ولحم محفوظ فى الدهن ، وكان يبيع علاوة على ذلك عسل نحل وصابونا طرياً وزيتوناً محفوظاً فى عصير الليمون وشاياً وسكراً وشموعاً ؛

ومن المشكوك فيه أن يدوم هذا التوسع فى استعمال كلمة بقال طويلا ؛ وكان البدال (بالمعنى الأخير) ، قبل القرن العشرين وفى كل مكان تقريباً ، يسمى باسم المادة الغذائية الأساسية التى يبيعها (مع خضروات أو بدونها) أو باسم بعض الأساليب التى يستخدمها فى تجارته ؛

ففى الجزائر السكاكرى « بائع السكر » ؛ وفى تونس « العطّار» (انظر هذه المادة) ومعناها حرفياً « بائع العطور» ، وبالنسبة للقاهرة فى النصف الأول من القرن التاسع عشر فإن إ. و. لين E.W. Lane لم يعرف سوى « الزَيّات» أى « بائع الزيت والزبد والجبن وعسل النحل إلخ» . وكان المصطلح المألوف فى سورية هو السمّان أى « بائع السَّمْن » ؛

وفى غير هذه الأماكن كان البدّال فى المدن (بالمعنى الأخير) يعد فى الغالب « صاحب الحانوت» أى «البائع» أساساً ؛ وكان لقبا « بقّال » و « خضّار» فى غرناطة يرادفان لقب« سوقى » ، وكان للمؤنث « سوقية » مرادف عربى هو « خضّارة » ، ومرادف بلغة أهالى قشتالة هو : هاڤاثيراً havacera أى « بائعة البقول » ؛ واعتاد السوقى فى الأيام السابقة بقسنطينة وتونس أن يبيع الزيت والسمن وعسل البلح والزيتون المخلَّل إلخ ؛

ولما كان البدال يعد « صاحب الحانوت» الأمثل فقد أطلق عليه أيضاً اسم « حوانيى» (بصيغ مختلفة) بين سكان الريف فى الجزائر وقسنطينة ؛ وقد استعمل المشرق بين الحين والحين كلمتى « دكاكينى» و « دُكّانجى» .

وفى الأندلس اسمه ال « مَعَالج» بمعنى « بائع فاكهة وخضر بالتجزئة » ويجب تصحيح ترجمة دوزى Dozy فى كتابه *Supplément* الخاصة بهذا الموضوع؛

« يسمى بائع الخضراوات بالتجزئة بحسب البلد: خَضّاراً أو خُضَرِياً أو خَضَارياً » ويبيع العطار بصفة عامة التوابل إلى جانب العطور والعقاقير ، وتشمل تجارته أيضاً أصنافاً صغيرة من الأدوات الكتابية والخرداوات والمصنوعات المعدنية . وكثيراً ما يطلق اسم بقّال » لأسباب عديدة » على أناس ينحدرون

من سلالة واحدة . ويكاد البقال فى مدن مراكش (ماعدا تطوان إلى عهد قريب) يكون وقفاً على بربر (شلوح) السوس من قبيلة أملن . ويتمتع سكان مزاب بالاحتكار نفسه القائم على الأمر الواقع : أما فى الشرق فإن البقال الحديث يونانى فى كثير من الأحيان .

المصادر :

(١) W. Marçais: *Textes arabes de Tanger* ، ص ٢٣٣ (٢) Dozy : *Suppl.* ، المواد الواردة فى صلب المادة .

آدم [ج.س . كولان G.S. Colin]

«بقّم» : وهو خشب ذولون يأتى من الهند من شجر اسمه العلمى Caesalpinia sappan ومطبوخه يستعمل للصبغ باللون الأحمر ، ويستعمل كذلك فى العلاج قاطعاً للنزف ومخففاً للقروح ويخرج من جذوره سم زعاف ذكره الأعشى فى شعره : يخطىء المعاجم فى القول بأن البقّم هو عين العندم ، وإنما المقصود بالعندم هو دم الأخوين ، وهو راتينج .

وكلمة بقم أعجمية معربة (لسان العرب ، جـ ١٤ ، ص ٣١٨ : تاج العروس ، جـ ٨ ، ص ص ٢٠٤) .

[إيوار Cl. Huart]

+ بقّم : (عربية) : خشب البقّم وهو خشب صباغ هندى يحصل عليه من شجر العلمى Caesalpinia Sappan L. ويقول الدينورى إن الكلمة تردد كثيراً فى الشعر العربى القديم على الرغم من أن الشجرة المشار إليها (اقرأ فى طبعة لوين Lewin كلمة «خشب شجر» بدلا من «شجر» وذلك حسب الشواهد الواردة بعد) لاتوجد فى الجزيرة العربية . وموطنها الأصلى الهند وبلاد الزنج وجذعها وفروعها حمراء ، وتستخدم صباغاً بعد تحضيرها بالغلى .

ويقال إن الكلمة مشتقة من كلمة پتّنگه Pattanga السنسكريتية ، والراجح أنها دخلت اللغة العربية عن طريق اللغة الفارسية . واعترف بأصلها الأجنبى علماء اللغة العرب الذين استندوا فى رأيهم إلى القول بأن التصريف المشار إليه لم يثبت بطريقة أخرى فى اللغة ، ويشيرون بصفة عامة إلى كلمة عربية مرادفة لها هى «عَنْدَم» التى تدل على دم الأخوين . وهو صبغ أحمر يسيل من بعض الأشجار . ويمكن أن يعزى هذا التحقيق المخطىء إلى أن البقّم والعندم كانا على السواء يستخدمان صباغاً أحمر .

ويشير الصيدلانية المسلمون إلى عدة وصفات طبية لخشب البقّم . فهو يعمل على اندمال الجروح ويخفف القروح ويقطع النزف ، وعصيره يجعل البشرة غضة ويبقى لونها . أما الجذر فإنه ينتج سماً زعافاً سريع المفعول .

المصادر :

(١) أبو حنيفة الدينورى : *The Book of Plants* ، طبعة Lewin ، تعليق رقم ٨٠ ، ص ٢٣ (٢) داود

الأنطاكى : تذكرة ، القاهرة سنة ١٣٢٤ ، جـ ١ ، ص ٧٤ (٣) الغافقى : ميرهوف وصبحى (Meyerhof-Sobhy) ، تعليق رقم ١٢٣ (٤) ابن البيطار : الجامع ، بولاق سنة ١٢٩١م ، جـ١ ، ص ١٠٣ (٥) ابن سيدة : المخصص ، جـ ١١ ، ص ٢١٢ (٦) Low : Aram. Pflanzennamen ، انظر الفهرس (٧) الكاتب نفسه : Die Flora der Juden جـ ٣ ، ص ١٢٨ وما بعدها (٨) الكاتب نفسه : Z.S.I. (١٩٢٢) ، ص ١٤٥ وما بعدها (٩) تحفة الأحباب (رينو وكولان Renaud-Colin)، ص ١٣٩ وما بعدها .

[L. Kopf ادم ل. كوپف]

« البَقْلِيَّة » : فرقة من فرق القرامطة ظهرت فى سواد واسط عام ٢٩٥هـ (٩٠٨م) بزعامة رجل يدعى أباحاتم . ويقال إنه حرّم على أتباعه أكل الثوم والكراث واللفت ، ومع ذلك أوصاهم بأن يقتصروا فى طعامهم على البقول ، ونهاهم عن ذبح الحيوان . ولعل ذلك هو سبب تسميتهم «البَقْلِيَّة». ومنع أبوحاتم الشعائر الدينية واستبدل بها فرائض أخرى لانعرفها على وجه التحديد .

وتحالف البقلية مع جيرانهم من البدو بقيادة مسعود بن حُرَيْث وغيره وبدءوا أعمال السلب والنهب، فأنفذ الخليفة إليهم جيشاً يقوده هارون بن غريب فشتت شملهم وذبح أعداداً منهم عام ٣١٦هـ (٩٢٨م) .

المصادر :

(١) المسعودى : التنبيه والإشراف ، طبعة دهغويه ، ص ٣٩١ (٢) عريب ، طبعة دهغويه ص ١٣٧ (٣) ابن الأثير ، طبعة تورنبرغ ، جـ ٨ ، ص ١٣٦ (٤) De Sacy : Exposé de la Religion des Druzes ، المقدمة ص٢١٠ (٥) Friedlander فى Jour. of the American Or. Soc. ، جـ ٢٩ ، ص ١١٠ وما بعدها .

+ « البَقْلِيَّة » : اسم يطلق على جماعة من المسلمين المنشقين فى سواد العراق الأدنى ممن اتصل حبلهم بالقرامطة . ويقال إن رجلا يدعى أبا حاتم ، عاش حوالى عام ٢٩٥هـ (٩٠٧ — ٩٠٨م) قد حرّم عليهم أكل الثوم والكرات واللفت وكذلك ذبح الحيوانات وأنه ألغى العبادات . وقام البقلية بفتنة فى منطقة الكوفة وواسط بقيادة عدة زعماء ، نخص منهم بالذكر مسعود بن حُرَيْث وعيسى ابن موسى ، ابن أخى عَبْدان فى عهد الحملة التى شنها أبوطاهر على الفرات عام ٣١٦هـ (٩٢٨-٩٢٩م) . وكانت أعلامهم البيضاء تحمل آيات قرآنية تدعو إلى تحرير بنى إسرائيل من ظلم فرعون . وأحرز البقلية عدة انتصارات فى مبدأ الأمر ثم أخمد هرون بن غريب قائد المقتدر فتنتهم . ومن الواضح أنهم كانوا يسمون أيضاً البُورانية .

المصادر :

(١) المسعودى : التنبيه والإشراف ، ص ٣٩١ (٢) عريب القرطبى : ذيل القرطبى ، طبعة دهغويه ، ليدن سنة ١٨٩٧ ، ص ١٣٧ (٣) ابن الأثير ،

٨هـ ، ص ١٣٦ (٤) النويرى ، فى كتاب Exposé de la religion des : Silvestre de Sacy Druzes ، باريس سنة ١٨٣٨ ، مجلد ١ ، المقدمة ص ٢١٠(٥) I. Friedlaender : Heterodoxies of the Shiites ، فى Journal of the American Oriental Society ، ج ٢٩ ، ص ١١٠ — ١١ (مشيراً إلى مقالة ابن حزم عن رجل يدعى بتوّارى) (٦) M. J. de Goeje : Mémoire sur les Carmathes de Bahrain et les Fatimides ، ليدن سنة ١٨٨٦ ، ص ٩٩ — ١٠٠ .

[م.ج.س.هود كسون M.G.S. Hodgson]

« البُقوم » والمفرد « البقمى » : قبيلة فى غربى الجزيرة العربية يؤثر أنها انحدرت من الأزْد . وتعد البقوم قبيلة حجازية ، ومع ذلك فإنها تتجول فى الإقليم القائم شرقى الطائف وفى جوار حقول الحمم البركانية لحرّة حَضَنْ وحرة البقوم حيث لم تحدد التخوم بين الحجاز ونجد تحديداً واضحاً . ويقدر عدد أفراد القبيلة بما يقرب من عشرة آلاف نفس . والبدو أقل من نصفهم ، وظلت غالبية من البقوم عدة قرون على الأقل تشتغل فى زراعة الواحة فى ناحية وادى تُرَبَة (ويقال تَرَبَة أيضاً) وتركز السكان أساساً فى بلدة تربة الواقعة على خط عرض ٢١° ١٤ َ شمالا وخط طول ٤١° ٣٧ َ شرقاً .

وكان البقوم أثناء الفترة الأولى للتوسع الوهابى أنصار الشريف غالب فى حروبه التى شنها على نجد . وأخذ البقوم منذ سنة ١٢٢٨هـ (١٨١٣م) يدافعون عن أرضهم من هجمات جنود محمد على والى مصر من قبل العثمانيين ، وفى هذه الحملة أبلت امرأة تدعى غالية بلاء حسناً . وسلم البقوم آخر الأمر واحتلت تربة سنة ١٢٣٠ = (١٨١٥م) : وفى السنوات الأولى من القرن الحالى توزع ولاء البقوم بين عبد العزيز آل سعود والشريف حسين . فانتصر الحاميد للشريف حسين وقاتل آل وازع مع ابن السعود . وسلم الحاميد لابن السعود بعد انتصاره فى تربة سنة ١٣٣٧هـ (١٩١٩م) واشتركت بطون من البقوم فى الحملات السعودية التى شنت من بعد فى الغرب .

وكان شيخ الحامد سنة ١٩٥٩ هو حسين بن محيى . على حين كان محمد بن غنّام شيخ آل وازع .

المصادر :

(١) H. St. J. Philby : Arabian Highlands إيثاكا سنة ١٩٥٢ (٢) J. L. Burckhardt : Notes on the Bedouins and Wahabys ، لندن سنة ١٨٣١ (٣) M.v.Oppenheim, W. Caskel : Die Beduinen ، ج ٣ . ڤيسبادن سنة ١٩٥٢ (٤) عمر رضا كحالة : معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، دمشق سنة ١٩٤٩ (٥) أحمد زينى دحلان : خلاصة الكلام ، القاهرة سنة ١٨٨٧ (٦) حسين بن غنّام : روضة الأفكار والأفهام ، بومباى من غير تاريخ

خورشيد [ڤيدال F.S. Vidal]

+ « البُقَيْعَة » : تدل خاصة على سهل صغير شمالى البقاع (انظر مادة « بقْعة ») وجنوبى شرق جبل أنصارية . ارتفاعه فى المتوسط ٢٥٠

متراً . ويمتاز هذا السهل بوفرة العيون التي كانت السبب في نشأة النهر الكبير .

وكانت البقيعة تعرف في الحروب الصليبية باسم بوكيه Boquée وكان يهيمن عليها حصن الأكراد (انظر هذه المادة) الذي لاتزال أطلاله تشرف عليها إلى الآن (انظر W.van Berchem : *Voyage en Syrie* ، القاهرة سنة ١٩١٤—١٩١٥ ؛ ص ٤٢ ؛ R. Dussaud : *Topographie historique de la Syrie* ، باريس سنة ١٩٢٣ ، ص ١٩٢ ؛ J. Weulersse : *Les pays des Alaouites* ، تور سنة ١٩٤٠ ، الفهرس ، مادة Bouqaia) .

ويوجد اسم البقيعة أيضاً في شرقي الأردن ، حيث يدل على سهل داخلي صغير إلى الشمال من هضبة البلقاء في جوار صُوَيْلِح (انظر F.M. Abel : *Géographie de la Palestine* ، جـ ١ ، باريس سنة ١٩٣٣ ، ص ٩١) ؛

[J. Sourdel-Thomine جورنيد [سوردل—تومين

« بَقِيع الغَرْقَد » : ويقال أيضاً البَقِيع فحسب : مقبرة المدينة ، وهذا الاسم يدل على أرض كانت في الأصل مغطاه بنوع من شجر التوت مرتفع ، ولبقيع نظائر في المدينة . وكان هذا المكان وما يزال في أقصاها من الناحية الجنوبية الشرقية خارج سورها الحديث الذي ينفتح فيه باب يعرف باب البقيع ويؤدي إلى المقبرة (انظر خريطة المدينة الموجودة في Caetani : *Annali* ، جـ ٢ ، ١ ص ٧٣) ؛

وأول من دفن بالبقيع هو الزاهد عثمان ابن مظعون صاحب النبي ، ودفن به أيضاً بنات النبي وولده الصغير إبراهيم وزوجاته . وبمرور الزمن أصبح مما يشرف المرء أن يرقد رقدته الأخيرة في هذه البقعة بين آل محمد والأئمة والأولياء . وأقام أحفاد أكابر من دفن في هذه المقبرة شواهد وقباباً على قبور ذويهم ، مثل قبة ضريح الحسن ابن علي التي يقول ابن جبير إنها بلغت من الارتفاع مبلغاً كبيراً .

وزار بوركهارت Burckhardt هذا المكان بعد غزوة الوهابيين فوجد أنه أصبح أتعس المقابر حالا في المشرق . والبقيع من مزارات المدينة التي يؤمها الحجاج ، شأنه في ذلك شأن قبر حمزة في أُحُد ، وقباء .

المصادر :

(١) ابن جبير ، طبعة ده غويه ، ص ١٩٥ وما بعدها (٢) Burckhardt : *Travels* ، لندن سنة ١٨٢٩ ، جـ ٢ ، ص ٢٢٢ — ٢٢٦ (٣) Burton : *Pilgrimage to Al-Medinah and Meccah* ، لندن سنة ١٨٥٧ م ، جـ ٢ ، ص ٣١ وما بعدها (٤) Wuestenfeld : *Geschichte der Stadt Medina* ، كوتنگن سنة ١٨٦٠ ، ص ١٤٠ ومابعدها ؛

[A. J. Wensinck فنسنك]

+ بقيع الغرقد (ويقال له أيضاً «جنّة البقيع» و« البقيع » فحسب) : أول وأقدم مقبرة إسلامية في المدينة ، ويدل الاسم على حقل كان في الأصل مغطى بنوع من العوسج يعرف بالغرقد ، وكان لهذا الحقل نظائر في المدينة ، ويقوم هذا المكان في الطرف الجنوبي الشرقي للمدينة على مسافة قصيرة

من قبر النبي (ص) داخل أسوار المدينة التي تهدمت الآن، وينفتح على باب يعرف بباب البقيع يؤدي إلى المقبرة (انظر خريطة المدينة في Caetani : *Annali*، جـ ٢، ص ١٧٣) . وكان أول من دفن بالبقيع من المهاجرين عثمان بن مظعون صاحب النبي الذي توفي في السنة الخامسة للهجرة (٦٢٦ — ٦٢٧م) . وقد أزيل العوسج وخصص المكان ليكون مقبرة في المستقبل لمن يتوفاهم الله من المسلمين في المدينة . وقد دفنت به أيضاً بنات النبي، وابنه الصغير إبراهيم، وزوجاته « أمهات المؤمنين» وآله فيما عدا الحسين . على أن المكان الذي دفنت به فاطمة الزهراء (انظر هذه المادة) موضع خلاف . ومن الأعلام الآخرين الذين دفنوا ببقيع الغرقد عثمان بن عفان ، ومالك ابن أنس (انظر هاتين المادتين) وشيخه نافع ، وحليمة السعدية مرضعة النبي ، والعباس عمه ؛ وبمرور الزمن أصبح من آيات التشريف أن تثوى عظام المسلم بين آل البيت (انظر هذه المادة) والأئمة والأولياء . وكان لقبور مشاهير المتوفين قباب كبيرة أقيمت فوقها ، وقد ارتفعت قبتا قبري الحسن بن علي والعباس مثلا ارتفاعاً كبيراً كما خبرنا ابن جبير . ولما زار بورخارت المكان بعد الفتح الوهابي وجد أن هذه المقبرة أتعس المقابر في الشرق ؛ وأصبحت البقاع ، الضاحية المدينية ، من الأماكن المقدسة التي يعد الحجاج إلى المدينة زيارتها عملا من أعمال التقى شأنها في ذلك شأن قبر حمزة بأحُد والمسجد الأول في الإسلام بقُباء ؛

وكانت البقيع في حياة النبي مكاناً صغيراً جداً ، ولم يكن قبر عثمان بن عفان وحليمة السعدية داخلين في نطاقه . وقد دفن عثمان بن عفان أول الأمر في حَشّ كوكب ثم أدخله الأمويون بعد ذلك بوقت طويل في البقيع ، بل إن الحبر الذي دفن فيه بعض الذين قتلوا أثناء احتلال الأمويين للمدينة كان خارج حدود البقيع الحالية . وقد أصلح السلطان عبد الحميد الثاني (انظر هذه المادة) سلطان تركية القباب والأضرحة التي كان الوهابيون الأولون قد هدموها سنة ١٢٢١ هـ (١٨٠٦ م) ثم قدر لها أن تدمر مرة أخرى سنة ١٩٢٦ على يد عبد العزيز آل سعود . وقد أثار فعل الملك السعودي هياجاً خطيراً في الهند ، وأرسل وفد إلى مكة ليقدم احتجاجاً شديداً . على أن الملك لم يستجب لذلك ولا زالت المقابر لحودا تقوم عليها شواهد ضئيلة ليس عليها أي نقش أو تحلية ؛ وقد زارها رتر Rutter سنة ١٩٢٦ بعد الغزو الوهابي الثاني ، وقال إنها أشبه بأطلال مدينة دمرها زلزال . وفي سنة ١٩٥٤ أقيمت بناء على أمر الملك سعود بن عبد العزيز طرق من الأسمنت في جميع أنحاء المقبرة لاستعمال الزائرين وراحتهم .

المصادر :

(١) نور الدين علي السمهودي : وفاء الوفاء، القاهرة سنة ١٣٢٦ هـ = ١٩٠٨م، ص ٧٨ — ١٠٤ (Wuestenfeld : *Geschichte der Stadt Medina*، كوتنكن سنة ١٨٦٠ ، ص ١٤٠ وما بعدها)

(٢) عبد الحق محدّث دهلوي : جذب القلوب إلى ديار المحبوب، كونپور سنة ١٣١١هـ = ١٨٩٣ ،

ص ١٤٩–١٧٣ (٣) R.F. Burton : Pilgrimage to el-Medinah and Meccah ، لندن سنة ١٨٥٥ ، ج٢ ، ص ٣٠٠ — ٣٢٠ (٤) ابن جبير : طبعة ده غويه ، ص ١٩٥ وما بعدها (٥) Burchardt : Travels in Arabia ، لندن سنة ١٨٢٩ ، ج ٢ ، ص ٢٢٢–٢٢٦ (٦) J. A. Wensinck : Mohammed en de Jorden te Medina ، ليدن سنة ١٩٠٨ ، ص ١٥ (٧) ابن النجار : أخبار مدينة الرسول ، مكة سنة ١٣٦٦ هـ = ١٩٤٧ م ص ١٢٧ — ١٣٠ (٨) أحمد ابن عبد الحميد العباسي : عمدة الأخبار في مدينة المختار ، الطبعة الثالثة ، دمشق سنة ١٣٧١ هـ = ١٩٥١م ، ص٩٣–١٠٢ (٩) E. Rutter : The Holy Cities of Arabia ، نيويورك سنة١٩٢٨ ، ج٢ ، ص ٢٥٦ وما بعدها (١٠) لبيب البتانوني : الرحلة الحجازية ، القاهرة سنة١٣٢٩هـ ، ص٢٥٦–٢٥٧ (١١) عبدالسلام ندوي : تاريخ الحرمين الشريفين (بالأردية) ، بندي بهاء الدين سنة ١٣٤٢هـ = ١٩٢٣ : ص٢٠٩ - ٢١٨ (١٢) يوسف عبدالرزاق : معالم دار الهجرة ، القاهرة ، من تاريخ ، ص٢٩٧–٢٩٩ (١٣) المراغي : تحقيق النصرة ، المدينة سنة ١٣٧٤ هـ = ١٩٥٥ ، ١٢٣ — ١٢٩ ، الفهرس (١٤) محمد بن أحمد المطري : التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة ، دمشق سنة ١٣٧٢ هـ = ١٩٥٢ : ص ٣٦ — ٤٠ (١٥) عبد القدوس الأنصاري : آثار المدينة المنورة ، دمشق سنة ١٣٥٣ = ١٩٣٤ .

خورشيد [فنسنك — وأنصاري Wensinck- B. Aspari]

+ « بَقِيّ بن مخلد » ، أبو عبدالرحمن : محدث ومفسر مشهور من قرطبة ، ولعله من أصل مسيحي ، ولد سنة ٢٠١ هـ (٨١٧ م) وتوفي سنة ٢٧٦ هـ (٨٨٩م) . وقد زار بقي — مثل الكثيرين من مسلمي الأندلس — أهم حواضر المشرق حيث أم مجالس أكبر فقهاء المذاهب وخاصة ابن حنبل . ولما عاد بقي إلى قرطبة أظهر من استقلال الرأي في مسائل العقائد (عدّه البعض شافعياً وقيل إنه هو الذي أدخل مبادئ المذهب الظاهري في الأندلس) والمعارضة للتقليد حتى إنه لم يلبث أن وجد فقهاء المالكية ينظرون إليه في عداء ، بل هو قد أوشك أن يحكم عليه بالموت بتهمة الزندقة ، وإنما يدين بنجاته إلى تدخل الأمير محمد الأول (٢٣٨ — ٢٧٣ هـ = ٨٥٢ — ٨٨٦) الذي أباح له أن يلقي في حرية تعاليمه المنتقاة من المذاهب المختلفة .

وأهم كتبه ، وكلها مفقودة ، تفسير للقرآن عدّه ابن حزم أعلى مرتبة من تفسير الطبري ؛ و « مسنده » صنف فيه الأحاديث بحسب موضوعاتها تحت أسماء الصحابة الذين رووها ورتب هذه الأسماء بحسب الترتيب المعجمي .

وبقيّ الذي كتب ترجمته الأمير عبدالله الزاهد — قد اشتهر في آخر حياته بالتقوى التي تكاد تبلغ مبلغ الولاية ، ويعده ابن حزم في ميدان الحديث نظيراً للبخاري وغيره من أعلام المحدثين .

المصادر :

(١) ابن بشكوال ، رقم ٢٧٧ (٢) الضبى ، رقم ٥٨٤ (٣) ابن الفرضى ، رقم ٢٨١ (٤) ابن عساكر تاريخ دمشق ، ج ٣ ، ص ٢٧٧ — ٢٨٢ (٥) ابن حزم : الرسالة (الترجمة الفرنسية بقلم Pellat فى *Al-Andalus* ، سنة ١٩٥٤ ، الفصلان ١٧ ، ٣٥) (٦) ابن عذارى : البيان ، ج ٢ ، ص ١١٢ وما بعدها (٧) النبهى : مرتبة ، فى مواضع مختلفة (٨) الخشنى : القضاة ، الفهرس (٩) المقرى : *Analectes* ، الفهرس (١٠) I.Goldziher: *Studien Muh.* ، ج ٢ ص ، ٢٦٠ (١١) الكاتب نفسه : *Zahiriten* ص ١١٥ (١٢) M.Asin Palacios : *Abenmasarra y su escuela* ص ٢٩ ، تعليق ٤ ؛ ١٢ (١٣) E. Levi-Provençal : *Hist. Esp. Mus.* ، الفهرس (١٤) Brockelmann القسم ١ ، ص ٢٧١ ، والإشارات الواردة فى H. Laoust: *La profession de foi d'Ibn Batta* ، دمشق سنة ١٩٥٨ ، ٢٠ ، التعليق .

خورشيد [Ch. Pellat پلاّ]

« بُقَيْق » وهو الأصح ، ويقال أَبْقَيق : بلدة وحقل زيت فى ولاية الحسا بالعربية السعودية . وقد أخذ الاسم من ينابيع بقيق الضحلة القائمة فى الرمال على مسيرة خمسة عشرة ميلا شمالى البلدة الحالية . والظاهر أن الاسم بقيق والاسم البقّة (وهى ينابيع تشبه بقيق قريبة منها إلى الشمال) قد اقترنا بمعانى الجذر العربى « بقّ » التى تتصل بالماء أكثر مما تتصل بالحشرة المعروفة ؛ ويعرف البدو مكان البلدة باسم « أبا القعدان » أى مكان شباب الذكور من الأبل .

وتحيط ببقيق كثبان البيضاء الكثيفة . وعلى ذلك فإن بقيق (على خط طول ٤٩° ٤٠َ شرقاً وخط عرض ٢٥° ٥٥ شمالا) فى نصف المسافة تقريباً بين الظهران والهفوف على الطريق الرئيسى الذى يربط قلب جزيرة العرب بثغرى الخليج الفارسى الدمّام ورأس تنّورة ، وهى تقوم أيضاً على الخط الحديدى للحكومة السعودية (الدمام — الرياض) ؛ ولم يكن ببقيق أية محلات قبل اكتشاف حقل الزيت فيها بمعرفة شركة كاليفورنيا استاندارد العربية للزيت (وهى الآن شركة عربية أمريكية للزيت) سنة ١٣٥٩هـ (١٩٤٠م) ؛ وقد بلغ عدد سكانها سنة ١٣٧٢هـ (١٩٥٢م) حوالى ١٥,٠٠٠ نسمة منهم ١.٣١٠ من الأمريكيين .

وكان الجيولوجى الأمريكى ماكس ستينكه Max Steineke هو صاحب الفضل الأول فى العثور على الزيت فى هذه البرية من الكثبان . ويبلغ طول حقل الزيت حوالى ٣٢ ميلا وعرضه حوالى خمسة أميال ، وقد ظل مدة أكثر حقول الزيت إنتاجاً فى العالم ؛ وفى سنة ١٣٧٠هـ (١٩٥١م) بلغ إنتاجه اليومى حوالى ٦٠٠,٠٠٠ برميل (٩٠,٠٠٠ طن) تستخرج من ٦١ بئراً .

خورشيد [ملّيگان W.E. Mulligan]

«بك»: لقب تركي، وهو بى فى لغة العثمانيين وبى أو بِيى فى لغة القرغيز. ويمكن أن نرد معانى هذا اللقب المختلفة كما وردت فى المعاجم إلى ثلاثة أوجه أساسية (انظر بصفة خاصة *Sravnitielnij slovar' tureckich narriechij*، جـ١، ص٢٦٣ وما بعدها؛ W. Radloff: *Versuch eines Woerterbuches der Tuerk-Dialecte*، جـ٤، ص ١٥٦٨ - ١٥٨٠):

الوجه الأول أن بك يلقب به أى نبيل للتفرقة بينه وبين العامة وكذلك بينه وبين أمراء البيت المالك، وإن كان هؤلاء يلقبون به فى بعض الأحيان. والوجه الثانى أن لقب بك يطلق على شيخ قبيلة أو على أمير جماعة ما للتفرقة بينه وبين القاغان أو الخان، وهو سيد بلاد كبيرة. والوجه الثالث أن هذا اللقب يطلق على كل ذى نفوذ بالمعنى الواسع لهذه الكلمة سواء أكان نفوذه مستمداً من حاكم، بطريق الانتخاب، أم مغتصباً. مثال ذلك قواد وحدات الجيش على اختلاف رتبهم (انظر بصفة خاصة الألقاب أولوس بگى وتومان بگى وميگ بگى ويوزبگى وأون بگى التى وردت فى المراجع الخاصة بتاريخ القبيلة الذهبية) ورجال الإدارة من عمدة القرية إلى عامل الولاية، والموظفون المدنيون والقضاة.

ويظهر أن هذا اللقب قد وجد باستعمالاته الثلاثة فى أقدم آثار اللغة التركية وهى التى ترجع إلى القرن الثامن الميلادى: وقد أطلق لقب بگلر فى هذه الكتابات على النبيل تمييزاً له عن العامة (بودون)؛ وكان سلطان الترك يمنح برس بگ أمير القرغيز لقب قاغان، كما كان الحكماء والشجعان «بيوروق» الذين يشتركون فى حكم الدولة مع القاغان يميزون عن غيرهم من العامة والنبلاء فى بعض البلاد، ومن ثم ظهر أيضاً لقب «بيوروق بگلر». (انظر الحواشى التى على هذه الكتابات فى W. Radloff: *Die alt-tuerkischen Inschriften der Mongolei*، سانت بطرسبرغ سنة ١٨٩٥، ص ١٣٨، ١٤٣ وترجمت كلمة بگ بالكلمة أمير وذلك فى الحاشية التى كتبت فى العصور الوسطى ونشرها Melioranskij: *Arab filolog o tureckom jazykie*، سانت بطرسبرغ. سنة ١٩٠٠م، الفهرس).

[بارتولد W. Barthold]

ويطلق الأتراك العثمانيون لقب بگ على أبناء الباشوات. ويلقب به أيضاً ضباط الجيش الحاصلون على رتبة الأمير الاى أو القائمقام. ويلقب به من قبيل التبجيل المبعوثون السياسيون، ومن ثم نشأ الاسم التركى بگ أوغلى الذى يطلق على حى پيره الذى يسكنه هؤلاء المبعوثون. وكان كبار حكام الروملى والأناضول والشام يلقبون فيما سبق بـ «بگلر بك» (بيلربى) ومعناه بالعربية أمير الأمراء وبالفارسية مير ميران. ولكن هذه الألقاب أصبحت من بعد مجرد ألقاب شرف. ويدل لقب بكزاده بصفة عامة على من يبز أقرانه ويفوقهم فى الحسب. ومن مشتقات بك بلك أى رتبة البكوية وهو يطلق على المنصب الذى يشغله شخص منح هذه المرتبة. ثم بيلكجى أى كبير الوزراء وهو رئيس الديوان السلطانى (ديوان همايون؛ انظر S. Kekule: *Ueber Titel, Aemter, Rangstufen und Anreden in der offiziellen osmanischen Sprache*).

« بك أو غلى » : (انظر مادة « إستانبول »)

+ « بكباشى » ، والأصح بكْباشى أى أمير ألف : لقب عسكرى تركى ، وقد ظهرت هذه الكمة فى تاريخ مبكر بين الأتراك الغربيين ، واستخدمت بالفعل فيما يتصل بإعادة التنظيم العسكرى الذى يقال إن السلطان أورخان قام به سنة ٧٢٩هـ (١٣٢٨ — ١٣٢٩م ؛ انظر على سبيل المثال سعد الدين : تاج التواريخ ، جـ ١ ، ص ٤٠ : « وقد أقيم لهم أونباشية ويوزباشية وبكْباشية .. ») . ويرد هذا المصطلح أيضاً فى صيغة « بكْباشى » بين الأتراك الشرقيين ، وهو يستعمل على سبيل المثال لقباً فى القوات الصفوية ببلاد فارس (V. Minorsky: *Tadhkirat Al-Muluk* ، لندن سنة ١٩٤٣ ، ص ٣٦ ، ٧٤ ، ١٥٥) . ويظهر أيضاً اللقب « ميكْ بگى » بمعنى مماثل لذلك فى مذكرات بابر . ويبدو أن المصطلح « بكْباشى » لم يكن مستعملا كثيراً فى القوات العثمانية النظامية لعهدها القديم . على أنه عاد إلى الظهور فى القرن الثامن عشر . وقد استعمل للدلالة على ضباط الميرى عسكريه المجندين حديثاً ، وهم قوة من المشاة والفرسان كانت أعطياتها تؤدى من خزينة الدولة . وكان فى حملة سنة ١٧٦٩ سبعة وتسعون آلاياً من الميرى عسكريه على رأس كل آلاى بكْباشى . وكان البكْباشى يتقاضى ألفى قرش عن الحملة مضافاً إليه عشر ما يتقاضاه رجال آلايه (D'Ohsson : *Tableau général de l'Empire Othoman* ، جـ ٧ ، باريس سنة ١٨٢٤ ، ص ٣٨١ — ٣٨٢ ؛ انظر رسمى : خلاصة الاعتبار ، إستانبول سنة ١٢٨٦هـ ، ص ١٢ وما بعدها) .

وأصبح لقب البكْباشى منذ نهاية القرن الثامن عشر (جودت : تاريخ ، جـ ٦ ، ص ٣٦٧) رتبة فى الجيوش الجديدة المنظمة على النمط الأوربى تمنح لرؤساء الأورط . فلما ولى العرش السلطان عبد العزيز حدد مرتب البكْباشى بألف وخمسمائة قرش فى الشهر أو ٤١٤٠ فرنكاً فى العام (Ubicini ; *Lettres sur la Turquie* رقم ١٩) .

أما فى مصر فقد استخدم لقب بكْباشى — هو وغيره من المصطلحات والقيادات العسكرية التركية الأخرى — فى جيش محمد على . وظل ذلك جارياً فى عهود الحكم التى تلت محمدا عليا ؛ وينطق هذا اللقب أحياناً فى البلاد العربية بكباشى والمظنون أن ذلك حدث بتحريف النون الصغيرة التركية ڭ .

خورشيد [لويس B. Lewis]

« بكتاش » : ولى من أولياء المسلمين نسبت إليه طريقة الدراويش البكتاشية ؛ والمعلومات التى لدينا عن الحاج بكتاش ولى معلومات أسطورية . ويقال إنه ولد بنيسابور ودرس على أحمد يسوى ، أما سنة ٧٣٨هـ (١٣٣٧م) التى يروى أنها سنة وفاته فهى عبارة عما يقابل كلمة بكتاشية فى حساب الجمل ؛ ويمكننا الرجوع فى شأن المقالات المنسوبة إليه وفى شأن ولايت نامه التى تحدثنا عن كراماته إلخ (Jacob : *Bektaschijje* ، ص ٤ ، ٧ ومابعدها) ؛ ويبدو أن الرواية التى تزعم أن الإنكشارية أسلموا

على يد بكتاش فى عهد أورخان ما هى إلا قصة تقوم على الصلة التى نشأت فيما بعد بين البكتاشية والإنكشارية .

وينبغى ألا نسلم بما يروى من أن بكتاش هو الذى أنشأ طريقة الدراويش التى تنسب إليه . وقد توسع يعقوب (Jacob : *Bektaschijje*، ص٢٤) فى بسط دعوى أن بالم بابا المتوفى عام ٩٢٢هـ (١٥١٦م) هو المؤسس الحقيقى لهذه الطريقة، وأنه قد حدث لبس بينه وبين رجل أسطورى يدعى بكتاش ولى . وقد ذكر بالم بابا فى بيان الأولياء العظام على أنه الـ «پير الثانى» . ومهما يكن من شىء فإنا نستطيع أن نثبت وجود طريقة بكتاشية لها نفس الاسم فحسب فى أوائل القرن السادس عشر . ومع ذلك فإن الحركة الدينية التى نظمتها هذه الطريقة فى غربى تركية أقدم عهداً من ذلك ، بل إنها قد اتسعت وانتشرت فى أرجاء البلاد بعد تأسيس هذه الطريقة . ويتفق القزلباش فى شرقى آسية الصغرى وكردستان ، والعلى إلاهية —أى الذين يؤلهون علياً— فى بلاد فارس مع البكتاشية فى أصول عقائدهم وإن كانوا يفتقرون إلى نظام هؤلاء الصارم . والبكتاشية فى بعض البلاد —وبخاصة ألبانيا وصنجق تكة فى ليقية Lycia— أقرب إلى الفرقة منهم إلى الطريقة، لأن جل السكان يتبعونهم. وقد بين يعقوب (Jacob : *Tuerkische Bibl.*، جـ ٩، ص١٣ وما بعدها) أن التختجية الذين تحدث عنهم لوشان Luschan فى *Archiv f. Anthropologie*، جـ ١٩) هم من البكتاشية .

وللآراء الصوفية عن المساواة فى الأصل بين جميع الأديان وعدم فائدة الشعائر شأن كبير فى عقائد البكتاشية . وبقيت فى طريقة هؤلاء الدراويش عناصر نصرانية وغنوصية ووثنية .

ومع أن جمهور البكتاشية يقولون إنهم من أهل السنة، ولاشك أن قلة منهم حقاً تتميز بخصائص أهل السنة ، فإنهم بقدر نظرتنا إلى إسلامهم ، من غلاة الشيعة يؤلهون علياً ويذمون أبا بكر وعمر وعثمان (وقد كتب يعقوب عن موقفهم المتناقض بالنسبة لأبى بكر فى مصنفه *Bektaschijje* ، ص٤٢) ويعترفون بالأئمة الإثنى عشر ويبجلون من بينهم بصفة خاصة الإمام جعفر الصادق ، وينظرون بعين الإكبار إلى الشهداء الأربعة عشر وجلهم من آل على (معصوم پاك ، أى الأطفال الأبرياء الأطهار) . والبكتاشية يجلون قبور الأولياء إلى حد أنهم يضعون الدعاء لهم فى مرتبة الشعائر الدينية ؛ واستقر هؤلاء الدراويش فى أماكن الحج الشهيرة القديمة واتخذوا منها موطناً لهم .

وقد حدت العناصر النصرانية الخامة الموجودة فى طريقة البكتاشية إلى الظن بأنهم كانوا فى الأصل من النصارى الذين لم يتخذوا من الإسلام إلا مظاهره ، فنجد عندهم عقيدة التثليث وقد أحلوا فيها علياً مكان عيسى (الله . محمد . على) . وهم يحتفلون بما يشبه العشاء الربانى فيوزعون النبيذ والخبز والجبن فى اجتماعاتهم بميدان أوطه سى فى صحن التكية المعد لذلك . وهذا الاحتفال يشبه ذكر طرق الدراويش الأخرى وإن كان البكتاشية أنفسهم

يكرون أنهم يقومون بالأذكار . واحتفاظهم هذا يذكرنا بالأرتوتيروسية[1] Artotyrites الذين كانت لهم صلة بفرقة المونتانية (٢) Montanistes (Jacob : Fortleben von antiken Mysterien und Alt-Christlichem im Islam في Der Islam جـ ٢ ، ص ٢٣٢ وما بعدها) والبكتاشية يعترفون أيضاً بخطاياهم إلى بابوات ، أي شيوخ . ويتلقون منهم المغفرة ، والخمر غير محرمة عندهم بالنسبة إلى قيمة النبيذ الكبيرة في طريقتهم . ونساؤهم لا يتحجبن ، ويعيش فريق منهم معيشة العزوبة ، ولعلها القاعدة التي كانت متبعة عندهم في الأصل ، وهي شاهد قوى على أن هذه الطريقة من أصل غير إسلامي .

وميول البكتاشية إلى التقشف ظاهرة بصفة خاصة في تكية « قيزيل دلى سلطان » بالقرب من « ديمطوقة التي كان لها شأن كبير إبان ازدهار هذه الطريقة ، واخليت هذه التكية عام ١٨٢٦م .

واعتنق البكتاشية مذهب الصوفية في الأعداد وبخاصة عقيدتهم في العدد ٤ ، وهو مذهب متأثر بالفيثاغورية إلى حد كبير ، وكانوا في ذلك ناقلين عن فضل الله الحروفي ، وهم يقدرون كتابه « جاويدان » أعظم تقدير ، وهذا الكتاب يعرف باسم « عشق نامه » في النسخة الفارسية وفي النسخة التركية التي نشرها فرشته أوغلى . وتوسع البكتاشية في هذا المذهب ، وهم يعتقدون أيضاً في تناسخ الأرواح .

ويرأس هذه الطريقة بأسرها الشيخ الأعظم ، چلبى ، وهو يقطن التكية الأصلية (پيرآوى) عند حاجى بكتاش بين قرشهر وقيسارية (انظر الصورة التي أوردها Jacob في Bektaschijje ، والوصف الذي ذكره Edmund Naumann في Vom Goldenen Horn zu den Quellen des Euphrat ، ص ١٩٣ وما بعدها) . وليس هذا المنصب بالضرورة وراثياً ولكنه كان ينتقل من الأب إلى الابن في المائة والخمسين السنة الأخيرة . أما الفريق المتشدد من الدراويش العزاب فقد كان لهم شيخ خاص بهم منذ منتصف القرن السادس عشر يعرف بـ « مجرد بابامى » ويقطن أيضاً التكية الأصلية . ويقال لشيخ كل تكية بابا ، ويقال للدرويش مريد ، وللملتحق بالتكية منتسب .

ولباس البكتاشية من عباءة بيضاء ، وقلنسوة (سكه) بيضاء ذات أطراف عديدة مثلثة الشكل يبلغ عددها عادة اثنى عشر أى بعدد الأئمة ، ويلبس البابا حول هذه القلنسوة عمامة خضراء (انظر الصورة الواردة في Bektaschijje و Tuerk. Bibl. ، جـ ٩) . ويضع البكتاشية حول رقابهم حجاباً من الحجر يسمى « تسليم تاش » وتتألف بزتهم الكاملة زيادة على ذلك من بلطة ذات حدين وعصاً طويلة . ويضع العزاب منهم أقراطاً في آذانهم تمييزاً لهم عن غيرهم .

---

(١) الارتوتيروسية هم اتباع فرقة نصرانية يستخدمون الخبز والجبن في قداس عبد العرفان .

(٢) المونتانية هم أتباع فرقة نصرانية أسسها مونتانوس في القرن الثاني للميلاد .

وترجع أهمية هؤلاء الدراويش السياسية إلى اتصالهم الوثيق بالإنكشارية ، إذ كانوا لهم بمثابة الأئمة ؛ بل إنه كثيراً ما يطلق اسم البكتاشية على الإنكشارية فيقال لهم أبناء الحاج بكتاش (حاجى بكتاش أوغيللرى) . وكان للحاج بكتاش وكيل يقيم فى ثكنات الفرقة الرابعة والتسعين . واشترك البكتاشية فى الفتن المتعددة التى قام بها الإنكشارية. وعلى هذا فإن هذه الطريقة دالت دولتها عندما قضى السلطان محمود الثانى على الإنكشارية عام ١٨٢٦م ؛ وهدم عدد كبير من التكايا وبخاصة ماكان منها بجوار الآستانة،ونفى معظم ساكنيها وقتل بعض شيوخها مثل شيخ تكية مردو نكوى (انظر أسعد أفندى : أس ظفر ، الآستانة ١٢٤٣هـ) .

وعادت الطريقة إلى الازدهار شيئاً فشيئاً وإن كانت لم تستعد ما كان لها من شأن كبير قط ، وهى بعد أكثر قوة وانتشاراً مما كنا نتوقع ، ويمكن الرجوع إلى ذيل كتاب يعقوب فيما يختص بالتكايا التى فى جوار الآستانة(Jacob : *Bektaschijje*) . أما فى آسية الصغرى فإنا نجد إلى جانب التكية الأصلية تكية عثمان جيك فى الشمال والتكية التى عند قبر بطال بإسكى شهر فى الغرب . وهما من تكايا البكتاشية الهامة . وهناك تكايا منفردة فى خارج بلاد الأتراك مثل التكية التى قامت على جبل المقطم بالقاهرة .

+ وفى خريف سنة ١٩٢٥ حلت الإنكشارية، شأنها فى ذلك شأن جميع طرق الدراويش فى تركية . على أن الطريقة البكتاشية بالذات هى التى مهدت الطريق لكثير من الإجراءات التى اتخذتها الجمهورية التركية (العلاقة بالإسلام على مذهب أهل السنة ، ومركز المرأة) . وقد ظل البكتاشية اليوم موجودين فى شبه جزيرة البلقان ، وخاصة فى ألبانيا حيث تقوم تكيتهم الكبرى فى تيرانا . وجاء فى بعض الوثائق أنه كان لايزال فى تركية سنة ١٩٥٢ ثلاثون ألف بكتاشى (انظر *Cahiers de l'Orient contemporain* ، سنة ١٩٥٢ ، ص ٢٠٦) .

خورشيد [تشودى Tschudi]

المصادر :

أهم المراجع فى هذا الشأن هى (١) Jacob : *Die Bektaschijje in ihrem Verhaeltnis zu verwandten Erscheinungen : Abhandl. der K. Bayer. Akad. der Wissensch.*، جـ ١ قسم ٢٤ ، عدد ٣، ميونخ سنة ١٩٠٠ . والمصادر المذكورة فى هذا المصدر ص ٤ — ١٢ (٢) Jacob : *Beitraege zur Kenntis des Derwischordens der Bektaschis Tuerkische Bibliothek* . جـ ٩، برلين سنة١٩٠٨ (٣) ويجب أن نضيف إلى المراجع الشرقية التى ذكرها يعقوب فى مؤلفه المذكور ذلك المرجع الحديث الذى ينتصر للبكتاشية وهو «بكتاشى سرى» لمؤلفه رفقى ، الآستانة ، ١٣٢٦ هـ والطبعات التى تلتها .

[تشودى Tschudi]

« بكتاشية »: (انظر مادة « بكتاش »).

« بكتكين »، بنو: أسرة حكمت في إربل رأسها زين الدين علي كوچوك بن بكتكين. وكان زين الدين أميراً من أمراء زنكي (انظر هذه المادة) أوفده هذا إلى الموصل عاملا عليها عام ٥٣٩هـ (١١٤٤م)، ولما توفي زنكي احتفظ بحكم الموصل وبسط إمارته على شهرزور، والهكارية، وتكريت، وسنجار، وحران وغيرها. ومع ذلك ظلت إربل مقر الأسرة الحقيقي. وأودع فيها علي أمواله وسكنها نساؤه. واحتفظ بها لنفسه عندما تقدمت به السن، ونزل عام ٥٦٣هـ (١١٦٧م) عن ممتلكاته الأخرى ومدائنه لقطب الدين مودود (انظر هذه المادة).

وتوفي علي في السنة نفسها فكانت هذه المدينة من نصيب ابنه الحدث زين الدين يوسف، وبعد ذلك بزمن نال ابنه مظفر الدين كوكبوري (انظر هذه المادة) الذي يكبر هذا مدينة حران من يد عز الدين مسعود بن مودود أمير الموصل حينذاك.

ودب القتال بين صلاح الدين وبيت زنكي بعد بضع سنين فانحاز الأخوان إلى صلاح الدين. وتوفي يوسف عام ٥٨٦هـ (١١٦٧م) فأصبح كوكبوري صاحب إربل، وبوفاته عام ٦٣٠هـ (١٢٤٢م) انتقلت أملاكه إلى حوزة الخليفة العباسي.

المصادر:

ابن الأثير، طبعة تورنبرغ، ج ١١، ج ١٢

+ بكتكين، بنو: أسرة هامة من الأمراء لم تستطع قط أن تحرر نفسها من سيادة جيرانها الأقوياء، مع ذلك فإنها ملكت أراضي مترامية الأطراف في الجزيرة العليا، بعضها في الشرق حول إربل، وبعضها في الغرب حول حران، وإن كان ملكها في الأراضي الأخيرة دام مدة أقصر. وكان رأس الأسرة زين الدين علي كوچوك ابن بكتكين ضابطاً تركمانياً ارتبط مصيره من أول الأمر بزنكي؛ والراجح أنه قد ترتب على اشتراكه في حملات هذا الأمير في الأراضي الكردية أننا نجده ممتلكاً عدة نواح تمتد من الزاب الأكبر إلى أراضي الكرد الحميدية والهكارية، وتكريت، وشهرزور، متخذاً قاعدته في إربل؛ وحدث عام ٥٣٩هـ (١١٤٥م) أن خول له زنكي، بعد فتنة ألب أرسلان السلجوقي في الموصل، الإشراف العسكري على هذه المدينة. وظل زين الدين، رغم سلطانه، تابعاً مخلصاً لخلفي زنكي في الموصل، وهما سيف الدين وقطب الدين، ولوزيرهما جمال الدين الإصفهاني حتى طرد جمال الدين من منصبه. وقد أضاف الأمير قطب الدين إلى أملاك زين الدين سنجار وحران، ومنحه حران تعويضاً له عن حمص في الشام، وكان أحد إخوته قد اضطر إلى تسليمها إلى نور الدين عم قطب الدين وأمير حلب. على أن زين الدين في أواخر حياته نزل عن جميع أراضيه لقطب الدين نظير ضمان حق ابنه في ولاية إربل وحده. وتوفي زين الدين وقد شيخ سنة ٥٦٣هـ (١١٦٨م) مخلفاً شهرة ذاعت له

بالشجاعة والاستقامة والاعتدال وحماية أهل التقى والورع .

على أن شهرته غلبت عليها شهرة ابنه مظفر الدين كوكبورى. وكان مظفر الدين قد طرده أول الأمر من إربل والى هذه المدينة (والى الموصل من بعد) فانحاز لصالح أخيه الأصغر زين الدين يوسف . وقد تلقى من قطب الدين حران تعويضاً له ، وكان أبوه يمتلك هذه المدينة . وانحاز مظفر الدين فى اللحظة المناسبة لصلاح الدين فزاد إلى أملاكه الرها وسُمَيْساط وزوجه إحدى أخواته : ومن هذا الوقت كان لمظفر الدين دور مجيد فى معظم حملات صلاح الدين وخاصة غزو فلسطين والشام والنضال مع الفرنجة (الحرب الصليبية الثالثة) . وحدث عام ٥٨٦هـ (١١٩٠م) أن كان أخوه يوسف قد توفى بعد أن اضطر هو الآخر إلى التسليم للجيوش المتحالفة أمام عكا ، وهنالك سلم كوكبرى ديار مصر لصلاح الدين نيابة عن أخيه تقى الدين عمر وحصل من صلاح الدين — بحكم الأمر الواقع الذى جعله يسود بنى زنكى — على وراثة الإمارة على إربل بأسرها . وقد تولى هذه الإمارة أربعاً وأربعين سنة قمرية حتى بلغ الواحدة والثمانين من عمره ، ونستطيع أن نتبين من موارده أنه كان يعد نفسه منذ وفاة صلاح الدين قبلا للخليفة وحده . وقد كان لمظفر الدين دور ينطوى على الفطنة فى المشاحنات التى استعر أوارها طوال هذا الوقت بين الحكام المختلفين للجزيرة العليا ، فعاون أول الأمر الأيوبيين على بنى زنكى ، ثم آزر من بعد بنى زنكى الذين وهنت قواهم على أبناء العادل ، وكان قد زوج ابنتين من بناته لاثنين من بنى زنكى . ثم وقف نفسه آخر الأمر على معارضة أطماع بدر الدين لؤلؤ نائب بنى زنكى وخليفتهم ، وكان لؤلؤ حليفاً للسلطان الأشرف الأيوبى . وفى أواخر حياته أحس كوكبرى بأنه لم يرزق ابناً وخشى تدخل جيرانه المختلفين ، فأوصى بإمارته للخليفة فوضعها الخليفة تحت الاحتلال الوثيق سنة ٦٣٠ هـ (١٢٣٣ م) .

وكان لكوكبورى ، علاوة على اهتمامه بالأمور الديبلوماسية والعسكرية ، عناية بالمشروعات المختلفة ذات القيمة الاجتماعية ، وخاصة فى إربل ، وإن كان أثرها قد تجاوز حدود المدينة نفسها ، ذلك أنه أنشأ المدارس والخانقاوات والبيمارستانات ودور الصدقة ، والمرافق العامة التى تعين الحجاج ، كما أسهم فى افتداء أسرى الفرنجة وغير ذلك من الأمور . والظاهر أنه كان أول أمير يحيى رسمياً المولد النبوى رداً على أعياد المولد التى كان يقيمها الشيعة أو عيد ميلاد المسيح الذى كان يحييه نصارى إربل . وكان كوكبرى رجلا ورعاً واسع القراءة ، يتردد عليه كثيراً العلماء والكتاب من البلاد الأجنبية . وكان يعاونه فى حكمه ، وخاصة فى مثل هذه المناسبات ، وزيره الذى اشتهر من أجل جهوده السابقة ، بأنه مستوفى إربل ، وقد صنف كتاباً فى تاريخ هذه المدينة : وكان ابن خلكان وأسرته من أشهر من بسط عليهم حمايته . وقد نشأت حول مدينة إربل التى ظلت دائماً مسيحية ، وبمعزل عن

التاريخ الإسلامى الجارى » بلدة جديدة أسفل منا » وتحولت الاثنتان إلى قاعدة إسلامية لها بعض الشأن ، وهذا التقدم الذى اقترن بسياسة مالية أميل إلى الصرامة » قد تبدد نتيجة لسلب المغول المدينة سنة ٦٣٤ هـ (١٢٣٧ م) .

المصادر :

علاوة على مؤرخى صلاح الدين انظر بخاصة :
(١) ابن الأثير : الأتابكة والكامل (الفهرس) (٢) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ، ص ٦٨٠ — ٦٨٣ ؛ (٣) ابن واصل : مفرج الكروب ، المكتبة الأهلية بباريس ، رقم ١٧٠٢ ، ورقة ٢٨٨ —٢٨٩ ؛ (٤) ابن العميد ، طبعة Cl. Cahen فى *BEO* ، سنة ١٩٥٨ ، حوادث سنة ٦٣٠ ؛ (٥) ابن خلكان ، طبعة وترجمة ده سلان ، ص ٥٣٥ وما بعدها (وخاصة ص ٥٥٢) ؛ (٦) ابن الفوطى ، طبعة مصطفى جواد ، ص ٤٤ وما بعدها ؛ (٧) ياقوت ، جـ ١ ، ص ١٨٦ — ١٨٧ ؛ (٨) فهرس مسكوكات المتحف البريطانى (Lane-Poole ، جـ ٣) وإستانبول (إسماعيل غالب) (٩) H. Gottschalk : الملك الكامل ، ص ١٣ — ١٤ (١٠) عباس العزّاوى : آل بكتكين كوكبورى أو إمارة إربل فى عهدهم فى مجلة *Revue de l'Académie arabe du Caire* ، جـ٢١—٢٢ ، سنة ١٩٥٦ . (١١) انظر أيضاً مادتى « إربل » و « مولد » .

خورشيد [كاهن Cl. Cahen]

« بِكْتِمُر » سيف الدين » صاحب خلاط من عام ٥٨١ هـ — ٥٨٩ هـ (١١٨٥ — ١١٩٣ م) : أصله مولى من موالى الشاه أرمن ظهير الدين ، عظم شأنه فى عهد ولد هذا الشاه وخليفته سقمان الثانى ؛ ويروى ابن الأثير أن أمراء البلاد المجاورة رأوا أن هذا الأمير لم يعقب ولدا يخلفه على العرش فطمعوا فى أن يستولوا على خلاط عقب وفاته . وأحس هو بذلك فأمر وجوه قومه فى حياته بأن يبايعوا لابن أخته قطب الدين إيلغازى بن أرتق صاحب ماردين ، ولكن قطب الدين توفى قبله عام ٥٨٠ هـ (١١٨٤ م) وترك ابناً حدثاً . وعلى هذا فإنه لما توفى سقمان بعد ذلك بقليل لم يكن هناك وارث شرعى للعرش » واستغل بكتمر هذه الفرصة وتخلص من مجد الدين بن رشيق وزير شاه أرمن ليخلو له أمر خلاط . غير أن الطريق لم يكن ممهداً أمامه ، إذ أن صلاح الدين الأيوبى كان يتأهب للاستيلاء على خلاط وماجاورها من البلدان . وأجبر تقى الدين عمر ابن أخى صلاح الدين جيوش بكتمر على الفرار ، وأطلق سراح ابن رشيق وكان على وشك الاستيلاء على خلاط لولا أن المنية عاجلته فخلا الجو لبكتمر .

وخلب السرور عقل بكتمر عندما بلغه خبر موت عدوه اللدود صلاح الدين فى بداية عام ٥٨٩ هـ (١١٩٣ م) ، ولقّب نفسه منذ ذلك الوقت بالسلطان المعظم صلاح الدين عبد العزيز ، وبينما هو يدبر أمر حصار ميافارقين اغتاله زوج ابنته هزار ديناری » واستولى هذا على عرش

خلاط . ولكنا نقرأ بعد ذلك ببضع سنين أن ابناً من أبناء بكتمر كان يحكم خلاط [انظر أيضا مادة « شاه أرمن »] .

المصادر :

(١) ابن الأثير ، طبعة تورنبرغ ، ج ١١ ، ص ٣٢٢ وما بعدها ؛ (٢) كتاب الروضتين ، طبعة القاهرة عام ١٢٨٨ ، ج ٢ ، ص ٦٣ *Rev. des Histor. des Crois Orient* ج ٥ ، ص ٧٨ ، ١٠٧ .

+ بگدلى » : قبيلة تنتمى لفرع بوز أوق من شعوب الأوغوز (التركمان) ، ويظن فى بعض الأحيان أن أنوشتگين ، جد الأسرة الخوارزمية ، ينتمى إلى هذه القبيلة ، والراجح أن هذا ليس صحيحاً . وقد قام مجتمع بگدلى كبير فى الشام فى القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) ، وكان على رأس هذا المجتمع فى ذلك الوقت طاشخون (طاشكون) أوغيللرى . وكانوا فى ذلك الوقت يعدون من أهم القبائل التركمانية فى الشام أيام القرن التاسع (الخامس عشر الملادى) . وكان فرع مهم آخر من هذه القبيلة يعيش فى أربع عشرة قرية فى ناحية گلنار من أعمال إيچ ألِى هذا القرن نفسه . وكان زعماؤهم يملكون إقطاعات (ديرلك) . وكان معظم بگدلى الشام من قبائل التركمان فى إقليم حلب أيام القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) ، وكانوا أربعين عشيرة فى النصف الأول من هذا القرن . وكان للبگدلى الشوام أيضاً عشائر هامة فى يگى إيل وبين اليوزأولوس فى إقليم ديار بكر . وقد نزح فرع آخر من هؤلاء البگدلى إلى إيران مع قبيلة شاملو القزلباشية ، وكانوا يملكون أجود المراعى بين ديار بكر وحلب فى القرن الحادى عشر الهجرى (السابع عشر الميلادى) . على أن خسرو پاشا قد أدبهم فى حملته على بغداد سنة ١٠٣٩ هـ (١٦٣٠م) لرفضهم أداء الضرائب وسماحهم لماشيتهم بإتلاف محصولات الأهلين . وقد قدر أنه كان لديهم ١٢,٠٠٠ خيمة فى النصف الثانى من هذا القرن ؛ وقد دعيت بگدلى شأن كثير من القبائل الأخرى ، للإسهام فى الحملة على النمسا سنة ١١٠١هـ (١٦٩٠م). وحاولت الحكومة بعد ذلك بسنوات قلائل أن تسكن البگدلى وغيرهم من القبائل التركمانية التى تعيش فى جوارهم ، إقليم الرَقّة . ومن ثم سكن بعض البگدلى فى الرقة وسكن الباقون فى إقليم حلب وعينتاب . وقد نزح فرع من البگدلى الشآميين ، كما سبق أن ذكرنا ، إلى إيران هم والشاملو ؛ وخرج كثير من أكابر القواد والولاة الصفويين من هذه القبيلة . ويشاهد فرع من البگدلى بين الگوكلن إيلى فى إقليم أسراباذ .

المصادر :

(١) فاروق سومر : بوزأوقلى أوغوز بويلرينه داير فى ديل وتاريخ وجغرافيا فاكولته سى دركيسى ، ج ١١/١ ، أنقرة سنة ١٩٥٣ .

خورشيد [فاروق سومر Faruk Suemer]

« بَكْر » بن وائل : قبيلة عربية عظيمة من بنى مَعَدّ من نسل إسماعيل . ونسبهم — إذا استثنينا حلقة أو حلقتين غير هامتين من سلسلة النسب — هو بكر بن وائل بن قاسط بن هِنْب ابن أسد بن ربيعة بن نزار بن مَعَدّ ؛ ومن أبناء عمومتهم : تَغْلِب وعَنَز، ومن بطونهم يَشْكُر وبَدَن والحارث وجُشَم وعلى ؛ ومن بطون بكر المهمة أيضاً ذُهْل وعِجْل وحنيفة وقَيْس وشيبان .

وقد عاشت قبيلة بكر فى تهامة اليمن واليمامة والبحرين إلى حدود الجزيرة حيث سكنوا الناحية التى لا تزال تنسب إليهم وهى ديار بكر (انظر هذه المادة) مجاورين تغلب الذين كانوا قد استقروا فى الجزيرة منذ حرب البسوس (انظر هذه المادة). ولما تفككت أوصال مملكة حِمْيَر فى عهد ذى نواس استطاعت بطون متسعة من بكر النزوح إلى أرض الجزيرة ووصلوا إليها أفواجاً فى عهد الخليفة معاوية ؛ ولا يفهم جغرافيو العرب ومؤرخوهم من كلمة ديار بكر الناحية التى فى أرض الجزيرة وحدها بل يرون أيضاً أنها تشمل ديار العرب القديمة فى اليمامة والبحرين ؛ وكانت ديار بكر جزءاً من ديار ربيعة التى كانت تشمل أيضاً أرض تغلب ؛ ويذكر الجغرافيون أيضاً هذه الجهات على أنها من ديار ربيعة تارة وعلى أنها من ديار بكر أو تغلب تارة أخرى ؛ مثال ذلك مدينة « نصيبين » ووادى الأحصَّ (الأحص) وشُبَيْث ؛ وسكنت بكر أيضاً أماكن فى بلاد فارس وبخاصة فى إقليم خراسان .

ولكنها نزلت بالجزيرة النواحى الآتية : آمد ، وكانت تعرف قديماً بأمدة Amada » وهى الحاضرة التى تعرف الآن بديار بكر كما أن اسمها الرسمى قره آمد أى آمد السوداء ، لأن أسوارها من البازلت الأسود ؛ وإسعرد أو سعرت ، وهى مدينة صغيرة ؛ وحيني » أو حانى وهى مدينة متوسطة المساحة بها معدن الحديد ، ودُنَيْسر ، وهى بلدة لا بأس بسعتها بها سوق كبيرة ؛ وحصن كيفا وبها قلعة ؛ وحِيزان ، ومارّدين وهى مدينة لا بأس بكبرها على قنة جبل ؛ وميافارقين (مفرقن) ويقال إنها كانت أجمل مدن ديار بكر ؛ ورأس عين ؛ ونذكر إلى جانب هذا أماكن أخرى نزلتها بكر منها « الأفاكِل ؛ وخُوَيْث ، وجفر باعث ، وذات رِجْل وذات العُنقز(1) ، وخُسّاف وقُطَيْمَة وشاحب والميه ومُثَقَّب وكُلْبة وفِراض .

ومياه بكر هى : ذو قار بالقرب من الكوفة » والحِنْو » وسَلْمان والشَّيِّطان (أو شَيْطان) وكَلاّوتان فى بادية البصرة ؛ ومن وديانها الأشافيّ فى بلاد شيبان والثَّرثار الذى أصبح لتغلب ، ومن جبالها : أسْود العُشاريّات والطور البرى » وهو لشيبان .

---

(1) وردت دارة العنقز بفتح العين وسكون النون وفتح القاف فى القاموس المحيط بالفيروز آبادى ، جـ ٢ ، ص ١٨٢ ، طبعة القاهرة سنة ١٣٢١ هـ

والأماكن الآتية مشتركة بين بكر وتغلب : وهي ذو الخناصر(١) « وذو القُطب والحماطة والفياض ، ويقال له أيضاً الملاهي (وذكر في « صفة جزيرة العرب » للهمداني ، ص ١٠٥ : س ٢٣ » وكتاب Wuestenfeld : *Register* ، ص ١١٠ ، على أنه موضعان مختلفان) ووادي المثاوي وجبل أبان » ويضيف الهمداني أماكن أخرى أغلبها في تهامة اليمن يشك في صحة رسم بعض أسمائها (صفة جزيرة العرب ، ص ١٢٣ ، س ٢٤ ، ص ١٢٤ ، س ٨) .

وكانت بكر تعبد الأصنام في الجاهلية ، ومن أصنامها أُوَال » وهذا الاسم كانت تعرف به البحرين في الزمن القديم كما أن تغلب كانت تعبده » وذو الكَعَبَيْن » وكان معبود إياد في الزمن القديم ، والمُحَرِّق في سَلْمان ، وكان يعبده بنو عِجْل بنوع خاص ، وأنا لنجد اسم هذا الصنم في أسماء بني بكر شأنه في ذلك شأن مناة والعُزّى اللذين ذكرا في القرآن (سورة النجم ، آية ١٩ ، ٢٠) وكان فريق من بكر هم تَيْم اللات وضُبَيْعة وبعض بني عِجْل يعتنقون النصرانية .

تاريخها

ويرد ذكر بكر بن وائل لأول مرة في القرن الرابع الميلادي ، إذ كانوا في ذلك العهد يخرجون من البحرين واليمامة ويغيرون هم وأحلافهم من بني تميم وبني عبد القيس على مملكة بلاد فارس المجاورة لهم . وسار سابور الثاني إلى البحرين للاقاتهم حوالي عام ٣٥٠م وقتل منهم خلقاً كثيراً وأسر عدداً لا يستهان به أسكنه بلاد فارس ، في الأهواز وتَوَّج وكرمان ، وعاش بنو بكر في كنف أهل اليمن في القرن الخامس ، وفي منتصف هذا القرن نجح حُجْر آكل المرار ، وهو أمير من كندة ، في جمع شمل القبائل العربية التي تسكن وسط جزيرة العرب ومنها بكر وتغلب » ويلوح أن هذا الحلف قد انفصمت عراه في عهد خلفه عمرو المقصور ، وأصبح كليب وائل سيد بكر وتغلب مدة من الزمن حوالي بداية العقد العاشر من القرن الخامس » ويضرب المثل بأنفته فيقال « أعز من كليب وائل » وتقول الرواية إن زوج أخته جسّاس ابن مُرَّة هو الذي قتله لأنه جرح سراب ناقة خالته البسوس فنشبت لذلك حرب البسوس بين بكر وتغلب ، وكان على رأس تغلب المُهَلْهِل أخو كليب ، واستمرت هذه الحرب أربعين سنة تخللتها فترات طويلة وقف القتال فيها ، وقد ذكرت خمسة أيام عظيمة في المرحلة الأولى من مراحل هذه الحرب هي : يوم عُنَيْزة بالقرب من فَلْجَة وكانت سجالا » ويوم وارِدات الذي انتصر فيه بنو تغلب وجرح فيه جسّاس ، ويوم الحِنْو وقد انتصرت فيه بكر ، ويوم القُصَيْبات وفيه انتصرت تغلب ، ويوم قِضَّة ويسمى أيضاً تِحْلاق اللِّمَم وفيه انتصرت بكر على تغلب انتصاراً حاسماً . وراع الفريقين ما لحق بهما من عوامل الفناء وخشوا

---

(١) ذو الخناصر في كتاب « صفة جزيرة العرب » للهمداني ، طبعة ليدن عام ١٨٨٤ م ، ص ١٠٥

اللجنة

أن ينتهى بهم الأمر إلى الاضمحلال فلجأوا إلى الحارث بن عمرو المقصور أمير كندة . وتمكن هذا الأمير من إصلاح ما بينهما مدة من الزمن ، وأقام على بكر ولده شُرَحْبيل وعلى تغلب ابنا آخر له يدعى سَلَمة . وتحالف الإمبراطور أنستاسيوس Anastasius البوزنطى مع الحارث كى يدرأ عن الشأم غارات هذه القبائل ، وعلى هذا انصرف همّ الحارث وقبائله إلى الإغارة على المملكة اللَّخْمية بالحيرة ، وهزم جيش الملك النعمان الثالث واستولى على جل ممتلكاته ما عدا الحيرة نفسها عام ٥٠٣م. وعقد قباذ ملك فارس مع الحارث معاهدة نزل له بمقتضاها عن دخل ناحية من نواحى الحيرة فى نظير أن يصرف بنى بكر وأحلافهم عن الإغارة على بلاد فارس : وتمكن المنذر الثالث فى عهد كسرى الأول أنوشروان خلفة قباذ من أن يوقع الهزيمة بالحارث الذى كان قد أقامه قباذ فى سنى حكمه الأخيرة ملكاً على الحيرة مكان المنذر. واستطاع بعد مشقة أن ينجو فى نفر من أصحابه المخلصين . وعمد المنذر إلى قتل أكثر من أربعين أميراً من بيت كندة ثم قبض بعد ذلك على الحارث نفسه وأطاح برأسه حوالى عام ٥٢٩م .

وكانت الخصومة بين بكر وتغلب قد استعرت نيرانها ثانية لما لجأ الحارث إلى الفرار . ثم إن بكرا لجأت إلى المنذر الثالث عندما وجدت أن سيدها شرحبيل قد سقط قتيلا فى الوقعة التى حدثت بينها وبين تغلب يقودها سلمة عند كُلاب — وهو ماء لتميم ، وتعرف هذه الوقعة بيوم كُلاب — وأن مملكة حمير وعلى رأسها ذونواس قد تفككت أوصالها ، واضطرت إلى الخضوع للأحباش الذين كانوا يفوقونها . ونجح المنذر فى إصلاح ذات البين بين هاتين القبيلتين من بنى وائل وأخذ من كل من الفريقين ثمانين رجلا رهينة لبقاء هذا الصلح . وبذلك انتهت حرب البسوس حوالى عام ٥٢٥م .

ونزحت تغلب عندئذ إلى أرض الجزيرة بينما بقيت بكر فى حمى اللخميين بالحيرة . ونجدهم بعد ذلك قد تبعوا المنذر الثالث إلى الشام فى قتاله مع الأعرج سيدغسّان عام ٥٥٤م : وأظهروا نفس الولاء لعمرو بن هند خليفة المنذر الذى يدين لهم بانتصاره الباهر على الغساسنة بالشام ، وانتصروا كذلك للنعمان أبى قابوس آخر الأمراء من بنى لخم ، فاحتمى هو وأسرته ببنى شيبان عندما تآمر عليه عدى بن زيد وكسرى برويز ملك فارس بقصد إغاظته لأنه — أى أبا قابوس — كان قد سجن وقتل الشاعر زيداً أبا عدى . وترك أبوقابوس أمواله وسلاحه البالغ نحواً من ألف درع عند هانىء بن قَبيصة سيد بنى شيبان وسلم نفسه إلى كسرى فألقاه فى غياية السجن وأماته ميتة شنيعة . وتقول رواية أخرى إنه مات بالطاعون . وطلب إياس بن قبيصة سيد طيىء ، وكان كسرى قد أقامه ملكاً على الحيرة مكان النعمان ، من هانىء أن يسلم أموال النعمان وسلاحه . ورفض هانىء تسليم هذه الوديعة وبدأت بكر فى الوقت نفسه تغير على العراق فأنفذ كسرى لصدهم جيشاً أمّر عليه إياس بن قبيصة . وكان هذا الجيش يتألف من تغلب والنمر بقيادة

النعمان بن زُرْعة ، وإياد وقضاعة الجزيرة تحت إمرة خالد بن يزيد البهرانى وفرقتين من فرسان الفرس عدتهما ألف فارس وعلى رأسهم هامرز وختابرين ؛ وعسكرت بكر بقيادة هانىء فى ذى قار . واستمع هانىء لنصح حنظلة بن ثعلبة من بنى عجل ففرق شكة النعمان على بكر ووقعت الواقعة فى هذا الموضع ، وهى من أشهر أيام العرب التى مجدها الشعراء (الأغانى ، جـ ٢٠ ، ص ١٣٩ — ١٤٠) . وألحقت بكر بالفرس هزيمة منكرة وشتتت شمل الجيش ، وقتل فى هذه الواقعة خالد وختابرين وهامرز . وآخر هؤلاء الثلاثة قتله الحارث بن شريك ويعرف بالحَوْفَزَان . وتقول إحدى الروايات إن يوم ذى قار لم يحدث إلا بعد غزوة بدر بعدة أشهر . وتذهب رواية أخرى أجدر بالتصديق أن يوم ذى قار قد حدث بعد ظهور نبوة محمد بمكة . ولعل هذا اليوم سابق لهذا العهد بقليل ، أى أنه كان بين عامى ٦٠٤ و ٦١٠ م . وتزعم رواية أخرى أن النبى قد دعا بالنصر لبكر إبان القتال وأنه قد عزا انتصارهم عند ما سمع به إلى دعائه . ويلوح أن بكرا ظلت على استقلالها بعد يوم ذى قار إلى أن دخلت فى الإسلام .

ولاشك أن أعظم حروبهم مع تميم قد حدثت فى هذا العهد ؛ وكانت بكر قد جرت على أن ترعى إبلها فى أرض تميم التى تجاور أرضها ، وكان هذا يطمعها فى الإغارة على ديارها مما أدى إلى احتدام الخصومة بين هاتين القبيلتين ؛ ونذكر من الحروب التى نشبت بينهما يوم الزُوَيْرَيْن وفيه انتصرت بكر ، ويوم الهَرِير ، وكان النصر فيه حليف بكر ، ويوم السَّفح ، ويوم الصليب ، ويوم الستار وقد انتصرت فيه تميم ، ويوم سَفَار بالقرب من ذى قار وفيه تغلبت تميم ، ويوم جَبَلَة وهو حصن بالقرب من غربى الستارة ، ويوم خُوَىَ وفيه انتصرت بكر ، ويوم رأس عين وقد تغلبت فيه تميم ، ويوم الجِفَار وكانت الغلبة فيه لبكر ، ويوم سَلْمان وكانت الغلبة فيه أيضاً لبكر ، ويوم القاع ويوم الغطا وهو آخر ما حدث بينهم من وقائع فى الجاهلية .

وأرسل فريق من بكر وفداً إلى النبى فى عام الوفود (٩هـ = ٦٣٠م) أعلن إسلامه وأمّر النبى المنذر بن ساوى على هذا الوفد وعلى عبد القيس ؛

ولما توفى النبى أغار فريق من بكر ومعهم قيس بن ثعلبة على قطيف بزعامة الحُطَم بن ضُبَيْعة ، واستولوا على جزء كبير من البحرين وأقاموا الغَرُور ملكاً . والغرور هو سليل اللخميين لأنه ابن أوأخ للنعمان أبى قابوس آخر أمراء البيت اللخمى . وأنفذ إليهم أبو بكر من المدينة جيشاً أمّر عليه العلاء بن الحَضْرَمى فهزمهم عند حصن جواثاء بمعاونة تميم والموالين له من بكر نذكر منهم شيبان وعلى رأسهم المثنّى بن حارثة ، وسقط فى هذه الوقعة الحطم وأسر الغَرُور ودخل فى الإسلام . وناصرت بكرٌ خالدَ بنَ الوليد فى تقدمه نحو فارس من اليمامة إلى الأبلة على الخليج الفارسى جنوبى شرق العراق ؛ وما إن وصل إلى نباج فى عشرة آلاف رجل حتى انضم إليه ثمانية

آلاف من بكر يتزعمهم المثنى ، وكانوا يضربون خيامهم فى خَفّان شمالى العراق ، وتمكن بمعونتهم من هزيمة الفرس والممالئين لهم من قبائل العرب النصرانية ومنهم فريق من بكر ، عند كاظمة على مسيرة يومين من الموضع الذى عُرف بعد ذلك بالبصرة ، وتعرف هذه الوقعة بوقعة ذات السلاسل ، وعند الوَلْجَة بالقرب من الثنية الكبيرة التى تصل الفرات بدجلة وفى وقعة ألَّيْس عام ١٢هـ (٦٣٣م). ووجه الخليفة أبوبكر خالداً إلى الشام عام ١٣هـ (٦٣٤م) وترك جند الخيرة إلى المثنى الذى هزم الفرس بالقرب من أطلال بابل وأنقذ جيش أبى عبيد الذى هزمه الفرس وكادوا يفنونه يوم الجسر وتوفى المثنى بذى قار فى السنة الثانية من خلافة عمر بعد أن ألحق بالفرس هزيمة منكرة عند البُوَيْب وهو نهر يأخذ من الفرات شرقى الموضع الذى عرف فيما بعد بالكوفة . وحاول الفرس بعد وفاته أن ينالوا من شيبان ومن معهم من بكر بزعامة المُعَنَّى أخى المثنى ولكنهم لم يفوزوا بطائل .

ثم إننا نجد بكراً بعد ذلك تحارب بكراً فى وقعة الجمل عند الخُرَيْبة أمام البصرة عام ٣٦هـ (٦٥٦م) كما سبق أن اقتتلا فى الحروب السابقة مع الفرس . ولما وصل علىّ إلى ذى قار فى هذه السنة أرسل إليه فريق من بكر وفداً منهم عقد معه حلفاً . وحارب فريق آخر فى صف خصومه . ويقال إنهم فقدوا خمسمائة رجل فى هذه الوقعة . وانسحب بكر خراسان ومرو إلى هراة وكان الكثيرون من قبيلتهم قد سبقوهم إلى الإقامة فيها . وكان عليها عامل منهم هو أوس بن ثعلبة وذلك إبان الفتنة التى شبت فى خراسان عام ٦٤هـ (٦٨٣م) من جراء انتقاض عبد الله بن خازم المضرى ، وهزمهم عبد الله شر هزيمة حتى ليقال إنه قد سقط منهم ثمانية آلاف رجل . واستولى على هراة . وفى عام ٦٧هـ (٦٨٦م) استمال خالد بن عبد الله بكر البصرة بزعامة مالك بن مِسْمَع لصف الخليفة عبد الملك. ولما توفى الخليفة الوليد عام ٩٦هـ (٧١٥م) انتقض قُتَيبة بن مسلم عامل خراسان على الخليفة سليمان وانحاز سبعة آلاف من بنى بكر وعلى رأسهم حُضَيْن بن المنذر إلى سليمان . وبقى بنو بكر على ولائهم للحكومة إبان فتنة يزيد بن المهلب عامل العراق ، وهى الفتنة التى شبت بالبصرة عقب وفاة عمر بن عبد العزيز عام ١٠١هـ (٧٢٠م) ، ولكن يزيد ابن المهلب تغلب عليهم . ونجدهم بعد ذلك يحاربون أبا مسلم داعية العباسيين أيام أبى جعفر المنصور ثانى خلفاء بنى العباس . ولكنه هزمهم أيضاً .

أما تاريخهم بعد ذلك فتصل بتاريخ الجزيرة وخاصة ديار بكر .

المصادر :

(١) ياقوت : معجم البلدان ، طبعة فستنفلد، جـ ١ ، ص ١٤٣ ، ١٤٩ ، ٢٧١ ، ٤٧٢ ، ٥٠٨، ٩٢١ ؛ جـ ٢ ، ص ١٣ ، ٤٠ ، ٨٩ ، ٤٠٠ ، ٥٠١ ، ٦٣٦ — ٦٣٧ ، ٧٣١ ، ٧٥٥ ؛ جـ ٣ ، ص ٣٨ ، ٩٥ ، ٩٧ ، ١٢١ — ١٢٢ ، ١٩٩ ، ٤١٥ ، ٦٨٦ ، ٧٣٦ ، ٨٠٣ ، ٨٠٧ ؛ جـ ٤ ، ص ١٠—٢ ، ١٧ ، ١٢٩ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٨٨٠،

٩٧٠ (٢) الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، طبعة
مولر Mueller ، ص١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٣٣ ، ١٦٩،
١٧٦ (٣) البكرى : المسالك والممالك ، طبعة
فستنفلد ، ص ٥٣ ، ١١٦ ، ٣٢٤ ، ٧١٣ ،
٧٧٣ ، ٨٠٠ (٤) المكتبة الجغرافية العربية، طبعة ده
غويه ، ج ١ ، ص ٢٠ — ٢١ ، ٧٥ ، ج ٣ ،
ص ١٣٧ ، ج ٧ ، ص ٢٨٥ (٥) الطبرى ،
طبعة ده غويه ، ج ١ ، ص ٨٣٩ ، ١٠٢٩ —
١٠٣٥ ، ١٩٦١ ، ٢٠٣٢ ، ٣١٥٨ ، ٣١٧٩ ،
٣١٨٠ ، ٣٢٢٤ ، ج ٢ ، ص ٤٨٩ ، ٤٩١ —
٤٩٢ ، ٤٩٥ — ٤٩٦ ، ٧٢٠ ، ١١٠٣ ، ١٢٩١ ،
١٣٨١ ، ١٩٠٦ وانظر أيضاً الفهرس تحت مادة
بكر (٦) ابن الأثير ، طبعة تورنبرغ ، ج١ ،
ص ٣٨٤ — ٣٩٥ ، ٤٠٦ — ٤٠٩ وانظر أيضاً
الفهرس تحت مادة بكر (٧) المسعودى : مروج
الذهب ، طبعة Barbier de Meynard et Pavet
de Courteille ، ج٢، ص٢٢٧—٢٢٨ (٨) ابن قتيبة :
كتاب الشعر والشعراء ، طبعة ده غويه ، ص
٨٢ ، ٩٦ ، ١٦٤ — ١٦٦ ، ٣٤٢ ، ٤٣٨ (٩)
الأغانى ، ج ٤ ، ص ٤٠ — ٤٤ ؛ ج ١٣ ، ص
٤٧ ، ج ١٤ ، ص ٤٦ ؛ ج ٢٠ ، ص ١٣ — ١٦ ،
٢٣ ، ١٣٢ — ١٤٠ وانظر الفهرس تحت مادة بكر
(١٠) البلاذرى : فتوح البلدان ، طبعة ده غويه ،
ص ٧٨ ، ١٧٦ ، ٢٤١ ، ٣٤١ ، ٤٠٣ (١١)
أبو الفداء : مختصر تاريخ البشر ، طبعة فليشر
Fleischer ، ص ٨٤ (١٢) ابن دريد : كتاب
الاشتقاق ، طبعة فستنفلد ص ٢٠٢ ، ٢٠٤ —
٢٠٥ (١٣) Wuestenfeld : *Geneologische Tabe-*
llen der arabischen Staemme und Familien، كوتنگن
سنة ١٨٥٢، القسم الثانى : *Ismailitische Staemme*، لوحة ١
(١٤) الكاتب نفسه : *Register den genealogischen*
Tabellen ، گوتنگن سنة ١٨٥٣، ص ١١٠، ١١٣ ،
٢٦٨ — ٢٦٩، ٣٠٧ (١٥) Sprenger : *Die alte*
Geographie Arabiens ، برن سنة ١٨٧٥، ص ١١٩،
١٣٠ (١٦) Ritter : *Erdkunde* ج١٢، ص ٣٧ ،
١٠٤ — ١٠٥ (١٧) Blau : *Arabien im sechsten*
Jahrhundert, eine ethnographische Skizzeeitschr.
فى *der Deutschen Morgen Gesellsch.* ، ج ٢٣ ،
ص ٥٧٩ — ٥٨٢ (١٨) A. Mueller : *Der Islam*
im Morgen und Abendland برلين سنة ١٨٨٥، ج١،
ص ٣ — ٥ ، ١٨ — ٢٩، ١٨١، ٢٢٦ — ٢٤١ ،
٣١٦ — ٣١٧ ، ٣٧٧ ، ٣٩٠ ، ٤١١ ،
٤٣٦ — ٤٣٧، ٤٦٠ (١٩) Caussin de Perceval :
Essai sur l'histoire des Arabes avant l'islamisme
باريس فى ثلاثة مجلدات ، سنة ١٨٤٧ — ١٨٤٨ ،
ج ١ ، ص ١١٦ ، ١٩٠ — ١٩١ ، ج ٢ ، ص
ص ١٦٤ — ١٨٥ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ — ٣٠٢ ،
٣٦٤ ، ٥٧١ — ٥٧٢ ، ٦٠٤ — ٦٠٥ ، ج ٣ ،
ص ٣٤٧ ، ٣٨٠ ، ٣٨٢ — ٣٨٤ ، ٤٠١ —
٤٠٢ ، ٤٣٨ ، ٤٦٩ — ٤٧٠ ، وانظر الفهرس
تحت مادة بكر (٢٠) Muir : *The life of Mahomet*
لندن ١٨٥٨ ، ج ١، ص ١٨٢ ، ٢٢٠—٢٢٣ ،
٢٢٧ (٢١) الكاتب نفسه : *Annals of the early*
Caliphate ، لندن سنة ١٨٨٣ ، ص ٣٨ ، ٤٨ —
٥٠ ، ٦٧ — ٦٨ ، ٧٢ — ٧٦ ، ١١٢ — ١١٣ ،
١٢٩—١٤٠ ، ١٥٩، ٣٥٩—٣٦٠ (٢٢) Jacob :

Altarabisches Beduinenleben، الطبعة الثانية برلين سنة ١٨٩٧، ص ٣٢ (٢٣) ؛ Van Berchem Strzygowski : *Amida, Materiaux pour l'épigraqhie et l'histoire Musulmanes du Diyar Bekr* باريس وهيدلبرغ سنة ١٩١٠، ص ٧–٤٢ ، ٧٤–١٠٤ ، ١١٠–١١٦ .

(شليفر Schleifer)

+ **بكر بن وائل** : جماعة من القبائل العربية القديمة فى وسط الجزيرة العربية ، وشرقيها ، وشماليها (من بعد) . وتنتسب قبيلة بكر إلى نفس القوم — الذين عرفوا فيما بعد باسم ربيعة — شأنها فى هذا شأن قبيلة عبد القَيْس (انظر هذه المادة) . وهم يجيئون بعد هؤلاء بثلاث حلقات فى سلسلة النسب القبلى ، وتعد قبيلة ثَعْلَبة (ابن عُكَابة) بمثابة القلب من بكر . ويتحدث عنها يوشع العمودى Joshua Stylites (فصل ٥٧) فى حوادث عام ٥٠٣ فيقول إنها أعظم قبيلة فى إمبراطورية كندة العربية الشمالية ، وهى تظهر بعد ذلك بفترة قصيرة فى نقش من جنوبى الجزيرة العربية (Ryckmans ، *Le Muséon* ، ٥١٠ سنة ١٩٥٣) ؛ وثعلبة فى مستوى قبيلتى عِجْل وحنيفة بن لُجَيم فى سلسلة نسب بكر ، وقبيلة يَشْكُر بن بكر تسبقها بثلاث حلقات فى سلسلة النسب ، وانشعبت قبيلة ثعلبة نفسها إلى شَيْبان وذُهْل وتيم اللات (تيم الله) وقيس . وكانت قبائل بكر تعيش فى منطقة اليمامة ، وكانت هذه المنطقة تضم فى هذا العهد العِرْض ، وهو وادى حنيفة وروافده لُحَا (شيب ها على الخرائط) ونِساح والسُلَىّ وناحية الخَرْج إلى الجنوب وناحية الوتْر وروافده شمالى مقسم الماء . وكانت الحجر ، عاصمة اليمامة (قرب الرياض اليوم) ، فى أيدى قبيلة حنيفة . وكذلك استقر هناك من بعد أفراد من قبائل بنى بكر الأخرى . أما ثانى البلاد الكبرى وهى جَوّ (جَوّ اليمامة وهى الخِضْرِمة من بعد) جنوبى شرقى الحجر فكان أغلب سكانها من بنى حنيفة ، الذين كانوا يمتلكون أيضاً واحتى قُرّان ومَلْهَم عند الطرف الأقصى لمقسم الماء . وقد وجدت منازل لبنى حنيفة فى منطقة أبعد من ذلك فى الشمال الغربى بإقليمى الوَشْم والسَدَيْر . وكانت قبيلة ذهُل بن ثعلبة تعيش (فى قرية بنى) سَدُوس ، التى سميت باسم أحد بطونها ، فى وادٍ يصب فى الوتر . أما قبيلة قيس بن ثعلبة فكانت تعيش فى مَنْفوحَة إلى الجنوب من الرياض وفى منازل أخرى . وثمة أيضاً دليل على وجود قرى لبنى يشكر وعجل وشيبان . وكانت جوّ والحَجْر موضعين لحضارة قديمة ترتبط بقبيلتى طَسْم وجديس البائدتين واللتين ورد ذكرهما فى الأساطير والملاحم المتأخرة . وكانت الشواخص لاتزال تشاهد فى الحجر فى العصور الإسلامية الأولى . أما فى جوّ فقد دمرها أحد أفراد أسرة حسّان العربية فى الجنوب أثناء غارة شنها عليها (الأعشى ، رقم ١٣ ، ١٦ — ٢١) .

وكانت أشجار النخيل تغرس فى كل الواحات ، أما الحبوب فكانت تزرع فى وادى العِرْض وفى الخَرْج . وكانت الحنطة ترسل إلى مكة فى سنوات الرخاء ، أما فى أعوام القحط فكانت لا تكفى حتى

للاستهلاك المحلى (المتلمس ، طبعة فولرز Vollers ، تعليق رقم ٥ ، ورقم ٨ : الأعشى ، الأبيات رقم ١٩ ، ٢٤ ؛ ٢٣ ، ٢٢ — ٢٣ ؛ ابن هشام ، ص ٩٩٧ وما بعدها) . ولما كانت قرى بنى بكر متقاربة فقد كان يشتجر بينها أحياناً نزاع تحرق فيه أحراج النخيل (الأعشى ، رقم ١٥ ، ٥٦ — ٥٧ ؛ ٣٨ ، ٩ — ١١ ؛ ياقوت ، انظر المُحَرَّقة ، أسفل سدوس) . وأفلت بعض بنى بكر من التعرض لهذه الظروف بالرحيل والانخراط فى سلك الجنود المرتزقة (أوس بن حجر ، طبعة گير Geyer ، تعليق رقم ١٤ ؛ المفضليات ، طبعة ليال Lyall ، قصيدة رقم ١١٩) ، وانتهج الكثيرون حياة البداوة التى تقبلتها من بعد بطون كبيرة من قبائلهم .

ومن المحتمل أن تكون هذه الحركة قد بدأت بظهور قبيلة كندة فى النصف الثانى من القرن الخامس ، وليس بين أيدينا معلومات ثابتة عن الطرق التى سلكتها قبائل بكر فى ذلك العهد على الرغم من أن المصادر المتأخرة (Ryckmans ، ص ٥١٠ ؛ المفضليات ، ٤٣٠ ، ١٣) تبين أنهم ذهبوا إلى غربى (وشرقى ؟) اليمامة . وأثناء هذه الفترة كان هناك نزاع طال أمده بين قبيلة بكر وشقيقتها قبيلة تغلب ، لم ينته إلا فى منتصف القرن السادس ، بصلح عقد تحت رعاية مكة فى ذى المجاز ، خارج الحرَم (الحارث بن حِلِّزة : المعلَّقة ، طبعة أرنولد ، رقم ٦٦) . وبعد يوم كُلاب الأول (وقعة بين وريثين لإمبراطورية كندة ، حوالى عام ٥٣٠ م ، فى ثهلان ، جنوبى غرب دُوَادَمِى) بحق حادثة فى ذلك النزاع . وحدث بعد ذلك بوقت قصير أن غادرت قبيلة تغلب — التى كانت منطقة ترحالها وقتذاك تمتد من ساجِر فى السِّر الأعلى إلى نَطّاع قرب الخليج الفارسى (المفضليات ، ٤٣٠ ، ١٣ ، معلقة الحارث ٧٩) — وسط الجزيرة العربية واستقرت فى السهوب التى على الجانب القريب من نهر الفرات الأدنى ، حيث كان بعضهم فيما يحتمل قد استقر قبل ذلك العهد ، وتبعتهم قبيلة بكر ، ولكنها توقفت قبل بطن فلج . ويبدو أن أسماء الأماكن التى ذكرها الشعراء وقتذاك وبعد ذلك تدل على أن الطرق التى سلكتها قبيلة بكر البدوية فى العقود التالية كانت تسير من الشمال إلى الجنوب . ثم إن المنطقة التى أخلتها من بعد قبيلتا تغلب وبكر على الجانب الأدنى من ثنية الطُّوَيّق كانت فيما يرجح قبل عام ٥٣٠ م تنتشر فيها قبيلة تميم ، وكان موطنها يقع على جانبى التَسْرير . وانتشر أفرادها بعد عام ٥٣٠ عبر الطريق إلى شرقى الجزيرة العربية ، ولما كانت طرق البادية التى تسلكها كلا الجماعتين يتقاطع بعضها مع بعض ، فقد اضطرا على نحو ما إلى الحفاظ على السلام ، والحق إنه لم تحدث معارك تستحق الذكر فى العقود التالية بين قبيلتى بكر وتميم .

وظهر عدد من أسر الشيوخ البارزين فى العهد الذى اقتضت فيه الصلات المتغيرة ، بين قبيلتى بكر وتغلب وبين قبيلة تميم وملوك كندة والحيرة، إلى وجود زعماء لهم خبرة سياسية . ويظل كتاب بسطام بن قيس لبراونليش [E. Braunlich ; *Bistam ibn Qais*

نيبسك سنة ١٩٢٣) فرد من أفراد هذه الأسر يسعى ذا الجدّين . ولقد حدث تطور مبكر فى الشعر ، وبخاصة بين قبيلة قيس بن ثعلبة ، بسبب الروابط مع الحيرة ، كما تشهد بذلك أشعار المرقّش (تظهر الأسطورة الخاصة به لأول مرة فى قصيدة لطرفة : الشعراء الستة الجاهليون، أبيات رقم ١٣ ، ١٤—١٩ ، فى محاكاة قام بها شاعر متأخر من الحيرة ؛ وتوجد هنا ملحوظة ، هى أن « المرقش الأصغر » لا وجود له على الإطلاق ، كما يتضح من الفرزدق فى « النقائض » ، ٢٠٠ و ١٥ ، إذا اكتفينا بذكر شاهد واحد) ، وقصائد عمرو بن قميئة (انظر هذه المادة) ، الذى لم يذهب قط إلى بوزنطة مع امرئ القيس ، وقصائد طرفة ، وقصائد الأعشى الذى أدرك القرن السابع . وازدهر الشعر أيضاً بين بنى يشكر ، الذين ينتمى إليهم الحارث بن حِلِّزة .

وبدأت قبيلة بكر البدوية عهداً جديداً ، عندما أخلى بنو تغلب السهوب عند نهر الفرات الأدنى وهاجروا مصعدين مع النهر وراء أميرهم عمرو بن كلثوم ، بعد أن قتل ملكَ الحيرة ، عمرو ابن هند ، عام ٥٦٩ — ٥٧٠ ؛ ويقول شاعر حوالى عام ٥٨٠ م (المفضليات ٤١ ، ١١) :

وبكر لها ظهر العراق وإن تشأ

يحل دونها من اليمامة حاجب

وبعد عشر سنوات أو نحوها بدأ بنو تميم ، وبخاصة بنو يربوع ، يشقون طريقهم قدماً ليضربوا خيامهم فى الحَزْن إبان الربيع . وأدى هذا إلى تبادل الغارات التى وقع بعضها بين عامى ٦٠٥ و ٦١٥ ؛ وقد وصفها براونليش Brauenlich (فى كتابه السابق الذكر) ؛ ونحن نعرف الكثير عن قبائل بكر المتبدّية فى هذا العهد ، كما نعرف شيئاً عن المنطقة التى كانوا ينتشرون فيها ، وكانت القبائل المذكورة هى شيبان ، وعجل ، وقيس ، وتيم اللات بن ثعلبة ؛ وبلغ بنو عجل ما أصبح يعرف من بعد بطريق الحج الكوفى فى الغرب ، كما بلغوا تُقَيِّد فى الشرق ، وضرب بنو شيبان خيامهم إلى الشمال والجنوب من خط الكاظمة (قرب خليج الكويت) — رأس العين = البُسَيِّنَة (؟) — أما بنو سلمان وقيس بن ثعلبة فضربوها جنوبى شرق هذه ، بين المَسنَاة (ذكر ياقوت أنها المَثنَّاة خطأ) ورأس العين (الأعشى ، رقم ١٤ ، ٢٠ ، ٢٩ ، ٢٤) ؛ وأقامت قبائل تيم اللات وقيس وعجل حلفاً لَهَازِم ، حتى لايغلب عليها بنو شيبان ؛ ولا يعرف بالضبط أين كان بنو بكر الشماليون يقضون فصل الشتاء ، ولكن يبدو أن بنى قيس بن ثعلبة قد تناوبوا الإقامة — على الأقل فى الثمانينات — بين اليمامة والشمال (الأعشى : القصيدة رقم ٣٢ ، وهى قصيدة متقدمة فى الزمن ، وبخاصة ٥ ، ٤٨) ؛

أما بنو شيبان فإنهم كانوا يذهبون بين حين وآخر حتى واحات البحرين فى شرقى الجزيرة العربية بينما ظل بنو عجل ، على ما يظهر ، فى الشمال . وكانت القبائل تتجمع إبان فصل الصيف حيث يوجد الماء على هذا الجانب من الطَّفّ بين عين

صَيْد وأبي غار . وفي هذه المنطقة حدثت موقعة ذي قار الشهيرة التي صد فيها بنو ذهل بن شيبان طليعة فرسان هامرز (انظر هذه المادة) الفرس ، ودار القتال فيها حوالي عام ٦٠٥ (الأعشى : رقم ٤٠) ؛ وعلى الرغم من هذا فإن بني بكر سرعان ما خضعوا من جديد للنفوذ الفارسي . وفي هذا الوقت انتشرت العداوة بين بني بكر وبني تميم في الشمال ، ووصلت إلى وسط الجزيرة العربية حيث كان هوذة بن علي ، أمير جوّ ، من بني حنيفة ، وهو قيل من أقيال الفرس ، يتعرض لضغط شديد من بني تميم ، حتى قضى على شوكتهم قضاء مبرماً والي البحرين الفارسي (انظر الأعشى رقم ١٣ ، ٦٢ — ٦٩) . وهذا يأتي بنا إلى العصور الإسلامية .

واعتنق المسيحية بعض من في الشمال وكذلك بعض من في الجنوب ، وانتشرت خاصة بين عجل وبين ذي الجدّين (بن ظهراني بني شيبان) . وكان الأعشى وهوذة بن علي مسيحيين أيضاً ؛ ويدل انضمام اليمامة إلى مسيلمة (انظر هذه المادة) على أن المسيحية لم تضرب جذورها هناك ، ولكن الموقف في الشمال كان مختلفاً تماماً : فإن حالة الأبجر بن جابر ، الغازي السابق ، الذي مات على دين المسيحية في الكوفة عام ٦٤١ م ، يصعب علينا أن نعدها حالة استثنائية بين بني عجل ؛ وتمسك بنو ذي الجدين أيضاً بعقيدتهم المسيحية ؛ أما الوثنية التي نقرأ عنها فقرة شائقة في قصيدة عمرو بن قميئة ، (رقم ٢ ، ٩ — ١٥) فلا يكاد يتحدث عنها الشعراء المتأخرون ، إلا إذا حسبنا منهم الأعشى (رقم ٣٩ و ٤٧) في حين أن الصنم المُحَرَّق في سلمان (ياقوت ، حـ ٤ ؛ انظر اخرق) لا يرد ذكره في كتاب الأصنام لابن الكلبي .

ولقد حاول محمد (صلى الله عليه وسلم) أن يتصل بهوذة بن علي حتى قبل فتح مكة ، بيد أن رسالته قوبلت ببرود واستعلاء ؛ وكان خلفه في الحَجْر هو مسيلمة ؛ ومن الغريب كل الغرابة أن ثُمامَة بن أثال الذي ورد اسمه في السيرة وحروب الردّة لا وجود له في أنساب ابن الكلبي ، الذي يعتمد في هذا الشأن على مصدر بكري . وثمة معلومات عن الردة في شرق الجزيرة العربية ، التي انتشرت عن طريق قيس بن ثعلبة ، يمكن أن نجدها بصفة موقوتة في كتاب فلهاوزن (Wellhausen : *Skizzen und Vorarbeiten* ، حـ ٤ ، ص ٢٠ وما بعدها) . وفي غضون ذلك كان بنو بكر في الشمال قد انتهزوا فرصة النزاع على خلافة الحكم في طيسفون (٦٢٨ — ٦٣٢) فأغاروا على الأرض المزروعة (كما فعلوا من قبل في موقعة ذي قار) ؛ واشتهر في هذه المناسبة المثنى بن حارثة . وهو أحد قادة بني ذهل بن شيبان . وعندما بلغه خبر هزيمة أهل الردة انضم للإسلام وبهذا دعم زعامته ؛ وقد هيأ مع خالد بن الوليد الظروف التي أدت من بعد إلى تسليم الحيرة . ولما وقف المسلمون موقف الدفاع بعد رحيل خالد إلى الشام في أوائل عام ٦٣٤ م قام بتغطية الانسحاب في موقعة الجسر في خريف عام ٦٣٤ ؛ وحدث أعظم فعل قام به بعد ذلك بعام

فى البُوَيْب ، ثم سقط بعدها صريع جراحه؛ ومهدت قبيلة بكر (وتميم) الأرض لفتح ما أصبح يعرف فيا بعد باسم ولاية البصرة . واشترك بنو بكر وبنو حنيفة فى موقعة نهاوند عام ٦٤٢ م ووصل بنو بكر إلى خراسان مع جند من البصرة ، وكان فيها منهم ٧٠٠٠ رجل عام ٧١٥ م (الطبرى ، حـ ٢ ، سنة ١٢٩١) : وفى كلا المكانين كانوا من أسباب انتشار الأحقاد القبلية القديمة التى استمرت هناك على نطاق أوسع : وأقاموا هم وبنو عبدالقيس، جماعة ربيعة فى البصرة ، وانضموا من بعد إلى أزد عُمَان ، الذين هاجروا حوالى عام ٦٨٠ . ولما كان بنو تميم قد انضموا إلى جماعة بنى قيس (أهل العالية) فقد حدث صدع من جديد . ومهما يكن من أمر فإن العداوة هدأت بعد قتال دار بين الفريقين ، عند وفاة يزيد الأول عام ٦٨٤، وحافظ بنو بكر على السلام بعد أن أعلن مالك ابن مِسْمَع (أحد أفراد أكبر أسرة من بنى قيس ابن ثعلبة) عام ٦٩٠ أنه يعمل لصالح الخليفة عبد الملك : وكان الموقف مختلفاً تماماً فى خراسان . حيث نشب نزاع دموى بين قبيلتى بكر وتميم ، أعقبه احتكاك دائم بين بنى ربيعة أزد وبنى قيس تميم ، استمر هنا أيضاً ، وأنجبت قبيلة بكر زعيماً عاقلا (يحيى بن حُضَيْن) ، وآخر شخصية نابهة منها هى شخصية القائد ورجل الدولة معن بن زائدة (انظر هذه المادة) من ذهل بن شيبان .

وبينما اختفى بنو بكر من سهوب البصرة منذ عهد بعيد فإنهم مكثوا فترة أطول فى الكوفة .

واحتفظ بنو عجل بمنطقتهم التى يغلب عليها طابع البداوة ومدوا رقعتها من بعد نحو الشمال الشرقى . ومهما يكن من أمر فإن بنى شيبان هاجروا متجهين إلى الشمال الغربى ، حتى مياه اللَّصَف ، التى لاتبعد عن الكوفة ، وانتقلوا من بعد فى أعداد كبيرة إلى منطقة الموصل فى الشمال حيث استقروا على ضفتى نهر دجلة . وثمة أبيات ثلاثة تسللت إلى ديوان عمرو بن قميئة (قصيدة رقم ١٦) تصف حنين فتاة إلى الديار ، فى هذه الرحلة البطيئة التى قطعتها فى بلاد غريبة إلى ساتيدما (ولعلها جبل مقلوب ، المواجه للبلدة) ؛ وتروى أخبار لأبى مِخْنَف (الطبرى ، حـ ٢) خاصة بزعيم الخوارج النبيل ، شَبيب بن يزيد (من ذهل بن شيبان ، وقد قتل عام ٦٩٧ م) التذبذب العجيب بين حياة البداوة والحضارة فى ذلك العهد ، وانتشر بنو بكر من هناك نحو الشمال حتى ديار بكر (وهو اسم متأخر) وآذربيجان .

واكتمل بنو شيبان مرة أخرى فى قبيلة بدوية كبيرة : وكانوا يضربون خيامهم فى فصلى الربيع والصيف بين الزاب الأعلى والزاب الأدنى ، وينتقلون فى الشتاء حتى المنطقة الواقعة أسفل الكوفة . وقاموا فى القرن التاسع بغارات متوالية على سهل الموصل ، انتهت بإنفاذ حملة إليهم . بقيادة الخليفة المعتضد . وفى القرن الحادى عشر تقدموا فى الأرض المزروعة فى العراق ، ولكنهم تواروا عن الأنظار فى مستهل القرن التالى . وبدأ اسم ربيعة يحل محل قبيلتى بكر وعبد القيس فى

البصرة وفى خراسان، وبكر وتغلب فى شرق الجزيرة (ديار ربيعة] . وحدث هذا أيضاً فى الجزيرة العربية . وترجع أسرة آل سعود المالكة نسبها إلى بنى ربيعة .

المصادر :

(١) ابن الكلبى : جمهرة ، مخطوط ، لندن، ورقة رقم ١٩٣ ا و ٢٢٦ ب . (٢) مخطوط بمكتبة الإسكوريال ، ص ١ ــ ٤٩ . (٣) الطبرى ، انظر الفهارس . (٤) الجغرافيون العرب . (٥) *Die Beduinen* : M. Frh. von Oppenheim ج ٣ ، ڤيسبادن سنة ١٩٥٢ ص ٢١١ وما بعدها . (٦) Ulrich Thilo : *Die Ortsnamen in der altarabischen Poesie* ، ڤيسبادن سنة ١٩٥٨ (= *Schriften der Frh. von Oppenheim-Stiftung* ، رقم ٣) .

آدم [كاسكل W. Caskel]

+ « بكْر » : الصوباشى : قائد عسكرى ووال فى العراق الأوسط . وقد حقق بكر لنفسه فى وحشية خلت من أية شفقة أورحمة مركزاً عسكرياً بارزاً ومكانة مدنية مرموقة فى عهد باشا ضعيف ولى بغداد . وكان بكر رجلا مظفراً فى القتال فردّ على مؤامرة دبرها له أعداؤه فى العاصمة رداً قوياً، وهيمن على الولاية هيمنة فعالة،والتمس من السلطان أن يوليه رسمياً منصب « بكلربكى» وهو اللقب الذى اتخذه وقتذاك . ورفض ملتمسه وزحف جيش من ديار بكر ، وهى أقرب ولاية ثابتة على العهد ، على بغداد ليردّ إليها الحكم الشرعى والنظام . ودار قتال شديد ، وظلت الحرب سجالا عدة أسابيع بين فريق الموالين وقوات المغتصبين ، وهنالك استقر رأى بكر فى خيانة لايأتيها إلاالفجار أن يدعو الشاه عباسا الفارسى إلى العودة إلى احتلال العراق وبهذا أجبر حافظ أحمد ، أمير ديار بكر ، على أن يؤيد تعيينه باشا للولاية ، مع نفوره الشديد من هذا الأمر،ذلك أن حافظاً هو الوحيد الذى كان فى وسعه وقتذاك أن يمنع حدوث انتقاص مخجل من أراضى الدولة العثمانية . وانسحبت القوات الموالية ، واقتربت القوات الفارسية من المدينة . ورفض بكر أن يفتح الأبواب ، وبعد مفاوضات حفلت بالنفاق البليد أخضعها الشاه بالحصار . وانتهى الأمر بتسليم غادر للمدينة على يد ابن الصوباشى . ونهبت بغداد وذبح المئات ، وقتل بكر قتلة شنيعة . وظلت العراق تخضع للحكم الفارسى حتى فتحها مرة أخرى السلطان مراد فى عام ١٠٤٨هـ (١٦٣٨م)

المصادر :

(١) S.H. Longrigg : *Four Centuries of Modern Iraq* (سنة ١٩٢٥) ، ص ٥١ ــ ٧ والمصادر التى ذكرها (ص ٥١ ــ الحاشية) : وبخاصة مرتضى نظمى زاده : كلشن ــ خلفا (Longrigg ، ص ٣٢٧)

آدم [س .هـ. لونكرك S.H. Longrigg]

+ « البكرى » : (انظر مادتى البكرية» و« صديقى ») .

+ « البكرى » ، أبو الحسن أحمد بن عبد الله ابن محمد ، ويبدو أن هذا هو الصيغة التى تحظى بأكبر قدر من القبول لاسم المؤلف المزعوم أو الراوى الأخير للقصص التاريخية التى تتناول السنوات الأولى للإسلام والذى ينسب إليه أيضاً فضل تأليف مولد وسيرة قصصية لحياة محمد صلى الله عليه وسلم . . وترد أقدم سيرة خُصّص بها فى كتاب للذهبى يسمى الميزان (طبعة القاهرة سنة ١٣٢٥ ، حـ ١ ، ص ٥٣) : ويتحدث الذهبى ساخطاً عن البكرى ويصفه بأنه كاذب وملفق لقصص غير حقيقية تضمها كتب ميسورة عند الوراقين (والمظنون أنها تلقى رواجاً كبيراً) ، وإذا نظرنا بعين الاعتبار إلى المزيد من الحقائق التى تقول إن مخطوطاً لأحد مصنفاته (Vatican Borg. رقم ١٢٥) يرجع إلى عام ٦٩٤ ، (١٢٩٥م) وأن الكتّاب الذين أدركوا أواخر القرن الثالث عشر الميلادى استشهد بهم فى سيرة النبى (Ahlwardt : ... *Verzeichniss der arab. Hss. zu Berlin* ، رقم ٩٦٢٤) فإن البكرى يكون قد عاش فيما يبدو فى النصف الأخير من القرن الثالث عشر : وإذا كان هذا الاستنتاج يجب أن يظل حالياً موضوعاً للتأمل العميق فإنه لايوجد دليل مقنع يدعو إلى الشك فى الصفة التاريخية لشخصية البكرى التى لاتستقر على قرار : وإذا كان لقب « الواعظ البصرى» الذى كان يلقب به بين حين وآخر ، يمكن الوثوق به فإنه كان يحيا حياة ناشطة فى العراق .

وليس من المحقق بحال أن جميع المصنفات المنسوبة إلى البكرى ترد إلى كاتب واحد بعينه ، مثال ذلك أن سيرة النبى صلى الله عليه وسلم تستشهد بأسماء حقيقية وكتّاب حقيقيين ، بينما المصنفات الأخرى غامضة ومضطربة فى إشاراتها إلى المصادر ، وهى تؤثر الأسماء المختلقة فى الحالات النادرة التى تذكر فيها أسماء الرواة ، وفضلا عن هذا فالظاهر أن السيرة لم تكن معروفة بعد آنئذ للذهبى ، وهناك إشارة إليها أضافها ابن حجر (فى كتابه اللسان ، حـ ١ ، ص ٢٠٢) فى السيرة التى نقلها عن الذهبى : ولم يتيسر بعد تقصى العلاقة بين المصنفات المختلفة أو بين النسخ المهذبة ، ولكى نصل إلى نتائج سليمة لابد أن ندرس كل المخطوطات العديدة المحفوظة فى مكتبات مشتتة تشتتاً كبيراً .

المصادر :

تبدأ معرفة الناس بالبكرى فى الغرب بما كتبه L. Marracci (١) انظر C.A. Nallino: *Raccolta di Scritti* ، حـ ٢ ، ص ١١٥ (٢) وانظر علاوة على هذا R. Paret : *Die legendaere Maghazi-Literatur* ، توبنگن سنة ١٩٣٠ ، ص ١٥٥ — ١٥٨ (٣) Brockelmann ، حـ ١ ، ص ٤٤٥ (٤) بروكلمان ، قسم ١ ، ص ٦١٦ (وهو أساسى فى هذا الموضوع ولكن به أخطاء عدة شوهته) (٥) فتوى بحرم قراءة السيرة التى كتبها للنبى صلى الله عليه وسلم ، أصدرها ابن حجر الهيثمى : للفتاوى

الحديثة ، القاهرة سنة ١٣٥٣هـ = ١٩٣٤م ، ص ١١٦ .

وانظر علاوة على ذلك كتب المغازى والتأريخ .

آدم [ف. روزنتال F. Rosenthal]

« البَكْرى » بن أبى السرور : اسم يطلق على مؤرخين عربيين من الأسرة المصرية المشهورة التى تضم شيوخ الطريقة البكرية (من الشاذلية) .

١ — محمد بن أبى السرور محمد بن على الصديقى المصرى ، المتوفى عام ١٠٢٨هـ (١٦١٩م) . وتضم مصنفاته علاوة على تاريخ عام فى جزءين (عيون الأخبار ، ونزهة الأبصار ، وهو مختصر أيضاً فى كتاب بعنوان تحفة [أو تذكرة] الظرفاء) تواريخ عدة عن الأتراك العثمانيين (فيض المنان ، والدرر الأثمان فى أصل منبع آل عثمان ، والمنح الرحمانية ، مع ذيل عن مصر عنوانه اللطائف الربانية) وتاريخ عن الفتح العثمانى لمصر (الفتوحات العثمانية) ومصنف عن محاولة قام بها محمد پاشا والى مصر عام ١٠١٧هـ (١٦٠٨ — ١٦٠٩م) لإلغاء ضريبة تسمى حق الطريق (التفريج الكبرى فى دفع [أو رفع] الطلبة) .

المصادر :

(١) Brockelmann ، ٢ = ٢، ص ٣٨٨ (٢) بروكلمان قسم ٢ ، ص ٤١٢ (٣) Wuestenfeld : Geschichtsschreiber ، رقم ٥٥٢ (٤) Babinger : ص ١٤٧ (٥) حاجى خليفة ، طبعة فلوكل Fluegel ، تعليقات أرقام ٢٦١٩ ، ٤٩٨١ ، ٨٤٥٨ ، ٩٣٢٥ ، ١٣١٥٢ . (٦) إسماعيل پاشا بغدادى : هداية العارفين ، إستانبول سنة ١٩٥٥ ، جـ ٢ ، ص ٢١٦ ؛

وبالنسبة لأبيه أبى السرور (المتوفى عام ١٠٠٧هـ = ١٥٩٨ — ١٥٩٩م) انظر المحبى : خلاصة الأثر ، جـ ١ ، ص ١١٧ .

٢ — محمد بن محمد بن أبى السرور ، شمس الدين أبو عبد الله ، ابن المؤرخ السابق ، ولد حوالى عام ١٠٠٥هـ (١٥٩٦م) وتوفى حوالى عام ١٠٦٠هـ (١٦٥٠م) ؛ وله ، إلى جانب تاريخ عام (سمر الأصحاب) وتاريخين عامين لمصر (الروضة المأنوسة ، والروضة [أو النزهة] الزاهية فى ولاة مصر القاهرة المعزية) تاريخ ثالث عن مصر عنوانه الكواكب السائرة يتناول بتفصيل أكبر العصر العثمانى حتى عام ١٠٤٥هـ (١٦٣٤م) ؛ وهذا المصنف ، الذى لم ينشر بعد ، ترجمة دەساسى (S. de Sacy : Le Livre des Etoiles errantes فى Notices et Extraits des Manuscrits de la Bibliotheque du Roi ، جـ ١ ، سنة ١٧٨٨ ، ص ١٦٥ — ٢٨٠ ؛ وهناك ترجمة ألمانية عن النسخة الفرنسية نشرها G. Hanisch ، هلدبرغرهاوزن سنة ١٧٩١) وأفاد منه على نطاق واسع مارسل (J.J. Marcel فى كتابه Histoire d'Egypte ، پاريس سنة ١٨٤٨) مع تكملة لهذا الكتاب بقلم مصطفى ابن إبراهيم (انظر Marcel فى الموضع المذكور ، ٢٥) تابع فيها الحوادث حتى عام ١١٦٨هـ (١٧٥٤م) . وتضم مصنفاته الأخرى تاريخاً للفتح العثمانى لمصر (التحفة البهية) ومختصراً لكتاب

الخطط للمقريزى بعنوان قطف الأزهار (ينسب هذا المصنف أحياناً إلى عمه محمد بن زين العابدين ابن محمد بن على ، شمس الدين أبى الحسن ، المتوفى عام ١٠٨٧هـ [١٦٧٦م] ؛ انظر المحبى : خلاصة الأثر ، جـ ٣ ، ص ٤٦٥) ، وسيرة للصوفى الشيخ الأعجمى الكرانى (الدر الجمانى) ورسالة فى التصوف (درر الأعالى).

المصادر :

(١) Brockelmann ، جـ ٢ ، ص ٣٨٣ (٢) ص ٤٠٩ (٣) Wuestenfeld : *Geschichtsschreiber* ، رقم ٥٦٥ (٤) Babinger : ص ١٨٨ (٥) المصادر التى ذكرت فى صلب المادة.

[س.ج.شو Stanford J. Shaw] آدم

« البكرى » عبدالله بن عبد العزيز بن محمد ابن أيوب بن عمرو أبو عبيد : أقدم جغرافى أندلسى وصلت إلينا مؤلفاته . وعاش البكرى فى النصف الثانى من القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) . وهو من قبيلة بكر العظيمة التى كان لها شأن كبير بين القبائل العربية فى غربى الأندلس . وكان جده محمد بن أيوب قاضى لَبْلَة والياً على شَلْطِيش ووَلْبَه Huelva فى خلافة هشام المؤيد الأموى ، وقد حاول — شأن غيره من الولاة — أن يستقل بحكم هذه الإمارة عقب سقوط الدولة الأموية وفى فترة الاضطراب التى يسميها مؤرخو الغرب عصر ملوك الطوائف ؛ ونجح محمد فى محاولته هذه ، ولكن ابنه عبد العزيز عجز بعد وفاته عن أن يثبت لهجمات المعتضد أمير إشبيلية الذى كان يحاول بسط سلطانه على الأندلس بأسرها . واضطر عبد العزيز إلى تسليم إمارته ، وحمل أمواله وفر هو وولده البكرى سراً من شلطيش ، ثم غادرها إلى قرطبة ، وكانت هذه المدينة مستقلة فى ذلك الوقت يحكمها طبقة من الأعيان بزعامة أسرة بنى جَهْوَر . وقد فتحت ذراعيها لجميع الأمراء الذين اضطروا إلى الفرار من جوار أمير إشبيلية القوى .

وأتم البكرى دراسته فى قرطبة على أئمة علماء عصره . ولما توفى أبوه عام ٤٥٦هـ (١٠٦٤م) التحق بخدمة محمد بن مَعْن أمير المَرِيّة الذى لقيه لقاء حسناً وجعله بعد ذلك من صفوة خلصائه . وتابع البكرى دروسه فى هذه المدينة وحضر على أعلامها ومن بينهم أبو مروان بن حَيّان . وفى عام ٤٧٨هـ (١٠٨٥—١٠٨٦م) صحب البكرى بصفته سفير أمير المرية المعتمد بن المعتضد أمير إشبيلية فى ركوبه البحر إلى مراكش ليطلب عون يوسف بن تاشفين المرابطى على نصارى قشتالة .

ويلوح أن البكرى عاد إلى قرطبة بعد غزوة المرابطين . ومهما يكن من شىء فقد توفى بها فى سن متأخرة فى شوال من عام ٤٨٧هـ (أكتوبر—نوفمبر ١٠٩٤م) ودفن بمقبرة أم سَلَمَة . وكانت للبكرى شهرة الرجل الذى لايرى بأساً فى أن يجمع بين حب بنت العنب وحب الشعر والأدب.

وحظيت أشعار البكرى بالتقدير وإن كانت مؤلفاته فى فقه اللغة والأدب هى التى حازت الإعجاب والثناء ، وخلدت اسمه بين الناس .

وينسب له مصنفو العرب المؤلفات الآتية :

١ — كتاب فى أعلام نبوة نبينا محمد .

٢ — شفاء عليل العربية .

٣ — الأمثال السائرات : وهو شرح على كتاب الأمثال للقاسم أبى عبيد بن سلام .

(٤) كتاب فى اللآلى على كتاب الأمالى ، وهو شرح على كتاب الأمالى لأبى على القالى (مخطوط وحيد فى توبنگن Tuebingen) ؛

(٥) كتاب معجم ما استعجم .

(٦) كتاب المسالك والممالك .

ويظهر أن الكتاب الأول صنفه ليدفع عن نفسه تهمة الزندقة وعدم الاحتفال بالدين ، وهى تهمة كثيراً ما كانت توجه للعلماء فى صدر العهد المرابطى وتجر على من يتهم بها أفدح الأخطار . أما المصنفات الثلاثة التالية فهى رسائل وشروح فى فقه اللغة ؛ والمعجم يبحث فى الجغرافية القديمة، وهو بمثابة معجم للبلدان المشكوك فى رسم أسمائها مما ورد فى الحديث وفى المصنفات التاريخية القديمة وفى الشعر الجاهلى ، ومعظمها يتعلق بجزيرة العرب. أما النواحى الأخرى فترد فيه عرضاً . وقد نشر هذا الكتاب فستنفلد (Wuestenfeld ، گوتنگن — باريس ، فى مجلدين ، عام ١٨٧٦—١٨٧٧). وترجع شهرة البكرى بصفة خاصة إلى مصنفه «كتاب المسالك والممالك» ، ولم يصل إلينا هذا المصنف كاملا . وهو كمعظم المؤلفات الجغرافية التى ظهرت فى العصور الوسطى كتب ليكون دليلا للمسافر الجائل . وهو فى بعض أجزائه ينقل عن أمهات المصنفات القديمة التى لم تصل إلينا ؛ ومع ذلك فإن للبكرى فى هذا الكتاب معلومات استمدها من خبراته الخاصة. وكان الكتاب فى الأصل من عدة مجلدات تضم إلى جانب ما كان معروفاً من العالم لمسلمى القرن الخامس فصولا مستقلة فى التاريخ والأنساب ؛ ونقل المصنفون المتأخرون عنه كثيراً . ولم يبق من هذا الكتاب إلا أخبار شمالى إفريقية وصفحات فى صفة الأندلس ووصف لمصر أقل شأناً من وصف المقريزى وإشارات عن العراق وما وراء النهر ؛ وقد نشر دوسلان De Slane الجزء الخاص بإفريقية عام ١٨٥٧م وترجمه عام ١٨٥٨م ؛ وظهرت لهذا الجزء طبعة منقحة فى الجزائر عام ١٩١٠م تحت إشراف حكومتها . ونشر وترجم كونيك Kunik وفون روزن Von Rosen قطعاً من الكتاب خاصة بالروس والصقلب (*Izviestija Al-Bekri i drugich avtorof o Rusi i Slavjanach* سانت بطرسبرغ عام ١٨٧٨) .

المصادر :

(١) ابن بشكوال : الصلة ، طبعة Codera ، مدريد سنة ١٨٨٣ ، جـ ٢ ، ص ٢٨٢ ، رقم ٦٢٨ (٢) السيوطى : بغية الوعاة ، القاهرة ، سنة ١٣٢٦هـ ، ص ٢٨٥ (٣) المقرى : نفح الطيب ، ليدن سنة ١٨٥٨ ، جـ ٢ ، ص ١٢٤ وما بعدها (٤) حاجى خليفة ، طبعة فلوگل ، جـ ١ ، ص ٤٣٥ ، جـ ٤ ، ص ٥٣ ، جـ ٥ ، ص ٥١٠ ، ٦٢٥ ، ٦٣٠ (٥) De Slane : مقدمته لوصف إفريقية الشمالية لأبى عبيد البكرى ، الجزائر سنة

(٦) Dozy : *Corrections sur les textes du* *Bayano'l Mogrib* ، ليدن سنة ١٨٨٣ م ، ص ١١٨ — ١٢٣ (٧) Pons Boigues : *Ensayo* *Bio-bibliografico* ، مدريد سنة ١٨٩٨ ص ١٦٠ (٨) Brockelmann : *Gesch. der arab litt.* ، ڤيار سنة ١٨٩٨ ، جـ ١ ، ص ٤٧٦ .

[A. Cour كور]

+ **البكرى أبو عبيد** ، عبدالله بن عبد العزيز محمد بن أيوب : كان هو والشريف الإدريسى أعظم جغرافيين للمغرب الإسلامى ، كما كان البكرى خير من مثل العلم العربى الأندلسى الواسع فى القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى).

ونحن لانعلم إلا القليل عن تفصيلات حياة أبى عبيد البكرى ، ومع ذلك فإن فى الإمكان أن نصف الوجوه المختلفة لنشاطه العلمى ، وكلها مارسه البكرى فى وطنه . والحق إنه لم يرحل ، فيما يظهر ، فى الشرق قط ، بل لم يزر شمالى إفريقية الذى يصفه بالرغم من ذلك وصفاً بالغ الدقة . وأهم وقائع حياته فيما بلغ إليه علمنا هى : كان أبوه عز الدولة عبد العزيز البكرى الأمير الوحيد (أو قل الثانى بعد أبيه أبى مصعب محمد بن أيوب) لإمارة وَلْبَة (انظر هذه المادة) وشَلْطِيش (انظر هذه المادة) الصغيرة التى قامت سنة ٤٠٣هـ (١٠١٢) وقت سقوط الخلافة المروانية فى قرطبة ، على الساحل الأطلسى لشبه الجزيرة الأيبيرية غربى لَبْلَة بمسافة غير بعيدة .

وفى سنة ٤٤٣هـ (١٠٥١م) اضطر عز الدولة متأثراً بالضغط السياسى الذى أثقل به كاهله المعتضد بن عبّاد ، (انظر مادة «عباد ، بنو») أن ينزل عن إمارته لملك إشبيلية فضمها هذا الملك إلى أملاكه ، ولاشك أن أبا عبيد، الذى لانعرف تاريخ مولده ، كان وقتذاك فى الثلاثين على الأقل . وقد صحب أباه إلى قرطبة وكان قد اختارها مقاماً جديداً له تحت حماية أميرها أبى الوليد محمد بن جَهْوَر (انظر مادة « جهور ، بنو ») يسخو فى بسطها أحياناً ويشح أحياناً. وهذه هى —على كل حال— الوقائع الخاصة التى أوردها ابن حيّان (المتين فى ابن بسّام : الذخيرة، جـ ٢ ، ونقلها ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ٢٤٠ — ٢٤٢ ، Dozy: *Abbad.* جـ ١ ، ص ٢٥٢ — ٢٥٣) ولاوجه للشك فيها ، ولكن ثمة مصدراً آخر (ذيل البيان ، جـ ٣ ، ص ٢٢٩) يقرر أن أبا عبيد وأباه الذى توفى سنة ٤٥٦هـ (١٠٦٤م) انسحبا إلى إشبيلية ، وهو أمر غير مستبعد . وأيّا كان الأمر فإن أبا عبيد لم يلبث أن اشتهر فى عالم الكتابة . كان تلميذاً للإخبارى أبى مروان بن حيان وغيره من الأئمة ذوى الصيت ، وكان يتنقل فى دوائر بلاط أمراء الأقاليم ، وخاصة بلاط بنى صُمادِح فى المَرِيّة ، ولما شهد من بعد تدخل المرابطين العسكرى والسياسى فى الأندلس ودوال مُلْك ملوك الطوائف دواليك ، كان قد كتب معظم كتبه العديدة التى كان يجهز لها بجمع مالا يحصى من المذكرات . واستقر البكرى فى قرطبة التى كان قد ردها السلطان يوسف بن

تاشُفين إلى مكانتها قصبةً للأندلس » وفيها توفى البكرى فى سن وافية فى شهر شوال سنة ٤٨٧هـ (أكتوبر — نوفبر سنة ١٠٩٤م ؛ سنة ٤٩٦هـ فى قول الضَّبِّى الذى يلقبه بلقب « ذى الوزارتين ») .

وإذا حكمنا على أبى عبيد البكرى بتنوع مصنفاته ظهر لنا فى صورة « المشارك » الأمثل ، فقد حصّل معرفة واسعة جداً بمختلف فروع العلم . وكان أساساً جغرافياً ، ولكنه كان فى الوقت نفسه أيضاً متكلماً ، وفقيهاً لغوياً ، وعالماً فى النبات ، بل لقد كان يمارس فن الشعر ، ذلك أن من ترجموا له نقلوا له بعض الأبيات فى الخمر : وكان قد طار له صيت بأنه معاقر للخمر عتيد . ووصف إلى ذلك بأنه محب للكتب يحفظ مخطوطاته القيمة فى أظرف من النسيج الجيد ؛

أما فى ميدان الدين فإن ابن بشكوال ينسب إليه كتاباً « فى أعلام نبوة نبينا » دون أن يذكر عنوانه ؛ وينسب إليه ابن خَيْر (الفهرسة ، بـ ١ هـ ، جـ ٩ — ١٠ ، ص ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤) أربعة مصنفات : (١) نقد لأبى على القالى (انظر هذه المادة) عنوانه « التنبيه على أوهام أبى على القالى فى كتاب النوادر» طبعة صالحانى ، فى أربعة مجلدات ، القاهرة سنة ١٣٤٤هـ = ١٩٢٦م ؛ انظر بروكلمان ، قسم ١ ، ص ٢٠٢ (٢) شرح لأمالى أبى على القالى عنوانه « سمط اللآلى فى شرح الأمالى» ، طبعة عبد العزيز الميمنى ، القاهرة سنة ١٣٥٤هـ = ١٩٣٦ ؛ انظر بروكلمان : الموضع المذكور (٣) شرح للأبيات التى استشهد بها فى « الغريب المصَنَّف » لأبى عبيد القاسم بن سلام ، عنوانه « صلة المفصول » (٥) شرح لمجموعة أمثال الكاتب نفسه — وهو أبو عبيد بن سلام — عنوانه « فصل المقال فى شرح كتاب الأمثال » (مخطوطات منه فى إستانبول ؛ انظر *Zeitschr. der Deutsch. M.O.* جـ ٧ ، ص ١٢٣ ؛ *Morgenl. Gesells.* ، سنة ١٩١٠ ؛ بروكلمان ، قسم ١ ، ١٦٦ ، التعليق) . ونذكر له أخيراً كتاباً آخر شبه تاريخى وشبه لغوى ، يظهر أنه فقد وهو « المؤتَلِف والمختَلِف فى أسماء القبائل العربية » ؛

وكتاب أبى عبيد البكرى فى النبات هو « كتاب النبات » وقد ذكره أيضاً ابن خير فى كتابه الفهرسة (ص ٣٧٧) والظاهر أنه لم يوجد بعد مخطوطاً . ومهما يكن من شىء فإن له مكانه فى سلسلة الرسائل الأندلسية فى صفة النبات المرتبة مواده حسب الأحرف الهجائية ، وكان مرجعاً مباشراً للمحتسب والعالم الطبيعى ابن عبدون (انظر هذه المادة) الإشبيلى من أعيان القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) فى تصنيف كتابه « عمدة الطبيب فى شرح الأعشاب» (انظر M. Asin Palacios : *Glosario de voces romances por un botanico anonimo hispano-musulmán* ، مدريد — غرناطة ، سنة ١٩٤٣ ، ص ٢٧ ، تعليق ١) . وهذه الرسالة فى النبات التى وصفها ابن أبى أصيبعة فى أسطر قليلة (انظر M.Meyerhof: *Esquisse d'histoire de la pharmacologie et botanique chez les Musulmans d'Espagne* فى *Al-Andalus* ، سنة ١٩٣٥ ، ١٤ ؛ الكاتب نفسه : *Un glossaire de matière médicale de Maimonide* فى *Mém. Inst. d'Egypte* ، جـ ٤١ ، سنة ١٩٤٠ ،

ص ٢٧)تدور فى جوهرها — مثل رسالة ابن عبدون — حول شبه جزيرة الأندلس؛ ولم يفد من رسالة البكرى ابن عبدون فحسب، بل أفاد منها أيضاً العالمان الطبيعيان الغافقى وابن البيطار.

أما مصنف أبى عبيد البكرى فى الجغرافيا الذى تقوم عليه معظم شهرته فى العالم العربى فكتابان متفاوتان فى الأهمية والحجم: وهما «معجم ما استعجم» و«المسالك والممالك»: والمعجم الذى نشره فستنفلد بخط المؤلف (F. Wuestenfeld : Das Geographische Woerterbuch، كوتنگن، سنة ١٨٧٦ — ١٨٧٧؛ ونشر فى القاهرة فى أربع مجلدات سنة ١٩٤٥ — ١٩٥١) هو ثبت بأسماء أماكن معظمها من جزيرة العرب، ترد فى شعر الجاهلية وفى كتب الحديث وأثار هجاؤها الخلاف، وقد مهد البكرى للثبت بمقدمة للوضع الجغرافى لجزيرة العرب القديمة ومنازل أهم القبائل فيها.

وأما المسالك، وهو عمدة كتب البكرى، فليس بين أيدينا بعد إلا جزء منه على هيئة قطع مطولة لم تنشر كلها حتى الآن: والمجلد التمهيدى للمسالك الذى يتناول الجغرافيا العامة للشعوب الإسلامية وغير الإسلامية (مخطوط بباريس، المكتبة الأهلية رقم ٥٩٠٥) لم ينشر بعد الجزء الأكبر منه (قطعة عن الروس والصقالبة نشرت فى سانت بطرسبرغ سنة ١٨٧٨ بمعرفة كونيك وڤان روزن A. Kunik & V. Rosen: Izvestiya al-Bakri i drugikh autorov o Rusi i Slavyanakh، ج ١؛ انظر أيضاً: A. Seippel: Rerum Normannicorum Fontes Arabici، أوسلو، سنة ١٨٩٦—١٩٢٨). على أن الجزء الذى لاشك فى أنه أكثرها أهمية هو ذلك الذى يتناول المغرب الإسلامى، وقد عرف فيما يتعلق بإفريقية، من طبعته وترجمته الفرنسية (وهما الآن عفى عليهما الزمن) اللتين قام بهما ده سلان MacGuckin de Slane) Description de l'Afrique Septentrionale، المتن العربى، الجزائر سنة ١٨٥٧؛ الطبعة الثانية، الجزائر سنة ١٩١٠؛ الترجمة الفرنسية، فى Jour. As.، سنة ١٨٥٧—١٨٥٨؛ الطبعة الثانية للترجمة، الجزائر سنة ١٩١٠): وقبل ذلك نشرت سنة ١٨٣١ ترجمة مختصرة فى باريس بقلم كاترمير (Quatremère: Notices et extraits، ج ١٢). وقد نشر كاتب هذه المادة بعض أجزاء غير منشورة من المسالك تتعلق بالأندلس وحقق الشواهد الواردة فى المصنف التاريخى الجغرافى الموسوم بالروض المعطار لابن عبد المنعم الحميرى السبتى (La Péninsule ibérique au Moyen-Age، ليدن سنة ١٩٣٨، ص ٢٤٥ — ٢٥٢؛ وانظر أيضاً La Description de l'Espagne، لأحمد الرازى فى Al-Andalus سنة ١٩٥٣، ص ١٠٠ — ١٠٤) معتمداً على مخطوط فى مكتبة جامع القرويين فى فاس وفيه أكثر قطعة تفصيلا تيسرت لنا بعد فى وصف شبه الجزيرة الإيبيرية.

وقد جرى البكرى على السنة المألوفة لدى جغرافيى زمنه وجغرافيى القرون السابقة عليه، فاتجه أولا وقبل كل شيء — كما يستدل من عنوان

كتابه « المسالك والممالك » — إلى إظهار كتابه فى ثوب دليل طريق يشمل تقديراً للمسافات بين كل مدينة أو محطة ، وكان ذلك خليقاً بأن ينتهى بالكتاب إلى ثبت جاف بالأسماء ، وهذا الثبت على أهميته لايعدو أن يكون ذكراً مجرداً للمعالم ، إلا أن البكرى طبعه بطابعه الخاص فراح يتخير مادته من ذلك الحشد من الخصائص التى اجتهد فى جمعها . وهذه المادة تتعلق إلى حد كبير بالتاريخ الاجتماعى بل السلالى ، وهذا هو الذى يسبغ على كتاب البكرى « المسالك الممالك » قيمته التى لاتقدر فيما يختص بالمغرب على الأقل : وكان عقل البكرى عقلا متطلعاً منهجياً ، ولذلك فهو قد رسم بعض الصور الإجمالية التاريخية التى لم يضارعه أحد فيما بعد قط ، إذ لاتزال أخباره عن الأدارسة والمرابطين مثلا الأساس الأوثق لوثائقنا عن الأدارسة ولوثائقنا عن أصول المرابطين ، ومعظم أوصافه للبلدان دقيق إلى حد عجيب : ومادته عن أسماء الأماكن فى المغرب وإفريقية وبلاد السودان وافية وفاء لاتقل أهميته عما ذكرنا .

ومن نافلة القول أن نذكر أن أبا عبيد حين أخذ يكتب وصفه القيم لشمالى إفريقية ، كان بين يديه فى مقره بقرطبة وإشبيلية الروايات الشفوية التى كان يوافيه بها الناس القادمون من إفريقية أو المغرب ، وكان بين يديه أيضاً كتب الكتاب الآخرين الذين تناولوا هذه الأقطار بالحديث ، والمصدر العمدة الذى ذكره البكرى عدة مرات فى كتابه هو « المسالك والممالك » لمحمد بن يوسف الوراق فى جغرافية إفريقية . وهذا الرجل (انظر مادة « الوراق » وانظر R.Brunschvig فى *Mélanges Gaudefroy-Demombynes* ، القاهرة سنة ١٩٣٥—١٩٤٥ ، ص ١٥١ — ١٥٢) الذى عاش مدة طويلة فى القيروان قبل أن يشخص إلى قرطبة ليستقر فيها على عهد الخليفة الحكم الثانى بناء على دعوته ، قد يسّر للبكرى الذى أفاد من كتابه (يبدو أنه الآن مفقود) أن يزودنا بمعلومات ترد إلى القرن العاشر الميلادى ، وكان البكرى يستطيع أن ينهل منها كما يشاء . زد على ذلك أنه كان بين يدى البكرى وثائق من مخطوطات قرطبة (مثال ذلك فرقة برغواطة المتزندقة [انظر هذه المادة]). على أن عدم إشارته إلى تدخل المرابطين فى الأندلس يؤيد الدليل بأن البكرى انتهى من كتابه « المسالك والممالك » سنة ٤٦٠هـ (١٠٦٨م) أى قبل وقعة الزلاقة بثمانية عشر عاماً .

أما عن مرجعه فيما يختص بأسبانيا المسيحية وبقية أوربا فيحق لنا أن نقول فى الختام بأن أبا عبيد ينقل رواية عن يهودى من طرطوشة هو إبراهيم بن يعقوب الإسرائيلى الطرطوشى الذى عاش فى أوائل القرن الرابع الهجرى الموافق العاشر الميلادى (نقل عن هذا اليهودى رواية عن العُذرى ، ذلك أن القزوينى أيضاً يذكر هذا الراوية بطريق غير مباشر) ، على أن كتاب هذا اليهودى (ربما كان مكتوباً بالعبرية ثم ترجم إلى العربية أو اللاتينية ؟) يظهر أنه فقد .

والأجزاء التى بقيت من كتاب « المسالك «

تستأهل حقاً أن تنشر نشراً نقدياً كاملا وتستحق دراسةمنهجية ، وكذلك فإن دراسة لغةالكاتب لم ينهض بها أحد بعد . والبكرى وغيره من كتاب رسائل الحسبة — مثل ابن عبدون الإشبيلى وابن عبد الرءوف والسقطى المالقى وأصحاب الرسائل فى الفلاحة — هو الكاتب الأندلسى الذى تشمل مفرداته طائفة كبيرة من الأسبانيات . أما من حيث الموقف الاقتصادى فى المغرب أيام القرنين العاشر والحادى عشر الميلاديين (معلومات عن المقاييس والمكاييل وتكاليف المعيشة ، والعلاقات التجارية ، والاتجار فى السلع والأدوات الكمالية) فإن كتابه حتى فى الأجزاء التى بقيت لنا يزودنا بحشد من المعلومات تتيح لنا أن نضع قوائم تحليلية وخرائط ، شأنه شأن «نزهة المشتاق» للشريف الإدريسى الذى يعد هو الآخر رائعة من الروائع فى الجغرافيا التاريخية للعالم الإسلامى فى القرون الوسطى ، وإن كانت متأخرة فى الزمن بعض الشيء عن كتاب البكرى .

المصادر :

(١) إن الأخبار فى ترجمة حياة البكرى كلها قصيرة لاتحتوى إلا على القليل من التفصيلات : ابن بشكوال : الصلة ، رقم ٦٢٨ (٢) الضبى : البغية ، رقم ٩٣٠ (٣) ابن الأبار : الحلة السيراء (فى Dozy : Corrections... ، ليدن سنة ١٨٨٣ ، ص ١١٨ — ١٢٣) (٤) الفتح بن خاقان : قلائد العقيان ، ص ٢١٨ (٥) ابن سعيد : المغرب ، جـ ١ ، القاهرة سنة ١٩٥٣ ، ص ٣٤٧ — ٣٤٨ (٦) ابن بسام : الذخيرة ، جـ ٢ (بيان منقول عن ابن سعيد) (٧) السيوطى : البغية ، ص ٢٨٥ (٨) ابن أبى أصيبعة ، جـ ٢ ، ص ٥٢ (٩) المقرى : نفح الطيب = *Analectes* ، جـ ٢ ، ص ١٢٥ (١٠) وانظر أيضاً : Pons Boigues : *Ensayo* ، رقم ١٢٥ (١١) J. Alemany Bolufer : *La geografia de la Peninsula ibérica en los escritores arabes* ، غرناطة سنة ١٩٢١ ، ص ٤٥ — ٤٦ (١٢) R.Blachère : *Extraits des principaux géographes arabes* ، باريس سنة ١٩٣٢ ، ص ١٨٣ — ٢٥٥ (ويشمل تقديراً مبهما كل الإبهام لقيمة البكرى وأسلوبه من حيث هو مرجع) (١٣) Lévi-Provençal : *La Péninsule ibérique au Moyen Age* ، ليدن سنة ١٩٣٨ ، ص ٢١—٢٤ (١٤) Brockelmann : جـ ١ ، ص ٤٧٦ ؛ قسم ١ ، ص ٨٧٥ — ٨٧٦ (١٥) وبيانا Reinaud : *Introduction à la Géographie d'Abuulféda* ، ص ١٠٣ ، و M. G. de Slane فى مقدمة طبعته غير الكاملة ، هما الآن قد عفى عليهما الزمن (١٦) أما عن المواد الخاصة بشرقى أوربا الواردة فى البكرى نقلا عن إبراهيم الطرطوشى فانظر : C. E. Dubler : *Abu Hâmid al-Granadino y su relacion de viajekstierras eurasiaticas* ، مدريد سنة ١٩٥٣ ، ص ١٦١ — ١٦٢ .

خورشيد [ليڤى پروڤنسال E. Lévi-Provençal]

« البكرى » : محمد بن عبد الرحمن الصديقى الشافعى الأشعرى ، أبو المكارم شمس الدين : شاعر ومتصوف عربى ، ولد عام ٨٩٨ هـ (١٤٩٢ م) وكان يعيش سنة فى القاهرة وسنة فى مكة ، وتوفى

عام ٥٩٢ هـ (١٥٤٥ م) ، وله إلى جانب ديوانه الموجود فى المكتبة الأهلية بباريس (فهرس المخطوطات العربية لده سلان De Slane رقم ٣٢٢٩ — ٣٢٣٣ ؛ الفهرس المفصل للمخطوطات العربية والفارسية والتركية المحفوظة فى مكتبة كلية ترينتى Trinity College ، كمبردج سنة ١٨٧٠م ، رقم ٥٥—٥٧) مجموعة من الشعر الصوفى عنوانها « ترجمان الأسرار » (Vollers : *Katalog der islam. usw Hdss der Universitaets biblioth zu Leipzig-* رقم ٥٧٣ ؛ Derenbourg : فهرس المخطوطات العربية بالإسكوريال ، رقم ٤٣٩) وعدة رسائل صغيرة فى التصوف ؛ ويحوى المخطوط المحفوظ بمكتبة گوتا Gotha تحت رقم ٨٦٥ مجموعة منها ، وصنف البكرى منظومة فى تاريخ فتح مكة عنوانها « الدرة المكللة فى فتح مكة المبجلة » طبعت فى القاهرة عام ١٢٧٨ هـ (١٨٦١ م) و ١٢٨٢ هـ (١٨٦٥ م) و ١٢٩٣ هـ (١٨٧٦ م) و ٢٩٧ هـ (١٨٧٩ م) و ١٣٠٠ هـ (١٨٨٢ م) و ١٣٠١ و ١٣٠٣ و ١٣٠٤ هـ ؛ وله كذلك مصنف فى التاريخ عنوانه « ذخيرة العلوم ونتيجة الفهوم » (Prtsch : *Die ar. Hdss. zu Gotha* ، رقم ١٥٧٨) .

المصادر :

(١) على باشا مبارك : الخطط الجديدة بولاق سنة ١٣٠٦ هـ ، جـ ٣ ص ١٢٧ (٢) Wuestenfeld : *Die Geschichtschreiber der Araber* ، رقم ٥٢٠ (٣) Brockelmann : *Gesch. der arab littr.* ، جـ ٢ ، ص ٣٣٤ ، ٣٨٢ .

[بروكلمان C. Brockelmann]

« بكرى » مصطفى أغا : اسم سكير عاش فى عهد السلطان مراد الرابع (١٦٢٣ — ١٦٤٠ م) ويقال إنه حبب الشراب إلى السلطان ، ومن ثم أصبح اسم بكرى يدل غالباً على السكير فى اللغة التركية ؛ وبكرى مصطفى أغا هذا شخصية محبوبة فى الأدب التركى الشعبى . ويورد أوليا « تقليداً » عنوانه « بكرى مصطفى والشحاذ العربى الأعمى » . ونشر يعقوب Jacob من وقت قريب مسلاة « قره گوز بروسه» فى (*Zeitsch der. deutsch. Morgenl.Ges.* ، جـ ٥٣ ، ١٨٩١م ص ٦٢١) ويعقوب هذا هو الذى جمع المعلومات المتصلة بمصطفى أغا .

المصادر :

(١) Jacob : *Traditionen ueber Bekri* ؛ *Mustafa Agha* فى *Keleti Szemle* ، جـ ٥ ، سنة ١٩٠٤ ، ص ٢٧١ (٢) Menzel : *Bekri Mustafa bei Mehmet Tevfik* ، جـ ٣ ، سنة ١٩٠٦م ، ص ٨٣ .

(جيس F. Giese)

« البكرى » مصطفى بن كمال الدين بن على الصديقى الحنفى الخلوتى محيى الدين : كاتب ومتصوف عربى ولد بدمشق فى ذى القعدة من عام ١٠٩٩ هـ (سبتمبر عام ١٦٨٨ م) وتيتم فى حداثته فكفله عمه وانضم إلى طائفة الدراويش الخلوتية ؛ وزار بيت المقدس لأول مرة عام ١١٢٢ هـ (١٧١٠ م) وهناك كتب مصنفه فى الأدعية وعنوانه « الفتح القدسى » وحصل على فتوى من على قره باش الأردنى بأن الجهر بتلاوة هذه الأدعية آخر الليل

ليس بدعة كما زعم أحد خصوم البكرى » ورجع محيى الدين إلى دمشق فى شعبان من العام نفسه (أكتوبر عام ١٧١٠) ولكنه تردد على بيت المقدس فى الأعوام التالية حيث تعرف إلى الوزير راغب باشا الذى صحبه فى رحلة إلى القاهرة ، وذهب فى كنف هذا الوزير من بيت المقدس إلى إستانبول فى أوائل عام ١١٣٥ هـ (أكتوبر ١٧٢٢ م) فوصلها فى السابع عشر من شعبان (٢٤ مايو ١٧٢٣ م) . ورجع إلى بيت المقدس بعد ذلك بأربع سنين . وقد حج إلى مكة عام ١١٤٨ هـ (١٧٣٥ م) وكان قد نوى الحج منذ عام ١١٢٩ هـ (١٧١٧ م) ولكنه انصرف عن ذلك لخلاف بينه وبين عمه . وذهب إلى إستانبول ثانية عام ١١٤٨ هـ (١٧٣٥م) ثم عاد بحراً عن طريق الإسكندرية فالقاهرة . وفى حجته الثانية ذهب إلى ديار بكر ومكث بها ثمانية أشهر . ورجع إلى بيت المقدس فى شوال عام ١١٥٢ هـ (يناير ١٧٤٠م) بعد أن قضى فى نابلس أحد عشر شهراً . وتوفى محيى الدين البكرى فى القاهرة عام ١١٦٢ هـ (١٧٤٩ م) وهو يتأهب للحجة الثالثة . ويمكنك الرجوع إلى بروكلمان فيما يختص برسائله الصوفية وأدعيته وأشعاره (انظر أيضاً الحكم الإلهية والموارد البهية ؛ Vollers : *Katalog der islam. usw. Hdds. der Universititaetsbibliothek zu leipzig* ، رقم ٨٥٠ ، جـ ١ ؛ والوصية الجلية للسالكين طريق الخلوتية ، جـ ٤ ؛ E. Littmann : *A list of Arabic Mss. in Princeton University Library* ؛ رقم ٣٥١ b) . وكل مصنفات البكرى مخطوطة لم تطبع بعد ما عدا « مجموع صلوات وأوراد » الذى طبع فى القاهرة عام ١٣٠٨ هـ ، وقص البكرى أخبار رحلته الأولى من دمشق إلى بيت المقدس عام ١١٢٢ هـ (١٧١٠ م) بعنوان « الخَمْرَة الحسية فى الرحلة القدسية » (Ahlwardt : *Verzeichnis der Hdss. zu Berlin* ، رقم ٦١٤٩) ووصف رحلته من دمشق إلى بيت المقدس ومكوثه بها فى كتابه « المدامة الشامية فى المقامة الشامية » (المصدر المذكور ، رقم ٦١٤٨) .

المصادر :

(١) المرادى : سلك الدرر فى أعيان القرن الثانى عشر ، القاهرة سنة ١٢٩١–١٣٠١ هـ ، جـ ٤ ، ص ١٩٠ – ٢٠٠ (٢) الجبرتى : عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ، بولاق سنة ١٢٩٧ هـ جـ ١ ، ص ١٢٥ – ١٢٦ (٣) على باشا مبارك : الخطط الجديدة ، بولاق سنة ١٣٠٦ هـ ، جـ ٣ ، ص ١٢٦ (٤) Brockelmann : *Gesch. der. ar. Litt.* ، جـ ٢ ، ص ٣٤٨ .

[C. Brockelmann بروكلمان]

+ « البَكْرِيَّة » : طريقة من طرق الدراويش نسبت فى قول دوسون D'Ohsson إلى پير أبى بكر وفائى الذى توفى فى حلب سنة ٩٠٢ هـ (١٤٩٦ م) أو سنة ٩٠٩ (١٥٠٣ – ١٥٠٤م) ويقول رن (Rinn : *Marabouts et Khouan* ، ص ٢٧١) إن البكرية فرع من الشاذلية (انظر هذه المادة) .

خورشيد [هيئة التحرير]

+« البكرية » : اسم جمع يدل على جميع أولئك الذين يزعمون أنهم من سلالة أبى بكر. وكان رأس هذه الأسرة فى مصر الشيخ البكرى قد أصبح منذ سنة ١٨١١ نقيب الأشراف، كما أصبح منذ سنة ١٩٠٦ «شيخ المشايخ» أى شيخ مشايخ الطرق الصوفية (انظر *Revue du Monde Musulman*، جـ ٤، ص ٢٤١ وما بعدها؛ Massignon: *Annuaire du Monde Musulman*، الطبعة الرابعة، سنة ١٩٥٤، ص ٢٧٤)

خورشيد [هيئة التحرير]

« بُكْسَر » : موضع بالهند على الطريق الحديدى بين بومباى وكلكتة غربى بانكيبور فيه تغلب الإنكليز بقيادة مَنْرو Munro على نواب وزير الأوذى وعلى المغل الأكبر شاه عالم عام ١٧٦٤ م.

+ « بكشهر » (بيشهرى): هى الآن قصبة قضاء فى ولاية قونية، وتقوم على الشاطىء الجنوبى الشرقى لبحيرة (گول) تحمل الاسم نفسه. وقد كانت هذه البحيرة معروفة عند القدماء باسم «كارالس» Karalis (لاتزال توجد قرية باسم كير إيلى قريبة كل القرب من الشاطىء الشمالى الشرقى)؛ وكانت بلدة كاراليا فى پامفيليا تقوم بالقرب من البحيرة فى الأزمنة القديمة، ويظن أن بكشهر نفسها قد أنشئت فى عهد سلطان سلاجقة الروم علاء الدين الأول (٦١٦ — ٦٣٤هـ = ١٢١٩ — ١٢٣٧م). ولما اجتاح الأتراك غربى آسية الصغرى فى السنوات القريبة من سنة ١٣٠٠م، دخلت بكشهر فى ملك بكوات حميد الذين اضطروا فى أوقات شتى إلى الدفاع عنها من هجمات بكوات قرامان المجاورين لهم. وقد اشترى السلطان العثمانى مراد الأول بكشهر وبعض المدائن الأخرى من كمال الدين حسين بك حميد سنة ٧٨٣هـ (١٣٨١م). ووقعت بكشهر بعد معركة أنقرة سنة ٨٠٤هـ (١٤٠٢م) تحت سيطرة قرامان؛ واسترد العثمانيون المدينة فى عهد السلطان محمد الأول (٨١٦ — ٨٢٤هـ = ١٤١٣ — ١٤٢١م)، ولكن امتلاكهم لبكشهر لم يصبح نهائياً إلا سنة ٨٤٧هـ (١٤٤٣م). وبكشهر الحالية بلدة صغيرة كان عدد سكانها سنة ١٩٣٥: ٢٦٢٠ نفساً.

المصادر:

(١) حاجى خليفة: جهاننما، إستانبول سنة ١١٤٥هـ = ١٧٣٢م: ص ٦١٥ (٢) W.M. Ramsay: *A Historical Geography of Asia Minor*, Royal Geogr. Society: *Supplementary Papers*، مجلد ٤) لندن سنة ١٨٩٠، ص ٣٩٠ (٣) F. Sarre: *Reise in Kleinasien*، برلين سنة ١٨٩٦: ص ١١٨ وما بعدها (٤) Hammer-Purgstall، جـ ١، ص ١٨٥ (٥) أ. خ. أوزون چارشيلى: آناطولى بكلكلرى، إستانبول سنة ١٩٣٧، ص ١٥ وما بعدها (٦) أوچروم. م قومان: قونيه إيلى كوى وير أدالرى أوزرينده برديتمه (قونية خلقوى تاريخ، موزه موميه سى يايتلرى، المسلسلة الأولى، رقم ٣)

قونية سنة ١٩٤٥، جـ٢ (تعليق ٢٤) (٦) V. Cuinet: La Turquie d'Asie، جـ١، باريس سنة ١٨٩٠، ص ٨٢٣ وما بعدها (٧) سامى: قاموس الأعلام، جـ٢، إستانبول سنة ١٣٠٦هـ، ١٣٣٤هـ (٨) على جواد: تاريخ وجغرافيا لغاتى، إستانبول سنة ١٣١٣ — ١٣١٤هـ، ص ١٨٧ (٩) W. Thomaschek: Zur Historischen Topographie von Kleinasien im Mittelalter (SBAK. Wien Phil.-Hist.-Cl.، ١٢٤) ڤينا سنة ١٨٩١، ص ١٠١ (١٠) Pauly-Wissowa، جـ١٠/٢، سنة ١٩١٩، مادتى Karal[l]is و Karalleia العمودان ١٩٢٦ — ١٩٢٧ (١١) إسلام أنسيكلوپيدياسى مادة بكشهر بقلم بسيم دارقوت (١٢) انظر أيضاً ى. آق يورت: بكشهرى كتابه لرى وأشرف أوغلى جامعى وتربه سى فى تورك تاريخ وأركيولوغيا وإتنوغرافيا درگيسى، عدد ٤، إستانبول سنة ١٩٤٠، ص ٩١ — ١٢٩.

خورشيد [V.J. Parry پارى]

+ «بَكّاء» : والجمع بَكّاءون وبُكّاء: زهاد يذرفون فى تعبدهم دموعاً غزيرة؛ ويتسم الزهد والتصوف فى العهد الإسلامى الأول بشعور قوى بالذنب، وندم شديد، وذلة وخشوع وحزن؛ وكان الضحك مستقبحاً؛ والبكاء هو المظهر الخارجى لهذا المسلك. وقد ورد فى القرآن الكريم (سورة الإسراء، الآية ١٠٩) «ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً» وورد فيه (سورة مريم، الآية ٥٨) «وممن هدينا واجتبينا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سُجّداً وبكيّاً» ثم إن الحديث الشريف يقرّ علاوة على ذلك كله ذرف الدموع فى العبادات ويثنى عليه. ويقال إن النبى صلى الله عليه وسلم بكى بصوت مسموع فى بعض الأوقات، وهو يؤدى فريضة الصلاة. ويروى أن الخليفتين أبا بكر وعمر انتهجا المسلك نفسه. ومن الممكن أن نورد قائمة طويلة بأسماء الزهاد البكائين، أو على الأقل الذين امتدحوا البكاء، من كتاب حلية الأولياء لأبى نعيم. وينتمى لهذه الطائفة شخصيات مشهورة مثل الحسن البصرى، وابن سيرين، ومالك بن دينار، وأبى الدرداء (الذى كتب هو نفسه مصنفاً خاصاً ونعنى به «كتاب الرقة والبكاء») وإبراهيم النَّخَعى، وأبى سليمان الدارانى، وفُضَيل بن عياض، وحبيب العَجَمى، وعبدالواحد ابن زيد، وسفيان الثَّوْرى، وذى النون المصرى، ويحيى بن معاذ الرازى إلخ؛ ومع ذلك فليس هنالك إلا قلة ممن لقبوا بلقب البَكّاء؛ أو على الأقل أطلق عليهم لقب البكائين ومنهم يحيى البكاء (فى البصرة، حلية الأولياء، جـ٢، ص ٣٤٧) وأبو سعيد أحمد ابن محمد البكاء (حلية الأولياء، جـ٧، ص ٣٨٥) ومُطَرِّف بن طريف، ومحمد بن سوقة، وعبدالملك ابن أبجر، وأبو سِنان ضِرار بن مُرّة (هؤلاء الأربعة فى الكوفة: حلية الأولياء، جـ٥، ص ٤، جـ٥، ص ٩١) وسَيّار النبّاجى (الملقب بلقب الباكى، حلية الأولياء، جـ١٠، ص ١٦٦) وهيم البَكّاء وصفوان بن محْرِز (الجاحظ:

البخلاء، ص ٥)، و هشام بن حسّان (Some: Wensinck Semitic Rites of Mourning، ص ٨٥ وما بعدها) وإبراهيم البكاء (السُلَمى: طبقات الصوفية، ص ٨٧)، واشتهر بالبكاء أيضاً صالح المُرّى، وغالب الجَهْضَمى وكَهْمَس، ومحمد بن واسع، ومهما يكن من شىء فإن هؤلاء البكائين لم يكونوا طبقة خاصة، كما يرى — فيما يبدو — نيكلسون (R. A. Nicholson فى *E.R.E.*، ص ٢، ١٠٠) وفنسنك (A. J. Wensinck: *Some Semitic Rites*، ص ٨٦) وماسينيون (L. Massignon: *Essai*، ص ١٦٧) ولامنس (H. Lammens: *L'Islam*، ص ١٥٢) وپلاّ (Ch. Pellat: *Le milieu basrien et la formation de Gahiz*، ص ٩٤) ودوزى (R. Dozy: *Suppl.*، انظر بكّاء bakka'). وظل لفظ بكّاء أميل إلى أن يكون لقباً يطلق على كل من يبكى بدمع غزير ولا يكنى به الفرد إلا عرضاً، وهو يشبه إلى حد ما لفظ حمّاد الموجود فى حلية الأولياء (ج ٥، ص ٦٩) والذى يسمى به من يسبح بحمد الله فى السراء والضراء، ومن ثم يرد ذكر البكائين أيضاً بين بنى إسرائيل الأقدمين (ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج ٢، ص ٢٨٤؛ حلية الأولياء، ج ٥، ص ١٦٤)، وكان محمد ابن واسع، وهو نفسه من كبار البكائين، يرى أن من الأمور التى تنافى العقل أن يلقب نفسه بلقب بكّاء (حلية الأولياء، ج ٢، ص ٣٤٧)؛

ويحدثنا أبو الدرداء عن ثلاثة أمور أبكته: هول المطّلع، وانقطاع العمل، وموقفه بين يدى الله لا يدرى أيأمر به إلى الجنة أم إلى النار (الجاحظ: البيان، ج ٣، ص ١٥١؛ ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج ٢، ص ٣٥٩). ويرى يزيد بن مَيْسرة أن للبكاء على العموم سبعة أسباب: الفرح، والحزن، والفزع، والوجع، والرياء، والشكر، وبكاء من خشية الله (حلية الأولياء، ج ٥، ص ٢٣٥)؛ بل إن أبا سعيد الخرّاز يذكر ثمانية عشر سبباً تعد كلها، على أية حال، ثانوية بالنسبة لثلاثة أنواع من البكاء: إحساس المرء بأنه بعيد عن الله، وأنه قريب من الله، وأنه مع الله (السراج: اللُمع فى التصوف، طبعة نيكلسون Nicholson، ص ٢٢٩).

ويدور بكاء البكائين حول: خشية الله، ويوم الحساب وعدم اليقين من الموقف بين يدى الله؛ وعذاب جهنم. وكثيراً ما يبكى المرء على ما فرط من ذنوبه، وعلى ما انتابه من ضعف شخصى، وعلى السنوات الماضية التى أضاعها هباء، أو على الماضى الذى لا يمكن أن يتبدل أثناء فترة ابتلائه على ظهر الأرض. ويمكن أن يكون البكاء منبعثاً من الرحمة بالآخرين والإشفاق على الذين يضلون سواء السبيل والترحم على الموتى الذين لم يعد فى وسعهم أن يعملوا لإصلاح ما قدر عليهم، أو ينشأ من الحنين إلى دار البقاء والشوق إلى الله وغير ذلك؛ وكثيراً ما يبكون أملا (وهنا يمكن أيضاً أن نتخذ الحديث — إلى حد ما — مصدراً نستند إليه) فى عفو الله ورحمته ووقايته يوم القيامة والنجاة من النار وغفران ذنوب المرء، أو حتى الصفح عن ذنوب غيره من الناس، ودخول الجنة، والثواب.

وكما أن السائل الذى يستطيع أن يبكى تتاح له فرصة أكبر فى بلوغ أمله(*Die Mundarten* : Karl Hadank *von Khunsar etc.* ، ١٠٩) فإن السائل الروحى أيضاً يأمل بالبكاء أن يستدر رحمة الله ، ومن ثم فإنه ربما يتاح له ، بين آن وآخر ، أن يتحمل جانباً من عقابه فى العالم الآخر؛ وقد ورد فى أحد النصوص « بين الجنة والنار مفازة لايقطعها إلا كل بكّاء » (حلية الأولياء ، حـ ٨ ، ص ١٤٩) .

والصلاة (وتشمل الفريضة) وذكر الله ، وتلاوة القرآن الكريم ، وقراءة الأحاديث الشريفة ، والعظات ، والقصص الهادى ، وسماع الخطب الدينية ، والتفكر — كل هذا مما يثير البكاء ؛ وإنا لنعلم أن المسلم الورع يقوم الليل ويبكى حتى الصباح ، وهو يتدبر معنى آية من آيات القرآن الكريم التى يغلب عليها توعد العاصى بالعقاب . ونسمع أحياناً عن بكاء بعض الناس وهم يؤدون الصلاة تضرعاً لله ، وكثيراً ما يكون هذا أمام الكعبة ، وهم يتعلقون بأستارها (الكسوة) أو يقفون أمام الحجر الأسود ، ويحدث هذا أيضاً كثيراً فى المدافن عند مشاهدة المقابر . والقراء ورواة الأحاديث والوعاظ والقُصّاص (المفرد قاصّ) ، يطلقون فى تلاوتهم العنان لدموعهم ، وكثيراً ما يدفعون المستمعين إلى البكاء أو يجعلونهم يذرفون الدموع ؛ ويقال إن قاصا كان يقول لمستمعيه قبل كل خطاب يوجهه إليهم : « أعيرونى دموعكم! » (حلية الأولياء ، حـ ٥ ، ص ١١٢) . وكانت محاضر (جمع محضر) تعقد يبكى فيها الحاضرون بكاء شديداً ويتناولون بعدها وجبة (حلية الأولياء ، حـ ٢ ، ص ٣٤٧) ، وقد يلتقى مسلمان ورعان ويشرعان فى حديث دينى ويذرفان الدموع وهما يتدبرانه ؛ ويقال إن محمد بن سوقة وضرار بن مرة كانا يلتقيان بانتظام كل يوم جمعة لهذا الغرض (حلية الأولياء ، حـ ٥ ، ص ٤ ؛ حـ ٥ ، ص ٩١) ، وإن بَدِيلاً وشُمَيْتاً وكهْمساً اجتمعوا فى بيت بعضهم فى إحدى المناسبات فقالوا : « تعالوا اليوم حتى نبكى على الماء البارد (الذى سنفقده يوم القيامة) ! » (حلية الأولياء ، حـ ٦ ، ص ٢١٣) ، ويمكن أن نجد فى كتاب حلية الأولياء (حـ ٤ ، ص ٢٥٥ — ٢٦٠) ولولة طويلة لبكاء (وردت فيها الكلمة المميزة « ويحى ») ، أما الولولة الأقصر كثيراً من ذلك لرجل من إسرائيل فنجدها فى كتاب عيون الأخبار (حـ ٢ ، ص ٢٨٤) ، وهناك نقاش دينى دار بين ثلاثة من البكائين ورد فى كتاب حلية الأولياء (حـ ١٠ ، ص ١٦٣) .

وتروى قصص خارقة عن مقدار الدموع التى استطاع بكّاء أن يذرفها : فيقال إن واحداً من البكائين ظل يبكى فى بعض الأوقات ثلاثة أيام وليال سوياً ، وبكى آخرون حتى اخضلت لحاهم أو ابتلت وسائدهم ، وبلل آخرون بدموعهم أكياساً كاملة من الرمال ، وكانت دموع أحد البكائين تسمع وهى تتناثر على قدميه ؛ وقيل إن آخر جلس بعد البكاء فى ردغة من دموعه فظن الناس أنه توضأ فيها ، وتصببت الدموع من عينى أحدهم على الأرض فنبت العشب ، وبكى آخر عمداً فى سرداب ، وأدى تدفق

الدموع من عيون البكائين إلى حفر أخاديد عميقة فى خدودهم ، وآخرون تساقطت أهدابهم وجفونهم ، وغيرهم تشوهت ضلوعهم ، وأصبحت عيونهم ضعيفة البصر أو أصيبت بالعمى . ويتردد ذكر حالات حدث فيها إغماء بل وفاة .

وكان يعتقد أن القدرة على البكاء فضيلة ودليل على الغيرة الدينية الحقة ورحمة الله ، وقيل « ليس فى وسع كل سائل أن يبكى » (عبد الله الأنصارى الهروى : الرسائل ، طهران سنة ١٣١٩ ، ص ٥١) . ويروى أن أبا بكر قال عندما رأى بعض أهل اليمن يبكون لما قرأ عليهم القرآن : « هكذا كنا حتى قست القلوب » (الجاحظ : البيان ، حـ ٣ ، ص ١٥١) ، وضرب عامر بن عبد قيس بيده على عينه فى يأس وصاح : « جامدة شاخصة لاتندى ! » (البخلاء ، ص ٥) ، ويرى الدارانى أن العجز عن البكاء دليل على ترك الله للعبد (السُلَمى : طبقات الصوفية ، القاهرة سنة ١٩٥٣ ، ص ٨١) ، ورأى يوسف بن حسين الرازى عندما أصبح بعد لايبكى عند تلاوته القرآن دليلا على أن أهل الرى ربما كانوا على حق فى رميه بأنه « زنديق » (حلية الأولياء ، حـ ١٠ ، ص ٢٤٠) ، ومن جهة أخرى فإن ثابت البُنانى يرى أن نعمة البكاء آية ينعم بها الله على عباده [حلية الأولياء ، حـ ٢ ، ص ٣٢٣) ، ويقال إن محمداً صلى الله عليه وسلم دعا ربه أن يرزقه « عينين هاطلتين تشفيان القلب بذرف الدموع » [حلية الأولياء ، حـ ٦ ، ص ١٩٦ وما بعدها ؛ حـ ٢ ، ص ٢٨٠ ؛ Wensinck : *Some Semitic Rites* ، ص ٨٩) . ومما يتصل بهذا حديث التباكى : « فإن لم تجدوا بكاء فتباكوا » وهو حديث يحظى بقبول عام .

وقد أثيرت بين الزهاد أربعة اعتراضات ، أو أربعة تحفظات فى الأقل ، على سنة البكاء ، أولاها أن البكاء ليس فعلا إرادياً ، وثانيها أنه يمكن أن يعد مزيلا للأسى والحزن وشارحاً للصدر وهو بهذه الصفة ينكر ، وفى معرض هذا يقال إن سفيان ابن عُيَيْنة قد نمّى فى نفسه خلّة حبس الدموع فى عينيه برفع رأسه ، وهذا فى قوله أبقى للحزن فى الجوف (حلية الأولياء ، حـ ٩ ، ص ٣٢٧) ، وثالثها أن البكاء شىء ظاهرى ومن ثم يمكن أن يموه على الناس ، ويذكرون مثالا لهذا دموع إخوة يوسف الكاذبة (سورة يوسف الآية ١٦) . وأشير أيضاً إلى الأثر المزعوم الذى يقول إن المؤمن يبكى من قلبه والمنافق من ظاهر وجهه ، ولما كان البكاء مظهراً خارجياً فإن رسائل الصوفية لم تفرد له فصلا خاصاً ، بل تناولته تناولا عابراً فى فصول تدور حول الحزن والخشوع وما إلى هذا .

ويعد الفصل السابع والعشرون من كتاب العطّار المسمى « مختار نامه » (در صفه گريستن) فريدا فى بابه لاتستوجب الضرورة أن نتناوله هنا ، ورابعها أن الكثيرين من الصوفية المتأخرين رأوا أن من علامات الضعف أن يتركوا لمشاعرهم العنان إلى حد البكاء .

ولا محل هنا للحديث بإفاضة عن بكاء الصوفية فى السماع ، وعند أضرحة الأولياء ، وذرف الحجاج

للدموع لدى مشاهدة مكة ، والوقوف بعرفة ، وأمام قبر الرسول صلى الله عليه وسلم فى المدينة ، وبكاء الشيعة على أئمتهم أو عند قبورهم ، وبكاء التوابين أو الخوارج إلخ : ولكن يحق لنا فى هذا المقام الإشارة إلى أن بكاء البكائين يعد من أوضح الصلات التى تربط الزهد المتسم بالورع عند المسلمين بالزهد عند المسيحيين . ومنذ العهد الذى عرف فيه المسيحيون الأوائل البكاء « من أجل البكاء » على يد الرهبان الأقباط والسريان (شنوده وإفرايم ويوحنا الأفسوسى وإسحق النينوى إلخ) ، يمتد حبل مباشر واصل إلى البكائين المسلمين — وهذا مثال للتطور المتشعب المعروف : أصل عام يضرب بجذوره فى المسيحية الأولى يتشعب بعد ذلك إلى فرع فى العالم المسيحى الغربى (أوغسطين وكاسيان إلخ) وآخر فى الشرق . وينقسم التيار الشرقى بعد ذلك إلى ثلاثة فروع : أحدها يمثل استمرار المسيحية الشرقية عن طريق توما المرجاوى حتى ابن العبرى إلخ . والثانى هو الشعبة اليهودية (Wensinck) والثالث هو البكاء عند الزهاد المسلمين . صحيح أن الإسلام قد غطى على أشكال شرقية أخرى للبكاء بل استوعبها فى الحقيقة (انظر « بكاء المجوس » على سياوش فى كتاب النرشخى المسمى تأريخ بخارى ، طبعة شيفر Schefer ، ص ٢١ ؛ البكاء على تموز ؟) . ومع ذلك فإن المسلمين أنفسهم كانوا مدركين كل الإدراك أن بكاءهم الذى أثارته تقواهم له مثيل فى المجال اليهودى — المسيحى وتدل عليه بجلاء شواهد كدموع آدم ونوح (مشتق من ناح) ويعقوب وداود وسليمان ويوحنا المعمدان ويسوع ورهبان عديدين .

أما البكاءون الذين تحدث عنهم ابن هشام ، فى كتاب السيرة (طبعة فستنفلد Wuestenfeld ، جـ ٢ ، ص ٨٩٥ وما بعدها) فلا يدخل فى طائفة البكائين الذين تحدثنا عنهم فى هذه المادة .

المصادر :

(١) الجاحظ : البخلاء ، طبعة الحاجرى ، انظر ترجمة پلا Pellat ، ص ٨ — ٩ (٢) البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون ، جـ ٣ ، ص ١٤٩ وما بعدها (٣) ابن قتيبة : عيون الأخبار (القاهرة سنة ١٩٢٨) ، جـ ٢ ، ص ٢٦١ وما بعدها (٤) خليل بن أيبك الصفدى : تشنيف السمع فى انسكاب الدمع ، القاهرة سنة ١٣٢١ ، ص ٥٣٤ (٥) أبو نعيم أحمد الإصبهانى : حلية الأولياء ، القاهرة سنة ١٩٣٢ ، فى مواضع مختلفة (٦) ابن الجوزى : صفة الصفوة ، وانظر أيضاً رسائل صوفية أخرى وتراجم (٧) A.J. Wensinc : *Handbook of the Early Muhammadan Tradition* مادة Weeping (٨) الكاتب نفسه : *Concordance et Indices de la Musulmane* ، مادة baka (٩) الكاتب نفسه : *Some Semitic Rites of Mourning and Religion* (*Verh. Ak. Wetenschappente Amsterdam Letterkunde N.R.* 18 ، رقم ١ ، سنة ١٩١٧) (١٠) الكاتب نفسه : *Mystic Treatises by Isaac of Nineveh* (المصدر المذكور ، ص ٢٣ ، رقم ١ ، سنة ١٩٢٣) (١١) R. Dozy : *Suppl.* ، انظر مادة بكاء ورقة *rikka* (١٢)

R. A. Nicholson : Muslim Asceticism ، في E.R.E. ، جـ٢، ص١٠٠ (١٣) Eduard Sachau : Der erste Chalife Abu Bekr ، في Sb. preuss. Ak. Wiss. ، سنة ١٩١٣ ، جـ١ ، ص ٢١ وما بعدها (١٤) J.H. Palache : Ueber das Weinen in der juedischen Religion ، في Zeitschr. der Deutsch. Morgenl. Gesells. (سنة ١٩١٦) ، ص ٢٥١ وما بعدها (١٥) L. Massignon : Essai sur les origines du lexique technique de la mystique musulmane ، الطبعة الثانية (سنة ١٩٥٤) ، ص ١٦٦ — ١٦٧ (١٦) H. Lammens : L'Islam, Croyances et Institutions ، الطبعة الثانية ، بيروت سنة ١٩٤١ ، ص ١٥٢ — ١٥٥ (١٧) H. Ritter : Studien zur islamischen Froemmigkeit I ، في Der Islam ٢١ (سنة ١٩٣٣) (١٨) G. Zappert : Ueber den Ausdruck des geistigen Schmerzes im Mittelalter ، في Denkschr. d. Ak. Wien ، جـ ٥ (سنة ١٨٥٤) ، ص٧٣ وما بعدها (١٩) W. Heffening : Die griechische Ephraem-Paraenesis gegen das Lachen in arabischer Uebersetzung ، في Oriens Christianus ، جـ ١١ (١٩٦٣) ، ص٥٤ وما بعدها (٢٠) J. Balogh : Unbeachtetes in Augustins Konfessionen ، في Didaskaleion ، جـ ٤ (١٩٢٦) ، ص ١٠ وما بعدها (٢١) Das "Gebetweinen" (imber lacrimarum) ، في ARW ، ٢٧ (سنة ١٩٢٩) ، ص٣٦٥ وما بعدها (٢٢) ARW ، ٢٩ (سنة ١٩٣١) ، ص ٢٠١ وما بعدها (٢٣) F. Meier ، في Oriens ، جـ ٩ سنة (١٩٥٦) ، ص ٣٢٣ (٢٤) K. Meuli : Das Weinen als Sitte (كتاب لم ينشر بعد سمح لى بالاطلاع عليه) .

آدم (ف : ماير F. Meier)

« بكّار » : جزيرة حصينة فى نهر السند على خط عرض ٢٧° ٤٣َ شمالا وخط طول ٦٨° ٥٦َ شرقى گرينويتش ، وهى من الحجر الجيرى ، ويبلغ طولها ٨٠٠ ياردة (٧٣,١٥ من الكيلومتر) وعرضها ٣٠٠ ياردة (٢٧,٤٣ من الكيلومتر) وارتفاعها نحواً من ٢٥ قدماً .

وكانت هذه الجزيرة قلعة لها بعض الشأن منذ عام ١٣٢٧م ، وتنازعتها عدة دول . وتعاقب على حكمها عدة ولاة ، ثم ولى الأمر فيها عامل من قبل السلطان أكبر عام ١٥٧٤م ، واستولى عليها أمراء كلهرا عام ١٧٣٦ ثم احتلها الأفغان حتى انتزعها منهم مير رستم خان خيرپور . وتنازل عنها أمراء خيرپور لإنكلترة عام ١٨٣٩م .

المصادر :

(١) A. H. Hughes : Gazetteer of the province of Sind ، الطبعة الثانية عام سنة ١٨٧٦ مادة بكّار (٢) Imperial Gazetteer of India :

+ بكّار : جزيرة حصينة فى نهر السند ، تقع بين بلدتى سكّر وروهرى ، وقد نوه بأهميتها ابن بطوطة الذى زارها فى عهد محمد بن تغلق ، وفى عام ١٥٢٢ اتخذ منها شاه بك ، مؤسس أسرة

أرغون » عاصمة له : وعندما رفض ابنه شاه حسين عام ١٥٤٠ أن يمنح حق الالتجاء للإمبراطور الهارب همايون حاول همايون أن يستولى على الجزيرة الحصينة فلم يفلح . وفى عام ١٥٧٤ ضمت إلى الإمبراطورية المغلية فى عهد أكبر: وخير رواية وأكملها عن غزو المغل للسند تجدها فى «تأريخ معصومى» الذى كتبه مير محمد معصوم، أحد سكان بكار . وفى عام ١٧٣٦ استولى على بكار الحكام الكلهراويون فى السند وسقطت بعد ذلك فى أيدى الأفغان أولا ثم فى أيدى حاكم خيرپور: واحتلها البريطانيون عام ١٨٣٩ وأصبحت أهم دار صنعة لهم فى السند أثناء الحرب الأفغانية الأولى (١٨٣٩ — ٤٢) . واستخدمت سجنا من عام ١٨٦٥ إلى عام ١٨٧٦ :

المصادر :

(١) A. W. Hughes : *Gazetteer of Province of* *Sind* (سنة ١٨٧٦) (٢) E.H. Aitken : *Gazetter* *of Province of Sind* (١٩٠٧) .

[C. Collin Davies آدم ل كولن ديڤيز]

+ « بكلربكى » وبگلربگى :والكاف فى الأولى تنطق ياء : لقب تركى معناه « بك البكوات » أى « قائد القواد » . وهذا اللقب انتقص من قدره تدريجاً كما حدث بالنسبة للألقاب الأخرى ، فقد كان فى الأصل يدل على « القائد العام للجيش » ثم أصبح يدل على « والى الإقليم » ثم أصبح آخر الأمر مجرد لقب من ألقاب التشريف .

وكان البكلربكى بالمعنى الأول يستعمله سلاجقة الروم بديلا للقب « ملك الأمراء » ثم استعمله الإيلخانية لقباً لأمير « أمراء الأولوس » الأربعة . وأطلق اللقب فى إمبراطورية القطيع الذهبى على جميع « أمراء الأولوس » : وربما كان قد استعمل فى مصر المملوكية لقباً لأتابك العساكر (انظر الإشارات إلى المصادر فى م .ف : كوپريلى زاده: بيزانس مؤسسه لرينك عثمانلى مؤسسه لرينه تأثيرى » إستانبول سنة ١٩٣١ ، ص ١٩٠ — ١٩٥ [الترجمة الإيطالية *Alcune osservazioni* فى Publicazioni dell'Instituto per l'Oriente diRoma سنة ١٩٤٤] ؛ وانظر ا . خليل أوزون چارشيلى : عثمانلى دولتى تشكيلاتنه مدخل، إستانبول سنة ١٩٤١ الفهرس ؛ وانظر أيضاً D. Ayalon فى *Bulletin of the School of Oriental and African Studies* ج ١٤ ، سنة ١٩٥٤ ، ص ٥٩) .

ويظهر أن لقب بكلربكى كان فى الأصل يدل لدى العثمانيين أيضاً على « القائد الأعلى » (وقد استعمله بهذا المعنى سعد الدين ، ج ١ ، ص ٦٩)؛ ويقال إنه منح أول ما منح للالا شاهين، منحه له السلطان مراد الأول حين عاد إلى بروسه بعد فتح أدرنه (انظر Giese ، ص ٢٢ ، س ١٩ = أوروج ص ٢٢ ، س ٩) : وقد خلف لالا شاهين « تيمورتاش وكان فيما يظهر البكلربكى الوحيد ، وقد ترك ليحرس الأناضول حين سار بايزيد الأول نحو مبرچه (نشرى ، طبعة Taeschner ، ج ١ ، ص ٨٦) . وعندما استولى موسى « أيام

الاضطرابات» على الأراضي الأوربية عيّن «وزيراً» و«قاضي عسكر» و«بكلربكى» (*Anon.:* Giese ص ٤٩ ، س ٢٤ ، ولكن ورد فى أووروج ص ٣٩ » س ١٣ إنه «بكلربكى الروملّى» وكذلك ورد فى عاشق پاشازادة ، طبعة Giese ، الفصل ٦٩) . وما وافى ختام عهد محمد الأول على أكثر تقدير حتى كان ثمة بكلربكيان لهما ولايتهما الإقليمية : أحدهما على «الروملى» والثانى على «آناطولى» (انظر عاشق پاشازاده ، الفصل ٨١ : «بكلربكى آناطولى» و«بكلربكى الروملّى» ؛ ومثل هذه الإشارات إذا قصد بها المؤرخون المتأخرون تواريخ أقدم من ذلك فإنها تكون خطأ فى تسلسل التواريخ).

وكانت هذه هى الحال بلا لبس فى عهد مراد الثانى ، وفى ذلك الوقت كان البكلربكيان الخاصان بالروملّى والأناضول هما الحاكمان العامان لهاتين الولايتين . وكانت مهمتهما الأولى الإشراف عن طريق سنجق بكية (انظر هذه المادة) السپاهية الإقطاعيين الذين كان البكلربكية يقودونهم فى ميدان القتال إبان الحروب . واتسعت الأراضى العثمانية فقامت ولايات جديدة ، ولذلك فإنه ماوافت نهاية القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) حتى كان عدد البكلربكية قد زاد فأصبح قرابة الأربعين بكلربكيا . وكان بكلربكى الروملّى (الذى دخل الديوان منذ سنة ٩٤٢هـ = ١٥٣٦م ؛ انظر فريدون ، الطبعة الثانية ، جـ ١ ، ص ٥٩٥) له الأسبقية دائماً . أما الباقون وإن كانوا من نفس الرتبة (انظر مايلى) إلا أن اسبقيتهم كانت تحتسب من تاريخ فتح ولاياتهم ، ولم يكن بالأمر الشاذ أن يلى الصدر الأعظم أيضاً منصب بكلربكى الروملى .

ويتضح من قانونتامه محمد الفاتح أن لقب «البكلربكى» كان قد أصبح أيضاً لقباً من ألقاب الشرف (كما كان الشأن فيما يحتمل فى عهد سلاجقة الروم ؛ انظر كوپريلى زادة ، المصدر المذكور ، ص ١٩٢) . وكان حاملوه تأتى أسبقيتهم بعد الوزراء مباشرة ؛ وماوافت نهاية القرن الحادى عشر الهجرى (السابع عشر الميلادى) حتى كان «بكلربكى الروملى» قد أصبح أيضاً لقباً شرفياً إلى جانب أنه كان يدل فى الواقع على الحاكم العام. وكان الأمر على عكس ذلك منذ القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) ، فقد كان منصب «بكلربكى» الولايات الهامة يمنح فى كثير من الأحيان لحاملى رتبة الوزير الذين كان لهم سلطان على بكلربكية الولايات المجاورة . وكان للوزير الحق فى ثلاثة تبوغ أما البكلربكى فله الحق فى اثنين، وكان كل من الوزراء والبكلربكية يحملون لقب «پاشا» ، ومن ثم فإن «السنجق» الذى يتخذ فيه البكلربكى قصره كان يعرف باسم «پاشاسنجغى».

وكان البكلربكى بعد نائباً للسلطنة (سلطنت وكيلى) ، وكان له بلاط على نطاق ضيق، وكان يرأس «الديوان» الخاص به . وكان فى أول الأمر له مطلق السلطان فى منح التيمارات والزعامات ، وكانت تعييناته يصدق عليها بلا اعتراض ، ولكنه لم يكن يستطيع أن يصدر «براءته» بعد عام ٩٣٧هـ (١٥٣٠م) إلا للتيمارات الصغيرة (تذكره‌سز) ،

ثم زاد هذا المصطلح لبسا واضطراباً فى القرن الثانى عشر الهجرى (الثامن عشر الميلادى) وذلك لأمور: (١) أن لقب «الوالى» (انظر هذه المادة) أخذ يمنح باطراد للحاكم العام، وبهذا بطل استعمال البكلربكى بهذا المعنى (إلا فيما يختص ببكلربكى الروملّى والأناضول إذا أخذنا بماجاء فى D'Ohsson : *Tableau général*، ج ٧، ص ٢٧٨) (٢) أن اللقب الفارسى «مير ميران، ميرميران» (انظر هذه المادة) الذى كان من قبل يستخدم بلا تمييز (هو واللقب العربى «أمير الأمراء» [انظر هذه المادة]) قد أصبح يستعمل باطراد للدلالة على لقب التشريف بكلربكى ويمنح بصفته هذه لولاة السناجق؛ ولما أعيد تنظيم إدارة الولايات تنظيماً شاملا بمقتضى القانون الصادر سنة ١٢٨١ هـ (١٨٦٤م) أصبح لقب الوالى هو التسمية الرسمية لحاكم الولاية (انظر A. Heidborn : *Droit public et administratif de l'Empire Ottoman*، فينا — ليبسك، سنة ١٩٠٨، ص ١٥٧ وما بعدها)؛ ومن هنا لم يبق إلا المصطلحات روملّى بكلربكيسى» و«مير ميران» و«مير أمرا»، وهى ألقاب شرفية فحسب.

وكان البكلربكية فى الدولة الصفوية هم الطبقة الثانية والرابعة بين ولاة الأقاليم (تذكرة الملوك، ترجمة وتعليق V.Minorsky، سلسلة گب التذكارية، السلسلة الجديدة، ج ١٦، لندن سنة ١٩٤٣، ص ٢٥، ٤٣، ١٦٣)؛

المصادر:

(١) Hammer-Purgstall : *Staats.* فى مواضع مختلفة (٢) P.A.von Tischendorf : *Das Lehnswesen in den Moslemischen Staaten*، ليبسك سنة ١٨٧٢ (٣) J. Deny : *Sommaire des Archives Turques du Caire*، القاهرة سنة ١٩٣٠، ص ٤١ — ٥٢ (٤) انظر مادتى «تيمار» و«باشا» فى هذه الدائرة (٥) W.L. Wright : *Ottoman Statecraft*، برينستون، الفهرس (٦) ا: خليل أوزون چارشيلى : عثمانلى دولتنڭ سراى تشكيلاتى، أنقرة سنة ١٩٤٥، الفهرس (٧) الكاتب نفسه : دولتنڭ مركز وبحريه تشكيلاتى، أنقرة سنة ١٩٤٨، الفهرس (٨) م.ز. پاك آلين : عثمانلى تاريخ دييملرى وترعلرى سوزلغى، مادة بكلربكى (٩) H.A.R. Gibb & H. Bowen : *Islamic Society and the West*، مجلد ١، أوكسفورد سنة ١٩٥٠، وخاصة ص ١٣٧ وما بعدها والمصادر المشار إليها فيه (١٠) أما من حيث تصريف هذا اللقب لغوياً فانظر Deny : *Gr.*، الفقرات ١١١٥ — ١١١٧؛

خورشيد (ميناج V. L. Ménage)

+ «بكْلك»: مصطلح مكوّن من الصفة «بك» واللاحقة الإسمية «لك»، وهو لقب تركى قديم (انظر مادة «بك»)؛ ويقال إن الكلمة «بك» ترادف الكلمة العربية «أمير»، وأن «بكلك» ترادف «الإمارة»؛ ومن ثم فإن المصطلح «بكلك» يدل على لقب بك ومنصب بك جميعاً، كما يدل أيضاً على الأملاك التى يحكمها البك. ثم توسع فى هذا اللقب من بعد فأصبح يدل كذلك

على « الدولة أو الحكومة » كما يدل فى الوقت نفسه على وحدة سياسية وإدارية لها فى بعض الأحيان استقلال ذاتى . ولما قامت الإمبراطورية العثمانية كان سلطان الدولة السلجوقية يشير إلى عثمان بك رأس هذا البيت العثمانى بلقب بك . وكذلك فإن الأراضى التى انتزعها من الإمبراطورية البوزنطية منحت له فى الوقت نفسه بوصفها « بكلك » أو « إمارة » . وفى أوائل القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) كانت الإمارات التركية الأخرى فى آسية الصغرى (طوائف ملوكى) تسمى أيضاً بصفة عامة « بكلك » . ولما اتسعت الإمبراطورية العثمانية من بعد ، قسمت أراضيها إلى « سنجق بكلكيات » ، وهى أهم الوحدات السياسية والإدارية وأصلها ، ثم صنفت هذه من بعد إقليمياً ، تحت سيادة البكلربكية . ومنذ القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى) ، أصبحت تلك البلاد البلقانية التى تدين بالسيادة للإمبراطورية العثمانية وإن كانت تتمتع باستقلال داخلى ذاتى كامل ، تسمى بكلكيات مثل : بكلك الداتوب ، وبكلك الأفلاق ، وبكلك البغدان ، وبكلك إردل . ثم حدث بعد ذلك أن البلاد التى كانت قد حصلت على بعض الامتيازات الإمبراطورية العثمانية ونجحت فى الحصول على قدر من الاستقلال الذاتى ، أصبحت تعد بكلكيات مثل بكلك ميسام (ساموس) وبكلك بلغارستان . ثم إن هذا المصطلح بدوره قد توسع فى معناه أكثر من ذى قبل ، فبدأ يستعمل صفة للدلالة على أماكن وأشياء تتبع الحكومة مثل : « بكلك أراضى » (ميرى أراضى) أى أراضى البكلك ؛ و « بكلك قشله » أى الثكنات الشتوية للبكلك ؛ و « بكلك چشمه » أى نبع البكلك ، و « بكلك آخور » أى حظيرة البكلك ؛ و « بكلك گمى » أى سفينة البكلك » « إلخ » وثمة أيضاً بعض الأمثال التركية ترد فيها هذه الكلمة مثل « برگونكٔ بكلكى بكلكدر » أى إن بكلك يوم واحد هو بكلك . وقد اشتق اسم موظف فى التنظيم المركزى للإمبراطورية من هذا المصطلح : بكلكجى وهو مدير إدارة فى الديوان السلطانى « ديوان همايون » (انظر هذه المادة) .

خورشيد [ط . گوك بلگين M. T. Goekbilgin]

٢ — فى شمالى إفريقية : وكان هذا المصطلح مستعملا فى الأملاك العثمانية السابقة بالمغرب ، فيما عدا مراكش والصحراء ، لأن النفوذ الإدارى التركى فيهما لم يحس به أحد قط ؛ وهو يشير — شأن المصطلح « مخزن » فى مراكش — إلى السلطة الحكومية والإدارية فى كل مرحلة ، وقد يرد إلى أوائل الاحتلال العثمانى وحكم البلكربكية ، أو ربما كان يرجع إلى تاريخ متأخر عن ذلك . ولاشك أنه فى الحالة الأخيرة يذكر بنفوذ البكوات الجزائريين المحليين لقسنطينة ، وتيترى والغرب على الأقل فيما يتعلق برأس البكوات فى الجزائر . زد على ذلك أنه قد استعيض عنه بداى منذ سنة ١٦٧١ . ومعلوماتنا فى هذا السبيل أندر من أن تبيح لنا الانتهاء إلى نتائج .

وفى بلاد طرابلس وتونس والجزائر فإن نظام الحكم الذى يدل عليه المصطلح « بكلك » هو فى جوهره واحد ، اللهم إلا فى إدارة الحكومة فى بلاد تونس فإنه جنح سريعاً إلى أن يصبح وراثياً ، ولم يكن هذا حاله فى غيرها .

وكانت صور الحكم فى كل مكان عثمانية ، وظلت كما هى لايتناولها تعديل أوتكاد تكون كذلك ، على حين أن الكلمات التى كانت تستخدم للدلالة عليها كانت فى معظم الأحوال أيضاً داخلة فى المفردات التركية . على أن هذه النظم لم تضرب بجذورها فى بلاد شمالى إفريقية ، ولم يقبل عليها الناس فيما جاوز المستوى الإقليمى . وكانت الحكومة المركزية فى الواقع تركية برمتها ، ويصدق هذا على حكومة الأقاليم من حيث أن كل إقليم كان تحت سلطان وال تركى أوكان جزءاً لايتجزأ من نظام الحكم التركى ، وكانت كل المدن المهمة ،مثل مدن الحاميات ،يحكمها عمال تقيمهم الحكومة المركزية الإقليمية . ولم يتجاوز سلطان البكلك هذا الحد ، فقد كان يحكم المدن الصغيرة الخالية من الحاميات والقرى والقبائل ،عمال منها كانت تعترف بهم الحكومة المركزية أو الحكومة المحلية ، ويعملون وكلاء وسطاء وهمزة وصل بين البكلك والناس .

وقد أثار البكلك من حيث هو السلطة المركزية مشاعر مختلفة فى نفوس الناس ، من خوف إلى شك ينبعان من حفيظتهم نحوه ، كما كان يحوز أيضاً ثقة لا حد لها فى النكبات وفيما يصيب الأفراد من متاعب . وكان البكلك فى مثل هذه الشدائد يستطيع — إن شاء — أن يسلم أمره لعناية الله .

المصادر :

ليس ثمة كتاب يتناول هذا الموضوع خاصة ، ولكن يستطيع من يشاء أن يجد فى عدة كتب معلومات عن الوجوه المختلفة لنظم البكلك . ونضرب مثلا على ذلك بالكتب الآتية :

(١) R. P. Dan : *Histoire de Barbarie et de ses corsaires* ، باريس سنة ١٦٣٧ (٢) Venture de Paradis: *Alger* [illegible] *XVIIIe siècle* ، طبعة Fagnan ، الجزائر سنة ١٨٩٨ (٣) H. de Grammont: *Histoire d'Alger sous la domination Turque* ، سنة ١٨٨٧ (٤) Ch. A. Julien : *Histoire de l'Afrique du Nord* الطبعة الثانية (نقحها وأكملها R. Le Toureau) ، باريس سنة ١٩٥٢ .

خورشيد [له تورنو R. Le Tourneau]

+ « بكوفينا » : (انظر مادة « ختن ») .

« بُكَيْر » بن ماهان أبو هاشم : واحدمن أكابر الدعاة المتحمسين للعباسيين . كان أول أمره كاتب سر أومترجماً لجُنَيْد عبد الرحمن عامل الهند ، ولما صرف جنيد عن منصبه وحل بُكَير إلى الكوفة عام ١٠٥ هـ (٧٢٣ — ٧٢٤م) حيث اجتذبه دعاة العباسيين فوضع ثروته الكبيرة تحت تصرفهم . وتوفى داعية العباسيين مَيْسَرة فعهد إليه محمد بن على زعيم آل عباس بالدعوة لهم فى العراق ، فأظهر

كفاية نادرة ونشاطاً عظيماً فى اكتساب أهل خراسان لصف العباسيين . وفى عام ١٠٧هـ (٧٢٥—٧٢٦م) أرسل بكير نفراً من الدعاة إلى خراسان فقبض عليهم وقتلهم عاملها أسد بن عبد الله ، ولم يستطع النجاة والعودة إلى بكير إلا عمار العبادى ؛ وفى السنة التالية قام بمحاولة ثانية انتهت بقتل عمار وفرار أصحابه . ولكن يبدو لنا أن هذه الحادثة ليست سوى رواية أخرى للحادثة الأولى . وفى عام ١١٨هـ (٧٣٦م) عهد بكير إلى عمار بن يزيد بالدعوة للعباسيين فى خراسان ، واستقر عمار فى مرو وتسمى بخداش وعمل دون كلل فى اجتذاب الأنصار لمحمد بن على ؛ فأصاب نجاحاً كبيراً أول الأمر ، ولكنه لما اعتنق عقائد الخُرَّمية وجاهر بآراء بعيدة عن الدين والخلق ، قبض عليه أسد وعذبه وقتله . وقد أحنق مسلكه هذا محمد بن على فغضب على أتباع محمد بن خداش وقطع صلته بهم ؛ فأرسل هؤلاء سليمان بن كثير عام ١٢٠هـ (٧٣٨م) لاسترضائه . وعند عودته سلمه محمد خطاباً لم يكن فيه إلا باسم الله الرحمن الرحيم . كما أرسل بكير إلى خراسان للجهر برفض مذهب خداش . ولكن الخراسانين ارتابوا فيه فقفل راجعاً دون أن يحقق غرضه ؛ وأرسله محمد إلى خراسان ثانية وأعطاه عدداً من العصى بعضها بحديد وبعضها بنحاس ، فلما فرقها على النقباء والشيعة علموا أنهم مخالفون لسيرته فتابوا ورجعوا . وفى عام ١٢٤هـ (٧٤١—٧٤٢م) قبض على بكير وألقى به فى السجن . وعقدت اجتماعات فى دار بالكوفة اعتبر فيها بكير بن ماهان مسئولاً عما حدث باعتباره داعة الدعاة للعباسيين ؛ وكان يعمل لهم حتى وهو فى سجنه حيث اجتذب لصفهم عيسى بن مَعْقِل ، وكان يخدم عيسى مملوك اسمه أبو مسلم أصبح بعد ذلك قائداً وواليا على خراسان . وتقول بعض الروايات إن بكيراً اشترى هذا المملوك من عيسى وأعطاه إلى إبراهيم بن محمد بن على ، ولكننا لانعلم على وجه التحقيق تفاصيل إعتاق أبى مسلم . وفى عام ١٢٦هـ (٧٤٣—٧٤٤م) أرسل إبراهيمُ بكيرَ بن ماهان إلى خراسان لينعى إلى شيعة العباسيين محمداً ، وليعلن استخلاف إبراهيم ؛ ولما أخذ البيعة من أهل خراسان لإبراهيم عاد بكير ومعه الأموال التى جمعت من أهل خراسان لنصرة الدعوة العباسية ؛ وتوفى بكير عام ١٢٧هـ (٧٤٤—٧٤٥م) فأوصى وهو على فراش الموت بأن يخلفه فى الدعوة للعباسيين أبو سلمة حفص بن سليمان ، فوافق إبراهيم على اختياره وجعله مبعوثه .

المصادر :

(١) الطبرى : جـ ٢ ، ص ١٤٦٧ ومابعدها (٢) ابن الأثير ، طبعة تورنبرغ ، جـ ٥ ، ص ٩٣ ، ص ١٠١ وما بعدها (٣) اليعقوبى ، طبعة هوتسما ، جـ ٢ ، ص ٣٨٣ (٤) Weil : *Gesch. d. Khalifen* ، جـ ١ ، ص ٦٢٨ (٥) Wellhausen : *Das Arabische Reich und sein Sturz* ، ص ٣١٦ وما بعدها .

[تسترشتين K.V. Zetterstéen]

« بُكَيْر » بن وسَّاج : عامل خراسان ، وكثيراً ما يرد ذكره فى الحرب التى نشبت بين عبد الله بن خازم عامل خراسان وبنى تميم ،

وكان ابن خازم يناصر عبد الله بن الزبير ، وثار لذلك فى وجه الأمويين . وما إن وطد سلطانه حتى أخذ يضطهد التميميين الذين كانوا منتشرين فى أنحاء خراسان . وفزع التميميون إلى ولده فى هراة ، وكانت أمه من تميم ، فكتب ابن خازم إلى قائديه فى هراة : شمّاس بن دثار وبكير بن وساج يأمرهما برد التميميين . وانحاز شماس إليهم ، وحاول بكير أن ينفذ أمر ابن خازم ، ولكنه لم يستطع آخر الأمر أن يمنع بنى تميم من دخول المدينة وقتل محمد بن عبد الله بن خازم . ولما امتنع ابن خازم عن البيعة لعبد الملك عام ٧٢هـ (٦٩١ — ٦٩٢م) استعمل هذا الخليفة بكيراً على خراسان . فسار ابن خازم إلى مرو فتلقاه بحير بن ورقاء وتحاربا فقتل ابن خازم . وأراد بكير أن يدعى أنه هو الذى قتل ابن خازم ، وزج ببحير فى السجن .وخشى أهل خراسان من تجدد الفتنة ، ورغبوا فى أن يُستعمل عليهم قرشى ، فصُرف بكير عام ٧٤هـ (٦٩٣ — ٦٩٤م) ونُصب مكانه أمية بن عبد الله ابن خالد . وأطلق سراح بحير وتصافى مع بكير . وفى عام ٧٧هـ (٦٩٦ — ٦٩٧م) جهز أمية حملة على بخارى عقد اللواء فيها لبكير ، وحذّر بحير معاوية منه فقاد الجيش بنفسه مصطحباً بكيراً ومخلفاً ولده فى مرو . وما إن عبر أمية نهر جيحون حتى أحرق بكير المراكب ليمنع عودته . وأسرع بالرجوع إلى مرو حيث أعلن استقلاله وسجن ابن أمية . ومن ثم اضطر أمية إلى أن يصطلح مع أهل بخارى وتقدم نحو بكير . وتقول رواية أخرى إنه لم يذهب مع أمية ، وإنما بقى فى مرو أثناء القتال.

ومهما يكن من شىء فقد انتهى الأمر بأن عرض أمية على بكير شروطاً للتسليم غير مهينة،وكان مما وعد به أمية ألا يلقى باله مرة أخرى إلى وشاية بحير . ومع ذلك فقد اتهم بكير بالخيانة ، بتحريض بحير . فقتل فى العام نفسه .

المصادر :

(١) الطبرى : جـ ٢ ، فى مواضع مختلفة (٢) ابن الأثير ، طبعة تورنبرغ ، جـ ٤ ، ص ١٣٠ ، ص ١٧١ ، ٢٩٥ وما بعدها ، ٣٥٩ وما بعدها (٣) اليعقوبى ، طبعة هوتسما ، جـ ٢ ، ص ٣٢٤ (٤) البلاذرى ، طبعة غويه ، ص ٤١٥ ، ٤١٧ (٥) Weil : *Gesch. d. Khalifen* ، جـ ١ ، ص ٤٤٨ .

[تسترشتين K.V. Zetterstéen]

+ بكير بن وشاح : عامل خراسان فى أوائل خلافة عبد الله بن مروان . وهذا التميمى من قبيلة بنى سعد الذى كان من قبل نائباً لعبد الله ابن خازم ، قد لفت الأنظار إليه فى تلك الأيام المضطربة التى تميزت بفتن بنى تميم ، وذلك حين قاد جنود محمد بن عبد الله بن خازم فى هرقا ، وحين كان مفوضاً من قبل والى مرو بعد استرداد هذه المدينةمن المنتقضين. وحدث عام ٧٢هـ(٦٩١— ٦٩٢م) أن انتصر الخليفة الأموى عبد الملك ووطد سلطانه فى العراق وجزيرة العرب ، فأتاح ذلك لبكير فرصة أن يعهد إليه بدوره ولاية مرو اسمياً، وأن يفرض بالقوة سلطانه مكان سلطان ابن خازم الذى كان قد رفض الانضمام إلى الأيوبيين فلم يلبث

أن قتل وهو يهرب متجهاً إلى ترمذ ، ولكن الاضطرابات استمرت فى هذا الإقليم حيث كانت تميم مشتبكة فى فتنة حقيقية ، وفى هذه الأثناء خلع بكير وعوض عن منصبه بولاية طخارستان، ثم اضطر بلاشك سنة ٧٤هـ (٦٩٣ — ٦٩٤م) أن ينزل عن منصبه لأمية بن عبد الله بن خالد القرشى ، وكان الخليفة قد بعث به إلى هناك ، وقد أقيم فى هذا المنصب فى قول بعض المصادر سنة ٧٢هـ (٦٩١ — ٦٩٢م) ، على أنه حدث فى ظروف تختلف الروايات فى ذكر تفاصيلها ، أن انتهز الأمير المخلوع فرصة غياب الوالى الجديد الذى كان قد خرج عام ٧٧هـ (٦٩٦ — ٦٩٧م) ليقاتل بخارى ، فأثار أهل مرو خدمة لمآربه وأجبر أمية على العودة بأسرع ما يستطيع ليحاصر المدينة المتمردة ، وكان التسليم الذى أعقب هذا قد تم بشروط مشرفة لبكير ، ولكنه استمر فى التآمر فاغتاله فى السنة نفسها أحد أعدائه .

المصادر :

(١) الطبرى ، الفهرس (٢) البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص ٤١٥—٤١٧ (٣) اليعقوبى ، جـ ٢ ، ص ٣٢٤ (٤) البلدان ، ص ٢٩٩ (٥) J. Wellhausen : Das arabische Reich ، برلين سنة ١٩٠٢ ، ص ٢٦٠ — ٢٦٣ (٦) Caetani : Chronographia ، ص ٨٤٩ ، ٨٥٩ ، ٨٧٧ ، ٩١٥ ، ٩٢١ .

[J. Sourdel-Thomine جوردنيه . [سوردل‌ستومين

« بل » : كلمة تركية معناها قنة جبل ، وترد عادة فى أسماء الأماكن .

« بَلاَبَاذ » (بلاوات) : قرية على مسيرة ١٦ ميلا إلى الجنوب الشرقى من الموصل وعشرة أميال إلى الشمال الشرقى من أطلال مدينة نمروذ التى تعرف فى الأشورية باسم كلحو Kalhu (انظر المصور الجغرافى الذى وضعه كيبرت R.Kippert معتمداً على أعمال المساحة التى قام بها جونس Jones ونشرها فى مجلة الجمعية الأسيوية الملكية ، جـ ١٥ ، سنة ١٨٥٥م ، وهذا المصور الجغرافى فى مصنف أوبنهيم V. Oppenheim : *Vom Mittelm. z. Pers. Golf* ، سنة ١٩٠٠م ، جـ ٢ ، ص ١٨٢ ، وقد كتب اسم القرية فيه بيلاّوات Bellawat) ؛ وذكر ياقوت هذه القرية فقال إنها محطة للقوافل من أعمال نينوى وأن بينها وبين الموصل رحلة خفيفة ، وأوردها باسم بلاباذ ، ويظهر أن هذا الاسم مركب من آباذ ومعناها موضع وبال (بلاباذ = موضع بال ، بردية سمرديس Bardiya Smerdis ، انظر عن هذا الموضوع G. Hoffmann : *Auszuege aus, Syr. Akt. Pers Maertyrer* ، ١٨٨٠م ، ص ٢١٩ ، تعليق ١٧٤٠ وفى *Zeitschr. f. Assyriol.* جـ ٢ ، ص ٥٧) .

وترجع شهرة بلاباذ إلى الأطلال الموجودة بها والتى اكتشف فيها رسّام H.Rassam عام ١٨٧٨م الأبواب البرونزية لقصر الملك سَلْمَنَصَّر الثانى الأشورى ، وقد حكم من عام ٨٥٩ إلى ٨٢٤ ق.م ،

وهى من أهم ما عثر عليه فى أشور لامن الوجهة الأثرية فحسب بل من الوجهة التاريخية أيضاً . وبتعبير أدق نقول إنها عبارة عن مصراعى باب واحد من قضبان برونزية مثبتة على خشب من الأرز ، ومغطاة برسوم على صفين تدل على مهارة فنية فى النقش ، وتتألف من مشاهد للحرب والسلم ، وتوجد ببعضها كتابات تبين بشكل أخاذ تاريخ الثلث الأول من عهد الملك الذى سبق أن ذكرناه وثقافة القرن التاسع قبل الميلاد بوجه عام . أما الكتابات التاريخية المنقوشة على صفائح المعدن الصغيرة التى تغطى أطراف مصراعى الباب فضعيفة الصلة بتلك المشاهد ، وترجع أهمية هذه الكتابات المسمارية الأخيرة إلى وصفها المفصل للحملة البابلية التى قام بها سلمنصر الثانى ؛ والإطار الخارجى للباب الذى عثر عليه رسّام ، مع استثناء قطع صغيرة من هذا الإطار ، محفوظ فى المتحف البريطانى منذ عام ١٨٧٩م . ويرد فى نقش لأشور ناصرپال الذى حكم من عام ٨٨٤ إلى ٨٥٩ ق.م خبر تأسيس معبد فى مدينة إمگور بيل ، ولما كان رسام يذهب إلى أن هذا النقش قد عُثر عليه فى تل بلاباذ فإننا نستدل بوجه عام على أن المدينة الأشورية إمگوربيل يجب أن يبحث عنها فى أطلال بلاباذ ، على أننا لانقطع بهذا على كل حال (انظر L.w. King : The Annals of The Kings of Assyria ، ج ١ ، ١٩٠٢م ، ص ١٦٩ ، تعليق ٢ ؛ A. Hermann فى l'Orient Litter. Zeit. ، ج ٩ ، ص ٥٩٤) .

المصادر :

(١) ياقوت : المعجم ، طبعة فستنفلد ، ج ١ ، ص ٧٠٧ (٢) C. Neibuhr : Reisebeschr. nach. Arab. u. und Umlieg Laendern ، ج ٢ ، ص ٣٦٨ (٣) F. Jones : Records of the Bombay Government ، رقم ٤٣ ، ص ٤٧١ ؛ ويمكن الرجوع فيما يختص بالحفريات والاكتشافات إلى : (٤) H. Rassam : Asshur and the Land of Nimrod ، نيويورك ١٨٩٧م ، ص ٢٠٠ وما بعدها (٥) K. Bezold : Ueberblick ueber die Babyl. Assyr. Litter ، ١٨٨٦ ، ص ٨٤ وما بعدها (٦) Hilprecht : Explorations in Bible Lands ، ١٩٠٣م ، ص ٢٩٦ وما بعدها (٧) دليل المتحف البريطانى عن العاديات البابلية والأشورية ، ١٩٠٨ ، ص ٣٥ وما بعدها (٨) Birch-Pinches : The Bronze Ornaments of Balawat ، ١٨٨٠ — ١٩٠٣ (٩) Billerbek et Delitzsch : Die Palastthore Salmanassars II zu. b ، Beitr. z. Assyriologie ، ج ٦ ، الكراسة الأولى ، ١٩٠٨ ؛ وهذا الكتاب يصف الأبواب تفصيلا .

[شترك M. Streck]

+ بلاوات (بلاباذ) : تقع هذه القرية الصغيرة على مسيرة نحو من ١٦ ميلا جنوبى شرق الموصل على طريق ديرمار بهنام — قره قوش . وقد ذكرها ياقوت تحت مادة « بلاباذ » ووصفها قائلا إنها « قرية فى شرقى الموصل من أعمال نينوى بينها وبين الموصل رحلة خفيفة ، تنزلها القفول ، وبها خان للسبيل ، وهى بين الموصل والزاب » وبلاوات قرية من قرى ناحية الحمدانية فى لواء الموصل بالعراق ، أغلب سكانها على عقيدة الشبك

(انظر أحمد حامد الصرّاف : الشبك ، ص ١٠).
والفضل الوحيد فى شهرتها يرجع إلى أكمة تاريخية على بعد خطوات منها ، وتعرف هذه الأكمة باسم « تل بلوات » ، وهى إحدى المواقع التاريخية الأشورية التى اكتشفت فى القرن التاسع عشر ، فقد اكتشف هرمز رسّام ، فى هذا المكان سنة ١٨٧٨ بوابات برونزية لعصر الملك الأشورى شالمنصّر الثالث (سنة ٨٥٩ — ٨٢٤ ق . م) . وقد حملت هذه الأبواب إلى المتحف البريطانى بلندن ، وتصور النقوش والمشاهد التى عليها الثلث الأول من عهد هذا الملك ، كما أنها تنير بعض الظروف التى كانت سائدة فى القرن التاسع قبل الميلاد ، ويتبين من بعض النصوص الأشورية أن الاسم القديم لتل بلاوات كان « إمكور إنليل » .

المصادر :

(١) ياقوت ، جـ ١ ، ص ٧٠٧ (٢) ابن عبد الحق : المراصد ، القاهرة سنة ١٩٥٤ ، جـ ١ ، ص ٢١٤ (٣) ام أبدال : اللؤلؤ النضيد ، الموصل سنة ١٩٥١ ، ص ٢١٣ (٤) Pinches ، *Trans. Soc. Bibl. Arch.* جـ ٧ ، سنة ١٨٨٢ ، ص ٨٣—١١٨ (٥) Birch & Pinches ، *The Bronze Ornaments of the Palace Gates of Balawat* (سنة ١٨٨٠ — ١٩٠٢) (٦) H. Rassam : *Ashur and the Land of Nimrod* ، نيويورك سنة ١٨٩٧ ، ص ٢٠٠ ومابعدها (٧) Billerbeck & Delitzsch: *Die Pallastore Salmanassar II* ، ليبسك سنة ١٩٠٨ (٨) King (L.W.): *Bronze Reliefs from the Gates of Shalmanasar King of Assyria* ، لندن سنة ١٩١٤ .

[خورشيد عوض G. Awad]

« بلاد » جمع بلد (انظر هذه المادة) : ومعناها ناحية أو إقليم ، وترد فى أسماء الأقطار فيقال بلاد العرب وبلاد الروم ، أى بلاد الرومان ، أو آسية الصغرى ، وبلاد الدروب ، أى بلاد ممرات طوروس ، وبلاد الجريد .

+ « بلاد ثلاثه » : أى البلدان الثلاثة ، وهو مصطلح يستعمل فى المفهوم الفقهى والإدارى العثمانى على « أيوب » وغلطة ، وأسكدار — أى المناطق الثلاث القائمة بذاتها الملحقة بإستانبول ، وكل منطقة لها قاضيها المستقل عن قاضى إستانبول وإن كان أقل منه رتبة ، وكان القضاة الثلاثة للبلدان الثلاثة ينضمون كل أربعاء إلى قاضى إستانبول فى ركاب الصدر الأعظم ، ويرجع الاستقلال القضائى للبلدان الثلاثة إلى الأيام الأولى للعثمانيين ، بل الراجح أنه يرجع إلى عهد الفتح . وكان للبلدان الثلاثة أيضاً بعض الاستقلال فى شؤون الشرطة ، فلم تكن تخضع فى أمور الشرطة لسلطة أغا الإنكشارية شأن إستانبول عينها ، وإنما كانت تخضع لضباط آخرين عسكريين .

المصادر :

(١) عثمان نورى (= عثمان إرگين) : مجلة أمور بلديه ، جـ ١ ، إستانبول ، سنة ١٣٣٠هـ ،

ص ٢٢٩ — ٣٠٠ ؛ وسنة ١٣٦٧ هـ (٢) Gibb & Bowen ، ج ١ / ١ ، ص ٦٦ التعليق ، ص ١١١ التعليق ، ص ٢٨٧ ، ٣٢٣ ؛ ج ١ / ٢ ، ص ٨٨

(٣) انظر أيضاً مادة « إستانبول » .

خورشيد [لويس B. Lewis]

« بلاد العرب » : انظر مادة « العرب ، جزيرة » .

« البَلاذُرى » أحمد بن يحيى بن جابر البلاذرى : من أعظم مؤرخى العرب فى القرن الثالث ، ولا نعرف عن سيرته إلا القليل إذ لم يحقق بعد تاريخ مولده ولا تاريخ وفاته .

وكان البلاذرى صفياً للخليفتين المتوكل والمستعين ، ودرّس لعبد الله الابن النجيب للخليفة المعتز ؛ ويقال إنه توفى عام ٢٧٩ هـ (٨٩٢ م) بعد أن اختلط عقله عقب شربه عصير البلاذر دون أن يعرف مفعوله ، ولهذا لقب بالبلاذرى ، ولعل هذه القصة ترى إلى تعليل هذا الأمر ، ولكن ليس لدينا من جهة أخرى ما يقطع بأنه لم يقصد بها جده .

واشتهر البلاذرى بالنقل عن الفارسية ، وقد يكون لهذا السبب من أصل فارسى ، غير أن جده كان من رجال الدواوين فى مصر ، ومهما يكن من شىء فإن مؤرخنا الشهير قد استعرب تماماً ؛ وطلب العلم فى دمشق وفى حمص ردحاً من الزمن ، ودرس أيضا بالعراق على شيوخ منهم ابن سعد .

وبقى من مصنفاته التاريخية العظيمة اثنان ، وقد اعترف له الجميع بصحة الرواية والبصر بالنقد ، وهذان المصنفان هما :

(١) « فتوح البلدان » وقد نشره ده غويه de Goeje بعنوان *Liber Expugnationis Regionum* ... *al-Bel'adsori* [redacted] ، ليدن ١٨٦٦ ، ونشر بالقاهرة عام ١٣١٨ هجرية .

وهذا المصنف القيم مختصر لكتاب آخر شامل يتناول الموضوع نفسه ، ويبدأ كتاب البلاذرى بغزوات النبى لليهود ومكة والطائف إلى جانب غزواته الأخرى ، ثم يعقب ذلك بالتحدث عن الردّة وفتح الشام والجزيرة وأرمينية ومصر والمغرب ثم يختمه بذكر فتح العراق وفارس . ويتخلل سرده للحوادث إشارات ذات قيمة من ناحية تاريخ الحضارة والنظم الاجتماعية مثل كلامه عن نقل الدواوين ومثل الخلاف الذى حدث مع الروم بشأن القراطيس ، ومسائل الخراج ، واستعمال الخاتم ، وأمر السكة وتداولها ، وتاريخ الخط العربى ، وهذا المصنف من أقيم المصادر فى تاريخ الفتوح العربية .

(٢) « أنساب الأشراف » (وأخبارها) وهو مصنف كبير شامل ولكنه لم يتم ، رتبه تبعاً للأنساب ، وهو يبدأ بسيرة النبى وسير الصحابة ثم يورد للعباسيين بعد العلويين ، وبنى عبد شمس بعد بنى هاشم ، ويذكر الأمويين من بين عبد شمس ، ولكنه لم يفرد لهم مكاناً يتناسب وأقدارهم ، ثم تحدث عن بقية قريش وبطون أخرى من مُضَر ، وشغل الجزء الأخير من كتابه بالحديث عن قيس وخص بالذكر منهم ثقيفاً . وآخر سيرة كبيرة أوردها هى

سيرة الحجّاج ، وعلى الرغم من أن ظاهره يوحى بأنه كتاب فى الأنساب ، فالحق إن الأنساب فيه طبقات نظمت من جهة النسب على وتيرة كتاب ابن سعد ، ولكن هذه الطريقة فى التبويب لم تتبع بدقة لأننا نجد أنه يضيف دائماً أهم الحوادث التى وقعت فى عهود الحكام إلى الفصول المناسبة لها ، وعلى هذا فإن الأنساب من أهم المراجع فى تاريخ الخوارج ، ويقوم كاتب هذه السطور بنشره بمعونة عدد من زملائه معتمدين فى ذلك على مخطوط كامل بالآستانة (عاشر أفندى ، رقم ٥٩٧ — ٥٩٨) ، والقطعة المحفوظة فى باريس مأخوذة عن مخطوط الآستانة (De Goeje: *Zeitschr. der Deutschen Morgenl Ges.* العدد ٣٨) ، وهناك نسخة متأخرة من هذا الكتاب فى عشرين جزءاً (حاجى خليفة ، جـ ١ ص ١٣٤٠) ولم يبق منها إلا الجزء الحادى عشر (W. Ahlwardt: *Anonyme Arabisch Chronik* ، ليبسك سنة ١٨٨٣ م) ، وقد عرف آلوارت بحق فى هذه القطعة المجهولة المؤلف جزءاً من كتاب الأنساب

وعلى الرغم من حسنات البلاذرى فقد بالغ البعض فى العصور الحديثة فى تقدير قيمته باعتباره مؤرخاً ، وليس صحيحاً أن نقول إنه أورد النصوص الأصلية التى عمقها الكتاب المتأخرون وبسطوها ، ولعل الأقرب إلى الحقيقة أن نقول إنه اختصرها بدليل التطابق بين جوهر كلامه وبين المراجع المتأخرة الأكثر منه تفصيلا ، وأسلوب البلاذرى يسوده الاختصار ، ولذلك فهو يتميز بالإيجاز ويعوزه الإشراق ، وقلما تقرأ له قصة على شىء من الطول. ويقسم الإخباريون القدماء المجيدون الذين يروى عنهم — مثل أبى مخنف — مصنفاتهم إلى أبواب لا أثر تناط بينها تستند إلى أسس علمية ، وإن كانت النصوص والروايات المختلفة تزحم سرد الوقائع إلى حد بعيد ، وعلى هذا فإن ترتيبه لمادته محدود من جهة أنه يتبع مناهج كتب الطبقات بما فيها من أبواب منفصلة فى كتابته عن تاريخ الفتوح ، ويحاول أن يضم مادة كتاب الطبقات كابن سعد ومادة الإخباريين المتقدمين كابن إسحاق وأبى مخنف متخذا لنفسه فى ذلك أسلوباً ثالثاً هو أسلوب كتب الأنساب ككتاب الكلبى .

انظر فيما يختص بالمصادر مقدمة النسخة التى سبق أن نوهنا بها وكتاب بروكلمان Brockelmann: *Gesch. d. arab. Lit.* جـ ١ ، ص ١٤١ ، وياقوت ، إرشاد الأريب ، طبعة مرگوليوث ، سلسلة جب Gibb التذكارية ، رقم ٨ ، جـ ٢ ، ص ١٢٧ وما بعدها .

[بيكر C.H. Becker]

« بلاساغون » : بلد بأواسط آسية لا نستطيع الآن تحديد موقعه بالضبط ، ويذكر المقدسى (طبعة دەغويه ، ص ٢٦٤ - ٢٧٥) بَلاسكون (كذا) أو وَلاسكون من بين بلاد « اسبيجاب » ، وهى تعرف الآن بـ « سَيْرَام » شرقى چمكنت ، ويقول ياقوت (جـ ١ ، ص ٧٠٨) أن بلاساغون « وراء نهر سيحون (سردريا) قريب من كاشغر » ، وهو يذكر من جهة أخرى (جـ ٣ ، ص ٨٣٣) أن مدينة فاراب (وهى فى موقع أطلال أوترار فى الوقت الحاضر) القريبة من ملتقى نهر الشاش بنهر سيحون أى شمالى غرب الشاش أو طشقند « أبعد من الشاش قريبة من بلا ساغون » ، وقد أخذ ياقوت هاتين الروايتين

عن كتاب الأنساب للسمعانى الذى استعمل عبارة « فوق الشاش » بدلا من « أبعد من الشاش ». ويذكر ابن الأثير (طبعة تورنبرغ ، جـ ١١ ، ص ٣٥٦) قوماً من الترك أسلموا فى صفر عام ٤٣٥ (٩ سبتمبر — ٨ أكتوبر سنة ١٠٤٣) . وكان مصيف هؤلاء الترك قريباً من بلاد البلغار ، ولا شك أن المقصود بلغار نهر إتيل (الفلجا) لا بلغار نهر الدانوب ، كما كان مشتاهم بالقرب من بلاساغون . ويجب أن نبحث عن موقع هذه المدينة فى الجزء الغربى من الإقليم الروسى المعروف اليوم باسم « سميريتشه » Semirjetschje ، ولعلها على نهر « چو » حيث لا نزال نرى اليوم كثيراً من الأطلال .

ويلوح أن ماذكره أبو الفداء (طبعة رينو Reinaud ص ٥٠٠) من خطوط الطول والعرض يؤيد هذا الرأى : فهو يقول إن بلاساغون على خط طول ٩١° ٣٥َ أو ٩١° ٥٠َ شرقا وخط عرض ٤٧° ٤٠َ شمالا ، وإن طراز ، وهى الآن أوليا آتا على نهر طراز ، على خط طول ٨٩° ٥٠َ ، شرقا وخط عرض ٤٤° ٣٥َ أو ٤٣° ٣٥َ شمالا . (أبو الفداء ، ص ٤٩٦) . ولا شك أن هذه المعلومات الفلكية بعيدة عن الدقة ، لأن مدينة أوليا آتا على مسافة كبيرة إلى الجنوب ، على خط عرض ٤٢° ٣َ ٥٣َ ٤٢ شمالا ، ولكن هذه المعلومات تدلنا على أن بلاساغون كانت إلى الشمال الشرقى من أوليا آتا . ويقال إن اسم بلاساغون قد أخذ من اللفظ المغولى « بلَسَغُن » ومعناه حصن أو مدينة ، غير أن هذا القول مشكوك فيه ، لأننا لم نجد هذه الكلمة حتى الآن فى أية لهجة من اللهجات التركية .

وقد جاء فى رواية بكتاب سياست نامه لنظام الملك (طبعة شيفر Schefer ، ص ١٨٩) أنه قد شرع حوالى عام ٣٣٠ أو ٣٣١ هـ (٩٤٢ — ٩٤٣م) فى جهاد الترك الكفار الذين غزوا بلاساغون ، ونتبين من هذا أن بلاساغون كانت معتبرة من البلاد الإسلامية حتى فى ذلك الوقت المتقدم على الرغم من أنها كانت خارج نطاق الممتلكات الإسلامية ودخل هؤلاء الغزاة فى الدين الإسلامى بعيد ذلك ، وعسكر الأمراء الإيلكخانية فى بلاساغون وفتحوا ماوراء النهر : وكان ستوق بغراخان عبد الكريم أول أمير مسلم فى هذه الأسرة ، وتوفى حوالى عام ٣٤٤ (٩٥٥ — ٩٥٦ م) : ويقول ابن الأثير (جـ ٨ ، ٣٩٦) إنه أسلم من الترك فى سنة ٣٤٩ (٩٦٠—٩٦١ م) نحو مائتى ألف خيمة ، ولعل هذا القول يشير إلى أتراك هذه الناحية وهم جيران السامانيين .

وليس لدينا من المعلومات عن بلاساغون فى عهد الإيلكخانية إلا النزر اليسير ، فيقال إنه قد عسكر فيها بغراخان هارون بن موسى أول من غزا بلاد ما وراء النهر ، وتوفى هذا الأمير عام ٣٨٢هـ (٩٩١ — ٩٩٣م) وما إن انقضت سنة ٤١٦هـ (١٠٢٥ — ١٠٢٦ م) حتى طرد أفراد الأسرة الذين كانوا يحكمون فى كاشغر طغان خان أمير بلاساغون وأخاه على تكين أمير ماوراء النهر (البيهقى ، طبعة مورلى Morley ، ص ٨ ، ٦٥٥) . ويظهر أن بلاساغون كانت بعد ذلك فى حوزة هؤلاء الأمراء شأنها شأن كاشغر . وقد ولد ببلاساغون الشاعر يوسف خاص حاجب

صاحب منظومة «قوداتقوبيليك» وهى أقدم منظومة فى اللغة التركية (٤٦٢هـ=١٠٦٩ — ١٠٧٠م)؛ ولاشك أن الأمير بغراخان الكاشغرى الذى أهديت إليه هذه المنظومة هو بغراخان هارون الذى ذكره ابن الأثير (جـ ٩، ص ٢١٣)، وكان يحكم كاشغر وختن وبلاساغون بالاشتراك مع أخيه صغرل خان، ثم انفرد بحكمها تسعة وعشرين عاماً أى حتى عام ٤٩٦هـ (١١٠٢— ١١٠٣م).

وحوالى عام ١١٣٠م غزت بلاساغون قبيلة وثنية تعرف بقرا خطاى: وقد خُلع أمير هذه المدينة الذى استعان بگورخان زعيم القراخطاى على أعدائه القنغلى قُرْلُغ؛ ولُقِّب بأيلك تركمان؛ وظل مقر حكم القراخطاى فى الإقليم الذى على نهر چو بينما استمر الأمراء من أهل البلاد يحكمون من قبل گورخان فيما وراء النهر وكاشغر وفى نواحى سمريتشه التى إلى الشمال من أيلى.

وهزم محمد شاه خوارزم جيش گورخان فى ربيع الأول عام ٦٠٧هـ (أغسطس — سبتمبر ١٢١٠م) عند طراز. وكان أهل بلاساغون ينتظرون بفارغ الصبر وصول الغزاة، ورفضوا من أجل ذلك أن يسمحوا لجيش المدحور بدخول المدينة؛ واستولى القراخطاى على هذه المدينة بعد حصار دام ستة عشر يوماً وأعملوا فيها السلب والنهب ثلاثة أيام ذبح خلالها ٤٧٠٠٠ ألف من أهلها؛ وفى العام التالى أسر كوچلوك أمير النيمن الذى كان قد فر من بلاد المغول. واستولى كوچلوك هذا على كاشغر وعلى البلاد التى إلى الشمال من تيان شان حتى نهر سيحون.

وفى عام ١٢١٨م استولى «جبه نويان» قائد جنكيزخان على بلاساغون دون مقاومة، وسماها المغول «غوبالق» أى المدينة الطيبة (شهرخوب) فى رواية ميرخواند (*Vie de Djenghiz Khan*، طبعة جوبير Jaubert، ص ٩١). ومن الواضح أن الكلمة المغولية «چو» معناها طيب، كما أن كلمة بالق معناها مدينة. ولاشك أن سكان المدينة قد احتفظوا باسمها القديم.

وقلما تذكر بلاساغون أثناء حكم المغول لها، وكان من أهلها الذين يحفظون القرآن أبوجمال الدين القرشى الذى ولد فى ألماليغ بالقرب من غولجه حوالى عام ٦٢٨هـ (١٣٢٠ — ١٣٢١م) وهو الذى ترجم معجم الصحاح؛ وقد أخطأ بروكلمان فى ذكر تاريخ ولادته (كتابه المعروف، جـ ١، ص ١٢٨)؛ ويقول محمد حيدر فى كتابه تأريخ رشيدى (ترجمة E.D. Ross، ص ٣٦٤) إن جمال الدين قد ذكر كثيراً من علماء بلاساغون فى ذيل كتابه «ملحقات الصراح» على أن مخطوطى كتاب الملحقات اللذين نعرفهما الآن لا يوجد فيهما شيء من هذا. وكان قبر إمام يدعى محمد فقيه البلاساغونى قائماً فى أيام محمد حيدر على نهر چو؛ وقد توفى هذا الإمام فى عام ٧١١هـ (١٣١١ — ١٣١٢م)؛ وهذا يدلنا على أن هذه المدينة ظلت تعرف باسمها القديم حتى العقد الأول من القرن

الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى). ولم يرد ذكر بلاساغون فى الكلام عن غزوات تيمور؛ وقد تخربت بلاساغون — شأن جميع البلدان التى على نهر چو هى وإيلى وطراز — إبان الحروب المستمرة والنزاع الذى استعر حول العرش فى القرن الرابع عشر. بل إن محمد حيدر الذى عاش فى منتصف القرن العاشر الهجرى لم يعرف بلاساغون وغوبالق إلا عن طريق الكتب، وعلى هذا فإنا لانعلم الآن عن موقع بلاساغون إلا القليل، وكذلك كان شأن الناس فى ذلك الوقت.

المصادر:

يمكن الرجوع إلى المصدر الآتى فيما يختص بموضوع هذه المدينة W. Barthold : Otchet o pojezdke v Srednjuju Aziju، بطرسبرغ سنة ١٨٩٧ Mémoires de l'Acad. des Sciences de St. Petersbourg) المجموعة الثامنة، القسم التاريخى اللغوى، ج ١، رقم ٤) ص ٥٥ — ٥٦؛ وفى هذا المصدر فقرة من كتاب الأنساب للسمعانى. أما المعلومات التاريخية فتوجد فى المصادر التالية (١) W. Barthold فى Pamjatnaja knizka Semirjetchens kago Obl. Statist. Komiteta ج ٢، ص ٩٣ — ٩٤ (٢) توجد ترجمة كتاب تاريخ جهان كشاى للجوينى عن القراخطاى فى d'Ohsson : Histoire des Mongols، ج ١، ص ٤٤١ — ٤٤٢. ويمكن الرجوع فيما يختص بالتعليق الذى كتبه محمد حيدر عن كتاب جمال الدين فى البحث الذى كتبه Baron V. Rosen فى Zapiski vost otd. arch obsche ج ٨، ص ٣٥٣، ويمكن الرجوع فيما يختص بمخطوطى كتاب ملحقات الصراح إلى W. Barthold فى كتابه المذكور سابقاً، ج ١١، ص ٢٨٣ — ٢٨٤، ج ١٥، ص ٢٧١ — ٢٧٢. وتوجد مقتطفات من هذا المصنف فى W. Barthold: Turkestan v epokhu mongolskago nashestvija، ج ١، ص ١٢٨ — ١٢٩.

[بارتولد W. Barthold]

«بَلَاط»: كلمة عربية مستعارة من اليونانية أو اللاتينية، ويظهر أنها مأخوذة من Platea أو Palatium. وبلاطة اسم وحدة يدل على الأرض المستوية الملساء أو الطريق المرصوف أو حجر الرصف.

وكلمة بلاطة الواردة فى اسم «بلاطة الجنة» التى على قبة الصخرة ببيت المقدس لها نفس هذا المعنى (انظر Baedeker، ص ٥٢ وما بعدها). ويذكر ياقوت مكاناً مبلطاً بالحجارة اسمه البلاط بين مسجد رسول الله وسوق المدينة (ياقوت ج ١ ص ٧٠٩) ويقال لساحة وقعة تور وبواتييه Tours & Poitiers بلاط الشهداء نسبة إلى الطريق الرومانى الذى حدثت فيه الواقعة.

وكثيراً ما تسمى الأماكن بهذا الاسم (١) وخاصة فى آسية الصغرى والأندلس: ولقد أورد الإدريسى مدينة وإقليماً اسمهما البلاط فى استرامادورا الأسبانية Estremadura وذلك الاسم لايزال يطلق على قرية فى الجنوب الشرقى من قاصرش (٢) Caceres: وكان الإقليم البرتغالى الذى يضم لشبونة وشنترين (٣) Santarem وشنترة (٤) Cintra يسمى البلاطة فى عهد الإدريسى.

وتعرف بعض الأماكن فى الشام بهذا الاسم

مثل بيت البلاط فى غوطة دمشق (ياقوت : المعجم) والبَلاَطة ، ويرسمها ياقوت البُلاطة بضم الباء » وهى قرية من أعمال نابلس بالقرب من بئر يوسف الصديق وعين الخضر . وقد ذكر الحجاج المسيحيون الأولى أنه كان هناك مرج من أشجار الساج Platanes ، وهذا حملنا على الظن بأن الاسم العربى مأخوذ من الكلمة اللاتينية Platanus . وكان بالآستانة موضع اسمه البلاط كان محبس الأسراء أيام سيف الدولة ابن حمدان ، وهو اليوم إسم ضاحية على القرن الذهبى بين فنار وإيوان سراى ، ومعظم سكانها من اليهود ، وقد اشتهرت هذه الضاحية بقذارتها ومناخها غير الصحى .

[گيس F. Giese]

تعلق على مادة « بلاط »

(١) صدق كاتب المادة حين قال إن البلاط (آوما فى قرابته من الألفاظ) اسم لعدة أماكن فى الأندلس وغيرها . ففى أسبانيا إقليم البلاط ومدينة البلاط واسمهما عند الأسبان Campana de Albalat و Albalat ، وهذه واقعة بين مدينتى قلعةرباح Calatrava وطلبيرة Talavera . وقد ذكر الإدريسى عنها أنها فى عهده كانت أطلالا دارسة على ضفة نهر تاجُه (بضم الجيم وسكون الهاء) Tajo .

أما إقليم بلاطه (بهاء أخيرة) فهى غير البلاط كما تقدم » وكان العرب يسمونها « فحص بلاطة » كما كان الأسبان — وما زالوا — يسمونها Plata ، وموقعها بين لشبونة وشنترين . وقد أعطت اسمها لكثير من الأماكن فى أمريكا الجنوبية منها مدينة بلاطة La Plata فى كل من جمهوريتى الأرجنتين وبوليفيا ، ونهر بلاطة Ris de la Plata الذى يصب فى بحر الظلمات (الأطلنطى) .

وفى الأندلس أيضاً غير بلاط وبلاطة أو البلاط والبلاطة إقليم اسمه « البلاطة » بلام قبل الطاء ، وكان العرب يسمونه « فحص البلوط » أى السهل المنبسط المغروس بشجر البلوط ، ومن أمهات مدنه مدينة بِطْرَوْش (بكسر فسكون ففتح فسكون) Pedroche التى كانت تعرف كذلك باسم « مدينة فحص البلوط » وهى غير مدينة « بُطْرُوش » بضم الباء وسكون الطاء وضم الراء ، فلا تخلط بين المدينتين ، فإنه فضلا عن اختلاف ضبط الحروف فيما تقع الأولى فى غرب الأندلس باتجاه إلى جنوب البرتغال وتقع الثانية إلى شرقه .

ولا يفوتنا أن نشير هنا إلى خطأ الإدريسى حين عرّف شجر البلوط وهو بسبيل كلامه على إقليم البلالطة بقوله : « أنه فاق طعم كل بلوط على وجه الأرض » فإن البلوط وهو الشجر المسمى بالفرنسية Chêne لاثمر له حتى يكون له طعم » ولعل سبب الخطأ أنه خلط بين البلوط الذى لاثمر له والشاهبلوط الذى له ثمر لذيذ يعرف فى مصر باسم الكستنة أو أبى فروة .

(٢) قاصرش هى قاعدة الإقليم المعروف الآن بهذا الاسم فى غرب أسبانيا بين إقليمى شلمنقة Salamanque وبطليوس Badajoz شمالا وجنوباً وبين إقليم طليطلة Tolède شرقاً والبرتغال غرباً . وفى ذلك الإقليم مدينة القصر إلى الشمال الغربى من مدينة

قاصرش وهي غير مدينة القصر Alcacer الواقعة جنوبي نهر شطوبر Setubal في الجنوب الشرقي من لشبونة عاصمة البرتغال وتسمى بقصر أبي دانس Alcacer de Sal .

(٣) شنترين ذكرها الشريف الإدريسي في نزهته إذ قال: «شنترين من إقليم بلاطه، ومن لشبونة إليها مع النهر شرقاً ٨٠ ميلا وهي على جبل كثير العلو » ومنها إلى مدينة بطليوس Badajoz أربع مراحل .

(٤) أما شنترة فقرية قال الإدريسي عنها إنها « إحدى مدن إقليم بلاطة الذي فيه شنترين ولشبونة » والمسافة بينها ولشبونة أربعة كيلومترات .

محمد مسعود

+ **بلاط** : كلمة عربية لها عدة معان أتت من اشتقاقها الثنائي اللاتيني أو اليوناني بحسب الأحوال . فهي إذا كانت مشتقة من بالاتيوم Palatium فإن معناها هو « القصر » (ويذكر المسعودي : التنبيه والإشراف ص ١٦٧ » وابن العديم : الزبدة . طبعة الدهان » حـ ١ ، ص ١٤٢ ، ١٤٥ ؛ والمقدسي . ص ١٤٧ ؛ وابن حوقل، الطبعة الثانية، ص ١٩٥ : « دار البلاط » في القسطنطينية ؛ انظر *Extraits des sources arabes* : M. Canard اعتماداً على *Byzance et les Arabes*:A.A. Vasiliev مجلد ٢/٢ ، بروكسل سنة ١٩٥٠ ، ص ٤١٢ ، ٤٢٣ ، وتعليق ٢) . أما إذا اشتقت من الكلمة اليونانية « بلاتيا » فإنه يكون لها معنيان جوهريان يتفقان مع معنى المصطلح اليوناني ، فهي تدل على «الطريق المرصوف» مثل الطريق الروماني القديم (انظر ابن العديم: الزبدة » حـ ١ ، ص ١٦٤)، وعلى « التبليط » » وهي تدل في صيغة اسم الوحدة على « بلاطة » من أي نوع أومادة تستخدم في تبليط الأرض أو في حمل أي نقش أثري أو تذكاري (انظر على سبيل المثال : مجير الدين العُلَيْمى : الإنس الجليل ، طبعة القاهرة سنة ١٢٥٣هـ ، ص ٣٧٢) ، ومن ثم جاء معنى « اللوحة » أو « الصُفَّة » أو « الرواق ذي العمد» وأخص من ذلك معنى صحن المسجد (انظر على سبيل المثال ابن جبير : الرحلة ، طبعة دى غويه » ص ١٩٠) .

وترد كلمة بلاط في أسماء أماكن شتى في الريف والحضر في المغرب وفي المشرق الإسلامي، وهي كثيرة بصفة خاصة في سورية وفلسطين » وأهم ما ترد فيه: بلدة البلاط في شمالي سورية وهي مجاورة للطريق الروماني (*Histoire des Hamdanides* : M. Canard حـ ١ ، الجزائر سنة ١٩٥١ ، ص ٢١٨) ؛ وحي البلاط في حلب ويذكرنا هذا الاسم بالطريق القديم الأثري (J. Sauvaget) .

وقرية بيت البلاط السابقة في دمشق ؛ وقرية البَلاطة أو البُلاطة في فلسطين (ويمكن أن يكون اسمها مشتقاً أيضاً من الكلمة اللاتينية Platanus) ؛ وباب البلاط في بيت المقدس (انظر J. Saurvaget : *Les Perles choisies* ، بيروت سنة ١٩٣٣ ، ص ٩٩ ، تعليق ١) ؛ وحي البلاط في إستانبول (انظر هذه المادة) ؛ وقرية البلاط المجاورة لملَت القديمة في آسية الصغرى وهي عين بلدة ملطية السلجوقية (انظر Pauly-Wissowa مادة Miletus)

المصادر :

(١) Quatremère : Histoire des Sultans mameluks، مجلد ٢ / ١ ، باريس سنة ١٨٤٥ ، ص ٢٧٧ ، تعليق ٢ ، ويكمله J. Sauvaget : Alep باريس سنة ١٩٤١ ، تعليق ١١٢ و La mosquée omeyyade de Médine باريس سنة ١٩٤٧ ، ص ٢٦٩ تعليق ٢ (٢) وانظر عن أسماء الأماكن : ياقوت ، جـ ١ ، ص ٧٠٩ .

[خورشيد [سوردل D. Sourdel]

+ « بلاط » : فى أسبانيا ، نجد أن أهم المعانى المختلفة لكلمة بلاط هى فيما يظهر « الرصف » ، ومن ثم فإنها استعملت لتدل على الطرق الرومانية فى شبه الجزيرة، وشاهد ذلك المفردات المنسوبة إلى رايموندو مارتن Raimundo Martin. ولاشك أن بلدة البلاط الخربة الآن والقائمة على حافة رومانكوردو Romangordo فى جوار مخاضة عبر نهر تاجه قرب قنطرة ألمراز Almaraz ، قد نسبت إلى أحد هذه الطرق ؛ وساحة معركة تور « بواتييه Tours & Poitiers المعروفة ببلاط الشهداء (انظر هذه المادة) نسبة إلى الطريق الرومانى تؤيد فيما يظهر هذا المعنى ؛ ولكن من المشكوك فيه إلى أقصى حد أن يكون هذا المعنى المميز ينطبق على ذلك الإقليم بأسره ، الذى يشمل –إذا أخذنا بقول الإدريسى– جزءاً كبيراً من استرامادوره الأسبانية الحالية بما فيها ألانج Alange ومدلين Medellin وترجيلة Trujillo ، وقاصرش Cacéres بالإضافة إلى البلاط الآنفة الذكر . على أننا نستطيع أن نفسر أسماء الأماكن الأسبانية العديدة : البلاط Albalat والبلاطه Abalate وما يشتق منهما وصيغتى التصغير البدليخو Albadalejo والبلاطيلو Albalatillo تفسيراً أقرب للاحتمال على ضوء « البلد » أو « البلاد » . وعلى هذا فإن البلاط ده لاريبيرا Albalat de la Ribera والبلاط دل سورل Albalat des Sorells قرب بلنسية، والبلاط دل تارونجير Al Balat des Tarongers قرب إقليم شقندة، ليس لها فيما يظهر صلة بالطرق الرومانية وإنما الظاهر أنها دساكر أوقرى . ويجب أن نفسر أسماء البلاطات العديدة التى تقوم فى أقاليم ترول Teruel ووشقة ووادى الحجارة ، وسيوداد ريال ، وطليطلة والغرب من إشبيلية ، على هذا الضوء . ولا وجود لاشتقاق الكلمة من پلاتيا Platea أو پالاتيوم Palatium فى الأندلس وهو ما نجده يصدق على أسماء الأماكن فى بيت المقدس وسورية والمدينة .

وبالإضافة إلى إقليم البلاط فى الأندلس أيام المسلمين يوجد إقليم آخر فى منطقة البرتغال هو « البلاطة » ويقوم فى فحص بلاطة ، وهو سهل عظيم بين لشبونة (الأشبونة) وشنترين . وهذا الإقليم كان يشمل ، علاوة على هذين البلدين ، بلدة شنترة وأرضها تطابق اليوم رباطيخو Ribatejo ؛ والاسم الذى أطلقه عليها الإدريسى ينطبق على ڤلاده Vallada وهى بلدة صغيرة فى ناحية أزامبوخا Azambuja وتذكر أيضاً el-Campo de Vallada وهى ترجمة لفحص بلاطة ، ولو أن نطاقها كان أقل مما نسبه

إليها الإدريسي ، والظاهر أن القول باشتقاقها من Platea ، أو vallata لاسنده ولا يمكن قبوله .

المصادر :

(١) الإدريسي : النص العربي ، ص ١٧٥ — ١٧٨ ، الترجمة ، ص ٢١١ ، ٢٢٥ — ٢٢٦ (٢) ياقوت ، جـ١ ، ص ٧٠٩ (٣) E. Saavedra : La Geografia de Espania de Edrisi ، ص١ ، — ٥٢ (٤) David Lopes : Estudio dos nomes geographicos do territorio muchulmano que depois foi portugués ، ص ٤٧ .

[A. Huici Miranda] ميراندا] خورشيد

+ « بلاط » : هي الآن قرية صغيرة في موقع ميلتوس (ملطية) القديمة في كاريا ، والكلمة مشتقة من الكلمة اليونانية « پالاتيا » ، وهو الاسم الذي كان مستعملا لهذا المكان منذ السنوات الأولى للقرن الثالث عشر الميلادي على الأقل . وخضعت بلاط لسيطرة بكوات منتشه (انظر هذه المادة) حوالي ختام هذا القرن ، وكان لموقعها الممتاز قرب مصب نهر مياندروس (بويوك مندريس) منفعة لهم ، إذ اتخذوه منطلقا لغاراتهم في بحر إيجه ، كما اتخذ من بعد مركزاً تجارياً له بعض الأهمية . وكان للبنادقة قبيل عام ١٣٥٥م كنيسة وقنصلية هناك وقد ازدهرت بلاط في تلك الأيام بفضل اتجارها في الزعفران والسمسم والشمع والشبه الواردة من كوتاهية ، واتجارها في العبيد الواردين من جزر الأرخبيل إلخ . . . وأقر السلطان العثماني بايزيد الأول امتيازات البنادقة في بلاط حين استولى على سواحل منتشه سنة ٧٩١ — ٧٩٢هـ (١٣٨٩ — ١٣٩٠م) . ولما هزم العثمانيون تيمور بك في أنقرة سنة ٨٠٤هـ (١٤٠٢م) أقام تيمور على عرشها إلياس وهو فرد من أفراد البيت المالك المحلي . واضطر هذا الأمير مع ذلك إلى أن يصبح قيلا تابعاً للسلطان محمد الأول سنة ٨١٨هـ (١٤١٥م) . وما وافى عام ٨٢٩هـ (١٤٢٥—١٤٢٦م) حتى دخلت منتشة مرة أخرى في الدولة العثمانية وكان دخولها هذه المرة نهائياً . وبدأت بلاط أثناء القرن الخامس عشر تغرق في هوة اضمحلال طويل بطيء ، وكان هذا يرجع إلى حد ليس بالقليل إلى جوها الموبوء بالحمى وانسداد مصب النهر بالغرين . ومع ذلك فقد كانت تقترن ببلاط تجارة ناشطة وإن كانت بلاشك آخذة في الانكماش . وذلك عندما مر أولياچلبي بهذا الإقليم سنة ١٦٧١ — ١٦٧٢ . وتتبع بلاط الآن قضاء سوقة في ولاية آيدين . وهي تقوم اليوم على مسيرة ٨ كيلومترات من البحر تقريباً ، وبلغ عدد سكانها سنة ١٩٤٥ حوالي ٧٠٠ نسمة .

المصادر :

(١) Pauly-Wissowa ، جـ ١٥ ، شتوتگارت سنة ١٩٣٢ عمود ١٦١٩ — ١٦٢١ ، مادة Miletos (٢) Heyd : Histoire du [redacted] du Levant ، ليپسك سنة ١٩٢٣ ، جـ ١ ، ص٥٤٤ وما بعدها ؛ جـ ٢ ، ص ٣٥٣ وما بعدها (٣) P. Wittek ؛ Das Fuerstentum Mentesche في Istambular Mitteil-

ungen ، = ٢ ، إستانبول سنة ١٩٣٤ ، ص١٨٥ (الفهرس) (٤) K.Wulzinger, P.Wittek, F.Sarre : (Staatliche Museen zu Berlin) *Das Islamische Milet* برلين وليپسك سنة ١٩٣٥ (وانظر أيضاً F.Taeschner فى *OLZ* ، مجلد ٣٩ ، برلين سنة ١٩٣٦ ، رقم ١٠ ، العمد ٦٢١ — ٦٢٣) (٥) على جواد : جغرافيا لغاتى ، لوحة ١، إستانبول سنة ١٣١٣ ، ص ١٩١ (٦) أوليا چلبى : سياحتنامه ، حـ ٩ ، إستانبول سنة ١٩٣٥ ، ص ١٤٦ وما بعدها (٧) إسلام أنسيكلوپيدياسى ، مادة بلاط بقلم بسيم دارقوت.

خورشيد [بارى V.J. Parry]

+ « بلاط الشهداء » : اصطلاح استعمله المؤرخون العرب للدلالة على معركة پواتييه التى حارب فيها شارل مارتل على رأس الجيوش الفرنجية المسيحية والى الأندلس المسلم عبد الرحمن بن عبد الله الغافقى فى رمضان سنة ١١٤هـ (أكتوبر سنة ٧٣٢).

ولم يذكر كتاب العرب فى القرون الوسطى اسم پواتييه ولا اسم تور . أما المصطلح « بلاط الشهداء » فإن قيامه لم يسجل إلا منذ القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) والذى سجله هم المؤرخون الأندلسيون دون سواهم : ابن حيّان المتوفى عام ٤٦٩هـ (١٠٧٥م) وقد نقل عنه المقّرى فى كتابه « نفح الطيب» ليدن ، = ٢ ، ص ٩ ، س ١٥ — ١٦ ، طبعة القاهرة سنة ١٩٤٩ ، حـ ٤ ، ص ١٥ ، س ١— ٤ (وقد سماه هذا الكاتب نفسه أيضاً « وقعة البلاط» ، طبعة ليدن، حـ ٢ ، ص ٩، س ١ — ٤ ؛ طبعة القاهرة سنة ١٩٤٩ حـ ١ ، ص ١٤، س ١—٩) ؛ وكتاب « أخبار مجموعة » المجهول المؤلف الذى يرجع إلى القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) طبعة Lafuente y Alcantara ، مدريد سنة ١٨٦٨ ، النص ، ص ٢٥ ؛ الترجمة الأسپانية ، ص ٣٦ ، ورقم ٢) ثم من بعد ذلك ابن بشكوال المتوفى سنة ٥٧٨هـ (١١٨٣م ؛ وقد نقل عنه المقّرى فى كتابه المذكور ، طبعة ليدن ، حـ ٢ ، ص ٩، س ١٦ — ١٧ ؛ طبعة القاهرة ، حـ ٤ ، ص ١٥ ، س ٥ ، ولكنه وسمه « غزوة البلاط ») ؛ وابن عذارى (المتوفى فى نهاية القرن السادس الهجرى الموافق الثانى عشر الميلادى) فى كتابه « البيان المُغْرب (طبعة دوزى Dozy ، حـ ١ ، ص ٣٧ ، طبعة كولان وليڤى پروڤنسال Colin & Lévi-Provençal ، جـ ١ ، ص ٥١ ، وترجمة فانيان Fagnan ، جـ ١ ، ص ٤٩) ولكن هذا المؤرخ يجعل تاريخ هذه الوقعة سنة ١١٥هـ بدلا من سنة ١١٤ ؛ وابن خلدون (المتوفى سنة ٨٠٨هـ = ١٤٠٦م) فى كتابه « العبر» (طبعة بولاق ، حـ ٤ ، ص ١١٩ ، س ٦ ، مع بياضات تكملها المخطوطات المحفوظة فى المكتبة الأهلية بباريس ، ومن الشاهد الكامل الذى أورده المقرى فى كتابه المذكور ، طبعة ليدن ، حـ ١ ، ص ١٤٦ ، س ٣ ؛ طبعة القاهرة سنة ١٩٤٩ ، حـ ١ ، ص ٢٢٠ ، س ١٥) والمقّرى المتوفى سنة ١٠٤١هـ (١٦٣٢م : ماذكرناه آنفاً

عن ابن بشكوال وابن خلدون : والفقرة الأولى ترجمها La Fuente y Alcantara (فهارس أخبار مجموعة *Apendices to Ajbar Machmûa* ، ص١٩٨) والثانية ترجمها Pascal de Gayangos (*The History of the Muhammedan Dynasties in Spain* ، مجلد٢ ، لندن سنة ١٨٤٣ ، ص ٣٧ ، وتعليق ٢٧) .

وثمة إشارة بسيطة وردت عند مؤرخي العرب في القرون الوسطى تشير إلى استشهاد المسلمين وقائدهم عبد الرحمن . وهم : ابن عبد الحكم المتوفى سنة ٢٥٧هـ (٨٧١م) في كتابه «فتوح إفريقية والأندلس (طبعة Gateau الثانية » الجزائر سنة ١٩٤٨) ، المتن ، ص ١٢٠ ، س ١١ ؛ الترجمة الفرنسية : ص ١٢١ ، س ٢٢) ؛ والضبّي المتوفى سنة ٥٩٩هـ (١٢٠٢م) في كتابه «بغية الوعاة» (طبعة قديره وريبيرا Codera & Ribera ، مدريد سنة ١٨٨٥ ، رقم ١٠٢١ ، ص ٣٥٣ ، س ٢ ؛ جـ ٥ ، ص ١٣٠ ، ٣٧٤ ؛ الترجمة بقلم Fagnan : *Annales* ، الجزائر سنة ١٩٠١ ، ص٦٠ ، ص ٩٤ ، س ١ — ٢) .

وقد كانت المهمة التي تواجه المؤرخين المحدثين ، العرب عامة والأوربيين خاصة ، تدور حول تفسير المصطلح «بلاط [الشهداء]» والتحديد الدقيق لموقع المعركة ؛ و«بلاط» (انظر هذه المادة) كلمة يونانية لاتينية يظهر أنها تدل على معنى پلاتيا Platea أي الطريق الواسع المرصوف أو الساحة العامة المرصوفة ، ومعنى پالاتيوم Palatium أي «القصر» ؛ أما فيما يتعلق بمعركة پواتييه فقد قيل إنها تدل على «الأرض المرصوفة» أو «الطريق العام» (Pavé de Martyrs) عند Reinaud : *Invasions des Sarrazins en France, et de France, en Savoie, en Piedmont et dans la Suisse, pendant les 8e, 9e et 10e siècles de notre ère* ، باريس سنة ١٨٣٦ ؛ وعند Pascal de Gayangos : كتابه المذكور ، جـ٢ ، ص ٣٣ ، ٣٧ : "pavement of the Martyrs" ؛ وكذلك عند Cl. Huart : *Histoire des Arabes* ، سنة ١٩١٣ ، جـ ٢ ، ص١٣٨ ، وعند H. Fournel : *Les Berbères ...* ، سنة ١٨٧٥ ، ص ٢٨٠ ، تعليق ٣ ، وعند M. Mercier & A. Seguin : *Charles Martel et la Bataille de Poitiers* ، سنة ١٩٤٤ ، ص ١٧ ، ١٩ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٣٩ ، وتسيبولد Seybold في مادة عبد الرحمن الغافقي في هذه الدائرة ؛ ووردت [Chaussée de Martyrs] عند دوزى Dozy : *Histoire des Musulmans d'Espagne* ، سنة ١٨٦١ ، جـ ١ ، ص ٢٥٢ وفي الطبعة الثانية التي قام بها ليفي بروفنسال : سنة ١٩٣٢ ، جـ ١ ، ص ١٥٨ ؛ وتعليق ١ ؛ وعند Lafuente y Alcantara : كتابه المذكور ، ص٣٦ ؛ ووردت Calzada أيضاً عند Fr. Codera : *Narbona, Gerona y Barcelona ...* ، سنة ١٩٠٩ — ١٩٢٠ ، ص ٩١ ؛ وكذلك عند Ballesteros y Beretta : *Historia de España ...* ، جـ ٢ ، سنة ١٩٢٠ ، ص ٩ — ١٠ ؛ ووردت عند G. Marçais (et Ch. Diehl) : *Le Monde orientale de 395 à 1081* ، سنة ١٩٣٦ ، ص ٣٤٠ ، وتعليق ١ ، وعند E. Lévi-Provençal : *Hist. Esp. Musul.* ، سنة ١٩٥٠ ، ص٦٢ بمعنى «الطريق العام [أو الطريق الروماني] لشهداء العقيدة» .

ودراسة النصوص والفحص عن أرض الإقليم الواقع بين بواتييه وتور ، قد أديا بالباحثين إلى النتائج المشتركة بينهم إلى حد كبير ، وقد لخصها تلخيصاً بارعاً الأستاذ ليڤي بروڤنسال فى الكلمات الآتية : وقعت المعركة ، بالقرب من طريق رومانى يربط شاتلرو Chatellerault ببواتييه ، على مسيرة نحو عشرين كيلومتراً شمالى شرق بواتييه ، والراجح أن وقوعها كان فى مكان لايزال يسمى اليوم : « موسيه لاباتاى Moussais-la-bataille » . . . وذلك فى أكتوبر سنة ٧٣٢ وفى سنة ١١٤هـ . . . وإذا شئنا مزيداً من الدقة بين اليوم الخامس والعشرين واليوم الواحد والثلاثين من أكتوبر سنة ٧٣٢ » (Hist. Esp. Mus. حـ ١ ، ص ٦١ — ٦٢) ؛

المصادر :

(١) علاوة على الكتب والدراسات التى ذكرت فى صلب المادة يجب الرجوع إلى المصادر التى ذكرها ليڤي بروڤنسال فى نشره للطبعة الثانية من كتابه Dozy : Histoire des Musulmans d'Espagne ، ليدن سنة ١٩٣٢ ، حـ ١ ، ص ١٥٨ ، تعليق ١ ، وفى كتابه هو : Hist. Esp. Mus. ، باريس—ليدن ، سنة ١٩٥٠ ، جـ ١ ، ص ٥٩ — ٦٢ ، ويجب أن يضاف إلى ذلك (٢) H. Zotenberg : Note sur les invasions arabes dans le Languedoc d'après les sources chrétiennes et les historiens Musulmans فى Dom Cl. Devic & Don J. Vaissette : Histoire générale du Languedoc ، تولوز سنة ١٨٧٥ ، حـ ٢ ، ص ٥٤٩ — ٥٥٨ (المصادر المسيحية : ص ٥٤٩ — ٥٥٤ ؛ المصادر العربية ، ص ٥٥٥ — ٥٥٨) (٣) ويجب الرجوع أيضاً إلى المصادر التى ذكرها M. Mercier & Seguin فى آخر كتاب Charles Martel et la Bataille de Poitiers ، باريس سنة ١٩٤٤ ، ص ٩٣ — ٩٩ ، وهى تشتمل على ١٣٥ مصدراً ؛ (٤) وانظر أيضاً المؤلفين العرب المحدثين الآتين الذين يكادون يعتمدون فى دراساتهم على كتاب رينو فحسب : Reinaud : Invasions des Sarrasin ... ، باريس سنة ١٨٣٦ ؛ الترجمة الإنكليزية بقلم H.R. Sherwani فى مجلة Islamic Culture ، حـ ٤ ، سنة ١٩٣٠ و حـ ٥ سنة ١٩٣١] وهو كتاب مضى عليه قرن ونيف ، وهؤلاء هم : شكيب أرسلان : تاريخ غزوات العرب فى فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط ، القاهرة سنة ١٣٥٢هـ = ١٩٣٣م ، ص ٤٦ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٩٢ — ١٠٣ : « واقعة بلاط الشهداء » ؛ محمد عبد الله عنان : تاريخ العرب فى إسبانيا ... ، القاهرة سنة ١٩٢٤ ، ص ٥٥ — ٥٩ ؛ الكاتب نفسه : مواقف حاسمة فى تاريخ الإسلام ، القاهرة سنة ١٩٤٧هـ = ١٩٢٩م ص ١٦ ، ١١٤ ؛ الكاتب نفسه : العرب فى غاليس وسويسرا فى مجلة الرسالة القاهرة ، العدد ٧٢ (١٩ نوفبر سنة ١٩٣٤) والعدد ٧٣ (٢٦ نوفبر سنة ١٩٣٤) والعدد ٧٤ (٣ ديسمبر سنة ١٩٣٤) ؛ حسن مراد : تاريخ العرب فى الأندلس ، القاهرة سنة ١٣٤٨هـ = ١٩٣٠م ، ص ٢٧ (وهو لايستعمل المصطلح العربى) ؛ بطرس البستانى : معارك العرب فى الشرق والغرب ، بيروت سنة ١٩٤٤ ، ص

٥٥ – ٥٦ ؛ حسين مؤنس : آثار ظهور الإسلام في الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في البحر الأبيض المتوسط ، في المجلة التاريخية المصرية التي تنشرها الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، حـ ٥٥ ، الكراسة ١ (مايو سنة ١٩٥١) ص ٦٧ — ٦٨ مع مصادر ؛ ص ٦٨ .

وأخيراً يجب أن نذكر الكتابين الآتيين : (٥) الترجمة العربية بقلم على الجارم بعنوان : العرب في إسبانيا ، القاهرة سنة ١٣٦٦هـ=١٩٤٧ ، ص ٢٧ — ٢٨ ؛ وذلك لكتاب S. Lane Poole : *The Moors in Spain* ؛ لندن سنة ١٨٨٧ ، والطبعة الثانية سنة ١٩٢٠ ؛ ورواية (٦) جرجي زيدان المتوفى سنة ١٣٣٢ هـ (١٩١٤م) : شارل وعبد الرحمن : رواية تاريخية غرامية ، القاهرة سنة ١٩٠٤ ، الطبعة الرابعة سنة ١٩٢٦ ، ص ١٨١ ، ١٨٥ ، ٢١٨ ، ٢٢٣ ، ٢٣٠ .

وفي الختام نرى أنه ربما كان من المفيد أن نذكر أن الطبري المتوفى سنة ٣١٠هـ (٩٢٣) قد سكت سكوتاً مطلقاً عن معركة بواتييه ، إذلم يرد شيء عنها في تاريخ الأمم والملوك في حوادث سنة ١١٤ أو في السنتين أو الثلاث السنوات التي تسبقها أو تليها . وكذلك فعل ابن القوطية المتوفى سنة ٣٦٧هـ (٩٧٧م) في كتابه « افتتاح الأندلس » .

[H. Pérès خورشيد | پريز]

« بَلَاطُنُس » وباللاتينية Platanus : يذكر ياقوت (حـ ١ ، ص ٧١٠) أنه اسم حصن منيع بسواحل الشام تجاه اللاذقية . ويقول القلقشندي في كتابه « ضوء الصبح » إنه على مسيرة يومين إلى الشمال من طرابلس ويوم إلى الغرب من مَصْياف . ويذكر النويري أن بني الأحمر هم الذين شيدوه ؛ ولكن نكتاس صاحب أنطاكية استولى عليه عام ٤٢٢هـ (١٠٣١م) وأخذه روجر صاحب أنطاكية عام ٥١٢هـ (١١١٨م) وظل في حوزة الصليبيين إلى أن استولى عليه صلاح الدين عام ٥٨٤هـ (١١٨٨م) ، واستمر ناصر الدين مَنْكُورُس (منكوبَرس) بن خمارتكين وخلفاؤه يحكمون هذا المكان إلى أن استولى عليه بيبرس عام ٦٦٧هـ (١٢٩٦م) ؛ ولما كان هذا الحصن قد تخرب منذ ذلك العهد فقد ظل مكانه مجهولا على وجه التحقيق إلى أن عثر مارتن هارتمان Martin Hartmann على نقوش عند قلعة المهيلبة الحديثة إلى الجنوب الشرقي من اللاذقية ، واستدل منها على أن هذه القلعة هي عين حصن بلاطنس .

المصادر :

(١) G. Le Strange : *Palestine under the Moslems* ، ص ٤١٦ ؛ (٢) E. Rey : *Les colonies Franques de Syrie* ، باريس سنة ١٨٨٣م ، ص ٣٣١ وما بعدها (٣) M. Hartmann في *Zeitschr. des Deutsch. Pal. Ver.* ، جـ ١٤ ، ص ١٨٠ (٤) van Berchem : *Inscriptions arabes de Syrie* ، ص ٧٤ وما بعدها .

[R. Hartmann هارتمان]

+ بلاطنس : اسم يرجع إلى أيام القرون الوسطى أطلق على قلعة سورية هي الآن خرائب

وكانت تسمى « المُهَيْلبة » ، وقد أقيمت على طنف من الطنوف الأولى لجبل أنصارية ، وكانت هى وقاعة صهيون تسيطران على سبل اللاذقية وتحميان الطريق من العاصى إلى جبلة (ثغرها) فيما يرويه الدمشقى .

وفى رواية المصادر العربية يظن أن الذى أنشأها عشيرة بنى الأحمر ثم أكملها الروم (البوزنطيون) الذين استولوا عليها ، وقد اعتمدوا عليها بعض الاعتماد منذ أيام بازيل الثانى ، فى حماية الإقليم الساحلى الذين نزلوه ، ثم انتقلت إلى يد العرب ، لتسقط فى أيام الحرب الصليبية الأولى فى يد روجر صاحب أنطاكية فخلعها على أمير صاوون Saône إقطاعاً له ، وظلت فى يد الفرنجة من سنة ٥١٢ إلى سنة ٥٨٤ هـ (١١١٨ إلى ١١٨٨ م) . وهنالك سادها صلاح الدين وأصبحت فى عهد الأيوبيين جزءاً إلى حين من مملكة حلب لصاحبها الملك الظاهر . وجاء الغزو المغولى فشجع الجهود التى بذلتها أسرة محلية لإقامة استقلالها ثم اضطرت إلى التسليم لبيبرس سنة ٦٦٧ هـ (١٢٦٩ م) وأصبحت فى عصر المماليك قاعدة لإحدى النواحى الست فى نيابة طرابلس .

ولم تعرف منذ أصبحت خرائب وهجرت اسمها القديم (المشتق من الكلمة اللاتينية Platanus) إلى اسمها الحالى الذى حال مدة طويلة دون التحقق من هويتها .

المصادر :

(١) ياقوت ، جـ ١ ، ص ٧١٠ . (٢) M. Hartmann : *Das Liwa el-Ladkije* فى *Zeitschr. des Deutschen Palaestinavereins* ، جـ ١٤ ، ص ١٨٠ (٣) M. van Berchem & E. Fatio : *Voyage en Syrie* ، القاهرة سنة ١٩١٤ — ١٩١٥ ، ص ٢٨٣—٢٨٨ (٤) R. Dussaud : *Topographie historique de la Syrie* ، باريس سنة ١٩٢٧ ، ص ١٥٠ (٥) G. Le Strange : *Palestine under the Moslems* ، لندن سنة ١٨٩٠ ، ص ٤١٦ ؛ (٦) M. Gaudefroy - Demombynes : *La Syrie à l'époque des Mamelouks* ، باريس سنة ١٩٢٣ ، ص ١١٣ ، ٢٢٦ (٧) Cl. Cahen : *La Syrie du Nord* ، باريس سنة ١٩٤٠ ، الفهرس ؛ (٨) J. Weulersse : *Le pays des Alaouites* ، تور سنة ١٩٤٠ ، الفهرس .

[J. Sourdel-Thomine خورشيد [سوردل تومين

« البلاغة » : اسم معنى من بَلَغَ ، ومعناه لغة الوصول والانتهاء . وعلم البلاغة ثلاثة فروع هى : علم المعانى ، وعلم البيان ، وعلم البديع . والأول يبحث فى أنواع الجمل المختلفة واستعمالها ؛ والثانى يعلِّم الإنسان صناعة الكلام « الفصيح » من غير إبهام . ومباحثه التشبيه والاستعارة والكناية ؛ والثالث يبحث فى محسنات الكلام . ويتناول عدداً كثيراً من صور القول كالإطناب والقلب والاستخدام .

والفرع الثالث ، وهو علم البديع ، أقدم هذه العلوم وأكثرها تداولا ، ففى عام ٢٧٤ هـ (٨٨٧ — ٨٨٨ م) أصدر الأمير عبد الله بن المعتز مصنفه « كتاب البديع » وضمنه سبعة عشر نوعاً

من العبارات المحسنة مما ورد فى القرآن والشعر القديم وما يُعرف بالبديعيات، ثم ألفت المنظومات التى تبيّن مختلف الصور القولية إلى قرابة العصر الحديث.

وللسكاكى المتوفى عام ٦٢٣ هـ (١٢٢٦ م) أو عام ٦٢٦ هـ (١٢٢٩ م) بحث منظم فى علوم البلاغة كلها فى الجزء الثالث من كتابه الشامل « مفتاح العلوم »، ثم جاء جلال الدين محمد القزوينى « خطيب دمشق » المتوفى عام ٧٣٠ (١٣٣٨ م) فاختصره وشرحه بعنوان « تلخيص المفتاح » الذى تدوول بالشرح مراراً، ونظمه السيوطى. وأورد مهرن Mehren مقتطفات كثيرة من هذه المصنفات فى كتابه *Rhetorik der Araber*. وقد اعتمدنا فى كتابة هذه المادة على أبحاثه (انظر كذلك Brokelmann : *Gesch. d. arab. lit.* جـ ١ ، ص ٨٠ وما بعدها ، ص ٢٩٤ — ٢٩٦ ؛ جـ ٢ ، ص ٢٢).

[شاده Chaade]

تعليق على مادة البلاغة

١ — البلاغة — فى اللغة « شىء بالغ، وأمر بالغ » أى جيد، ومن هنا كانت البلاغة فى معنى جودة الكلام؛ ولعلهم لم يهتموا بالتفريق بينها وبين الفصاحة أولا، كما يظهر من استعمال الجاحظ فى البيان والتبيين، وكما يقول أبو هلال العسكرى — الصناعتين : ص ٧ ، الآستانة سنة ١٣٢٠ هـ : « وإذا كان الأمر على هذا فالفصاحة والبلاغة ترجعان إلى معنى واحد، وإن اختلف أصلاهما، لأن كل واحد منهما إنما هو الإبانة عن المعنى والإظهار له ». على أن اختلاف الأصل اللغوى كان سبب تفريق بينهما، ظل ينمو مع الزمن حتى استقر الإصلاح التعليمى الغالب، على أن الفصاحة توصف بها الكلمة والكلام والمتكلم، وأنها تكون بدون البلاغة، وأن البلاغة يوصف بها الكلام والمتكلم دون الكلمة المفردة، ولا تكون بدون الفصاحة. وظلت الكتب المتأخرة تشير إلى إمكان التسوية بين الكلمتين، وإليها أميل الآن، تقليلا للأقسام، فنقول بلاغة الكلمة وبلاغة الكلام، كما نستطيع أن نقول : بلاغة الألفاظ وبلاغة المعانى، أى جودة كل ذلك.

٢ — علم البلاغة : جاء الإسلامُ العربىّ بمعجزة قولية هى القرآن، الذى تحداهم أن يأتوا بمثله، فكان إيمان العربى إقراراً بالإعجاز، وتسليما بأنه إن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً : وبتمادى الزمن، ودخول غير العرب فى الإسلام احتاج المسلمون إلى أن يتعرفوا إعجاز القرآن، واضطروا إلى بحث ودراسة لذلك. فصارت معرفة البلاغة أمراً دينياً كلامياً، يقرر حجة الله فى عقول المتكلمين، كما يقول عمرو ابن عبيد فى القرن الثانى الهجرى — البيان والتبيين ١ : ٩٠ و ٩١ طبعة التجارية — ومن هنا اشتغل علماء الكلام بأبحاث بلاغية.

٣ — اعتمدت الحياة على القرآن كتاب الإسلام، فكان مصدر التشريع، وأساس الأخلاق

وما إلى ذلك ، وفى سبيل استخراج هذا من القرآن ، التزم أصحاب الدراسات الدينية أن يبحثوا أسلوب القرآن ، وطرق فهمه ومراميه فى القول ، فكانت لعلماء أصول الفقه مثلا أبحاث بلاغية تحتل المقدمة اللغوية لعلم الأصول ، وهى مقدمة تضخمت مع الوقت حتى صارت مسائلها من أهم ما يبحث الأصوليون ، ويشير السكاكى إلى استئثار علم أصول الفقه ، بأبحاث علمى المعانى والبيان فيقول — المفتاح ص ١٧٩ طبعة الميمنية — : « بل تصفح معظم أبواب أصول الفقه من أى علم هى ؟ ومن يتولاها ؟ » .

٤ — حين امتد الفتح الإسلامى وبسطت الدولة جناحيها من حدود الصين إلى شاطىء الأطلنطى استظل بظلها أخلاط من صنوف البشر ، قويت حاجتهم إلى دراسة اللغة العربية لغة الدولة الرسمية ، والتفوق فى أدبها ليظفروا بولاية أعمال الدولة ، فى الكتابة التى كانت فى درجة الوزارة ، والتى هى ناحية عملية لها أثر جد خطير فى الحياة الأدبية العربية وتاريخها ، فكانت لبيئة الكتاب دراسات أدبية هامة ، وقيل منذ القدم أن الكتاب دهاقين الكلام — العمدة ٢ : ٨٤ ، ٨٥ طبعة هندية — وصار عندهم من علم الأدب ما ليس عند غيرهم ، حتى قال الجاحظ : « طلبت علم الشعر عند الأصمعى فوجدته لا يحسن إلا غريبه ، فرجعت إلى الأخفش فوجدته لا يتقن إلا إعرابه . فعطفت على أبى عبيدة فوجدته لا يتقن إلا ما اتصل بالأخبار ، وتعلق بالأيام والأنساب ، فلم أظفر بما أردت إلا عند أدباء الكتاب كالحسن بن وهب ومحمد بن عبد الملك الزيات » — العمدة ٢ : ٨٤ .

وهكذا بدأ بحث البيئة الكتابية فى القرآن نفسه مبكراً ، فتحدثنا الرواية أن رجلا فى زى الكتاب بمجلس الفضل بن الربيع سأل أبا عبيدة معمر ابن المثنى — ت ٢٠٦ هـ — عن قوله تعالى ، طلعها كأنه رءوس الشياطين ، فقال : إنما يقع الوعد والإيعاد بما قد عرف مثله ، وهذا لم يعرف !! » ، فاعتقد أبو عبيدة أن يضع كتاباً فى القرآن فى مثل هذا وأشباهه ، وألف كتابه مجاز القرآن — ابن خلكان : وفيات الأعيان ٢ ، ١٣٨ ، ١٣٩ طبعة بولاق :—

وقد كان للكتاب بمؤلفاتهم أثر واضح فى حياة البلاغة ، فمن ابن المقفع بأدبيه ، إلى قدامة ابن جعفر بنقديه ، وابن شيث القرشى ، صاحب كتاب معالم الكتابة ومغانم الإصابة ، والشهاب الحلبى الكاتب صاحب حسن التوسل إلى صناعة الترسل ، وابن الأثير بمثله السائر ، والقلقشندى بصبح الأعشى فى صناعة الإنشا . هؤلاء وغيرهم قد خدموا دراسة البلاغة العربية خدمات جليلة .

٥ — فى هذه العظمة السياسية ، وبسطة المال والنعيم ، ترقى الفنون جميعاً . وقد كان للفن القولى نصيبه من النهوض واتجه شعراء المولدين إلى الاختراع والإبداع — ابن رشيق : العمدة ١ : ٢٧٥ وما بعدها — وكان ذلك بأن نظر الشعراء ونقاد المتأدبين منهم ، إلى محاسن الكلام وأوجه جماله ، يلتمسونها فى النثر والشعر ، ليستكثروا

منها فى أشعارهم وسموها (البديع) ؛ فاحتاج مثل هذا إلى درس بلاغى ، استخرجوا به هذه المحاسن ، وحاولوا ضبطها ، ووضعوا لها الألقاب ، وفيه وضع ابن المعتز الشاعر الأمير كتابه (البديع) سنة ٢٧٤ هـ ، فقسم هذه الأوجه قسمين: البديع ، والمحاسن ، وخص باسم البديع خمسة أبواب هى : الاستعارة ، والتجنيس ، والمطابقة ، ورد أعجاز الكلام على ما تقدمها ، والمذهب الكلامى ، وقد نسب تسميته هذا القسم إلى الجاحظ . وذكر — ص ٥٨ — أنه اقتصر بالبديع على هذه الخمسة اختياراً ، وإن لم يبين وجه ذلك ، وعرض بعد ذلك لمحاسن الكلام والشعر فقال إنها كثيرة وذكر منها اثنى عشر نوعاً ، وما ذكرناه من البديع والمحاسن خليط عدّ بعضه أخيراً من علم المعانى ، كالالتفات والاعتراض وتجاهل العارف ؛ وبعضه من علم البيان كالاستعارة ، وحسن التشبيه ، والتعريض والكناية ، وبعضها من البديع الاصطلاحى ، وتتابعت تلك الدراسة البلاغية التى بدأها الشعراء والنقاد حتى نمت نمواً عظيما نراه فى تاريخ البديع ، وظلت تشمل مختلف الأبحاث البلاغية ، التى توزعها التقسيم الأخير لعلومها .

٦ — وإلى جانب هذا كان من العاملين فى الميدان الأدبى ، أولئك الرواة الذين وصلوا ماضى العرب بحاضرهم ، وحفظوا تراث اللغة والأدب الباقى بعدما اختلط العرب بغيرهم ، ففسدت لغتهم ، وخسروا شخصيتهم ؛ نقل هؤلاء الرواة عن البادية ، التى أرزت إليها الفصحى ، ما استطاعوا العثور به من متن اللغة وأحاديث الأدب ، واشتغلوا بتدوين ذلك ومدارسته ؛ فكان لهؤلاء النفر من أصحاب اللغة حظ من التحدث فى استعمال الألفاظ العربية ، وخصائص الأسلوب العربى ، وما إلى ذلك من دراسة بلاغية أيضاً ، يشير إليها الجاحظ فى البيان والتبيين — ٣ : ٢٤٢ ، فيقول بعد ما روى بيت الأشهب بن رميلة :

هم ساعد الدهر الذى يتقى به
وما خير كف لا تنوء بساعد

قوله : هم ساعد الدهر ، إنما هو مثل ، وهذا الذى تسميه الرواة البديع[1] » ، وكما يشير عبدالقاهر الجرجانى (فى دلائل الإعجاز ص ٣٢٨ طبعة الترقى) إلى ما نجده فى كتب اللغة من إدخال ما ليس طريق نقله التشبيه فى الاستعارة كما صنع أبو بكر بن دريد فى الجمهرة ؛ فإنه ابتدأ بابا فقال (باب الاستعارات) إلخ » ، وكالذى نجده متفرقاً فى كتب الأمالى من هذا التناول البلاغى لأصحاب اللغة ودراستها .

فأنت ترى فى وادى الأدب العربى نهيرات تنبع من بيئات مختلفة ، من البيئة الدينية : كلامية وأصولية ؛ ومن البيئة الأدبية : بيئة الكتّاب ، وبيئة الشعراء ، وبيئة الرواة وأهل اللغة ؛ وتلتقى تلك النهيرات جميعاً فى نقطة واحدة ، هى معرفة

(١) هذا ما يقوله الجاحظ ، لكن ابن المعتز بعده بنحو ربع قرن من الزمان يقول — البديع ص ٥٨ : « فاما العلماء باللغة والشعر القديم فلا يعرفون هذا الاسم » أى البديع ، ولا يدرون ما هو » . ولعل الشواهد تؤيد قول الجاحظ ، كما ترى فى اشارة عبد القاهر الى عمل ابن دريد .

طرق إدراك جيد الكلام ، وكيف يكون التفريق بين كلام جيد ، وآخر ردىء . أو الاقتدار على صنع كلام جيد ، قصيدة منظومة أو نثراً مرسلا ، وتلك هى الدراسة البلاغية التى يتبين مؤرخها الدقيق تلك العناصر المختلفة فى نشأتها وتدرجها ويتميزها واضحة فى أبوابها ومسائلها .

٧ — بمضى الزمن تميزت الدراسات واستقرت واتخذت كل مجموعة من قواعدها اسماً خاصاً ، ورتبت العلوم مجموعات ، فكانت علوم العربية أو العلوم الأدبية أولا تعد ثمانية — ابن الأنبارى : طبقات الأدباء ، ص١١٧ طبعة مصر سنة ١٢٩٤هـ — هى : النحو ، واللغة ، والتصريف ، والعروض ، والقوافى ، وأخبار العرب ، وأنسابهم ، وثامن هذه العلوم (علم صنعة الشعر) وهو اسم مجموعة الدراسات السابقة التى تعلم معرفة الجيد من القول وصناعته . كذلك سميت الفنون البلاغية قديماً صنعة الشعر ، كما سميت أحياناً نقد الشعر أو نقد الكلام ، وبعد القدماء مما ألف فيها كتاب الصناعتين لأبى هلال ، و نقد الشعر لقدامة بن جعفر (الإنبابى : على رسالة الصبان فى البيان ، ص ٣ . طبعة بولاق) . وقبل ذلك عدّ أبو هلال نفسه ، كتاب البيان والتبيين للجاحظ ، أكبر وأشهر الكتب المصنفة فى علم البلاغة .

ومن هنا نقدر كيف التقى النقد بالبلاغة واتحدا عندهم . فلم يفردوا النقد ببحث خاص ، ولا سموا له علماً .

٨ — مضت هذه الدراسة البلاغية ، تتقلب بها المناهج ، وتؤثر فيها البيئات ، وتتأثر بالثقافة الإسلامية العامة ، من أصيلة ودخيلة ، وقد رأينا من قبل كيف اختلفت مناشئها ، والتقت فيها موارد متعددة .

ومؤرخ البلاغة يجد من مذاهب هذه الدراسة ومدارسها ما يحسن تتبعه ، وقد أدرك القدماء أنفسهم وجود بلاغتين ، سموا أولاهما ، البلاغة على طريقة العجم وأهل الفلسفة ، . وسموا الثانية « البلاغة على طريقة العرب والبلغاء » (السيوطى : حسن المحاضرة ١ : ١٥٧ ، طبعة مصر سنة ١٣٢١ هـ) .

ونجد الأولى تشيع غالباً فى المناطق الشرقية من الدولة الإسلامية حيث يقطن خليط من الفرس والترك والتتر ومن إليهم . ومن فحول هذه الطريقة جار الله الزمخشرى ، وأبو يعقوب يوسف السكاكى ، وسعد الدين التفتازانى وغيرهم .

وتسود الثانية غالباً فى المناطق الوسطى من الدولة الإسلامية ، حيث مهد العربية الأول وما داناه من الأقاليم كالعراق والشام ومصر مثلا . ومن رجال هذه الطريقة أمثال ابن سنان الخفاجى صاحب كتاب سر الفصاحة وابن الأثير والسبكى المصرى وغيرهم .

ولكل مدرسة كتبها ورجالها مما يتسع لمؤرخ البلاغة مجال تتبعه وفحصه . وبلاغة العجم وأهل الفلسفة هى التى اشتهرت ، ولا يزال طابعها هو الظاهر ، والمتبادر اليوم حينما تطلق كلمة البلاغة .

٩ — ازداد تنسيق علوم الأدب أوعلوم العربية ، فوصلت إلى اثنى عشر علماً ، لوحظت فى ترتيبها اعتبارات خاصة . فقسمت مثلا إلى أصول وفروع . ثم قسمت الأصول قسمين : ما يبحث فى المفردات ، وما يبحث فى المركبات . وقسم ما يبحث فى المركبات قسمين : ما يبحث فى الموزون منها فقط ، وما يبحث فى المركبات مطلقاً موزونة ومنثورة ؛ وتحت هذا نجد العلوم التى استقر الأمر أخيراً على اعتبارها علوم البلاغة ووقفت عندها جهود بلاغة الأعجام المتفلسفة،وهى : علم المعانى ، وعلم البيان ؛ ويتبعهما البديع .

هنا يلتزم التفريق بين الفصاحة والبلاغة على ما أشرت إليه أولا ؛ ويشتهر تعريف البلاغة بأنها مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته ؛ ويبينون وجه انحصار دراسة البلاغة فى هذه العلوم على طريقتهم المنطقية بأن : البلاغة فى الكلام مرجعها إلى أمرين : الاحتراز عن الخطأ فى تأدية المعنى المراد ، وتمييز الكلام الفصيح من غيره ؛ والثانى منهما وهو تمييز الفصيح ، منه ما يبين فى علم متن اللغة أوعلم الصرف ، أوالنحو . ومنه مايدرك بالحس . ثم منه ما ليس كذلك ، وهو التعقيد المعنوى ؛ لايعرف بشىء من العلوم ولايعرف بالحس فيبقى شيئان محتاجان إلى علم يتولى البحث عنهما ، وهما : الاحتراز عن الخطأ فى تأدية المعنى المراد والاحتراز عن التعقيد المعنوى ، فاتخذوا علمين جديدين هما : علم المعانى الذى يحترز به عن الخطأ فى تأدية المعنى المراد ، أى يعرف به مطابقة الكلام لمقتضى الحال . ثم علم البيان الذى يحترز به عن التعقيد المعنوى،أى يعرف به إيراد المعنى الواحد بتراكيب مختلفة فى وضوح الدلالة عليه . واحتاجوا لمعرفة توابع البلاغة إلى علم آخر ،فجعلوا لذلك علم البديع الذى يعرف به وجوه التحسين فى الكلام بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال ورعاية وضوح الدلالة.

وبالطريقة المنطقية نفسها حصروا أبحاث هذه العلوم . فقالوا فى المعانى : إنه ينحصر فى ثمانية أبواب : لأن الكلام إما خبر أو إنشاء — والخبر لابد له من مسند إليه ومسند وإسناد ، فعقدوا لذلك باب أحوال الإسناد الخبرى ، وباب أحوال المسند إليه ،وباب أحوال المسند : ثم المسند قد يكون له متعلقات إذا كان فعلا أوما فى معناه ،فعقدوا باب متعلقات الفعل وكل من الإسناد والتعلق إما بقصر أو بغير قصر فعقدوا باب القصر . ثم خصوا الإنشاء بباب مستقل والجملة مع الأخرى إما معطوفة أولا وهذا باب الفصل والوصل . والكلام البليغ إما زائد على أصل المراد لفائدة أو غير زائد ؛ وهذا باب الإيجاز والإطناب والمساواة .

وكذلك شرحوا وجه انحصار علم البيان فى التشبيه والمجاز والاستعارة والكناية ، وانحصار البديع فى قسمى التحسين المعنوى ، والتحسين اللفظى .

وفكرتهم فى هذا الحصر صورة لما ساد دراسة تلك البلاغة من نزعات فلسفية ،وكلامية ومنطقية ، أقحم فيها كثير من أبحاث لاعلاقة لها بالغرض الأدبى من البلاغة ، وضيقت دائرتها الفنية ،

وأفاضت عليها جموداً وجفافاً أعجزاها عن أن تترك أثراً أدبياً فى ذوق دراسها ، وقصر غايتها على مسألة دينية بعينها هى مسألة الإعجاز حتى صار من تعاريف البلاغة : أنها علم يمكن معه الوقوف على معرفة أحوال الإعجاز — يحيى العلوى : الطراز ، ١ : ١٣ ، ط مصر

واتبعت فى دراستها الطريقة التقليدية ، فاتخذ لها المتن الموجز المركز ، يفسره الشرح ، وتعلق عليه الحاشية ، ويتبعها التقرير ، فى مناقشات لفظية مردها إلى علوم مختلفة ، تبعد عن الأدب والذوق وما إلى ذلك كلما زاد عمقها وغوصها فى تقدير متناولها .

١٠ — البلاغة اليوم — فى الشرق ، ولاسيما مصر — حركات تجديدية بلا مراء . ومن هذه الحركات الموفق الرشيد ، ومنها طائش غير مسدد . ودون أن نمس تفصيل ذلك فى الحياة الأدبية خاصة وما يتناولها من تجديد ، ومع اجتناب ما يضيع الجهد ويثير الخلاف حول هذه المحاولات ، نقول :

إن التجديد الأدبى يرمى إلى غرضين : قريب ، وبعيد .

فالغرض القريب : هو تسهيل دراسة المواد الأدبية ، وتوفير ما يبذل فيها من جهد ووقت ، مع تحقيق المطلوب من دراستها تحقيقاً عملياً ، بحيث يمكن كل دارس لها أن يظفر فى وقت مناسب وبجهد محتمل بما يستطيع معه استعمال اللغة فى حياته . ذلك الاستعمال الذى تطلب من أجله اللغات .

وهذا الغرض يحققه المنهج الصالح ، والكتاب المنظم ، والمعلم الكفء ، وإن استلزم تغييراً فى ترتيب مسائل هذه العلوم ، أو طريق تناولها وعرضها ، فذلك أمر قريب المنال حين تصدق النية فى طلبه .

وأما الغرض البعيد من التجديد فى علوم الأدب أو علوم العربية ، فهو أن تكون هذه الدراسات الأدبية مادة من مواد النهوض الاجتماعى تتصل بمشاعر الأمة ، وترضى كرامتها الشخصية وتساير حاجتها الفنية المتجددة : فتكون اللغة فى مصر مثلا لغة الحياة فى ألوانها المختلفة ، وأداة التفاهم المرضية فى البيت والمعمل ، والجامعة والمسرح ، والسوق والنادى وما إلى ذلك : فلا يعيش الناس بلغة ، ويتعلمون لغة أخرى : ولا يفكر الناس بلغة ويدونون أفكارهم بغيرها ، ولا يتعاملون بلغة ، ويشعرون وينثرون ويمثلون ويخطبون بغيرها ، ولا تكون اللغة سبباً فى فرض نظام من الطبقات على الأمة بحيث يتسع البعد بين خاصة الأمة وعامتهم فى اللغة المتفاهم بها .

ولا يتحقق هذا الغرض إلا بتغيير قد يمس — أو لابد أن يمس — الأصول والأسس البعيدة ، ويدخر له العزم والجهد حتى تصير اللغة ناجحة من كيان الأمة ، وجانباً من وجودها العملى ، ولا تفترق اللغة فى حال عنها فى أخرى إلا بمقدار ما تتطلب الأناقة الفنية والعمل الأدبى .

وهذا المطلب شاق غير يسير فى جوانب مختلفة من العلوم العربية ، إلا أنه أقل مشقة فى البلاغة ودرسها ، لمرونة فى فطرتها ، وقابلية فى منهجها

الذى يعتمد على الذوق والوجدان ؛ ويصل أبحاثها بالفن والجمال مهما أخفت ذلك اتجاهات خاطئة ، وأعمال موقتة . ثم إلى هذا كله أمر آخر ، يضيق الخلف ، ويوفر المشادة بين الواقفين والسائرين ، هو أن الأقدمين أنفسهم قد صرحوا بأن البلاغة من العلوم التى لم تنضج دراستها .

وإذا كان الأمر كذلك فإنى أرى أن نعمد رأساً إلى تحقيق الغرض البعيد فى تجديد البلاغة العربية تجديداً يمس الأصول والأسس فيغيرها ، وينفى فيها ويثبت ؛ ونخالف مقررات كبرى — وبخاصة فى البلاغة المتفلسفة — ونضيف إضافات جديدة ، حتى نصل البلاغة بالحياة ، ونمكنها من التأثير الصالح فيها ، وإذا تم ذلك كان تسهيل الدرس أمراً هيناً يسير التحقيق ، فلنا إذ ذاك أن نؤلف من الكتب ما نشاء ، ونعرض الموضوعات ونتناول المسائل كما نشاء ، بعد ما استطعنا التحكم فى الأصول الكبرى .

على أنى حينما أحاول ذلك ، أنتفع أولا بكل ما يستطاع الانتفاع به من القديم ، وأتجنب الاندفاع المضيع للجهد والوقت ، والمفرق للقوى فى غير ضرورة ، وأوثر اتباعاً لهذه الخطة أن أقدم بيان ما يستجيب له التراث القديم من هذا التغيير :

١ — فمن حيث وصل البلاغة بالحياة الأدبية ، وجعلها دراسة ذات جدوى عملية ، يكفى أن تأخذ برأى القدماء حينما كان أبو هلال العسكرى يقول ، إن صاحب العربية يستطيع بعلم البلاغة أن يفرق بين كلام جيد وآخر ردىء ، ولفظ حسن وآخر قبيح ، كما يستطيع أن يصنع قصيدة وينشىء رسالة . وبهذا تحكم حاجة الحياة الأدبية ، وينتفع بكل ما يجد فى تلك الحياة من نافع ، وتخدم الفنون القولية الرائجة .

٢ — ومن حيث إخضاع البلاغة للمنهج الأدبى الفنى فى الدراسة ، يكفى أن نحيى رسوم المدرسة الأدبية الأولى وآثارها وكتبها ؛ وبهذا نحتكم إلى كل ما فى دراسة الفنون من أساليب مجربة ومناهج مستحدثة ، ونهمل بتاتاً تلك الدراسة الفلسفية المستعجمة .

وفيما نبتغى من تغيير وراء ذلك ننتفع بما قرروا من عدم نضج البلاغة ، لنقرر ما يلى :

٣ — قد وضع القدماء هذه البلاغة فى قسم المركبات من العلوم الأدبية ، وقصروها على دراسة الجملة وأجزائها فحسب ؛ لاترى من أبحاثها شيئاً يزيد على ذلك ؛ وقدموا مقدمة عامة للفصاحة والبلاغة ذكروا فيها شيئاً عن فصاحة الكلمة المفردة ؛ والعمل الأدبى ليس فى الجملة وجزئيها لاغير ، فتلك لاتعطى إلا معنى أدبياً جزئياً ووراء ذلك الفقرة المنثورة ، والقطعة المنظومة تتألف من جمل عدة ومعان جزئية مختلفة ، ثم وراء ذلك كله العمل الأدبى الكامل ، قصيدة أومقالة أورسالة أوخطبة ، يحتاج ذلك كله إلى النظر البلاغى ؛ ثم اللفظة المفردة لايكفى فى درسها البلاغى هذا القدر اليسير الذى ألموا به .

وعلى هذا نبدأ البحث البلاغي المستوفى من اللفظة المفردة ، ولانحده بالجملة ، بل نمده إلى الفقرة ، والعمل الفني الكامل ، فنبحث فيها الأسلوب واختلافه ، وأوجه تفاوته ومزايا أنواعه المختلفة ، وننظر النظرة الشاملة الجامعة فى الأثر الأدبي كله .

٤ — قصر القدماء البحث البلاغي على الألفاظ من حيث أدائها للمعاني الجزئية بالجملة الواحدة أوالجمل المتصلة فى معنى واحد ، ولم يجاوزوا ذلك . فعلم المعاني : تعرف به أحوال اللفظ العربي من حيث مطابقته لمقتضى الحال ، وعلم البيان يعرف به إيراد المعنى الواحد بتراكيب مختلفة ، والمعنى هو تشبيه أومجاز أواستعارة أوكناية لاغير .

أما المعاني الأدبية ، والأغراض الفنية التي هي روح الفن القولي ومظهر عظمة الأديب ، وآثر ثقافته وشخصيته ، فلم ينظروا فيها .

ولابد أن نفرد المعاني بالبحث المستقل بعد بحث الألفاظ ، مفردة وجملا وفقراً . . فنعلم الدارس كيف يوجد هذه المعاني ، وكيف يصححها وكيف يرتبها ، ويعرضها ، وما إلى ذلك .

٥ — وإذا اتسع البحث البلاغي فشمل مع الألفاظ المعاني جزئية وكلية ، وشمل مع الجملة اللفظة المفردة ، ثم جاوزهما إلى الفقر والقطع الأدبية والأساليب ، فقد صار التقسيم القديم للبلاغة إلى المعاني والبيان والبديع لاأساس له ولاغناء فيه ، ولزم أن يوضع التقسيم على أساس غير الأول :

كأن نقتصر على كلمة « البلاغة » وصفاً لجمال الكلمة والكلام ، ونوفر كلمة الفصاحة ، ونقسم الدرس إلى بلاغة الألفاظ وبلاغة المعاني ، وفى بلاغة الألفاظ نبحث عنها من حيث أن تلك الألفاظ أصوات ذات جرس . ثم من حيث هي دوالّ على المعاني مفهِّمة لها ، ونبحث ذلك فى المفرد ، والجملة والفقرة ، والقطعة . ونقسم المعاني بما يناسبها حتى ننتهي بها إلى دراسة فنون القول الأدبي المنظوم والمنثور فناً فناً ، وما به قوام كل فن وحسنه ، متخطين الفنون القديمة من المقامة والرسالة والخطبة إلى الفنون الحديثة من المقالة والقصة على اختلاف أنواعها .

وحين نستبعد ما حشدته طريقة العجم وأهل الفلسفة فى البلاغة من مقدمات منطقية ، واستطرادات فلسفية مختلفة ، نضم إلى البلاغة مقدمات جديدة لابد منها لدراسة فنية تقوم على الإحساس بالجمال ، والتعبير عنه ، دراسة تتصل بالحياة وتحدث عن خلجات النفوس وأسرار القلوب ، وتسعد آمال الجماعة وأمانيها ، وتغنى نصرها ، وتغذى طموحها كما هو شأن الفن الصحيح فى الحياة الجادة ، وبذلك :

٦ — نضم إلى البلاغة مقدمة فنية ، نعرف الدارس فيها بمعنى الفن ، وطبيعته ، ونشأته ، وغايته ، وأقسامه ، متحرين فى ذلك بيان الفن القولي بخاصة ، ثم :

٧ — نضم إلى تلك البلاغة مقدمة نفسية لابد منها : ما دام شأن الفن الأدبي ما أسلفنا ، وما دمنا نريد وصل البلاغة بالحياة . فنعرف الدارس بالقوى

الإنسانية ذات الأثر فى حياته الأدبية كالوجدان والذوق ، والخيال ؛ وتزيد فهمه للاعتبارات التى أجملها القدماء تحت كلمة « مقتضى الحال » وذكروا منها فى أسباب الحذف والذكر والتقديم والتأخير اعتبارات نفسية محضة .

كما تلم المقدمة النفسية بدراسة أمهات العواطف الإنسانية التى هى مادة المعانى الأدبية ، ومثار الفنون القولية نثراً وشعراً ، وهى فى الجملة دنيا الأدب والفنون كلها .

تلك معالم التجديد البلاغى فى إجمال ، وبعض الأهداف التى أجاهد من أجلها فى كتيبة كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول ؛ وإن أفسح الله فى الأجل كمل كتاب « فن القول » ، مثلا مبتدأ للدراسة البلاغية على تلك الأصول ، ثم تعاونت فى إكمالها وإقرارها الجهود المتصلة فى نهضة مصر والشرق .

المصادر : فوق ما فى صلب المادة — الخولى:

(١) البلاغة العربية وأثر الفلسفة فيها ، بحث فى صحيفة الجامعة المصرية سنة ١٩٣١ .

(٢) البلاغة وعلم النفس ، بحث فى مجلة كلية الآداب سنة ١٩٣٩ .

(٣) مصر فى تاريخ البلاغة ، بحث فى مجلة كلية الآداب سنة ١٩٣٤ .

(٤) من تاريخ البلاغة ، محاضرات فى كلية الآداب .

أمين الخولى

« بلال » : الاسم الذى يطلق عادة على المؤذن فى جزائر الهند الهولندية .

+ « بلال بن أبى بردة » : (انظر مادة « الأشعرى أبوبردة ») .

+ « بلال بن جرير المحمدى » ، أبوالندا الزُّرَيْعى (انظر هذه المادة) : وزير عدن ووالبها ، وقد أقامه والياً على عدن الأمير سبأ بن أبى السعود الزريعى أيام قتاله مع ابن عمه وشريكه فى ولاية عدن على بن أبى الغَرّات المسعودى سنة ٥٣١ — ٥٣٢هـ (١١٣٦ — ١١٣٨م) ؛ وبوفاة سبأ سنة ٥٣٣هـ (١١٣٨ — ١١٣٩م) تولى ابنه الأعزّ ، وكان يغار أشد الغيرة من بلال ، فعقد العزم على العمل على قتله ، ولكنه توفى هو نفسه سنة ٥٣٤هـ (١١٣٩ — ١١٤٠م) قبل أن يبلغ غرضه هذا ، وكان لدى بلال وقت وفاته فجأة ولد أصغر لسبأ هو محمد استقدم من تعز حيث كان قد اختفى هرباً من كراهية أخيه ، فأقامه بلال على العرش فوق رؤوس أبناء الأعز الصغار ، وزوّجه ابنته ، وكوفئ بلال على ولائه فأقيم وزيرا للمدينة التى كانت قد توحدت وقتذاك ، وهو منصب ظل يتولاه حتى توفى سنة ٥٤٦ — ٥٤٧هـ (١١٥١ — ١١٥٣م) ؛ ولما تولى محمد بن سبأ العرش منح بلال ألقاب : الشيخ السعيد الموفّق السديد ، منحه إياها الخليفة الفاطمى الحافظ . ويقال إن بلالا جمع

ثروة طائلة وهو فى المنصب ،عادت كلها إلى الحاكم بعد وفاته . وأعقب بلالا فى منصب الوزارة ابناه حتى سقوط الأسرة الحاكمة بغزو الأيوبيين جنوبى جزيرة العرب سنة ٥٦٩هـ (١١٧٣م) :

المصادر :

(١) H. C. Kay : *Taman, its early mediaeval History* ، لندن سنة ١٨٩٢ ، الفهرس (٢) أبو مخرمة : تاريخ ثغر عدن فى O. Loefgren : *Arabische Texte zur Kenntnis der Stadt Aden* ، أبسالا سنة ١٩٣٦ — ١٩٥٠ ، جـ ٢ ، ص ٣٢ ، وفى مواضع أخرى (٣) الجندى : السلوك (مخطوط بباريس ، القسم العربى رقم ٢١٢٧ ، الإضافة ٧٦٧ ، الأوراق ١٨٥ب — ١٨٦ أ) (٤) الخزرجى : الكفاية (مخطوط بالمتحف البريطانى ، القسم الشرقى رقم ٢٤٢٥ ، ورقة رقم ٢١٤ أ) (٥) ابن المجاور : تاريخ المستبصر فى O. Loefgren : *Descriptio Arabiae Meridionalis* ، ليدن سنة ١٩٥١ — ١٩٥٤ ، ص ١٢٣ — ١٢٦ .

[C. L. Geddes كدس] خورشيد

« بلال بن رباح » : أول مؤذن ، وهو عبد من أصل حبشى ، مولاه من بنى جمح ابن عمرو ، وقد اجتذبت الدعوة النبوية فى أول عهدها بلالا فانضم إلى جماعة النبى الصغيرة ، واضطهده أعداء الرسول من أجل ذلك ، ولكنه ظل صادق الإسلام الأمر الذى حبب إلى أبى بكر شراءه وإعتاقه .

وهاجر بلال صحبة النبى إلى المدينة ، وسرعان ما رحب به سعد بن خيثمة ، ثم أقام فى بيت أبى بكر . وأصيب — شأن بقية أفراد هذا البيت — بالحمى التى كانت متفشية فى المدينة. ويقول ابن إسحاق إن محمداً آخى بينه وبين أبى رُوَيحة الخثعمى ، ولذلك ظهر اسمه فى الديوان مع أبى رويحة . وبلال واحد من العجم الخمسة الذين فرض لهم عمر أعطياتهم . وتذهب رواية أخرى إلى أن هذه المؤاخاة كانت بينه وبين عبيدة بن الحارث بن المطلب . وأدخل النبى الأذان بعد أن أبدى شيئاً من التردد (انظر مادة « أذان ») وجعل بلالا مؤذناً له . ونيط به أيضاً حمل « العَنَزَة » أمام النبى فى صلاة الجماعة أيام الأعياد الكبرى . وشهد بلال غزوات النبى ، ويقال إنه قتل أمية بن خلف فى غزوة بدر انتقاماً لنفسه مما لقيه على يديه من أذى فيما سبق . ولما فتح المسلمون مكة شرفه الله بالأذان من سقف الكعبة . وجاء فى روايات عدة أنه كان يقوم على المؤونة خلال الرحلات ، ويسميه ابن حجر خازن النبى .

وأخذ بلال يتحرق شوقاً إلى الاشتراك فى الجهاد بعد وفاة النبى ، فأجيب إلى طلبه فى عهد عمر ، وليس فى عهد أبى بكر كما ذهبت إلى ذلك إحدى الروايات . وشهد مع أبى عبيدة فتح الشام ، ويقال إنه طلب إليه أن يؤذن عندما زار عمر الشام بعد الفتح ، فأذن بين زفرات جميع الحاضرين .

وتوفى بلال بدمشق عام ٢٠هـ (٦٤١م) وقد أشرف على الستين ، وتقول روايات أخرى إنه توفى عام ٢١ أو٢٨هـ ودفن فى هذه المدينة أوفى «داريّا» المجاورة لها ، وفى أقوال أخرى أنه دفن بحلب . ووصف بلال بأنه كان نحيفاً طوالا خفيف العارضين ، أسود اللون ضامر الوجه ، قد وخط المشيب شعره الكثيف .

المصادر :

(١) ابن هشام : طبعة فستنفلد ، ص ٢٠٥ ، ٣٤٥ – ٣٤٧ ، ٤١٤ ، ٤٤٨ (٢) الواقدى : ترجمة ڤلهاوزن،ص ٤٠١ وما بعدها (٣) الطبرى : طبعة دى غويه ، جـ ١ ، ص ١٣٢٦ ، ٢٥٢٥ ، ٢٥٩٤ (٣) البلاذرى ، طبعة دى غويه ، ص ١١ ، ص ٤٤٥ (٤) ابن سعد ، طبعة سخاو ، جـ ٣ ، قسم ١ ، ص ١٦٥ – ١٧٠ (٥) ابن حجر : الإصابة ، جـ ١ ص ٣٣٦ وما بعدها (٦) النووى : تهذيب الأسماء، طبعة فستنفلد ، ص ١٧٦ – ١٧٨ ؛

[بول Fr. Buhl]

+ « بلاوات » : (انظر مادة « بلاباذ »)

« بُلاى » : (١) وتعرف عند الفرنجة باسم « بولى» Poley وهو الاسم القديم لحصن فى جنوبى الأندلس، وتقوم على أطلالها الآن بلدة أ گويلارده لافرونتيرا Aguilar de la Frontera ؛ وهى قرية صغيرة من أعمال قرطبة على ٢٠ كيلو متراً (١٢ ميلا) إلى الشمال الغربى من مدينتى قَبْرَة وأَلِيشانة (٢) Cabra &Lucena ، وكان عدد سكانها ١٣٠٠٠ نسمة ؛ ودوزى هو الذى قال إن بلاى هى بذاتها أگويلار ، وقد استند فى ذلك إلى وثيقة يرجع تاريخها إلى سنة ١٢٥٨م ، وكان لحصن بلاى شأن كبير فى الفتنة التى قام بها عمر بن حفصون (انظر هذه المادة) فى وجه أمراء قرطبة من بنى أمية ؛ وقد ذكر الجغرافى الإدريسى هذا الحصن فى القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) ؛ والواقع أننا لا نزال نشاهد حتى اليوم أطلال حصن هناك يرجع إلى العهد الإسلامى ؛

المصادر :

(١) الإدريسى : نزهة المشتاق ، طبعة وترجمة دوزى وده غويه بعنوان Description de l'Espagne النص ص ٢٠٥ ، والترجمة ص ٢٥٣ (٢) ابن حيّان : المقتبس ، مخطوط بمكتبة بودليانا فى مواضع مختلفة (٣) Dozy: Histoire des Musulmans d'Espagne الطبعة الحديثة ، ليدن سنة ١٩٣٢ ، جـ ٢، ص ٦٢ وما بعدها (٤) Dozy : Recherches ، جـ ١ ، ص ٣٠٧ ؛

[ليڤى پروڤنسال E. Lévi-Provençal]

---

(١) بلاى وعند الافرنج Poley كما ذكر كاتب المادة هى عند العرب « حصن بلاى » وقد أسميت فيما بعد « اكويلار دى لافرونتير » والمسافة بينها وبين قرطبة ٢٠ ميلا كما أشار الادريسى اليه فى ترجمته . وهذا الحصن وحصن منترك يضم فسكون فضم كان يسكنهما البربر فى أيام الأمويين .

(٢) قبرة بالقاف حصن قال الادريسى عنه « ان بينه وقرطبة ٤٠ ميلا - وأنه من اقليم الكتبانية – بحسب التقسيم الجغرافى العربى القديم – الذى من مدنه قرطبة والزهراء واستجة واليشانة - أما اليشانة فبينها وقرطبة ٤٠ ميلا كمدينة قبرة سواء وهى الى هذه بين الجنوب والغرب » وذكر الادريسى : « انها كانت مدينة اليهود » .

+ « بِلْباس » : حلف يقول إدمونلز (C.J. Edmonds، ص ٢٢٠—٢٢٢) إنه مكون من خمس قبائل : مَنْـكور » ومامِش (سمعتهم ينطقونها أقرب إلى ما مَش) ، وپيران ، وسِنّ ، ورامك : ومنكور الجبال قبيلة مهمة تعيش فى بلاد فارس على جانبى « لاوين» (المشارف العليا للزاب الأصغر فى بلاد فارس) ومنكور السهل تعيش فى العراق وهم هناك فرعان : منكوروزودى ومنكور أُرُتا (أى منكور العريانة) . ويعترف منكور السهل بسلطان الأسرة الكبرى لمنكور الجبال ، ويعين شيخها كل عام شخصاً أوشخصين (ليسا من أسرته) ليحكما الفروع فى السهل . أما المامش فقبيلة هامة أخرى تعيش فى بلاد فارس شرق اللاوين وإلى الشمال من منكور . ولها أيضاً فرع فى العراق هو المامش رِشْكا (المامش السوداء). وللپيران أيضاً فرع جبلى فى بلاد فارس إلى الشمال من منكور غربى اللاوين » وفرع فى العراق ؛ وأما السِنّ والرامك الذين أبلوا بلاء حسناً من قبل بين فرسان نادرشاه (المصدر المذكور ، ص ١٤٥) فقد طردوا بعد من شهرزور (المصدر المذكور ، ص ١٤٢ — ١٤٣) طردهم سليم بابان (سنة ١٧٤٣ — ١٧٥٧م) » وولى مجدهم القديم وأصبحوا الآن يشغلون خمس قرى تعسة فى بِتوين بالقرب من الزاب. وينقسم الرامك إلى بطنين هما كچل وكلهوسپى (الصلع وأصحاب القلنسوات البيض) والقِنى ويسى . ويعد فى زمرة البلباس أحيانا الأوجاق الذين يعيشون أعلى منكور رودى، فى ثمان قرى على الحدود: ويعدمينورسكى Minorsky أحياناً أوجاق كاخضرى فى زمرة البلباس ، ولكن لايدخل فيهم السن والرامك (انظر م. ا. زكى : الخلاصة ، ص ٣٩١ ، ٤٠٧ » ٤٤٧ فيا يختص ببطون قبائل البلباس) . ونجد معلومات أوفى من ذلك عند ڤاجنر (Wagner ، حـ ٢ ، ص ١١٦ ، ٢٢٨) الذى سبق أن زار (سنة ١٨٥٢) بلباس ، ولكنه يرجع أساساً إلى نيبور (Niebuhr ، سنة ١٧٦٦) وريش (Rich » سنة ١٨٣٦ — ١٨٣٧) وكرپورتر (Ker Porter، سنة ١٨٢٢) ، وهو يبين أنه إذا قامت مناقشة فى شؤون القبيلة » تمتع كل فرد فيها بحق مساو للآخر فى التصويت والنقض، ودية الرجل المقتول ٢٢ ثورا . والزنا يعاقب عليه بالموت ، ولا يسمح للفتيات قط بالزواج برجل من قبيلة أخرى . ولكن آثار الزواج من الأقارب تتناقص بالمزاولة المنتظمة للعزل . ويوجه إدمونلز الالتفات إلى شخصية فتيات البلباس التى تتسم بالحب والخيال ولكنه يبرز الخطر الحقيقى للعزل (ص ٢٢٥) . وشيوخ البلباس يحملون الاسم مَزِن (أى العظيم) وينطقها ڤاجنر مُزَن . والوراثة تنتقل لابن الشيخ أو أخيه الذى يعترف له بأنه أشجع الشجعان .

المصادر :

(١) Rawlinson : *Notes on a Journey* ، فى *JRGS.* (٢) Wagner : *Reise nach Persien u. dem Lande der Kurden* ، ليبسك سنة ١٨٥٢ (٣) P. Lerch : *Forschungen ueber die Kurden, und iranische Nordchaldaeer* ، سانت بطرسبرغ ،

سنة ١٨٥٧ — ١٨٥٨ ، جـ ١ ، ص ٩٤ — ٩٥. (٤) م. ا. زكي: خلاصة تاريخ الكرد وكردستان، بغداد سنة ١٩٣٧ (٥) C.J.Edmunds: *Kurds, Turks, Arabs* ، أوكسفورد سنة ١٩٥٧ (٦) B. Nikitine : *Les Kurdes* ، باريس سنة ١٩٥٦ الفهرس ؛

خورشيد [نيكتين B. Nikitine]

«بُلْبُل» كلمة فارسية وتركية: للبلبل شأن كبير في الشعر التركي والفارسي ، ويقرن عادة بالورد . وقد تمثل في خاطر المشارقة أنه مستهام بالورد ، ولذلك فهو يتغنى بحبه في أساليب متعددة ومن ثم لقب ، «هزار داستان» . غير أن الورد لم يلق باله إليه . وهم يتصورونه تصوراً صوفياً فيقولون إنه يمثل النفس الإنسانية التي فنيت في حب الله [Ethé في *Grundriss der Iranischen Philologie* ، جـ ٢ ، ص ٢٥٠ ، ١ ؛ Gibb : *History of Ottoman Poetry* ، ٣ ، ص ١١٠ وما بعدها)

+ بلبل: الطائر المغرد المعروف، وللبلبل مكانة كبيرة في الآداب الشرقية وخاصة الأدبين الفارسي والتركي ، وخصائص هذا الطائر هي صوته الجميل وتغريده الرخيم المطرب . وهو ينوح في موسم الورد الليل بطوله . وينعش وقت السحر بغنائه . والبلبل عاشق للورد ، وهذا العشق هو أهم خصائصه، أما خصائصه الأخرى فتدور حول ذلك .

ويتحدث الأدب الفارسي عن البلبل بحسب نزعة الشعراء ، فعند بعضهم يتغنى البلبل بالحب المجازي الخالي من الغرض ، وعند بعضهم الآخر يتغنى بالحب المجازي الذي هو مرحلة في طريق الحب الحقيقي . وإذا شئنا أن نفهم معنى هذا التغني فيما كتب الصوفية ، وجب علينا أن نرجع إلى قصيدة «منطق الطير» التي نظمها سنة ٥٨٣هـ (١١٨٧— ١١٨٨ م) واحد من أهم الكتاب الصوفية في الأدب الفارسي ، وهو فريد الدين العطار المتوفى سنة ٦٢٧هـ (١٢٣٠م) . والخصيصة الأولى للبلبل في هذه القصيدة هي أنه سكران منتشٍ لأن يفقد وجوده المادي لأن حبه للورد حب كامل (انظر Garcin de Tassy : *Le language des oiseaux*)

ويصور الشاعر الفارسي خواجه كرماني (٦٧٩ — ٧٥٢هـ = ١٢٨٠—١٣٥١م) في قصيدته «روضة الأنوار» طائر المرج [مُرْغ چمن] فإنه طائر ابتلى بالهوى والرغبة يغرد بالليل ويطرد النوم من الأجفان ، ثم يشبه البلبل والوردة بالمحبين الأسطوريين وامق وعذرا . وفي «قطعة» لسعدي الشيرازي المتوفى سنة ٦٩٠ أو ٦٩١هـ (١٢٩١ — ١٢٩٢) والذي جرى في كثير من أشعاره ، وخاصة في الغزليات، على التحدث عن البلبل، تناول الشاعر الفراشة قائلا إنها المحب الحق. وقد كشف حزين لاهجي المتوفى سنة ١١٨٠هـ (١٧٦٦م) عن التباين بين البلبل والفراشة قائلا : «إن البلبل يشكو لأنه إنما عرف الحب وشيكاً، ونحن لم نسمع قط صوتاً ينبعث من الفراشة». ولمولانا رومي برزي أيضاً أثر («تذكره» شاه محمد قزويني) يشمل مناقشات بين البلبل والوردة، والشمعة والفراشة ؛

وكذلك واجه الشاعر الفارسي زمان يزدي موضوع البلبل والفراشة .

ويرتفع حافظ المتوفى سنة ٧٩١هـ (١٣٨٩م) بالبلبل بعض الارتفاع إلى مرتبة الحب الحقيقي في بيته الذي يقول فيه : «حطّ البلبل على غصن شجرة السرو الليلة الماضية» وراح يشدو بما حفظ من مقامات الحب الروحي مقرونة بصيحة الحرب البهلوية». وهناك شاعر آخر من محيط محمود الغزنوي، هو فرّوخي سيستاني المتوفى سنة ٤٧٠هـ (١٠٧٧م) يتخيل أيضاً أن البلبل حط على غصن شجرة سرو وراح يشدو: «البلابل خطباء يتلون خطبهم على الأشجار» و«هاهوذا البلبل يتلو التوراة على شجر السرو» .

وقد عمد منوچهري المتوفى بعد عام ٤٢٣هـ (١٠٤١م) في إحدى قصائده إلى إسباغ مدلول ديني على تغريدة البلبل فقال : «لقد راح البلبل يؤدي الصلاة على غصن شجرة الورد» . وقال أنوري المتوفى بعد عام ٥٨٠هـ (١١٨٤م) إن الفصاحة من خصائص البلبل : «لقد أحس البلبل بعبير الربيع فغدا فصيحاً، ودخلت الوردة الحديقة فأصبحت نضيرة» .

أما الشاعر الفارسي الصوفي محمد شيرين مغربي المتوفى سنة ٨٠٩هـ (١٠٤٦م) فهو يشبّه الروح بالبلبل وقع في قفص الجسد . وقفص الجسد هنا هو الروح وقعت من عالم الوحدة إلى عالم المادة . وثمة شاعر صوفي آخر هو كمال خجندي المتوفى سنة ٨٠٣هـ (١٤٠٠م) يبرز خصيصة أخرى للبلبل في البيت الذي قاله : «كمال لا يشدو بالغزليات إلا إذا وقع في حب وجنات الورد. والبلبل لا يغرد إذا أدركه الصحو»، ويقرن سعدي أيضاً في غزلية من غزلياته بين الربيع والبلبل: «ازدهرت الأشجار وسكر الورد، وعاد العالم شاباً ، وغاب المحبون في غمرة السرور والمرح». وهو يرى أن البلبل هو أساساً رسول الربيع . أما نذير الشؤم فهي البومة . ويوضح هلالي چغتاي أيضاً (توفي سنة ٩٣٩هـ = ١٥٣٢م) هذا التباين في البيت الذي نظمه : «يعشش البلبل في الحديقة والبومة في الخرائب، وكل يبني داره بحسب رغباته». ومن المناسب في هذا الشأن ، أن نذكر المثل : «لا يخرج من فراخ البلبل السبعة إلا بلبل واحد» (دهخدا : أمثال وحكم) .

وقد وافى البلبل الشعراء الذين ينظمون على «الأسلوب الهندي» بتصورات ألطف وأرهف . وفي هذا الأدب الذي يصطبغ بالصبغة الصوفية يحتل البلبل مكاناً بين الحب المجازي والحب الحقيقي . وهكذا يتغنى الشاعر شوكت بخاري من أعيان القرن السابع عشر بالبلبل في غزلية من غزلياته فيقول : «حتّام يبقى هذا المحبوب عاجزاً عن معرفة المحبين الذين وقعوا في أسره ؟ وكلما انتاب الحزنُ البلبلَ وسكب دموعه فإن عشه يصبح شبيهاً بسلة من الورود . إن غصن شجرة الورد هي المتكأ الذي يريح عليه البلبل رأسه المصدوع» .

وقد دخلت في الأدب فكرة أن البلبل يصاد ويحبس في قفص لجمال صوته ، وهكذا

نجد فى بيت لبكدلى « ١١٣٤-١١٩ هـ = ١٧٢٢ - ١٧٨١م) : « إنه يؤسر لنواحه ويحرم من حريته » .

ونجد البلبل مذكوراً فى أقدم النصوص التركية الأدبية ، وهو يعرف فى اللهجات التركية على اختلافها بما يأتى : فى قوتادغوبيليك : « سانواچ » و « سنواچ » و « ساندبواچ » ؛ وفى اللهجات الأخرى « ساديگاچ »(كج فى قز .) و « ساندیكاچ (فى تل .) و « ساندواچ »(فى رب) ؛ و « ساندبلاچ » (ش . س .) ويذكر شيخ سليمان چغتاى فى معجمه هذا الطائر بأنه يشبه البلبل ويقول إنه الكناريا . أما بيت الشعر الوارد فى « قوتادغوبيليك » (١٠٦٩هـ = ١٠٧٠م) والذى يقول : « يشدو البلبل فى حديقة الزهور بآلاف الأصوات [هزارداستان] كأنما هو يتلو المزامير ليل نهار » (حـ ٥ ، ص ٧٨) فإنه يذكر المرء بصيحة الحرب الفهلوية وبالتوراة على غرار ما نجده تماماً فى الأدب الفارسى .

وبدخولنا العصر الإسلامى فقد الأدب التركى بمرور الزمن كلمة « ساندبواچ » واستعمل مكانها الكلمات « عندليب » و « هزار » (فى الأدب الفصيح) و « بلبل » (فى الأدب الفصيح والأدب الشعبى) . وفى الأدب الشعبى أن البلبل عاشق الوردة ، وهو غريب ، يغرد وقت الربيع ليلا ووقت السحر (قرجه أوغلان) . وفى الأدبين الفصيح والشعبى أن البلبل فى القفص كالروح فى الجسم . وخصائص البلبل فى أدب « الدواوين » التركى نجدها فى المثنوى « الوردة والبلبل » الذى نظمه فضلى مصطفى بن السلطان سليمان سنة ٩٦٠هـ (١٥٥٣م) . وقد جاء فى هذا المثنوى أن « البلبل درويش مصدوع القلب مبلبل طبيعته الحب . صوته بديع ، وسبله نقية ساحرة . وهو ذكى الفؤاد معاقر للشراب ، الحب هو مرتاده . وقد صقل الحب مرآة قلبه . ولباسه عباءة درويش من اللباد (نمد) حتى لاتصدأ المرآة المكنونة فى اللباد » . ويتحد البلبل والوردة بعد عدة مغامرات . وفى هذا المثنوى يستخدم فضلى البلبل للتعبير عن فكرة صوفية خالصة . وفى هذا التناول الرمزى للموضوع يكون البلبل هو القلب والوردة هى الروح .

وحين نصل إلى أدب الدواوين فى القرن السابع عشر نجد أن البلبل محب حرقته نيران الحب . وهذا متضمن فى التصور الشعرى بأن الوردة تشبه النار فى لونها وهى تشعل النيران فى البلبل وتحرقه حتى يصبح رماداً ، والبلبل هو لون الرماد . وهناك جناس بين « گل » بمعنى وردة ، و « كل » بمعنى رماد . وتجرد المحب من وجوده المادى (بلبل رماده) هى فكرة انتقلت من الصوفية . ومن ثم فإن تشبيه البلبل بالرماد قد رسخ حتى أن كلمة « خاكستر » بمعنى رماد قد أصبحت تدل على البلبل .

أما القصيدتان الغزليتان من « الرديف » « بلبل » لنائلى المتوفى سنة ١٦٣٤ ، ونشاطى المتوفى سنة ١٦٧٤ فهما من خرائد الأدب فى ذلك العصر ، وهما تجنحان إلى الأسلوب الهندى . ويكشف البيت الأخير من غزلية نائلى الصلات الصوفية للبلبل والوردة .

وفى القرن الثانى عشر الهجرى (الثامن عشر الميلادى) يذكر نديم المتوفى سنة ١١٤٣هـ (١٧٣٠م) هذا الطائر فى عدد من قصائده ، وفى قصيدة فى الغزل من «الرديف» نفسه يقول: «لاتحسبن أن عش البلبل ملىء بدموع من الدم ، وإنما هذا العش هو دواة من الحبر الأحمر مهيأة لتسجيل أسرار الأشواق ، ولا تتصورون أن حامل كأس الربيع يصب الندى على الوردة ، فهو يملأ كأس البلابل بالعرق » .

ولم يطرأ أى تطور للبلبل بعد التنظيمات عند شعراء أنجمن الذين قلدوا الأدب القديم ، وقد نهج أحد هؤلاء نهج مغربى بين شعراء الفرس ، وهو هرسكلى عارف حكمت (١٨٣٩ — ١٩٠٣) وذلك فى قصيدة له عنوانها «حسب حال» فتناول البلبل من ناحية صوفية بحت ، أما قصيدة رجائى زاده من «رديف» بلبل فتحمل بعض الأمارات السطحية لمزاجه السوداوى وموهبته الشعرية الضئيلة . وأما عبد الحق حامد (انظر هذه المادة) فى معارضته (نظيره) لهرسكلى «حسب حال» وفى قصيدته التمشى فى حديقة هايدپارك ، فقد أبدع أفكاراً جديدة مناسبة لعصره فيما يختص بالبلبل ، فى مطلعها يقول: «فى الصباح يتلو الأذان ، وعشه فى الظلام رمز مجيد للوطنية ، وأناشيده قد أصبحت نموذجاً لقصائد الحب ، وقالب تعبيره جديد جدة الأدب الحديث (تجدد أدبياتى) ، إنه شاعر الله ، وقصائده (أى البلبل) تقرأ من صفحة الطبيعة» (نظيره حسب حال) .

خورشيد [على نهاد تارلان Ali Nihat Tarlan]

« بَلْبَن » غياث الدين ألغ خان: وزير ناصر الدين محمود سلطان دهلى (١٢٤٦ — ١٢٦٥) وخليفته من بعد .

كان ناصر الدين رجلا هادىء الطبع محباً للدرس ، ولذلك فقد ترك زمام الحكم خلال الشطر الأكبر من عهده فى يد ألغ خان الذى كان زوج أخته وحماه فى نفس الوقت ، وكان من أثر نشاطه فى القيام بأمور الدولة أن امتد حكم المسلمين فى شمالى الهند وتوحد .

وولى غياث الدين العرش عام ١٢٦٥ فجمع بين الحزم والتنور ، وقد نجح بصفة خاصة فى صد غزوات المغول عن بلاده ، وكان بلاطه ملجأ رجال الأدب ورجال الحكم المنفيين ، ومن بينهم الشاعر أمير خسرو ، وفى عام ١٢٨٥ قُتل ابنه البكر فى الوقعة التى حدثت بينه وبين المغول فعاش هذا السلطان المسن — الذى يقال إنه أربى على الثمانين — حزيناً كسير الفؤاد، وتوفى فى السنة التالية تاركاً العرش لحفيده كيقباذ ، وكان حدثا لم يتجاوز السابعة عشرة أو الثامنة عشرة من عمره (وانظر مادة «دهلى» «سلطنة») .

المصادر :

(١) ضياء الدين البرنى: تاريخ فيروز شاهى، المكتبة الهندية، ص٢٥—١٢٦ (٢) Elliot-Dowson: *History of India*، ج ٣ ، ص ٢٧ — ١٢٥ .

[أرنولد Arnold]

« بِلْبِيسَ » : مدينة بمصر السفلى إلى الشمال الشرقى من القاهرة على حدود الصحراء ، ويرد اسم بلبيس فى صيغ مختلفة : بَلْبِيس وبُلْبيس وبِلْبَيْس ، وهى مأخوذة من الكلمة القبطية فلبيس Phelbes ؛ وكان لهذه المدينة بعض الشأن أيام الفتح العربى لأنها كانت محطة على الطريق بين الشام والقاهرة ؛ وتجعل الروايات لهذه المدينة صلة بإحدى بنات المقوقس ، واستقرت قبائل العرب بانتظام فى جوارها لأول مرة عام ١٠٩هـ (٧٢٧م)؛ وذكرت ثانية عام ٣٨٦هـ (٩٩٦م) فقيل إنها المكان الذى توفى فيه الخليفة العزيز الفاطمى ؛ وكانت فى أواخر العهد الفاطمى مركزاً حربياً هاماً لعمورى ملك أورشليم ، وكان هذا شأنها أيضاً فى حروب الأيوبيين .

ومع أن هذه المدينة ظلت مزدهرة أمداً طويلا ، وكان بها بيمارستان ومساجد وأسواق وحمامات، كما كانت قصبة مديرية الشرقية، إلا أنها اضمحلت كثيراً فى بداية العصر الحديث ؛ وهى بلدة صغيرة ومركز ناحية ؛ وبلغ عدد سكانها ٩٨٧٣ نسمة، أو ١١٢٦٧ إذا أدخلنا فى حسابنا عدد سكان العشرين قرية التابعة لها .

أما ناحية بلبيس بأسرها ، ولاتزال إلى اليوم جزءاً من مديرية الشرقية ، فيبلغ عدد سكانها ١٢٢٧٣٦ .

المصادر :

(١) القلقشندى ، ترجمة فستنفلد ، ص ١١٠ (٢) ياقوت : المعجم ، جـ ١ ، ص ٧١٢ (٣) ابن دقماق : كتاب الانتصار ، جـ ٥ ، ص ٥١ (٤) المقريزى : الخطط ، جـ ١ ، ص ١٨٣ (٥) على مبارك : الخطط الجديدة ، جـ ٩ ، ص ٧٠ (٦) Boinet Bey : *Dictionnaire Géographique* ، ص ١١٦ (٧) Quatremère : *Description de l'Egypte* ، ص ٣٣٣ (٨) C. H. Becker : *Beitraege zur Geschichte Aegyptens* ، جـ ٢، ص١٢٦ وما بعدها .

[بيكر C.H. Becker]

+ بِلْبَيْس : بلدة بمصر كانت — لها بفضل موقعها — أهمية كبيرة فى القرون الوسطى، واسمها مشتق من القبطية «فلبيس» ورسمها الكتاب العرب الذين انتابهم الشك فى هجائها : بُلْبَيْس وبِلْبِيس .

وتقوم بلبيس على طريق الغزو الطبيعى، ولذلك كان مصير هذه البلدة دائماً أن تلقى حصار الجيوش القادمة لغزو مصر، فكان أول ماحدث ذلك سنة ١٩هـ (٦٤٠م) على يد العرب الذين توقفوا فيها شهراً، وكان ثانى ما حدث أيام الحروب الصليبية على يد أملريك أثناء المعارك بين الأمراء الأيوبيين ، ولذلك جرت الحال بأن يحتفظ بتحصيناتها فى حالة جيدة .

وقد كانت بلبيس على هذا النحو نفسه أول محطة فى طريق الجنود المغادرة لقصبة البلاد إلى فلسطين، وكانت الجيوش تعسكر هناك فى كثير من الأحوال ، ويسميها الدمشقى باب الشام ، والحق إنه حدثت فيها إبان التجهيزات الضخمة ضد البوزنطيين أن دهم المرض الخليفة الفاطمى العزيز

ثم أدركته المنية هناك ، وبويع ولده الحاكم بالخلافة فى هذه البلدة نفسها .

وجرت الحال بأن تكون بلبيس على طريق حملة البريد وقاعدة للحمام الزاجل ، وكانت إلى عهد حديث حاضرة مديرية الشرقية ، ولكن الزقازيق حلت محلها فى القرن التاسع عشر .

وفى سنة ١٠٩هـ (٧٢٧م) أنزل المدير المالى لمصر قبيلة قيس فى إقليم بلبيس ، وكان عدد هذه القبيلة ٣٠٠٠ شخص ، وقد ساعدوا على نقل التجارة إذ عملوا أبّالة وشكلوا كتيبة يمكن تعبئتها ، ووقع الاختيار على بلبيس لأن البلدة كانت قليلة السكان ، فلم يضار سكانها القائمون ولم تكن الضرائب المجبية خليقة بأن تتناقص .

المصادر :

(١) ابن عبد الحكم ، ص ٢٩ (٢) الكندى : ص ٨ ، ٧٦ — ٧٧ ، ٩٤ ، ١٠٤ ، ١٨٠ (٣) ابن حوقل ، حـ ١ ، ص ١٤٤ (٤) المقدسى ، ص ٢١٤ ، (٥) ابن ميسّر ، ص ٤٨ ، ٥٢ (فى *Jour. As.* سنة ١٩٢١ ، ص ١١ ، ١٠٤) (٦) القلقشندى ، حـ ٤ ، ص ٢٧ ؛ حـ ١٤ ، ص ٣٩٢ ، ٣٩٦ (٧) Gaudefroy-Demombynes : *La Syrie* ، ص ٢٥٥ — ٢٥٦ (٨) Bjoerkman : *Gesch. der Staatskanzlei* ، ص ١٠٠ (٩) المقريزى ، طبعة ڤيت Wiet ، حـ ٣ ، ١٨٨ ، ٢٢٤ — ٢٢٦ ؛ حـ ٤ ، ص ٣٣ ، تعليق ١ ، ص ٨٥ (١٠) عمارة اليمنى ، حـ ٢ ، القسم الفرنسى ، ص ١٣٣ (١١) *Précis d'Histoire d'Egypte* ، حـ ٢ ، ص ٨٣ ، ١٠٩ ، ١٣٠ ، ١٣٧ ، ١٩٦ (١٢) *Histoire de la Nation Egyptienne* ، حـ ٤ ، ص ٤ ، ٥٧ ، ١٧١ ، ١٩٥ ، ٢٩١ ، ٣٥٩ (١٣) وهناك مصادر وافية جداً فى Maspero & Wiet : *Matériaux pour servir à la Géographie de l'Egypte* ، ص ٤٥ — ٤٧ .

[ڤيت G. Wiet خورشيد]

« بَلْتِسْتَان » أو التبّت الصغيرة : منطقة جبلية على الحدود الشمالية الغربية للهند ، وهى تابعة لولاية كشمير الوطنية ؛ ولا نعرف مساحتها ولا عدد سكانها ، وبها جبال من أكثر جبال العالم ارتفاعاً ، وثلاجات من أعظمها حجماً . وفيها جزء من مجرى السند الأعلى ، وتقوم عليه حاضرتها « سكاردو » . وقد اعتنق أهلها الإسلام منذ عهد طويل ، وهم على مذهب الشيعة مع أنهم من الجنس التبّتى ، ولغتهم لغة أهل التبّت . ويُعرف أمراؤهم الذين يتوارثون الإمارة بالراجاوات أو « الگيالپو Gialpos » ويصلون نسبهم بـ « على شير » الذى غزا « لَدَاخ » وأسس مدينة سكاردو حوالى نهاية القرن السادس عشر . وخضعت بلتستان لكشمير عام ١٨٤٠ م . ويهاجر أهلها سعياً وراء العمل حتى سهول الهند لاكتظاظ أرضها بالسكان ، إذ يقال إن متوسط سكان الميل المربع من الأرض المزروعة ١٤٦٧ من الأنفس .

المصادر :

(١) A.H. Francke : *History of Western Tibet* ، ١٩٠٧ م (٢) *Kashmir Gazetteer* ، كلكتة سنة ١٩٠٩ م .

[كوتون J. S. Cotton]

+ بلتستان ، ويعرفها الكتاب المسلمون باسم « تبت خرد » أى التبت الصغيرة ، وتقع على خطى عرض ٣٤° و ٣٦° شمالا ، وخطى طول ٧٥° و٧٧° شرقاً ، بين گلگت ولداخ ، وتمتد نحو ١٥٠ ميلا على ضفتى نهر السند وتشغل مساحة قدرها ٨,٥٢٢ ميلا مربعاً . وبلتستان بلاد جبلية فيها قنن من أعلى قنن العالم مثل گودوين أوستن Godwin Austen وارتفاعها ٢٨,٢٥٠ قدماً، وقد ارتقيت سنة ١٩٥٣ ؛ وگاشربروم Gasherbrum وارتفاعها ٢٦,٤٧٠ قدماً ، وقد ارتقيت سنة ١٩٥٨ ؛ . « هراموش » Haramosh ، وارتفاعها ٢٤,٠٠٠ قدم : وقصبة بلتستان هى سكاردو . وقد أنيرت بالكهرباء سنة ١٩٥١ . ولها مدرج للطائرات ومستشفى حديث وعدد من المدارس .

وقد اعتنق البلتيس الإسلام فى القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) بعضهم على يد سيد على همدانى السرى نگرى (كشمير) وبعضهم على يد خليفته سيد محمد نور بخش ، وهم مزواجون على مذهب أهل الشيعة ، أما جيرانهم « الهُنْزا » فمن أتباع أغا خان . واللغة التى يتحدث بها البلتيس خليط من اللداخى والتبتية وفيها أشتات من الكلمات العربية والفارسية مما يدل على أثر الإسلام فيهم .

ويعرف حكام بلتستان الأقدمون بالراجوات أو الگيالپو ، وأشهرهم على شير خان الذى ظهر فى القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) وهو الذى شيد أيضاً سكاردو ، ولا تزال حملاته فى الأقطار المجاورة موضوع كثير من الأغانى الشعبية الوطنية : وفى صدر القرن الحادى عشر الهجرى (السابع عشر الميلادى) غزا گيالپو آخر هو على مير رئيس سكاردو موطن البلتيس وفتحه : وفقد آخر الگيالپو أحمد شاه استقلاله على يد القائد الدُگرَوى زوراور سنغ سنة ١٨٤٠ ، حين ضمت بلتستان إلى ولاية كشمير التى كان يحكمها وقتذاك گُلاب سنغ ؛ وخضعت لسلطان الإنكليز سنة ١٨٤٦ بمقتضى معاهدة أمرتسر حين وُلّى أمرها وزير وزارة لداخ .

وفى فبراير سنة ١٩٤٨ أبى أهل بلتستان سيادة مهاراجا كشمير والتمسوا من حكومة الپاكستان أن تشرف على المنطقة . ومن وقتها أدار شئونها المستشار الأكبر لكشمير وبلتستان . وقد حققت بلتستان تقدماً عاماً وأصبحت المنطقة كلها أو تكاد تغطيها الآن شبكة من الطرق الصغيرة ، وربطت سكاردو براولپندى بالطائرات ، واستحدث البريد الجوى بين بلتستان وپاكستان . وتحقق [illegible] أيضاً مرافق تعليمية وطبية ناهضة وغيرها من التسهيلات التى نهضت بالمستوى المعيشى لأهلها . واعتمدت أيضاً مبالغ كبيرة للنهوض الاقتصادى بالمنطقة وخاصة إنشاء الطرق .

المصادر .

(١) Imp. Gaz. of India (طبعة جديدة) . جـ ٦ ، ص ٢٦١ — ٢٦٥ (٢) C.Arora [illegible] : The Land of Ladakh, Kashmir [illegible] Gilgit

عليكره سنة ١٩٤٠ ، ص ١٩٤ — ٢١٨ ؛ (٣) Kashmir Gazetteer ، كلكتة سنة ١٩٠٩ . (٤) G.M.D. : Kashmir ، لاهور سنة ١٩٤٩ ، ج ١ ، ص ٢١٩ ؛ ج ٢ ، ص ٥٦٢ ، ٧٦٤، ٧٧٧ ؛ (٥) A.H. Francke : History of Western Tibet ، لندن سنة ١٩٠٧ ؛ (٦) I. Stephen : Horned Moon ، لندن سنة ١٩٥٣ ، ص ١٨٣—١٩٨ ، وفى مواضع مختلفة ؛ (٧) Bullen No. 9 of the Pakistan Society ، لندن ، يولية سنة ١٩٥٧ ، ص ٢١—٢٣ ، (٨) G. T. Vigne : Travel Kashmir Ladak, Iskardu ، لندن سنة ١٨٩٢ ؛

خورشيد [بزمى أنصارى A.S. Bazmee Ansari]

+ بِلِتُن ، أو بِلِيتُنگ : على الشاطئ الجنوبى الشرقى لسومطرة ، ومساحتها هى والمائة والخمسون جزيرة الصغيرة التى تجاورها ٨٨ ميلا مربعاً ، وتشبه بلتن جزيرة «بَنْكَه» تمام الشبه من حيث موقعها وتكوينها وارتفاع أرضها (تبلغ أقصى جهاتها ارتفاعاً ٥١٠ أمتار) وحيوانها ونباتها وعدد سكانها (٢٣٨ نسمة فى الميل المربع) ومنتجاتها (القصدير) وزراعتها وتجارتها ؛ و «تَنْجُنْگ پَنْدان» قصبة ولاية بِلتن المستقلة استقلالا ذاتياً يقيم فيها نائب الحاكم ؛

والسكان الأصليون الذين بلغ عددهم عام ١٩٠٥ م (٣٤,١٨١ نفساً) من الملايو المسلمين المشتغلين بالزراعة والسكان الوثنيين وعددهم ١٦٠٠ نسمة تقريباً ؛ ويشتغل بعضهم بصيد الأسماك ويعيشون فى قواربهم ويحتطب بعضهم الآخر فى الغابات ومنهم قبيلة سُكُو التى اعتنقت وحدها الإسلام وتحضرت ؛

ويعيش التجار الأجانب فى تنجنگ پندان التى يقرب عدد سكانها من ٣,٣٠٠ نسمة ، وهم من الصينيين والعرب ، كما يعيش فيها الموظفون الأوروبيون وعددهم ٤٦ فى حين يبلغون فى الجزيرة كلها ١٣٦ أوروبياً ؛

وكانت بِلِتُن قبل سنة ١٨٥٠م مأوى ضئيل الشأن للقرصان ؛ ولكن استغلال شركة بِلِتُن ماتشاپيج Billiton Maatschappij لمناجم القصدير القيمة منذ عام ١٨٦١ م والتى تستخدم ١٥٠٠ عامل صينى قد غيرت الأحوال الاقتصادية.

المصادر :

(١) Th. Posewitz : Die Zinninseln im Indischen Oceane ، بوداپشت سنة ١٨٨٥ . (٢) C. de Groot : Herinneringen aan Blitong ، لاهاى سنة ١٨٨٧ وبه بيان مستوف بالمصادر ؛ (٣) Koloniaal Verslag ، سنة ١٨٩١ (٤) Indische Gids سنة ١٨٨٣ و سنة ١٨٩٢ (٥) Tijdschrift v. h. Batav. Gen. v. Kunsten en Wetenschappen ، ج ١ ، ص ٩ ، ٢٤ ، ٢٦ ، ٣٤ .

[نيووِنهويس A.W. Nieuwenhuis]

+ بلتن Billiton وهى تحريف لبليتُنگ Belitung : جزيرة فى إندونيسيا على خط طول ١٠٨° تقريباً ، وخط عرض ٣° جنوباً ، ومساحتها

أكثر قليلا من ١٨٠٠ ميل مربع ، وترجع شهرتها إلى مناجم القصدير فيها ، والراجح أنها قد ذكرت فى الوثائق الإندونيسية التى ترجع إلى حوالى سنة ٩٠٠ م لهذا السبب . وقد اعتنق فريق من السكان الوطنيين البالغ عددهم أقل من ١٠٠,٠٠٠ نسمة الإسلام فى القرن التاسع عشر .

المصادر :

انظر المصادر المذكورة فى نهاية المادة الأولى .

خورشيد [برج C.C. Berg]

« بَلْج » بن بشر بن عياض القُشَيْرى : قائد عربى فيه شجاعة وغطرسة ، كان على رأس الفرسان الشآميين فى الجيش الذى سيّره الخليفة هشام بن عبد الملك عام ١٢٣ هـ (٧٤١ م) لقتال البربر بقيادة كلثوم بن عياض عم بَلْج . وما إن وصلوا إلى إفريقية فى رمضان عام ١٢٣ هـ (٢٠ يوليه — ١٨ أغسطس ٧٤١ م) حتى كره عرب إفريقية بلجاً وجنده الشآميين لفظاظتهم وقسوتهم وبخاصة الأنصار الذين كانوا قد فروا جماعات إلى الغرب عقب وقعة الحرّة عام ٦٣ هـ (٦٨٣ م) . واتحد الجيش الشآمى بالجيش العربى الإفريقى عند تلمسان فبلغ عددهم جميعاً ستين ألف مقاتل ، غير أن الجيشين كادا يشتبكان معاً بسبب فظاظة الشآميين ونشوب النزاع بين بلج وحبيب بن أبى عُبَيْدة قائد الأفارقة ، وتقهقر البربر حتى بلغوا نهر سِبُو فى المغرب الأقصى ، وقصدوا من وراء ذلك إلى إنهاك الجيش الفاتح ، وقبيل الاصطدام بالبربر عزل كلثوم حبيباً الذى كان على دراية بطرائق قتال البربر ، وكان بلج قد رفض نصيحته فى وقاحة، وولى مكانه شآميَّيْن فزاد هذا من حقد الأفارقة، وانتهى الأمر بانهزام العرب هزيمة منكرة عند بَقْدوره أو بَنْدورة على نهر سِبُو شمالى فاس (Fournel : *Les Berbers* ، ج ١ ، ص ٢٩٤ ، تعليق ١) . ويرجع سبب هذه الهزيمة إلى بلج ، فإنه إلى جانب فظاظته قد تهور فى التقدم ، فانفصل عن المشاة فى جيشه . وكانت هذه الوقعة فى ذى الحجة من عام ١٢٣ هـ (١٧ أكتوبر — ١٤ نوفمبر ٧٤١ م) وأخذ بلج فى سبعة آلاف فارس يشق طريقه مقاتلا إلى سبتة حيث تحمل حصار البربر أمداً ليس بالقصير ، حتى استدعاه عبد الملك بن قَطَن الأنصارى (انظر هذه المادة) أمير قرطبة هو ورجاله من جند الشام إلى الأندلس لينتفع بهم فى قتال البربر المنتقضين هناك . وقد أفنى بلج وعبد الملك هؤلاء البربر فى وقعة عظيمة بوادى سليط فوق طليطلة . وانتصر الشآميون على أنصار الأندلس فى الفتنة التى دبت بينهم بُعَيد ذلك وأقاموا بلجاً عاملا على الأندلس مكان عبد الملك الذى كان قد طُرِد من قرطبة وقُتل بعد ذلك ، غير أن بلجاً سقط بعد حكم قصير فى الوقعة التى نشبت بينه وبين عرب الأندلس ، قتله عبد الرحمن بن علقمة اللخمى أمير ربونة فى شوال من عام ١٢٤ هـ (٨ أغسطس — ٥ سبتمبر عام ٧٤٢ م) .

المصادر :

(١) ابن خلدون « جـ ١ » ص ١٣٧ وما بعدها « ١٥١ ؛ الترجمة الفرنسية جـ ١ ، ص ٢١٧ ، ٢٣٨ وما بعدها . (٢) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٤١ – ٤٣ ؛ جـ ٢ ، ص ٣٠ – ٣٢ . (٣) المقرى ، جـ ٢ ، ص ١١–١٣ (٤) ابن الأثير ، طبعة تورنبرغ ، انظر الفهرس . (٥) Dozy : Hist. des Musulmans d'Espagne ، جـ ١ ، ص ٢٤٤ – ٢٦٥ . (٦) Fournel : Les Berbers ، جـ ١ ، ص ٢٩١–٢٩٧ ، ٣٠٢–٣٠٦ . (٧) Mueller : Der Islam ، جـ ١ ، ص ٤٤٩ (٨) Mercier : l'Afrique septene ، جـ ١ ، سنة ١٨٨٨ ، ص ٢٣١–٢٣٢ ، ٢٣٤ – ٢٣٥ .

[شمتز M Schmitz]

+ « بل – حارث » : (انظر مادة « حارث ابن كعب ») .

« بَلْخ » : وهى بَكْتَرا Baktra عند اليونان ، وبالفارسية القديمة باخترش ، وكانت تطلق فى الواقع على الإقليم ، وفى الفهلوية باخل أو بهل . وتلقب بأميك أى المتلألىء ، وهى على الشاطىء الجنوبى لنهر جيحون على رافده دهاس الذى لا يتصل به الآن ، فى السهل الشمالى المنبسط لجبل بابا وعلى الطريق التجارى الهام الذى يصل الممرات الجبلية بنهر جيحون . وقد كانت بلخ القصبة السياسية لولاية خراسان القديمة ، ثم أصبحت المركز الثقافى والدينى لمملكة طخارستان ،

وتذهب الأساطير الإيرانية أن منشىء هذه المدينة هو « كى لُهْراسب » ، وتدل صيغة هذا الاسم ونعت صاحبه بالملك ، على أن هذه الأسطورة نشأت فى بكتريا فى العهد الكوشانى . وتصل الأسطورة أيضاً بين نشأة بلخ ونشأة الديانة الزرادشتية . ويذكرنا هذا بأن أهمية بلخ التاريخية ترجع إلى عهد الأكمينيين ، إذ كانت فى ذلك العهد مقر والى خراسان ، كما كانت تعد مدينة مقدسة . ومن المحتمل جداً أن تكون الرواية التى تنسب إعادة بناء بلخ إلى الإسكندر وتسميتها بالإسكندرية على شىء من الحقيقة من الوجهة التاريخية . وكانت بلخ مركزاً للحضارة الإغريقية بصفتها مقر ملوك بكتريا من الإغريق ، ولكنها فقدت أهميتها السياسية فى العهد التالى ، أى فى العصر الطخارى والكوشانى والهيطلى ، غير أنها ظلت العاصمة الفكرية والدينية ، وخاصة بعد انتشار البوذية أيام ملوك الكوشانيين ، ومن ثم لقبت بالمدينة الملكية الصغيرة (بالفارسية : « شاهواران ») . وظلت الزرادشتية جنباً إلى جنب مع البوذية إلى الفتح العربى ، كما كان مع هذين الدينين المانوية والمسيحية النسطورية .

ومع هذا فقد كانت البوذية هى الغالبة ، وكان الحجاج من جميع البلدان – ومن بينهم كثير من الصينيين – يقصدون إلى « نَوْبَهار » المعبد البوذى ، كما يدل على ذلك اسمه . ووصف العرب لهذا المعبد المشهور ، كقولهم إن به ثلثمائة وستين مقصورة حول قبة عالية ، فيه تهويل وإسراف من نسج

الجبال - كما جرت بذلك عادتهم - حتى إننا لا نستطيع أن نستخلص منه صورة واضحة للبناء . وكانت لبرمك سادن نوبهار المكانة العليا فى بلخ أيام الفتح العربى . وقد انحدر من هذه الأسرة الكهنوتية أسرة البرامكة الوزراء المشهورة (انظر هذه المادة) .

ويقال إنه فى تاريخ متقدم يرجع إلى عام ٣٢هـ (٢٥٣ م) تقدم صخر ، (أو الضحاك) بن قيس الأحنف (انظر مادة الأحنف) حتى وصل بلخ وشدد على المدينة حتى سلمت ، بيد أن هذه الغارات على الهندوكش كانت وقتية فيما يظهر ، وشاهد ذلك الفتن التى أعقبها . وتذكر التواريخ العربية أن قيس بن الهيثم استعاد بلخ عام ٤٢ هـ (٦٦٣ م) ودمر نوبهار . وقد أصبح من المحقق بفضل أبحاث ماركار G. Marquart (انظر كذلك كتابه *Wehrot und Arang* ، ص ٤١ وما بعدها) فى المصادر الصينية أن الغارات العربية تجددت عام ٦٦١ م فاقتضى ذلك زيادة القوة المدافعة . وتحولت الإمارة الطخارية بناء على رغبة الأهلين إلى ولايات صينية ، وأصبح أمراؤها ولاة من قبل الصين . وكان الأمر يقتضى أن تعاد الدولة الساسانية تحت إمرة فيروز بن يزدجرد بمساعدة الصينيين ، ولكن الحكومة الصينية لم تكن مستعدة للمعاونة الحربية فى هذا السبيل . فاستطاع العرب إخضاع الفتنة الأولى التى قام بها طرخان نيزك عام ٥١ هـ (٦٧١ م) . ومهما يكن من شىء فإن قتيبة بن مسلم قضى على هذه الاضطرابات عام ٩٠ هـ ووضع حداً للمحاولات التى قام بها هذا الزعيم فى سبيل الاستقلال . وحفزت حالة الاضطراب فى البلاد العربَ إلى أن يسووا بين البوذيين وأهل الكتاب حتى أنهم لم يعاملوا هؤلاء الكفار بالعنف الذى فرضته الشريعة الإسلامية . ويبدو لنا أن قتيبة كان أول من وطد الأمن فى تلك الربوع كما كان أول من أدخل أهلها فى الإسلام ، بيد أن دبيب الخلاف بين القبائل العربية وظهور الانقسامات الدينية بين المسلمين ، كانتا سبباً فى قيام اضطرابات جديدة . وفى عام ١٠٧ هـ (٧٢٦ م) أمر أسد القسرى (انظر هذه المادة) عامل خراسان دهقان برمك بإعادة بناء مدينة بلخ التى دمرتها الحروب ، ونقل مقر الحكم من مرو الروذ إليها . وبعث أبو مسلم الخراسانى حوالى عام ١٣٠ هـ أبا داود البكرى للدعوة للعباسيين فبدأ بإثارة الفتن فى طخارستان وبلخ . واستطاعت الأسر الوطنية فى الأقاليم التى على الحدود الشمالية الشرقية للدولة الإسلامية الاحتفاظَ بمكانتها وسلطانها على الرغم من الفتن الكثيرة . يدلنا على ذلك أنه فى منتصف القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) كان يحكم فى بلخ داود بن العباس من بيت خُطَّل (Marquart : *Eranshahr* ، ص ٣٠٠ وما بعدها) وقد شيد فيها قصر « نَوْشاد » الذى هدمه حوالى عام ٢٧٥ هـ (٨٧٠ م) يعقوب بن الليث مؤسس الدولة الصفّارية . وحكم السامانيون بلخ عام ٢٨٧ هـ (٩٠٠ م) بعد الصفّارية . ووصفت

الإصطخرى (أو البلخى) للمدينة فى ذلك العهد بأسوارها المبنية من الصلصال ذات الأبواب الكثيرة (اليعقوبى يقول إنها اثنا عشر باباً ، بينما يذكر الإصطخرى سبعة أبواب بأسمائها) يدل على أن منظرها لم يكن خلاباً . وقاست هذه المدينة الأهوال فى الحروب التى نشبت بين السامانية والإيلكخانية ، وكان لفائق والى بلخ ، شأن فيها ، وعاد للمدينة القديمة التى كانت مقراً للملوك فيما مضى شىء من أهميتها عندما استقر سبكتكين ومحمود الغزنوى الكبير فيها زمناً . وبعد وفاة محمود الغزنوى مباشرة استولى عليها السلاجقة عام ٤٣٢ هـ (١٠٤٠ م) وكان زعيمهم چغرى بك . وفى منتصف القرن السادس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) أخذ الغور والسلاجقة يتنازعون بلخ ، ولم يحل بين تقدم الغور إلا غزوة جديدة قام بها الأوغوز (الترك الغزّ) . بيد أنه حدث فى عام ٥٩٤ هـ (١١٩٨ م) أن استولى بهاء الدين سام الغورى صاحب باميان على المدينة . وفى عام ٦٠٣ هـ (١٢٠٦ م) ضمت بلخ إلى محمد شاه الخوارزمى . واجتاحت قبائل جنكيزخان المدينة آخر الأمر عام ٦١٧ هـ (١٢٢٧ م) ولم تقم لها بعد ذلك قائمة .

ونستدل من وصف ابن بطوطة على مبلغ ما أصاب هذه المدينة من دمار . وبموت جنكيزخان انتقلت بلخ وما وراء النهر إلى ولده چغتاى ، وظلت فى بيته إلى أن انتزع تيمور سلطان هذا البيت . واستمر يحكم بلخ إلى عام ٩٠٠ هـ (١٥٠٠م) على الولاء أفرع مختلفة من آل تيمور ، وكانت بلخ خلال القرون التالية موضع النزاع بين الأزابكة والجامية من ناحية وأباطرة الهند من المغول من ناحية أخرى ، كما كانت تستقل بحكم نفسها بين حين وحين . وبعد وفاة نادرشاه الأفشارى عام ١١٦٠ هـ (١٧٤٧ م) الذى — ضم إلى الدولة الفارسية الصفوية أفغانستان وماجاورها — أصبحت بلخ فى حوزة أمراء دُرّانى إلى أن استولى عليها أمراء بخارى عام ١٢٤٣ هـ (١٨٢٦ م) ثم أعيدت إلى أفغانستان عام ١٢٥٧ هـ (١٨٤١ م) ولا تزال كذلك حتى الآن .

ومدينة بلخ الحديثة تضم خمسمائة منزل فقط ، ولا تمت بصلة كبيرة إلى المدينة القديمة التى كان العرب يطلقون عليها « أم البلاد » ، بيد أنها احتفظت بشىء من أهميتها على الرغم من تعاقب الأحداث عليها بفضل سهولها الغنية التى شاد بذكرها المقدسى والتى يرويها نهر دهاس . وأطلال المدينة تستحق الذكر ، ويلوح لنا أن الآثار التى ترجع إلى العهد البوذى ، والتى تتميز بأسمائها المأخوذة من الأساطير الإيرانية (انظر « تخت رستم ») كانت أكثر مقاومة لعوادى الأيام من تلك التى تعود إلى العهد الإسلامى . وبقيت قداسة المدينة ممثلة فى « مزار شريف » الذى ذكر لأول مرة فى القرن الثانى عشر الميلادى ، ويقال إن هذا المزار لعلى .

وبلخ الآن قرية فيما يعرف الآن بشمالى أفغانستان على خط طول ٦٧ شرقاً تقريباً ، وخط عرض ٣٦° ٤٥ََ شمالا .

المصادر :

(١) المكتبة الجغرافية العربية ، جـ ١ ، ص ٢٨٧ ، ٢٨٦ ؛ جـ ٢ ، ص ٣٢٥ — ٣٢٦ ؛ جـ ٣ ، ص ٣٠١ — ٣٠٢ ؛ جـ ٥ ، ص ٣٢٢ وما بعدها ؛ جـ ٦ ، ص ١٨ ، ٣٢ — ٣٤ ، ١١٦ ، ٢١٠ — ٢١٢ ؛ جـ ٧ ، ص ٢٨٧ وما بعدها . (٢) المسعودى : مروج الذهب ، طبعة پاريس ، جـ ٤ ، ص ٤٧ وما بعدها . (٣) ياقوت ، جـ ١ ، ص ٧١٣ — ٧١٤ ؛جـ٤ ، ص ٨١٧ — ٨٢٠. (٤) ابن بطوطة ، جـ ٣ ، ص ٥٨ — ٦٣ . ونجد المعلومات التاريخية فى : (٥) تاريخ الطبرى . (٦) تاريخ ابن الأثير . (٧) طبقات ناصرى . (٨) Schefer : *Chrestom. Pers.* ، جـ ١ ، ص ٥٦ — ٩٤ ، ٦٥—١٠٣ (٩) G. le Strange: *Eastern Caliphate* ص ٤٢٠—٤٣٢. (١٠) K. Ritter : *Erdkunde* ، جـ ٨،ص ٢١٨—٢٢٧ (١١) J. Marquart : *Eranshahr* فى مواضع مختلفة وخاصة ص ٨٧ — ٩١ . (١٢) Yate : *Afghanistan* ص ٢٥٦ ، ٢٨٠ .

[R. Hartmann هارتمان]

« بَلْخان » : سلسلة من الجبال على شاطئ بحر الخزر حيث يصب نهر « أوزبوى » Ozboi فى هذا البحر . وليس من شك فى أن أوزبوى هو مجرى نهر جيحون القديم . وترتفع الجبال التى إلى الشمال من مجرى هذا النهر ١٦٣٤ متراً ، وتسمى بلخان الكبرى . أما بلخان الصغرى التى إلى الجنوب من نهر أوزبوى فتتصل بجبل « كورن » وهى منفصلة تمام الانفصال عن بلخان الكبرى . وقد أخذ خليج بلخان الذى ببحر الخزر اسمه من جبال بلخان الكبرى . وفى هذا الخليج أحسن فرضة على الشواطئ الشرقية لبحر الخزر شمالى الحدود الروسية الفارسية .

ويمكن الرجوع فى شأن قصة خوارزم القديمة على جبال بلخان إلى مادة « جيحون » : ويقول المقدسى (طبعة ده غويه ، ص ٢٨٥) إنه يوجد بهذه الجبال البقر والخيول البرية ، وإنه قد روى له وهو بمدينتى نسا وأبيورد أن أهل هاتين المدينتين يترددون فى كثير من الأحيان على جبال البلخان وأنهم يجدون فيها بيضاً كثيراً . ولكننا لا نجد فى المقدسى ولا فى غيره من الكتب ذكراً لأية أطلال فى هذه الناحية . وقد ارتد التركمان إلى جبال البلخان حوالى عام ٤٢٠ هـ (١٠٢٩ م) ، وكان هؤلاء قد نزحوا من بلاد ما وراء النهر إلى بلاد خراسان وضاق الناس بهم هناك لأنهم عمدوا إلى أعمال السلب والنهب ، ولذلك فقد طردهم منها أرسلان جاذب قائد محمود الغزنوى (ابن الأثير ، طبعة تورنبرغ ، جـ ٩ ، ص ٢٦٧) ؛ واستُدعى زعماء هؤلاء التركمان ، قزل وبقا وككتاش وأتباعهم بعد وفاة محمود وضموا إلى جيش مسعود (البيهقى ، طبعة مورلى ، ص ١٧) .

وذكر ثغر « اغريچه » على مجرى نهر أوزبوى بعد القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) . وكانت المياه تملؤه فى هذا الوقت ،

ومهما يكن من شيء فإن هذا الثغر لم يكن له أهمية كبيرة فى أى وقت . وقد كتب أبو الغازى اسم هذه الجبال « أبو الخان » مستنداً فى ذلك إلى اشتقاق علمى خاطئ . وكانت كثير من القبائل التركمانية تقطن هذه الجبال فى وقته ، وهجر الناس ناحية بلخان بالتدريج عندما أخذ أوزبوى يجف نهائياً حوالى عام ١٥٧٠م . ولم يكن يوجد فى العهود المتأخرة سوى نفر من التركمان من قبيلة « يوموت » . أما من حيث الصلات التجارية بخيوة ، فقد كان لثغر شبه جزيرة « منغيشلاق » فى ذلك الوقت أهمية لا يجاريه فيها خليج بلخان ، وهكذا كان شأنه فى القرون الوسطى أيضاً .

ولم يسترع هذا الخليج الانتباه ثانية إلا عندما أصبحت له صلة بمسألة نهر جيحون ، أى فى الوقت الذى فكر فيه بطرس الأكبر أول الأمر فى أن يعيد نهر جيحون إلى مجراه القديم ، وينشئ بذلك طريقاً مائياً لا يعترضه شيء يصل الهند ببحر الخزر . وقد جالت فكرة إقامة حصن روسى على هذا الخليج فى الرؤوس عدة مرات فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، ولكن هذه الفكرة لم تنفذ إلا عام ١٨٦٩ م حينما احتل الروس القادمون من القوقاز الناحية المحيطة بهذا الخليج وثغر ميخائيلوفسك الذى إلى الجنوب منها ، ومُد خط حديدى من هذا الثغر إلى قزل أروات عام ١٨٨١ م ووُصل هذا الخط بسمرقند ما بين عامى ١٨٨٥ و ١٨٨٨ م ، وامتد إلى طشقند وأنديجان (انظر هذه المادة) ما بين عامى ١٨٩٧ و ١٨٩٨ م : وعلى هذا فقد أصبحت ناحية بلخان أهم مركز تجارى على الشواطئ الشرقية لبحر الخزر . وكانت ميخائيلوفسكوى بداية هذا الخط إلى عام ١٨٨٧ م ، وأوزون آطه من عام ١٨٨٧م إلى ١٨٩٧ م وكراسنوفودسك منذ عام ١٨٩٧ م . ولم يصبح لخط ما وراء بحر الخزر ما كان له منذ أن افتتح الخط الموصل بين أورنبرغ وطشقند عام ١٩٠٥ م . وانحصرت أهميته فى أنه يصل بين القوقاز وآسية الوسطى .

وجبال بلخان التى لا ماء فيها تقريباً والتى لا يكاد ينمو فيها نبات لا قيمة لها من الناحية الزراعية . والصناعة الوحيدة التى لها شيء من الأهمية هى استخراج الجص من حفر على مسيرة خمسة أميال من كراسنوفودسك .

واسم بلخان الذى يقال إنه مشتق من الفارسية «بلاخانه» جلبه الترك إلى أوروبا وأطلق على جبال هايموس Haemus عند القدماء ، وهذا الاسم هو الأصل فى اسم البلقان الذى يطلق على الجبال وعلى شبه جزيرة البلقان ، وهو الاسم الذى يتردد ذكره كثيراً فى الجغرافية الحديثة .

[بارتولد W. Barthold]

« بَلْخَش » : أكبر بحيرة بعد بحيرة آرال فى آسية الوسطى ، وتبلغ مساحتها ١٨,٤٣٢ كيلومتراً مربعاً ، ويصب فيها نهر « إيلى » وعدد من النهيرات . ولم يعرف جغرافيو العرب فى العصور الوسطى هذه البحيرة ، وقد زعم صاحب

كتاب «حدود العالم» ــ الذى لا نعرف اسمه ــ أن نهر إيلى (إيلا) يصب فى بحيرة « إيسيك كول » (انظر J. Marquart ؛ Osteuropaeische und ostasiatische Streifzuege ، ص ٣٠) ؛ ويرجع تأليف هذا الكتاب إلى عام ٣٧٢ هـ (٩٨٢ ــ ٩٨٣ م) ؛ ولم يصف هذه البحيرة من كتاب المسلمين فيما نعلم سوى محمد حيدر حوالى منتصف القرن العاشر الهجرى الموافق السادس عشر الميلادى (انظر تأريخ رشيدى ، ترجمة E.D. Ross ص ٣٦٦) ؛ وأطلق حيدر على هذه البحيرة ــ التى كانت وقتذاك الحد بين بلاد الأزابكة (أوزبكستان) وبلاد المغول (مغولستان) ــ اسم « كوكچه تكز » أى البحيرة الزرقاء ، وقال إنها بحيرة ماؤها عذب ؛ وبالغ كثيراً فى تقدير طولها وعرضها وزعم أن نهر إتيل (القولجا) ما هو إلا امتداد لبحيرة بلخش . ومهما يكن من شىء فإن ما ذكره عن طعم ماء البحيرة جدير بالاهتمام . والحق إن جميع الجغرافيين المحدثين يقولون إن ماء البحيرة ملح ؛ ولم نتحقق آخر الأمر من عذوبة مائها إلا عندما قام القسم التركستانى للجمعية الجغرافية الروسية الإمبراطورية بكشف ذلك الأمر مع عام ١٩٠٣ ؛ وقد أصاب برغ L. Berg رائد البعثة التى تولت هذا الأمر فى قوله إن وجود بحيرة عذبة لا مخرج لها فى إقليم لا تبلغ فيه كمية الأمطار ٢٠٠ مليمتر إلا فى النادر لبدعة من بدع الجغرافيا ؛ والواقع أن ما سبق أن قلناه عن بحر خوارزم ينطبق تمام الانطباق على بحيرة بلخش . فقد لوحظ لأول مرة فى بداية القرن التاسع عشر أن ماء البحيرة أخذ يغيض بشكل واضح ، الأمر الذى حدا إلى الاعتقاد بأنها فى طريق الجفاف ؛ ولكن تبين فى السنوات الأخيرة من هذا القرن أن منسوب المياه فى البحيرة قد زاد ــ شأن بحيرات آسية الوسطى كلها ــ وعلى هذا فليس لنا أن نظن بأن ماء هذه البحيرات آخذ فى الجفاف ، وإنما هو يزيد وينقص فى مواسم (L. Berg: *Predvaritelnij otchet ob izsliedovaniji ozera Balkhash lieton* 1903 g. فى *Izviestija Imp. Russ Geogr. obshch.* ، المجلد ٤٠ ، ص ٥٨٤ــ٥٩٩ ، وفيه مصور جغرافى مفصل) ؛

والقلموق هم أول من أطلق على هذه البحيرة الاسم المغولى « بلخش » ، وقد حكم هؤلاء هذه الناحية فى القرن السابع عشر وفى النصف الأول من القرن الثامن عشر ؛ ووصف لنا الضابط السويدى رينا J.G. Renat هذه البحيرة فى هذا العهد وصفاً دقيقاً وسماها بلخس Balchas فى مصوره الجغرافى ، وقد عاش هذا الرجل فى بلاد القلموق سبع عشرة سنة ، أى من عام ١٧١٦ إلى ١٧٣٣م (*Carte de la Dzoungarie dressée par le suédois Renat pendant sa captivité chez les Kalmouks de* 1716 — 1733 ، طبعة الجمعية الجغرافية الروسية الإمبراطورية ، سانت بطرسبرغ سنة ١٨٨١م) وتطلق قبائل القرغيز ــ التى تعيش الآن عيشة البداوة فى هذه الناحية ــ اسم «آق تكز» ، أى البحيرة البيضاء ، على هذه البحيرة ؛

وكانت تجاور بحيرة بلخش على الدوام فى الأزمنة القديمة ــ ولا تزال تجاورها إلى الآن أيضاً ــ

صحراء موحشة . ولذلك فإنه لم يكن لها أى شأن فيما نعلم من الناحية الاقتصادية، زد على ذلك أنه لم يقطن شواطئ هذه البحيرة شعب متمدين قط . ويصنع البدو من القصب الذى يغطى شواطئها بيوتاً يأوون إليها فى الشتاء . أما فى الصيف فيهجر الناس البقاع المحيطة بهذه البحيرة .

وقد بدأ تطور هذه البحيرة منذ سنة ١٩٣٦ بإنشاء مدينة صناعية كبيرة على جون بريتس Berits على الساحل الشمالى للبحيرة .

[بارتولد W. Barthold]

« البَلْخى » ، أبو زيد أحمد بن سهل : جغرافى عربى ولد فى « شامِستيان » من أعمال بَلْخ ، وكان يعلم فى مسقط رأسه . واعتنق بادىء الأمر مذهب الإمامية ودرس الفلسفة بعد ذلك على الكندى وعاش فى رعاية أبى على الجيهانى وزير السامانيين ، ولكن الوحشة دبت بينهما بعد ذلك ، ودعى لزيارة بخارى فلم يأنس من نفسه الجرأة على عبور نهر جيحون . وتوفى البلخى فى ١٩ ذى القعدة عام ٣٢٢ (٣١ أكتوبر ٩٣٤ م) .

وقد أورد صاحب كتاب الفهرست (ج ١ ، ص ١٣٨) بياناً بأسماء ٤٣ مصنفاً للبلخى فقدت كلها فى عهد متقدم . أما الحاج خليفة فلم يصل إلى علمه سوى ستة من هذه المصنفات ، من بينها كتاب «صور الأقاليم» — وقد ذكره كل من المقدسى وحمد الله مستوفى — وكتاب « البدء والتاريخ » الذى نسب إليه خطأً منذ القدم ، أى ما قبل القرن الثالث عشر الميلادى، أما مؤلفه الحقيقى فهو مُطَهَّر بن طاهر المقدسى .

المصادر :

(١) ياقوت : معجم الأدباء ، ج ١ ، ص ١٤١ وما بعدها (٢) M. J. de Goeje: Die Istakhri-Balkhi-Frage فى Zeitschr. d. Deutsch. Morgenl. Gesellsch. ج٢٥ ، ص٥٣ وما بعدها (٣) Cl. Huart فى المجلة الأسيوية ، المجموعة التاسعة ، المجلد ١٨ ، سنة ١٩٠١م ، ص١٦ (٤) Le livre de la Création et de l'Histoire ، ج ١ ، ص ٤ وما بعدها ؛ ج ٣ ، ص ٥ .

[إيوار Cl. Huart]

+ البلخى ، أبو زيد أحمد بن سهل : عالم مشهور عرف اليوم خاصة بما كتب فى الجغرافيا ، ولد فى قرية شامستيان بالقرب من بلخ فى خراسان حوالى سنة ٢٣٦ (٨٥٠ م) ، وتوفى وقد نيف على الثمانين فى ذى القعدة سنة ٣٢٢ (أكتوبر سنة ٩٣٤) . وكان أبوه معلم صبيان . وأراد البلخى وهو بعد شاب ، أن يدرس مذهب الإمامية الذى كان يعتنقه ، فرحل راجلا إلى العراق فى قافلة حجيج . وظل فيها ثمانية أعوام ودرس على الكندى المشهور ، وزار البلاد المجاورة . وفى أخريات حياته أبى أن يعبر نهر جيحون للشخوص من بلخ إلى بخارى حين دعاه أمير بخارى .

ودرس البلخى فى السنوات الثمانى التى قضاها فى العراق علوماً تشمل الفلسفة والتنجيم والفلك والطب

والعلم الطبيعي (ياقوت : إرشاد الأريب ، ج ١ ، ص ١٤٥ — ١٤٦) . وظل ردحا من الزمن مقسما بين ولائه المذهبي السابق وبين اتباع أحكام النجوم التي كانت رائجة وقتذاك ، ولكن الأمر انتهى به إلى الاستمساك بأقوال أهل السنة ، ومضى يدرس العلوم الدينية جنبا لجنب مع الفلسفة . ويرد ذكره باعتباره مثالا فريداً — أو يكاد — للعالم الذي تضلع في هذه وتلك ، وعدّه الشهرستاني (الملل ، طبعة كيورتن Cureton ، ص ٣٤٨) من فلاسفة الإسلام .

ويروي أحمد بن سهل نفسه أنه فقد المحسن إليه وهو القائد الحسين بن علي المروروذي ، إذ قطع عنه الحسين صلته إثر نشر كتاب من كتبه ، وكذلك فعل محسن آخر هو أبو علي الجيهاني وزير نصر بن أحمد الساماني بعد أن نشر كتاباً آخر من كتبه ، مع أن القائد كان قرمطياً والوزير ثنوياً (وأبو علي هذا كان ابن أبي عبد الله الجيهاني [انظر هذه المادة] الجغرافي ، ولعله هو المقصود هنا ، انظر Barthold : *Turkestan* ، ص ١٢) . على أن كتب البلخي في الموضوعات الدينية قد أثنى عليها كثير من القضاة المعنيين ، وخاصة كتابه « نظم القرآن » ، ومن الواضح أنه كتاب في التفسير (إرشاد الأريب ، ج ١ ، ص ١٤٨) . ويذكر ياقوت (إرشاد الأريب ، ج ١ ، ص ١٤٢ — ١٤٣ ، وانظر ص ١٥٠) عناوين ٥٦ كتاباً من ستين كتاباً للبلخي ، أي أنه أضاف ثلاثة عشر عنواناً على الثلاثة والأربعين عنواناً التي ذكرها كتاب الفهرست (طبعة فلوگل Fluegel ، ص ١٣٨) . ولم يذكر حاجي خليفة من هذه الكتب إلا أقل من ستة كتب ، وفي وقتنا هذا لا يعرف البلخي — إذا استثنينا مصنفه كتاب مصالح الأبدان والأنفس ، (انظر عنه Brockelmann ، قسم ١ ، ص ٤٠٨) — إلا بكتاب واحد لم يعد باقياً على هذه الصورة .

وهذا الكتاب هو ما يعرف باسم « صور الأقاليم » أو بعنوان آخر هو « تقويم البلدان » (ولم يرد واحد من هذين العنوانين في كتاب ياقوت) الذي يعدّ بصفة عامة منذ ظهور رسالة ده غويه De Goeje (انظر المصادر) هو أساس لما كتب الإصطخري وابن حوقل في الجغرافيا ، ومن ثم فهو شاهد على بداية ما عرف باسم المدرسة العربية القديمة في الجغرافيا . والظاهر أن كتاب البلخي كان خريطة للعالم مقسمة إلى ٢٠ جزءاً مع متون قصيرة للتوضيح (المقدسي ، ص ٤) . ورأى بارتولد (Barthold : حدود العالم ، المقدمة ، ص ١٨ ، تعليق ٥ ؛ وانظر Minorsky : كتابه المذكور ، عدد ١٥) أن البلخي في كتابه المشار إليه ربما أضاف فحسب توضيحاً لخرائط أبي جعفر الخازن (بروكلمان ، قسم ١ ، ص ٣٨٧) . وتقوم شهرة البلخي الجغرافي على هذا الكتاب وحده الذي يتعذر — على أية حال — أن يقال إنه أصيل كل الأصالة ، لوجود كتاب « الصورة المأمونية » الذي هو أيضاً فيما يظهر سلسلة من الخرائط ، وقد ذكره المسعودي ونسبه إلى عهد المأمون (خليفة من سنة ١٩٨ — ٢١٨ هـ = ٨١٣ — ٨٣٣ م ؛ انظر المسعودي : كتاب التنبيه والإشراف ، ص ٣٣) . وقد يرجع اهتمام البلخي

بالجغرافيا إلى شيخه الكندى الذى أعدت له بخاصة ترجمة لرسالة بطلميوس فى هذا الموضوع (الفهرس ، ص ٢٦٨) والذى كتب واحد آخر من تلاميذه هو أحمد بن الطيب السرخسي «كتاب المسالك والممالك» (التنبيه والإشراف ، ص ٦٧) ، ومن الواضح أن هذا الكتاب هو أول سلسلة من الكتب الجغرافية فى الإسلام التى حملت هذا العنوان . ويلاحظ المقدسى بأن البلخي لم يرحل كثيراً ، ومع ذلك فهو يسلم بأنه كان خبيراً وخاصة بإقليمه ، ويذكر بخاصة أيضاً خبرته بدواوين الضرائب فى خراسان (كتابه المذكور ، أى سجلات ، ص ٣٠٧) . ويتفق هذا معما نراه فى غير ذلك من المصادر من أن البلخي كان كاتباً لأمير من السامانيين (إرشاد الأريب ، ج ١ ، ص ١٤٧) . وذكر المقريزى أيضاً هذا الكتاب للبلخي (الخطط ، طبعة بولاق ، ج ١ ، ص ١١٥) .

المصادر :

(١) ياقوت : إرشاد الأريب ، ج ١ ، ص ١٢٥ ، ١٤١ — ١٥٢ . (٢) البيهقى : تتمة صوان الحكمة ، طبعة محمد شفيع ، ص ٢٦—٢٧ (٣) M. J. de Goeje : Die Istakhri-Balkhi Frage فى Zeitschr der Deutsch der Morgenl Gesells ، ج ٢٥ ، ص ٤٢ — ٥٨ . (٤) J.H. Kramers : La Question Balkhi-Istakhri-Ibn Hawkal et l'Atlas de l'Islam فى Acta Orientalia ج ١٠ ، ص ٩ — ٣٠ . (٥) حدود العالم ، المقدمة ص ١٥ — ٢٣ . (٦) V. Minorsky : A False Jayhani فى Bulletin of the School of Oriental and African Studies ، ج ١٣ ، سنة ١٩٤٩ ، ص ٩٣ — ٩٤ ؛

خورشيد [D. M. Dunlop دنلوب]

+ «البَلْخى» ، أبو القاسم (عبد الله بن أحمد ابن محمود ، وعرف أيضاً بأبى القاسم الكَعْبى البلخي المعتزلى) : ولد ببلخ ، وعاش مدة طويلة ببغداد ، وفيها تتلمذ على أبى الحسين الخيّاط المعتزلى ، وأقام مدرسة فى نَسَف ، وأدخل فى الإسلام عددا من سكان خراسان ، وتوفى ببلخ فى أوائل شعبان سنة ٣١٩ (أغسطس سنة ٩٣١) ؛ ومن تلاميذه ابن شهاب (أبو الطيب إبراهيم ابن محمد) الذى توفى بعد عام ٣٥٠هـ (٩٦٢م) ، والأحدب (أبو الحسن) . ومن تواليفه نذكر «كتاب المقالات» و «كتاب محاسن خراسان» الذى يتحدث فيه عن ابن الراوندى .

وهو ينافح عن نظرية المعتزلة المتفائلة التى تقول إن الله لا يقدر أن يترك الأصلح إلى الأقل صلاحا ، والإنسان يقدر ويجب عليه أن يفعل الأصلح ، أما الله فلا يقدر لأنه ليس فوقه تعالى من يجبره على فعل أصلح مما فعل . ويتفق البلخي مع المعتزلة فلا يجد فى الله صفات متميزة عن ذاته ، وهو يقول إن العدم الممكن الوجود شئ ثابت خارج الوجود ، أى أنه جوهر بسيط . وهو يرى أن الذرة غير ممتدة خالية من صفات تقوم بذاتها ، وصفات الجسم منتزعة من مجموعة من الذرات ومن ثم فهى عارضة غير أصيلة ، ويفرق بين

الإدراك وتأثيره ، إذ نقول إن الإنسان يدرك بعقله الأشياء المحسوسة ، ولكن الحواس نفسها لا تدرك شيئاً ، فهى السبل التى تصل بها التأثيرات الجوهرية إلى العقل . ويقول أيضاً إن الفعل الإرادى يستلزم التردد والحسم ، وهما من خصائص الإنسان المخلوق الناقص ، أما بالنسبة لله فإن مثل هذا الفعل لا وجود له مطلقاً .

ويقول البلخى إن الإمامة يجب أن ترتد إلى قريش، فإذا اشتبه فى قيام مؤامرة يمكن أن يبايع بالإمامة غير القرشى .

المصادر :

(١) الأشعرى : مقالات الإسلاميين ، إستانبول سنة ١٩٢٩ ، ص ٣١٤ ، ٥٥٥ . (٢) البغدادى : الفَرق بين الفِرق، القاهرة سنة ١٣٢٨ هـ = ١٩١٠ م ، ص ٩٣ ، ١٦٣ ، ١٦٦ ، ١٦٧ . (٣) الإيجى : المواقف ، القاهرة سنة ١٣٥٧ هـ = ١٩٣٩ م . (٤) الإسفرايينى : التبصير فى الدين ، القاهرة سنة ١٩٤٠ ، ص ٥٢ . (٥) الخيّاط : الانتصار ، القاهرة سنة ١٩٢٥ ، فى مواضع مختلفة . (٦) الملطى : كتاب التنبيه ، طبعة ددرينغ Dedering . (٧) الرسْعَنى : مختصر كتاب الفِرق ، القاهرة سنة ١٩٢٤، ص ١١٩ ، ١٢٠ . (٨) الرازى : محصّل أفكار المتقدمين والمتأخرين ، القاهرة سنة ١٣٢٣ هـ = ١٩٠٥ م ، ص ٣٧ . (٩) الشهرستانى : الملل والنحل على هامش ابن حزم ، القاهرة سنة ١٣٤٧ هـ = ١٩٢٨ م ، جـ ١ ، ص ٦٢ ، ٨٢ . (١٠) نهاية الإقدام ، طبعة Guillaume ، أوكسفورد سنة ١٩٣٤ ، ص ٢٣٨ ، ٢٤٠ ، ٣٤٣ . (١١) ابن المرتضى : المنية والأمل ، حيدرآباد سنة ١٣١٦ هـ = ١٩٠٢ م ، ص ٤٥ — ٥١ . (١٢) ابن النديم : الفهرست ، طبعة القاهرة سنة ١٩٢٩، ص ٤ ، ٢٤٧ . (١٣) ابن حزم : الفِصل، القاهرة سنة ١٣٤٧ هـ = ١٩٢٨ م ، جـ ٤ ، ص ١٥٤ . (١٤) چلبى : شرح المواقف ، إستانبول سنة ١٢٨٦ هـ = ١٨٦٧ م ، ص ٣١٢ . (١٥) أحمد أمين : ضحى الإسلام ، القاهرة سنة ١٣٦٠ هـ = ١٩٤١ ، جـ ٣ ، ص ١٤١ . (١٦) Brockelmann ، جـ ١ ، ص ٣٤٣ . (١٧) A. N. Nader : *Le Système philosophique des mu'tazila* ، بيروت سنة ١٩٥٦ . (١٨) جار الله زهدى : المعتزلة ، القاهرة سنة ١٣٦٦ هـ = ١٩٤٧ .

خورشيد (ألبرت نادر Albert Nader)

« بَلَد » : (انظر مادة «بلاد»)، والبلد اسم السورة التسعين من القرآن .

« بَلْدَة » : وجمعها بلاد (انظر هذه المادة) وبلدان ، وكثيراً ما ترد هذه الصيغة الأخيرة فى عناوين المصنفات الجغرافية .

+ « بَلَدِيّة » : يستخدم المصطلح (بلديه) فى اللغة التركية واللغة العربية وغيرهما من لغات البلاد الإسلامية ، للدلالة على أنظمة بلدية حديثة على

النمط الأوروبى فى مقابل صدر من النظام المدنى (انظر مادة « مدينة») فى العهد الإسلامى الأول . والمصطلح « مثل كثير جداً من المصطلحات الحديثة الإسلامية والمستحدثات التى تعبر عنها ، ظهر أول ما ظهر فى تركية حيث أدخلت أنظمة ومرافق بلدية على نمط غربى بوصفها جزءاً من برنامج الإصلاح العام للتنظيمات (انظر هذه المادة) .

(١) تركية

يبدو أن السلطان محمداً الثانى قام بالخطوات الأولى لإنشاء إدارة بلدية حديثة، ضمن الإصلاحات التى تمت عقب القضاء على الإنكشارية . وأنشىء عام ١٢٤٢ ﻫ (١٨٢٧ م) تفتش الاحتساب (احتساب نظارتى) الذى تركزت فيه تبعات معينة تتصل بالتفتيس على الأسواق والموازين والمكاييل إلخ . وكان نقوم به حتى ذلك الوقت أعضاء من جماعة العلماء (انظر مادة « محتسب ») ، وفى عام ١٢٤٥ ﻫ (١٨٢٩ م) أدخل نظام المختار (انظر هذه المادة) فى أقسام مدينة إستانبول تحقيقاً لنفس الأهداف العامة وهى تركيز الإشراف والتخلص من عدم تسامح الأئمة (بعبارة لطفى : «إماملرك مسامحه إيله مه مشدى إيجون ») . وقد كان هناك حتى ذلك الوقت مختارون فى القرى (« كوى كتخداسى » فى قرى المسلمين و«قوجه باشى» عند المسيحيين) ولكن لم يكن أحد منهم فى المدن ، حيث كان القضاة أو نوابهم أو الأئمة يضطلعون بعبء مسك سجلات يقيد فيها الذكور من السكان ويتم فيها تسجيل التحركات والانتقالات وما إلى ذلك . ونقلت هذه التبعات بمقتضى المرسوم الصادر عام ١٢٤٥ ﻫ (١٨٢٩ م) إلى المختارين الذين كان يعين منهم اثنان، أول وثان لكل محلة : ويحدثنا لطفى أن هذا النظام المستحدث أثار تعليقاً عليه من سكان إستانبول : « لقد أقيم مختارو القرية فى أحياء المدينة. وسيكون عندنا بعد ذلك سجلات ساليانه » (لطفى، ج٢، ص١٧٣) . وتدعم مركز المختار بعد ذلك بقليل « بلجنة من الشيوخ (اختيار هيأتى) من ٣ — ٥ أشخاص ، وامتد هذا النظام فى الوقت المناسب إلى مدن أخرى فى الإمبراطورية .

وفى عام ١٢٤٧ ﻫ (١٣٨١ م) ألغيت وظيفة أمين المدينة (شهر أمينى [انظر هذه المادة]) التى قامت منذ الفتح العثمانى للقسطنطينية « ونقلت بعض اختصاصاتها المتعلقة بالعناية بالمبانى العامة « إلى إدارة المبانى الخاصة (أبنيه خاصه ، لطفى « ج٣، ص ١٦٥ ؛ مجله أمور بلديه ، ج ١، ص ٩٨٠ ، ١٣٦٥ التى نقلت المرسوم المنشور فى الجريدة الرسمية ، تقويم وقائع ، ج ٧ ، سنة ١٢٤٧ ، عدد رقم ٢) .

وبدأت المرحلة التالية عام ١٢٧١ ﻫ (١٨٥٤ م) عندما استحدث تغيران أولهما إنشاء أمانة المدينة (شهر أمانت) الجديدة لإستانبول . وعلى الرغم من الاسم الذى تحمله فليس بينها وبين النظام الأقدم إلا تشابه بسيط « وكانت بالأحرى تطبيقاً لنظام أمين المدينة الفرنسى « Préfecture de la Ville وكان يهم فى الغالب بالإشراف على الأسواق ومراقبة الأسعار إلخ . وكان يعاون الأمين مجلس مدينة (شهر مجلسى) يشكل من نقابات أرباب الحرف

والتجار ، والغيث ، احتساب نظارتى ، وعهد بتبعاتها إلى أمانة المدينة ، ويبدو أن هذا التغير فى التسمية كان له أثر مباشر ضئيل . وقدمت شكاوى بشأن الإهمال الرسمى للمشكلات البلدية ، ومن ثم اتخذ المجلس الأعلى للإصلاح (مجلس عالى تنظيمات) قراراً آخر بعد بضعة شهور يقضى بإنشاء مجلس بلدى (انتظام شهر قومسيونى) . وكان من الشخصيات القيادية فى المجلس أنطوان آليون Antoine Allion ، وهو أحد أفراد أسرة فرنسية غنية من أصحاب المصارف استوطنت تركية فى عهد الثورة الفرنسية . أما الأعضاء الآخرون فكانوا يختارون فى الغالب من اليونان والأرمن وجماعات اليهود هناك ، إلى جانب بعض الأتراك المسلمين ومنهم حكيمباشى محمد صالح أفندى، أحد الخريجين الأوائل من مدرسة السلطان محمود للطب . وصدرت التعليمات للمجلس بأن يقدم تقريراً عن التنظيم الأوربى للمجالس البلدية وقواعدها وإجراءاتها وأن يقدم توصيات إلى الباب العالى .

واجتمعت عوامل عديدة لحث الحكومة العثمانية على اتخاذ هذه الخطوات ، فقد كانت المصالح المالية والتجارية الأوروبية فى إستانبول تزداد باطراد، وكان هناك حى جديد ينمو فى غلطة وبك أوغلى (پيره) بما أنشىء فيه من مبان وبيوت مقسمة إلى شقق وحوانيت وفنادق على النمط الأوربى ، وتزداد فيه أعداد العربات التى تجرها الجياد من مختلف الأنواع (انظر مادة « عربة ») . كل هذا خلق حاجة تقدم بها المستوطنون الأوروبيون وأيدتهم فيها العناصر الآخذة بالأساليب الأوروبية من السكان ، وذلك من أجل توفير الطرق الممهدة ، والأرصفة الصالحة ، وتنظيف الشوارع وإضاءتها وإنشاء البالوعات ومد أنابيب المياه . وأدى وجود كتائب كبيرة من مجندى الغرب فى إستانبول أثناء حرب القرم إلى ظهور دافع جديد لتحقيق هذه المطالب وحاجة ملحة جديدة إلى تنفيذها ، وحظيت مشكلات التنظيم البلدى والمرافق البلدية فى العاصمة بشىء من الاهتمام فى المرحلة الجديدة من الإصلاح التى بدأت عام ١٨٥٤ ، ونجد مثالا طيباً لموقف المصلحين الأتراك من هذه المسائل فى مقال نشر فى جريدة تصوير أفكار ، كتبه الشاعر والصحفى إبراهيم شناسى (انظر هذه المادة) عن إضاءة شوارع إستانبول ونظافتها (أعيد نشره فى كتاب أبى الضيا توفيق : نمونهٔ أدبيات عثمانيه [الطبعة الأولى ، إستانبول سنة ١٢٩٦ هـ = ١٨٧٨م]، الطبعة الثالثة ، إستانبول سنة ١٣٠٦ هـ ، ص ٢٢٧ — ٢٣٥) وسجل أعمال المجلس الأعلى للاصلاح عن هذه المسائل يثبت بوضوح مشاغل الحكومة العثمانية على اختلافها . وكان إنشاء أمانة للمدينة تشرف عليها وزارة التجارة المنشأة حديثاً يعد إلى حد ما محاولة لمواجهة حاجة حقيقية بإقامة الجهاز على النمط الأوربى، وكانت هناك أيضاً الرغبة المألوفة فى التأثير على المراقبين الغربيين .

ولبث المجلس يعقد جلساته أربع سنوات ويقدم تقاريره إلى المجلس الأعلى للإصلاح . وكانت أهم توصياته إنشاء الأرصفة والبالوعات ، وأنابيب

المياه، وتنظيف الشوارع بصفة منتظمة، وإضاءتها ، وتوسيع الشوارع كلما أمكن ذلك، وإنشاء نظام تستقل فيه البلدية بإيراداتها وفرض ضريبة لأغراض البلدية ، وتعيين المجلس الخاص بتطبيق القوانين البلدية ولوائحها (مضبطة ٢٧ صفر سنة ١٢٧٤= ١٧ أكتوبر سنة ١٨٢٧، فى مجلة أمور بلديه ، ج ١، ص ١٤٠٢ — ١٤٠٣) .

وفى عام ١٢٧٤ هـ (١٨٥٧ م) قرر المجلس الأعلى قبول هذه التوصيات، على أن يقصر تطبيقها على قيام بلدية تجريبية موقتة فى بك أوغلى وغلطة ؛ وعلى الرغم من أن هذه الدائرة كانت أول ما أنشىء فقد سميت رسمياً الدائرة السادسة(آلتنجى دائره) ؛ ولعل السبب فى ذلك هو ما رآه عثمان نورى (مجلة أمور بلديه ، ج ١ ، ص ١٤١٥ ، عدد ٩٣) من أن الدائرة السادسة فى پاريس كان يظن أنها أكثر دوائر هذه المدينة رقيا .

ومبررات هذه الخطوة مبينة فى مضبطة ٢١ ربيع الأول عام١٢٧٤هـ (٩ أكتوبر سنة١٨٥٧م ، مجلة أمور بلديه ، ج ١، ص ١٤١٦ — ١٤١٨) ؛ وكانت الحاجة ماسة إلى المرافق والمنافع البلدية ، ولم يكن بد من توفيرها على ألا تتحمل خزانة الدولة التكاليف، بل يجب مواجهتها بجباية ضريبة خاصة من سكان المدينة الذين ينتفعون بها ، ولا شك أن تطبيق النظام الجديد على إستانبول بأسرها فى الحال فيه تجاوز للحد ويعد أمراً غير عملى ؛ ومن ثم تقرر البدء بالدائرة السادسة التى تتألف من بك أوغلى وغلطة، حيث توجد أملاك عديدة ومبان جميلة وحيث كان السكان على علم بما درج عليه العمل فى البلاد الأخرى ؛ كما كانوا على استعداد لأن يقبلوا تحمل نفقة الأنظمة البلدية . وعندما اتضحت مزايا هذه الأنظمة من هذا المثال وأحس بها الناس بوجه عام واعترفوا بها ، تهيأت فرصة مناسبة لتعميم تطبيقها . وتشير المضابط صراحة إلى العدد الكبير من المؤسسات الأجنبية ورجحان كفة المستوطنين الأجانب فى الدائرة ؛

وقد أعلن تأسيس بلدية الدائرة السادسة ، المعروفة أيضاً باسم الدائرة النموذجية (نمونه دائره سى) وظائفها فى « إرادة » صادرة بتاريخ ٢٤ شوال سنة ١٢٧٤ هـ (٧ يوليو سنة ١٨٥٨ م) ونصت على أن المجلس يتألف من رئيس واثنى عشر عضوا ، كلهم يعينون بإرادة سلطانية ، ويعين الرئيس لمدة غير محدودة ، أما الآخرون فيعينون لمدة ثلاثة أعوام . ويختار المجلس اثنين من أعضائه أحدهما نائب للرئيس والثانى أمين للصندوق ، وكان الجميع لا يتقاضون أى راتب . أما الموظفون الدائمون فهم مساعد للرئيس، وكاتب سر عام وكتاب سر مترجمون ، ومهندس مدنى ، ومهندس معمارى . وكان المجلس يعين هؤلاء جميعاً ، ويتقاضون رواتب . وحدد اختصاص المجلس بأنه يتولى بوجه عام « كل ما يتعلق بالنظافة والترفية العام (نظافت و نزهت عموميه) » ، وبنوع أخص صيانة الطرق والشوارع ، والبالوعات ، والأرصفة ، ومصابيح الشوارع ، وكنس الشوارع ورشها ، وتوسيعها وتقويمها ، وتوفير الماء والغاز ، والتفتيش على المبانى المهدمة وذات الخطر على الناس

والحكم بإزالتها ، والتفتيش على المواد الغذائية ومراقبتها . والرقابة على الأسعار . والتفتيش على الموازين والمكاييل، ومراقبة المحلات العامة كالمسارح والأسواق والفنادق والمطاعم والمدارس وقاعات الرقص والمقاهى والحانات إلخ : وخُوّل المجلس، علاوة على هذا ، الحق فى أن يقدر ويفرض ويجبى رسوماً وضرائب ، وأن يحصل على قروض فى الحدود المنصوص عليها . وأن ينزع الملكية أيضاً فى بعض الظروف ، وكان على الرئيس أن يقدم ميزانيته إلى المجلس لمناقشتها ودراستها ثم يقدمها إلى الباب العالى للتصديق عليها وإلا فإنها تكون غير قانونية .

ومن هذا نرى أن الإجراءات التى اتخذت عام ١٢٧١ — ١٢٧٤ هـ (١٨٥٤ — ١٨٥٨) قد سلمت ببعض المسئوليات الجديدة فيما يختص بالمدينة وتعهدت بالاضطلاع بها إلا أنها لا تكاد تعد مدخلا إلى المفهوم الأوربى للأنظمة البلدية ، ذلك أنه لم يحدث بعد اعتراف بالمدينة شخصية" اعتبارية ، لأن مثل هذه الفكرة ظلت غريبة عن المفاهيم الإسلامية للشريعة والحكم، كما لم يكن هناك أى اقتراح بالانتخاب أو التمثيل . وكان ما أنشىء ضرباً جديدا من الوكالة الإدارية تعينها السلطة السلطانية وتكون مسئولة أمامها، وإن كانت لها مهام معينة ومحدودة وتتمتع بقدر من الاستقلال الذاتى فى الميزانية . ولم تكن هذه المجالس الخاصة جديدة على الإطلاق فى الإدارة العثمانية (انظر مادة « أمين ») . والجديد فيها ينحصر فى نوع الوظيفة التى عهد إليها بها .

ويبدو أن مجلس بلدى الدائرة اتخذ جهة السادسة قد قام بعمل لا بأس به ، إذ حقق فيما حققه مسح أرض الدائرة ، وأقام متنزهين بلديين . وافتتح مستشفيين . واستحدث إصلاحات عديدة فى مجال الصحة والأمن وراحة المقيمين . ولم يمنع هذا كله المؤرخ الجغرافى لطفى أفندى من استنكار ذلك بألفاظ مؤذية (ذكرها عثمان نورى فى شهر جيليك ، ص ١٢٧) . على أن حركة استحداث المرافق البلدية على النمط الغربى والتوسع فيها مضت فى طريقها : وفى عام ١٢٨٥ هـ (١٨٦٨ م) صدرت مجموعة بأحكام بلدية (بلديه نظامنامه سى) . وكان القصد منها التوسع فى نظام المجلس وإدخاله فى باقى الدوائر الأربع عشرة فى إستانبول . وجعل لكل منها لجنة بلدية تتألف من ٨ — ١٢ عضواً ، يختارون واحداً منهم رئيساً : كما تقرر تشكيل جمعية عمومية لإستانبول بأسرها (جمعيت عموميه) من ٥٦ عضوا ، ثلاثة نواب عن كل دائرة ، وكذلك مجلس للأمانة (مجلس أمانت) ، من ستة أشخاص، تعينهم الحكومة السلطانية ، وتدفع لهم رواتبهم . وتعمل هاتان الهيئتان تحت رئاسة الأمين (شهر أمينى) الذى ظل موظفاً حكومياً . ويبدو أن النصوص المفصلة لهذه المجموعة من الأحكام ظلت حبراً على ورق حتى عام ١٢٩٣ — ١٢٩٤ هـ (١٨٧٦—١٨٧٧م)، وهنالك صدرت قوانين جديدة للعاصمة ومدن الإيالات بدافع الحركة الدستورية . وكان قانون إستانبول الصادر عام ١٢٩٣ هـ (١٨٧٦م) هو فى الواقع إعادة تنسيق للقانون القديم مع تعديلات طفيفة أهمها زيادة عدد الدوائر من ١٤ إلى ٢٠، والتعديل فى صفة النصاب المالى للأعضاء من دخل

سنوى قدره ٥٠٠٠ قرش إلى أداء ضريبة سنوية قدرها ٢٥٠ قرشاً، ولعل أبرز تجديد فى هذا القانون لا يرجع إلى أحكامه بقدر ما يرجع إلى أن المجلس النيابى العثمانى – الذى لم يعمر طويلا – هو الذى أصدره لا الباب العالى .

ومهما يكن من أمر فإن الحروب والأزمات التى وقعت بعد صدوره جعلته غير سارى المفعول مثل القوانين التى صدرت قبله (ما عدا جزر الأمراء ، حيث أنشئت دائرة سابعة : سعيد پاشا : خاطرات ، إستانبول سنة ١٣٢٨ هـ ، ج ١ ، ص ٥ ؛ مجلة أمور بلديه ، ج ١ ، ص ١٤٥٧) . وأخيراً نشرت عام ١٢٩٦هـ (١٨٧٨ م) صيغة جديدة وأكثر واقعية عمل بها فى حينه . وقسمت هذه الصيغة المدينة إلى عشر دوائر بلدية وألغى الجهاز الواسع للمجالس واللجان التى نصت عليها القوانين الأقدم . وكان ما بقى هو مجلس أمانة معين يساعد أمين المدينة ومدير حكومى معين لكل من الدوائر العشر . وظل هذا النظام سارى المفعول حتى نشبت ثورة عام ١٣٢٤هـ (١٩٠٨ م) .

وكانت السياسة التى انتهجها المصلحون فى الولايات على هذا النحو نفسه إلى حد كبير . وكانت السلطة القديمة التى خولت للأعيان والشهر كتخداسى (انظر هاتين المادتين) قد ألغيت . وأدخل نظام المختار – الذى بدأه محمود الثانى – إلى الدوائر المدنية فى معظم المدن الكبيرة . ونص قانون الولاية الصادر عام ١٢٨١هـ (١٨٦٤م) على اللوائح الخاصة بانتخابهم (البابان الرابع والخامس) . وتضمن قانون الولاية الصادر عام ١٢٨٧ هـ [١٨٧٠ م) نصاً بإنشاء مجالس بلدية فى مدن الولايات على نفس الخطوط العامة التى نص عليها قانون إستانبول . وليس ثمة دليل على أن شيئاً كثيراً قد تم بهذا الشأن . ومهما يكن من أمر فإن محاولة ما قد بذلت فيما يبدو لإكمال أجزاء من قانون الولايات البلدية (ولايات بلديه قانونى) الذى صدر عام ١٢٩٤ = (١٨٧٧م) . وطبقاً لنصوص هذا القانون جعل لكل مدينة مجلس بلدى ، يتألف من ٦ إلى ١٢ عضوا حسب عدد السكان . ويعقد جلساته لمدة أربع سنوات مع إجراء انتخابات كل سنتين لاختيار نصف الأعضاء . وكان الطبيب والمهندس والجراح البيطرى فى الإقليم أعضاء استشاريين بحكم وظائفهم . واقتصرت العضوية على من يؤدون ضريبة قدرها ١٠٠ قرش كل عام . وأصبح أحد أعضاء المجلس رئيساً للبلدية (بلديه رئيسى) لا بالانتخاب ولكن بالتعيين من قبل الحكومة . وكان لا بد من موافقة الجمعية البلدية (جمعيه بلديه) على الميزانية وتقديراتها ، وكانت تجتمع مرتين كل عام لهذا الغرض . وكانت هذه الجمعية مسئولة أمام مجلس عموم الولاية (مجلس عمومى ولايت ؛ مجلة أمور بلديه، ج ١ ، ص ١٦٦٤ وما بعدها) .

وبذلت محاولة جديدة، بعد ثورة تركية الفتاة، لإدخال الأنظمة البلدية الدمقراطية . وأعيد إصدار قانون عام ١٢٩٣ هـ (١٨٧٦م) مع بعض التعديلات وبذلت محاولة جادة لجعله سارى المفعول . ولم تكن التجربة ناجحة تماماً ، فقد كان موظفو لجان

الدائرة ، على الرغم من حماستهم ، قليلى الدربة وكان التعاون ضئيلا بين الدوائر فى الأهداف المشتركة . وصدر عام ١٣٢٨ هـ (١٩١٢ م) قانون جديد ، ألغى آخر الأمر هذا النظام ، وحلت محله بلدية واحدة لإستانبول ، أطلق عليها اسم « شهر أمانت » ، أنشئت بتسع شعب فرعية يدير كل منها موظف حكومى ، وكان « يعاون الشهر أمين » جمعية عمومية تتألف من ٥٤ عضوا ، يضم إليهم ٦ نواب ، ينتخبون عن كل دائرة من الدوائر التسع ، وكان النظام الجديد — من هذه الناحية ومن النواحى الكثيرة الأخرى — يرتد إلى نظام حكومى أكثر مركزية ، وعلى الرغم من وجود كثير من الصعاب فإن أبناء تركية الفتاة حققوا تقدماً هاما فى مجال النهوض برفاهة إستانبول ووضع تخطيط لنظام جديد للمجارى وتنفيذه ، وكانت هناك تحسينات فى الأمن ومنع الحرائق ، وقضى أخيرا على جموع الكلاب الشهيرة التى طالما أقلقت العاصمة التركية .

وكان أول إجراء بلدى اتخذته حكومة الجمهورية هو إصدار قانون ١٦ فبراير سنة ١٩٢٤ الذى أنشأ أمانة مدينة فى أنقرة (قوانين مجموعه سى ، ج٢ ، ص ٢١٨) ، وكان أول من تولى منصب شهر أمين هو على حيدر ، تعاونه جمعية عمومية مؤلفة من ٢٤ عضوا ، ونهج الدستور إلى حد كبير نهج قانون إستانبول مع بعض التعديلات ، الهدف العام منها تقييد الاستقلال الذاتى للبلدية فى المسائل المالية والمسائل المتعلقة بالأمن ووضعها بصورة أكثر صرامة تحت إشراف وزير الداخلية ، وفى يوم ٣ أبريل عام ١٩٣٠ ووفق على قانون جديد للبلديات (رسمى غازيته ص ١٤٧١ و١٥٨٠ ؛ *Oriente Moderno* ، سنة ١٩٣٠ ، ص ٥٥١) ، وألغى الاسمان القديمان شهر أمانت وشهر أمين وحلت محلهما بلدية وبلدية رئيسى وهما يترجمان عادة بكلمة رئيس البلدية . وفى عهد السلطان عبد الحميد كان يقوم بوظيفتى أمين المدينة والمحافظ فى إستانبول شخص واحد ، وكان أبناء تركية الفتاة قد فصلوا رسميا أمانة المدينة عن المحافظة بمقتضى القانون الصادر عام ١٣٢٥ (١٩٠٩ م) ، ونص القانون الجديد على أن يكون رئيس البلدية فى إستانبول (وهذا لا يسرى فى أى مكان آخر) والوالى شخصاً واحداً ، ومهما يكن من أمر فإن إدارتى الولاية والبلدية ظلتا منفصلتين ، وكانت للبلديات « مثل القرى » شخصية معنوية قانونية ولها حدود معروفة يقيمها القانون ، وكان القانون يضم ١٦٥ مادة تنص على مجموعة منسقة من القواعد المنظمة لانتخاب المجالس البلدية ووظائفها مع بعض التعديلات التى ظلت سارية المفعول حتى اليوم ، وبمقتضى هذه القواعد يرأس البلديات رئيس للبلدية ومجلس دائم ومجلس بلدى ، وينتخب المجلس رئيس البلدية ، وهو نفسه ينتخب مباشرة بالاقتراع العام لمدة أربع سنوات ، وتسمى المدن التى يتراوح عدد سكانها بين ٢٠٠٠ و٢٠٠٠٠ نسمة قصبة ، أما التى يزيد عدد سكانها على ٢٠٠٠٠ نسمة فتسمى شهر ، ويتوقف حجم المجلس على عدد السكان ، وأقل عدد لأعضائه ١٢ شخصاً للمدن التى يقل عدد سكانها عن ٣٠٠٠ نسمة ، ويجتمع المجلس ثلاث مرات فى العام « فى مستهل شهور فبراير

وأبريل ونوفمبر » وفى الأوقات الأخرى يحل محله مجلس دائم (دائمى أنجمن) يتألف من ثلاثة من أعضائه يدعمهم موظفو البلدية الدائمون » وتشمل مهام البلدية الصحة العامة (المستشفيات والمستوصفات والطب الوقائى والتفاتيش الصحية والغذائية إلخ) والمرافق العامة [الترام ومركبات الأوتوبيس والغاز والكهرباء) وتخطيط المدن والمتنزهات والحدائق العامة وإضاءة الشوارع ونظافتها ونظام البلاليع المندمى وموارد المياه إلخ » وكان يعهد إليها أيضاً فى أوقات أزمات التموين بتوزيع السلع بكميات صغيرة ؛ وكانت لها قوتها الضبطية الخاصة (ضابطه) » وتفرض البلدية ضرائب ولها ميزانيتها الخاصة ، على أن موظفيها الدائمين من العاملين المدنيين ؛

المصادر :

(١) تجد أغنى مجموعة فى مادة تاريخ النظم البلدية فى تركية فى مجلة عثمان نورى (عثمان إرگين) : وهى مجلة أمور بلديه ، فى ٥ مجلدات » إستانبول سنة ١٣٣٠ — ١٣٣٨هـ ؛ ويحتوى أول مجلد على تاريخ موثق أحكم توثيق للمؤسسات البلدية فى الإسلام وفى تركية ؛ والمجلد الثانى يعيد نشر نصوص القوانين والمراسيم العثمانية بشأن الأمور البلدية ، والمجلدات الثلاثة الباقية تتناول موضوعات معينة مثل العقود ، وامتيازات البلدية ، والصحة » والأشغال العمومية إلخ . (٢) ومن شاء الاطلاع على مقدمة عامة موجزة للموضوع كتبها الكاتب نفسه فلينظر كتاب عثمان أرگين : توركيه ده شهر جيليغنڭ تاريخى انكشافى » إستانبول سنة ١٩٣٦ . (٣) وتوجد نصوص القوانين الخاصة بالأمور البلدية فى «دستور» ، إستانبول سنة ١٨٧٢ — ١٩٢٨ ، وفى « قوانين مجموعه سى » وقانونلر دركيسى (١٩٢٠ وما بعدها) وفى رسمى غازيته ؛ (الترجمات الفرنسية فى G. Young ؛ *Corps de droit Ottoman* » أكسفورد سنة ١٩٠٥ — ١٩٠٦ و *Legislation Ottoma..* : Aristarchi ، الآستانة سنة ١٨٧٤ — ١٨٧٨ و *La Legislation turque* ، إستانبول سنة ١٩٢٣ وما بعدها ، (٤) وتوجد أوصاف حول نظام الشهر أمانت والبلديات الإقليمية فى الكتب السنوية العامة والإقليمية (سالنامه) للإمبراطورية العثمانية ، وقد ظهر آخرها عام ١٣٢٨ » [١٩١٢ م) (٥) وبالنسبة للقوانين البلدية فى الجمهورية انظر *La Vie Juridique des Peuples* ، *Turquie* ، جـ ٧ ، باريس سنة ١٩٣٩ ، ص ٥٧ وما بعدها ؛ *An Outline* : Albert Gorvine *of Turkish Provincial and local Government* ، أنقرة سنة ١٩٥٦ .

[ب لويس Lewis]

(٢) الشرق العربى

كانت مجالس المدينة فى العهد الأول للإصلاح » مثل مجلس دمشق الذى أنشأه إبراهيم باشا أثناء الاحتلال المصرى للشام سنة ١٨٣٢ — ١٨٤٠ (ا . ج رسم : المحفوظات الملكية المصرية : بيان بوثائق الشام » بيروت سنة ١٩٤٠ — ١٩٤٣) ومجلس أقامه نور الدين باشا » وهو محافظ مصلح فى سواكن عام ١٨٥٤ (*Sina* : J. Hamilton ، سنة ١٨٥٧) لا علاقة لها باى سياسة تشريعية ، ولم تعمر هذه المجالس طويلا ،

وقد طُبّق التشريع البلدى العثمانى لعام ١٢٨١– ١٢٩٤ هـ (١٨٦٤ – ١٨٧٧ م) فى سائر ولايات السلطنة التى يتحدث أهلها باللغة العربية ، اللهم إلا فى بعض المناطق الواقعة على الحدود وفى مصر حيث كان تطور البلدية يتخذ مسارا مختلفاً : وازدهرت البلديات الجديدة فى الأقاليم التى كان الوالى فيها يتعاطف مع « التنظيمات » ، ووهنت الولايات التى لم يكن يظهر فيها هذا التعاطف . وهكذا مرت بغداد بين عامى ١٨٦٩ و ١٨٧٢ و دمشق بين عامى ١٨٧٨ و ١٨٨٠ ، فى ظل أحمد مدحت باشا ، بفترة قصيرة اشتد فيها التطور المدنى الذى استلزم هدم أسوار المدينة ، وإعادة تقويم الشوارع ، وإقامة أسواق مغطاة ، وتشييد مبان عامة أخرى . وأدت مشاركة الأعيان النزاعين إلى الخدمة العامة فى هاتين المدينتين إلى دعم الإصلاح المدنى ، وكان للموصل ، فى عهد الأسر من أمرائها ، تاريخ بلدى موصول منذ عام ١٨٦٩ ؛ وعاقت الطائفية السير الهادئ لعدة بلديات فى نواحى سنجق جبل لبنان المستقل استقلالا ذاتياً وفى القدس ، حيث كان الموقف الدينى المعقد يتطلب أن يكون رئيس المجلس البلدى مسلماً . وأصاب جميع بلديات الولايات العثمانية ، ضعف يتمثل فى عجز شرطة البلدية (بلديه چاووشلرى) .

وعلى الرغم مما تعرض له نظام البلدية العثمانى من أوجه القصور التى حدت بقناصل الدول إلى المبادرة بالإبلاغ عنه فى رسائلهم ، فإنه أظهر مقدرة عجيبة على البقاء بعد تفكك أواصر السلطنة إثر الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤–١٩١٨ حين ترك انحسار الحكم العثمانى فراغاً فى الحكم المحلى فى البلاد العربية ، وتحقيقاً لاستمرار هذا النظام فى فترة الانتقال مضى البريطانيون فى العراق وفلسطين والأردن ، والفرنسيون فى سورية ولبنان ، فى تطبيق قانون البلدية العثمانى أعواما عديدة أدخلوا عليه تعديلات عكست نفوذ سلطات الانتداب . وفى عام ١٩٢٢ عين لبغداد محافظ كان هو الرئيس التنفيذى للواء بغداد ورئيس المجلس البلدى للمدينة . وتم الفصل بين المنصبين عام ١٩٢٣ . ومهما يكن من أمر فإن القانون العثمانى (ولايات بلديه قانونى) الصادر فى ٢٧ رمضان عام ١٢٩٤ هـ (١٨٧٧ م) لم يلغ إلا بعد أن صدر القانون رقم ٨٤ لسنة ١٩٣١ (إدارة البلديات) ؛ ولم تخالف حكومة فلسطين النظام العثمانى آخر الأمر إلا بعد صدور قانون المجالس البلدية عام ١٩٣٤ . وأدت الظروف القائمة فى شرقى الأردن إلى أن تكون وظائف المجالس استشارية ، وأباح قانون البلديات الصادر عام ١٩٢٥ تعيين رئيس البلدية فى العاصمة من خارج المجلس البلدى ، وكان هذا الموقف قائماً أيضاً وحتى تاريخ قريب أحدث من ذلك فى دمشق .

وفى لبنان استبدل بالقانون العثمانى لعام ١٨٧٧ مرسوم البلدية الصادر عام ١٩٢٢ ، وبمقتضاه بدأ وزير الداخلية فى القيام بواجبات الإشراف التى كانت ملقاة على عاتق الوالى العثمانى . وجعلت لبيروت عام ١٩٢٤ منزلة خاصة باعتبارها حاضرة كبيرة ، وأنشئ فيها نظام يحتذى مثيله فى پاريس ، ومع ذلك فإن الوزير ظل يعين الرئيس والمجلس منذ هذا العام حتى نهاية الانتداب الفرنسى . وألغيت المنزلة الخاصة التى كانت تتمتع بها بيروت بمقتضى المرسوم بقانون

رقم ٥ لعام ١٩٥٤ وأنشئ مجلس بلدى من اثنى عشر عضوا ، نصفهم بالانتخاب . والرئيس ، الذى يعين من أعضائه ، هو رئيس السلطة التشريعية البلدية ؛ والمحافظ ، الذى يمثل الدولة،هو رئيس السلطة التنفيذية بالمدينة ، ويحكم البلديات السورية ، وتشمل بلدية دمشق ، قانون البلديات الصادر بالمرسوم رقم ١٧٢ لعام ١٩٥٦ .

ويطلق على رؤساء بلديات دمشق وبيروت وبغداد وعمان لقب أمين العاصمة لتأكيد أهميتهم الخاصة بالنسبة لمقر الحكم ، وفى غيرها من البلاد احتفظ بالتسمية الأصلية وهى رئيس البلدية ؛ ويعين مجلس الوزراء رئيس البلدية فى العواصم ، أما فى البلديات الأخرى فيختاره إما المجلس البلدى وإما وزير الداخلية الذى يرأس عادة مصلحة أو مديرية فى وزارته تشرف على الشئون البلدية . وأنشئت فى مصر والسودان وزارات خاصة للشئون البلدية والقروية .

وطورت مصر تقاليد حكومتها المحلية : ونظراً لوجود جماعة من القناصل والتجار الأوروبيين بالإسكندرية ، فقد حظيت ببواكير حكومة بلدية فى تاريخ متقدم يرجع إلى أوائل عام ١٨٣٥ تقريباً ، عندما تكوّن مجلس التنظيم الاستشارى (مجلس الأورناتو Conseil de l'Ornato فى لغة أهل الشرق) ، وأعقب هذا تكوين بلدية سنة ١٨٦٩ لها رئيس يعين ، ومجلس ينتخب جانب من أعضائه ؛ وحرم الخديو إسماعيل وخلفاؤه القاهرة من الامتيازات البلدية حتى عام ١٩٤٩ .

ومع ذلك فقد وجدت مجالس بلدية لها سلطات مقيدة منذ عهد بعيد فى المديريات المصرية .

وخول قانون عام ١٩٠١ الحاكم العام للسودان سلطة إنشاء مجالس بلدية ، إلا أن هذا الإجراء لم يتم ؛ وأنشئ عام ١٩٢١ مجلس استشارى فى المدن المجاورة : الخرطوم ، وأم درمان ، والخرطوم بحرى ، وأنشئت لجان إقليمية فى كل مدينة ، وتكونت مجالس بلدية فى المدن الأخرى بعد تكوين أول مجلس بلدى فى بورسودان عام ١٩٤٢ ، وفى عام ١٩٤٥ استبدل باللجان الإقليمية الثلاث فى العاصمة مجالس بلدية ؛ وأعد مشروع بقانون يشمل نصاً لزيادة اللامركزية ، وأصبح قانوناً نافذاً عام ١٩٥١ .

وأسست الحكومة العثمانية بلديات فى الجزيرة العربية فى المدينة وجدة والطائف وينبع حوالى عام ١٨٧٠ . أما فى مكة فإن صيانة المرافق العامة البسيطة قسمت بين مجلس عين الزبيدة (تعميرات قومسيونى) ومجلس للأغراض العامة . ولم تكن لهذه الأنظمة جذور فى الحجاز ، واختفت فى حرب ١٩١٥ — ١٩١٩ ، وأصدرت الحكومة السعودية عام ١٩٢٦ تعليمات إدارية بإنشاء مجالس بلدية ينتخب أعضاؤها من الأعيان والتجار ، وذلك فى مكة والمدينة وجدة ، مع مجالس فنية للإدارة فى كل مدينة من هذه المدن ، تتألف من مدير البلدية ورؤساء إداراته .

وما إن حل عام ١٨٥٥ حتى كانت هناك سلطة بلدية قائمة فى عدن ، وأسست عام ١٩٠٠

سلطة محلية فى عدن ، إلا أن العنصر الانتخابى لم يسمح به فى هذا المعقل الحصين إلا عام ١٩٤٧ . وفى عام ١٩٥٣ أعيد تكوين سلطة لمجلس بلدى المعقل فى صورة بلدية عدن على أن يكون لهما رئيس معين وأغلبية من الموظفين الرسميين فى المجلس ، على أساس انتخابى عريض ، وإشراف على ميزانيتها . ولكل مجلس من المجالس البلدية فى البحرين رئيس يعينه الحاكم ، ومجلس ينتخب جانب من أعضائه . ومدير دائم (معاون = سكرتير) . ويدير بلدية الكويت مدير مسئول أمام رئيس البلدية ، وهو أحد أفراد الأسرة الحاكمة . ولم تشترك الجماعات التى تتحدث باللغة العربية فى مصوع وهرر فى إدارة المدينة إلا بنصيب ضئيل . وأنشأت الحكومة الإيطالية مجلساً بلدياً فى مصوع ، فيه تمثيل لا أهمية له لوطنيين معينين وله اختصاص محدود للغاية . وذلك بمقتضى المرسوم الصادر عام ١٨٩٣ والذى ألغى عام ١٩٠١ ؛ ووافقت الحكومة الإثيوبية على إجراءين : مرسوم إدارى رقم ١ لسنة ١٩٤٢ . نشر بإعلان البلديات رقم ٧٤ لسنة ١٩٤٥ بشأن المجالس البلدية المنتخبة .

ولم تجر العادة بأن تقوم البلديات فى الشرق العربى بالإشراف المباشر على مد الناس بالكهرباء والماء . وقلما تكون لها إشراف على النقل فى المدن ، فهى مشروعات تقوم بها إما شركات تحصل على هذا الامتياز ومعظمها الآن فى سبيله إلى التأميم ، أو مجالس تخضع لسلطة الحكومة المركزية يتحقق فيها تمثيل بلدى أو لا يتحقق . ويختار مستشارو البلدية بالاقتراع المباشر للناخبين لا بالمجالس التابعة فى نواحى البلدة كما فى أنظمة التمثيل البلدى الذى يتم على مرحلتين . وتتفاوت البلديات فى درجة العلانية التى تسير عليها فى وجوه نشاطها . فالبلديات فى المراكز المتقدمة سياسياً مثل دمشق وبيروت والقاهرة والإسكندرية تنشر ميزانياتها وتقدم مبررات لسياستها . أما الأخرى فأقل إفصاحاً . ويُستبعد رجال الصحافة من الاجتماعات التى يعقدها المجلس ويؤدى موقف المواطنين السلبى إلى حد ما بالنسبة إلى الشئون المحلية ، إذا قورنت بالشئون القومية ، إلى انكماش جداول الانتخاب نسبياً فى انتخابات المجالس . ومع ذلك فإن سكان فلسطين فى عهد الانتداب البريطانى أحجموا عن الاشتراك بدور فعال فى الشئون القومية ، بيد أنهم كثيرا ما نفّسوا عن مشاعرهم فى السياسة البلدية . وتختلف البلديات أيضاً فى التشدد الذى تفرضه على قيود البناء ورقابة حركة المرور ، وفى الأهمية التى تعلقها على رفاهية الجمهور والترويح عنه . وللنساء الحق فى الاشتراك فى انتخابات البلدية وانتخابهن فى المجالس البلدية مقصور على مصر فقط . والموظفات فى البلدية قليلات فى كل مكان .

وليس فى أى دولة خدمة حكومية محلية على نطاق الأمة كلها بحيث يتوافر لها تقاليد تضارع الخدمة المدنية القومية . وتعد الحكومة المحلية فرعاً إقليمياً للحكومة المركزية ، وليس لها استقلال تشريعى أو مالى حقيقى . ومع ذلك فإن الثروة النامية والتعقيد التقنّى فى البلديات الكبرى وماضيها فى النضج الإدارى والحكم الصالح ، كل أولئك قد زاد من حيث العمل فى استقلالها الذاتى المدنى .

المصادر :

ا — قوانين فى مصر العثمانية : (١) *Organis tion du consei- de l'ornato à Alexandrie*، من غير تاريخ (٢) *Reglements de la municipalité d'Alexandrie*، الإسكندرية سنة ١٨٦٩ ؛ (٣) *Rapport de la commission...municipale Provisoire*، سنة ١٨٨١—١٨٨٢ (٤) *Lois, décrets, arretés ■ règlements, intéressant la municipalité d'Alexandrie* ■ سنة ١٩٠٦ ■ ملحق سنة ١٩١٣ .

ب — التشريع منذ عام ١٩١٨ : صدرت قوانين بلدية من مختلف الدول فى الجرائد الرسمية الوطنية وأعيد طبعها عادة فى صيغة مجموعة قوانين مثل (٥) سورية ؛ قانون البلديات السورى مع تعديلاته الأخيرة بموجب مرسوم رقم ١٧٢ لسنة ١٩٥٦ ؛ (٦) لبنان : مجموعة القوانين ، سنة ١٩٤٨ ، حـ ٢ ، ٢ ، بلديات ؛ (٧) الأردن : مجموعات القوانين والأنظمة ١٩١٨ — ١٩٤٦ ■ حـ ٣ . (٨) القاهرة : القانون رقم ١٤٥ ، لسنة ١٩٤٩ ، بإنشاء مجلس بلدى لمدينة القاهرة والتعديلات ،

حـ — مراجع أخرى : (٩) تقارير سنوية عن مصر ١٨٩١ — ١٨٩٧ (عن مصر والسودان ، ١٨٩٨ — ١٩١٩) قدمها المعتمد البريطانى والقنصل العام (بعد عام ١٩١٣ قدمها المندوب السامى) ؛ (١٠) قوانين أخرى لعصبة الأمم : سورية ولبنان ■ سنة ١٩٢٠—١٩٣٩ ، والعراق سنة ١٩٢٥—١٩٣٣ ، وفلسطين وشرق الأردن سنة ١٩١٧—١٩٤٧ ، (١١) تقارير سنوية مقدمة من بلديات حكومات عدن والبحرين والكويت . (١٢) *Municipalité de Damas, exposé des opérations effectuées de 1920 à 1924* (بالعربية والفرنسية) ■ دمشق ، من غير تاريخ . (١٣) *Municipal government ■ the Lebanon* : W. H. Ritscher، بيروت سنة ١٩٣٢ . (١٤) *Review of the civil administration of Mesopotamia* : [G.L. Bel.] Cmd. ■ ١٠٦١ ■ سنة ١٩٢٠ ؛ (١٥) *De l'utilité de la créat ■ d'une municipalité ■ Alexandrie. Projet à cet égard; raison de son divirgence avec l'institution analogue — à Constantinople* : O. Colucci فى *BIE* رقم ٨، سنة ١٨٦٤ . (١٦) *La Ville du Caire... Essai ■ la creation d'une municipalité* : A.T. Cancri ■ الإسكندرية سنة ١٩٠٥ ؛ (١٧) *La Vie municipal: ■ Egypte.* : R. Maunier (المؤتمر الدولى للمدن ■ غاند Gand ، سنة ١٩١٣ ، (١٨) *L'institution Egypt. contemp-oraine, municipale ■ Egypte* : M. Delacroix ■ حـ ١٣ ■ سنة ١٩٢٢ ؛ (١٩) *Rept. on local government in the Sudan* : A.H. Marshall ■ سنة ١٩٤٩ . (٢٠) *The Ethiopian Empire — laws* : N. Marein ، روتردام سنة ١٩٥٤ .

[ر . ل . هل R.L. Hill]

(٣) شمالى إفريقية

(ا) تونس :

ظهرت أول بلدية ببلاد تونس فى عهد الباى محمد الذى أنشأ ■ بموجب مرسوم أصدره فى ٣٠ أغسطس سنة ١٨٥٨ ، مجلساً بلديا لإدارة شئون

مدينة تونس ، تتألف من رئيس وكاتب سر واثنى عشر عضوا يختارون من أبرز الناس فى البلاد ، ويتخلى ثلثهم عن مقاعدهم كل عام ، وكانت أهم التبعات التى يضطلع بها هذا المجلس تدبير أمور الأموال العامة ، والطرق ، ونزع ملكية الأرض اللازمة لتوسيع الطرق من أجل المنفعة العامة ، وإصدار تراخيص البناء ، وكان المجلس يستمد سلطته الإدارية ، التى لم تكن محددة إلا بصورة يكتنفها الغموض ، من السلطان ؛ وتغير تكوين مجلس تونس بعد قيام الحماية الفرنسية ، بموجب مرسوم من الباى صادر بتاريخ ٣١ أكتوبر سنة ١٨٨٣ ؛ وصدر بعد عامين مرسوم بتاريخ أول أبريل سنة ١٨٨٥ متضمناً قانوناً للبلديات فى تونس بأسرها، وسرعان ما أعقبه مرسوم آخر (١٠ يونية سنة ١٨٨٥) ، نص على وجوب تعين الحكومة لجميع أعضاء المجالس البلدية فى تونس ، وأورد قائمة بالشئون التى تختص بها المجالس البلدية ، ونظم إدارة البلاد بوساطة هذه المجالس ؛ وقد تم إصلاحان متعاقبان أحدهما بموجب مرسوم ١٠ أغسطس سنة ١٩٣٧ ، الذى خفف من الحكم الذى كان يستلزم الموافقة على كل ما تتمخض عنه مناقشات المجالس البلدية ، والآخر بمرسوم ١٥ سبتمبر سنة ١٩٤٥ الذى نص على إنشاء مجلس بلدى منتخب فى تونس ، يتألف من عدد متماثل من التونسيين والفرنسيين . بيد أن هذا النظام — بصفة عامة — قد عدل تعديلا كبيراً بموجب مرسوم الباى الصادر فى ٢٠ دسمبر سنة ١٩٥٢ الذى حدد « الدائرة » بأنها هيئة جماعية تتمتع فى ظل القانون العام بمركز قانونى مدنى واستقلال ذاتى من الناحية المالية ، وتقع على عاتقها مسئولية إدارة شئون البلدية ؛ والهيئة التى تدبر شئون الدائرة هى المجلس البلدى المنتخب لمدة ست سنوات بالاقتراع المباشر لطائفتين من الناخبين ، والذى يعين رؤساء المجلس البلدى من التونسيين والفرنسيين على التوالى ؛ ويخلى نصف الأعضاء مقاعدهم كل ثلاث سنوات ؛ ومن بين مجموع الدوائر الأربع والستين ٣٩ دائرة تعين عددا متساوياً من الفرنسيين والتونسيين فى مجالسها البلدية، أما الدوائر الأخرى فتعين أغلبية الأعضاء من التونسيين أو تعينهم من التونسيين وحدهم ؛ وتجرى الانتخابات طبقاً لقاعدة عامة من الاقتراع العام بشرط ألا يكون للتونسيات — وهن فى هذا يختلفن عن الفرنسيات — الحق فى التصويت ؛ ويعقد المجلس البلدى أربع جلسات عادية كل عام ، واختصاصه مقيد ، ولا يمتد إلى كل عمل فى الدائرة ؛ ولا يزال هناك إشراف إدارى يقوم به وزير الدولة على الصعيد المركزى والقائد على الصعيد المحلى ، والقائد هو الذى حل الآن محل المفتش المدنى الفرنسى ؛ وتتألف الهيئة التنفيذية للدائرة من : رئيس يعين بمرسوم من بين القادة الآخرين—غير القائد المسئول عن الدائرة المذكورة — ونائب للرئيس ، ووكلاء ينتخبهم المجلس البلدى من بين أعضائه ؛ وتحتفظ هذا التنظيم بالعلاقة السابقة القائمة مع مجلس تونس البلدى المنتخب لمدة ست سنوات . والهيئة التنفيذية للدائرة هى شيخ المدينة ، وهو رئيس يعينه المجلس البلدى

لمدينة تونس وساعده نائبان للرئيس ، أحدهما فرنسي والآخر تونسي .

وتغير نظام الدوائر فى تونس بعد أن أصبحت مستقلة بموجب قانون البلديات الصادر فى ١٤ مارس سنة ١٩٥٧ . وقد رفع هذا القانون الجديد عدد الدوائر إلى ٤٩ . وتنتخب المجالس البلدية الآن انتخاباً مباشراً بتصويت سرى واحد من قائمة بالمرشحين ، لمدة ثلاث سنوات ، والناخبون هم التونسيون من الجنسين البالغين عشرين عاماً فأكثر ، والحد الأدنى للعمر الذى يجب أن يتوفر فى المرشحين هو ٢٥ عاماً . ولم يعد فى وسع الفرنسيين أن يكونوا أعضاء فى المجالس البلدية . ولكن القانون نص على أن الفرنسيين والأجانب الذين لهم الحق فى التصويت تمكن أن تعينهم الحكومة التونسية التى تحدد عدد هؤلاء الأشخاص لكل دائرة .

ويمارس وزير الداخلية والمحافظون الإشراف الإدارى على الصعيدين المركزى والمحلى . ولا بد من ذكر أمرين هامين آخرين استحدثا لأول مرة : فالمجلس الآن ينتخب الرئيس ونائبيه ، غير أن رئيس دائرة تونس لا يزال يعين بمقتضى قرار من رئيس الوزراء . أما رئيس المجلس فعينه وزير الداخلية . ومن جهة أخرى تقوم المجالس الآن بكل عمال الدائرة .

[ش. سمران Ch. Samaran]

(٣) شمالى إفريقية

(ب) مراكش :

لم تكن فى مراكش قبل عام ١٩١٢ مجالس بلدية ولا حياة بلدية بالمعنى الذى عرف به هذان المصطلحان فى بعض البلاد الأوروبية منذ العصور الوسطى ، وهو معنى ورثته من التقاليد الرومانية ، ولم تكن للمدن أموال خاصة بها . وكانت نفقات المرافق العامة تواجه إلى حد كبير بدخل المؤسسات الدينية أو « الحبُوس » ، وكان البناء أو التحسينات تتوقف على حسن نية الأمير الذى يحمّل الخزانة العامة المبالغ المطلوبة . ولم تكن هناك مجالس تمثل المواطنين ، وكان العامل — أى الوالى — يستمد سلطته مباشرة من السلطان ، ولم يكن المحتسب «مشرفاًعلىالتجار» — كما يذكر فىكثير منالأحوال — لأنهم لم يقوموا بانتخابه . وكان العامل الرشيد يستشير المبرزين من الناس فى منطقته . ولكنه لم يكن ملزماً بفعل هذا .

وكان أول مجلس بلدى أنشأته حكومة الحماية الفرنسية هو مجلس فاس (المجلس البلدى) الذى ألف بموجب المرسوم بقانون (الظهير) الصادر فى ٢ سبتمبر سنة ١٩١٢ . وكان يتضمن إقامة مجلس مكون من خمسة عشر عضوا لهم حق التصويت وسبعة موظفين يعينون بشروط خاصة ، وثمانية آخرين من الأعيان ينتخبون لمدة سنتين . وبقى هذا النظام معمولا به حتى صدر قانون المجالس البلدية عام ١٩١٧ .

وأنشأ مرسوم أول أبريل عام ١٩١٣ « مجالس بلدية فى موانى السلطنة الشريفية » ، وأجمله ووضحه مرسوم ٨ أبريل سنة ١٩١٧ . ومنحت تسع عشرة مدينة الصفة القانونية للبلديات (عدد

السكان ١,٨٢٢,٧٤٦ نسمة طبقاً لإحصاء عام ١٩٥١ — ١٩٥٢) ؛ ويحدد المرسوم السلطات البلدية : الباشا أو العامل ، وكان لا يزال يعين من قبل السلطة المركزية ويخضع لإدارة موظف كبير الرتبة للخدمات البلدية ، ثم لإدارة وكيل للشئون المدنية اعتباراً من عام ١٩٤٧ ؛ ومجلس بلدى له الحق فى مناقشة الموضوعات المعروضة عليه فحسب وهو يعين ولاينتخب ، ويتألف من ثلاث طوائف : طائفة فرنسية مقابل طائفتين مراكشيتين (إحداهما مسلمة والأخرى يهودية) ؛ وتقدم البلديات خدمات تحت إدارة رئيس المرافق البلدية : خدمات إدارية ، وأشغال عامة ، وخدمات صحية ومالية ؛ ولها ميزانيات تدبرها من مواردها الخاصة (ضرائب مباشرة وغير مباشرة ؛ ودخول من الأرض والرسوم ؛ ونصيب فى الأرباح التى تجنى من الخدمات المقدمة) .

ومنحت الدار البيضاء ، مثل فاس ، نظاماً خاصاً ، ولكن لم يحدث هذا إلا عام ١٩٢٢ . وعلى الرغم من أن المجلس البلدى لا يزال أعضاؤه يعينون ؛ فإن له حق التصويت ، وتنتخب الطائفة الفرنسية نائبَ رئيس فرنسيا له صلاحيات خاصة .

ولقد أصلح نظام البلديات عام ١٩٥٣ بموجب مرسوم ١٨ سبتمبر ، الذى ألغى التنظيمات الخاصة فى فاس والدار البيضاء ؛ والتغيير الأساسى الذى أدخله هو إنشاء مجالس بلدية منتخبة — لا معينة — تتألف من عدد متساو من المراكشيين والفرنسيين ويدير المجلس شئون المدينة ؛ ومع ذلك لا مناص من أن تصدق على قراراته السلطة المركزية المشرفة عليه .

وقد وضعت أحكام هذا القانون الإدارية موضع التنفيذ ، ولكن ذلك لم يحدث بالنسبة للأحكام الخاصة بالانتخابات ، فقد حال دون هذا الأزمة السياسية التى وقعت سنة ١٩٥٣، وظلت المجالس المعينة القديمة قائمة ؛ ثم حلت عندما استقلت مراكش .

ولم تغير حكومة مراكش المستقلة فى قانون البلديات أى تغيير ؛ ولم تختف إلا الإشراف الفرنسى واللجان ؛ وهذا أمر طبيعى جداً ؛ ويُعد الآن نظام تمثيلى جديد؛ ولن تكون علاقته بالمدن فحسب ، بل إنه يواجه إنشاء دوائر ريفية تحل محل القبائل أو البطون القديمة ، وتديرها مجالس منتخبة فى سائر البلاد ؛ ولم يكن القانون قد صدر بعدُ وقتَ كتابة هذه المادة ؛ ويبدو أنه يستلهم—إلى حد كبير— مرسوم ٦ يوليو سنة ١٩٥١ ، الذى أنشأ جماعات منتخبة لها حق التصويت داخل إطار القبيلة أو البطن عادة .

وفى الجزائر ينقل التنظيم البلدى النظام المعمول به فى فرنسا ، وذلك فى المدن والقرى ؛ وفى كل مكان استبدل بـ « الدوائر المختلطة » القديمة — التى يديرها موظفون تعينهم الحكومة ، وتخضع لوكلاء أمناء المدن — « دوائر لها سلطات كاملة » .

المصادر :

(١) Emmanuel Durand : *Traité de droit Public marocain* ، باريس سنة ١٩٥٥ .

[A. Adam ا ه آدم]

(٤) بلاد فارس

كان أكبر موظف فى المدينة بعد الوالى ، فى القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، هو الكلر بكى ، وكان يعمل تحت رئاسته « الداروغه » و « الكلانتر » ، وكان يشرف على كل حى فى المدن الكبرى كتخدا ؛ وتمتعت نقابات أرباب الحرف فى السوق بقدر كبير من الاستقلال فى الشئون الداخلية ؛ وكانت شوارع المدينة ضيقة وغير مرصوفة فى الغالب ، موحلة فى الشتاء ، متربة فى الصيف ولا تضاء بالليل ؛ وعلى أية حال فقد كانت المطالبة بالإصلاح البلدى ضئيلة ، وحتى بعد منح الدستور عام ١٩٠٦ كان الاهتمام بإنشاء بلديات طبقاً للأنماط الحديثة طفيفاً ، ووفق على قانون للبلديات يوم ٢٠ ربيع الثانى سنة ١٣٢٥ هـ (٢ يونية سنة ١٩٠٧ م) ولكنه ظل موقوفاً بسبب نقص الأموال التى خصصت لتطوير البلديات ؛ وفى عام ١٩١٩ — أثناء تولى السيد ضياء الدين طباطبائى رئاسة الوزارة — أنشئ مجلس لوضع خطة لبلدية تقام فى طهران طبقاً للأنماط الحديثة، ولكنه أثبت فشله (J.M. Balfour : *Recent Happenings in Persia* ، لندن سنة ١٩٢٢ ، ص ٢٤٠) . وفى عام ١٩٢٢ عين الدكتور ريان Ryan ، وهو أمريكى ، مستشاراً لبلدية طهران ، وتوفى الرجل عام ١٩٢٣ ولم يعين أحد بدله (A. C. Millspaugh : *The American Task in Persia* ، نيويورك ولندن ، سنة ١٩٢٥ ، ص ٢١ ، ٢١٢) ؛ وفى عهد الشاه رضا (١٩٢٥ — ١٩٤١) حدث تطور كبير فى الشئون البلدية ، وما إن حل عام ١٩٢٧ — ١٩٢٨ حتى كانت هناك نحو ١٣٤ بلدية قائمة ، وبموجب قانون البلديات الصادر عام ١٣٠٩ هـ (١٩٣٠ م) كان وزير الداخلية يعين رئيس البلدية (رئيس إداره بلديه) ؛ وكان مسئولا عن تنفيذ مشروعات لتطوير البلدية والإدارة البلدية ، وتشمل تبعاته مراقبة الموازين والمكاييل ، والإشراف على نقابات أرباب الحرف، وتنظيم المواد الغذائية والأسعار والإيرادات ، ونص القانون أيضاً على إنشاء مجلس بلدى منتخب يتألف من ٦—١٢ عضوا ، ويعمل لمدة سنتين ، وكانت واجباته تنحصر فى الإشراف على أعمال البلدية والموافقة على ميزانيتها ، وأن يقترح — عن طريق رئيس البلدية — على وزير الداخلية فرض رسوم بلدية ؛ وحدث تقدم كبير فى ميدان تخطيط المدن فى عهد الشاه رضا ، بيد أن اشتداد المركزية والرقابة المحكمة التى تفرضها وزارة الداخلية على الشئون البلدية كانت تدل على أن الجماعات المحلية لم تكن فى الحقيقة مسئولة إلا قليلا عن الشئون البلدية أو الإشراف عليها ؛ وفى عام ١٣٢٨ هـ (١٩٤٩ م) صدر قانون جديد زاد من حجم المجلس البلدى فأصبح يتألف من ٦ — ٣٠ عضوا وامتددت فترة عمله إلى أربعة أعوام ؛ ولم تتغير أهم وظائفه ، إلا أن سلطاته زادت إلى حد ما ؛ وكان وزير الداخلية يعين رئيس البلدية من بين ثلاثة مرشحين يقدمهم المجلس ، وكان هذا الرئيس يعزل إذا قام المجلس بالتصويت على عدم الثقة به ، ومهما يكن من أمر فإن ازدياد سلطة المجلس البلدى كان يقابله ما يحدث إذا وقع خلاف بين الحاكم العام والمجلس البلدى،

فقد كان الحاكم العام يستطيع أن يلجأ إلى وزير الداخلية فيصدر هذا قرارا يكون فيه القول الفصل ؛ وطرأت بعد ذلك تعديلات فى مركز البلدية والمجالس البلدى بمقتضى أوامر إدارية (لائحه قانونى) مؤرخة فى ١١ آبان عام ١٣٣١ ش (١٩٥٢ م) و ٢٥ خرداد عام ١٣٣٢ ش (١٩٥٣ م) صدرت أثناء تولى الدكتور مصدق رئاسة الوزارة وبمقتضى القانون الصادر فى ١١ تير عام ١٣٣٤ ش(١٩٥٥م)؛ وتدعم مركز المجلس البلدى من بعض الوجوه ، بيد أن حريته فى العمل قيدت بتخويل وزير الداخلية الحق فى طلب حله فى ظروف معينة ، وفى حالة عدم وجود مجلس بلدى كان وزير الداخلية يعتبر خلفاً للمجلس ، وبمقتضى قانون خطة السنوات السبع الثانية ، والموافق عليه فى مارس سنة ١٩٥٦ ، قسمت بلاد فارس إلى ثلاث مناطق للإصلاح البلدى لكل منها هيئة من المستشارين وزعت عليها المسئولية (F. C. Mason : *Iran, Economic and Commercial Conditions in Iran* أغسطس سنة ١٩٥٧ فى *HMSO* ، سنة ١٩٥٧ ، ص ٧٤ — ٧٥) ؛ وأصبحت البلدية تعرف إبان عهد الشاه رضا باسم شهر دارى ورئيس البلدية باسم شهر دار .

[أ . ك . س . لامبتون A.K.S. Lambton]

(٥) الهنـــد

كانت الجماعات القروية الوطنية فى الهند التى تشرف عليها المجالس القروية أو البنچايات تمثل صورة من صور الحكم المحلى ، غير أنها توقفت عن العمل أثناء الفوضى التى صاحبت اضمحلال الإمبراطورية المغلية ، وقد احتفظ آلبوكرك حاكم المستعمرات البرتغالية فى الهند بين عامى ١٥٠٩ و١٥١٥ بالجماعات القروية القائمة فى حكمه لجوًا ، وفى عام ١٦٧٤ أفاد جيرالد أونگير Gerald Aungier أيضاً من البنچايات القديمة فى بومباى ؛ وبقى نظام البنچايات إلى حد ما فى أقاليم مراطها پيشوا ، وكانت لها آثار ملحوظة فى غيرها من الأماكن ، وهذا ما أدى بمونتستيوارت إلفنستون Mountstuart Elkhinistone فى بومباى ، وتوماس مونرو Thomas Munro فى مدراس إلى المطالبة بالحفاظ على هذه المجالس القروية حيثما كان ذلك ممكناً ، ومهما يكن من أمر فإن تمثيلها لم يحظ إلا بالقليل من الاهتمام ، وكانت أنظمة الحكم الذاتى المحلى التى أدخلها البريطانيون فى منتصف القرن التاسع عشر من طراز أجنبى ، وظلت إلى الوقت الذى أدخلت فيه إصلاحات مونتا گو — تشلمسفورد Montagu Chelmsford عام ١٩١٩ تشبه النظام الفرنسى أكثر مما تشبه النظام البريطانى ، لأن موظف المقاطعة فى الهند البريطانية كان مثل أمين المقاطعة الفرنسى يهيمن على السلطات الإقليمية هيمنة صارمة ؛ وكان هناك قدر كبير جداً من التدخل الرسمى ، وكان المديرون البريطانيون يستهدفون إقامة حكومة محلية قادرة تخضع لرقابة رسمية أكثر من إقامة أى نظام حقيقى لحكومة محلية تخضع لرقابة شعبية ،

وبدأ تطور الأنظمة البلدية أيام الحكم البريطانى فى مدن الولايات الهندية الكبرى : مدراس وبومباى وكلكتة ، وفى أوائل عام ١٦٨٧ أنشئت

هيئة بلدية ومجلس للمحافظ فى مدراس بأمر صدر من مجلس مديرى شركة الهند الشرقية . وأنشئت مجالس مماثلة فى كلكتة وبومباى عام ١٧٢٦ . ومهما يكن من أمر فإن هذه المجالس قصد بها أن تمارس وظائف قضائية أكثر منها إدارية . وخول الحاكم العام بموجب القانون الصادر عام ١٧٩٣ حق تعيين مأمورين قضائيين للإدارة البلدية فى مدن هذه الولايات الكبرى ، وكان لهم علاوة على ما يكلفون به من تبعات قضائية حق تعيين خفر وكناسين وفرض ضريبة محة لهذا الغرض . وصادف هذا قدراً من النجاح فى بومباى ، ولكنه لم ينجح فى كلكتة أو مدراس . وكان المأمورون القضائيون موظفين تعينهم الحكومة ، ولم يسمح قبل عام ١٨٧٢ لدافعى الضرائب فى مدن هذه الولايات بانتخاب ممثلين لهم .

وصدرت سلسلة من اللوائح بين عامى ١٨٤٢ و ١٨٦٣ مدت مجال الأنظمة البلدية إلى مدن أخرى . وعدل قانون المجلس البلدى الحكومى بالتشريعات المحلية . وأعلنت الحاجة إلى إشراك الهنود فى الحكم المحلى بقرار أصدرته حكومة اللورد مايو Mayo . وشهد حكم اللورد ريپون Lord Ripon (١٨٨٠ — ١٨٨٤) توسعاً عظيماً فى الحكم المحلى الذى عقدت عليه الآمال بأن يكون وسيلة للتربية السياسة للهنود ، وأنشئت فى الوقت نفسه مجالس قروية ، على غرار المجالس البلدية ، مدت النظام إلى المناطق الريفية ، ولم تسلم المجالس المحلية نفسها إلى الرقابة الشعبية قبل إدخال نظام الحكومة الثنائية فى عهد إصلاحات مونتاگو تشلمسفورد ، وأصبح هناك وزراء منتخبون مسئولون عن إدارة الحكم المحلى .

المصادر :

(١) J.G. Drummond : *Panchayats in India*، بومباى سنة ١٩٣٧ . (٢) W. S. Goode : *Municipal Calcutta* ، إدنبرة سنة ١٩١٦ ؛ (٣) *Imperial Gazetteer of India* ، مجلد ، فصل ، (سنة١٩٠٩) . (٤) J.H. Lindsay : *Cambridge History of India* ، مجلد ٦ ، فصل ٢٨ (سنة ١٩٣٢) . (٥) R.P. Masani : *Evolution of Local Self- Government in Bombay* ، بومباى سنة ١٩٢٩ . (٦) K.P.K. Pillay : *Local Self- Government in the Madras Presidency* ، ١٨٥٠ — ١٩١٩ ، فى *Journal Local Self-Government Institute Bombay* ، سنة ١٩٥١—١٩٥٢ . (٧) H. Tinker : *The Foundations of Local Self- Government in India, Pakistan and Burma* ، لندن سنة ١٩٥٤ .

[س. كولن ديڤيز C. Collin Davies]

(٦) الملايو وسنغافورة

إن البلديات فى الملايو ، كما فى الأجزاء الأخرى من الكومونولث البريطانى ، مقتبسة من نظام الحكم المحلى فى إنكلترة ، وقد ظهرت هذه الأنظمة لأول مرة فى هذه المنطقة بمستعمرات المضايق فى ملقا وپينانغ وسنغافورة ؛ وفى عام ١٨٢٧ أدخلت بواكير الأنظمة البلدية فى مستعمرات المضايق فى

صورة مجلس محلى تختص بصيانة الطرق والمجارى فى پينانغ ، وسرعان ما أعقب هذا مجالس مماثلة فى سنغافورة وملقا . وفى عام ١٨٥٦ سنّت حكومة الهند (شركة الهند الشرقية) قانوناً بإنشاء مجالس بلدية فى المحطات الثلاث : سنغافورة ، وملقا ، وجزيرة أمير ولز (پينانغ) . وكانت الاجتماعات تعقد مرتين كل شهر عام ١٨٥٨ ، ويباح للجمهور مشاهدتها . وأصبحت المجالس البلدية فى محطة جزيرة أمير ولز (پينانغ) . المجلس البلدى لجورج تاون فى عام ١٨٨٨ . وما إن انتقلنا إلى القرن التالى حتى كان هناك ثلاثة مجالس بلدية لمدينة سنغافورة وجورج تاون فى پينانغ ومدينة وحصن ملقا ، وكان لكل مجلس رئيس يعمل طول الوقت ، يعينه الحاكم ، وعدد من الأعضاء الرسميين وغير الرسميين الذين كانوا يختارون فى المراحل الأولى بإجراء انتخابى . واقتصر هذا الإجراء من بعد على نصف أعضاء المجلس ، أما الباقون فكانوا يعينون من قبل الحاكم . وبحلول عام ١٩١٣ حين سن القانون البلدى لمستعمرات المضايق ترك العمل بالإجراء الانتخابى تماماً ، وأصبح أعضاء المجالس جميعاً يعينون لتمثيل الرأى المحلى واتحادات العمل والطوائف الدينية أو العشائرية . واستمر العمل بنظام التعيين إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية ، وهنالك أدخل الإجراء الانتخابى مرة أخرى أولا فى سنغافورة ثم فى پينانغ وملقا . وفى هذه المرحلة كان ثلثا أعضاء المجالس فحسب ينتخبون بالاقتراع العام بين البالغين . وما إن حل عام ١٩٥٧ حتى أصبحت المجالس البلدية مجالس للمدن (مجلس بندر رعايا) فى سنغافورة وجورج تاون اللتين كانتا قد أصبحتا مدينتين ينتخب فيهما جميع أعضاء المجالس ، وهؤلاء بدورهم كانوا ينتخبون رئيسهم الذى يسمى رئيس المدينة (دتوء بنـــدر) .

واشترط قانون مستعمرات المضايق أن يكون عضو المجلس البلدى قادراً على الحديث باللغة الإنكليزية والكتابة بها ، لأنها كانت اللغة المعترف بها رسمياً . وجنح هذا الاشتراك هو ونظام تعيين أعضاء المجلس إلى إضعاف الاهتمام العام بشئون المجلس . واعترف بعد عام ١٩٥٧ باللغات الصينية والتاميلية والملاوية لغات رسمية إلى جانب اللغة الإنكليزية من حيث هى لغات تصلح لاجتماعات مجلس سنغافورة . واعترف أيضاً باللغة الملاوية ، وهى اللغة القومية لاتحاد الملايو لغة رسمية هى والإنكليزية فى ملقا وپينانغ . وساعد هذا على تحطيم الحواجز بين الجمهور والمجلس ، وفتح الباب أمام أعضاء المجتمع الذين لم يتعلموا الإنكليزية ليمثلوا بالانتخاب مع ما اقترن بذلك من نزعات إلى الراديكالية .

وقد مارست بلديات سنغافورة وجورج تاون ومدينة حصن ملقا فى جميع الأحوال كل الوظائف المتوقعة من سلطة محلية . وسمح لها علاوة على هذا بالاضطلاع بأعباء تزويد المدينة بالماء والغاز والكهرباء .

وبانتشار الإدارة البريطانية فى ولايات الملايو وشبه الجزيرة برز نمط جديد من الحكم المحلى ، وأطلق على هذا النمط اسم مجلس المدينة . وأنشئ لأول مرة فى اتحاد ولايات الملايو فى پيراك ونگرى وسمبلان وپاهنغ . واقتبست ولايات الملايو غير

الاتحادية أنظمة مماثلة مع تعديلات محلية فى التسمية والسلطات . ويجب أن نلاحظ أن مجالس المدن كانت أقل من أن توصف بالحكومة المحلية وأقرب ما تكون إلى حكومة مركزية تعمل على الصعيد المحلى . فقد كانت تعتمد اعتماداً كليا على سلطة الدولة ، وكان جميع مستخدميها موظفين فى الدولة . وكانت — على خلاف المجلس البلدى — غير مستقلة قانونا عن الحكومة المركزية ، بل تعد وكيلة لها . وكان الرئيس والأعضاء يعينون من قبل السلطة المركزية لمدة غير محدودة ، وليس لمدة أربعة أعوام ، كما هى الحال فى المجلس البلدى . أما مجالس المدن فكانت على خلاف المجالس البلدية أيضاً فى أنها مدت سلطاتها إلى ما وراء حدود المدن من القرى المجاورة .

وجاءت أول محاولة لإنشاء بلديات بالمعنى الحقيقى فى نطاق ولايات الملايو بعد إنشاء اتحاد الملايو عام ١٩٤٨ ، وقد سن القانون البلدى لمستعمرات المضايق ليسرى فى جميع أرجاء الاتحاد الذى كان يضم وقتذاك الولايات التسع ومستعمرتى پينانغ وملقا ، وتركت سنغافورة خارج الاتحاد . وفى العام نفسه حول مجلس مدينة كوالا لمپور وهى عاصمة الاتحاد ، إلى بلدية واحتفظ هذا المجلس بتبعاته السابقة وتشمل إدارة القرى المتطرفة حول كوالا لمپور . ومهما يكن من أمر فقد حدث تمييز بين منطقة بلدية داخلية وبين منطقة بلدية خارجية ، فالأولى تشير إلى المدينة بعينها ، والثانية إلى القرى الواقعة حولها . ومن وقتها بدأت تحدث تغيرات ، فأصبحت المجالس البلدية مجالس مدن (مجلس بندران) ، وأدخل الإجراء الانتخابى ، وخولت هذه المجالس سلطة أكبر وأصبح من الواضح اهتمامها الكبير بالشئون المحلية . والحق إن الانتخابات المحلية فى الملايو أصبحت تعادل فى الأهمية نظائرها فى غيرها من البلاد الآخذة بنصيب كبير من التقدم ، بمعنى أنها أصبحت ميداناً للاختبار بالنسبة للأحزاب السياسية الوطنية المعارضة .

ولا تزال البلديات (بربندران) فى الوقت الحالى باتحاد الملايو تجتاز فترة انتقال ، فقانون البلديات لم يعمل به عاماً فى سائر أنحاء الاتحاد (إلى جانب مجلس مدينة جورج تاون وبلديات كوالا لمپور وملقا انتخبت ٢٧ مدينة كبرى فى الاتحاد مجالس مدن ، منها ١٢ تمول تمويلا ذاتياً ، والأخرى تسير فى نفس الاتجاه) ، وينتظر تعديل القانون لإفساح المجال أمام التغيرات ، التى تحتفظ على أية حال بالأصول الأساسية لبلدية حديثة .

المصادر :

بالنسبة لأصل البلديات وتطورها القديم فى الملايو انظر (١) Buckley, C. Burton : History of Singapore ، سنغافورة سنة ١٩٠٢ (٢) Records of the East India Co. B. Pub. Range ، وبخاصة ، مجلد ٦٩ ، ٣٠ أكتوبر سنة ١٨٣٢ ، B. Pub. Range 13 ، مجلد ٢٧ ، ٢ مايو سنة ١٨٣٨ ، B. B. Publ. R. 13 مجلد ٧٧ ، ١٣ يونية سنة ١٨٤٩ ، B. Pub. Range 13 ، مجلد ٧٩ ، ١٧ أكتوبر سنة ١٨٤٩ (٣) P.P. Command Papers ، رقم ٣٦٧٢ ، مجلد ٥٢ ، سنة ١٨٦٦ .

ومن شاء الحصول على معلومات متعلقة بتطور الأنظمة البلدية وعملها حتى عام ١٩٤٨ فلينظر
(٤) ‏*Local Government in Malaya* : W.C. Taylor ‏؛
وهذا الكتاب يزودنا بمعلومات لا تقدر عن عمل المجالس البلدية وبخاصة المجالس فى بينانغ وأنظمة الحكومة المحلية الأخرى فى الملايو حتى وقت كتابته ؛ وانظر أيضاً (٥) D.K. Walters :
Municipal Ordinance of the Straits settlements
(مشروحاً) (٦) *Report of the Committee on local*
Government سنة١٩٥٦ (مستعمرة سنغافورة) (٧)
Report on the reform of local Government
سنة ١٩٥٢ (مستعمرة سنغافورة) (٨) *Report on*
the introduction of elections in the municipality of
George Town, Penang سنة ١٩٥١ (٩) *Annual*
‏، *reports of the straits settlements and the Malay States*
قبل عام ١٩٤٨ .

وبالنسبة للمراجع المتعلقة بأداء البلديات فى الملايو لوظائفها انظر (١٠) *the* ■ *Fact Sheets*
Federation of Malaya ، رقم ٥ ، نوفمبر سنة
١٩٥٧(١١) *Colony of Singapore Government gazette*
supplement، رقم ٢٣ ورقم ٢٤ سنة ١٩٥٧ (١٢)
■ *Singapore legistative assembly select committee*
Bill *Local Government* Report No. L.A.‏، 10 سنة
١٩٥٧ (١٣) *Municipal ordinance* (تطبيق توسع فيه)
ordinance 1948 (اتحاد الملايو) . (١٤) مصادر ثانوية :
S.W. Jones : *Malaya* ■ *Public administration*
أكسفورد .

[م . زكى بدوى M.A. Zaki Badawi]

(٧) إندونيسيا

لانعرف الكثير عن الحياة السياسية أو نوع الحكومة فى مدن إندونيسيا وبلدانها فى العهود القديمة قبل الإسلام سواء فى القصبات الملكية مثل عواصم ماترام القديمة أو مجوپاهيت من بعد ، أو فى المراكز المدنية التجارية مثل توبان وجرسيك أو بالمبانغ .

وليس ثمة دليل حتى الآن على وجود أى صورة من صور الحكم المحلى الحقيقى أو استقلال ذاتى خول للأنظمة العامة ذات الأصول المحلية . ولما توغل الإسلام بالتدريج منذ القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) فى سومطرة بأسرها وجاوة وفى كثير من المناطق الأخرى من جزر الأرخبيل، استمر ذلك الافتقار إلى الأنظمة العامة المحلية فى البلدان والمدن ولم تكن هذه كبيرة ولا متعددة ؛ وتذكر المصادر الأوروبية وغير الأوروبية على السواء فى القرنين السادس عشر والسابع عشر أن سكان المدن، أو المدن التجارية فى الحضر، كان يحكمها موالى السلاطين أو الأمراء ، وأن مدنهم لم تكن لها أبداً شخصية اعتبارية من الناحية القانونية . ولم يكن للمدن الوطنية فى الماضى البعيد أو فى الأزمنة الحديثة أى تأثير خلاق فى تطور القانون كما كان للبلدان والمدن فى أوروبا الغربية عن طريق سلطانها التشريعية أو محاكمها الخاصة .

وأنشئت بعض المؤسسات المدنية على النمط الغربى فى القرن السابع عشر فى المدن التى حكمتها شركة الهند الشرقية الهولندية أو أسستها هذه الهيئة

صاحبة السلطة قانوناً (مثل باتافيا) ، ومنها الوسكامر Weeskamer (مجلس لرعاية شئون الأيتام) ، الذى ربما يرد ذكره لأنه بقى بعد الشركة نفسها ، وعادت هذه المؤسسات إلى الظهور من جديد فى التشريع العام للقرنين التاسع عشر والعشرين فى القانون المدنى الذى يطبق على الأوروبيين وغير الإندونيسيين من سكان الأرخبيل .

وعندما اصبحت هذه الجزر من مملكة الأراضى الواطئة الجديدة (١٨١٦) بعد سقوط الشركة وبعد انتهاء فترة الفراغ التى أعقبت الحكم البريطانى ، أدخل نظام حكم يتسم بالمركزية الشديدة ويتفرد بالرسمية ، وظل هذا النظام قائماً لم يتغير حتى نهاية القرن التاسع عشر ، وهنالك بدأت بعض الأفكار عن « اللامركزية » تحمل طابع العصر ، بتأثير إخصائيين مشهورين فى الاستعمار . وعلى الرغم من تقديم عدة مشروعات بقوانين عام ١٨٩٤ والأعوام التالية — وهى مشرعات لم تعرض على المجلس النيابى — فإن ما يسمى بقانون اللامركزية Indische decentralisatiewet لم يصدر قبل عام ١٩٠٣ .

وكان هذا القانون يرمى إلى هدف مزدوج : أولا تمهيد الطريق لإنشاء مجالس محلية وإقليمية عامة ، وثانياً الحصول على الإيرادات المالية التى تستخدمها هذه المجالس (لن نتناول هنا المجالس الإقليمية) ؛ ومن ثم فإن هذا القانون لم يستهدف القيام باصلاحات الضروب الكثيرة من الأنظمة الريفية الإندونيسية والوطنية حقاً : وفى هذا المجال استمر كل شىء يقوم على العرف (عادت) وصيغت له لوائح خاصة .

وقد نص هذا الباب من القانون (بين أشياء أخرى) على كيفية إنشاء بلديات فى الحضر .

واصطبغت بالصبغة الغربية من كثير من الوجوه مدن كبيرة مثل باتافيا (جاكارتا الآن) وسورابايا وسمارانغ وباندونغ وأماكن أخرى لها طابع مدنى ، وكانت الغالبية العظمى من الأوروبيين والصينيين وعدة جماعات أخرى من غير الإندونيسيين تعيش هناك ، بل إن السكان الإندونيسيين كثيراً ما كانوا يختلفون فى الأصل والعادات واللغة . وكان للعمل والنشاط الصناعى الغربيين مراكز هناك . وفى هذه التجمعات الكبيرة نصف الغربية ونصف الشرقية ووجهت المشكلات المألوفة التى توجد فى المدن الكبيرة ، وقد أمكن تدبير أمرها وحلها على يد السلطات البلدية والخدمات البلدية بطريقة أفضل مما لو تعرض لها موظفو المرافق المدنية العامة للحكومة المركزية . وأصدر الحاكم العام قرارات باتخاذ إجراءات قانونية أخرى فى سنة ١٩٠٥ ، حققت ما كان يرمى إليه القانون الأساسى ، وأصبحت باتافيا بلدية ؛ وكان أعضاء مجلسها البلدى فى مرحلتها الأولى يعينون من قبل الحاكم العام ولا ينتخبون .

وكان الحاكم المقيم فى باتافيا هو رئيس المجلس رسمياً ؛ وحصلت ميستر — كورنيليس وبويتنزورغ (جاتنغارا وبوغور الآن) أيضاً على مجالس بلدية عام ١٩٠٥ ؛ وتطور هذا النظام الجديد بالتدريج بحيث أصبحت كل المدن والبلدان فى جاوة وكذلك فى

كثير من المدن فى أماكن أخرى (مدان وپامانتخسيانتار وپادانغ ومكاسّر وميناذو إلخ) . بلديات ، بينما أصبح من الممكن منذ عام ١٩١٨ أن يقوم السكان ذوو الأهلية بانتخاب أعضاء هذه المجالس .

ومنذ عام ١٩٢٥ أعطى التصويت لكل مواطن من الذكور فى بلدية بإحدى المدن فى جاوة ، بلغ سن الرشد وله دخل سنوى قدره ٣٠٠ جلدر على الأقل ، ويستطيع القراءة والكتابة باللغة الهولندية أو الملايوية أو أية لغة وطنية أخرى. أما فى المقاطعات الخارجة فكانت هناك قواعد أخرى سارية المفعول. وحولت هذه البلديات بالمدن إلى هيئات لها شخصية اعتبارية . واشتملت وجوه نشاط البلديات فى المدن المحدودة نوعا ما على أمور مثل الطرق والشوارع والمتنزهات والبالوعات ومرفق إطفاء الحريق وأعمال المنفعة العامة ومرفق الصحة العامة وهكذا . وأصبح فى الإمكان إصدار لوائح بلدية . وفى عام ١٩١٦ صدر قانون جديد أتاح للحكومة تعيين شيوخ المدينة (burgemeesters) فى تلك المدن أو البلدان التى تعتبر فى حاجة إلى مثل هذا الموظف (كما فى هولندة إذ كان شيخ المدينة يعين من قبل الحكومة المركزية) . وكانت الحكومة المركزية تدفع لهم رواتبهم . وكانت خزانة البلدية تسرد نسبة منها . ولما كانت هذه البلديات فى المدن تعد مناطق قائمة بذاتها على النمط الغربى فى نطاق العادات التى لها قوة القانون فقد بدا من المناسب ، فى العقدين الأولين من وجودها على الأقل ، ألا يعين فيها إلا شيوخ المدينة الأوروبيون . وكان معاونو البلدية Wethouders يختارهم المجلس من بين أعضائه . ويؤلفون برئاسة شيخ المدينة اللجنة التنفيذية للمجلس. ولم تبدأ الحكومة فى تعيين الإندونيسيين شيوخاً للمدينة إلا فى العقد الأخير قبل الحرب العالمية الثانية .

وتتمسك جمهورية إندونيسيا الحالية بمبدأ اللامركزية وكذلك بمبدأ الاستقلال الذاتى والحكم المحلى فى المادة ١٣١ من دستورها المؤقت. ومهما يكن من أمر فلم تتخذ بعد إجراءات قانونية تجعل لهذا المبدأ نتيجة عملية . أما بالنسبة لجاوة على الأقل فقد أصدرت جمهورية إندونيسيا السابقة (بالعامية : جمهورية جوگجه) قانوناً عام ١٩٤٨ (المادة ٢٢) ، ترتب الأجزاء المستقلة ذاتياً من البلاد ثلاث مراتب : (١) مقاطعات (٢) كابوپاتن أو ولايات ومدن كبيرة (٣) بلديات صغيرة بالمدن ووحدات ريفية . وترتب على المادة ١٤٢ من الدستور المؤقت السابق ذكره (undang-undang dasar kepublik Indonesia الصادر فى ١٧ أغسطس سنة ١٩٥٠) أن كل اللوائح السابقة التى لم تلغ صراحة أو تغير تعد بمثابة مراسيم أو لوائح أصدرتها الجمهورية ؛ ولهذا فإن القواعد الجوهرية فى تشريع ما قبل الحرب بشأن البلديات بالمدن لا تزال سارية المفعول على الرغم من أن شيوخ المدينة يطلق عليهم الآن رسمياً اسم والبكوتا Walikota وأصبح للمجلس البلدى نفوذ فى تعيين هؤلاء الحكام ، بينما يتحتم أن ينتخب كل السكان من الجنسين ، الذين بلغوا سن الثامنة عشرة أو تزوجوا فى تاريخ قبل هذه السن ، اعضاء المجالس

البلدية ، (ولا حاجة هنا إلى الحديث عن الحالة الخاصة والمؤقتة فى جاكارتا حيث تعين الحكومة ٢٤ عضواً من أعضاء المجلس) .

المصادر :

(١) Ph. Kleintjes : Staatsinstellingen — Nederlands-Indie ، الطبعة الخامسة (١٩٢٩) ، مجلد ٢ ، فصل ١٩

(٢) H. Westra : De Nederlandsch-Indische Staatsregeing ، الطبعة الثانية (سنة ١٩٣٤) ، ص ٢١٨ وما بعدها

(٣) J. H. Logemann : Het Staatsrecht — Indonesia ، سنة ١٩٥٤ ، ص ١٥٨ — ١٩٢

(٤) A.A.Schiller : The formation of federal Indonesia ، سنة ١٩٥٥ ، ص ١٣٨—١٤٧

[ج . برنس J. Prins] د . يونس

+ « بَلَرْم » وهى بالِرمو Palermo :

سلمت بلرم للعرب بعد حصار قصير فى رجب سنة ٢١٦ (أغسطس — سبتمبر سنة ٨٣١) ، وبعد أربع سنوات من بلوغهم جزيرة صقلية ، وبدت من أول لحظة أنها القاعدة الركينة لسيطرة المسلمين على هذه الجزيرة ، وفى بلرم اتخذ الولاة مقرهم ، أولا من قبل الأغالبة ، ثم من قبل الفاطميين بإفريقية الذين كانوا مع ذلك قد اضطروا إلى إنفاذ الحملات أكثر من مرة لتوطيد سلطانهم فى هذه المستعمرة المتمردة ، مثل حملة عبد الله ابن إبراهيم بن الأغلب سنة ٢٨٧ هـ (٩٠٠ م) التى أنفذها أبوه ، ومثل حملة أبى سعد سنة ٣٠٤ هـ (٩١٦ — ٩١٧م) التى أنفذها الخليفة الفاطمى المهدى ، وهذا الخليفة هو الذى بنى حصن الخالصة Calsa أمام المدينة القديمة . وفى سنة ٣٣٦ هـ (٩٤٨ م) استولى الوالى الفاطمى الحسن ابن على الكلبى على السلطة فى بلرم وأقام أسرة حاكمة محلية أصيلة فى ظل السادة الفاطمية ، استمرت حتى سنة ٤٤٢ هـ (١٠٥٠ م) تقريباً .

وبعد عصر السيطرة الكلبية أزهر عصور العرب فى بلرم وفى صقلية بأسرها . وفى سنة ٤٤٥هـ (١٠٥٣ م) كان آخر أمير كلبى من هذه الأسرة ، وهو صمصام الكلبى ، قد طرد من بلرم وأصبحت هذه المدينة من بعد تدبر شئونها على يد جماعة أو مجلس بلدى ، وكان هذا الأمير قد تسور السلطة بعد فترة سادها الاضطراب والقلاقل وبعد تدخل مباشر من بنى زيرى فى إفريقية . وفى هذه الفترة تراخت الصلات بين القصبة بلرم وسائر البلاد ثم انبتّت آخر الأمر . ومن ثم لم تلعب بلرم دوراً خاصاً فى الدفاع عن صقلية الإسلامية ضد النورمان، وانتظرت فى بلادة تتراوح شدة وضعفاً بلوغ غزاتها أسوارها ، وهنالك دافعت دفاعاً شديداً ، وسلمت آخر الأمر لروجر دوتفيل Roger d' Hauteville بعد حصار دام خمسة أشهر ، فى مستهل ربيع الثانى سنة ٤٦٤ (يناير سنة ١٠٧٢م) وعادت بذلك إلى المسيحية بعد أن عاشت تحت سيطرة المسلمين مائة وأربعين سنة ، ولم تنطمس الصبغة العربية من بلرم إلا تدريجا . صحيح أن المسجد الجامع قد خصص فوراً للعبادة المسيحية وعاش المسلمون رعايا للنورمان ، إلا أنه

قد مضى قرن ونيف قبل أن ينمحى كل أثر للسكان العرب والآثار والعادات العربية ، وقد رأى الرحالة ابن جبير فى تاريخ متأخر يرجع إلى سنة ٥٨٠ هـ (١١٨٤ م) أحياء فى بلرم مخصصة للمسلمين ، ومساجد ومدارس وأسواقاً يؤمونها ، وسمع الكثير من العربية فى لغة الكلام عند سكانها . على أن أحوال هؤلاء المسلمين التى كانت محتملة لا عنت فيها على عهد التسامح الذى اتسم به حكم الروجيرين فى حاضرة النورمان بلرم ، قد ساءت فى عهد خلفائهما (حدث شغب ضد المسلمين سنة ٥٥٦ هـ = ١١٦١ م) وغدت لا تحتمل أثناء الاضطرابات التى أعقبت وفاة وليم الثانى (١١٩٠ م) ؛ وما وافت نهاية القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) حتى كانت الناقلة العربية فى بلرم قد زالت من الوجود أو كادت ، ولو أن بعضاً من وجوه المسلمين حاولوا أن يبقوا فيها ببلاط فردريك الثانى .

وبين أيدينا فى وصف بلرم العربية بيان ثمين لابن حوقل الذى زار المدينة سنة ٣٦١ هـ (٩٧٢م) وكذلك وصفا ابن جبير والإدريسى اللذين زاراها بعد ذلك بقرنين أيام سيادة النورمان عليها . وكانت القصبة الكلبية كما عرف ابن حوقل مقسمة إلى خمسة أقسام : القصر (Cassaro) أى المدينة القديمة المحاطة بالأسوار ، والخالصة (Calsa) التى أنشأها الفاطميون ، وكانت أيضاً مسورة ، والأحياء المكشوفة لحارة المسجد ، والحارة الجديدة فى الجنوب ، وحارة الصقالبة فى الشمال . وقد قدّر أمارى Amari عدد سكان بلرم أيام بنى كلب بثلثمائة ألف نسمة أو ثلثمائة وخمسين ألف نسمة ، وليس لدينا من بقايا عصر السيطرة العربية (باستثناء الآثار المشهورة للفن النورمانى العربى) إلا النزر اليسير ، وقوامه موقع مسجد مجاور لكنيسة القديس جيوفانى دگلى إرميتى Giovanni degli Eremiti ، وبعض أشغال قديمة داخل القصر الملكى (Torre pisana) كشف عنها النقاب حديثاً .

المصادر :

(١) M. Amari : *Storia dei Musulmani di Sicilia* ، قطانيا سنة ١٩٣٣—١٩٣٨ ، فى مواضع مختلفة (٢) ابن حوقل : المكتبة الجغرافية العربية ، طبعة ده غويه ، جـ ١ ، ص ٨٢—٨٧ (٣) ابن جبير ، طبعة رايت وده غوية ، سلسلة كتب التذكارية ، جـ ٥ ، ص ٣٣١—٣٣٣ (٤) الإدريسى ، طبعة Amari & Schiaparelli : *L'Italia nel libro del Re* ، رومة سنة ١٨٨٣ ، ص ٢٢ — ٢٣ (المتن) ؛ ص ٢٥ — ٢٧ (الترجمة) (٥) M. Columba : *Per la topografia antica di Palermo* · فى *Centenario Amari* ، پالبرمو سنة ١٩١٠ ، جـ ٢ ، ص ٣٩٥ — ٤٢٦ (٦) V. Rizzitano : *L'Italia nel Kitab Al Rawd Al-Mi'tār* (المتن العربى) القاهرة سنة ١٩٥٨ ص ١٤٦ — ١٤٨ .

[گابريلى F. Gabrieli]

« بَلْعَم » أو بَلْعام بن باعورا أو ابن باعور : الصيغة المعربة لاسم بِلْعَم بن بِعور (بِلعام بن بِعُور) والراجح أن يكون اسم بلعم والقصة المتعلقة به قد نقلت إلى العربية بعد الإسلام فى عهد متأخر . وإن كان بلعم قد عرّب قبل عهد النبى فى شىء من التحريز . فقيل لقمان بن باعور (انظر نسبه فى قصص الأنبياء للثعلبى ، طبعة القاهرة عام ١٣١٤ هـ ، ص ١٣٣ ، ١٩٦ ؛ وما قيل عنه فى لسان العرب ، جـ ١٤ ، ص ٣٢٢) وهو يجمع بين الأصلين بلع ولقم : الشامة البيضاء على أنف الحمار ، وعبارة بطرس ألفونس Petrns Alfonsus فى Migne : *Patrt. Lat* ، جـ ١٥٧ ، ص ٦٧٣ ونصها *Balaam qui lingua arabica vocatur Lucaman* (١) ؛ والمراجع التى أوردها شوفان Chauvin : *Bibl. Arab.* جـ ٣ ، ص ٩) ؛

ويذكر بعض المفسرين أن القرآن أشار إلى بلعام فى سورة الأعراف : الآيتين ١٧٣ — ١٧٤ : « واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث ، أو تتركه يلهث ، ذلك مثل القوم الذين كذّبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون » . وفى الروايات المختلفة التى أوردها الطبرى فى تفسيره (جـ ٩ ، ص ٧٦ وما بعدها) أنه كان يدعى بَلعَم أو بُلْعَم ابن أبر أو باعرا من بنى إسرائيل أو مدينة الجبّارين أو من أهل اليمن أو من الكنعانيين . وقال آخرون إنه أمية بن أبى الصلت (Sprenger : *Leben Moh.* ، جـ ١ ، ص ٧٨ ، ويعارضه فى رأيه Schulthess : *Noeldeke-Festchrift* ، جـ ١ ، ص ٨٩) وزعم غيرهم أنه أبو عامر بن النعمان الراهب (الثعلبى ، ص ١٣٥ ؛ Sprenger ، جـ ١ ، ص ٧٤ ؛ جـ ٣ ص ٣٢ وما بعدها) .

واختلف المفسرون كذلك فى تفسير كلمة « آيات » فقال بعضهم إنها كانت اسم الله الأعظم ، وأن بلعم كان من بنى إسرائيل أتى الجبارين وكان رجلا ما سأل الله شيئاً إلا أجابه ، وقال آخرون إن الآيات هى النبوة وإن بلعم كان نبياً ثم سكت عن تبليغ رسالته ؛ وقال غيرهم إن الآيات هى الأدلة والإعلام فيما مضى . ولعل بلعم قد تعلم كتب الله التى نزلت قبله : ويروى الطبرى قصصاً مفصلة مختلفة عن بلعم (انظر أيضاً تاريخ الطبرى ، طبعة ليدن ، جـ ١ ، ص ١٣٣ وما بعدها ؛ الكتاب المنحول للبلخى ، جـ ١ ، ص ١٤٥ ؛ جـ ٣ ، ص ٥ ، ٨٩ من النص العربى) : وهذه الروايات تعتمد إما على هاتين الآيتين القرآنيتين ، وإما على قصص التوراة ، وإما على الأساطير الربّانية : وقد اقترن ذكره فى بعض هذه الروايات بالطاعون الذى فشا فى بعل پيور وبالقصص الخيالى الذى ابتعثته النزعة الربّانية التى ترمى إلى أن تلصق به كل خطيئة (*Jewish Encycl.* ، جـ ٢ ، ص ٤٦٧ وما بعدها) ولكن مفكرى الإسلام فيما بعد قالوا باستحالة زَيْغ نبى من الأنبياء عن الإيمان ، ولهذا نجد الرازى فى كتابه مفاتيح الغيب (طبعة

(١) وترجمة هذه العبارة : بلعم الذى يسمى فى اللغة العربية لقمان » .

القاهرة عام ١٣٠٨ ﻫ ، جـ ١ ص ٣١٣ وما بعدها) يقرر أن بلعم لم يك سوى رجل آتاه الله علماً وهداه إلى دينه ثم انسلخ إلى الكفر ، وهناك رأى آخر يخالف هذا تمام المخالفة ينسب إلى وهب بن منبه أورده ابن قتيبة فى كتاب « المعارف » (ص ٢١ ؛ انظر كذلك الكتاب المنحول للبلخى ، جـ ٣ ، ص ٥١ ، ٧٥ من النص العربى) خلاصته أن بلعم كان واحداً من جماعة فيها الخضر وشعيب آمنت بإبراهيم وهاجرت معه إلى الشام ، وزوجه إبراهيم من بنات لوط ، ولعل هذه القصة فكاهة يهودية تسخر بالمسلمين . ونجد أخيراً أن بلعم يظهر فى الكتاب المنحول للبلخى (جـ ٣ ، ص ١٤١) فى صورة الفيلسوف . ولكن من الواضح أنه حدث هنا خلط عجيب فى الأسماء ، وهو يقول بأن العالم قديم له مدبر يدبره وهو خلافه من جميع المعانى ، وأثبت الحركات فقال إن الحركة الأولى هى الثانية معاودة لأن من قوله أن الحركة من أصل العالم ، والعالم قديم عنده .

[ماكدونالد D.B. Macdonald]

« البَلْعَمى » نسبة وزيرين (الأب وابنه) فى الدولة السامانية ، وقد أورد السمعانى فى مصنفه « كتاب الأنساب » روايتين فى أصل هذه النسبة : الأولى ما ذهب إليه البعض من أن مؤسس هذه الأسرة فتح مدينة بَلْعَم (ويظهر أنها غير معروفة) بآسية الصغرى تحت قيادة مسلمة بن عبد الملك فنسب إليها ، بينما يذهب آخرون إلى أن البلعمى نسبة إلى قرية بَلْعَمان القريبة من مرو ، ويقال إن هذه الأسرة من أصل عربى ، وإنها من بنى تميم .

وقد أخطأ السمعانى فى قوله إن الأب ، واسمه محمد بن عبيد الله وكنيته أبو الفضل ، وزر لإسماعيل ابن أحمد السامانى المتوفى عام ٢٩٥ ﻫ (٩٠٧ م) كما ورد اسمه فى تواريخ السامانيين لأول مرة باعتباره وزيرا فى عهد نصر بن أحمد (٣٠١ — ٣٣١ ﻫ = ٩١٤ — ٩٤٣ م) ويظهر أنه خلف وزيره الأول أبا عبد الله الجَيْهانى ، ولم تذكر هذه التواريخ عام ولايته لهذا المنصب . وينسب ابن الأثير الإفراج عن الثائر الحسين بن على ، الذى هُزم فى ربيع الثانى عام ٣٠٦ (أغسطس — سبتمبر ٩١٨) وأسر بعيد ذلك ، إلى الجيهانى (ابن الأثير ، طبعة تورنبرغ ، جـ ٨ ، ص ٦٦) بينما يورد الثعالبى قصيدة للحسين يمدح فيها البلعمى الوزير لإطلاق سراحه (المجلة الأسيوية ، المجموعة الخامسة ، جـ ١ ص ٢٠٤) . وصرف البلعمى عن منصبه ، كما يقول السمعانى ، عام ٣٢٦ ﻫ (٩٣٨ — ٩٣٨) وتوفى ليلة العاشر من صفر عام ٣٢٩ ﻫ الموافق ١٤ نوفمبر عام ٩٤٠ م (ابن الأثير ، جـ ٨ ، ص ٢٨٣)

ووزر ابنه محمد بن محمد ، وكنيته أبو على ويلقبه المقدسى (طبعة ده غويه ، ص ٣٣٨) بـ « أميرك بلعمى » ، لعبد الملك بن نوح فى أواخر حكمه (٣٤٣ — ٣٥٠ ﻫ = ٩٥٤ — ٩٦٢ م) كما وزر لخلفه منصور بن نوح (٣٥٠ — ٣٦٥ ﻫ = ٩٦١ — ٩٧٦) . ويقال إن استوزاره يرجع إلى نفوذ الحاجب ألپ تگين (انظر هذه المادة) الذى اتفق مع

البلعمي على أن يكون كل منهما نائباً عن الآخر، ولهذا لم يكن البلعمي يبرم أمراً دون مشورة صاحبه؛ وترك البلعمي صحبة ألب تكين بعد ولاية المنصور لأنه استطاع أن يظل فى منصب الوزارة بعد سقوط زميله. ويقول المقدسي (كتابه المذكور) إنه صرف عن الوزارة ثم أعيد إليها. وفى عام ٣٥٢ هـ (٩٦٣ م) وضع الترجمة الفارسية المشهورة لتاريخ الطبري وهو أقدم مصنف تاريخي باللسان الفارسي الحديث. ويذهب الگرديزي إلى أن البلعمي توفى فى جمادى ٣٦٣ هـ (فبراير — ٢٧ مارس عام ٩٧٤) وهو على دست الوزارة، بينما يروى العتبي (تاريخ يميني، شرحه وطبعه المنيني بالقاهرة عام ١٢٨٦ هـ، جـ ١ ص ١٧٠) أنه أعيد إلى الوزارة عام ٢٨٣ هـ (٩٩٢ م) فى عهد نوح بن منصور (٣٦٥ — ٣٨٧ هـ / ٩٧٦ — ٩٩٧ م) وأنه تخلى عن منصبه بعد ذلك فى العام نفسه لأنه شعر بعجزه عن تصريف الأمور فى تلك الظروف الدقيقة، فقد كان الأمراء الأيلكخانية من الترك يضيقون الخناق على السامانيين، بل إن العاصمة نفسها وهى بخارى سقطت فى أيدى هؤلاء. ولم يذكر العتبي تاريخ وفاة البلعمي. ويقول ريو Rieu إنه توفى عام ٣٨٦ هـ الموافق ٩٩٦م (فهرس المتحف البريطاني، جـ ١ ص ٧٠) وتابعه فى ذلك إتيه (Ethé : *Grundriss der Iranischen Philologie*، جـ ٢ ص ٣٥٥)؛ وبراون Browne، *A Literary History of Persia* جـ ١، ص ٣٥٦) وهذا خطأ لأن النص الذى اعتمد عليه ريو (*Notices et Extraits* جـ ٤، ص ٣٦٣) خاص بشخص آخر هو أبو علي السيمجوري (انظر هذه المادة).

وقد ذكر نظام الملك البلعميين من بين مشاهير الوزراء فى الشرق (سياستنامه، طبعة شيفر Schefer ص ١٥٠) ويظهر أن شهرة هذا الوزير العظيم تنسب بصفة خاصة إلى أبيه (البيهقي، طبعة Morley ص ١١٧) الذى يعتبر هو وسلفه الجيهاني ومولاه نصر بن أحمد من الممثلين لأزهى عصور الدولة السامانية. وامتدحه السمعاني فقال إنه كان على حظ من العلم، يرعى العلماء والشعراء؛ ويروى أنه كان يقدر الشاعر رودكي خاصة ويفضله على جميع الشعراء العرب والفرس. ويذكر الإصطخري العمائر التى شيدها البلعمي فى مرو وبخارى ويطلق عليه لقب «الشيخ الجليل» (الإصطخري، طبعة ده غويه، ص ٢٦٠، ٣٠٧) وبقى ذكره أمداً طويلا فى بخارى كما كانت ذريته تعيش فى هذه المدينة إلى عهد السمعاني (حوالى عام ٥٥٠ هـ الموافق ١١٥٥ م) والراجح أن يكون الاسم الحديث للباب المعروف باسم باب شيخ جلال يشير إلى هذا الوزير. ونجد من جهة أخرى أن السمعاني لم يفرد أبا علي البلعمي بالذكر كما أن المؤرخين الآخرين لم يشيروا إلى أعماله فى الوزارة. ويظهر أنه يدين بجزء من شهرته إلى أبيه، والجزء الأكبر إلى مصنفه التاريخي.

المصادر :

أورد بارتولد Barthold فقرات من كتاب الأنساب للسمعاني فى *Turkestan v epokhu mongolskago naschestvija*، جـ ١، ص ٥٤، كما ذكر فى ص ٥٨ الفقرة الخاصة بالشاعر الرودكي وهى الفقرة التى أوردها ميرزا محمد القزويني فى ذيل الجزء الأول من كتاب لباب الألباب لمحمد

عوفى ، طبعة E.G. Browne لندن — ليدن ، سنة ١٩٠٦ م ، ص ٢٩١ وترجمها Browne فى كتابه *Literary History of Persia* ، جـ ١ ، ص ٣٥٦ ، وتوجد فيه أيضاً فقرات من كتاب زين الأخبار للكرديزى ، ص ٧ وما بعدها ، ص ١١ وما بعدها ، كما يناقش النصوص الخاصة بالبلعميين فى الكتاب السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٥٢ — ٢٥٣ ، ٢٦٢ — ٢٦٣ .

[بارتولد W. Barthold]

« بُلْغار » : اسم شعب لا يعرف أصله على وجه التحقيق ، تكونت منه دولتان فى أوائل القرون الوسطى إحداهما على نهر إتيل (الفلجا) والأخرى على نهر الدانوب ، وقد ورد اسم البلغار لأول مرة فى القرن السادس الميلادى فى التاريخ الكنسى لزكريا الخطيب حوالى [redacted] م بين قبائل القوقاز الرحل الذين يسكنون الخيام ويقتاتون بلحوم الماشية والأسماك (*Anecdota Syriaca* ، طبعة Land ، جـ ٣ ، ص ٣٣٧ ، *The Syriac Chronicle known as that of Zacharia of Mytrilene* ، ترجمة E.W. Brooks و F.J. Hamilton ، لندن سنة ١٨٩٩ ، ص ٣٢٨) . ويذكر يوحنا الأفسوسى John of Ephesus حوالى عام ٥٨٥ م قصة ورد فيها اسما بلغاريوز Bulgharioz وخزريگ Khazarig — اللذين انحدر من صلبهما البلغار والخزر — على أنهما أخوان ، وفى هذا إشارة إلى قرابة هذين الشعبين والتحالف الوثيق بينهما ؛ وبعد ذلك بعدة قرون ، كانت الرابطة التى بينهما قد انفصم عراها منذ أمد طويل ولم تعد حدود كل منهما تحف بالأخرى ، ومع ذلك نجد الإصطخرى يقول (طبعة ده غويه ، ص ٢٢٥) إن لغة بلغار إتيل تشبه لغة الخزر .

وهذه الرواية على جانب كبير من الأهمية ، ذلك لأن هذا الجغرافى يؤكد وحدة اللغة بين جميع الشعوب التركية من الخرخيز والتُغُزْغُز فى الشرق إلى الغُزّ فى الغرب ، ووحدة الأصل التركى للبجاناك أو البشناق (الإصطخرى ، ص ٩ ، والنص هو « ويفهم بعضهم عن بعض ») ولا يمكن أن تكون لغة الخزر والبلغار هى عين لغة الترك والروس عامة ، بل لا بد أن البرطاس كانوا يتكلمون لغة أخرى ، وهم من أصل فِنّى Finnish على التحقيق ، وكانوا يسكنون الأراضى التى بين الخزر والبلغار .

وكانت السهوب الأوروبية الشرقية فى القرن السادس الميلادى — بما فى ذلك حوض إتيل — تابعة للمملكة التركية البدوية العظيمة . وكان هذا شأن سهوب آسية الوسطى إلى حدود الصين (انظر فى هذا الموضوع تقارير سفراء بوزنطة التى جمعها أخيراً E. Chavannes : فى *Documents sur les turcs occidentaux* ، سانت بطرسبرغ سنة ١٩٠٣ م ، ص ١٣٣ وما بعدها) ولا يُعرف الآن كيف ومتى زال سلطان هؤلاء الأتراك عن أوروبا الشرقية . وتذهب المصادر العربية ، وتتفق الروسية معها ، إلى أن زعيم الخزر كان يحمل اللقب التركى « قاغان » وهو بالعربية « خاقان » .

والروايات التى يوردها العرب عن الحفلات التى كانت تقام عند اعتلاء كل خاقان جديد(الإصطخرى ص ٢٢٤ ، وهذه الرواية وردت مشوهة فى ابن حوقل ، ص ٢٨٤) تتفق تماماً وما ذكرته الروايات الصينية عن الحكام فى القرن السادس الميلادى (De Gyuignes : *Histoire des Huns etc.* » المجلد الأول ، الجزء الثانى ، ص ٤٦٠) وقد نستنتج من كل هذا أن مملكة الخزر نشأت مباشرة من الإمارة التركية التى ذكرها الكتاب البوزنطيون والتى كانت جزءاً من مملكة البدو العظيمة فى القرن السادس ، كما نشأت مملكة القبيلة الذهبية من إمبراطورية المغول العظيمة فى القرن الثالث عشر الميلادى ؛ ولا بد أن الفاتحين فى هذه الحالة أيضاً قد اتخذوا بسرعة لغة حلفائهم الكثيرين أو لغة الأقوام الذين تغلبوا عليهم .

وقد ذكرت دولة الخزر لأول مرة عام٢٦٧م باعتبارها حليفة قوية للإمبراطورية البوزنطية فى حروبها مع بلاد الفرس ، ولم تكن لها حاضرة على نهر إتيل وقتذاك كما كان الأمر فى عهد المملكة التركية فى القرن السابق . ولم ينقل أمراء الخزر حكمهم من سهوب القوقاز الشمالية إلى المجرى الأدنى لنهر إتيل إلا بعد نضالهم الفاشل مع العرب فى بداية القرن الثانى للهجرة (بعد عام ٧٢٠ م) .

ولاتزال معلوماتنا أقل من ذلك عن الوقت الذى انفصل فيه البلغار عن إخوانهم الخزر وعن كيفية هذا الانفصال . وإذا كان صحيحاً ما ذهب إليه ماركار J. Marquart فى تفسير اسم « البنجر » ـ وهو اسم يبحث على الحيرة ـ فإن الطبرى يكون قد ذكر البلغار على أنهم أعداء كسرى أنوشروان الساسانى (الطبرى ، ج ١ ، ص ٨٩٥ وما بعدها) ؛ وربما كان البرْجان الذين ذكرهم اليعقوبى (طبعة هوتسما ، ص ٢٠٣ ؛ وقد كان بلغار الدانوب يسمون أيضاً بهذا الاسم فى بعض الأحيان ؛ انظر *Fragmenta Histor. arab.* ، طبعة ده غويه ، ص ٢٦ وما بعدها) هم عين بلغار القوقاز الشمالى كما يذهب إلى ذلك ماركار ، وإن كان رسم الاسم « برجان » قد أكده بيت الشعر الذى أورده ياقوت (ج ١ ، ص ٥٦٨) . وبعد القرن السابع كثرت الإشارات التى تذكر فروع البلغار الذين استقروا على البحر الأسود وفى الدانوب واتصلوا بالدولة البوزنطية (انظر مادة « بلغاريا ») كما تراجع فرع آخر من البلغار حتى وصل إلى نهر إتيل الأوسط ؛ ومن الواضح أن ذلك كان بسبب ضغط الأعداء عليهم ، حيث اعتنقوا الإسلام ، وظلوا مدة طويلة من الزمن طلائع المسلمين ناحية الشمال إلى أن قامت دولة سيبريا على نهر إيرتش والتوبول .

وليس لدينا سوى رواية واحدة أصيلة عن البلغار فى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) وهى رسالة ابن فضلان التى حفظها ياقوت ؛ فقد بعث الخليفةُ المقتدرَ ابنَ فضلان إلى البلغار ؛ فترك بغداد فى الحادى عشر من صفر عام ٣٠٩ (٢١ يونية عام ٩٢١ م) وبلغ عاصمتهم على نهر إتيل يوم السبت الثانى عشر من المحرم عام ٣١٠ هـ (١٢ مايو عام ٩٢٢ م) . ومن الصعوبة بمكان

تحديد الصلة بين رسالة هذا المبعوث وبين ما كتبه عنهم كتاب العرب أمثال ابن رسته والبكرى والإصطخرى والمسعودى وغيرهم ، وكتاب الفرس مثل الگرديزى. ويحاول ماركار أن يبين أن المصدر المشترك لروايات ابن رسته والبكرى والگرديزى التى تتفق فيما بينها كلمة كلمة تقريباً قد يكون المصنف الجغرافى المفقود للجَيْهانى ، وأن هذا المصنف لم يكتب إلا بعد عودة ابن فضلان ، أى بعد عام ٣١٠ هـ (٩٢٢ م) ؛ بل إن وستبرغ Westberg يتفق مع القائلين بأن ما روى عن البلغار فى مصنف ابن رسته لا يمكن أن يكون قد كتب قبل عام ٣١٠ هـ ، وإن كان هذا الباحث لا يرى علاقة بين رواية ابن فضلان وابن رسته .

ولم يحاول ماركار ووستبرغ أن يفسرا كيف أن ابن رسته ــ كما أشار ده غويه ــ لم يذكر فى أى موضع آخر من مواضع كتابه أية حادثة متأخرة عن عام ٢٩٠ هـ (٩٠٣ م) . وهو يردف ذكره للخليفة المعتضد الذى توفى يوم الإثنين ٢٢ ربيع الثانى من عام ٢٨٩ هـ (٥ أبريل عام ٩٠٢ م) بعبارة « أطال الله بقاءه » ، وعلى هذا فإنه لم يكن يعلم بوفاة الخليفة عندما ألف كتابه ؛ ونحن نستطيع أن نستنتج من هذا أن الكتاب قد تم بعيد حج عام ٢٩٠هـ الذى تحدث عنه فى صحيفتى ٧٣ و ٧٥ ؛ وإذا كان ما قاله ابن رسته والبكرى والگرديزى عن هؤلاء القوم الشماليين يرجع إلى تاريخ متأخر عن هذا فلا بد أن يكون إضافة للمخطوط الوحيد الذى وصل إلينا من مصنف ابن رسته ، وهو أمر لم يطف بمخيلة ماركار ووستبرغ ، بل على العكس من هذا فإن ماركار نفسه يبين لنا أن صاحب الرواية الأصلية لم يعرف إلا البجاناك فى ديارهم الأولى على الأورال وأن نواة هذه الرواية لابد وأن يكون تاريخها النصف الأول من القرن الرابع الهجرى .

وإذا كانت الرواية التى أوردها ابن رسته والبكرى والگرديزى لا يمكن أن تردّ إلى الجيهانى فإنه لا يبقى لدينا إلا مصنف ابن خرداذبه الذى نقل عنه الجيهانى نفسه وروى عنه ابن رسته والگرديزى ، بل إن أصحاب الفهارس من العرب قد أضلهم اتفاق العبارات فى كلا المصنفين (انظر الفقرة التى صححها ده غويه لأول مرة ، وهى خاصة بما أورده الفهرست ، ص ١٥٤ ، عمن نقل عنهم ابن الفقيه) ورأى المقدسى (طبعة ده غويه ص ٣ ، تعلق L) فى شيراز مصنفاً جغرافياً فى سبعة مجلدات ليس عليه اسم مؤلفه ، فنسبه إلى الجيهانى بينما نسبه آخرون إلى ابن خرداذبه ، وعلى هذا فإننا نستطيع أن نرد الرواية الخاصة بهؤلاء القوم الشماليين إلى ابن خرداذبه ، بيد أن ابن فضلان يقول إن البلغار أسلموا قبيل ذهابه ، وأن ملكهم وقتذاك تحدث إليه بل رمى أباه بالكفر ، ولكننا نجد من جهة أخرى أن مؤلفاً متقدماً كابن رسته يصف البلغار بأنهم مسلمون صالحون عندهم مساجد ومدارس ومؤذنون وأئمة ، وأن ملابسهم ومقابرهم تشبه ملابس المسلمين ومقابرهم . والصعوبة الثانية أن ابن فضلان يسمى ملك البلغار « ألمس » ويظهر أن هذا الاسم كان موجوداً فى الرواية التى

نقل عنها ابن رسته والبكرى والگرديزى ، وقد ورد الاسم فى ابن رسته « ألمس » وفى البكرى « المعبر » وفى الگرديزى « أملان » . والصعوبة الثالثة أن كتاب ابن خرداذبه كما نشره ده غويه لم يذكر من بين الأقوام التى تسكن إقليم نهر إتيل « الفولجا » سوى الخزر . ويظهر أن المؤلف لم يكن قد سمع عن البلغار ، كما أنه اعتبر نهر الدون أصلا لنهر إتيل لا نهر القاما كما ذهب إلى ذلك الجغرافيون المتأخرون .

ويمكننا أن نتغاضى عن هذا الاعتراض الأخير معتمدين على أن مصنف ابن خرداذبه فى صورته الأخيرة الكاملة لم يصل إلينا ، وقد تكون نسخة كاملة منه بقيت فى الهند ، أو لعلها ترجمة فارسية له . وسبق أن أشرت فى النص الذى نشرته للگرديزى (Barthold : *Otchet poiezdke v Srednjuju Aziju* ، سانت بطرسبرغ عام ١٨٧٩ ، ص ٧٩) أن الطريق من بارسخان على إيسيك گول إلى بلاد التغزغز الذين لم يعرفوا إلا عن طريق الگرديزى (كتابه المذكور ، ص ٩١ — ٩٢) قد ذكره أيضاً راڤرتى Raverty فى طبعته لطبقات ناصرى (ص ٩٦١) باللغة الفارسية ، ومؤلفها ينقل فى أغلب الأحيان عن ابن خرداذبه ، والترجمة الفارسية لابن خرداذبه لم تنشر على الناس فيما أعلم .

والتغلب على الصعوبتين الأخريين ليس عسيراً كما يظهر لأول وهلة ، فإن ابن فضلان هنا يناقض نفسه ، فيقول فى موضع إن الملك أخبره بأن أباه كان كافراً ، ويروى فى موضع آخر أن الأمير فسر له ظاهرة لاحظها فى السماء بأنها قتال بين مؤمنى الجن وكفارهم وأنه نقل هذا التفسير عن أجداده .

والوفد العربى الذى أرسل بناء على رغبة ملك البلغار لم يكن الغرض منه دينياً فحسب ، بل كان سياسياً أيضاً ، وطبيعى أن يكون الغرض الثانى هو الأهم فى نظر الملك . ولم يكن غرض الخليفة ينحصر فى تفقيه البلغار أمور دينهم ، بل كان يتعداه إلى تشييد حصن يرد أعداءهم . ووكل الجانب السياسى إلى رسول السلطان سوسن الرّسّى (من جهة السلطان) ووجهت إليه التحيات الواجبة لرئيس الوفد عند استقبال الوفد فى القصر . ونيط بابن فضلان تعليم البلغار شرائع الإسلام ، يدلنا على ذلك ما بذله من الجهود فى إعداد الخطبة وفى فصل الرجال عن النساء فى السباحة . ولعل ابن فضلان قد بالغ فى تقدير الجانب الذى تولاه من أعمال الوفد فصوره لقرائه على هذا النحو ، ومن الواضح أن الملك وقومه كانوا قد اعتنقوا الإسلام فعلا ولو أن الرواية الخاصة بالمدارس قد تكون مبنية على المغالاة كما يحتمل أن تكون مستندة إلى روايات تجار البلغار الذين كان من مصلحتهم الظهور بمظهر المسلمين الصادقين لكى يدفعوا مكوساً أقل ويبيعوا تجارتهم بثمن أعلى .

وتبقى أمامنا الآن مسألة الاسم « ألمس » أو « ألمش » ، ولسنا نعرف هل كان الاسم قد ظهر بهذه الصيغة فى الرسالة أو أنه يرجع إلى النسّاخ

المتأخرين ، إذ أن الرسالة كانت فى عهد ياقوت منتشرة فى نسخ متعددة . ويقول ابن فضلان إن الملك لقّب نفسه بعد ذلك بلقب « أمير البلغار » فى الخطبة . ولدينا بالفعل سكة ضُربت فى مدينة « سُوار » (انظر ما يلى) بمعرفة أمير معاصر للخليفة المقتدر ظهر عليها اسم الخليفة ، وأطلق أمير البلغار على نفسه فيها اسم « الأمير بارمان » ؛ وهناك نموذج من هذه السكة فى غرفة النقود بجامعة سانت بطرسبرغ . أما ما قاله فران Fraehn) فى *Opusculorum Postumorum pars secunda* طبعة B. Dorn ، بتروبولى ، سنة ١٨٧٧ م ، ص ٢١٢) من أننا يجب أن نقرأ « القادر » بدلا من « المقتدر » وأن هذه السكة ضربت فى الشاش من أعمال طشقند ، ضربها عامل بُغْراخان ، فهو قول ينقضه رسم الحروف على هذه السكة ، إذ يتبين لمن له إلمام بالخط الكوفى أن الألف لا يمكن أن تقوم بين أداة التعريف والحرفين الأخيرين « در » . ومن المحتمل كثيراً والحالة هذه أن يكون نسّاخ الرسالة قد خلطوا بين بارمان وألمس أو ألمش الذى عرفوه من ابن خرداذبه والجيهانى وغيرهما من أصحاب التواليف .

ولا نجد فى ابن رسته أى أثر للنقل عن ابن فضلان ، وحتى القصة الشائقة فى كتب المسلمين عن قصر ليالى الصيف ونهار الشتاء الأمر الذى يتعذر معه المحافظة على أوقات الصلاة لا نراها فى ابن رسته والبكرى والگرديزى ، وإنما نجدها فى الإصطخرى (ص ٢٢٥) بعبارة ابن فضلان تقريباً (ياقوت ، جـ ١ ، ص ٧٢٦ ، س ١١ وما بعده) ولا يبعد أن يكون الخطيب الذى اعتمد عليه الإصطخرى فى هذا الموضع هو عين ابن فضلان كما أن ما رواه ياقوت (جـ ٢ ، ص ٤٣٦ ، س ٢٠ وما بعده) عن الخزر نقلا عن ابن فضلان يتفق كلمة كلمة ورواية الإصطخرى (ص ٢٢٠ وما بعدها ، انظر أيضاً تعليق فستنفلد على ياقوت ، جـ ٥ ، ص ١٧٣) ؛ وليس أقل من هذا وضوحاً أن المسعودى عندما قال إن البلغار اعتنقوا الإسلام فى عهد الخليفة المقتدر بعد عام ٣١٠ « كان يقصد وفد ابن فضلان ورسالته ، ولو أنه ليس هناك شىء فى مختصر الرسالة الذى رواه ياقوت عن الحلم الذى ذكره المسعودى .

ولم تعطنا روايات ابن رسته والبكرى والگرديزى سوى معلومات ضئيلة متناقضة عن البلغار وصلت إلى العرب قبل رسالة ابن فضلان ؛ وذكرت هذه الروايات مساجد ومدارس هناك ، ولكنها لم تذكر فى أية مدينة . وكان البلغار يعيشون فى الغابات ويشتغلون بالزراعة . وكان البُرْطاس - أو البرداس - يقطنون الأرض التى بين الخزر والبلغار ، وقد خضعوا للخزر ثم غزاهم البلغار . وأرض الخزر على مسيرة خمسة عشر يوماً من بلاد البرطاس والمسافة بين مساكن هؤلاء ومساكن البلغار يقطعها المسافر فى ثلاثة أيام : ومن الواضح أنهم يقصدون المسافة بين عواصم هذه البلاد أو أهم مراكزها .

وانقسم البلغار إلى ثلاثة أقوام، غير أن عددهم لم يبلغ مبلغاً كبيراً فهم لا يتجاوزن الخمسمائة أسرة ،

إذا تغاضينا عن الأسر الضئيلة الشأن . وكانت بلادهم حتى فى ذلك الوقت ذات شأن فى تجارة الفراء ، وهذا هو السبب الذى اجتذب إليها الخزر والروس ؛ وكانت سفن المسلمين التجارية تصل إلى هذه البلاد وتدفع العشور ، وكان السكان يؤدون الضرائب من الخيل وغيرها .

وكانت هناك ضرائب أخرى ، منها أنه إذا أقدم أى شخص على الزواج فعليه أن يقدم يوم زواجه حصاناً يضم إلى خيل الملك ، وهم لا يضربون السكة من المعادن بل كانوا يتعاملون بالفراء الذى كان الواحد منه يعادل ٢٢ درهم أى ما يقرب من الشلن الإنكليزى ، كما كانوا يتعاملون بالنقود الفضية التى تأتيهم من بلاد المسلمين يدفعونها ثمناً للبضائع التى يستوردونها من بلاد الروس والصقالبة . وكانت بلاد البلغار بين بلاد البرُطاس من جهة وبلاد الصقالبة من جهة أخرى .

والصورة التى رسمها ابن فضلان للبلغار وبلادهم أكمل من سواها . ومما هو جدير بالذكر أنه أطلق اسم الصقالبة على بلغار نهر إتيل (الفولجا) ؛ وقد قطع ابن فضلان المسافة من الجرجانية بالقرب من المدينة الحديثة المعروفة بـ « كنية أورگنج » فى خيوة إلى حاضرة البلغار فى سبعين يوماً . ومما يؤسف له أن ياقوت لم يصف هذا الطريق فى مصنفه . ونستدل من عدد الأيام التى استغرقها الوفد فى رحلته أنه أتى من خوارزم إلى المجرى الأدنى لنهر إتيل، ثم دخل منه إلى بلاد البلغار مخترقاً أرض الخزر والبرُطاس . ويقول الإصطخرى (ص ٢٢٧) إن الرحلة من إتيل حاضرة الخزر إلى البلغار عن طريق الصحراء يقطعها الراحل فى شهر ، وإذا سار بطريق النهر استغرقت الرحلة شهرين فى الجبال وعشرين يوماً فى الوادى . وتقوّم المسافة من إتيل حاضرة الخزر إلى حدود البرطاس بعشرين يوماً ، وخمسة عشر يوماً من حدود البرطاس أقصى أرضهم . ولعل هذا الطريق يسير شمالا بغرب ناحية بلاد الصقالبة لا ناحية بلاد البلغار .

وتحدد خرائب قرية بلغار سكوى أو أوسپنسكوى فى مركز سپسك من أعمال قازان موقع الحاضرة « بلغار » . وهذه الخرائب على مسيرة ٦½ كيلو متر من الضفة اليسرى لنهر إتيل . وهذا يتفق تماماً ورواية ابن فضلان كما أشار إلى ذلك برزين Berezin ؛ لأن رواية ابن فضلان تقول إن المسافة بين المدينة والنهر تقل عن فرسخ . ونستنتج من ذلك أن المدينة ومجرى النهر لم يتغير موضعهما منذ القرن العاشر الميلادى . ولا يوجد وصف سوى هذا فى رسالة ابن فضلان ولا فيما نقله عنه ياقوت كما أنهما لم يتعرضا لمدن أخرى فى هذا الإقليم . وقد ذكر الإصطخرى مدينتى بلغار وسُوار ، وهما قريتان إحداهما من الأخرى ، وخرائبهما اليوم بالقرب من « كوزنچيخه » ، وكان بكل منهما مسجد جامع . ويبلغ عدد سكانهما جميعاً ١٠٠٠٠ نسمة تقريبا ، وكان ذكور هاتين المدينتين يقضون الشتاء فى بيوت من الخشب والصيف فى خيام يضربونها . ويزعم عوفى فى كتابه جامع الحكايات (الكتاب الرابع ، فصل ١٨) أن بلغار على مسيرة

يومين من سوار : ولسنا نعرف من أين نقل عوفى هذه الرواية : ولعل المعلومات التى أمدنا بها المقدسى (طبعة ده غويه ، ص ٣٦١) عن بلغار وسوار قد استقاها من مصدر متأخر عن ابن فضلان ؛ فالمقدسى يقول إن بلغار كانت على ضفتى النهر وإن مسجدها الجامع كان يقوم فى السوق ، وإن المساكن كانت من الخشب والقصب ، وإن أهل سوار كانوا يعيشون فى الخيام . ومن الراجح أن يكون حديث المقدسى قد شمل فى هذا الموضع ضواحى بلغار والمدينة عينها : وذكر الروس « يگابزار » وهى « آغابازار » من غير شك ، على أنها ثغر مدينة بلغار على نهر إتيل . وقد بقيت آثار ضواحٍ أخرى على الضفة اليمنى للنهر .

وقد نثرت النقود الفضية احتفاء بقدوم الوفد العربى . ولم يذكر : هل كانت هذه النقود قد ضربت فى البلاد نفسها . وجلس الملك خلال الاحتفال بلقاء هذا الوفد على سرير موشى بالديباج الرومى وعن يمينه الأمراء الخاضعون له وعن شماله المبعوثون وأولاده بين يديه . ولسنا نعرف على التحقيق هل كانت كلمة « بلطوار » التى قرنت باسم الملك الذى كان يحكم فى ذلك الوقت واسم أبيه هى لقب الملك أو لقب الأسرة . وعوفى (انظر النص فى Barthold : *Zapiski vost. otd.* *arch. obsch.* ، جـ ٩ ، ص ٢٦٤) هو أقدم من صرح بأن هذه الكلمة لقب لملك البلغار ، وقد رسمت فى المخطوطات : بطلطو وبطلطون ؛ وفسرها سنكوفسكى Senkowski بأنها اللفظ الصقلبى ولادوّاك Wladawac ومعناه حاكم ، وفسرها ماركار بأنها اللفظ التركى ألپ إيلاتوار وحذف النساخون « أل » لأنهم اعتبروها أداة التعريف فى العربية ، وفسرها أشمرين Ashmarin بأنها بچواش بعنوان المرادفة للكلمة التركية بك طوغان ومعناها من بيت الإمارة . أما علاقة ملك البلغار بشعبه فكانت أيام ابن فضلان علاقة أبوية أكثر مما كانت عند الخزر وبلغار الدانواب ؛ ويلوح لنا أن مملكة البلغار على نهر إتيل لم تنشأ عن المملكة البدوية الكبرى التى قامت فى القرن السادس عشر كما نشأت مملكة الخزر . ولم يمتد سلطان الخزر كثيراً ناحية الشمال . ولابد وأن يكون انفصال البلغار عن الخزر قد تم قبل قيام الحكم الخزرى فى أوربا الشرقية . واعتاد ملك بلغار إتيل أن يجوس راكباً خلال عاصمته بمفرده من غير أن يصحبه أحد من حرسه ، وكلما رآه أفراد رعيته قاموا عن مقاعدهم وكشفوا عن رؤوسهم . وكان البلغار — كأهل خوارزم — يغطون رؤوسهم بالقبعات المرتفعة التى يسميها العرب القلانس . ولم يكن الناس يؤدون للملك شيئاً مما تغله أراضيهم ، وإنما كان على كل بيت أن يقدم له جلد ثور كما كانت له حصة من غنائم الحرب .

ولم يكن التجار وحدهم الذين يزورون بلاد البلغار وقتذاك ، وإنما كان يزورها أيضاً الصناع من الأقطار الأسيوية المجاورة ، وكان فى بلاط الملك خياط بغدادى استقى منه ابن فضلان بعض معلوماته عن المملكة وشعبها . ويظهر أن البلغار لم يمارسوا من جانبهم نوعا من الصناعات ، واشتهرت بعد ذلك

الجلود البلغارية » وهى الجلود الروسية الحديثة التى تعرف فى اللغة الروسية الحديثة باسم يوفت Juft» وهى كلمة مستعارة من اللغة البلغارية ، كما اشتهرت الأحذية البلغارية المصنوعة من تلك الجلود ، وهى الأحذية المعروفة فى اللغة الفارسية بـ « موزه بلغارى».

وتشير المعلومات الأخرى التى ذكرها ابن فضلان عن عادات بلغار نهر إتيل وأفكارهم إلى أن ثقافتهم كانت لا تزال منحطة وأنهم كانوا على اتصال غير وثيق بالحضارة الإسلامية . وما عرفناه عن مدينة بلغار فى القرنين السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) والثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) يدل بوضوح على مقدار ما خطته البلاد من تقدم كبير فى تلك الفترة . ومما يؤسف له أن معلوماتنا عن تلك الفترة ضئيلة لا تسمح لنا بأن نتتبع أدوار هذا التقدم بالتفصيل ، بل إننا نعرف هل كان الخليفة المقتدر قد حقق رغبة أمراء البلغار أم لا ، لأن ابن فضلان لم يشر إلى بناء حصن من الحصون . ومهما يكن من شىء فإن علاقة البلغار ببغداد لم تنقطع . ويقول المسعودى فى مروج الذهب (جـ ٢ ، ص ١٦) إن أحد أبناء ملك البلغار حج إلى مكة فى عهد المقتدر « أى قبل عام ٣٢٠ هـ (٩٣٢ م)وأنه اهتبل الفرصة ومر على بغداد وقدم فروض الطاعة للخليفة .

وكان البلغار أكثر اتصالا بمملكة السامانيين لأسباب جغرافية » ولدينا سكة فضية تحمل اسم الأمير البلغارى طالب بن أحمد ضربت فى سوار عام ٣٣٨ هـ (٩٤٩ — ٩٥٠ م) و ٣٤٠ هـ (٩٥٠ — ٩٥١ م) وكان على السكة السامانية المعاصرة اسم الخليفة المستكفى الذى عزل قبل ذلك بوقت قصير « أى عام ٩٣٤ هـ (٩٤٦ م)لا المطيع الذى لم يكن السامانيون قد اعترفوا به بعد . كما أن لدينا سكة للمؤمن بن أحمد « ويحتمل أن يكون أخا طالب وخلفه الذى كان أيام الخليفة المطيع إلى عام ٣٦٣ هـ (٩٧٤ م) وقد قرأ فران Fraehn هذه السكة فاستدل على أنهالم تضرب حتى عام ٣٦٦هـ (٩٧٦— ٩٧٧ م) أى بعد نهاية حكم الخليفة الذى ظهر اسمه عليها . وكان للمؤمن بن الحسن أمير البلغار فى عهد الخليفة الطائع حق ضرب السكة : ولم نكشف بعد عن سكة متأخرة عن هذه عليها اسم أمراء البلغار . ولابد أن اختفاء العملة الفضية فى أواسط آسية فى القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) وفى جهات أخرى من العالم الإسلامى فى عهد متأخر نوعا ما قد ظهر أثره فى بلاد البلغار ، وليس لدينا تعليل مقنع عن سبب اختفائها هذا ؛ ولم تضرب السكة الفضية ثانية فى بلاد البلغار إلا قبيل غزوة المغول فى عهد الخليفة ناصر (٥٧٥— ٦٢٢ هـ = ١١٨٠ — ١٢٢٥ م) ونقش على أحد وجهيها اسم الخليفة وعلى الوجه الآخر اسم المكان الذى ضربت فيه بعبارة عربية ركيكة هى « الدينار الضرب بوالغار » ولم يرد عليها اسم الملك .

وقد بحث العلماء كثيراً ،وخاصة وستبرغ وماركار « إلى أى حد تتفق رواية ابن حوقل عن اجتياح الروس لمنطقة نهر إتيل بأكملها عام ٣٥٨ هـ (نوفبر عام ٩٦٨ — ٩٦٩ م) والحقائق الواقعة «

ويشير ابن حوقل إلى هذه الغزوة فى عدة مواضع من كتابه (طبعة ده غويه، ص ١٤ ، ٢٨١ ، ٢٨٢، ٢٨٦) ويقال إن الروس غزوا أراضى البلغار والبرطاس والخزر كلها وتركوها خراباً بلقعاً ؛ وفر الذين نجوا من القتل إلى شبه جزيرة سياه كوه (منغيشلاق) وباب الأبواب (أبشرون) فى بحر الخزر . واضطر هؤلاء الفارون بعد ذلك إلى عقد محالفة مع الفاتحين اتفقوا فيها على أن يعودوا إلى أوطانهم وأن يعيشوا تحت سلطان الروس ؛ وفات وستنبرغ وماركار ، كما هو واضح من الفقرة الرئيسية المذكورة فى ص ٢٨٢ ، س ١٠ وما بعده ، أن العام المذكور ٣٥٨ هـ هو فى الواقع العام الذى تلقى فيه ابن حوقل الذى كان وقتذاك فى جرجان ، خبر الفتح الروسى ، وأن إهمال هذا المؤلف أدى به إلى جعل هذا العام تاريخاً للفتح نفسه . وإذن فليس هناك تناقض تاريخى بين رواية أهل جرجان التى نقلها ابن حوقــل وبين الروايات التى أوردتها الحوليات الروسية عن غزوة الأرشيدوق سوائتسلاو Swjatoslaw عام ٩٦٥ م ؛ ويرى وستنبرغ أن رواية ابن الأثير (جـ ٨ ، ص ٤١٨) عن غزوة الأقوام التركية لمملكة الخزر عام ٣٥٤هـ (٩٦٥ م) تشير أيضاً إلى ذلك الفتح . وليس هناك ما يدعونا إلى افتراض أن هناك فتحا آخر غير معروف إلى جانب الفتح الذى ذكرته الحوليات الروسية قام به قرصان النرمنديين ، إذ الراجح أن رواية ابن حوقل عن عودة هؤلاء الروس عبر الروم والأندلس ، ترجع ، كما ذهب إلى ذلك ماركار ، إلى أنه خلط بينهم وبين الغارات المعاصرة التى شنها نورمنديو الدانمرك على الأندلس . ويشك فى أن الروس غزوا وقتذاك ، كما يقول ابن حوقل ، الشعوب التى تسكن المجرى الأدنى لنهر إتيل إلى جانب غزوتهم للخزر ، لأن الحوليات الروسية لم تشر إلى ذلك . وقد يكون هناك التباس كما هى الحال فى كثير من المصنفات العربية الأخرى ، بين بلغار إتيل وبلغار الدانوب الذين أغار عليهم سواتسلاو فى ذلك الحين .

ومن المرجح كل الترجيح بوجه عام أن البلغار أفادوا من الحملات الروسية على الخزر أكثر مما خسروا ، وتشير الحوليات الروسية بوضوح ، شأن المصادر العربية ، إلى أن مملكة الخزر فى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) كانت أقوى بكثير من مملكة البلغار ، وأن سلطان الخزر امتد كثيراً ناحية الشمال الغربى . ولم يكن البرطاس وحدهم هم الذين يؤدون الجزية ، بل كان يؤديها كذلك صقالبة وانتخه Wjatichei الذين يسكنون ما وراء البرطاس على نهر أوقا . وفى هذا الموضع تحارب الروس والبلغار فى عهد متأخر عن هذا ؛ واستولى البلغار عام ١٠٨٨ م على المدينة الروسية ميروم Murom التى على نهر أوقا Oka ، وكان سلطان الخزر قد تقلص فى القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) منذ أمد بعيد ، وإن بقيت جماعة قوية من البلغار على نهرى إتيل وقاما Kama لا تتألف منهم مملكة موحدة . ولا نجد ذكراً لأى حاكم على الإقليم بأسره فى مصدر من المصادر ،

وقد استمرت هذه الجماعة تقاتل الروس بعزم ثابت ، تنتصر حيناً وتنهزم حيناً آخر « واستولى البلغار عام ١٢١٨ م على مدينة أستجگ Ustjug وهى بعيدة ناحية الشمال . ولا نعرف مدى امتداد سلطان البلغار ناحية الجنوب . ولكن يحتمل أن تكون مدينة أوكك Ukek التجارية على نهر إتيل وعلى مسيرة تسعة أميال من سراتوف Saratow (وقد ذكرت عدة مرات فى العهد المغولى وكان أول من ذكرها ماركوپولو) لم تنشأ بعد غزوة المغول، ولكنها كانت تابعة للمملكة البلغارية قبل ذلك . وكان الباشغرد (انظر هذه المادة) أو الباشقر خاضعين للبلغار. وذكرت الحوليات الروسية أسماء عدة مدن بلغارية دون تفصيل مضبوط يشير إلى مواقعها . وكثيراً ما ذكرت مدينة بيلان بعد القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) فى التواريخ الإسلامية أيضاً، وأطلالها الآن فى بقعة قريبة من بلجارسك Biljarsk على چرمشان الصغير فى منطقة غستوپول Ghistopol على مسيرة سبعين ميلا تقريباً شرق بلغار . وقد ورد اسم بيلان كذلك على السكة التى ضربت فى العهد المغولى .

ولدينا فى القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) رواية شاهد عيان آخر هو الرحالة العربى أبو حامد الأندلسى الذى زار بلغار عام ٥٣٠ هـ (١١٣٥ — ١١٣٦ م) ولكن مما يؤسف له أنه لم يذكر لنا سوى أقاصيص لا قيمة لها (انظر ترجمة روايته التى قام بها B. Dorn فى كتابه *Mélanges Asiatiques* ، جـ ٦ ، ص ٧١٤ وما بعدها) ، ويجدر بنا أن نشير هنا إلى وصف لقائه للقاضى يعقوب بن نعمان الذى يقال إنه ألف تاريخا أسطوريا لقومه عنوانه « تاريخ بلغار »، كما أن هناك رواية أخرى قليلة القيمة لزائر آخر هو يوليان المجرى الدومنيكى الذى رحل من المجر إلى بلغاريا الكبرى عام ١٢٣٤ م « وعاد إلى وطنه حوالى نهاية عام ١٢٣٦ م ، وهو يروى أن عاصمة بلغاريا تستطيع أن تجند خمسين ألفاً من المقاتلة (S. Wolff : *Gesch. der Mongolen oder Tataren* « برسلاو ، ص ٣٦٥ وما بعدها) .

وفى عودة المغول إلى الشرق بعد انتصارهم على الروس عند نهر كلكة عام ١٢٢٤ م استدرجهم البلغار إلى كمين وأنزلوا بهم خسائر فادحة (ابن الأثير جـ ١٢ ، ص ٢٥٤) ويقال إنهم انتقموا لأنفسهم بهذه المباغتة انتقاماً شنيعا ، وتقول الحوليات الروسية إن حراس الحدود البلغارية عند نهر يايق أوروال قد فروا من أماكنهم عام ١٢٢٩ م . ويقول المؤرخون المسلمون إن سقوط مملكة البلغار النهائى وتدمير عاصمتها حدث فى خريف عام ١٢٣٦ م ، بينما يروى مؤرخو الروس أن ذلك حدث عام ١٢٣٧ م (انظر مادة « باتوخان ») .

ومملكة بلغار نهر إتيل هى جزء من مملكة القبيلة الذهبية التى أسسها المغول، ويظهر أن العاصمة « بلغار » استعادت بعض ما كان لها من ازدهار بعد ذلك بقليل ، كما ضربت فيها السكة أيام الخان العظيم منكو (١٢٥١ — ١٢٥٩ م) وزعم الرحالة رويريكوس Rubruquis ، الذى كان على مسيرة

خمسة أيام من بلغار عام ١٢٥٣ م ولكنه لم يزرها، أنها آخر مملكة بها مدن فى ذلك الجزء من العالم، وأطلق عليها اسم البلغار الكبرى كما فعل يوليان(*The Journey of William of Rubruck* ، ترجمة W.W. Rockhill طبعة هاكلويت Hakluyt ، لندن عام ١٩٠٩ م) ولا نعرف كيف ومتى هجر السكان تلك المدينة . ويبدو لنا أن غزوة تيمور عام ١٣٩٥م لم تؤثر فى البلاد التى ناحية الشمال ، ولكن الروس خربوا بلاد البلغار بعد ذلك عام ١٣٩٩ م . ومن المحتمل أن تكون هذه المدينة قد تأثرت أكثر من ذلك بظهور مدينة قازان التى أسسها قبيل ذلك باتوخان . وخاصة لأن قازان اختيرت لتكون قصبة دولة تترية مستقلة : ولعل أولو محمد المتوفى عام ١٤٤٦ م هو الذى أنشأ هذه الدولة . وهو الذى ضربت فى عهده عام ٨٣١ هـ (١٤٢٧ — ١٤٢٨) آخر سكة عليها اسم مدينة بلغار : وانتقلت شهرة بلغار باعتبارها أهم سوق فى المجرى الأوسط لنهر إتيل أولا إلى قازان ثم إلى نزنگ نوفجورود Niznig-Novgorod الروسية، وظلت كلمة البلغار إلى عهد متأخر ترد فى المصنفات على أنها اسم إقليم . وقد صنف شرف الدين حسام الدين البلغارى حوالى نهاية القرن العاشر الهجرى (الموافق السادس عشر الميلادى) تاريخاً لبلاده باللغة التركية عنوانه « رساله تواريخ بلغاريه » . وورد فى الكتاب نفسه تاريخ ذلك وهو عام ٩٨٩ هـ (١٥٨١ م) : وقد وصل هذا الكتاب إلينا ولكنه يحوى قصصاً خرافية عن انتشار الإسلام ، وعن أولياء المسلمين .

وتدل الكتابات الموجودة بين أطلال مدينة بلغار على أن هذه القبور ترجع إلى القرنين السابع والثامن الهجريين (الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين) وهذه المدينة قليلة الشبه بمدينة بلغار التى زارها ابن فضلان . وشيدت معظم مساكنها من الحجر المجلوب من المرتفعات التى على ضفة نهر إتيل اليمنى . وبلغ محيط المدينة ستة أميال تقريباً وحولها سور من اللبن وخندق . ويفترض برزن Berezin أنها كانت محاطة بسور من الخشب أيضاً ، وأن هذا السور كان مستطيل الشكل يقل عرضه تدريجاً من الشمال إلى الجنوب ، أما القلعة ومعها القصر الملكى فكانت متاخمة للمدينة ناحية الجنوب ، وكانت هى الأخرى محاطة بخندق وسور من اللبن . وتقوم الضواحى إلى الشمال والغرب ، وأهم مبانى هذه المدينة فى وسطها . وهى : مسجدان جامعان لكل منهما مئذنة تكتنفه ، وبالقرب منهما حمام يقول برزن إنه لا يشوه المدينة كما كان الحال فى إصفهان والقاهرة والقسطنطينية . ويستنتج برزن من سعة المسجدين أن سكان المدينة بلغوا حوالى ٥٠,٠٠٠ نسمة . وتقوم الجمعية التاريخية الأثرية السلالية فى قازان الآن بالمحافظة على هذه الأطلال والعناية بها : ودرج الأهالى الحاليون على استعمال أحجار الآثار القديمة فى تشييد مبانيهم . ولا نرى الآن معظم النقوش التى أمر بطرس الأكبر بنقلها عام ١٤٢٢ م :

وتوجد إلى جانب الكتابات الإسلامية التى على شواهد المقابر الموجودة بين أطلال هذه المدينة

كتابات أرمينية ربما دلت على أهمية هذه المدينة باعتبارها مركزاً من مراكز التجارة . وتلك الكتابات الإسلامية كان أغلبها بالعربية وإن كان بينها ما كتب بالتركية . ويقول أشمرين Ashmarin إن هذه الكتابة التركية لا تعود إلى العهد التترى بل إلى الچواشى . وعلى هذا الأساس بنيت النظرية التى قال بها كونيك Kunik ودعمها أشمرين ، وهى أن اللغة البلغارية القديمة كانت لهجة تركية شبيهة بلهجة الچواش . وإذن فلا بد أن نعتبر هؤلاء الچواش قد انحدروا من بلغار نهر إتيل . ويؤكد كورش F. Korsh بحق أن هذه المسألة لا يمكن القطع بها إلا إذا فسرت أهم المواد المتعلقة بهذا الموضوع تفسيراً مقنعاً ، وهذه المواد هى الأرقام اللاصقلبية فيما يعرف بجريدة أمراء بلغار الدانوب المكتوبة بلهجة الچواش (Zhivaya Starina ، جـ ١٩ ، ص ١٨٦ ؛ Etnograf. Obozriente ، عام ١٩١٠ م ، رقم ١ — ٢ ، ص ١١٧) ؛ وعلى الرغم من محاولة رادلوف تفسير هذه الأرقام فقد ظلت إحدى معضلات فقه اللغة التى لم تحل بعد ، ويعارض توماشك V. Tomaschek وماركار رأى رادلوف ويقولان إن هذه الأرقام ليست أرقاماً فى الحقيقة ولكنها حروف تدل على خصائص حكم كل خان وشخصيته ، ولا يفسر هذا الرأى إلا بأن المؤيدين له قد رجعوا إلى الترجمة اللاتينية التى قام بها جرچك Jerechek لا إلى الوثائق الصقلبية الأصلية ، لأن الكلمات الصقلبية : [redacted] a liet أليت إيومو ، لا تشير إلا إلى سنى حياة الملوك .

وإذا كان لا يمكن التدليل على صحة الرأى الذى ذهب إليه أشمرين فإننا لا ننكر من ناحية أخرى أنه يفسر ما ذكره العرب عن صلة لغة الخزر والبلغار باللغة التركية والقشية ، وهى لغة البرطاس ، أحسن تفسير ، والمعروف أن الچواشية هى لغة تركية ولكنها غير مفهومة من الشعوب الأخرى التى تتكلم التركية ، والمسألة لم تعالج ، حتى من قبل أشمرين ، إلا من ناحيتها اللغوية ، بيد أن هناك صعوبات أخرى من الناحية التاريخية؛ فالچواش الذين ورد ذكرهم منذ عام ١٥٥١ م عرفهم الروس بأنهم وثنيون ، وأورد أشمرين بضع كلمات يظهر أنها استعيرت بادئ الأمر من الشعوب الإسلامية . ولكن مدلولاتها أصبحت تختلف عند الچواش ، فالصلاة عند الوثنيين تفتتح بعبارة « پسمله » وبالعربية بسم الله ، والإله الذى يسيطر على الذئاب اسمه پخَمْبَر وبالفارسية پَيْغَمْبَر ومعناها نبى ، وروح الميت اسمها كِرِميت وهى بالعربية كرامة . وإذا كان الچواش قد انحدروا حققة من بلغار نهر إتيل الذين كانوا يعيشون فى المدن وورثوا هذه العبارات عن آبائهم ، فإن هذا يدلنا على ردة عجيبة إلى الهمجية لا نظير لها فى أية جهة من جهات العالم الإسلامى ، وتفسير هذه الردة من الصعوبة بمكان ، لأن المدن البلغارية قامت بعد تخريب المغول مباشرة ولم تختف من الوجود إلا بعد ذلك بأمد طويل . ولم يكن هذا نتيجة لغزوات من الشعوب الهمجية ، بل نتيجة نضال سلمى مع مدن أخرى حديثة النشأة،

وعلى هذا فإن الجواش المحدثين لم يتحدروا من سكان نهر إتيل ، ولكنهم انحدروا من جماعات بلغارية كانت تعيش دائماً فى الغابات ، ولم تتأثر بالثقافة الحضرية الإسلامية إلا قليلا .

المصادر :

(١) Ch. M. Fraehn : *Ibn Foszlan's und anderer Araber Berichte ueber der Russen aelterer Zeit und ihre Nachbarn* ، سانت بطرسبرغ سنة ١٨٢٣ ؛

(٢) Ch.M. Fraehn : *Drei Muenzen der Wolga-Bulgharen aus dem X. Jahrhundert n. Chr.* فى *Mém de l'Acad. de St. Pétersbourg* ، المجموعة السادسة ، ج ١ ، عام ١٨٣٢ ، ص ١٧١ .

(٣) *Catalogue of Coins of the Muhammadan Dynasties in the Brit. Mus.* ج ٢ ، ص ١١٩ ؛ ج ١٠ ، ص ١٢١ ؛

(٤) Ch. M. Fraehn : *Die aeltesten arabischen Nachrichten ueber die Wolga-Bulgharen aus Ibn Fozlan's Reisebericht* ، سانت بطرسبرغ سنة ١٨٣٢ ؛

(٥) J. Klaproth : *Notices et explication des inscription de Bolghari* فى المجلة الأسيوية ، المجموعة الرابعة ، ١ ، ج ٨ ، عام ١٨٣٦ ، ص ٤٨٣ وما بعدها

(٦) D. A. Chwolson : *Izviestija o chozarach, burtasach, bolgorach, madjarach, slavjanach i russach Ibn Rasta* ، سانت بطرسبرغ سنة ١٨٦٩ ؛

(٧) A. Kunik and Bar. V. Rosen : *Isviestija al Bekri i drugich avtorov o Rusi i slavjanach* ج ١ ، سانت بطرسبرغ سنة ١٨٧٨ ، ج ٢ ، سانت بطرسبرغ سنة ١٩٠٣ .

(٨) V. Barthold : [illegible] *to poiezdkie [illegible] Srednjuju Aziju* ، سانت بطرسبرغ سنة ١٨٩٧ .

(٩) F. Westberg : *Beitraege zur Klaerung orientalischer Quellen uber Osteuropa* ، سانت بطرسبرغ سنة ١٩٠٠ ؛

(١٠) F. Westberg : *K. analizu vostocnich istocnikov o Vostocnoj Europie* (*Zurnal min. narodnago prosvieshi*) ، فبراير ومارس سنة ١٩٠٨ .

(١١) J. Marquart : *Die Chronologie der alttürkischen Inschriften* ليبسك سنة ١٨٩٨ ؛

(١٢) J. Marquart : *Osteuropaeische und ostasiatische Streifzuege* ليبسك سنة ١٩٠٣ .

(١٣) J. Marquart : *Die nichtslawischen (altbulgarischen) Ausdruecke in de bulgarischen Furstenliste* فى *T'oung Pao* سنة ١٩١٠ ، ص ٤٦٩ ص ٤٦٩ ومابعدها .

(١٤) I. Berezin : *Bulgar [illegible] Volgie* ، قازان سنة ١٨٥٣ ؛

(١٥) Fr. M. Schmidt : *Uber Rubruk's Reise* ، برلين سنة ١٨٨٥ .

(١٦) N.I. Ashmarin : *Bolgari i cuwashi.* (*Isviestija obshc archeologu. iseoriu etnografu pri Imp. Kazadskom Universitetie* ح ١٨ ، قازان سنة ١٨٩٨) ؛

[بارتولد W. Barthold]

+ البلغار : اسم يطلق فى الكتب الإسلامية على شعب تركى أقام دولتين فى صدر القرون الوسطى ، إحداهما على نهر الفولجا والأخرى على نهر الدانوب .

تاريخهم القديم

يظهر أن البلغار الأصليين جاءوا إلى سهوب جنوبى روسية فى موجة من موجات الهون ، وقد

ذكروا أول ما ذكروا بمعرفة يوحنا الأنطاكي (Mueller : Fragm. Hist. Graec. ، جـ ٤ ، ص ٦١٩) عام ٤٨١ م ، حين أعانوا الإمبراطور زينو في حربه مع القوط . وكانت قاعدة بلاد البلغار وقتذاك السهوب التي في جوار نهر قوبان وبحرة ماوطيس (بحر آزوف) ؛ ولكن بعض جموعهم كانت تسكن أيضاً في إقليم الدانوب الأدنى وفي القوقاز . وقد عرفت بلادهم الأصلية قوبان في الأخبار البوزنطية باسم «بلغاريا الكبرى» (ثيوفانيس ونقفور) . وانفكت عرى وحدة هؤلاء البلغار عقب وفاة خان قورات سنة ٦٤٢ م ، ولعل ذلك قد حدث بتأثير القوة النامية لمملكة الخزر الجديدة . وظل فريق من البلغار في منازله القديمة على نهر قوبان وفي ماوطيس حتى نهاية القرن العاشر الميلادي : وكانت هذه البلاد في ذلك الوقت تعرف عند قسطنطين فرفيريوس (Constantine Porphyr. : De Adm. Imp. ، ص ١٢ ، ٤٢) باسم «بلغاريا السوداء» ، كما كانت الأخبار الروسية تسميها « البلغار السود » : ولم يلعب هذا الفريق من البلغار أي دور هام في التاريخ ، ولعل الموجات الثقافية من المجر والبشناق والقومان قد استوعبتهم : وقد هجرت أعظم جماعة من البلغار وطنها بقيادة إيسبروخ سنة ٦٧٨ م إلى البلقان والدانوب حيث أقامت دولة بين ظهرا ني القبائل الصقلبية الجنوبية : وفي وقت قصير بعض الشيء غابت هذه الجماعة البلغارية التركية القليلة العدد في خضم هؤلاء الصقالبة الذين يفوقونهم عدداً ، وقد عرفت هذه الدولة وسكانها في المصادر الإسلامية باسم « البُرْجان » .

أما الجماعة الثالثة ، وهي أصغر الجماعات البلغارية ، فقد تراجعت صوب الشمال بمحاذاة نهر الفولجا (وقد أيدت المعلومات الأثرية صحة هذه الواقعة) واستقرت عند ملتقى نهر قاما بالفولجا ، وهناك استطاعت أن تخضع السكان الأصليين الفنّيين وأقامت دولة جديدة . وهذه الجماعة هي البلغار في المصادر الإسلامية ، والبُلْقار في المصادر الفارسية ، وهذا الاسم يطلق أيضاً على بلادهم وعلى قصبة دولتهم ،

المصادر

وعمدة مصادرنا عن البلغار هو ابن فضلان الذي اشترك سنة ٣٠٩ — ٣١٠ هـ (٩٢١ — ٩٢٢م) في الوفد الذي أسفره الخليفة المقتدر بالله إلى ملك البلغار . وأقدم من ذلك قليلا هو المصدر الذي حفظ لنا كلامه ابن رسته ، وحدود العالم ، والگرديزي ، والبكري ، والمروزي . وأخبار الإصطخري والمسعودي والمقدسي ، أحدث من أخبار ابن فضلان ببعض عقود من السنين ، ولدينا منذ النصف الثاني من القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) ما كتبه ابن حوقل . وبين أيدينا ، علاوة على هذه المصادر العمدة ، بعض ملاحظات قليلة وردت في غير ذلك من المصادر العربية والفارسية مثل البيروني والبيهقي وابن النديم وغيرهم ، وفي القرن السادس الهجري (الثاني

عشر الميلادى) زار البلغار أبو حامد الأندلسى ، ثم زارهم بعد ذلك بقرنين ابن بطوطة . ولكن أخبار ابن بطوطة ليست بريئة من شبه الوضع . ويحدثنا مؤرخو العصر المغولى مثل ابن الأثير وأبى الفداء ورشيد الدين والجوينى عن نهاية دولة البلغار . أما المصادر الأوربية فإنما يمثلها فى هذا الشأن الأخبار الروسية ، وهى أخبار قيمة فيما يتعلق بما قبل الغزوة المغولية وما بعدها . ولما كانت مصادرنا ترجع فى جوهرها إلى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) فما يليه ، فإن الصورة التى نرسمها فيما يلى للشؤون الداخلية للبلغار مشتقة من هذه المصادر وهى تنطبق على ما تلا ذلك من فترات بصفة غير مباشرة .

الأرض والسكان

كانت قاعدة مملكة البلغار مكونة من مثلث بين نهر الفولجا ونهر القاما والبلاد التى إلى الجنوب من ملتقى هذين النهرين . أما عن حدود أرض البلغار ، فإن مصادرنا تتركنا بهذا الخصوص فى ظلام ، كما أن الفصل ٥١ من كتاب حدود العالم (وقد عنون خطأ باسم «البرطاس») فلا نفع منه إطلاقاً فى تحديد جيران البلغار . على أننا نستطيع أن نجمع بعض الدلائل عن هؤلاء الجيران وعلاقتهم بمملكة البلغار . فقد كان يعيش إلى الشمال منهم قبائل فنية أو گرية شتى ، مثل الـ «ويسو» (فى المصادر الروسية: ويس، وهم الوپس الآن) و «اليورا» (بالروسية: يوگرا) . وكانت هاتان القبيلتان خاضعتين فى فترات شتى لسيطرة البلغار ، اسميا على الأقل ، وكان الباشجرد (الباشقر) فى الشرق خاضعين للبلغار ، وكان بعض قبيلتى اليشناق والغز فى الجنوب الشرقى يعيشون حياة متبدية مستقلة تمام الاستقلال عن البلغار . وكان يعيش بين البلغار والخزر ، فى الغابات : البرطاس أو البرداس وكانوا أمعن فى البداثية ، ولعلهم كانوا أجداد الموردوا ، كانوا خاضعين للخزر وعرضة لغارات البلغار المتكررة ، ودخلوا أيضاً فى دولة البلغار من بعد .

ويقول الإصطخرى أن الرحلة من بلاد الخزر إلى بلاد البلغار كانت تستغرق ١٥ يوماً ، وخمسة عشر يوماً أخرى حتى حدود البرطاس ، والراجح أن هذه الحدود كانت إلى الشمال الغربى . وإلى الغرب كانت تسكن قبائل صقلبية (روسية) شتى ، ولكن حدود منازلهم الشرقية غير محققة ، أما أن بعض هؤلاء كانوا فى القرن العاشر الميلادى خاضعين للبلغار فواضح من أن حاكم البلغار قد سماه ابن فضلان فى كثير من الأحوال «ملك الصقالبة» .

وكان البلغار منقسمين إلى حشود وجماعات كثيرة عرفت بأسماء مختلفة لدى الكتاب المسلمين : وبرسولة، وإشكل (أو أسكل) وبلغار هم الجماعات الثلاث الرئيسية التى ذكرها ابن رسته . والكتاب المتأخرون عنه . ويذكر ابن فضلان ، علاوة على أسكل ، قبيلة سوار وجماعة أو عشيرة كبيرة اسمها البرنجار الذين كانوا قد أسلموا بالفعل ولهم مسجد من الخشب . وكانت تنزل

الغابات القبائل الفنيَّة المُخْضَعَة ، ويسكن المدن (فى فترة تالية للذلك) سكان خليط قوامهم تجار وأرباب حرف من الروسيا وبلاد الخزر وآسية الوسطى بل من بغداد .

النظم السياسية

كان حاكم البلغار يحمل لقب « يلتوار » (فى ابن فضلان « ملتوار ») وهو لقب تركى عرف أيضاً بصيغة « آلتبر » فى النقوش الأورخونية. وهذا اللقب يدل على حالة أمير صغير هوقَبيْل تابع لخاقان ، وهو فى هذه الحالة خاقان الخزر . ويدل أيضاً على أن بلاد البلغار كانت فى الأصل جزءاً من إمبراطورية أعظم وأن حاكمهم لم يكن مستقلا تمام الاستقلال . وكان البلغار يؤدون للخزر فراءً من السمور ضريبةً عن كل بيت ، وكان مركزهم المستقل يتبين أيضاً من أن ابنا الملك البلغار كان يعيش فى بلاد خان الخزر رهينة . ولعل هذه الصلات الإقطاعية قد وهنت بفعل تحالف البلغار مع خليفة بغداد . ولكن يبدو أن سقوط إمبراطورية الخزر سنة ٩٦٥ م هو وحده الذى أتاح للبلغار أن يصبحوا دولة مستقلة تمام الاستقلال . ويتبين المركز المتغير لحاكم البلغار بعد التحالف مع الخلافة من تغير لقبه القديم أيضاً — وهو يلتوار — إلى اللقب الجديد «أمير» من حيث هو رمز لانقطاع ولائه سابق لخاقان الخزر .

ولم تكن حالة البلغار لتقيم وحدة سياسية ، ذلك أن زعماءهم القبليين (ويسميهم ابن فضلان « ملوك ») لم يكونوا على قدر كبير من الاستقلال والحرية ، وهذا واضح من الخبر الذى رواه ابن فضلان عن رفض ملك قبيلة أسكل إطاعة أمر أصدره الملك : وتذكر الأخبار الروسية بلا انقطاع دولة بلغارية واحدة . وعلى ذلك فإننا نسمع فى حوادث عام ١١٨٣ م بنبأ حرب شنها أمير بلغارى تحالف مع القومان على مدينة بلغاريا الكبرى ، ونسمع فى العصر المغولى بأنه قد قامت دولة أخرى هى دولة روكوتين (جوكه تاو) .

وكانت علاقة حاكم البلغار بقومه فى أيام ابن فضلان لا تزال تقوم على النظام الأبوى التام . فقد جرى على أن يتجول راكباً فى قصبة بلاده (وهى بلدة من الخيام) وحداً لا يصحبه حرس ولا حاشية . وكان رعاياه حين يرونه يقومون عن مقاعدهم ويحسرون عن رؤوسهم . وكانت الطبقة الحاكمة تتألف من ٥٠٠ عائلة بارزة علاوة على أسرة الملك والزعماء القبليين .

الاقتصاد والتجارة

كان البلغار حتى النصف الأول من القرن العاشر الميلادى يعيشون حياة البداوة ، شأنهم شأن الشعوب التركية الأخرى فى السهوب الروسية . وكانت تربية الماشية شغلهم الشاغل كما كانت حجر الزاوية فى اقتصادهم . ويتبين هذا بأجلى بيان من المصادر المتقدمة . ذلك أن الضرائب كانت تؤدى فى قول ابن رسته بالخيول . وقد وجد ابن فضلان بالفعل مجتمعاً فى حالة انتقال من البداوة إلى الاستقرار . وكانت عادات كثيرة من أساليب المعاش الماضية لا تزال قائمة ، مثال ذلك

أنه لم تكن ثمة قصبة دائمة تتخذ مقراً للحاكم ، فقد كان يتنقل من مكان إلى آخر ويعيش فى خيمة كبيرة . ويذكر الإصطخرى أن السكان كانوا يقضون الشتاء فى بيوت من الخشب والصيف فى خيام . وفى الجزء الأخير من هذا القرن نفسه كانت بلغار قد أصبحت قاعدة زراعية وتجارية زاهرة .

وكان أهم محصولاتها الدخن ، والحنطة والشعير (ابن رسته وابن فضلان) . وكان القوم يؤدون من نتاج حقولهم نوعاً من الضريبة للملك ؛ ويتبين مما كشفت عنه التنقيبات عن الآثار أن أساليب الزراعة الفنية كانت على مستوى راق رقياً لا بأس به ، مما كان يسمح بتصدير المحصولات . وفى سنة ١٠٢٤ وقع روس سوزدال فى مجاعة ، فجلبوا القمح من بلغار فأنقذوا بذلك حياتهم ؛

وسادت الزراعة فى بلغار ؛ ومع ذلك فقد ظلت تربية الماشية ذات شأن هام فى اقتصاد البلاد ، فقد كانت أساساً لفروع متعددة من الصناعة قوامها الدباغة ، كما كانت مادة للتصدير ، وقد اشتهر بصفة خاصة فى تاريخ متأخر عن ذلك ، الجلد البلغارى (بالروسية الحديثة : يوفته) والأحذية البلغارية (بالفارسية : موزه بلغارى) وخاصة فى الشرق . وقد كشفت الآثار عن كثير من المنتجات الصناعية الأخرى مثل الأوانى النحاسية ، والقاشانى ، والحلى ، والأدوات التى لها حظ من النفاسة .

على أن المصدر الرئيسى لثروة البلاد كان هو التجارة الدولية ، وقد كان نهر الفولجا من أقدم الطرق التجارية فى العالم ، كما أن موقع مدينة بلغار الممتاز عند ملتقى طرق التجارة من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب قد استغل أكمل استغلال . وكان البلغار أنفسهم يتاجرون أساساً فى الشمال وفى آسية الوسطى أيضاً على نطاق أضيق ، ولكن أهمية بلغار كانت ترجع فى المكان الأول إلى كونها ملتقى التجار الأجانب من روس إلى خزر إلى مسلمين . وكان ملكهم يتقاضى ضريبة العشور عن كل سلعة حملت على سفن ، مثال ذلك أن الروس كانوا يؤدون ضريبة قوامها عبد عن كل عشرة عبيد ؛ وكان طريق القوافل الرئيسى يؤدى إلى آسية الوسطى (خوارزم) وكيف . وكان البلغار يستوردون من البلاد الشمالية فراء الدلق والسمور والقنادس والثعالب والسناجيب ، وكان تبادل السلع مع هؤلاء القوم الشماليين ، مثل الويسو والبورا ، يقوم على المقايضة الخامدة (انظر ابن فضلان ، والبيرونى ، والمروزى ، وأبى حامد ، وابن بطوطة) . وكان الروس أيضاً يجلبون الفراء ، ثم العبيد بوصفهم سلعة أخرى هامة ، وكان العبيد يعاد تصديرهم إلى آسية الصغرى بطريق القوافل أو إلى ولايات بحر الخزر عن طريق نهر الفولجا ؛ ويسوق المقدسى (ص ٣٢٥) ثبتا طويلا بأسماء السلع التى يصدرها البلغار : الفراء على اختلاف أنواعه ، والجياد ، وجلود الماعز ، والأحذية ،

والقلنسوات ، والسهام ، والسيوف ، والدروع ، والأغنام ، والماشية ، والصقور ، وغراء السمك ، وأنياب السمك ، وخشب البتولا ، والجوز ، والشمع ، وعسل النحل والعبيد الصقالبة ؛ وقد ذكرت مصادر أخرى أيضاً كثيرا من هذه السلع مثل ابن رسته والإصطخرى ، وأبي حامد وغيرهم .

وكانت أهم الواردات من البلاد الإسلامية : المنسوجات ، والأسلحة ، والسلع الكمالية والقاشاني ؛

وكان الفراء هو الوحدة النقدية كما كان الشأن فى أرجاء أوربا الشرقية الأخرى حتى القرن الثانى عشر الميلادى (وخاصة فراء الثعالب والدلق والسنجاب) ، وكان ثمة عملات نقدية أخرى مجلوبة من البلاد الإسلامية ، وكانت هذه العملة تستخدم لشراء السلع من الروس والصقالبة . وكان يضرب فى بلغار منذ أوائل القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) ضروب من التقليد للدراهم السامانية موسومة باسم دار الضرب الأصلية والتاريخ الأصلى ، ولكن باسم الأمير البلغارى ميكائيل بن جعفر (الراجح أنه ابن الحاكم جعفر ابن عبد الله أيام ابن فضلان وخليفته) ؛ ثم نجد منذ سنة ٣٣٧هـ (٩٤٨ — ٩٤٩) أول درهم من دار ضرب بلغارية (سُوار) ضرب فى سوار وبلغار ، ودرهما لمؤمن بن الحسن (بين عامى ٣٦٦ — ٣٧٠ = ٩٧٦ — ٩٧٧ — ٩٨٠) ضرب فى دارى الضرب المذكورتين (انظر Vasmer : *Wiener Num. Zeitschr.*، عدد ٥٧، سنة ١٩٢٤ ، ص ٦٣) ؛ ويظهر أيضاً إلى جانب أسماء الحكام على هذه العملات أسماء الخلفاء العباسيين .

ولم يلاحظ ابن فضلان أثناء زيارته وجود أية بلدان أو قرى ، ذلك أن البلغار كانوا يعيشون عيشة متبدية ؛ ويظهر أن تشييد القلعة ، الذى كان من أهم مهام السفارة البغدادية ، قد أقام أساس مدينة بلغار المقبلة ؛ وقد تأيد عدم وجود بلدان فى بلغار قبل هذه السفارة من سكوت ابن رسته وجملة مصادره عن ذكرها ، ومن ذكره لاسم بلغار ، ذلك أن هذا الاسم يدل عند ابن رسته وابن فضلان فى جميع الأحوال على البلاد وعلى القوم ولا يدل أبداً على المدينة ؛ والإصطخرى هو أول كاتب تحدث بوجود مدينتى بلغار وسوار ومبانيهما الخشبية ومساجدهما وسكانهما البالغين عشرة آلاف نفس ؛ وهذا الخبر قد ردده من ثم جميع من أتوا بعده من الكتاب مع بعض الإضافات الطفيفة (حدود العالم : ٢٠,٠٠٠ نفس ؛ الگرديزى : ٥٠٠,٠٠٠ أسرة) ؛ وقد عرفت الأخبار الروسية بوجود عدد من بلدان البلغار ، ولكننا لا نستطيع بحال أن نتحقق من أمكنتها لافتقارنا إلى المعلومات المفصلة ؛ وكانت أهم هذه البلدان هى ڤليكى گورود بلغارى (مدينة بلغارى الكبرى) التى تردد ذكرها كثيراً فى هذه الأخبار .

وقد قام الروس فى نصف القرن الماضى بعدة تنقيبات أثرية فى مواقع المدن القديمة فى أرض البلغار . وتدل الأطلال القائمة قرب قرية بلغارسكوى

التى تبعد ٦ كيلو مترات عن نهر الفولجا ؛ على ثقافة عالية كانت قائمة فى القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين . فقد كانت كل العمائر — مثل القصور والمساجدوالحمامات، هى والأسوار— مبنية بالحجر . وكان محيط المدينة حوالى ستة أميال ، وتكتنفها أرباض من الشمال والغرب . ولا بد أن سكانها كانوا فى ذلك الزمن نحوا من ٥٠٫٠٠٠ نسمة . والاستكشافات الأحدث من ذلك فى بليار وسوار أغنى مما استكشف فى بلغارسكوى ، ويبدو أن بلغار (أى الأطلال القائمة عند بلغارسكوى) كانت قصبة البلاد فى القرنين العاشر والحادى عشر الميلاديين فحسب . ثم انتقلت أهميتها فى تواريخ متأخرة عن ذلك إلى بليار فى الجزء الأوسط من البلاد على نهر شرمشان . ويصعب علينا أن نقرر أيهما كانت المقصودة بما سمته الأخبار الروسية « مدينة بلغارى الكبرى » .

الدين

تستبين من أقدم مصادرنا (ابن رسته ، حوالى سنة ٣٠٠ هـ = ٩١٢ م ، ولكن وردت به أخبار أقدم من ذلك) أن الإسلام رسخت أقدامه بين البلغار . وأنه كانت بأرضهم مساجد من الخشب . وقد أيد ذلك كل التأييد ابن فضلان . فقد وجد فيها أثناء زيارته كثيرا من المسلمين والمساجد ووجد أيضاً خطيباً ومؤذناً . وقد سكتت المصادر العربية القديمة فلم تذكر شيئاً عن بداية اصطباغ البلغار بالصبغة الإسلامية ، وإنما ذكر الرحالة أبو حامد من أعيان القرن الثانى عشر الميلادى فحسب خبراً أسطورياً يتصل باشتقاق شائع لاسم بلغار ، على أن هذه الأسطورة لم تعرفها الروايات التترية المتأخرة . وكان من أغراض السفارات البغدادية ، وخاصة سفارة ابن فضلان ، توطيد أقدام الإسلام فى البلاد وإدخال الشريعة الإسلامية ، وإقامة مسجد ومنبر وصبغ البلاد كلها بالصبغة الإسلامية . ويظهر أن هذه المهمة قد تحققت . وقد بلغ الإسلام أول ما بلغ بلغار من آسية الوسطى ، وكان واضحاً من طريقة الأذان أنه كان على مذهب أبى حنيفة الذى كان سائداً بين أتراك آسية الوسطى . وكان ابن فضلان على مذهب الشافعى ، ومن ثم قام خلاف بينه وبين مؤذن البلغار الذى كان يؤيده الملك . وظل البلغار مستمسكين بالمذهب الحنفى طوال تاريخهم . وكان فى بلدانهم مساجد ومساجد جامعة . ويؤكد كتاب حدود العالم أن أهل بلغار وسوار كانوا مسلمين غيورين . ويقول المسعودى (مروج الذهب ، ج ٢ ، ص ١٦) أن ابنا للملك البلغار حج إلى مكة فى عهد المقتدر . وثمة شاهد آخر على ما اتصف به حكامهم من غيرة على

الدين هو ما أهداه أمير البلغار أبو إسحق بن إبراهيم ابن محمد بن بلتوار إلى مسجدى سبزوار وخسروجرد سنة ٤١٥ هـ (١٠٢٤ م ؛ انظر تاريخ بيهق ، طبعة طهران ، ص ٦٣) ؛ ويظهر أن البلغار كان لهم أثر حاسم فى إسلام القبائل التركية المتبدية مثل البشناق والقومان ، وكانوا أيضاً تراودهم الآمال فى أن ينشروا الدين الإسلامى فى الروسيا التى كانت لا تزال على الوثنية فى القرن العاشر الميلادى . وقد أرسلت سنة ٩٨٦ م بعثة إلى كييف لإدخال الأمير ڤلادمير فى الإسلام ، وقد حدث بعد ذلك بقليل ، أن هذا الأمير نفسه كان يبحث عن دين مناسب يعتنقه هو وقومه ، فدعا البلغار المسلمين ليبينوا له قواعد دينهم ويشتركوا فى المناقشات الدينية التى كانت دائرة بين ممثلى الأديان الكبرى ؛

وقد أثارت هذه البلاد الإسلامية الشمالية القصوى مسائل تتعلق بالعبادات ، بالنظر إلى قصر النهار وطول الليل فى شتائها وطول النهار وقصر الليل فى صيفها ، ذلك أن أداء الصلوات الخمس فى النهار القصير لم يكن بالأمر السهل ، وقد كان من المستحيل الالتزام بالمواقيت المفروضة . وقامت مسائل مشابهة لذلك فى رمضان . وهذه الخاصية المعروفة فى البلاد الواقعة على خطوط العرض المرتفعة لم تكن معروفة فى البلاد الإسلامية الأخرى ، ومن ثم لم تلبث أن اجتذبت عناية الكتاب المسلمين وأدت إلى مناظرات مطولة حول الحل الصحيح لهذه المشاكل ؛ وفى تاريخ متأخر يرجع إلى سنة ١٨٦٠ م كتب مؤرخ من قازان هو المرْجَنى رسالة فى هذه المشكلة (انظر طوغان : ابن فضلان ، ص ١٧٠ حيث ذكر مراجع أخرى) ؛

اللغة والأدب

إن لغة البلغار مثل لغة الخزر لم تترك إلا آثاراً جد قليلة ومعظمها فى أسماء الأماكن والأسماء ابتداء من القرن الثانى عشر الميلادى ، كما تركت عدداً لا بأس به من الكتابات على شواهد القبور ؛ وقد ظلت الأرومة التى تنتسب إليها لغتهم مشكلة مدة طويلة : ويروى الإصطخرى (ص ٢٢٥) أن لغة البلغار تشبه لغة الخزر ، ولكن هاتين اللغتين لا تشبهان لغتى البُرْطاس والروس (من يرد تحليلا لما كتبه الكاشغرى عن لغة البلغار مع مناقشة للمشكلة بأسرها فليلتمسه عند Pritsak فى *Zeitschr. der Deutsch. Morgent. Gesells* عدد ١٠٩ ، سنة ١٩٥٩ ، ص ٩٢ — ١١٦) ؛ على أنه قد استقر القول الآن على أن لغة البلغار تنتسب إلى ما يعرف بالمجموعة « البلغارية » من الفرع الغربى (الهونى الغربى) للغات التركية ، أما المجموعات الأخرى فهى لغة الغز ، والقپچاق ،

والقرلق » وتتألف المجموعة البلغارية « إلى جانب المجموعة الخزرية » من اللغات الآتية : (١) اللغة البلغارية الأصلية ، أى اللغة البلغارية الأصلية للنقوش ولغة ما يعرف باسم « ثبت أمراء » بلغار الدانوب الذى ورد فى التاريخ الإخبارى الروسى القديم (O. Pritsak : *Die bulgarische Fuerstenliste* « ڤيسبادن سنة ١٩٥٥) ؛ (٢) اللغة البلغارية القوبانية « وتوجد آثار من هذه اللغة فى الكلمات المستعارة فى اللغة المنخارية « (٣) اللغة البلغارية الڤولجاوية ، لغة شواهد القبور التى كانت تكتب بالخط العربى وقد وجدت فى أرض البلغار . ودرجة القرابة بين هذه اللغة ولغة الچواش الحديثة لم تبحث بعد أو تفسر على وجه مرض . ولما كان الچواش لم يتأثروا إلا تأثرا قليلا جداً بثقافة البلغار الإسلامية الكثيرة الرقى ، فانه من المستبعد أن يكونوا قد انحدروا من صلب هؤلاء . أما تتر قازان المحدثون فلهم حق أعظم فى ادعاء هذا النسب .

ونحن إذا استثنينا فحسب نقوش القبور المذكورة آنفاً والتى ترجع إلى القرون الثانى عشر والثالث عشر والرابع عشر ، فاننا لا نجد بين أيدينا أية آثار للنشاط الأدبى للبلغار . وقد ذكر ابن النديم فى كتابه « الفهرست » أن البلغار قبل إسلامهم « كانوا يستخدمون الحروف الصينية والحروف المانوية » ولكن لم ينته إلينا أى نموذج من هذه الكتابة : ويذكر أبو حامد تاريخاً للبلغار كتبه القاضى يعقوب بن النعمان البلغارى فى أوائل القرن الثانى عشر الميلادى : وفى سنة ٩٨٩ « (١٥٨١م) كتب شرف الدين حسام الدين البلغارى باللغة التترية « رساله تواريخ بلغاريه » وهى لا تتضمن إلا قصصاً خرافية عن انتشار الإسلام وسير الأولياء، وقد طبعت هذه الرسالة فى قازان سنة ١٩٠٢ ،

التاريخ

لا تسمح لنا ندرة ما بين أيدينا من مصادر أن نتتبع مجرى التاريخ البلغارى عن كثب . فقد دخل البلغار صفحات التاريخ المدون وقت زيارة ابن فضلان فحسب . وكان ملكهم آنذاك يلتوار ألمُش بن شِلكى وهو الذى غير لقبه من بعد ولقب نفسه بالأمير جعفر بن عبد الله . وتزودنا السكة باسم ابنه وخليفته ميكائيل بن جعفر وبأسماء حكام ثلاثة آخرين : طالب بن أحمد ، ومؤمن ابن أحمد « ومؤمن بن الحسن (انظر عن تواريخ حكمهم القسم الخاص بالاقتصاد الذى سبق) ؛ وظل البلغار حتى سقوط خاقانية الخزر دولة تابعة لهذا الخاقان . وحدث سنة ٩٦٤ م أن أطاح أمير كييف سفياتوسلاف بدولة البلغار فى حوض نهر الڤولجا . ويوجد صدى لهذا الخبر فى رواية

ابن حوقل عن غزو البلغار والبرطاس والخزر سنة ٣٥٨ ﻫ (٩٦٨ — ٩٦٩ م) . على أن هذا ليس هو تاريخ الحملة الروسية وإنما هو التاريخ الذى تلقى فيه ابن حوقل معلوماته عن هذه الحوادث . ولم يكن لهذا الغزو آثار باقية على رخاء البلغار ، وكذلك لم تعقب الحملة الروسية الثانية التى قادها ڤلادِمير بن سڤياتوسلاف سنة ٩٨٥م من الدمار إلا القليل ، بل الذى حدث كان على عكس ذلك ، إذ ربح البلغار من وراء سقوط الخاقانية الخزرية . وتقهقرت الجيوش الروسية بعد انتصارها ، ومن ثم حل محل الخزر ذوى البطش بدو البشناق الذين لم يكونوا بذوى خطر حقيقى على البلغار . وظلت العلاقات أمداً وجيزاً تتحسن بين الروس والبلغار ، كما يتضح من المعاهدة التجارية التى عقدت بينهما سنة ١٠٠٦ على قدم المساواة . على أن كلتا الدولتين كانتا مهتمتين على نمط واحد بتجارة الفراء فى الشمال ، وقد أدى هذا إلى استمرار التقاتل بينهما منذ النصف الثانى من القرن الحادى عشر الميلادى : وقد أصبح تاريخ البلغار من هذا التاريخ تاريخاً للحروب بينهم وبين الروس .

وفى سنة ١٠٨٨ م استولى البلغار على بلدة موروم الروسية ، ولكنهم لم يحتفظوا بها إلا مدة قصيرة . وقد التزموا الدفاع بعد هذا ، بل لقد حدث فى عدة مناسبات أن حاصر الروس مدينة بلغار ، حدث ذلك سنة ١١٢٠، ١١٦٤ ، ١١٧٢، ١١٨٣ ، ١٢٢٠ م ؛ ولم يذكر أن البلغار لجأوا إلى الهجوم إلا فى مناسبتين : فقد هجموا على بلدة سوزدال ولم يظفروا بطائل ، ونهبوا سنة ١٢١٨ م بلدة أوستيوگ الموغلة كثيراً فى الشمال : وانقطع قتالهم بعد ذلك مع الروس لمدة قرنين تقريباً بفضل الفتح المغولى .

وقد زار أبو حامد الأندلسى مدينة بلغار وحوض نهر الڤولجا فى النصف الأول من القرن الثانى عشر الميلادى ، ولم يقل شيئاً عن التاريخ السياسى للبلغار إلا ما ذكره من أنه كان يعيش فى مدينة سقسين على مجرى الڤولجا الأدنى أمير من البلغار كما كان يقوم هناك مسجد بلغارى .

وبينما كان المغول عائدين إلى الشرق بعد انتصارهم على الروس على نهر كَلْكَه سنة ١٢٢٤م إذ أوقعهم البلغار فى كمين وأنزلوا بهم خسائر فادحة (ابن الأثير ، ج ١٢ ، ص ٢٥٤) ، وقد تم الانتقام من هذا الفعل على أفظع ما يكون من سفك الدماء : ففى سنة ١٢٢٩ ألجئت طليعة البلغار على نهر يايق (الأورال) على الفرار ، وحدث سنة ١٢٣٧ م فى قول المصادر الإسلامية ، وسنة ١٢٣٧ فى قول الأخبار الروسية ، أن هجم المغول

على دولة البلغار وقضوا على القصبة بجميع من فيها من السكان ؛

ثم أصبحت بلاد البلغار من هذا التاريخ جزءا من مملكة « القطيع الذهبي » أي إمبراطورية المغول في شرق أوربا (انظر مادة « الباتوئية ») ؛ ويظهر أن القصبة بلغار قد انتعشت فأصبحت زاهرة في مدة قصيرة بعض الشيء . ويدل ما كشف من الآثار على قيام حضارة راقية بها ترجع إلى هذا العهد؛ ويرجع تاريخ معظم شواهد القبور إلى العصر المغولي. أما تاريخ البلاد فيما بعد ذلك هي وقصبتها فلا نعرف عنه إلا النزر اليسير ، بل نحن لا نعلم متى هجرها سكانها . ولم تتأثر بلغار بحملة تيمور سنة ١٣٩٥ م ، ولكن الروس لم يلبثوا أن دمروها سنة ١٣٩٩ . ولعل المدينة عانت من قيام مدينة قازان (تعرف أيضاً بنوفي بلغار ، أي بلغار الجديدة) التي أنشئت قبيل ذلك على يد باتو خان ، أكثر مما عانت من هذه الحروب . واختيار قازان قصبة لدولة تترية مستقلة أقامها ألغ محمد المتوفى سنة ١٤٤٦ قد حدد مصير مدينة بلغار ، فقد انتقلت أهميتها بوصفها أكبر سوق في حوض الفولجا الأوسط إلى قازان أول الأمر ثم إلى المدينة الروسية نزني نوفگورود (هي الآن جوركي) ؛

وكلمة بلغار لا تزال باقية في التواليف ، وإن كان هذا لا يتعدى اسم بلاد ، وحدث في تاريخ متأخر يرجع إلى القرن التاسع عشر أن التتر أطلقوا على أنفسهم « البلغار » .

المصادر :

المصادر الإسلامية : (١) ابن رسته : (٢) ابن فضلان ؛ (٣) المسعودي : مروج الذهب ؛ (٤) الإصطخري ؛ (٥) ابن حوقل ؛ (٦) المقدسي (٧) حدود العالم . (٧) البيروني . (٨) الگرديزي ؛ (٩) البكري ؛ (١٠) أبو حامد الأندلسي : التحفة (طبعة فرّان Ferrand) ؛ (١١) الكاتب نفسه : المعرب ، طبعة دبلر Dubler . (١٢) ياقوت (١٣) القزويني . (١٤) أبو الفداء . (١٥) الدمشقي؛

عن العصر المغولي : (١٦) ابن الأثير ، (١٧) أبو الفداء . (١٨) رشيد الدين . (١٩) الجويني ؛ (٢٠) ابن بطوطة ... إلخ (انظر المصادر في Spuler : *Die Goldene Horde* ، ليبسك سنة ١٩٤٣) ؛

(٢١) التواريخ الإخبارية الروسية في *Polnoe sobraniya russkikh l'etopisey* ، موسكو سنة ١٨٤٦ — ١٩٢٥ ؛

الدراسات الحديثة (٢٢) Z. V. Togan : *Ibn Fadlan's Reisebericht* ، ليبسك سنة ١٩٣٩ ؛

« بُلْغاريا »: بلاد بين البلقان والمجرى الأدنى لنهر الدانوب أخذت اسمها من أحد فروع شعب البلغار . وقد أنشأ هذه الدولة بعد سقوط إمبراطورية الهياطلة العظيمة بقايا المغيرين الذين طردوا من مجرى الدانوب الأدنى إلى سهوب روسيا الجنوبية (انظر مادة « بلغار ») وخاصة القبيلة التى عبرت الدانوب عام ٧٧٩ م تحت إمرة اسبريخ Isperich ابن كوبرات Kubrat وأسسوا مملكة قوية بعد فتح الأقاليم التى سكنها الصقالبة . واستطاعت هذه القبيلة على قلة عددها أن تفرض اسمها على الإقليم وساكنيه » واصطنعت اللغة الصقلبية فى القرن التاسع ثم اندمجت آخر الأمر فى السكان الأصليين . واستطاع النفوذ الإسلامى أن يمتد إلى البلغار منذ منتصف القرن التاسع الميلادى ؛ وقد يكون هذا النفوذ أقدم من هذا لو أخذنا برأى برى Bury وهو أن البلغار استعاروا السنة القمرية من العرب فى القرن السابع الميلادى (*Byzantin. Zeitschr.* ، جـ ١٩ ، ص ١٣١ ، ١٤١) ؛ واعترض ماركار Marquart على هذا الرأى (*T'ung Pao* جـ ١١ ، ص ٦٧٨) ، ومهما يكن من الأمر فإن الإسلام لم يصبح دين الدولة الرسمى بل المسيحية التى أدخلها بوريس Boris عام ٨٦٤ م ؛ وتخضع الكنيسة البلغارية لبطريق القسطنطينية ، وإن كانت فى الوقت نفسه قد اصطنعت القداس الصقلبى .

وكانت بلغاريا عندما وطئت أقدام الترك أوروبا للمرة الأولى ولاية مستقلة على ضفة الدانوب اليمنى تحكمها أسرة الأساندة Asenids الوطنية » وكان يحدها من الشمال نهر الدانوب ، ومن الجنوب البلقان ، ومن الشرق البحر الأسود » ومن الغرب بلاد الصرب ، وتخترق سلسلة الجبال إلى داخل البلاد ثمانية ممرات (دربند) هى صولى وقپولى (Succi باب تراجان) وإسلدى وقازانلق ودمبرقاپى ، وممران ينتهيان إلى روسچق وسلسريا ثم ممر نادر ؛

وانقسم سكان تلك البلاد إلى أحزاب بسبب المنازعات التى نشأت بين الأمراء . ولما مات القيصر الإسكندر عام ١٣٦٤ م اقتسم البلاد شيشمان الثالث Shishman بن الإسكندر من زوجته اليهودية — وكان يحكم فى صوفيا — وسراكيمير Sracimir الذى احتل ودِّين . وقلق شيشمان لما رآه من تقدم العثمانيين تحت إمرة مراد الأول خداوندگار فاشترك فى حلف الصرب والبوسنويين مع أنه كان صديقاً للسلطان وأخاً لزوجته ، وهزم الجيش الذى كان يقوده لالاشاهين — وعدته عشرون ألف مقاتل — هزيمة منكرة كادت تذهب به عن آخره ، فتقدم على پاشا بن قرة خليل چندرلى على رأس جيش عدته ثلاثون ألف مقاتل وعبر ممر نادر وتقدم نحو شُمْلَة (شُمَنه) وترنوڤو

الشعب

٩٣ شارع قصر العيني بالقاهرة

تليفون [illegible]

مطبوعات الشعب
ثقافة وعلوم إنسانية لكل الشعب
٩٢ شارع قصر العيني ت: ٣٥٥١٨١٠ - ٣٥٥١٥٩٩